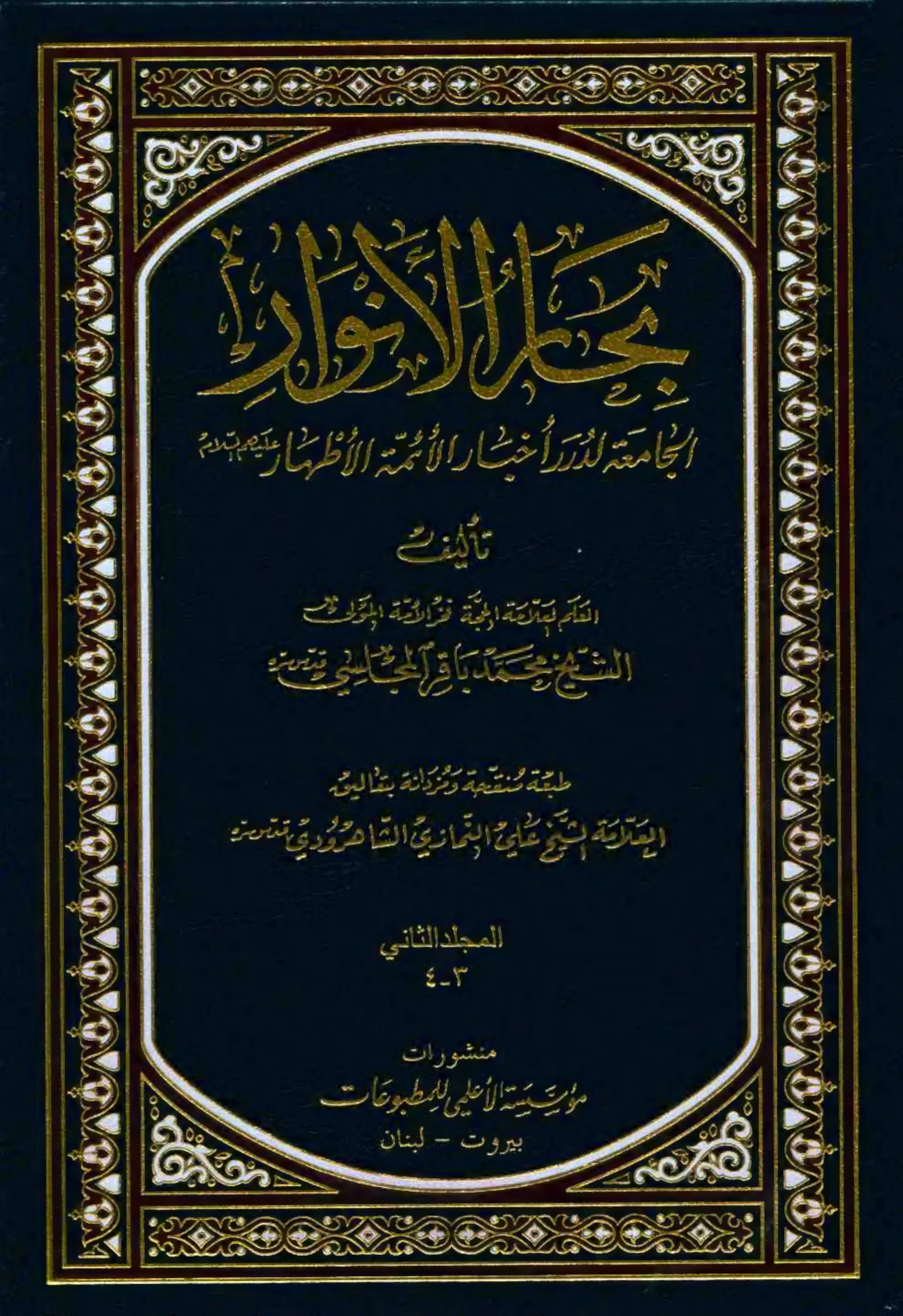

بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد الثاني
٣-٤
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان



بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

٣ - ٤



بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

منشورات

مؤسسة الأعلى للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد: ٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com

http://www.alaalami.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على سيّد الموحّدين وفخر العارفين محمّد وأهل بيته الطاهرين الغرّ الميامين.

كتاب التوحيد: وهو المجلّد الثاني من كتاب بحار الأنوار تأليف المذنب الخاطىء الخاسر محمّد المدعوّ بباقر ابن مروّج أخبار الأئمّة الطاهرين ومحيي آثار أهل بيت سيّد المرسلين ﷺ أجمعين محمّد الملقّب بالتقيّ حشره الله تعالى مع مواليه شفعاء يوم الدين.

١ - باب ثواب الموحدين والعارفين، وبيان وجوب المعرفة وعلته وبيان ما هو حقّ معرفته تعالى

١ - **يد، لي:** حمزة بن محمّد بن أحمد بن جعفر العلويّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن إبراهيم بن إسحاق النهاونديّ، عن عبد الله بن حمّاد الأنصاريّ، عن الحسين بن يحيى بن الحسين، عن عمرو بن طلحة، عن أسباط بن نصر، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: والّذي بعثني بالحقّ بشيراً لا يعذّب الله بالنار موحّداً أبداً وإنَّ أهل التوحيد ليشفعون فيشفّعون. ثمّ قال ﷺ: إنّه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار، فيقولون: يا ربّنا كيف تدخلنا النار وقد كنّا نوحّدك في دار الدنيا؟ وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في دار الدنيا؟ وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على أن لا إله إلاّ أنت؟ أم كيف تحرق وجوهنا وقد عفّرناها لك في التراب؟ أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك؟ فيقول الله جلَّ جلاله: عبادي ساءت أعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنّم. فيقولون: يا ربّنا عفوك أعظم أم خطيئتنا؟ فيقول تبارك وتعالى: «بل عفوي»، فيقولون: رحمتك أوسع أم ذنوبنا؟ فيقول عزّ وجلّ: «بل رحمتي»، فيقولون: إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا؟ فيقول تعالى: «بل إقراركم بتوحيدي أعظم»، فيقولون: يا ربنا فليسعنا عفوك ورحمتك الّتي وسعت كلّ شيء، فيقول الله جلَّ جلاله: «ملائكتي! وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي من المقرين بتوحيدي، وأن لا إله غيري: وحق عليّ أن لا أصلي أهل توحيدي، أدخلوا عبادي الجنّة»[1].

بيان: قوله: وحقٌّ عليَّ الظاهر أنّه اسمٌ أي واجب ولازم عليَّ، ويمكن أن يقرأ على صيغة الماضي المعلوم والمجهول؛ قال الجوهريُّ: قال الكسائيُّ: يقال: حقَّ لك أن تفعل هذا

---

(١) كتاب التوحيد للصدوق ص ٢٩ باب ١ ح ٣١ وأمالي الصدوق، ص ٢٤٣ مجلس ٤٩ ح ١٠.

وحققت أن تفعل هذا بمعنى، وحقٌّ له أن يفعل كذا وهو حقيق به ومحقوق به أي خليقٌ له، وحقَّ الشيء يحقُّ بالكسر أي وجب. وقال: يقال: صليت الرجل ناراً: إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها، فإن ألقيته فيها إلقاءاً كأنّك تريد الإحراق قلت: أصليته «بالألف» وصلّيته تصليةً. وقال: صلي فلان النار يصلى صليّاً احترق.

٢ - **يد، لي:** الحسن بن عبد الله بن سعيد، عن محمّد بن أحمد بن حمدان القشيريّ عن أحمد بن عيسى الكلابيّ، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[1]، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله عزّ وجلّ قال: «ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلاّ الجنة»[2].

ما: شيخ الطائفة، عن الحسين بن عبيد الله الغضائريّ، عن الصدوق بالإسناد مثله[3].

ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن إسحاق بن عبّاس بن إسحاق بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه موسى بن جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله.

٣ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن جعفر بن محمّد بن جعفر العلويّ، عن محمّد بن عليّ بن الحسين بن زيد، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: التوحيد ثمن الجنّة[4]. الخبر.

٤ - **ع، ل:** في خبر أسماء النبيّ وأوصافه صلى الله عليه وآله: وجعل اسمي في التوراة أحيد فبالتوحيد حرّم أجساد أمّتي على النار[5].

٥ - **ثو، يد:** ابن الوليد، عن سعد، عن أحمد بن هلال، عن ابن فضّال، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلاّ الله، لأنَّ الله عزّ وجلّ لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمر أحد[6].

بيان: لعلَّ التعليل مبنيٌّ على أنّه إذا لم يعدله تعالى شيءٌ لا يعدل ما يتعلّق بألوهيّته وكماله ووحدانيّته شيءٌ إذ هذه الكلمة الطيّبة أدلُّ الأذكار على وجوده ووحدانيّته، واتّصافه

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.
(٢) التوحيد للصدوق، ص ٢٨ باب ١ ح ٢٩، وأمالي الصدوق، ص ٣١٦ مجلس ٦١ ح ٧.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٤٤٢. مجلس ١٥ ح ٩٦٠.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٥٧٠. مجلس ٢٢ ح ١١٧٨.
(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٥ باب ١٠٦ ح ٣ والخصال ص ٤٢٥ باب العشرة ح ١.
(٦) ثواب الأعمال للصدوق، ص ٢٢ والتوحيد ص ١٩ باب ١ ح ٣.

بالكمالات، وتنزُّهه عن النقائص، ويحتمل أن يكون المراد أنّها لمّا كانت أصدق الأقوال فكانت أعظمها ثواباً.

٦- **يد**: ابن المتوكّل، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضماناً قال: قلت: وما هو؟ قال: ضمن له إن هو أقرّ له بالربوبيّة، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ولعليّ عليه السلام بالإمامة، وأدّى ما افترضه عليه أن يسكنه في جواره. قال: قلت: فهذه والله هي الكرامة الّتي لا يشبهها كرامة الآدميّين. قال: ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: إعملوا قليلاً تتنعّموا كثيراً[1].

٧ - **يد**: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن زياد الكرخيّ، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ولا يشرك بالله شيئاً أحسن أو أساء دخل الجنّة[2].

يد: القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن جعفر بن محمّد بن عمارة، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله مثله.

٨ - **يد**: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط، عن ابن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[3] قال: قال الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتّقى ولا يشرك بي عبدي شيئاً، وأنا أهلٌ إن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن أُدخله الجنّة. وقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أقسم بعزّته وجلاله أن لا يعذّب أهل توحيده بالنار أبداً[4].

٩ - **يد**: السنانيّ، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن سالم، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى حرّم أجساد الموحّدين على النار[5].

١٠ - **ثو، يد**: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سيف، عن أخيه عليّ، عن أبيه سيف بن عميرة، عن الحجّاج بن أرطاة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: الموجبتان: من مات يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له دخل الجنّة، ومن مات يشرك بالله شيئاً يدخل النار[6].

١١ - **ثو، لي، يد**: بالإسناد المتقدّم عن سيف، عن الحسن بن الصبّاح، عن أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: كلُّ جبّار عنيد من أبى أن يقول: لا إله إلاّ الله[7].

---

(١) التوحيد للصدوق، ص ١٩ باب ١ ح ٤.
(٢) التوحيد، ص ٣٠ باب ١ ح ٣٢.
(٣) سورة المدثر، الآية: ٥٦.
(٤) - (٥) التوحيد، ص ١٩ باب ١ ح ٦ و٧.
(٦) ثواب الأعمال، ص ٢٠ والتوحيد، ص ٢٠ باب ١ ح ٨.
(٧) ثواب الأعمال، ص ٢١ والأمالي، ص ١٦٦ مجلس ٣٦ ح ٥ والتوحيد ص ٢٠ باب ١ ح ٩.

بيان: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾(١).

١٢ - **يد:** أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الخوزيّ، عن إبراهيم بن محمّد بن مروان الخوزيّ، عن أحمد بن عبد الله الجويباريّ - ويقال له: الهرويُّ، والنهروانيُّ، والشيبانيُّ - عن الرضا عليّ بن موسى، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما جزاء من أنعم عزّ وجلّ عليه بالتوحيد إلاّ الجنّة(٢).

١٣ - **يد:** وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لا إله إلاّ الله كلمة عظيمة كريمة على الله عزّ وجلّ، من قالها مخلصاً استوجب الجنّة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار(٣).

بيان: قوله عليه السلام: ومن قالها كاذباً أي في الإخبار عن الإذعان لها والتصديق بها.

١٤ - **ن، يد:** محمّد بن عليّ بن الشاه، عن محمّد بن عبد الله النيسابوريّ قال: حدَّثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عبّاس الطائيّ بالبصرة، قال: حدَّثني أبي في سنة ستّين ومأتين قال: حدَّثني عليّ بن موسى الرضا عليه السلام سنة أربع وستين ومائة، قال: حدَّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدَّثني أبي جعفر بن محمّد، قال: حدَّثني أبي محمّد بن علي، قال: حدَّثني أبي عليّ بن الحسين، قال: حدَّثني أبي الحسين بن علي، قال: حدَّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله جلَّ جلاله: «لا إله إلاّ الله حصني فمن دخله أمن من عذابي»(٤).

١٥ - **ن، يد:** محمّد بن الفضل النيسابوريّ، عن الحسن بن عليّ الخزرجيّ، عن أبي الصلت الهرويّ قال: كنت مع عليّ بن موسى الرضا عليه السلام حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فإذا محمّد بن رافع، وأحمد بن حرب، ويحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وعدة من أهل العلم قد تعلقوا بلجام بغلته في المربعة فقالوا: بحقّ آبائك الطاهرين حدّثنا بحديث سمعته من أبيك، فأخرج رأسه من العمارية - وعليه مطرف خز ذو وجهين - وقال: حدَّثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر، قال: حدَّثني أبي الصادق جعفر بن محمّد، قال: حدَّثني أبي أبو جعفر محمّد بن عليّ باقر علم الأنبياء، قال: حدَّثني أبي عليّ بن الحسين سيّد العابدين، قال: حدَّثني أبي سيّد شباب أهل الجنّة الحسين، قال: حدَّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: قال الله جلَّ جلاله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٥.
(٢) التوحيد، ص ٢٢ باب ١ ح ١٧.
(٣) التوحيد، ص ٢٣ باب ١ ح ١٨.
(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٤٤ باب ٣٧ ح ٢، والتوحيد ص ٢٤ باب ١ ح ٢١.

فَاعْبُدْنِي ﴾[١]، ومن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلاّ الله بالاخلاص دخل [في] حصني ومن دخل في حصني أمن [من] عذابي[٢].

بيان: قال الجوهريُّ: الشهبة في الألوان: البياض الّذي غلب على السواد، وقال: المربع: موضع القوم في الربيع خاصّة. أقول: يحتمل أن يكون المراد بالمربعة الموضع المتسع الّذي كانوا يخرجون إليه في الربيع للتنزُّه، أو الموضع الّذي كانوا يجتمعون فيه للعب، من قولهم: ربع الحجر: إذا شاله ورفعه لاظهار القوة، وسمعت جماعة من أفاضل نيسابور أنّ المربعة اسم للموضع الّذي عليه الآن نيسابور، إذ كانت البلدة في زمانه عليه السلام في مكان آخر قريب من هذا الموضع وآثارها الآن معلومة، وكان هذا الموضع من أعمالها وقراها، وإنما كان يسمى بالمربعة لأنّهم كانوا يقسمونه بالرباع الأربعة فكانوا يقولون: ربع كذا وربع كذا، وقالوا: هذا الاصطلاح الآن أيضاً دائر بيننا معروف في دفاتر السلطان وغيرها. وقال الجوهريّ: المُطرف والمِطرف واحد المطارف، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام، قال الفراء: وأصله الضمُّ لأنّه في المعنى مأخوذ من أُطرف أي جعل في طرفيه العلمان ولكنهم استثقلوا الضمة فكسروه.

١٦ - ثو، مع، ن، يد: ابن المتوكّل، عن الأسديّ، عن محمّد بن الحسين الصوفيّ، عن يوسف بن عقيل، عن إسحاق بن راهويه قال: لمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك - وكان قد قعد في العماريّة - فأطلع رأسه وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول: سمعت أبي محمّد بن عليّ يقول: سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن عليّ بن أبي طالب يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله جلَّ جلاله يقول: لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي. [قال]: فلمّا مرّت الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها[٣].

قال الصدوق رحمه الله: من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنّه إمام من قبل الله عزّ وجلّ على العباد مفترض الطاعة عليهم[٤].

١٧ - يد: أبو نصر محمّد بن أحمد بن تميم السرخسيّ، عن محمّد بن إدريس الشاميّ عن

---

(١) سورة طه، الآية: ١٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٤٣ باب ٣٧ ح ١، والتوحيد ص ٢٤ باب ١ ح ٢٢.

(٣) ثواب الأعمال، ص ٢٦، ومعاني الأخبار، ص ٣٧١ وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٤٤ باب ٣٧ ح ٤، والتوحيد ص ٢٥ باب ١ ح ٢٣.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٤٤ باب ٣٧ ح ٤.

إسحاق بن إسرائيل، عن جرير، عن عبد العزيز، عن زيد بن وهب، عن أبي ذرّ رحمه الله قال: خرجت ليلةً من اللّيالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده ليس معه إنسان فظننت أنّه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظلّ القمر، فالتفت فرآني فقال: من هذا؟ قلت: أبو ذرّ جعلني الله فداك، قال: يا أبا ذرّ تعال، فمشيت معه ساعة فقال: إنّ المكثرين هم الأقلّون يوم القيامة إلاّ من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه بيمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً. قال: فمشيت معه ساعةً، فقال اجلس ههنا - وأجلسني في قاع حوله حجارة - فقال لي: اجلس حتّى أرجع إليك، قال: وانطلق في الحرّة حتّى لم أره وتوارى عنّي فأطال اللّبث، ثمّ إنّي سمعته عليه السلام وهو مقبل وهو يقول: وإن زنى وإن سرق، قال: فلمّا جاء لم أصبر حتّى قلت: يا نبيّ الله جعلني الله فداك من تكلّمه في جانب الحرّة؟ فإنّي ما سمعت أحداً يردّ عليك شيئاً، قال ذاك جبرئيل عرض لي في جانب الحرّة فقال: بشّر أمّتك أنّه من مات لا يشرك بالله عزّ وجلّ شيئاً دخل الجنّة، قال قلت: يا جبرئيل وإن زنى وإن سرق، قال: نعم وإن شرب الخمر.

قال الصدوق رحمه الله: يعني بذلك أنّه يوفّق للتوبة حتّى يدخل الجنّة(١).

بيان: قال الجزريّ فيه: المكثرون هم المقلّون إلاّ من نفخ فيه بيمينه وشماله، أي ضرب يديه فيه بالعطاء، النفخ: الضرب والرمي.

أقول: يظهر من الأخبار أنّ الإخلال بكلّ ما يجب الاعتقاد به وإنكاره يوجب الخروج عن الإسلام في الشرك، والتوحيد الموجب لدخول الجنّة مشروط بعدمه فلا يلزم من ذلك دخول المخالفين الجنّة، وأمّا أصحاب الكبائر من الشيعة فلا استبعاد في عدم دخولهم النار وإن عذبوا في البرزخ وفي القيامة، مع أنّه ليس في الخبر أنّهم لا يدخلون النار، وقد ورد في بعض الأخبار أنّ ارتكاب بعض الكبائر وترك بعض الفرائض أيضاً داخلان في الشرك، فلا ينبغي الاغترار بتلك الأخبار والاجتراء بها على المعاصي، وعلى ما عرفت لا حاجة إلى ما تكلّفه الصدوق قدّس سرّه.

١٨ - **ما:** محمّد بن أحمد بن الحسن بن شاذان، عن أبيه، عن محمّد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن بلال، عن محمّد بن بشير الدهّان، عن محمّد بن سماعة قال: سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له: أخبرني أيّ الأعمال أفضل؟ قال: توحيدك لربّك، قال: فما أعظم الذنوب؟ قال: تشبيهك لخالقك(٢).

١٩ - **يد:** أحمد بن محمّد بن أحمد بن غالب الأنماطيّ، عن أحمد بن الحسن بن غزوان، عن إبراهيم بن أحمد، عن داود بن عمرو، عن عبد الله بن جعفر، عن زيد بن أسلم،

---

(١) التوحيد للصدوق، ص ٢٥ باب ١ ح ٢٤.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٩٧. مجلس ٣٩ ح ١٤٥٨.

عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بينما رجل مستلقٍ على ظهره ينظر إلى السماء وإلى النجوم ويقول: والله إنّ لك لرباً هو خالقك اللهمَّ اغفر لي، قال فنظر الله عزّوجلّ إليه فغفر له.

قال الصدوق رحمه الله: وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[1]. يعني بذلك أولم يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض وفي عجائب صنعها ولم ينظروا في ذلك نظر مستدل معتبر فيعرفوا بما يرون ما أقامه الله عزّوجلّ من السماوات والأرض مع عظم أجسامها وثقلها على غير عمد، وتسكينه إياها بغير آلة فيستدلوا بذلك على خالقها ومالكها ومقيمها أنّه لا يشبه الأجسام ولا ما يتخذه الكافرون إلهاً من دون الله عزّوجلّ إذ كانت الأجسام لا تقدر على إقامة الصغير من الأجسام في الهواء بغير عمد وبغير آلة فيعرفوا بذلك خالق السماوات والأرض وسائر الأجسام ويعرفوا أنّه لا يشبهها ولا تشبهه في قدرة الله وملكه، وأمّا ملكوت السماوات والأرض فهو ملك الله لها واقتداره عليها، وأراد بذلك ألم ينظروا ويتفكروا في السماوات والأرض [في] خلق الله عزّوجلّ إياهما على ما يشاهدونهما عليه فيعلمون أنّ الله عزّوجلّ هو مالكها والمقتدر عليها لأنها مملوكة مخلوقة وهي في قدرته وسلطانه وملكه، فجعل نظرهم في السماوات والأرض وفي خلق الله لها نظراً في ملكوتها وفي ملك الله لها لأنّ الله عزّوجلّ لا يخلق إلاّ ما يملكه ويقدر عليه، وعنى بقوله: وما خلق الله من شيء يعني من أصناف خلقه فيستدلون به على أنّ الله خالقها وأنّه أولى بالإلهية من الأجسام المحدثة المخلوقة[2].

٢٠ - **يد:** عبد الحميد بن عبد الرحمن، عن أبي يزيد بن محبوب المزنيّ، عن الحسين ابن عيسى البسطاميّ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن شعبة، عن خالد الحذّاء، عن أبي بشير العنبريّ، عن حمران، عن عثمان بن عفّان، قال: قال رسول الله ﷺ: من مات وهو يعلم أنّ الله حقٌّ دخل الجنّة[3].

٢١ - **يد:** الحسن بن عليّ بن محمّد العطّار، عن محمّد بن محمود، عن حمران، عن مالك بن إبراهيم، عن حصين، عن الأسود بن هلال، عن معاذ بن جبل قال: كنت ردف النبيّ ﷺ قال: يا معاذ هل تدري ما حقُّ الله عزّوجلّ على العباد؟ - يقولها ثلاثاً - قال: قلت: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: حقُّ الله عزّوجلّ على العباد أن لا يشركوا به شيئاً، ثمّ قال ﷺ: هل تدري ما حقُّ العباد على الله عزّوجلّ إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم. أو قال: أن لا يدخلهم النار[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.
(٢) التوحيد، ص ٢٦ باب ١ ح ٢٥.
(٣) التوحيد، ص ٢٩ باب ١ ح ٣٠.
(٤) التوحيد، ص ٢٨ باب ١ ح ٢٨.

٢٢ - **ن:** أبو نصر أحمد بن الحسين، عن أبي القاسم محمّد بن عبيد الله، عن أحمد بن محمّد ابن إبراهيم بن هاشم، عن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر، عن أبيه عليّ بن محمّد النقيّ، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل سيّد الملائكة قال: قال الله سيّد السادات عزّ وجلّ: إني أنا الله لا إله إلاّ أنا من أقرّ لي بالتوحيد دخل، حصني ومن دخل حصني أمن عذابي[1].

٢٣ - **ن، ع:** في علل الفضل عن الرضا عليه السلام: فإن قال قائل: لم أمر الله الخلق بالإقرار بالله وبرسله وحججه وبما جاء من عند الله عزّ وجلّ؟ قيل لعلل كثيرة، منها: أنّ من لم يقرّ بالله عزّ وجلّ لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم، فإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كلٌّ إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين، ووثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج والأموال، وأباحوا الدماء والنساء، وقتل بعضهم بعضاً من غير حقٍّ ولا جرم، فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل. ومنها: أنّ الله عزّ وجلّ حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلاّ الّذي يحظر الفساد ويأمر بالصلاح، ويزجر عن الظلم، وينهى عن الفواحش، ولا يكون حظر الفساد والامر بالصلاح والنهي عن الفواحش إلاّ بعد الإقرار بالله عزّ وجلّ ومعرفة الآمر والناهي، فلو ترك الناس بغير إقرار بالله ولا معرفته لم يثبت أمر بصلاح ولا نهي عن فساد إذ لا آمر ولا ناهي. ومنها: أنا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنية مستورة عن الخلق فلولا الإقرار بالله عزّ وجلّ وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك معصية وانتهاك حرمة وارتكاب كبيرة إذا كان فعله ذلك مستوراً عن الخلق غير مراقب لأحد، وكان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين، فلم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلاّ بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السرَّ وأخفى، آمر بالصلاح، ناه عن الفساد ولا تخفى عليه خافيةٌ، ليكون في ذلك انزجار لهم عمّا يخلون به من أنواع الفساد.

فإن قال: [قائل] فلم وجب عليهم الإقرار والمعرفة بأنّ الله تعالى واحد أحد؟ قيل: لعلل، منها: أنّه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز أن يتوهّموا مدبرين أو أكثر من ذلك، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره لأنّ كلّ إنسان منهم كان لا يدري لعله إنّما يعبد غير الّذي خلقه ويطيع غير الّذي أمره فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم، ولا يثبت عندهم أمر آمر، ولا نهي ناه، إذ لا يعرف الآمر بعينه، ولا الناهي من غيره، ومنها: أن لو جاز أن يكون اثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد ويطاع من الآخر، وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أنّ لا يطاع الله، وفي أنّ لا يطاع الله عزّ وجلّ الكفر بالله وبجميع

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٤٤ باب ٣٧ ح ٣.

كتبه ورسله وإثبات كلّ باطل وترك كل حق، وتحليل كلّ حرام وتحريم كلّ حلال، والدخول في كلّ معصية، والخروج من كلّ طاعة، وإباحة كلّ فساد، وإبطال كلّ حق؛ ومنها: أنّه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لابليس أن يدعي أنّه ذلك الآخر حتّى يضاد الله تعالى في جميع حكمه، ويصرف العباد إلى نفسه فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشدُّ النفاق.

فإن قال [قائل]: فلمَ وجب عليهم الإقرار لله بأنّه ليس كمثله شيءٌ؟ قيل: لعلل، منها: أن يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره، غير مشتبه عليهم أمر ربّهم وصانعهم ورازقهم. ومنها: أنّهم لو لم يعلموا أنّه ليس كمثله شيء لم يدروا لعلّ ربّهم وصانعهم هذه الأصنام الّتي نصبتها لهم آباؤهم، والشمس والقمر والنيران، إذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشتبهاً وكان يكون في ذلك الفساد وترك طاعاته كلها، وارتكاب معاصيه كلها على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الارباب وأمرها ونهيها، ومنها: أنّه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أنه ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والتغير والزوال والفناء والكذب والاعتداء، ومن جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فناؤه ولم يوثق بعدله ولم يحقق قوله وأمره ونهيه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه، وفي ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبيّة[١].

٢٤ - ثو: أبي، عن سعد، عن ابى عيسى، وابن هاشم، والحسن بن عليّ الكوفي جميعاً، عن الحسين بن سيف، عن أبيه، عن أبي حازم المدينيّ، عن سهل بن سعد الأنصاريّ قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[٢]. قال كتب الله عزّوجلّ كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس، ثمّ وضعها على العرش، ثمّ نادى يا أمة محمد: إن رحمتي سبقت غضبي، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلاّ أنا وأن محمّداً عبدي ورسولي أدخلته الجنّة برحمتي[٣].

٢٥ - سن: الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي الحسن السوّاق، عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث: من شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً وجبت له الجنّة. قال: قلت له: إنه يأتيني كلّ صنف من الأصناف فأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين والآخرين فيسلب منهم لا إله إلاّ الله إلاّ من كان على هذا الأمر[٤].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٠٦ باب ٣٤ ح ١، وعلل الشرائع، ج ١ ص ٢٨٩ باب ١٨٢ ح ٩ وللحديث صلة.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤٦.

(٣) ثواب الأعمال، ص ٣٠.

(٤) المحاسن للبرقي، ص ٣٢ باب ١٩ ح ٢٣.

سن: ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبان بن تغلب مثله.

٢٦ - **سن:** صالح بن السنديّ، عن جعفر بن بشير، عن الصبّاح الحذّاء، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من شهد أن لا إلاّ إله الله فليدخل الجنّة، قال: قلت: فعلى مَ تخاصم الناس إذا كان من شهد أن لا إله إلاّ الله دخل الجنّة؟ فقال: إنّه إذا كان يوم القيامة نسوها(١).

٢٧ - **صح:** عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عزّ وجلّ: لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي(٢).

٢٨ - **ضا:** نروي أنّ رجلاً أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الحديث الّذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنّة، فقال أبو جعفر عليه السلام: الخبر حق، فولّى الرجل مدبراً فلمّا خرج أمر برده ثمّ قال: يا هذا إن للا إله إلاّ الله شروطاً ألا وإنّي من شروطها(٣).

٢٩ - **غو:** قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: من قال: لا إله إلاّ الله دخل الجنّة وإن زنى وإن سرق(٤).

٣٠ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن عيسى بن محمّد، عن القاسم بن إسماعيل عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن معتّب مولى أبي عبد الله عليه السلام، عنه، عن أبيه عليه السلام قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هل للجنة من ثمن؟ قال: نعم، قال: ما ثمنها؟ قال: لا إله إلاّ الله، يقولها العبد مخلصاً بها، قال: وما إخلاصها؟ قال: العمل بما بعثت به في حقه وحب أهل بيتي، قال: فداك أبي وأمي وإن حب أهل البيت لمن حقها؟ قال إن حبّهم لأعظم حقّها(٥).

٣١ - **كنز الكراجكي:** روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إن الله رفع درجة اللّسان فأنطقه بتوحيده من بين الجوارح(٦).

٣٢ - **ضا:** إنَّ أوَّل ما افترض الله على عباده وأوجب على خلقه معرفة الوحدانية قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾(٧). يقول: ما عرفوا الله حقَّ معرفته(٨).

---

(١) المحاسن للبرقي، ص ١٨١ باب ٤٢ ح ١٧٣.
(٢) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٩ الباب الأول في الذكر.
(٣) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام، ص ٣٩٠ باب ١١٠.
(٤) غوالي اللئالي، ج ١ ص ٤١ الفصل ٤ ح ٤٣.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٥٨٣. مجلس ٢٤ ح ١٢٠٧.
(٦) لم أجده في كنز الفوائد للكراجكي.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ٩١.
(٨) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام، ص ٦٥.

٣٣ - ونروي عن بعض العلماء عليهم السلام أنّه قال في تفسير هذه الآية: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[(١)]، ما جزاء من أنعم الله عليه بالمعرفة إلاّ الجنّة.

٣٤ - وأروي أنّ المعرفة التصديق والتسليم والاخلاص في السرّ والعلانية. وأروي أنّ حقَّ المعرفة أن تطيع ولا تعصي وتشكر ولا تكفر.

٣٥ - **مص:** قال الصادق عليه السلام: العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين ودائع الله وكنز أسراره ومعدن نوره، ودليل رحمته على خلقه، ومطيّة علومه، وميزان فضله وعدله، قد غني عن الخلق والمراد والدنيا فلا مؤنس له سوى الله، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلاّ بالله ولله ومن الله ومع الله، فهو في رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله إليه متزود، والمعرفة أصل فرعه الإيمان[(٢)].

٣٦ - **جع:** جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما رأس العلم؟ قال: معرفة الله حقّ معرفته. قال: وما حقُّ معرفته؟ قال: أن تعرفه بلا مثال ولا شبه، وتعرفه إلهاً واحداً خالقاً قادراً أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، لا كفو له ولا مثل له، فذاك معرفة الله حقّ معرفته[(٣)].

٣٧ - **جع:** قال النبي صلى الله عليه وآله: أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفةً[(٤)].

٣٨ - **أقول:** روى الصدوق رحمه الله في كتاب صفات الشيعة عن أبيه، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن ابن أبي عمير رفعه إلى أحدهم عليهم السلام أنّه قال: بعضكم أكثر صلاةً من بعض، وبعضكم أكثر حجّاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة من بعض، وبعضكم أكثر صياماً من بعض، وأفضلكم أفضلكم معرفة[(٥)].

٣٩ - **ما:** جماعةٌ، عن أبي المفضّل، عن الليث بن محمّد العنبريّ، عن أحمد بن عبد الصمد، عن خاله أبي الصلت الهرويّ قال: كنت مع الرضا عليه السلام لمّا دخل نيسابور وهو راكب بغلةً شهباء، وقد خرج علماء نيسابور في استقباله، فلمّا صار إلى المربعة تعلّقوا بلجام بغلته وقالوا: يا ابن رسول الله حدّثنا بحقّ آبائك الطاهرين حديثاً عن آبائك صلوات الله عليهم أجمعين، فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خزّ فقال: حدَّثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد بن علي، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين سيّد شباب أهل الجنّة، عن أمير المؤمنين - عليه السلام - عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أخبرني جبرئيل الروح الأمين، عن الله تقدست أسماؤه وجلّ وجهه قال: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدي، عبادي فاعبدوني وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلاّ الله مخلصاً بها أنّه قد

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٢) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص ١٩١ باب ٩١.

(٣) - (٤) جامع الأخبار للشعيري، ص ٨ باب ١.

(٥) صفات الشيعة، ص ٩٣ ح ٢٨.

دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي. قالوا: يا ابن رسول الله وما إخلاص الشهادة لله؟ قال: طاعة الله ورسوله وولاية أهل بيته عليهم السلام[(١)].

٢ - باب علة احتجاب الله عز وجل عن خلقه

١ - ع: الحسين بن أحمد، عن أبيه، عن محمّد بن بندار، عن محمّد بن علي، عن محمّد ابن عبد الله الخراساني - خادم الرضا عليه السلام - قال: قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام: لم احتجب الله؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الحجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم فأمّا هو فلا يخفى عليه خافيةٌ في آناء الليل والنهار، قال: فلم لا تدركه حاسة البصر؟ قال: للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار، ثمّ هوأجل من أن تدركه الأبصار أو يحيط به وهم أو يضبطه عقل، قال: فحده لي قال: إنه لا يحد، قال: لم؟ قال: لأنّ كلّ محدود متناه إلى حد فإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود ولا متزايد ولا متجزّ ولا متوهَّم[(٢)].

٢ - ع: عليّ بن حاتم، عن القاسم بن محمّد، عن حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة الثماليّ قال: قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: لأي علة حجب الله عزّ وجلّ الخلق عن نفسه؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل فلو أنّهم كانوا ينظرون إلى الله عزّ وجلّ لما كانوا بالذين يهابونه ولا يعظّمونه، نظير ذلك أحدكم إذا نظر إلى بيت الله الحرام أوّل مرّة عظمه فإذا أتت عليه أيام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مرَّ به ولا يعظّمه ذلك التعظيم[(٣)].

بيان: لعلّ المراد بالنظر الألطاف الخاصّة التي تستلزم غاية العرفان والوصول أي لو كانت مبذولة لعامة الناس لكانت لعدم استحقاقهم ذلك مورثاً لتهاونهم بربّهم أو النظر إلى آثار عظمته الّتي لا تظهر إلاّ للانبياء والاوصياء عليهم السلام كنزول الملائكة وعروجهم ومواقفهم ومنازلهم والعرش والكرسيّ واللّوح والقلم وغيرها؛ على أنّه يحتمل أن يكون دليلاً آخر مع التنزل عن استحالة إدراكه بالبصر على وفق الأفهام العاميّة.

٣ - باب اثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته

الآيات: البقرة «٢»: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾«٢٢». وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٨٩، مجلس ٢٥ ح ١٢٢٠.
(٢) - (٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٤ باب ٩٨ ح ١ وح ٢.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾«١٦٤».

يونس «١٠»: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾«٦». «وقال»: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾«١٠١».

الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

إبراهيم «١٤»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

الحجر «١٥»: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

النحل «١٦»: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

«وقال تعالى»: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ

رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ «١٠ - ١٦». وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ «٦٥ - ٧٠» «وقال تعالى»: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ أَفَبِالْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ «٧٢» وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

الإسراء «١٧»: ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٢ «وقال تعالى»: ﴿رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

طه «٢٠»: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

المؤمنون «٢٣»: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي

ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ «٧٩، ٨٠» «وقال تعالى»: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

النور «٢٤»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾.

الفرقان «٢٥»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

الشعراء «٢٦»: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

القصص «٢٨»: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ «٤٤» «وقال تعالى»: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ «٦٣» «وقال تعالى»: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ «٦٥».

الروم «٣٠»: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾» «وقال عزّوجلّ»: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ «٤٦» «وقال تعالى»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾» وقال تعالى»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ «٥٤».

لقمان «٣١»: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾» «وقال تعالى»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾».

التنزيل: [السجدة] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ «٢٧».

فاطر «٣٥»: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾» «وقال تعالى»: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ «١١» «وقال تعالى»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾».

يس «٣٦»: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا

يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ «وقال سبحانه»: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ «٧٧».

الصافات «٣٧»: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ «١١».

الزمر «٣٩»: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ «٥، ٦» «وقال تعالى»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ «٢١».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ «١٣» «وقال تعالى»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ «وقال عزّ وجلّ»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾.

فصلت «٤١»: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ

اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾ «٩ - ١٢» «وقال تعالى»: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)﴾.

حمعسق [الشورى]: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ «١١» «وقال تعالى»: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ «٢٩» «وقال سبحانه»: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥)﴾.

الزخرف «٤٣»: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)﴾.

الجاثية «٤٥»: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)﴾ «وقال تعالى»: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)﴾ «وقال سبحانه»: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ «٢٤».

الذاريات «٥١»: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾ «وقال جلّ وعلا»: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾.

الطور «٥٢»: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦)﴾.

الرحمن «٥٥»: ﴿الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣)﴾ «إلى آخر الآيات».

الواقعة «٥٦»: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ

﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

الطلاق «٦٥»: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ «١٢».

الملك «٦٧»: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴿٥﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ «١٩» «وقال سبحانه»: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ «٢١» «وقال تعالى»: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ «وقال سبحانه»: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾.

المرسلات «٧٧»: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

النبأ «٧٨»: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

النازعات «٧٩»: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

عبس «٨٠»: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

الغاشية «٨٨»: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

١ - ج: عن أمير المؤمنين عليه السلام: ولو فكّروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلةٌ والأبصار مدخولةٌ، أفلا ينظرون إلى

صغير ما خلق؟ كيف أحكم خلقه، وأتقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر وسوّى له العظم والبشر، أنظروا إلى النملة في صغر جثّتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر، كيف دبّت على أرضها، وضنّت على رزقها، تنقل الحبّة إلى جحرها وتعدُّها في مستقرّها، تجمع في حرّها لبردها وفي ورودها لصدورها مكفول برزقها، مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنّان ولا يحرمها الديّان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس، لو فكّرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الّذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلّتك الدلالة إلاّ على أنَّ فاطر النملة هو فاطر النحلة لدقيق تفصيل كلّ شيء وغامض إختلاف كلّ حيّ، وما الجليل واللّطيف والثقيل والخفيف والقويُّ والضعيف في خلقه إلاّ سواء، كذلك السماء والهواء والريح والماء، فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر، وإختلاف هذا اللّيل والنهار، وتفجُّر هذه البحار وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرُّق هذه اللّغات والألسن المختلفات، فالويل لمن أنكر المقدِّر، وجحد المدبِّر، زعموا أنّهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لإختلاف صورهم صانعٌ، لم يلجأوا إلى حجّة فيما ادَّعوا، ولا تحقيق لمّا وعوا، وهل يكون بناءٌ من غير بانٍ أو جنايةٌ من غير جانٍ؟! وإن شئت قلت: في الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسرج لها حدقتين قمراوين، وجعل لها السمع الخفيّ، وفتح لها الفم السويّ، وجعل لها الحسَّ القويَّ، ونابين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، ترهبها الزرّاع في زرعهم ولا يستطيعون ذبّها ولو أجلبوا بجمعهم، حتّى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كلّه لا يكون إصبعاً مستدقّة، فتبارك الّذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعفّر له خدّاً ووجهاً، ويلقي بالطاعة إليه سلماً وضعفاً، ويعطي له القياد رهبةً وخوفاً، فالطير مسخرةٌ لأمره، أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسى قوائمها على الندى واليبس، قدّر أقواتها، وأحصى أجناسها، فهذا غراب، وهذا عقاب وهذا حمام، وهذا نعام، دعا كلَّ طائر باسمه، وكفّل له برزقه، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها، وعدَّد قسمها فبلَّ الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها[1].

إيضاح: مدخولةٌ أي معيبةٍ من الدَّخَل - بالتحريك - وهو العيب والغشُّ والفساد. وفلق أي شقَّ. والبشر: ظاهر جلد الإنسان. ولا بمستدرك الفكر إمّا مصدر ميميّ أي بإدراك الكفر، أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي بإدراك الفكر الّذي يدركه الإنسان بغاية سعيه، أو اسم مكان والباء بمعنى في أي في محلِّ إدراكه، والغرض المبالغة

(١) الاحتجاج، ص ٢٠٤.

في صغرها بحيث لا يمكن إدراك تفاصيل أعضائه لا بالنظر ولا بالفكر. كيف دبّت أي مشت. وضنّت بالضّاد المعجمة والنون: أي بخلت، وفي بعض النسخ: صبّت بالصاد المهملة والباء الموحّدة على بناء المجهول، إمّا على القلب أي صبّ عليها الرزق، أو كنايةً عن هجومها وإجتماعها على رزقها بإلهامه تعالى فكأنّها صبّت على الرزق، ويمكن أنّ يقرأ على بناء المعلوم من الصبابة وهي حرارة الشوق. لصدرها الصدر - بالتحريك - رجوع المسافر من مقصده، والشارية من الورد أي تجمع في أيّام التمكّن من الحركة لأيّام العجز عنها، فإنّها تخفى في شدّة الشتاء لعجزها عن البرد. والمنّان: هو كثير المنّ والعطاء. والديّان: القهّار والقاضي والحاكم والسائس و المُجازي. والصفا - مقصوراً - جمع الصفاة وهي الحجر الصلد الضخم الّذي لا ينبت. والجامس: اليابس الجامد، قال الخليل في كتاب العين: جمس الماء: جمد، وصخرةٌ جامسةٌ لزمت مكاناً. إنتهى. والضمير في علوها وسفلها إمّا راجع إلى المجاري، أو إلى النملة أي ارتفاع أجزاء بدنها وانخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة. وقال الجوهريُّ: الشراسيف: مقاطُّ الأضلاع وهي أطرافها الّتي تشرف على البطن ويقال: الشرسوف: غضروف معلّق بكلّ ضلع، مثل غضروف الكتف. لقضيت من خلقها عجباً القضاء بمعنى الأداء أي لأدّيت عجباً، ويحتمل أنّ يكون بمعنى الموت أي لقضيت نحبك من شدّة تعجُّبك، ويكون عجباً مفعولاً لأجله. ولو ضربت أي سرت، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[1]. غاياته أي غايات فكرك. إلاّ سواء أي في دقّة الصنعة وغموض الخلقة، أو في الدلالة على الفاطر وكمال قدرته وعلمه. والقلال بالكسر جمع قُلّة بالضمّ، وهي أعلى الجبل. زعموا أنّهم كالنبات أي كما زعموا في النبات، أو كنبات لا زارع له حيث لا ينسب إلى الزراع وإن نسب إلى ربّه تعالى. لما وعوا أي جمعوا وحفظوا. وأسرج لها حدقتين أي جعلهما مضيئتين كالسراج، ويقال: حدقةٌ قمراءُ أي منيرةٌ، كما يقال: ليلةٌ قمراءُ أي نيّرة بضوء القمر. بها تقرض بكسر الراء أي تقطع. والمنجل - كمنبر -: حديدةٌ يقضب بها الزرع، شبهّت بها يداها. والذبُّ: الدفع والمنع. في نزواتها أي وثباتها. وخلقها كلّه الواو حاليّةٌ. سلماً بالكسر وبالتحريك أي إستسلاماً وانقياداً. وأرسى أي أثبت أي جعل لها رجلين يمكنها الاستقرار بهما على الأراضي اليابسة والنديّة. والهطل: تتابع المطر. والديم بكسر الدال وفتح الياء جمع الديمة بالكسر، وهي المطر الّذي ليس فيه رعد ولا برق. والجدوب: قلّة النبات والزرع.

٢ - ج؛ عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾[2]. قال: فمن لم يدلّه خلق السماوات والأرض وإختلاف اللّيل والنهار ودوران الفلك بالشمس والقمر والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمراً هو

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

أعظم منه فهو في الآخرة أعمى. قال: فهو عمّا لم يعاين أعمى وأضلُّ سبيلا[1].

بيان: لعلَّ المراد على هذا التفسير: فهو في أمر الآخرة الّتي لم ير آثارها أشدُّ عمًى وضلالةً.

٣ - **ج:** روي عن هشام بن الحكم أنه قال: كان من سؤال الزنديق الّذي أتى أبا عبد الله عليه السلام قال: ما الدليل على صانع العالم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: وجود الأفاعيل الّتي دلّت على أنَّ صانعها صنعها، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبنيّ علمت أنّ له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده. قال: وما هو؟ قال: هو شيءٌ بخلاف الأشياء، أرجع بقولي: شيءٌ إلى إثباته وأنّه شيءٌ بحقيقة الشيئيّة، غير أنّه لا جسمٌ ولا صورةٌ ولا يحسُّ ولا يجسُّ، ولا يدرك بالحواسِّ الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا يغيّره الزمان.

قال السائل: فإنّا لم نجد موهوماً إلاّ مخلوقاً، قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد منّا مرتفعاً فإنّا لم نكلّف أنّ نعتقد غير موهوم، لكنّا نقول: كلُّ موهوم بالحواسّ مدرك بها تحدُّه الحواسُّ ممثّلاً فهو مخلوق، ولا بدَّ من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين: إحداهما النفي إذا كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه أنّهم مصنوعون، وأنَّ صانعهم غيرهم وليس مثلهم، إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا، وتنقّلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض، وقوّة إلى ضعف وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها.

قال السائل: فأنت قد حدَّدته إذ أثبتّ وجوده، قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحدِّده ولكن أثبتُّه، إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة. قال السائل: فقوله: الرحمن على العرش استوى؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستول على العرش، بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أنَّ العرش محلٌّ له، لكنّا نقول: هو حامل للعرش وممسك للعرش، ونقول في ذلك ما قال: وسع كرسيّه السموات والأرض. فثبّتنا من العرش والكرسيّ ما ثبته، ونفينا أن يكون العرش والكرسيُّ حاوياً له وأن يكون عزّ وجلّ محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء ممّا خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواءٌ ولكنّه عزّ وجلّ أمر

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٢١.

أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنّه جعله معدن الرزق فثبّتنا ماثبّته القرآن والأخبار عن الرسول ﷺ حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عزّوجلّ ، وهذا تجمع عليه فرق الأمّة كلها(١).

يد: الدقّاق، عن أبي القاسم العلويّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن إبراهيم بن هاشم القميّ، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ، عن هشام بن الحكم مثله مع زيادة أثبتناها في باب احتجاج الصادق عليه السلام على الزنادقة(٢).

بيان: قوله عليه السلام : وأنّه شيءٌ بحقيقة الشيئيّة المراد بالشيئيّة إمّا الوجود، أو معنىً مساوق له، وعلى التقديرين فالمراد إمّا بيان عينيّة الوجود، أو قطع طمع السائل عن تعقّل كنهه تعالى بل بأنّه شيءٌ وأنّه بخلاف الأشياء. والجسُّ - بالجيم -: المسُّ. قوله: فإنّا لم نجد موهوماً إلاّ مخلوقاً أي يلزم ممّا ذكرت أنّه لا تدركه الأوهام أنَّ كلَّ ما يحصل في الوهم يكون مخلوقاً، فأجاب عليه السلام بما حاصله أنَّ مرادنا أنّه تعالى لا يدرك كنه حقيقته العقول والأوهام، ولا يتمثّل أيضاً في الحواسّ، إذ هو مستلزم للتشبيه بالمخلوقين، ولو كان كما توهّمت من أنّه لا يمكن تصوُّره تعالى بوجه من الوجوه لكان تكليفنا بالتصديق بوجوده وتوحيده وسائر صفاته تكليفاً بالمحال، إذ لا يمكن التصديق بثبوت شيء لشيء بدون تصوُّر ذلك الشيء، فهذا القول مستلزم لنفي وجوده وسائر صفاته عنه تعالى، بل لا بدَّ في التوحيد من إخراجه عن حدِّ النفي والتعطيل وعن حدِّ التشبيه بالمخلوقين، ثمّ استدلَّ عليه السلام بتركيبهم وحدوثهم وتغيُّر أحوالهم وتبدُّل أوضاعهم على احتياجهم إلى صانع منزَّه عن جميع ذلك، غير مشابه لهم في الصفات الإمكانيّة، وإلاّ لكان هو أيضاً مفتقراً إلى صانع لاشتراك علّة الافتقار.

قوله: فقد حدَّدته إذ أثبتّ وجوده أي إثبات الوجود له يوجب التحديد، إمّا بناءً على توهّم أنَّ كلَّ موجود لا بدَّ أن يكون محدوداً بحدود جسمانيّة أو بحدود عقلانيّة، أو باعتبار التحدُّد بصفة هو الوجود، أو باعتبار كونه محكوماً عليه فيكون موجوداً في الذهن محاطاً به. فأجاب عليه السلام بأنّه لا يلزم أن يكون كلُّ موجود جسماً أو جسمانيّاً حتّى يكون محدوداً بحدود جسمانيّة، ولا أن يكون مركّباً حتّى يكون محدوداً بحدود عقلانيّة أو لا يلزم كون حقيقته حاصلةً في الذهن أو محدودةً بصفة فإنَّ الحكم لا يستدعي حصول الحقيقة في الذهن، والوجود ليس من الصفات الموجودة المغايرة الّتي تحدُّ بها الأشياء.

٤ - **ج:** عن هشام بن الحكم قال: دخل ابن أبي العوجاء على الصادق عليه السلام فقال له الصادق: يا ابن أبي العوجاء أمصنوع أنت أم غير مصنوع؟ قال: لست بمصنوع، فقال له

---

(١) الاحتجاج للطبرسي، ص ٣٣١. (٢) التوحيد ص ٢٤٣ باب ٢٦ ح ١.

الصادق عليه السلام: فلو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون؟ فلم يحر ابن أبي العوجاء جواباً وقام وخرج[١].

يد: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ، عن هشام مثله[٢].

بيان: لمّا كان التصديق بوجود الصانع تعالى ضرورياً نبّهه عليه السلام بأنّ العقل يحكم بديهة بالفرق بين المصنوع وغيره، وفيك جميع صفات المصنوعين فكيف لم تكن مصنوعاً؟.

٥- ج: دخل أبوشاكر الديصانيّ وهو زنديق على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا جعفر ابن محمّد دلّني على معبودي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: اجلس - فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها - فقال أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة، فناوله إيّاها، فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا ديصانيّ هذا حصنٌ مكنونٌ له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبةٌ مائعةٌ وفضّةٌ ذائبةٌ، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها لا يدرى للذكر خلقت أم للأُنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّراً؟ قال: فأطرق مليّاً ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك إمامٌ وحجّةٌ من الله على خلقه، وأنا تائب ممّا كنتُ فيه[٣].

٦ - يد: ابن المتوكّل: عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن أبي إسحاق الخفّاف، عن عدّة من أصحابنا أنّ عبد الله الديصانيّ أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فلمّا قعد قال له: يا جعفر بن محمّد دلّني على معبودي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما اسمك؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه، فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟ قال: لو كنت قلت له: عبد الله كان يقول: من هذا الّذي أنت له عبد؟ فقالوا له: عد إليه فقل: يدلّك على معبودك ولا يسألك عن اسمك، فرجع إليه فقال له: يا جعفر دلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اجلس وإذا غلام صغير إلى آخر الخبر[٤].

بيان: قد أوردنا الخبر بتمامه في باب القدرة. وتقرير استدلاله عليه السلام أنّ ما في البيضة من الإحكام والإتقان والاشتمال على ما به صلاحها وعدم اختلاط ما فيها من الجسمين السيّالين - والحال أنّه ليس فيها حافظ لها من الأجسام فيخرج مخبراً عن صلاحها، ولا يدخلها جسمانيٌ من خارج فيفسدها، وهي تنفلق عن مثل ألوان الطواويس - يدلّ على أنّ له مبدأً غير جسم ولا جسمانيّ، ولا يخفى لطف نسبة الإصلاح إلى ما يخرج منها، والإفساد إلى ما يدخل فيها، لأنّ هذا شأن أهل الحصن الحافظين له وحال الداخل فيه بالقهر والغلبة.

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٣٣.
(٢) التوحيد ص ٢٩٣ باب ٤٢ ح ٢.
(٣) الاحتجاج، ص ٣٣٣.
(٤) التوحيد، ص ١٢٣ باب ٩ ح ١.

٧ - ج: عن عيسى بن يونس قال: كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصريّ فانحرف عن التوحيد فقيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة، قال: إنّ صاحبي كان مخلّطاً يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه، فقدم مكّة تمرّداً وإنكاراً على من يحجّ، وكان يكره العلماء مجالسته ومساءلته لخبث لسانه وفساد ضميره، فأتى أبا عبد الله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه فقال: يا أبا عبد الله إنّ المجالس بالأمانات، ولابدّ لكلّ من به سعال أن يسعل أفتأذن لي في الكلام؟ فقال الصادق عليه السلام: تكلّم بما شئت، فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر؟ إنّ من فكّر في هذا وقدّر علم أنّ هذا فعل أسّسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسّه ونظامه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه استوخم الحقّ ولم يستعذبه، وصار الشيطان وليّه، يورده مناهل الهلكة ثمّ لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محلّ أنبيائه، وقبلةً للمصلّين له، فهو شعبةٌ من رضوانه، وطريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ من أطيع فيما أمر وانتهي عمّا نهى عنه وزجر، الله المنشيء للأرواح والصور. فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت الله فأحلت على غائب. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويلك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد، وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم، ويرى أشخاصهم، ويعلم أسرارهم. فقال ابن أبي العوجاء: فهو في كلّ مكان أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما وصفت المخلوق الّذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الّذي صار إليه ما حدث في المكان الّذي كان فيه، فأمّا الله العظيم الشأن الملك الديّان فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان[1].

لي: ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمّه، عن أبي أحمد محمّد بن زياد الأزديّ، عن الفضل بن يونس مثله[2].

ع: الهمدانيّ والمكتّب والورّاق جميعاً، عن عليّ، عن أبيه، عن الفضل مثله[3].

٨ - يد: الدقّاق، عن حمزة بن القاسم العلويّ، عن البرمكيّ، عن داود بن عبد الله، عن عمرو بن محمّد، عن عيسى بن يونس مثله، وزاد في آخره: والّذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة، وأيّده بنصره، واختاره لتبليغ رسالته صدّقنا قوله: بأنّ ربّه بعثه وكلّمه.

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٣٥. (٢) أمالي الصدوق، ص ٤٩٤ مجلس ٩٠ ح ٤.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٠٦ باب ١٤٢ ح ٤.

فقام عنه ابن أبي العوجاء وقال لأصحابه: من ألقاني في بحر هذا؟ وفي رواية ابن الوليد: من ألقاني في بحر هذا، سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة فألقيتموني على جمرة. قالوا: ما كنت في مجلسه إلاّ حقيراً، قال: إنّه ابن من حلق رؤوس من ترون[1].

بيان: الطوب بالضمّ: الآجر. وطعام وخيم: غير موافق، واستوخمه أي لم يستمرأه. ولم يستعذبه أي لم يدرك عذوبته. وحاصل ما ذكره عليه السلام: أنّه تعالى إنّما استعبدهم بذلك ليختبرهم في إطاعتهم له، والاختبار فيما خفي وجه الحكمة فيه على أكثر العقول أكثر، مع أنّ لخصوص هذا المكان الشريف مزايا وشرائف لكونه محلّ الأنبياء وقبلة المصلّين وسابقاً في الخلق على جميع الأرض، وقد أشار عليه السلام بقوله: فهو شعبةٌ مع الفقرات الّتي بعدها أي ما جعل الله فيه من الكمالات المعنوية والأسرار الخفيّة حيث جعله محلاً لقربه ورضوانه، ومهبطاً لرحماته وغفرانه، وما أفاض عليه من أنوار جبروته، وأخفى فيه من أسرار ملكوته. والاستواء: الاعتدال. والوريد: هو العرق الّذي في صفحة العنق وبقطعه تزول الحياة، ففي التشبيه به دون سائر الأعضاء إشعار بكيفيّة قربه بأنّ قربه قرب بالعلّيّة والتأثير، وفيما بعدها من الفِقَر إشارةٌ إلى جهة أخرى من قربه وهي الإحاطة العلميّة. والخمرة بالضمّ: حصيرة صغيرة من السعف أي طلبت منكم أن تطلبوا لي خصماً ألعب به كالخمرة فألقيتموني على جمرة ملتهبة.

٩ - **ج:** وروي أنّ الصادق عليه السلام قال لابن أبي العوجاء إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول نجونا وهلكت[2].

١٠ - **ن، م، ج:** وبالإسناد، عن أبي محمّد عليه السلام أنّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ الآية[3]: جعلها ملائمةً لطبائعكم، موافقةً لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللّين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم ودفن موتاكم، ولكنّه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون، وتتماسك عليها أبدانكم، وجعل فيها من اللّين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثمّ قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ يعني سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم. ثمّ قال: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعني المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثمّ فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً لتنشفه أرضكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعةً

---

(١) التوحيد، ص ٢٥٤ باب ٣٦ ح ٤. (٢) الاحتجاج، ص ٣٣٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

واحدةً فتفسد أرضكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم. ثمّ قال: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يعني ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم. ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام الّتي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم[1].

بيان: الهضاب جمع الهضبة وهي الجبل المنبسط على الأرض، أو جبل خلق من صخرة واحدة. والرذاذ كسحاب: المطر الضعيف، أو الساكن الدائم الصغار القطر، والوابل: المطر الشديد الضخم القطر. والهطل: المطر الضعيف الدائم، وتتابع المطر المتفرّق العظيم القطر. والطلّ: المطر الضعيف، أو أخفّ المطر وأضعفه، أو الندى، أو فوقه ودون المطر. كلّ ذلك ذكرها الفيروزآباديّ.

١١ - **يد، لي، ن:** العطّار، عن سعد، عن ابن هاشم، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنّه دخل عليه رجل فقال له: يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال: أنت لم تكن ثمّ كنت، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ولا كوّنك من هو مثلك[2].

ج: مرسلاً مثله[3].

١٢ - **يد، ن:** ماجيلويه، عن عمّه، عن أبي سمينة محمّد بن عليّ الكوفيّ الصيرفيّ، عن محمّد بن عبد الله الخراسانيّ خادم الرضا عليه السلام قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا عليه السلام وعنده جماعة فقال له أبو الحسن عليه السلام: أرأيت إن كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - ألسنا وإيّاكم شرعاً سواء، ولا يضرّنا ما صلّينا وصمنا وزكّينا وأقررنا؟ فسكت. فقال أبو الحسن عليه السلام: إن يكن القول قولنا - وهو كما نقول - ألستم قد هلكتم ونجونا؟ قال: رحمك الله فأوجدني كيف هو وأين هو؟ قال: ويلك إنّ الّذي ذهبت إليه غلط هو أيّن الأين وكان ولا أين، وهو كيّف الكيف وكان ولا كيف، فلا يعرف بكيفوفيّة ولا بأينونيّة ولا بحاسّة ولا يقاس بشيء. قال الرجل: فإذن إنّه لا شيء إذا لم يدرك بحاسّة من الحواسّ، فقال أبو الحسن عليه السلام: ويلك لمّا عجزت حواسّك عن إدراكه أنكرت ربوبيّته، ونحن إذا عجزت حواسّنا عن إدراكه أيقنّا أنّه ربّنا، وأنّه شيءٌ بخلاف الأشياء. قال الرجل: فأخبرني متى كان؟ قال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان. قال

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٢٥ باب ١١ ح ٣٦، والتفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ص ١٢٢ ح ٧٢، والاحتجاج للطبرسي، ص ٤٥٦.

(٢) التوحيد، ص ٢٩٣ باب ٤٢ ح ٣، وأمالي الصدوق ص ٢٨٨ مجلس ٥٦ ح ٦، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٢٢ باب ١١ ح ٣٢.

(٣) الاحتجاج للطبرسي، ص ٣٩٦.

الرجل: فما الدليل عليه؟ قال أبو الحسن عليه السلام: إنّي لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنّي فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه، وجرّ المنفعة إليه علمت أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات علمت أنّ لهذا مقدّراً ومنشئاً قال الرجل: فلمَ احتجب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الحجاب على الخلق لكثرة ذنوبهم فأمّا هو فلا تخفى عليه خافيةٌ في آناء اللّيل والنهار، قال: فلمَ لا تدركه حاسّة البصر؟ قال: للفرق بينه وبين خلقه الّذين تدركهم حاسّة الأبصار منهم ومن غيرهم، ثمّ هو أجلُّ من أنّ يدركه بصر، أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل. قال: فحدّه لي، فقال: لا حدَّ له، قال: ولمَ؟ قال: لأنّ كلّ محدود متناه إلى حدّ، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود ولا متزايد ولا متناقص، ولا متجزّ ولا متوهّم، قال الرجل: فأخبرني عن قولكم: إنّه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيم، أيكون السميع إلاّ بالأذن، والبصير إلاّ بالعين، واللّطيف إلاّ بعمل اليدين، والحكيم إلاّ بالصنعة؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن اللّطيف منّا على حدِّ اتّخاذ الصنعة، أو ما رأيت الرجل يتّخذ شيئاً فيلطف في اتّخاذه فيقال: ما ألطف فلاناً! فكيف لا يقال للخالق الجليل: لطيف إذا خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً وركّب في الحيوان منه أرواحها، وخلق كلّ جنس متبايناً من جنسه في الصورة ولا يشبه بعضه بعضاً؟ فكلٌّ له لطف من الخالق اللّطيف الخبير في تركيب صورته، ثمّ نظرنا إلى الأشجار وحملها أطايبها المأكولة منها وغير المأكولة فقلنا عند ذلك: إنّ خالقنا لطيف، لا كلطف خلقه في صنعتهم، وقلنا: إنّه سميع لأنّه لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى، من الذرّة إلى أكبر منها، في برّها وبحرها، ولا تشتبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: إنّه سميع لا بأذن، وقلنا: إنّه بصير لا ببصر لأنّه يرى أثر الذرّة السحماء في اللّيلة الظلماء على الصخرة السوداء، ويرى دبيب النمل في اللّيلة الدجنة، ويرى مضارّها ومنافعها وأثر سفادها وفراخها ونسلها فقلنا عند ذلك: إنّه بصير لا كبصر خلقه، قال: فما برح حتّى أسلم. وفيه كلام غير هذا[1].

ج: رواه مرسلاً عن محمّد بن عبد الله الخراساني إلى آخر الخبر[2].

بيان: أوجدني أي أفدني كيفيّته ومكانه، وأظفرني بمطلبي الّذي هو العلم بهما. هو أيّن الأين أي جعل الأين أيناً بناءً على مجعوليّة الماهيّات، أو أوجد حقيقة الأين وكذا الكيف. والكيفوفيّة والأينونيّة الاتّصاف بالكيف والأين. قوله: فإذن إنّه لا شيء هذا السائل لمّا كان وهمُه غالباً على عقله زعم أن الموجود ما يمكن إحساسه فنفى الوجود عنه تعالى بناءً على

(١) التوحيد، ص ٢٥٠ باب ٣٦ ح ٣، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٢٠ باب ١١ ح ٢٨.

(٢) الاحتجاج للطبرسي، ص ٣٩٦.

أنّه عليه السلام نفى عنه أن يحسّ فأجاب عليه السلام بأنّك جعلت تعاليه عن أن يدرك بالحواسّ دليلاً على عدمه، ونحن إذا عرفناه بتعاليه عن أن يدرك بالحواسّ أيقنّا أنّه ربنا بخلاف شيء من الأشياء، إذ المحسوسيّة تستلزم أُموراً كلّ منها مناف للربوبيّة على ما برهن عليه في محلّه. قوله: فأخبرني متى كان الظاهر أنّه سأل عن ابتداء كونه ووجوده، ويحتمل أن يكون السؤال عن أصل زمان وجوده تعالى، فعلى الأوّل حاصل جوابه عليه السلام أنّ ابتداء الزمان إنّما يكون لحادث كان معدوماً ثمّ صار موجوداً وهو تعالى يستحيل عليه العدم، وعلى الثاني فالمراد أنّ الكائن في الزمان إنّما يكون فيه بتغيُّر وتبدُّل في ذاته وصفاته لأنّ الزمان نسبة المتغيّر إلى المتغيّر فيكون بحال في زمان لا يكون كذلك في زمان آخر، وهو متعال عن التغيّر في الذات والصفات. قوله: فلم احتجب توهّم السائل أنّ احتجابه تعالى عبارةٌ عن كونه وراء حجاب، فأجاب عليه السلام بأنّا غير محجوبين عنه لإحاطة علمه بنا، وكنه ذاته وصفاته محجوبةٌ عنّا لعجزنا وقصورنا عن إدراكه بأن يكون المراد بالذنوب الحجب الظلمانيّة الإمكانيّة، ويحتمل أنّ يكون المراد أنّ عدم ظهوره تعالى على عامّة الخلق كظهوره على أوليائه لغاية المعرفة إنّما هو لذنوبهم الّتي حالت بينهم وبين تلك المعرفة، وإلاّ فهو تعالى قد تجلّى لأوليائه فظهر لهم ظهوراً فوق الإحساس، والجواب عن الإحساس ظاهر، إذ الفرق بينه وبين خلقه وهو كونه غير جسم ولا جسمانيّ ولا حاصلاً في جهة ومكان هو الّذي صار سبباً لعدم إمكان رؤيته. قوله: فحدّه يحتمل أنّ يكون المراد التحديد بالحدود الجسمانيّة، فحاصل جوابه عليه السلام أنّ الحدّ نهايةٌ لشيء ذي مقدار يمكن أن ينتهي إلى نهاية أُخرى بعد تلك النهاية فيزيد مقداره، ومثل هذا يمكن نقصانه لكون المقادير قابلةً للانقسام فيكون ذا أجزاء فيكون محتاجاً إلى أجزائه فيكون ممكناً فلا يكون صانعاً بل يكون مصنوعاً، أو احتمال النقص ينافي الكمال الّذي يحكم الواجدان باتّصاف الصانع به. والسحماء: السوداء. والدجنة بسكر الجيم أي المتغيّمة المظلمة. وسيأتي تفسير آخر الخبر في باب معاني الأسماء. قوله: وفيه كلام غير هذا أي قيل: إنّه لم يسلم، أو في الخبر تتمّة تركناها.

١٣ - لي: أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم قال: دخل أبو شاكر الديصانيّ على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال له: إنّك أحد النجوم الزواهر، وكان آباؤك بدوراً بواهر، وأُمّهاتك عقيلات عباهر، وعنصرك من أكرم العناصر، وإذا ذكر العلماء فبك تثنّى الخناصر فخبّرني أيّها البحر الخضمّ الزاخر، ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال الصادق عليه السلام: يستدلّ عليه بأقرب الأشياء، قال: وما هو؟ قال: فدعى الصادق عليه السلام ببيضة فوضعها على راحته ثمّ قال: هذا حصن ملموم، داخله غرقىء رقيق، تطيف به فضّة سائلة وذهبة مائعة، ثمّ تنفلق عن مثل الطاووس أدخلها شيء؟ قال: لا، قال: فهذا الدليل على حدوث العالم، قال: أخبرت فأوجزت، وقلت فأحسنت، وقد علمت أنّا لا نقبل إلاّ ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو لمسناه بأكفّنا، أو شممناه

بمناخرنا، أو ذقناه بأفواهنا، أو تصوّر في القلوب بياناً واستنبطته الروايات إيقاناً، فقال الصادق عليه السلام: ذكرت الحواسّ الخمس وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح(١).

يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن عليّ بن منصور، عن هشام بن الحكم مثله(٢).

بيان: قال الجوهريُّ: العقلية: كريمة الحيّ، والدرَّة: عقلية البحر. وقال الفيروزآباديُّ: العبهر: الممتلي الجسيم والعظيم الناعم الطويل من كلّ شيء كالعباهر فيهما وبهاء الجامعة للحسن والجسم والخلق. انتهى. والعنصر: الأصل. قوله: فبك تثنّى الخناصر أي أنت تعدُّ أوّلاً قبلهم لكونك أفضل وأشهر منهم، وإنّما يبدأ في العدّ بالخنصر. والثني: العطف. والخضم بكسر الخاء وفتح الضاد المشدّدة الكثير العطاء. وقال الجوهريُّ: زخر الوادي: إذا امتدّ جدّاً وارتفع، يقال: بحرٌ زاخر. وقال: كتيبةٌ ملمومةٌ: مضمومةٌ بعضها إلى بعض. وقال: الغرقىء: قشر البيض الّتي تحت القيض، والقيض: ما تفلق من قشور البيض. قوله عليه السلام: وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل أي هي عاجزة يتوقّف إدراكها على شرائط فكيف تنفي ما لم تدركه بحسّك؟ كما أنّ البصر لا يبصر الأشياء بغير مصباح، ويحتمل أن يكون المراد بالدليل العقل أي لا تنفع الحواسُّ بدون دلالة العقل فهو كالسراج لإحساس الحواسّ، وأنت قد عزلت العقل وحكمه واقتصرت على حكم الحواسّ.

١٤ - **م، ن:** محمّد بن القاسم المفسّر، عن يوسف بن محمّد بن زياد، وعلي بن محمّد ابن سيّار، عن أبويهما، عن الحسن بن عليّ، عن أبيه عليّ بن محمّد، عن أبيه محمّد علي، عن أبيه الرضا عليّ بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام - في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣) - قال -: هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً لتعتبروا به وتتوصّلوا به إلى رضوانه، وتتوقّوا به من عذاب نيرانه، ثمّ استوى إلى السماء أخذ في خلقها وإتقانها، فسوّاهن سبع سماوات وهو بكلّ شيء عليم، ولعلمه بكلّ شيء علم المصالح فخلق لكم كلّ ما في الأرض لمصالحكم يا بني آدم(٤).

١٥ - **ن:** الطالقانيّ، عن ابن عقدة، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن أبي

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٨٨ مجلس ٥٦ ح ٥.

(٢) التوحيد، ص ٢٩٢ باب ٤٢ ح ١. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢١٥ ح ١٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٥ باب ٣٠ ح ٢٩.

الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: لمَ خلق الله عزّ وجلّ الخلق على أنواع شتّى، ولم يخلقهم نوعاً واحداً؟ فقال: لئلاّ يقع في الأوهام أنّه عاجز فلا تقع صورة في وهم ملحد إلاّ وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها خلقاً، ولا يقول قائل: هل يقدر الله عزّ وجلّ على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلاّ وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنّه على كلّ شيء قدير[1].

١٦ - م، مع: محمد بن القاسم المفسّر، عن يوسف بن محمّد بن زياد، وعليّ بن محمّد ابن سيّار - وكانا من الشيعة الإماميّة - عن أبويهما، عن الحسن بن عليّ بن محمد عليهم السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: الله هو الّذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كلّ من دونه وتقطّع الأسباب من جميع من سواه، تقول: بسم الله أي أستعين على أموري كلّها بالله الّذي لا تحقّ العبادة إلاّ له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دعي، وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني، فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينةً قطّ؟ قال: نعم، قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيءُ هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الاغاثة حيث لا مغيث[2].

بيان: قال الفيروزآباديُّ: أله إليه كفرح: فزع ولاذ، وألهه: أجاره وآمنه.

١٧ - **ل:** الفاميّ وابن مسرور، عن محمّد بن جعفر بن بطّة، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه عليه السلام أنّ رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين بما عرفت ربّك؟ قال: بفسخ العزم، ونقض الهمم، لمّا أن هممت حال بيني وبين همّي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، فعلمت أنّ المدبّر غيري قال: فبماذا شكرت نعماءه؟ قال: نظرت إلى بلاء قد صرفه عنّي وأبلى به غيري فعلمت أنّه قد أنعم عليّ فشكرته، قال: فبماذا أحببت لقاءه؟ قال: لمّا رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أنّ الّذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه[3].

يد: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام مثله[4].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٨١ باب ٣٢ ح ١.

(٢) تفسير العسكري عليه السلام، ص ٢١ ح ٥، ومعاني الأخبار ص ٤.

(٣) الخصال، ص ٣٣ باب الاثنين ح ١. (٤) التوحيد، ص ٢٣٦ باب ٣٣ ح ١.

١٨ - **يد:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن عبد الرحمن ابن محمّد بن أبي هاشم، عن أحمد بن محسن الميثميّ قال: كنت عند أبي منصور المتطبّب فقال: أخبرني رجل من أصحابي قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد الله بن المقفّع في المسجد الحرام فقال ابن المقفّع: ترون هذا الخلق؟ وأومى بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانيّة إلاّ ذلك الشيخ الجالس - يعني جعفر بن محمد عليه السلام - فأمّا الباقون فرعاع وبهائم، فقال له ابن أبي العوجاء وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال: لأنّي رأيت عنده ما لم أر عندهم، فقال ابن أبي العوجاء: ما بدّ من اختبار ما قلت فيه منه، فقال له ابن المقفّع: لا تفعل فإنّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك، فقال: ليس ذا رأيك ولكنّك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحلّ الّذي وصفت، فقال ابن المقفّع: أمّا إذا توهّمت عليّ هذا فقم إليه وتحفّظ ما استطعت من الزلل، ولا تثن عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقال، وسمه ما لك أو عليك، قال: فقام ابن أبي العوجاء وبقيت وابن المقفّع فرجع إلينا وقال: يا ابن المقفّع ما هذا ببشر، وإن كان في الدنيا روحانيٌّ يتجسّد إذا شاء ظاهراً ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا، فقال له: وكيف ذاك؟ قال: جلست إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون - يعني أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر كما تقولون - وليس كما تقولون - فقد استويتم وهم، فقلت له: يرحمك الله وأيّ شيء نقول؟ وأيّ شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلاّ واحد، فقال: كيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: إنّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً، ويدينون بأنّ للسماء إلهاً، وأنّها عمران، وأنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد. قال: فاغتنمتها منه فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتّى لا يختلف منهم اثنان، ولمَ احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به. فقال لي: ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك؟ نشؤك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحّتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد إبائك، وإباؤك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاؤك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده من ذهنك. وما زال يعدُّ عليّ قدرته الّتي في نفسي الّتي لا أدفعها حتّى ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه[1].

---

(١) التوحيد، للصدوق ص ١٢٥ باب ٩ ح ٤.

بيان: قال الجزريُّ: رعاع الناس أي غوغاؤهم وسقاطهم وأخلاطهم، الواحد: رعاعة. قوله: ولا تثن، من الثني وهو العطف والميل أي لا ترخ عنانك إليه بأن تميل إلى الرفق والاسترسال والتساهل فتقبل منه بعض ما يلقي إليك. فيسلمك من التسليم أو الإسلام. إلى عقال أي يعقلك بتلك المقدّمات الّتي تسلّمت منه بحيث لا يبقى لك مفرٌّ كالبعير المعقول. قوله: وسمه ما لك أو عليك، نقل عن الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه أنّه من السوم، من سام البائع السلعة يسوم سوماً، إذا عرضها على المشتري وسامها المشتري بمعنى استامها، والضمير راجع إلى الشيخ على طريق الحذف والإيصال، والموصول مفعوله. ويروى عن الفاضل التستريّ نوّر ضريحه أنّه كان يقرأ «سمّه» بضمّ السين وفتح الميم المشدّدة، أمراً من سمّ الأمر يسمُّه إذا سبره ونظر إلى غوره، والضمير راجع إلى ما يجري بينهما، والموصول بدل عنه، وقيل: هو من سممت سمّك. أي قصدت قصدك، والهاء للسكت أي اقصد ما لك وما عليك. والأظهر أنّه من وسم يسم سمةً بمعني الكيّ والضمير راجع إلى ما يريد أن يتكلّم به أي اجعل على ما تريد أن تتكلّم به علامةً لتعلم أيّ شيء لك وأيّ شيء عليك، فالموصول بدل من الضمير. قوله عليه‌السلام: وهو على ما يقولون اعترض عليه‌السلام الجملة الحاليّة بين الشرط والجزاء للإشارة إلى ما هو الحقّ، ولئلاّ يتوهّم أنّه عليه‌السلام في شكّ من ذلك. والعطب: الهلاك. قوله عليه‌السلام: ليس فيها أحد أي لها أو عليها أو بالظرفيّة المجازيّة لجريان حكمه وحصول تقديره تعالى فيها، وحاصل استدلاله عليه‌السلام: أنّك لمّا وجدت في نفسك آثار القدرة الّتي ليست من مقدوراتك ضرورةً علمت أنّ لها بارئاً قادراً، وكيف يكون غائباً عن الشخص من لا يخلو الشخص ساعةً عن آثار كثيرة يصل منه إليه.

١٩ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن أبيه، عن سعيد بن جناح، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: ما خلق الله خلقاً أصغر من البعوض والجرجس أصغر من البعوض، والّذي يسمّونه الولغ أصغر من الجرجس، وما في الفيل شيءٌ إلاّ وفيه مثله، وفضل على الفيل بالجناحين[(١)].

بيان: قال الفيروزآباديُّ: الجرجس بالكسر: البعوض الصغار. انتهى. فالمراد أنّ الجرجس أصغر من سائر أصناف البعوض ليوافق أوّل الكلام وكلام أهل اللّغة، على أنّه يحتمل أن يكون الحصر في الأوّل إضافيّاً كما أنّ الظاهر أنّه لا بدّ من تخصيصه بالطيور إذ قد يحسُّ من الحيوانات ما هو أصغر من البعوض إلاّ أن يقال: يمكن أنّ يكون للبعوض أنواع صغار لا يكون شيءٌ من الحيوانات أصغر منها. والولغ هنا بالغين المعجمة وفي الكافي بالمهملة، وهما غير مذكورين فيما عندنا من كتب اللّغة، والظاهر أنّه أيضاً صنف من

(١) التوحيد، ص ٢٨٣ باب ٣٩ ح ١.

البعوض، والغرض بيان كمال قدرته تعالى فإنّ القدرة في خلق الأشياء الصغار أكثر وأظهر منها في الكبار كما هو المعروف بين الصنّاع من المخلوقين فتبارك الله أحسن الخالقين.

٢٠ - يد، الدقّاق، عن الكلينيّ بإسناده رفع الحديث: أنّ ابن أبي العوجاء حين كلّمه أبو عبد الله عليه السلام عاد إليه في اليوم الثاني فجلس وهو ساكت لا ينطق، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كأنّك جئت تعيد بعض ما كنّا فيه؟ فقال: أردت ذاك يا ابن رسول الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أعجب هذا تنكر الله وتشهد أنّي ابن رسول الله! فقال: العادة تحملني على ذلك، فقال له العالم عليه السلام: فما يمنعك من الكلام؟ قال: إجلالاً لك ومهابةً ما ينطق لساني بين يديك فإنّي شاهدت العلماء وناظرت المتكلّمين فما تداخلني هيبةٌ قط مثل ما تداخلني من هيبتك. قال: يكون ذلك ولكن أفتح عليكم بسؤال وأقبل عليه، فقال له: أمصنوع أنت أو غير مصنوع؟ فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء: بل أنا غير مصنوع، فقال له العالم عليه السلام: فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون؟ فبقي عبد الكريم مليّاً لا يحير جواباً، وولع بخشبة كانت بين يديه وهو يقول: طويل عريض عميق قصير متحرّك ساكن، كلّ ذلك صفة خلقه، فقال له العالم عليه السلام: فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك ممّا يحدث من هذه الأمور، فقال له عبد الكريم: سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: هبك علمت أنّك لم تُسأل فيما مضى فما علمك أنّك لا تسأل فيما بعد؟ على أنّك يا عبد الكريم نقضت قولك لأنّك تزعم أنّ الأشياء من الأوّل سواء، فيكف قدّمت وأخّرت؟ ثمّ: قال: يا عبد الكريم أزيدك وضوحاً، أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل: هل في الكيس دينار؟ فنفيت كون الدينار في الكيس، فقال لك قائل: صف لي الدينار وكنت غير عالم بصفته هل كان لك أن تنفي كون الدينار عن الكيس وأنت لا تعلم؟ قال: لا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فالعالم أكبر وأطول وأعرض من الكيس فلعلّ في العالم صنعةٌ من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة، فانقطع عبد الكريم وأجاب إلى الإسلام بعض أصحابه وبقي معه بعض، فعاد في اليوم الثالث فقال: أقلّب السؤال؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اسأل عمّا شئت، فقال: ما الدليل على حدوث الأجسام؟ فقال: إنّي ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلاّ وإذا ضمّ إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديماً ما زال ولا حال، لأنّ الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخوله في القدم، ولن تجتمع صفة الأزل والحدوث، والقدم والعدم في شيء واحد، فقال عبد الكريم: هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت على حدوثها فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثها؟ فقال العالم عليه السلام: إنّما نتكلّم على هذا العالَم الموضوع، فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر كان لا شيء أدلّ على الحدوث من رفعنا إيّاه ووضعنا غيره، ولكن أجبتك من

حيث قدّرت أن تلزمنا ونقول: إنّ الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ما ضمّ شيء إلى مثله كان أكبر، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما بان في تغييره دخوله في الحدث ليس لك وراءه شيءٌ يا عبد الكريم، فانقطع وخزي. فلمّا أنّ كان من العام القابل التقى معه في الحرم فقال له بعض شيعته: إنّ ابن أبي العوجاء قد أسلم، فقال العالم عليه السلام : هو أعمى من ذلك لا يسلم، فلمّا بصر بالعالم قال: سيّدي ومولاي، فقال له العالم: ما جاء بك إلى هذا الموضع؟ فقال: عادة الجسد، وسنّة البلد. ولنبصر ما الناس فيه من الجنون والحلق ورمي الحجارة، فقال له العالم: أنت بعدُ على عتوّك وضلالك يا عبد الكريم، فذهب يتكلّم فقال له: لا جدال في الحجّ، ونفض رداءه من يده وقال: إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول - وهو كما نقول - نجونا وهلكت، فأقبل عبد الكريم على من معه فقال: وجدت في قلبي حرارةً فردّوني، فردّوه ومات، لا رحمه الله [1].

ج: روى مرسلاً بعض الخبر [2].

تنوير: لا يحير جواباً بالمهملة أي لا يقدر عليه. والولوع بالشيء: الحرص عليه والمبالغة في تناوله. قوله: كلُّ ذلك صفة خلقه أي خلق الخالق والصانع، ويمكن أن يقرأ بالتاء أي صفة المخلوقيّة، والحاصل أنّه لمّا سأل الإمام عليه السلام عنه أنّك لو كنت مصنوعاً هل كنت على غير تلك الأحوال والصفات الّتي أنت عليها الآن أم لا أقبل يتفكّر في ذلك، فتنبّه أنّ صفاته كلّها صفات المخلوقين، وكانت معاندته مانعةً عن الإذعان بالصانع تعالى فبقي متحيّراً، فقال عليه السلام : إذا رجعت إلى نفسك ووجدت في نفسك صفة المخلوقين فلمَ لا تذعن بالصانع؟ فاعترف بالعجز عن الجواب، وقال: سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك. قوله عليه السلام : هبك أي افرض نفسك أنّك علمت ما مضى وسلّمنا ذلك لك، قال الفيروزآباديُّ: هبني فعلت أي احسبني فعلت واعددني، كلمة للأمر فقط. وحاصل جوابه عليه السلام : أوّلاً أنّك بنيت أُمورك كلّها على الظنّ والوهم لأنّك تقطع بأنّك لا تُسأل بعد ذلك عن مثلها مع أنّه لا سبيل لك إلى القطع به. وأمّا قوله عليه السلام : على أنّك يا عبد الكريم نقضت قولك يحتمل وجوهاً:

الأوّل: أن يكون المراد أنّ نفيك للصانع مبنيٌّ على أنّك تزعم أن لا عليّة بين الأشياء ونسبة الوجود والعدم إليها على السواء، والاستدلال على الأشياء الغير المحسوسة إنّما يكون بالعلّيّة والمعلوليّة، فكيف حكمت بعدم حصول الشيء في المستقبل؟ فيكون المراد بالتقدُّم والتأخُّر العلّيّة والمعلوليّة أو ما يساوقهما.

الثاني: أن يكون مبنيّاً على ما لعلّهم كانوا قائلين به، وربّما أمكن إلزامهم بذلك، بناءاً

---

(١) التوحيد، ص ٢٩٦ باب ٤٢ ح ٦. (٢) الاحتجاج، ص ٣٣٦.

على نفي الصانع من أنّ الأشياء متساويةٌ غير متفاوتة في الكمال والنقص، فالمراد: أنّك كيف حكمت بتفضيلي على غيري؟ وهو مناف للمقدّمة المذكورة، فالمراد بالتقدُّم والتأخُّر ما هو بحسب الشرف.

الثالث: أن يكون مبنيّاً على ما ينسب إلى أكثر الملاحدة من القول بالكمون والبروز أي مع قولك بكون كلّ حقيقة حاصلةً في كلّ شيء كيف يمكنك الحكم بتقدُّم بعض الأشياء على بعض في الفضل والشرف.

قوله عليه السلام: وفي ذلك زوال وانتقال، حاصل استدلاله عليه السلام إمّا راجع إلى دليل المتكلّمين من أنّ عدم الانفكاك عن الحوادث يستلزم الحدوث، أو إلى أنّه لا يخلو إمّا أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيّرة قديماً أم لا بل يكون كلّها حوادث وكلٌّ منهما محال: أمّا الأوّل فلما تقرّر عند الحكماء من أنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، وأمّا الثاني فللزوم التسلسل بناءاً على جريان دلائل إبطاله في الأمور المتعاقبة، ويمكن أن يكون مبنيّاً على ما يظهر من الأخبار الكثيرة من أنّ كلّ قديم يكون واجباً بالذات ولا يكون المعلول إلاّ حادثاً، ووجوب الوجود ينافي التغيُّر، ولا يكون الواجب محلاً للحوادث كما برهن عليه، ثمّ قال ابن أبي العوجاء: لو فرضنا بقاء الأشياء على صغرها لم يمكنك الاستدلال على حدوثها بالتغيُّر، فأجاب عليه السلام أوّلاً على سبيل الجدل بأنّ كلامنا كان في هذا العالم الّذي نشاهد فيه التغيّرات، فلو فرضت رفع هذا العالم ووضع عالم آخر مكانه لا يعتريه التغيُّر فزوال هذا العالم دلّ على كونه حادثاً، وإلا لمّا زال، وحدوث العالم الثاني أظهر، ثمّ قال: ولكن أُجيبك من حيث قدّرت - بتشديد الدال - أي فرضت لأن تلزمنا أو بالتخفيف أي زعمت أنّك تقدر أن تلزمنا، وهو بأن تفرض في الأوّل مكان هذا العالم عالماً لا يكون فيه التغيّر، فنقول: يحكم العقل بأنّ الأجسام يجوز عليها ضمُّ شيء إليها وقطع شيء منها. وجواز التغيُّر عليه يكفي لحدوثها بنحو ما مرَّ من التقرير.

٢١ - **يد:** ابن إدريس، عن أبيه، عن ابن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام فقيل له: بم عرفت ربّك؟ قال: بفسخ العزم ونقض الهمّ، عزمت ففسخ عزمي، وهممت فنقض همّي[١].

٢٢ - **يد:** المكتّب، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن محمّد بن عبد الرحمن الخزّاز، عن سليمان بن جعفر، عن عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم قال: حضرت محمّد بن النعمان الأحول فقام إليه رجل فقال له: بمَ عرفت ربّك؟ قال: بتوفيقه وإرشاده وتعريفه وهدايته، قال: فخرجت من عنده فلقيت هشام بن الحكم فقلت له: ما أقول لمن يسألني فيقول لي: بمَ

---

(١) التوحيد، ص ٢٨٩ باب ٤٠ ح ٨.

عرفت ربّك؟ فقال: إن سأل سائل فقال: بمَ عرفت ربّك؟ قلت: عرفت الله جلّ جلاله بنفسي، لأنّها أقرب الأشياء إليَّ، وذلك أنّي أجدها أبعاضاً مجتمعةً، وأجزاءاً مؤتلفة، ظاهرة التركيب، متينة الصنعة، مبنيّةً على ضروب من التخطيط والتصور، زائدةً من بعد نقصان، وناقصة من بعد زيادة، قد أُنشىء لها حواسٌ مختلفةٌ، وجوارح متباينةٌ، من بصر وسمع وشامّ وذاق ولامس، مجبولةً على الضعف والنقص والمهانة، لا تدرك واحدةٌ منها مدرك صاحبتها، ولا تقوى على ذلك عاجزةٌ عن اجتلاب المنافع إليها، ودفع المضارّ عنها، واستحال في العقول وجود تأليف لا مؤلّف له، وثبات صورة لا مصوِّر لها، فعلمت أنّ لها خالقاً خلقها، ومصوّراً صوّرها، مخالفاً لها في جميع جهاتها، قال الله جلّ جلاله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

٢٣ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن الحسين بن المأمون القرشيّ، عن عمر بن عبد العزيز، عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو شاكر الديصانيّ: إنّ لي مسألة تستأذن لي على صاحبك فإنّي قد سألت عنها جماعةً من العلماء فما أجابوني بجواب مشبع، فقلت: هل لك أن تخبرني بها فلعلّ عندي جواباً ترتضيه؟ فقال: إنّي أحبُّ أنْ ألقى بها أبا عبد الله عليه السلام، فاستأذنت له فدخل فقال له: أتأذن لي في السؤال؟ فقال له: سل عمّا بدا لك، فقال له: ما الدليل على أنّ لك صانعاً؟ فقال: وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين: إمّا أن أكون صنعتها أنا، فلا أخلو من أحد معنيين: إمّا أن أكون صنعتها وكانت موجودةً أو صنعتها وكانت معدومةً، فإن كنت صنعتها وكانت موجودةً فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومةً فإنّك تعلم أنّ المعدوم لا يُحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أنّ لي صانعاً وهو الله ربُّ العالمين، فقام وما أجاب جواباً[2].

بيان: هذا برهان متين مبنيٌّ على توقّف التأثير والإيجاد على وجود الموجد والمؤثّر، والضرورة الوجدانيّة حاكمة بحقّيّتها، ولا مجال للعقل في إنكارها.

٢٤ - يد: أبي وابن الوليد معاً، عن أحمد بن إدريس، ومحمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن سهل، عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن يعقوب الهاشميّ، عن مروان بن مسلم قال: دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبد الله عليه السلام فقال: أليس تزعم أنّ الله خالق كلّ شيء؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: بلى، فقال له: أنا أخلق، فقال له: كيف تخلق؟ قال: أُحدث في الموضع ثمّ ألبث عنه فيصير دوابّاً، فأكون أنا الّذي خلقتها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه؟ قال له: بلى، قال: فتعرف الذكر منها من الأُنثى وتعرف كم عمرها؟ فسكت[3].

---

(١) التوحيد، ص ٢٨٩ باب ٤١ ح ٩ والآية من سورة الذاريات برقم ٢١.

(٢) التوحيد، ص ٢٩٠ باب ٤١ ح ١٠.

(٣) التوحيد، ص ٢٩٥ باب ٤٢ ح ٥.

٢٥ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن هاشم، عن محمّد بن حمّاد، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن عبد الرحمن، عن يونس بن يعقوب قال: قال لي عليّ بن منصور: قال لي هشام بن الحكم: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبد الله عليه السلام فخرج إلى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها، فقيل له: هو بمكّة فخرج الزنديق إلى مكّة ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام فقاربنا الزنديق - ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام - في الطواف فضرب كتفه كتف أبي عبد الله عليه السلام، فقال له جعفر عليه السلام: ما اسمك؟ قال: اسمي عبد الملك، قال: فما كنيتك؟ قال: أبو عبد الله، قال: فمن الملك الّذي أنت له عبد، أمن ملوك السماء أم من ملوك الأرض؟ وأخبرني عن ابنك، أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض؟ فسكت، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: قل ما شئت تخصم. قال هشام بن الحكم: قلت للزنديق: أما تردُّ عليه؟ فقبّح قولي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إذا فرغت من الطواف فأتنا، فلمّا فرغ أبو عبد الله عليه السلام أتاه الزنديق فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده، فقال للزنديق: أتعلم أنّ للأرض تحت وفوق؟ قال: نعم، قال: فدخلت تحتها؟ قال: لا، قال: فما يدريك بما تحتها؟ قال: لا أدري إلاّ أنّي أظن أن ليس تحتها شيءٌ، قال أبو عبد الله عليه السلام: فالظنُّ عجز ما لم تستيقن، قال أبو عبد الله عليه السلام: فصعدت إلى السماء؟ قال: لا، قال: فتدري ما فيها؟ قال: لا، قال: فعجباً لك لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الأرض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تجز هنالك فتعرف ما خلقهنّ وأنت جاحد ما فيهنّ وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟ فقال الزنديق: ما كلّمني بهذا أحد غيرك، قال أبو عبد الله عليه السلام: فأنت في شكّ من ذلك فلعلَّ هو، أو لعلَّ ليس هو، قال الزنديق: ولعلّ ذاك فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيّها الرجل ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم، فلا حجّة للجاهل، يا أخا أهل مصر تفهَّم عنّي فإنّا لا نشكُّ في الله أبداً، أما ترى الشمس والقمر واللّيل والنهار يلجان ليس لهما مكان إلاّ مكانهما فإن كانا يقدران على أن يذهبا ولا يرجعان فلمَ يرجعان؟ وإن لم يكونا مضطرّين فلمَ لا يصير اللّيل نهاراً والنهار ليلاً؟ اضطرّا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما، والّذي اضطرَّهما أحكم منهما وأكبر منهما، قال الزنديق: صدقت. ثمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أخا أهل مصر الّذي تذهبون إليه وتظنّونه بالوهم فإن كان الدهر يذهب بهم لمَ لا يردُّهم؟ وإن كان يردُّهم لم لا يذهب بهم؟ القوم مضطرّون يا أخا أهل مصر، السماء مرفوعةٌ، والأرض موضوعةٌ، لم لا تسقط السماء على الأرض؟ ولمَ لا تنحدر الأرض فوق طباقها فلا يتماسكان ولا يتماسك من عليهما؟ فقال الزنديق: أمسكهما والله ربّهما وسيّدهما، فآمن الزنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام. فقال له حمران بن أعين: جعلت فداك إن آمنت الزنادقة على يديك فقد آمنت الكفّار على يدي أبيك. فقال المؤمن الّذي آمن على يدي أبي عبد الله عليه السلام: اجعلني من تلامذتك. فقال أبو عبد الله عليه السلام لهشام بن الحكم: خذه إليك

فعلّمه. فعلّمه هشام فكان معلّم أهل مصر وأهل الشام، وحسنت طهارته حتّى رضي بها أبو عبد الله عليه السلام [١].

ج: عن هشام بن الحكم مثله [٢].

ايضاح: قوله عليه السلام: فمن الملك لعله عليه السلام سلك أوّلاً في الاحتجاج عليه مسلك الجدل، لبنائه على الأمر المشهور عند الناس أنّ الاسم مطابق لمعناه، ويحتمل أن يكون على سبيل المطايبة والمزاح لبيان عجزه عن فهم الواضحات، وردّ الجواب عن أمثال تلك المطايبات، أو يكون منبّهاً على ما ارتكز في العقول من الإذعان بوجود الصانع وإن أنكروه ظاهراً لكفرهم وعنادهم، ثمّ ابتدأ عليه السلام بإزالة إنكار الخصم وإخراجه منه إلى الشكّ لتستعدّ نفسه لقبول الحقّ، فأزال إنكاره بأنّه غير عالم بما تحت الأرض وليس له سبيل إلى الجزم بأن ليس تحتها شيءٌ، ثمّ زاده بياناً بأنّ السماء الّتي لم يصعدها كيف يكون له الجزم والمعرفة بما فيها وما ليس فيها؟ وكذا المشرق والمغرب، فلمّا عرف قبح إنكاره وتنزّل عنه وأقرّ بالشكّ بقوله: ولعلّ ذاك، أخذ عليه السلام في هدايته وقال: ليس للشاكّ دليل وللجاهل حجّةٌ، فليس لك إلاّ طلب الدليل فاستمع وتفهّم فإنّا لا نشكُّ فيه أبداً، والمراد بولوج الشمس والقمر غروبهما، أو دخولهما بالحركات الخاصّة في بروجهما، وبولوج اللّيل والنهار دخول تمام كلّ منهما في الآخر، أو دخول بعض من كلّ منهما في الآخر بحسب الفصول.

وحاصل الاستدلال أنّ لهذه الحركات انضباطاً واتّساقاً واختلافاً وتركّباً فالانضباط يدلُّ على عدم كونها إراديّةً كما هو المشاهد من أحوال ذوي الإرادات من الممكنات، والاختلاف يدلُّ على عدم كونها طبيعيّةً، فإنّ الطبيعة العادمة للشعور لا تختلف مقتضياتها كما نشاهد من حركات العناصر، كما قالوا: إنّ الطبيعة الواحدة لا تقتضي التوجُّه إلى جهة والانصراف عنه، ويمكن أن يقال: حاصل الدليل راجع إلى ما يحكم به الوجدان، من أنّ مثل تلك الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على قانون الحكمة لا يصدر عن الدهر والطبائع العادمة للشعور والإرادة، وإلى هذا يرجع قوله عليه السلام: إن كان الدهر يذهب بهم أي الدهر العديم الشعور كيف يصدر عنه الذهاب الموافق للحكمة ولا يصدر عنه بدله الرجوع؟ أو المراد أنّه لمَ يقتضي طبعه ذهاب شيء ولا يقتضي ردّه وبالعكس، بناءاً على أنّ مقتضيات الطبائع تابعةٌ لتأثير الفاعل القادر القاهر، ويمكن أن يكون المراد بالذهاب بهم إعدامهم، وبردّهم إيجادهم، والمراد بالدهر الطبيعة، كما هو ظاهر كلام أكثر الدهريّة، أي نسبة الوجود والعدم إلى الطبائع الإمكانيّة على السواء، فإن كان الشيء يوجد بطبعه فلمَ لا يعدم؟ فترجُّح أحدهما ترجُّحٌ بلا مرجّح يحكم العقل باستحالته. ويجري جميع تلك الاحتمالات

---

(١) التوحيد، ص ٢٩٣ باب ٤٢ ح ٤. (٢) الاحتجاج، ص ٣٣٤.

في قوله عليه السلام: السماء مرفوعةٌ إلى آخر كلامه عليه السلام. وقوله عليه السلام: لمَ لا تسقط السماء على الأرض أي لا تتحرّك بالحركة المستقيمة حتّى تقع على الأرض. وقوله: ولمَ لا تنحدر الأرض؟ أي تتحرّك إلى جهة التحت حتّى تقع على أطباق السماء، أو المراد الحركة الدوريّة فيغرق الناس في الماء، فيكون ضمير طباقها راجعاً إلى الأرض وطباق الأرض: أعلاها أي تنحدر الأرض بحيث تصير فوق ما علا منها الآن. قوله عليه السلام: فلا يتماسكان أي في صورة السقوط والانحدار، أو المراد فظهر أنّه لا يمكنهما التمسّك بأنفسهما بل لا بدّ من ماسك يمسكهما.

أقول: تفصيل القول في شرح تلك الأخبار الغامضة يقتضي مقاماً آخر وإنّما نشير في هذا الكتاب إلى ما لعلّه يتبصّر به أولو الأذهان الثاقبة من أولي الألباب، وسنبسط الكلام فيها في كتاب مرآة العقول إن شاء الله تعالى.

٢٦ -م: قال الإمام عليه السلام: لمّا توعّد رسول الله صلى الله عليه وآله اليهود والنواصب في جحد النبوّة والخلافة، قال مردة اليهود وعتاة النواصب: مَن هذا الّذي ينصر محمّداً وعليّاً على أعدائهما؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] بلا عمد من تحتها، ولا علاقة من فوقها، تحبسها من الوقوع عليكم، وأنتم يا أيّها العباد والإماء أسرائي وفي قبضتي، الأرض من تحتكم لا منجا لكم منها إن هربتم، والسماء من فوقكم ولا محيص لكم عنها إن ذهبتم، فإن شئت أهلكتكم بهذه، وإن شئت أهلكتكم بتلك، ثمّ ما في السماوات من الشمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معايشكم، ومن القمر المضيء لكم في ليلكم لتبصروا في ظلماته وإلجاؤكم بالاستراحة بالظلمة إلى ترك مواصلة الكدّ الّذي ينهك أبدانكم ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المتتابعين الكادّين عليكم بالعجائب الّتي يحدثها ربّكم في عالمه من إسعاد وإشقاء، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وصيف وشتاء، وخريف وربيع، وخصب وقحط، وخوف وأمن. ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ الّتي جعلها الله مطاياكم لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً، ولا تقتضيكم علفاً ولا ماءاً، وكفاكم بالرياح مؤونة تسيرها بقواكم الّتي كانت لا تقوم بها لو ركدت عنها الرياح لتمام مصالحكم ومنافعكم وبلوغ الحوائج لأنفسكم ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾ وابلاً وهطلاً ورذاذاً لا ينزل عليكم دفعةً واحدةً فيغرقكم ويهلك معايشكم لكنّه ينزل متفرّقاً من علا حتّى تعم الأوهاد والتلال والتلاع، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فيخرج نباتها وثمارها وحبوبها ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ منها ما هو لأكلكم ومعايشكم، ومنها سباع ضاريةٌ حافظةٌ عليكم لأنعامكم لئلاّ تشذّ عليكم خوفاً من افتراسها لها، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ المربّية لحبوبكم، المبلّغة لثماركم، النافية لركد الهواء والأقتار عنكم، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ يحمل أمطارها، يجري

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

بإذن الله ويصبّها من حيث يؤمر ﴿لَآيَٰتٍ﴾ دلائل واضحات ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتفكّرون بعقولهم أنّ - من هذه العجائب - من آثار قدرته قادر على نصرة محمّد وعليّ وآلهما عليهم السلام على من يشاء[١].

بيان: الكادّين من الكدّ بمعنى الشدّة والإلحاح في الطلب كنايةً عن عدم تخلّفهما والباء في قوله عليه السلام: بالعجائب بمعنى مع. وقوله: والأقتار كأنّه جمع القترة بمعنى الغبرة أي يذهب الأغبرة والأبخرة المجتمعة في الهواء الموجبة لكثافتها وتعفّنها. والضمير في قوله: أمطارها إمّا راجع إلى الأرض، أو إلى السحاب للجمعيّة.

٢٧ - **جع:** سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع، فقال: البعرة تدلُّ على البعير، والروثة تدلُّ على الحمير، وآثار القدم تدلُّ على المسير، فهيكل علويّ بهذه اللّطافة ومركز سفليّ بهذه الكثافة كيف لا يدلّان على اللّطيف الخبير؟[٢].

٢٨ - وقال عليه السلام: بصنع الله يستدلُّ عليه، وبالعقول تعتقد معرفته، وبالتفكّر تثبت حجّته، معروف بالدلالات، مشهور بالبيّنات[٣].

٢٩ - **جع:** سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ما الدليل على إثبات الصانع؟ قال: ثلاثة أشياء: تحويل الحال، وضعف الأركان، ونقض الهمّة[٤].

أقول: سيأتي ما يناسب هذا الباب في أبواب الاحتجاجات، وأبواب المواعظ والخطب والحكم إن شاء الله تعالى. ولنذكر بعد ذلك توحيد المفضّل بن عمر، ورسالة الأهليجة المرويّتين عن الصادق عليه السلام لاشتمالهما على دلائل وبراهين على إثبات الصانع تعالى، ولا يضرُّ ارسالهما لاشتهار انتسابهما إلى المفضّل، وقد شهد بذلك السيّد ابن طاووس وغيره. ولا ضعف محمّد بن سنان والمفضّل لأنّه في محلّ المنع بل يظهر من الأخبار الكثيرة علوّ قدرهما وجلالتهما، مع أنّ متن الخبرين شاهد صدق على صحّتهما، وأيضاً هما يشتملان على براهين لا تتوقّف إفادتها العلم على صحّة الخبر.

٤ - باب الخبر المشتهر بتوحيد المفضل بن عمر

روى محمّد بن سنان قال: حدّثنا المفضل بن عمر قال: كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا مفكّر فيما خصَّ الله به سيدنا محمّداً صلى الله عليه وآله من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرَّفه به وحباه ممّا لا يعرفه الجمهور من الأمّة، وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته، فإنّي لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلمّا استقرَّ به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلّم ابن أبي العوجاء

---

(١) تفسير العسكري عليه السلام ص ٥٧٥ ح ٣٣٨. (٢) - (٣) - (٤) جامع الأخبار، ص ٧ و٩.

فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العزّ بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كلّ أحواله، فقال له صاحبه: إنّه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلّت فيها الأحلام، وغاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسير، فلمّا استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجاً فقرن اسمه باسم ناموسه، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان، والمواضع الّتي انتهت إليها دعوته، وعلت بها كلمته، وظهرت فيها حجّته برّاً وبحراً وسهلاً وجبلاً في كلّ يوم وليلة خمس مرّات، مردّداً في الأذان والإقامة ليتجدّد في كلّ ساعة ذكره، لئلاّ يخمل أمره. فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمّد ﷺ فقد تحيّر فيه عقلي، وضلّ في أمره فكري، وحدّثنا في ذكر الأصل الّذي يمشى به. ثمّ ذكر ابتداء الأشياء وزعم أنّ ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير، ولا صانع له ولا مدبّر، بل الأشياء تتكوّن من ذاتها بلا مدبّر، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال.

بيان: الحوز: الجمع وكلُّ من ضمَّ إلى نفسه شيئاً فقد حازه. والحظوة بالضمّ والكسر والحاء المهملة والظاء المعجمة: المكانة والمنزلة. والفيلسوف: العالم. وخسأ البصر أي كلَّ. والناموس: صاحب السرّ المطّلع على أمرك، أو صاحب سرّ الخير، وجبرئيل عليه السلام، والحاذق ومن يلطف مدخله، ذكرها الفيروزآباديُّ، ومراده هنا الربُّ تعالى شأنه. وخمل ذكره: خفي. والخامل: الساقط الّذي لا نباهة له. وقوله: الّذي يمشى به أي يذهب إلى دين محمّد - ﷺ - وغيره بسببه، أو يهتدى به كقوله تعالى: ﴿نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾[1]. وفي بعض النسخ «يسمى» إمّا بالتشديد أي يذكر اسمه، أو بالتخفيف أي يرتفع الناس به ويدعون الانتساب إليه.

قال المفضّل: فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً فقلت: يا عدوّ الله ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جلّ قدسه الّذي خلقك في أحسن تقويم، وصوّرك في أتمّ صورة، ونقلك في أحوالك حتّى بلغ بك إلى حيث انتهيت، فلو تفكّرت في نفسك وصدقك لطيف حسّك لوجدت دلائل الربوبيّة وآثار الصنعة فيك قائمةً، وشواهده - جلّ وتقدّس - في خلقك واضحةً، وبراهينه لك لائحةً. فقال: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلّمناك، فإن ثبت لك حجّةٌ تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمّد الصادق فما هكذا يخاطبنا، ولا بمثل دليلك يجادلنا، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت، فما أفحش في خطابنا ولا تعدّى في جوابنا، وإنّه للحليم الرزين العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، ويسمع كلامنا ويصغي إلينا ويستعرف حجّتنا حتّى استفرغنا ما عندنا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

وظننّا أنّا قد قطعناه أدحض حجّتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجّة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه ردّاً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

بيان: وصدقك بالتخفيف أي قال لك صدقاً. لطيف حسّك أي حسُّك اللّطيف أي لم يلتبس على حسّك غرائب صنع الله فيك لمعاندتك للحقّ، وفي بعض النسخ حسنك فالمراد بصدق الحسن ظهور ما أخفى الله فيه منه على الناظر، وعلى الوجهين يمكن أن يقرأ صدَّقك بالتشديد بتكلّف لا يخفى على المتأمّل. والرزين: الوقور، والرصين بالصاد المهملة: الحكم الثابت. والخرق بالضمّ: ضدّ الرفق. والنزق: الطيش والخفّة عند الغضب. وقوله: استفرغنا لعلّه من الإفراغ بمعنى الصبّ، قال الفيروزآباديُّ: استفرغ مجهوده: بذل طاقته، والإدحاض: الإبطال.

قال المفضّل: فخرجت من المسجد محزوناً مفكّراً فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها، فدخلت على مولاي صلوات الله عليه فرآني منكسراً، فقال: ما لك؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريّين وبما رددت عليهما، فقال: لألقينَّ إليك من حكمة الباري - جلّ وعلا وتقدّس اسمه - في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوامّ، وكلّ ذي روح من الأنعام، والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحيّر فيه الملحدون فبكّر عليَّ غداً.

قال المفضّل: فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً وطالت عليَّ تلك اللّيلة انتظاراً لما وعدني به، فلمّا أصبحت غدوت فاستؤذن لي فدخلت وقمت بين يديه، فأمرني بالجلوس فجلست، ثمّ نهض إلى حجرة كان يخلو فيها، فنهضت بنهوضه فقال: اتبعني فتبعته فدخل ودخلت خلفه، فجلس وجلست بين يديه، فقال: يا مفضّل: كأنّي بك وقد طالت عليكم هذه اللّيلة انتظاراً لما وعدتك؟ فقلت: أجل يا مولاي، فقال: يا مفضّل إنّ الله كان ولا شيء قبله، وهو باقٍ ولا نهاية له، فله الحمد على ما ألهمنا، وله الشكر على ما منحنا، وقد خصّنا من العلوم بأعلاها ومن المعالي بأسناها، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه، وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه، فقلت: يا مولاي أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه؟ وكنت أعددت معي ما أكتب فيه - فقال لي: افعل.

بيان: أسناها أي أرفعها أو أضوأها. والمهيمن: الأمين والمؤتمن والشاهد.

يا مفضّل إنّ الشكّاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة، وقصرت أفهامهم عن تأمّل الصواب والحكمة، فيما ذرأ الباري جلّ قدسه وبرأ من صنوف خلقه في البرّ والبحر، والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود، وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود، حتّى أنكروا خلق الأشياء، وادّعوا أنّ كونها بالإهمال لا صنعة فيها ولا تقدير، ولا

حكمة من مدبّر ولا صانع، تعالى الله عمّا يصفون، وقاتلهم الله أنّى يؤفكون. فهم في ضلالهم وعماهم وتحيّرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء وأحسنه، وفرشت بأحسن الفرش وأفخره، وأعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب الّتي يحتاج إليها لا يستغنى عنها، ووضع كلّ شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يتردّدون فيها يميناً وشمالاً ويطوفون بيوتها إدباراً وإقبالاً، محجوبةً أبصارهم عنها، لا يبصرون بنية الدار وما أعدّ فيها، وربّما عثر بعضهم بالشيء الّذي قد وضع موضعه وأعدّ للحاجة إليه، وهو جاهل بالمعنى فيه ولما أعدّ ولماذا جعل كذلك فتذمّر وتسخط وذمّ الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة، فإنّهم لمّا غربت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء صاروا يجولون في هذا العالم حيارى، ولا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيئته، وربّما وقف بعضهم على الشيء لجهل سببه والإرب فيه فيسرع إلى ذمّه ووصفه بالإحالة والخطأ، كالّذي أقدمت عليه المانويّة الكفرة، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة وأشباهم من أهل الضلال، المعلّلين أنفسهم بالمحال، فيحقّ على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه، ووفّقه لتأمّل التدبير في صنعة الخلائق، والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير بالدلالة القائمة الدالّة على صانعها، أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك، ويرغب إليه في الثبات عليه والزيادة منه فإنّه جلّ اسمه يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(١).

بيان: قاتلهم الله أي قتلهم، أو لعنهم. أنّى يؤفكون كيف يصرفون عن الحقّ؟ وقال الجوهريّ: ظلّ يتذمّر على فلان إذا تنكّر له وأوعده. انتهى. وغربت بمعنى غابت. والإرب بالفتح والكسر: الحاجة. ووصفه بالإحالة أي بأنّه يستحيل أن يكون له خالق مدبّر أو يستحيل أن يكون من فعله تعالى. والمانويّة فرقة من الثنويّة أصحاب ماني الّذي ظهر في زمان سابور ابن أردشير، وأحدث ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة، وكان يقول بنبوّة المسيح - على نبيّنا وآله وعليه السلام - ولا يقول بنبوّة موسى - على نبيّنا وآله وعليه السلام - وزعم أنّ العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة، وهؤلاء ينسبون الخيرات إلى النور، والشرور إلى الظلمة، وينسبون خلق السباع والمؤذيات والعقارب والحيّات إلى الظلمة، فأشار عليه السلام إلى فساد وهمهم بأنّ هذا لجهلهم بمصالح هذه السباع والعقارب والحيّات الّتي يزعمون أنّها من الشرور الّتي لا يليق بالحكيم خلقها. قوله عليه السلام: المعلّلين أي الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربّهم بأمور يحكم العقل السليم باستحالته، قال الفيروزآباديّ: علّله بطعام وغيره تعليلاً: شغله به.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

يا مفضّل: أوّل العبر والأدلّة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك وميّزته بعقلك وجدته كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودةٌ كالبساط، والنجوم منضودةٌ كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكلٌّ شيء فيها لشأنه معدٌّ، والإنسان كالمملّك ذلك البيت، والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النبات مهيّأةٌ لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفةٌ في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة، ونظام وملائمة، وأنّ الخالق له واحد وهو الّذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض، جلّ قدسه، وتعالى جدُّه، وكرم وجهه، ولا إله غيره، تعالى عمّا يقول الجاحدون، وجلّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون.

بيان: قال الفيروزآباديّ: نضد متاعه ينضده: جعل بعضه فوق بعض فهو منضود انتهى. والتخويل: الإعطاء والتمليك. قوله عليه السلام: وإنّ الخالق له واحد أقول: أشار عليه السلام بذلك إلى أقوى براهين التوحيد، وهو أنّ ائتلاف أجزاء العالم واحتياج بعضها إلى بعض وانتظام بعضها ببعض، يدلُّ على وحدة مدبّرها كما أنّ ارتباط أجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام بعض أعضائه مع بعض يدلُّ على وحدة مدبّره. وقد قيل في تطبيق العالم الكبير على العالم الصغير لطائف لا يسع المقام ذكرها، وربّما يستدلُّ عليه أيضاً بما قد تقرّر من أنّ المتلازمين إمّا أن يكون أحدهما علّة للآخر، أو هما معلولا علّة ثالثة، وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد.

نبتدئ يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم، هو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتّى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه، وقوي أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بأمّه فأزعجه أشدّ إزعاج، وأعنفه حتّى يولد، وإذا ولد صرف ذلك الدم الّذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثدييها فانقلب الطعم واللّون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشدُّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمّظ وحرّك شفتيه طلباً للرضاع فهو يجد ثديي أمّه كالاداوتين المعلّقتين لحاجته إليه، فلا يزال يغتذي باللّبن ما دام رطب البدن، رقيق الأمعاء، ليّن الأعضاء، حتّى إذا تحرّك واحتاج إلى غذاء فيه صلابةٌ ليشتدّ ويقوى بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس، ليمضغ به الطعام فيلين عليه، ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتّى يدرك فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعزّ الرجل الّذي يخرج به من حدّ الصبا وشبه النساء، وإن كانت أُنثى يبقى وجهها نقيّاً من الشعر، لتبقى لها البهجة والنضارة الّتي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه.

بيان: الأديم: الجلد. والطلق: وجع الولادة. ويقال: أزعجه أي قلعه عن مكانه ويقال: تلمّظ إذا أخرج لسانه فمسح به شفتيه، وتلمّظت الحيّة إذا أخرجت لسانها كتلمّظت الأكل. والإداوة بالكسر: إناء صغير من جلد يتّخذ للماء. والطواحن: الأضراس، ويطلق الأضراس غالباً على المآخير، والأسنان على المقاديم كما هو الظاهر هنا، وإن لم يفرّق اللّغويّون بينهما، والمراد بالطواحن هنا جميع الأسنان. والإساغة: الأكل والشرب بسهولة.

اعتبر يا مفضّل فيما يدبّر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة، هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال؟ أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوي ويجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء؟ ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤود في الأرض؟ ولو لم يوافقه اللّبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً، أو يغتذي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه؟ ولو لم تطلع عليه الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته، أو يقيمه على الرضاع فلا يشدّ بدنه ولا يصلح لعمل؟ ثمّ كانت تشتغل أمّه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد، ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء فلا ترى له جلالةً ولا وقاراً؟.

فقال المفضّل: فقلت: يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ حال الكبر، فقال: ذلك بما قدّمت أيديهم وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد، فمن هذا الّذي يرصده حتّى يوافيه بكلّ شيء من هذه المآرب إلاّ الّذي أنشأه خلقاً بعد أن لم يكن، ثمّ توكّل له بمصلحته بعد أن كان فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال لأنهما ضدّ الإهمال، وهذا فظيع من القول وجهل من قائله، لأنّ الإهمال لا يأتي بالصواب، والتضادُّ لا يأتي بالنظام، تعالى الله عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً، ولو كان المولود يولد فَهِماً عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم، واعتبر ذلك بأنّ من سبي من بلد إلى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلّم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الّذي يسبى صغيراً غير عاقل، ثمّ لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً، معصّباً بالخرق، مسجّى في المهد لأنّه لا يستغني عن هذا كلّه لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد، ثمّ كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غبيّاً غافلاً عمّا فيه أهله فليقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة، ثمّ لا يزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، حتّى يألف الأشياء ويتمرّن ويستمرّ عليها، فيخرج من حدّ التأمّل لها والحيرة فيها إلى التصرُّف والاضطراب إلى المعاش بعقله وحيلته

وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية، وفي هذا أيضاً وجوه أخر فإنّه لو كان يولد تامّ العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد، وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة، وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكلّفات بالبرّ والعطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم، ثمّ كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم لأنّ الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم فيتفرّقون عنهم حين يولدون فلا يعرف الرجل أباه وأمّه، ولا يمتنع من نكاح أمّه وأخته وذوات المحارم منه إذا كان لا يعرفهنّ، وأقلّ ما في ذلك من القباحة - بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع - لو خرج المولود من بطن أمّه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحلّ له ولا يحسن به أن يراه. أفلا ترى كيف أُقيم كلّ شيء من الخلقة على غاية الصواب، وخلا من الخطأ دقيقه وجليله؟.

بيان: أفرأيت أي أخبرني، قال الزمخشريُّ: لمّا كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحّة الخبر عنها استعملوا أرأيت بمعنى أخبر. انتهى. ويقال: ذوى العود أي يبس. والموؤود الّذي دفن في الأرض حيّاً كما كان المشركون يفعلون في الجاهليّة ببناتهم. قوله عليه السلام : أو يقيمه أي عدم طلوع الأسنان. قوله عليه السلام : ذلك بما قدّمت أيديهم، يحتمل أن يكون هذا لتعذيب الآباء وإن كان الأولاد يؤجرون لقباحة منظرهم، أو للأولاد لما كان في علمه تعالى صدوره عنهم باختيارهم. ويرصده أي يرقبه. قوله عليه السلام : فإن كان الإهمال أي إذا لم تكن الأشياء منوطةً بأسبابها، ولم ترتبط الأمور بعللها، فكما جاز أن يحصل هذا الترتيب والنظام التامّ بلا سبب فجاز أن يصير التدبير في الأمور سبباً لاختلالها، وهذا خلاف ما يحكم به عقول كافّة الخلق لما نرى من سعيهم في تدبير الأمور وذمّهم من يأتي بها على غير تأمّل ورويّة، ويحتمل أن يكون المراد أنّ الوجدان يحكم بتضادّ آثار الأمور المتضادّة، وربّما أمكن إقامة البرهان عليه أيضاً، فإذا أتى الإهمال بالصواب يجب أن يأتي ضدُّه وهو التدبير بالخطأ وهذا أفظع وأشنع، والمراد بالمحال الأمر الباطل الّذي لم يأت على وجهه الّذي ينبغي أن يكون عليه، قال الفيروزآباديُّ: المحال من الكلام بالضمّ: ما عدل عن وجهه. انتهى. والتيه: الضلال والحيرة. والغضاضة بالفتح: الذلّة والمنقصة. وقوله عليه السلام : معصّباً أي مشدوداً. والتسجية: التغطية بثوب يمدُّ عليه. والغبيُّ على فعيل: قليل الفطنة. والاعتبار من العبرة، وذكر في مقابلة السهو والغفلة. وقوله: ما قدر وما يوجب كلاهما معطوفان على موضع. وقوله: من المكلّفات بيان لما يوجب أي لذهب التكاليف المتعلّقة بالأولاد بأن يبرُّوا آباءهم ويعطفوا عليهم عند حاجة الآباء إلى تربيتهم، وإعانتهم لكبرهم وضعفهم، جزاءاً لما قاسوا من الشدائد في تربيتهم. قوله: أن يرى خبر لقوله: أقلّ ما في ذلك.

اعرف يا مفضّل ما للأطفال في البكاء من المنفعة، واعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة إن

بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلةً، وعللاً عظيمة، من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يُسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم، فيعقبهم ذلك الصحّة في أبدانهم، والسلامةَ في أبصارهم، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء، ووالداه لا يعرفان ذلك، فهما دائبان ليسكتاه ويتوخّيان في الأمور مرضاته لئلاّ يبكي، وهما لا يعلمان أنّ البكاء أصلح له وأجمل عاقبةً، فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنّه لا منفعة فيه من أجل أنّهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فإنّ كلّ ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون، وكثير ممّا يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته، فأمّا ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة الّتي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البله والجنون والتخليط، إلى غير ذلك من الأمراض المختلفة كالفالج واللّقوة وما أشبههما، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحّة في كبرهم، فتفضّل على خلقه بما جهلوه، ونظر لهم بما لم يعرفوه، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته، فسبحانه ما أجلّ نعمته وأسبغها على المستحقّين وغيرهم من خلقه، وتعالى عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً.

بيان: الدؤب: الجدُّ والتعب. والتوخّي: التحرّي والقصد. وقوله عليه السلام: كلّ ما لا يعرفه أي ممّا لا يقصر عنه علم المخلوقين. ويقال: أبطل أي جاء بالباطل.

انظر الآن يا مفضّل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك، فجعل للذكر آلةً ناشزةً تمتدُّ حتّى تصل النطفة إلى الرحم إذ كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره، وخلق للأنثى وعاءاً قعراً ليشتمل على المائين جميعاً، ويحتمل الولد ويتّسع له ويصونه حتّى يستحكم، أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف؟ سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

بيان: المشاكلة: المشابهة والمناسبة، واسم الإشارة راجع إلى ما مضى من التدبير في الخلق، ويحتمل إرجاعه إلى الجماع.

فكّر يا مفضّل في أعضاء البدن أجمع وتدبير كلّ منها للإرب، فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء إذا تأمّلتها وأعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كلّ شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي إنّ قوماً يزعمون أنّ هذا من فعل الطبيعة، فقال: سلهم عن هذه الطبيعة، أهي شيءٌ له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق؟ فإنّ هذه صنعته، وإن زعموا أنّها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم

أنّ هذا الفعل للخالق الحكيم، وأنّ الّذي سمّوه طبيعةً هو سنّةٌ في خلقه الجارية على ما أجراها عليه.

إيضاح: قوله عليه السلام : فما يمنعهم؟ لعلّ المراد أنّهم إذا قالوا بذلك فقد أثبتوا الصانع فلمَ يسمّونه بالطبيعة وهي ليست بذات علم وإرادة وقدرة؟. قوله عليه السلام : علم أنّ هذا الفعل أي ظاهر بطلان هذا الزعم، والّذي صار سبباً لذهولهم أنّ الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب في ذلك، وبعبارة أُخرى أنّ سنّة الله وعادته قد جرت لحكم كثيرة أن تكون الأشياء بحسب بادىء النظر مستندةً إلى غيره تعالى، ثمّ يعلم بعد الاعتبار والتفكّر أنّ الكلّ مستند إلى قدرته وتأثيره تعالى، وإنّما هذه الأشياء وسائل وشرائط لذلك، فلذا تحيّروا في الصانع تعالى، فالضمير المنصوب في قوله: أجراها راجع إلى السنّة، وضمير «عليه» راجع إلى الموصول.

فكر يا مفضّل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير، فإنّ الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه، وتبعث بصفوه إلى الكبد في عروق رقاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفى للغذاء، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، وذلك أنّ الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثمّ إن الكبدَ تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً، وينفذ إلى البدن كلّه في مجاري مهيّأة لذلك، بمنزلة المجاري الّتي تهيّؤ للماء حتّى يطرد في الأرض كلّها، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفائض قد أُعدّت لذلك، فما كان منه من جنس المرّة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلّة والرطوبة جرى إلى المثانة، فتأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول، لئلاّ تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير، وله الحمد كما هو أهله ومستحقّه.

قال المفضّل: فقلت: صف نشوء الأبدان ونموّها حالاً بعد حال حتّى تبلغ التمام والكمال. فقال عليه السلام :

أوّل ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد، ويدبّره حتّى يخرج سويّاً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللّحم والشحم والمخّ والعصب والعروق والغضاريف، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمي بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشدّه إن مدّ في عمره أو يستوفي مدّته قبل ذلك، هل هذا إلاّ من لطيف التدبير والحكمة؟.

يا مفضلّ انظر إلى ما خصّ به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً على البهائم، فإنّه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه، ويمكنه العلاج والعمل بهما، فلو كان مكبوباً على وجهه كذات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

بيان: قال الفيروزآباديُّ: وشجت العروق والأغصان: اشتبكت. وقال: نكأ القرحة كمنع: قشرها قبل أن تبرأ فنديت. انتهى. والمفائض في بعض النسخ بالفاء أي مجاري من فاض الماء، وفي بعضها بالغين من غاض الماء غيضاً، أي نضب وذهب في الأرض والمغيض: المكان الّذي يغيض فيه. و«إلى» في قوله: إلى ما في تركيب بمعنى «مع». وقال الفيروزآباديُّ: الغضروف: كلُّ عظم رخو يؤكل، وهو مارن الأنف، وبعض الكتف، ورؤوس الأضلاع، ورهابة الصدر، وداخل فوق الأذن. انتهى. وقوله: تتزايد ولا تنقص أي النسبة بين الأعضاء. وبلوغ الأشدّ وهو القوّة أن يكتهل ويستوفي السنّ الّذي يستحكم فيها قوّته وعقله وتميزه.

انظر الآن يا مفضّل إلى هذه الحواسّ الّتي خصّ بها الإنسان في خلقه وشرّف بها على غيره، كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكّن من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء الّتي تحتهنّ كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات، وتصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعلّلها ويؤثّر فيها وينقص منها، ولا في الأعضاء الّتي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلّبها واطّلاعها نحو الأشياء، فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواسّ، وهو بمنزلة الصومعة لها؛ فجعل الحواسّ خمساً تلقي خمساً لكي لا يفوتها شيءٌ من المحسوسات، فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن منفعة فيها، وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب وكذلك سائر الحواسّ، ثمّ هذا يرجع متكافئاً، فلو كان بصر ولم يكن ألوان لما كان للبصر معنًى، ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع، فانظر كيف قدّر بعضها يلقي بعضاً فجعل لكلّ حاسّة محسوساً يعمل فيه، ولكلّ محسوس حاسّةٌ تدركه، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسّطة بين الحواسّ والمحسوسات، لا يتمُّ الحواسُّ إلاّ بها، كمثل الضياء والهواء فإنّه لو لم يكن ضياءٌ يظهر اللّون للبصر لم يكن البصر يدرك اللّون، ولو لم يكن هواءٌ يؤدّي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت، فهل يخفى على من صحَّ نظره وأعمل فكره أنّ مثل هذا الّذي وصفت من تهيئة الحواسّ والمحسوسات بعضها يلقي بعضاً وتهيئة أشياء أُخر بها تتمُّ الحواسُّ لا يكون إلاّ بعمد وتقدير من لطيف خبير؟.

بيان: قوله عليه السلام: بعضها يلقي بعضاً حال أو صفة بتأويل أو تقدير.

فكّر يا مفضّل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في أُموره، فإنّه لا يعرف موضع قدمه، ولا يبصر ما بين يديه، فلا يفرق بين الألوان، وبين المنظر الحسن والقبيح، ولا يرى حفرةً إن هجم عليها ولا عدوّاً إن أهوى إليه بسيف، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتّى أنّه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة

الحجر الملقى؛ وكذلك من عدم السمع يختلّ في أمور كثيرة فإنّه يفقد روح المخاطبة والمحاورة، ويعدم لذّة الأصوات واللّحون الشجيّة المطربة، ويعظم المؤونة على الناس في محاورته، حتّى يتبرّموا به ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم، حتّى يكون كالغائب وهو شاهد، أو كالميّت وهو حيّ؛ فأمّا من عدم العقل فإنّه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيراً ممّا تهتدي إليه البهائم، أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال الّتي بها صلاح الإنسان والّتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقة على التمام حتّى لا يفقد شيئاً منها، فلمَ كان كذلك إلاّ لأنّه خلق بعلم وتقدير؟.

بيان: روح المخاطبة بالفتح أي راحتها ولذّتها. والشجو: الحزن. ولا يتوهّم جواز الاستدلال به على عدم حرمة الغناء مطلقاً لاحتمال أن يكون المراد الأفراد المحلّلة منها كما ذكرها الأصحاب، وسيأتي ذكرها في بابه، أو يكون فائدة إدراك تلك اللّذّة عظم الثواب في تركها لوجهه تعالى. وقوله عليه السلام: يوافي خلقة، خبر صارت.

قال المفضّل: فقلت: فلمَ صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله في ذلك مثل ما وصفته يا مولاي؟ قال عليه السلام: ذلك للتأديب والموعظة لمن يحلّ ذلك به ولغيره بسببه، كما قد يؤدّب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم ويصوَّب من تدبيرهم، ثمّ للّذين ينزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت إن شكروا وأنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتّى أنّهم لو خيّروا بعد الموت لاختاروا أن يردُّوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب.

فكّر يا مفضّل في الأعضاء الّتي خلقت أفراداً وأزواجاً، وما في ذلك من الحكمة والتقدير، والصواب في التدبير، فالرأس ممّا خلق فرداً ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون أكثر من واحد، ألا ترى أنّه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة إليه، لأنّ الحواسّ الّتي يحتاج إليها مجتمعةٌ في رأس واحد، ثمّ كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان فإن تكلّم من أحدهما كان الآخر معطّلاً لا إرب فيه ولا حاجة إليه، وإن تكلّم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه، وإن تكلّم بأحدهما بغير الّذي تكلّم به من الآخر لم يدر السامع بأيّ ذلك يأخذ، وأشباه هذا من الأخلاط، واليدان ممّا خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدةٌ لأنّ ذلك كان يخلّ به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء ألا ترى أنّ النجّار والبنّاء لو شلّت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته، وإن تكلّف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت له يدان يتعاونان على العمل.

أطل الفكر يا مفضّل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان، فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت، واللّسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم، ألا ترى أنّ من

سقطت أسنانه لم يقم السين، ومن سقطت شفته لم يصحّح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرئة يشبه الزقّ الّذي ينفخ فيه لتدخل الريح، والعضلات الّتي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع الّتي تقبض على الزقّ حتّى تجري الريح في المزمار، والشفتان والأسنان الّتي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع الّتي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً، غير أنّه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فإنّ المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت.

قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف؛ وفيها مع الّذي ذكرت لك مآرب أخرى، فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرئة فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الّذي لو احتبس شيئاً يسيراً لهلك الإنسان، وباللّسان تذاق الطعوم فيميّز بينها ويعرف كلّ واحد منها حلوها من مرّها، وحامضها من مزّها، ومالحها من عذبها، وطيبها من خبيثها، وفيه مع ذلك معونةٌ على إساغة الطعام والشراب، والأسنان تمضغ الطعام حتّى يلين وتسهل إساغته، وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم، واعتبر ذلك بأنّك ترى من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها، وبالشفتين يترشّف الشراب حتّى يكون الّذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر لا يثجّ ثجّاً فيغصّ به الشارب أو ينكأ في الجوف، ثمّ هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما الإنسان إذا شاء، ويطبقهما إذا شاء، ففيما وصفنا من هذا بيان أنّ كلّ واحد من هذه الأعضاء يتصرّف وينقسم إلى وجوه من المنافع، كما تتصرّف الأداة الواحدة في أعمال شتّى، وذلك كالفاس يستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال، ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لفّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما يفتّه هدّ الصدمة والصكّة الّتي ربّما وقعت في الرأس، ثمّ قد جلّلت الجمجمة بالشعر حتّى صار بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدّة الحرّ والبرد، فمن حصّن الدماغ هذا التحصين إلاّ الّذي خلقه وجعله ينبوع الحسّ والمستحقّ للحيطة والصيانة بعلوّ منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته؟.

بيان: المزّ: بين الحلو والحامض. والثجّ: السيلان. والغصص: أن يقف بالشيء في الحلق فلم يكد يسيغه. والجمجمة: عظم الرأس المشتمل على الدماغ. والبيضة: هي الّتي توضع على الرأس في الحرب. والفتّ: الكسر. وهدّ البناء: كسره وضعضعه، وهدّته المصيبة أي أوهنت ركنه. والحيطة بالكسر: الحياطة والرعاية.

تأمّل يا مفضّل الجفن على العين، كيف جعل كالغشاء، والأشفار كالأشراج، وأولجها في هذا الغار، وأظلّها بالحجاب وما عليه من الشعر.

بيان: الجفن: غطاء العين من أعلا وأسفل. والأشفار: هي حروف الأجفان الّتي عليها

الشعر. والأشراج: العرى. وكأنّه عليه السلام شبّه الأشفار بالعرى والخيط المشدود بها، فإنّ بهما ترفع الأستار وتسدل عندالحاجة إليهما، أو بالعرى الّتي تكون في العيبة من الأدم وغيره، يكون فيها خيط إذا شدّت به يكون ما في العيبة محفوظاً مستوراً، وكلاهما مناسب، والأوّل أنسب بالغشاء قال الجزريّ: في حديث الأحنف: فأدخلت ثياب صوني العيبة فأشرجتها. يقال: اشرجت العيبة وشرجتها: إذا شددتها بالشرج وهي العرى. انتهى. وأولجها يعني أدخلها.

يا مفضّل من غيّب الفؤاد في جوف الصدر، وكساه المدرعة الّتي هي غشاؤه، وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللّحم والعصب لئلاّ يصل إليه ما ينكؤه؟ من جعل في الحلق منفذين؟ أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتّصل بالرئة، والآخر منفذ الغذاء وهو المريء المتّصل بالمعدة الموصل الغذاء إليها، وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل إلى الرئة فيقتل؛ من جعل الرئة مروّحة الفؤاد؟ لا تفتر ولا تخلّ لكيلا تتحيّز الحرارة في الفؤاد فتؤدّي إلى التلف. من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجاً تضبطهما؟ لئلاّ يجريا جرياناً دائماً فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا؟ بل الّذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر، من جعل المعدة عصبانيّةً شديدةً وقدّرها لهضم الطعام الغليظ؟ ومن جعل الكبد رقيقةً ناعمةً لقبول الصفو اللّطيف من الغذء ولتهضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلاّ الله القادر؟ أترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك؟ كلاّ، بل هو تدبير من مدبّر حكيم، قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إيّاها، لا يعجزه شيءٌ وهو اللّطيف الخبير.

تبيان: الجوانح: الأضلاع الّتي ممّا يلي الصدر. وقوله عليه السلام: لا تخل من الإخلال بالشيء بمعنى تركه. وقوله تتحيّز إمّا من الحيّز أي تسكن، أو من قولهم: تحيّزت الحيّة: أي تلوّت.

فكّر يا مفضّل لمَ صار المخُّ الرقيق محصّناً في أنابيب العظام؟ هل ذلك إلاّ ليحفظه ويصونه؟ لمَ صار الدم السائل محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلاّ لتضبطه فلا يفيض؟ لمَ صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلاّ وقايةً لها ومعونةً على العمل؟ لمَ صار داخل الأذن ملتوياً كهيئة الكوكب إلاّ ليطّرد فيه الصوت حتّى ينتهي إلى السمع وليتكسّر حمّة الريح فلا ينكأ في السمع؟ لمَ حمل الإنسان على فخذيه وإليتيه هذا اللّحم إلاّ ليقيه من الأرض فلا يتألّم من الجلوس عليهما، كما يألم مَن نحل جسمه وقلّ لحمه إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها؟ من جعل الإنسان ذكراً وأنثى إلاّ من خلقه متناسلاً؟ ومن خلقه متناسلاً إلاّ من خلقه مؤمّلاً؟ ومن خلقه مؤمّلاً ومن أعطاه آلات العمل إلاّ من خلقه عاملاً؟ ومن خلقه عاملاً إلاّ من جعله محتاجاً؟ ومن جعله محتاجاً إلاّ من ضربه بالحاجة؟ ومن ضربه بالحاجة إلاّ من توكّل بتقويمه؟ ومن خصّه بالفهم إلاّ من أوجب له الجزاء؟ ومن وهب له

الحيلة إلاّ من ملكه الحول؟ ومن ملكه الحول إلاّ من ألزمه الحجّة؟ من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلاّ من لم يبلغ مدى شكره؟ فكّر وتدبّر ما وصفته، هل تجد الإهمال على هذا النظام والترتيب؟ تبارك الله عمّا يصفون.

بيان: الكوكب: المحبس. واطّرد الشيء تبع بعضه بعضاً وجرى. وقال الجوهريّ: حمّة الحرّ معظمه. وقوله عليه السلام: إلاّ من خلقه مؤمّلاً إشارة إلى أنّ الأمل والرجاء في البقاء هو السبب لتحصيل النسل، ولذا جعل الإنسان ذا أمل لبقاء نوعه. قوله عليه السلام: إلاّ من ضربه بالحاجة أي سبّب له أسباب الاحتجاج وخلقه بحيث يحتاج. قوله عليه السلام: إلاّ من توكّل بتقويمه أي تكفّل برفع حاجته وتقويم أوده. والحول: القوّة.

أصف لك الآن يا مفضّل الفؤاد، اعلم أنّ فيه ثقباً موجّهة نحو الثقب الّتي في الرئة تروح عن الفؤاد، حتّى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح إلى الفؤاد ولهلك الإنسان، أفيستجيز ذو فكر ورويّة أن يزعم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال ولا يجد شاهداً من نفسه ينزعه عن هذا القول؟ لو رأيت فرداً من مصراعين فيه كلّوب أكنت تتوهّم أنّه جعل كذلك بلا معنى؟ بل كنت تعلم ضرورة أنّه مصنوع يلقي فرداً آخر فتبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة، وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنّه فرد من زوج مهيّأ من فرد أنثى فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه، فتبّاً وخيبةً وتعساً لمنتحلي الفلسفة، كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتّى أنكروا التدبير والعمد فيها؟ لو كان فرج الرجل مسترخياً كيف كان يصل إلى قعر الرحم حتّى يفرغ النطفة فيه؟ ولو كان منعظاً أبداً كيف كان الرجل يتقلّب في الفراش أو يمشي بين الناس وشيءٌ شاخصٌ أمامه؟ ثمّ يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كلّ وقت من الرجال والنساء جميعاً، فقدّر الله جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كلّ وقت، ولا يكون على الرجال منه مؤونة، بل جعل فيه القوّة على الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك لما قدّر أن يكون فيه دوام النسل وبقاؤه.

توضيح: قال الجوهريُّ: وزعته أزعه وزعاً: كففته. انتهى. والكلّوب بالتشديد: حديدة معوّجة الرأس، وفي بعض النسخ «كلون» وهو فارسيٌّ. قوله عليه السلام مهيّأ في بعض النسخ بالياء فلفظة «من» تعليليّة، وفي بعضها بالنون فمن تعليليّة أو ابتدائيّة أي إنّما يتمّ عيشه بأنثى، وعلى التقديرين يحتمل أن يكون بمعنى «مع» إن جوّز استعماله فيه. وقال الجوهريّ: تبّاً لفلان، تنصبه على المصدر بإضمار فعل أي ألزمه الله هلاكاً وخسراناً. وقال: التعس: الهلاك، يقال: تعساً لفلان أي ألزمه الله هلاكاً.

اعتبر الآن يا مفضّل بعظيم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى، أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع فيها؟ فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيّأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه، فلم يجعله بارزاً من خلفه، ولا

ناشراً من بين يديه، بل هو مغيّب في موضع غامض من البدن، مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان، وتحجبه الإليتان بما عليهما من اللّحم فيواريانه فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألفى ذلك المنفذ منه منصباً مهيّئاً لانحدار الثفل، فتبارك الله من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه.

بيان: ألفى أي وجد. وقوله عليه السلام: منصباً إمّا من الانصباب، كناية عن التدلّي أو من باب التفعيل من النصب قال الفيروزآباديّ: نصب الشي وضعه ورفعه ضدٌّ، كنصّبه فانتصب وتنصّب.

فكّر يا مفضّل في هذه الطواحن الّتي جعلت للإنسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه، وبعضها عراض لمضغه ورضّه فلم ينقص واحد من الصفتين إذ كان محتاجاً إليهما جميعاً.

تأمّل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار فإنّهما لمّا كانا ممّا يطول ويكثر حتّى يحتاج إلى تخفيفه أوّلاً فأوّلاً جعلا عديمي الحسّ لئلاّ يؤلم الإنسان الأخذ منهما، ولو كان قصُّ الشعر وتقليم الأظفار ممّا يوجد له مسٌّ من ذلك لكان الإنسان من ذلك بين مكروهين: إمّا أن يدع كلّ واحد منهما حتّى يطول فيثقل عليه، وإمّا أن يخفّفه بوجع وألم يتألّم منه.

قال المفضّل: فقلت فلمَ لم يجعل ذلك خلقةً لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه؟ فقال عليه السلام: إنَّ الله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها فيحمد عليها، اعلم أنَّ آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامّه، وبخروج الأظفار من أناملها، ولذلك أمر الإنسان بالنورة وحلق الرأس وقصّ الأظفار في كلّ أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات، فتخرج الآلام والأدواء بخروجها، وإذا طالا تحيّرا وقلّ خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً، ومنع مع ذلك الشعر من المواضع الّتي تضرُّ بالإنسان وتحدث عليه الفساد والضرر، لو نبت الشعر في العين ألم يكن سيعمى البصر؟ ولو نبت في الفم ألم يكن سيغصُّ على الإنسان طعامه وشرابه؟ ولو نبت في باطن الكفّ ألم يكن سيعوقه عن صحّة اللّمس وبعض الأعمال؟ فلو نبت في فرج المرأة أو على ذكر الرجل ألم يكن سيفسد عليهما لذّة الجماع؟ فانظر كيف تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة، ثمَّ ليس هذا في الإنسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فإنّك ترى أجسامهنَّ مجلّلةً بالشعر وترى هذه المواضع خاليةً منه لهذا السبب بعينه؛ فتأمّل الخلقة كيف تتحرّز وجوه الخطأ والمضرّة، وتأتي بالصواب والمنفعة، إنَّ المنانيّة وأشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والإبطين ولم يعلموا أنَّ ذلك من رطوبة تنصبُّ إلى هذه المواضع فتنبت فيها الشعر، كما ينبت العشب في مستنقع المياه؛ أفلا ترى إلى هذه المواضع أستر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها؟ ثمَّ إنَّ هذه تعدّ ممّا يحمل الإنسان من مؤونة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة فإنَّ اهتمامه

بتنظيف بدنه وأخذ ما يعلوه من الشعر ممّا يكسر به شرته، ويكفّ عاديته، ويشغله عن بعض ما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والبطالة. تأمّل الريق وما فيه من المنفعة فإنّه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم ليبلّ الحلق واللّهوات فلا يجفّ، فإنّ هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الإنسان، ثمّ كان لا يستطيع أن يسيغ طعاماً إذا لم يكن في الفم بلّة تنفذه، تشهد بذلك المشاهدة.

واعلم أنّ الرطوبة مطيّة الغذاء. وقد تجري من هذه البلّة إلى موضع آخر من المرّة فيكون في ذلك صلاح تامّ للإنسان، ولو يبست المرّة لهلك الإنسان، ولقد قال قوم من جهلة المتكلّمين وضعفة المتفلسفين بقلّة التميز وقصور العلم: لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمّتاً محجوباً عن البصر واليد، لا يعرف ما فيه إلاّ بدلالات غامضة كمثل النظر إلى البول وحسّ العرق وما أشبه ذلك ممّا يكثر فيه الغلط والشبهة حتّى ربّما كان ذلك سبباً للموت. فلو علم هؤلاء الجهلة أنّ هذا لو كان هكذا كان أوّل ما فيه أنّه كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت، وكان يستشعر البقاء ويغترّ بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتوّ والأشر، ثمّ كانت الرطوبات الّتي في البطن تترشّح وتتحلّب فيفسد على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بذلته وزينته، بل كان يفسد عليه عيشه، ثمّ إنّ المعدة والكبد والفؤاد إنّما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزيّة الّتي جعلها الله محتبسةً في الجوف، فلو كان في البطن فرج ينفتح حتّى يصل البصر إلى رؤيته واليد إلى علاجه لوصل برد الهواء إلى الجوف فمازج الحرارة الغريزيّة وبطل عمل الأحشاء فكان في ذلك هلاك الإنسان. أفلا ترى أنّ كلّ ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جاءت به الخلقة خطأً وخطل؟.

إيضاح: الركب بالتحريك منبت العانة. ومستنقع الماء بالفتح: مجتمعه. وشرة الشباب بالكسر: حرصه ونشاطه. والعادية: الظلم والشرّ. والأشر بالتحريك: البطر وشدّة الفرح. واللّهوات جمع لهاة وهي اللّحمة في سقف أقصى الفم. وقوله عليه السلام: من المرّة بيان لموضع آخر. وعتا عتوّاً: أستكبر وجاوز الحدّ. ويقال: تحلّب العرق أي سال. والخطل: المنطق الفاسد المضطرب.

فكّر يا مفضّل في الأفعال الّتي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبّر فيها فإنّه جعل لكلّ واحد منها في الطباع نفسه محرّك يقتضيه ويستحثّ به فالجوع يقتضي الطعم الّذي به حياة البدن وقوامه، والكرى يقتضي النوم الّذي فيه راحة البدن وإجمام قواه، والشبق يقتضي الجماع الّذي فيه دوام النسل وبقاؤه، ولو كان الإنسان إنّما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه ولم يجد من طباعه شيئاً يضطرّه إلى ذلك كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالتثقّل والكسل حتّى ينحلّ بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد إلى الدواء بشيء ممّا

يصلح ببدنه فيدافع به حتّى يؤدّيه ذلك إلى المرض والموت، وكذلك لو كان إنّما يصير إلى النوم بالتفكّر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك فيدمغه حتّى ينهك بدنه، ولو كان إنّما يتحرّك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه حتّى يقلّ النسل أو ينقطع، فإنّ من النساء من لا يرغب في الولد ولا يحفل به، فانظر كيف جعل لكلّ واحد من هذه الأفعال الّتي بها قوام الإنسان وصلاحه محرّك من نفس الطبع يحرّكه لذلك ويحدوه عليه واعلم أنّ في الإنسان قوىً أربعاً: قوّة جاذبةٌ تقبل الغذاء وتورده على المعدة، وقوّة ممسكة تحبس الطعام حتّى تفعل فيه الطبيعة فعلها، وقوّة هاضمة وهي الّتي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثّه في البدن، وقوّة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها، تفكّر في تقدير هذه القوى الأربعة الّتي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والإرب فيها، وما في ذلك من التدبير والحكمة، ولولا الجاذبة كيف يتحرّك الإنسان لطلب الغذاء الّتي بها قوام البدن؟ ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتّى تهضمه المعدة؟ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتّى يخلص منه الصفو الّذي يغذو البدن ويسدُّ خلله؟ ولولا الدافعة كيف كان الثفل الّذي تخلّفه الهاضمة يندفع ويخرج أوّلاً فأوّلاً؟ أفلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه؟ وسأمثّل لك في ذلك مثالاً: إنّ البدن بمنزلة دار الملك، وله فيها حشم وصبية وقوّام موكّلون بالدار، فواحد لإقضاء حوائج الحشم وايرادها عليهم، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج ويهيّأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها؛ فالملك في هذا هو الخلّاق الحكيم ملك العالمين، والدار هي البدن، والحشم هي الأعضاء، والقوّام هي هذه القوى الأربع، ولعلّك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الّذي وصفت فضلاً وتزداداً، وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة الّتي ذكرت في كتب الأطبّاء، ولا قولنا فيه كقولهم، لأنّهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطبّ وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغيّ، كالّذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها.

تبيان: الطعم بالضمّ: الأكل. والكرى: السهر. والجمام بالفتح: الراحة، يقال: جمّ الفرس جمّاً وجماماً إذا ذهب إعياؤه. والشبق بالتحريك: شدّة شهوة الجماع. وتوانى في حاجته أي قصّر. ولا يحفل به أي لا يبالي به. وتحدر الثفل كتنصر أي ترسل. وقوله عليه السلام: ولو لا الجاذبة يدلّ على أنّ لها مدخلاً في شهوة الطعام. قوله عليه السلام: خلله كأنّه بالضمّ جمع الخلّة وهي الحاجة، أو بالكسر أي الخلال والفرج الّتي حصلت في البدن بتحلّل الرطوبات. قوله عليه السلام: ولعلّك ترى يحتمل أنّ يكون الغرض دفع توهّم السائل كون ذكر التمثيل بعد ذكر القوى ومنافعها على الوجه الّذي ذكره الأطبّاء واكتفوا به إطناباً وتكراراً، وحاصله أنّ الأطبّاء إنّما ذكروها على ما يحتاجون إليه في صناعتهم من ذكر أفعال تلك القوى وسبب

تعطّلها، ولذا لم يحتاجوا إلى ذكر ما أوردنا من التمثيل، ونحن إنّما ذكرنا هذا التمثيل لتتّضح دلالتها على صانعها ومدبّرها، إذ هذا مقصودنا من ذكرها. ويحتمل أن يكون الغرض رفع توهّم أنّ ذكره هذه القوى بعد كونها مذكورةً في كتب الأطبّاء فضل لا حاجة إليه بأنّ الغرض مختلف في بياننا وبيانهم وبذلك يختلف التقرير أيضاً فلذا ذكرنا ههنا بهذا التقرير الشافي، فالضمير في قوله: وصفت على بناء المجهول راجعٌ إلى القوى، والعائد محذوف، أي وصفت به لكنّه بعيد.

تأمّل يا مفضّل هذه القوى الّتي في النفس وموقعها من الإنسان، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك، أفرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظَ وحده كيف كانت تكون حاله؟ وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه إذا لم يحفظ ما له وعليه، وما أخذه وما أعطى، وما رأى وما سمع، وما قال وما قيل له، ولم يذكر من أحسن إليه ممّن أساء به، وما نفعه ممّا ضره، ثمّ كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره، ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى، بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانيّة أصلاً فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع؟ وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان، فإنّه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة، ولا انقضت له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكّر الآفات، ولا رجا غفلةً من سلطان، ولا فترةً من حاسد؛ أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان، وهما مختلفان متضادّان، وجعل له في كلّ منهما ضرب من المصلحة؟ وما عسى أن يقول الّذين قسّموا الأشياء بين خالقين متضادّين في هذه الأشياء المتضادّة المتباينة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة؟.

بيان: دون الجميع أي فضلاً عن الجميع. ويقال: سلا عنه أي نسيه. وقد مضى منّا ما يمكن أن يستعمل في فهم آخر الكلام في موضعين فتذكّر.

أنظر يا مفضّل إلى ما خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل قدره، العظيم غناؤه، أعني الحياء فلولاه لم يقر ضيف، ولم يوف بالعدات، ولم تقض الحوائج، ولم يتحرّ الجميل، ولم يتنكّب القبيح في شيء من الأشياء، حتّى أنّ كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنّما يفعل للحياء، فإنّ من الناس من لولا الحياء لم يرع حقّ والديه، ولم يصل ذا رحم، ولم يؤدّ أمانةً، ولم يعف عن فاحشة؛ أفلا ترى كيف وفّي للإنسان جميع الخلال الّتي فيها صلاحه وتمام أمره؟.

بيان: إقراء الضيف: ضيافتهم وإكرامهم. والتنكّب: التجنّب. ووفّي على بناء المجهول من التوفية وهي إعطاء الشيء وافياً.

تأمل يا مفضّل ما أنعم الله تقدّست أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق الّذي يعبّر به عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه، ونتيجة فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة الّتي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً، وكذلك الكتابة الّتي بها تقيّد أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم، وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روي لهم ممّا لا يسعهم جهله، ولعلّك تظنُّ أنّها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة، وليست ممّا أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه؛ وكذلك الكلام إنّما هو شيءٌ يصطلح عليه الناس فيجري بينهم، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة؛ وكذلك الكتابة ككتابة العربيّ والسريانيّ والعبرانيّ والروميّ وغيرها من سائر الكتابة الّتي هي متفرّقة في الأمم، إنّما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام، فيقال لمن ادّعى ذلك، إنّ الإنسان وان كان له في الامرين جميعاً فعل أو حيلة فإنّ الشيء الّذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطيّةٌ وهبةٌ من الله عزّوجلّ في خلقه فإنّه لولم يكن له لسان مهيّؤٌ للكلام وذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلّم أبداً، ولو لم يكن له كفّ مهيّأة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً، واعتبر ذلك من البهائم الّتي لا كلام لها ولا كتابة، فأصل ذلك فطرة الباري عزّوجلّ وما تفضّل به على خلقه، فمن شكر أثيب ومن كفر فإنّ الله غنيٌّ عن العالمين.

بيان: كلامه ههنا مشعر بأنّ واضع اللّغات البشر فتدبّر.

ذكّر يا مفضّل فيما أعطي الإنسان علمه وما منع فإنّه أعطي علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه، فممّا فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق، ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافّةً وبرّ الوالدين، وأداء الأمانة، ومواساة أهل الخلّة، وأشباه ذلك ممّا قد توجد معرفته والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كلّ أمّة موافقة أو مخالفة، وكذلك أعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس، واستخراج الأرضين، واقتناء الأغنام والأنعام، واستنباط المياه، ومعرفة العقاقير الّتي يستشفى بها من ضروب الأسقام، والمعادن الّتي يستخرج منها أنواع الجواهر، وركوب السفن والغوص في البحر، وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان، والتصرّف في الصناعات، ووجوه المتاجر والمكاسب، وغير ذلك ممّا يطول شرحه ويكثر تعداده ممّا فيه صلاح أمره في هذه الدار، فأعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه، ومنع ما سوى ذلك ممّا ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلم؛ كعلم الغيب وما هو كائن وبعض ما قد كان أيضاً

كعلم ما فوق السماء وما تحت الأرض وما في لجج البحار وأقطار العالم وما في قلوب الناس وما في الأرحام وأشباه هذا ممّا حجب على الناس علمه، وقد ادّعت طائفة من الناس هذه الأمور فأبطل دعواهم ما بيّن من خطائهم فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادّعوا علمه، فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه، وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه، وكلا الأمرين فيهما صلاحه.

تأمل الآن يا مفضّل ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته فإنّه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنّأ بالعيش مع ترقّب الموت وتوقّعه لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الّذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم ممّا يدخل عليه من فناء المال لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس. وإن كان طويل العمر، ثمّ عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك في اللّذات والمعاصي، وعمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثمّ يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله.

الا ترى لو أنّ عبداً لك عمل على أنّه يسخطك سنةً ويرضيك يوماً أو شهراً لم تقبل ذلك منه، ولم يحلّ عندك محلّ العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كلّ الأمور وفي كلّ الأوقات على تصرف الحالات.

فإن قلت: أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثمّ يتوب فتقبل توبته؟ قلنا: إنّ ذلك شيءٌ يكون من الإنسان لغلبة الشهوات وتركه مخالفتها من غير أن يقدّرها في نفسه ويبني عليه أمره فيصفح الله عنه ويتفضّل عليه بالمغفرة، فأمّا من قدّر أمره على أن يعصي ما بدا له ثمّ يتوب آخر ذلك فإنّما يحاول خديعة من لا يخادع بأن يتسلّف التلذّذ في العاجل ويعد ويمنّي نفسه التوبة في الآجل، ولأنّه لا يفي بما يعد من ذلك فإنّ النزوع من الترفّه والتلذّذ ومعاناة التوبة ولا سيّما عند الكبر وضعف البدن أمر صعب، ولا يؤمن على الإنسان مع مدافعته بالتوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب؛ كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتّى يحلّ الأجل وقد نفد المال فيبقى الدين قائماً عليه، فكان خير الأشياء للإنسان أن يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقّب الموت فيترك المعاصي ويؤثر العمل الصالح.

فإن قلت: وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته وصار يترقّب الموت في كلّ ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم، قلنا: إنّ وجه التدبير في هذا الباب هو الّذي جرى عليه الأمر فيه، فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوئ فإنّما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه لا من خطأ في التدبير؛ كما أنّ الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عمّا ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم

يكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه، ولئن كان الإنسان مع ترقّبه للموت كلّ ساعة لا يمتنع عن المعاصي فإنّه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج إلى الكبائر الفظيعة، فترقّب الموت على كلّ حال خيرله من الثقة بالبقاء، ثمّ إنّ ترقّب الموت وإن كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتّعظون به فقد يتّعظ به صنف آخر منهم، وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح، ويجودون بالأموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين، فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع أُولئك حظّهم منها.

بيان: انهمك الرجل في الأمر أي جدّ ولجّ. والتسلّف: الاقتراض، كأنّه يجري معاملة مع ربّه بأنّ يتصرّف في اللّذّات عاجلاً، ويعد ربّه في عوضها التوبة ليؤدّي إليه آجلاً. وفي بعض النسخ: يستسلف، هو طلب بيع الشيء سلفاً.

والمعاناة: مقاساة العناء والمشقّة. ويرهقه أي يغشاه ويلحقه. وانتهاك المحارم: المبالغة في خرقها وإتيانها. والارعواء: الكفّ عن الشيء، قيل: الندم على الشيء والانصراف عنه وتركه. والمرح: شدّة الفرح. وقال الفيروزآباديّ: العقيلة من كلّ شيء: أكرمه، وكريمة الإبل. وقال: العقال ككتاب: زكاة عام من الإبل.

فكّر يا مفضّل في الأحلام كيف دبّر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها فإنّها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلّها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلاً لا معنى له، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها، أو مضرّة يتحذّر منها، وتكذب كثيراً لئلاّ يعتمد عليها كلّ الاعتماد.

فكّر في هذه الأشياء الّتي تراها موجودةً معدّةً في العالم من مآربهم، فالتراب للبناء، والحديد للصناعات، والخشب للسفن وغيرها، والحجارة للأرحاء وغيرها، والنحاس للأواني، والذهب والفضّة للمعاملة، والجوهر للذخيرة، والحبوب للغذاء، والثمار للتفكّه، واللّحم للمأكل، والطيب للتلذّذ، والأدوية للتصحيح، والدوابُّ للحمولة، والحطب للتوقّد، والرماد للكلس، والرمل للأرض، وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه، أرأيت لو أنّ داخلاً دخل داراً فنظر إلى خزائن مملوءة من كلّ ما يحتاج إليه الناس ورأى كلّ ما فيها مجموعاً معدّاً لأسباب معروفة لكان يتوهّم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال ومن غير عمد؟ فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا في العالم وما أُعدّ فيه من هذه الأشياء.

بيان: التفكّه: التنعّم. الكلس بالكسر: الصاروج. قوله عليه السلام: للأرض أي لفرشها.

اعتبر يا مفضّل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان وما فيها من التدبير فإنّه خلق له الحبّ لطعامه، وكلّف طحنه وعجنه وخبزه، وخلق له الوبر لكسوته فكلّف ندفه وغزله ونسجه، وخلق له الشجر فكلّف غرسها وسقيها والقيام عليها، وخلقت له العقاقير لأدويته فكلّف

لقطها وخلطها وصنعها؛ وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال، فانظر كيف كفي الخلقة الّتي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كلّ شيء من الأشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من الصلاح؛ لأنّه لو كفي هذا كله حتّى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل لما حملته الأرض أشراً وبطراً، ولبلغ به كذلك إلى أن يتعاطى أموراً فيها تلف نفسه، ولو كفي الناس كلّ ما يحتاجون إليه لما تهنؤوا بالعيش ولا وجدوا له لذة؛ ألا ترى لو أنّ امرءاً نزل بقوم فأقام حيناً بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء؟ فكيف لو كان طول عمره مكفياً لا يحتاج إلى شيء؟ وكان من صواب التدبير في هذه الأشياء الّتي خلقت للإنسان أن جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله ولا خير فيه إن ناله.

واعلم يا مفضّل أنّ رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء، فانظر كيف دبّر الأمر فيهما، فإنّ حاجة الإنسان إلى الماء أشدُّ من حاجته إلى الخبز؛ وذلك أنّ صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، والّذي يحتاج إليه من الماء أكثر ممّا يحتاج إليه من الخبز؛ لأنّه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغُسله وغَسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه، فجعل الماء مبذولاً لا يشترى لتسقط عن الإنسان المؤونة في طلبه وتكلفه، وجعل الخبز متعذراً لا ينال إلّا بالحيلة والحركة ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفه عمّا يخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث؛ ألا ترى أنّ الصبي يدفع إلى المؤدّب وهو طفل لم يكمل ذاته للتعليم كلّ ذلك ليشتغل عن اللّعب والعبث اللذين ربّما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم، وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل لخرج من الأشر والعبث والبطر إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفّه والكفاية وما يخرجه ذلك إليه.

اعتبر لمَ لا يتشابه الناس واحد بالآخر كما يتشابه الوحوش والطير وغير ذلك؟ فإنّك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتّى لا يفرّق بين واحد منها وبين الأخرى، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتّى لا يكاد إثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة، والعلّة في ذلك أنّ الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كلّ واحد منها بعينه وحليته، ألا ترى أنّ التشابه في الطير والوحش لا يضرُّهما شيئاً، وليس كذلك الإنسان فإنّه ربّما تشابه التوأمان تشابهاً شديداً فتعظم المؤونة على الناس في معاملتهما حتّى يعطى أحدهما بالآخر ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلاً عن تشابه الصورة، فمن لطفه لعباده بهذه الدقائق الّتي لا تكاد تخطر بالبال حتّى وقف بها على الصواب إلاّ من وسعت رحمته كلّ شيء؟ لو رأيت تمثال الإنسان مصوّراً على حائط فقال لك قائل: إنّ هذا ظهر ههنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع أكنت تقبل ذلك؟ بل كنت تستهزىء به فكيف تنكر هذا في تمثال مصوّر جماد ولا تنكر في الإنسان الحيّ الناطق؟ لمَ صارت أبدان الحيوان وهي تغتذي

أبداً لا تنمي، بل تنتهي إلى غاية من النموّ ثمّ تقف ولا تتجاوزها لولا التدبير في ذلك؟ فإنّ من تدبير الحكيم فيها أن يكون أبدان كلّ صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير، وصارت تنمي حتّى تصل إلى غايتها ثمّ يقف ثمّ لا يزيد والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع، ولو كانت تنمي نموّاً دائماً لعظمت أبدانها واشتبهت مقاديرها حتّى لا يكون لشيء منها حدٌّ يعرف. لمَ صارت أجسام الإنسان خاصّة تثقل عن الحركة والمشي ويجفو عن الصناعات اللطيفة إلاّ لتعظيم المؤونة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك، لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس؟ أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربّه في العافية وبسط يديه بالصدقة؟ ولو كان لا يألم من الضرب بمَ كان السلطان يعاقب الدعار ويذلّ العصاة المردة؟ وبم كان الصبيان يتعلّمون العلوم والصناعات؟ وبمَ كان العبيد يذلّون لأربابهم ويذعنون لطاعتهم؟ أفليس هذا توبيخ لابن أبي العوجاء وذويه اللّذين جحدوا التدبير، والمانويّة الذين أنكروا الالم والوجع؛ لو لم يولد من الحيوان إلاّ ذكر فقط أو أناث فقط ألم يكن النسل منقطعاً، وباد مع ذلك أجناس الحيوان؟ فصار بعض الأولاد يأتي ذكوراً وبعضها يأتي إناثاً ليدوم التناسل ولا ينقطع. لمَ صار الرجل والمرأة إذا أدركا نبتت لهما العانة ثمّ نبتت اللّحية للرجل وتخلّفت عن المرأة لولا التدبير في ذلك؟ فإنه لمّا جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيّماً ورقيباً على المرأة وجعل المرأة عرساً وخولاً للرجل أعطى الرجل اللّحية لما له من العزّة والجلالة والهيبة، ومنعها المرأة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة الّتي تشاكل المفاكهة والمضاجعة؛ أفلا ترى الخلقة كيف يأتي بالصواب في الأشياء وتتخلّل مواضع الخطأ فتعطي وتمنع على قدر الإرب والمصلحة بتدبير الحكيم عزّوجلّ؟.

بيان: جنى الذنب عليه يجنيه جناية: جرّه إليه. والجدة بالتخفيف: الغناء. قوله عليه السلام: في تشابه الأشياء أي قد يشبه مال شخص بمال شخص آخر كثوب أو نعل أو دينار أو درهم فيصير سبباً للاشتباه والتشاجر والتنازع، فضلاً عن تشابه الصورة فإنّه أعظم فساداً، والمراد أنّ الناس كثيراً ما يشتبه عليهم أمر رجلين لتشابه لباسهما ومركوبهما وغير ذلك فيؤخذ أحدهما بالآخر فكيف مع تشابه الصورة؟. قوله عليه السلام: واشتبهت مقاديرها أي لم يعرف غاية ما ينتهي إليه مقداره فيشتبه الأمر عليه فيما يريد أن يهيئه لنفسه من دار ودابة وثياب وزوجة. قوله عليه السلام: ويجفو أي يبعد ويجتنب ولا يداوم على الصناعات اللطيفة، أي الّتي فيها دقّة ولطافة؛ قال الجزريُّ: وفي الحديث: اقرؤوا القرآن ولا تجفوا عنه. أي تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته. انتهى.

والحاصل أنّ الله تعالى جعل الإنسان بحيث يثقل عن الحركة والمشي قبل سائر الحيوانات ويكلُّ عن الأعمال الدقيقة لتعظم عليه مؤونة تحصيل ما يحتاج إليه فلا يبطر ولا يطغى أو ليكون لهذه الأعمال أجر فيصير سبباً لمعايش أقوام يزاولونها. والدعار في بعض النسخ بالمهملة من

الدعر محرّكة: الفساد والفسق والخبث، وفي بعضها بالمعجمة من الدغرة وهي أخذ الشيء اختلاساً. والعرس بالكسر: امرأة الرجل. والخول محرّكة ما أعطاك الله من النعم والعبيد والاماء. والمفاكهة: الممازحة والمضاحكة. قوله عليه السلام: وتخلل مواضع الخطأ يحتمل أن تكون الجملة حالية أي تأتي بالصواب مع أنها تدخل مواضع هي مظنة الخطأ، من قولهم: تخللت القوم أي دخلت خلالهم ويحتمل أن يكون المراد بالتخلل التخلف أو الخروج من خلالها لكن تطبيقهما على المعاني اللغويّة يحتاج إلى تكلّف.

قال المفضّل: ثمَّ حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال: بكّر إليَّ غداً إن شاء الله؛ فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفته، مبتهجاً بما أُوتيته، حامداً لله على ما أنعم به عليَّ، شاكراً لانعمه على ما منحني بما عرّفنيه مولاي وتفضّل به عليَّ، فبت في ليلتي مسروراً بما منحنيه، محبوراً بما علّمنيه.

تمَّ المجلس الأوّل ويتلوه المجلس الثاني من كتاب الادلّة على الخلق والتدبير والرد على القائلين بالاهمال ومنكري العمد برواية المفضّل عن الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه.

قال المفضّل: فلمّا كان اليوم الثاني بكرت إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فأمرني بالجلوس فجلست؛ فقال: الحمد لله مدير الأدوار ومعيد الأكوار طبقاً عن طبق وعالماً بعد عالم ليجزي الّذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، عدلاً منه تقدّست أسماؤه وجلّت آلاؤه، لا يظلم الناس شيئاً ولكنَّ الناس أنفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله جلَّ قدسه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾[1]، في نظائر لها في كتابه الّذي فيه تبيان كلّ شيء، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولذلك قال سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله: إنّما هي أعمالكم تردُّ إليكم. ثمَّ أطرق هنيئة ثمَّ قال: يا مفضّل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يتردّدون، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون، بصراء عمي لا يبصرون، نطقاء بكمٌ لا يعقلون، سمعاء صمٌّ لا يسمعون، رضوا بالدون وحسبوا أنّهم مهتدون، حادوا عن مدرجة الأكياس، ورتعوا في مرعى الارجاس الأنجاس، كأنّهم من مفاجأة الموت آمنون وعن المجازات مزحزحون، يا ويلهم ما أشقاهم وأطول غناءهم وأشدّ بلاءهم يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً ولا هم ينصرون إلاّ من رحم الله.

قال المفضّل: فبكيت لمّا سمعت منه، فقال: لا تبك تخلّصت إذ قبلت، ونجوت إذ عرفت، ثمَّ قال: أبتدىء لك بذكر الحيوان ليتّضح لك من أمره ما وضح لك من غيره.

فكّر في أبنية أبدان الحيوان وتهيئتها على ما هي عليه، فلا هي صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لا تنثني ولا تتصرّف في الأعمال، ولا هي على غاية اللّين والرخاوة فكانت لا

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ و٨.

تتحامل ولا تستقلّ بأنفسها، فجعلت من لحم رخو تنثني، تتداخله عظام صلاب، يمسكه عصب وعروق تشدُّه ويضمُّ بعضه إلى بعض، وغلفت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كلّه، ومن أشباه ذلك هذه التماثيل الّتي تعمل من العيدان وتلفّ بالخرق تشدّ بالخيوط ويطلى فوق ذلك بالصمغ فتكون العيدان بمنزلة العظام، والخرق بمنزلة اللّحم، والخيوط بمنزلة العصب والعروق، والطلاء بمنزلة الجلد، فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرّك حدث بالاهمال من غير صانع جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة، فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحريّ أنّ لا يجوز في الحيوان.

وفكّر بعد هذا في أجساد الأنعام فإنّها حين خلقت على أبدان الانس من اللحم والعظم والعصب أُعطيت أيضاً السمع والبصر ليبلغ الإنسان حاجته، فإنّها لو كانت عمياً صمّاً لما انتفع بها الإنسان، ولا تصرّفت في شيء من مآربه، ثمّ منعت الذهن والعقل لتذلّ للإنسان فلا تمتنع عليه إذا كدّها الكدّ الشديد وحملها الحمل الثقيل.

فإن قال قائل: إنّه قد يكون للإنسان عبيد من الانس يذلّون ويذعنون بالكدّ الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن، فيقال في جواب ذلك: إنَّ هذا الصنف من الناس قليل، فأمّا أكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدوابُّ من الحمل والطحن وما أشبه ذلك، ولا يغرون بما يحتاج إليه منه، ثمّ لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال، لأنّه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد إلى عدّة أناسيّ فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتّى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات، مع مايلحقهم من التعب الفادح في أبدانهم، والضيق والكدّ في معاشهم.

ايضاح: مدير الأدوار لعلّ فيه مضافاً محذوفاً أي ذوي الأدوار، أو الإسناد مجازيٌّ.

وفي بعض النسخ بالباء الموحّدة وهو أظهر. والأكوار جمع كَور بالفتح، وهو الجماعة الكثيرة من الإبل والقطيع من الغنم، ويقال: كلّ دوركور. والمراد إمّا استئناف قرن بعد قرن وزمان بعد زمان، أو إعادة أهل الأدوار جميعاً في القيامة، والأوّل أظهر. وقال الجزريّ: قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثمّ ينقرضون فيأتي طبق آخر. قوله عليه‌السلام : في نظائر أي قالها في ضمن نظائر لها أو مع نظائرها. قوله عليه‌السلام : إنّما هي أي المثوبات والعقوبات أعمالكم أي جزاؤها والعمه التحيّر والتردّد. والحيد: الميل. والمدرجة: المذهب والمسلك. وزحزحه: أبعده. والانثناء: الانعطاف والميل. قوله عليه‌السلام : ولا يغرون في بعض النسخ بالغين المعجمة والراء المهملة على بناء المفعول من قولهم: أغريت الكلب بالصيد؛ أي لا يوثر فيهم الإغراء والتحريص[1] على جميع الأعمال الّتي يحتاج إليها الخلق

(١) والتحريض: ظ.

من ذلك العمل الّذي تأتي به الدوابّ، وفي بعضها بالعين المهملة والزاي المعجمة من عزى من باب تعب أي صبر على ما نابه، والأوّل أظهر. والفادح من قولهم: فدحه الدَين أثقله. ثمّ اعلم أنّه ينبغي حمل السؤال على أنّه كان يمكن أنّ يكتفي بخلق الحيوانات لأنّ بعضهم ينقادون ويطيعون بعضاً فالجواب منطبق من غير تكلّف.

فكّر يا مفضّل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ماهي عليه بمافيه صلاح كلّ واحد منها، فالإنس لمّا قدروا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة وغير ذلك خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ، ليتمكّنوا من القبض على الأشياء وأوكدها هذه الصناعات، وآكلات اللّحم لمّا قدّر أن يكون معايشها من الصيد خلقت لهم أكفّ لطاف مدمّجة ذوات براثن ومخاليب تصلح لاخذ الصيد، ولا تصلح للصناعات، وآكلات النبات لمّا قدّر أنّ يكونوا لاذات صنعة ولاذات صيد خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاول طلب الرعي، ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض ليتهيأ للركوب والحمولة، تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد، وبراثن شداد، وأشداق وأفواه واسعة، فإنه لمّا قدر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك وأُعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخاليب مهيّأة لفعلها، ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أُعطيت ما لا تحتاج إليه لأنها لاتصيد ولا تأكل اللّحم، ولو كانت السباع ذوات اظلاف كانت قد منعت ماتحتاج إليه أعني السلاح الّذي به تصيد وتتعيّش، أفلا ترى كيف أُعطي بكلّ واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه.

انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أمّاتها مستقلّةً بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الانس، فمن أجل أنّه ليس عند امهاتها ماعند امهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالاكف والاصابع المهيأة لذلك اعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها، وكذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدرّاج والقبج تدرج وتلقط حين ينقاب عنها البيض. فأمّا ما كان منها ضعيفاً لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الأُمّهات فضل عطف عليها فصارت تمجّ الطعام في أفواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتّى تستقلّ بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرةً مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الأُمُ على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلٌّ أُعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير.

انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجاً لتتهيأ للمشي، ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك لأنّ الماشي ينقل قوائمه ويعتمد على بعض؛ فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة،

وذو الأربع ينقل اثنين ويعتمد على اثنين، وذلك من خلاف لأنّ ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لما يثبت على الأرض كما لايثبت السرير وما أشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره، وينقل الأخريين أيضاً من خلاف فيثبت على الأرض ولا يسقط إذا مشى.

أما ترى الحمار كيف يذلّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعماً، والبعير لا يطيقه عدّة رجال لواستعصى، كيف كان ينقاد للصبيّ؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتّى يضع النير على عنقه ويحرث به؟ والفرس الكريم يركب السيوف والأسنّة بالمواتاة لفارسه، والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرّقت الغنم فأخذ كلّ واحد منها في ناحية لم يلحقها، وكذلك جميع الأصناف مسخّرة للإنسان فبم كانت كذلك؟ إلاّ بأنها عدمت العقل والرويّة فإنّها لو كانت تعقل وتروّى في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه، حتّى يمتنع الجمل على قائده، والثور على صاحبه، وتتفرق الغنم عن راعيها، وأشباه هذا من الأمور، وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة أن تجتاحهم فمن كان يقوم للاسد والذئاب والنمورة والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس؟ أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من إقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثمّ لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها إلاّ بالليل؟ فهي مع صولتها كالخائف للانس بل مقموعة ممنوعة منهم، ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيعت عليهم ثمّ جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة اللّيل لحراسة منزل صاحبه، وذب الدغار عنه ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله، ويألفه غاية الألف حتّى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذا الألف إلاّ ليكون حارساً للإنسان، له عين بأنياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع الّتي يحميها ويخفرها.

بيان: وأوكدها أي أوكد الأشياء وأحوجها إلى هذا النوع من الخلق هذه الصناعات ويحتمل إرجاع الضمير إلى جنس البشر فيكون فعلاً أي ألزمها أو ألهمها هذه الصناعات ولا يبعد إرجاعه إلى الأكف أيضاً. قوله عليه السلام: مدمجة أي انضمّ بعضها إلى بعض. قال الجوهريُّ: دمج الشيء دموجاً إذا دخل في الشيء واستحكم فيه، وأدمجت الشيء إذا لفّفته في ثوب، وفي بعض النسخ: مدبحة بالباء والحاء المهملة، ولعلّ المراد معوّجة من قولهم: دبّح تدبيحاً أي بسط ظهره وطأطأ رأسه، وهو تصحيف. والبراثن من السباع والطير بمنزلة الاصابع من الإنسان. والمخلب: ظفر البرثن. والململم بفتح اللاّمين: المجتمع المدوّر المصموم. والأخمص من باطن القدم مالا يصيب الأرض. والشدق: جانب الفم. والطعم بالضمّ: الطعام. والأمّات جمع الأم، وقيل: إنّما تستعمل في البهائم، وأمّا في الناس

فيقال: أمّهات. ويقال: قاب الطير بيضته فلقها فانقابت. واليمام حمام الوحش. والحُمر بضمّ الحاء وفتح الميم طائر وقد يشدّد الميم. ويقال: مجّ الرجل الطعام من فيه: إذا رمى به. والمودع من الخيل بفتح الدال: المستريح. ونير الفِدان بالكسر: الخشبة المعترضة في عنق الثورين، قوله عليه السلام يركب السيوف أي يستقبلها بجرأة كأنّه يركبها أو بمعنى يرتكب [أي يرتكب] مواجهتها. والمواتاة: الموافقة. والدبية كعنبة جمع الدبّ. ويقال: أحجم القوم أي نكصوا وتأخّروا وتهيّبوا أخذه. وساوره: واثبه. ويقال: حاميت عنه أي منعت منه. العين بالفتح: الغلظ في الجسم والخشونة. والخفر: المنع.

يا مفضّل تأمّل وجه الدابّة كيف هو، فإنّك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر مابين يديها لئلاّ تصدم حائطاً أو تتردّى في حفرة، وترى الفم مشقوقاً شقّاً في أسفل الخطم، ولو شقّ كمكان الفم من الإنسان في مقدّم الذقن لمّا استطاع أن يتناول به شيئاً من الأرض ألا ترى أنّ الإنسان لايتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر الآكلات؟ فلمّا لم يكن للدابّة يد تتناول به العلف جعل خطمها مشقوقاً من أسفله لتقبض به على العلف ثمّ تقضمه، وأُعينت بالجحفلة تتناول بها ما قرب وما بعد. اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فإنّه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعاً يواريهما ويسترهما، ومن منافعها فيه أنّ مابين الدبر ومراقي البطن منها وضر يجتمع عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبّة تذبّ به عن ذلك الموضع ومنها أنّ الدابّة تستريح إلى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة فإنّه لمّا كان قيامها على الأربع بأسرها وشغلت المقدّمتان بحمل البدن عن التصرّف والتقلّب كان لها في تحريك الذنب راحة؛ وفيه منافع اخرى يقصرعنها الوهم يعرف موقعها في وقت الحاجة إليها فمن ذلك أنّ الدابّة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الاخذ بذنبها، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم، ثمّ جعل ظهرها مسطّحاً مبطوحاً على قوائم أربع ليتمكّن من ركوبها، وجعل حياها بارزاً من ورائها ليتمكّن الفحل من ضربها، ولو كان أسفل البطن كمكان الفرج من المرأة لم يتمكّن الفحل منها، ألا ترى أنّه لا يستطيع أنّ يأتيها كفاحاً كما يأتي الرجل المرأة.

تأمّل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فإنّه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما إلى جوفه، ولولا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض لأنّه ليست له رقبة يمدها كسائر الأنعام، فلمّا عدم العنق أُعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله فيتناول به حاجته، فمن ذا الّذي عوّضه مكان العضو الّذي عدمه ما يقوم مقامه إلّا الرؤوف بخلقه؟ وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت الظلمة؟.

فإن قال قائل: فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الأنعام؟ قيل له: إنّ رأس الفيل وأُذنيه أمر عظيم وثقل ثقيل، ولو كان ذلك على عنق عظيمة لهدّها وأوهنها فجعل رأسه ملصقاً بجسمه

لكيلا ينال منه ما وصفنا، وخلق له مكان العنق هذاالمشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفياً ما فيه بلوغ حاجته.

انظر الآن كيف جعل حياء الأُنثى من الفيلة في أسفل بطنها فإذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتّى يتمكّن الفحل من ضربها، فاعتبر كيف جعل حياء الأُنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام ثمَّ جعلت فيه هذه الخلّة ليتهيّأ للأمرالّذي فيه قوام النسل ودوامه.

فكّر في خلق الزرافة واختلاف أعضائها وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان؛ فرأسها رأس فرس، وعنقها عنق جمل، وأظلافها أظلاف بقرة، وجلدها جلد نمر؛ وزعم ناس من الجهّال بالله عزّوجلّ أنَّ نتاجها من فحول شتّى قالوا: وسبب ذلك أنّ أصنافاً من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الّذي هو كالملتقط من أصناف شتّى، وهذا جهل من قائله وقلة معرفته بالباريء جلّ قدسه، وليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلَّ صنف؛ فلا الفرس يلقح الجمل، ولا الجمل يلقح البقر، وإنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمارة فيخرج بينهما البغل، ويلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السمع، على أنّه ليس يكون في الّذي يخرج من بينهما عضو من كلّ واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس، وعضو من الجمل، وأظلاف من البقرة، بل يكون كالمتوسّط بينهما الممتزج منهما كالّذي تراه في البغل، فإنّك ترى رأسه وأذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار، وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار، فهذا دليل على أنّه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتّى من الحيوان كما زعم الجاهلون، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته الّتي لايعجزها شيء، وليعلم أنّه خالق أصناف الحيوان كلّها، يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيّها شاء ويفرّق ما شاء منها في أيّها شاء، ويزيد في الخلقة ماشاء، وينقص منها ماشاء، دلالةً على قدرته على الأشياء، وأنّه لا يعجزه شيءٌ أراده جلَّ وتعالى، فأمّا طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فإنَّ منشأها ومرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقة ذاهبة طولاً في الهواء فهي تحتاج إلى طول العنق لتتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتتقوّت من ثمارها.

تأمّل خلق القِرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر، وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء الإنسان، وخصّ من ذلك بالذهن والفطنة الّتي بها يفهم عن سائسه ما يومي إليه، ويحكي كثيراً ممّا يرى الإنسان يفعله حتى أنّه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه أنّ يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنّه من طينة البهائم وسنخها إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب، وأنّه لولا فضيلة فضّله الله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم، على أنّ في جسم القرد فضولاً أُخرى يفرق بينه وبين الإنسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلّل للجسم كلّه، وهذا لم يكن

مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه، والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان بالصحّة هو النقص في العقل والذهن والنطق.

بيان: شخص البصر: ارتفع، وشخص الرجل بصره: إذا فتح عينيه. والخطم بالفتح من كلّ طائر منقاره ومن كلّ دابّة مقدّم أنفه وفمه. وقضم كسمع: أكل بأطراف أسنانه. والجحفلة بمنزلة الشفة للبغال والحمير والخيل، وهي بتقديم الجيم على الحاء المهملة. والطبق محرّكة: غطاء كلّ شيء. والحياء: الفرج. والمراد بمراقي البطن ما ارتفع منه من وسطه أو قرب منه. والوضر: الدرن. والمذبّة بكسر الميم: ما يذبّ به الذباب. وبطحه: ألقاه على وجهه. وكفحته كفحاً وكفاحاً: إذا استقبلته. والمشفر من البعير كالجحفلة من الفرس. وقال الجوهريّ: الزَرافة والزُرافة بفتح الزاي وضمّها مخفّفة الفاء: دابّةٌ يقال لها بالفارسيّة: اشتر كاو بلنك. وقال الفيروزآبادي: السمع بكسر السين وسكون الميم: ولد الذئب من الضبع لايموت حتف أنفه كالحية، وعدوه أسرع من الطير، ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعاً. وقال: شحيج البغل والحمار: صوته والغياطل: جمع الغيطل وهو الشجر الكثير الملتفّ. قوله عليه السلام: أن يكون أي خلق كذلك لأن يكون عبرة للإنسان. والسنخ بالكسر: الأصل. قوله: بالصحّة هو النقص في العقل أي الفصل الصحيح الّذي يصلح واقعاً أن يكون فاصلاً. وفي أكثر النسخ: «وهو» وعلى هذا لا يبعد أن تكون تصحيف القحة أي قلة الحياء.

انظر يا مفضّل إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامهم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من البرد وكثرة الآفات، وألبست قوائمها الأظلاف والحوافر والأخفاف ليقيها من الحفاء، إذ كانت لا أيدي لها ولا أكفّ ولا أصابع مهيّأة للمغزل والذبح فكفّوا بأن جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها والاستبدال بها، فأمّا الإنسان فإنّه ذو حيلة وكفّ مهيّأة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتّخذ لنفسه الكسوة، ويستبدل بها حالاً بعد حال، وله في ذلك صلاح من جهات؛ من ذلك: أنّه يشتغل بصنعة اللّباس عن العبث وما يخرجه إليه الكفاية؛ ومنها: أنّه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء؛ ومنها: أن يتّخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها جمال وروعة فيتلذّذ بلبسها وتبديلها. وكذلك يتّخذ بالرفق من الصنعة ضروباً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه، وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم، ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم، فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر، والأخفاف مقام الحذاء.

بيان: قال الجوهريّ: قال الكسائيّ: رجل حاف بيّن الحفوة والحفاء بالمدّ، وهو الّذي يمشي بلا خفّ ولانعل، وقال: وأمّا الّذي حفي من كثرة المشي أي رقت قدمه أو حافره فإنّه حفٍ بيّن الحفا مقصوراً، وأحفاه غيره. انتهى. قوله عليه السلام: وروعة من قولهم: راعني الشيء: أعجبني.

فكّر يا مفضّل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم، فإنّهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم، وإلّا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لايرى منها شيء؟ وليست قليلةً فتخفى لقلّتها؛ بل لوقال قائل: إنّها أكثر من الناس لصدق، فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الظبا والمها والحمير والوعول والايائل وغير ذلك من الوحوش، وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها، وضروب الهوامّ والحشرات ودوابّ الأرض، وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والاوز والكراكي والحمام وسباع الطير جميعاً وكلها لايرى منها شيءٌ إذا ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع فإذا أحسّوا بالموت كمنوا في مواضع خفيّة فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتّى تفسد رائحة الهواء، ويحدث الامراض والوباء، فانظر إلى هذا الّذي يخلص إليه الناس وعملوه بالتمثيل الأوّل الّذي مثّل لهم كيف جعل طبعاً وادّكاراً في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرة ما يحدث عليهم من الامراض والفساد.

توضيح: السرب - بالكسر - والسربة: القطيع من الظباء والقطا والخيل ونحوها والجمع أسراب. والمهاة: البقرة الوحشيّة والجمع مها. والوعل - بالفتح وككتف -: تيس الجبل والجمع: وعال ووعول. والأُيل بضمّ الهمزة وكسرها وفتح الياء المشددة وكسيّد: الذكر من الأوعال، ويقال: هو الّذي يسمى بالفارسيّة: «كوزن» والجمع أيائيل. والقانص: الصائد. وخلص إليه: وصل. والمراد بالتمثيل ماذكره الله تعالى في قصّة قابيل. والمعرّة: الأذى.

فكّر يا مفضّل في الفطن الّتي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفاً من الله عزّوجلّ لهم، لئلاّ يخلو من نعمه عزّوجلّ أحد من خلقه لا بعقل ورويّة فإن الأُيّل يأكل الحيّات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أن يدبّ السمُّ في جسمه فيقتله، ويقف على الغدير وهو مجهود عطشاً، فيعجُّ عجيجاً عالياً ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته[1]، فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمّل الظمأ الغالب خوفاً من المضرّة في الشرب، وذلك ممّا لا يكاد الإنسان العاقل المميّز يضبطه من نفسه؛ والثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتّى يحسبه الطير ميّتاً فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها؛ فمن أعان الثعلب العديم النطق والرويّة بهذه الحيلة إلاّ من توكّل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه؟ فإنّه لمّا كان الثعلب يضعف عن كثير ممّا تقوى عليه السباع من مساورة الصيد أُعين بالدهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه، والدُلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويشرحه حتّى يطفو على الماء، يكمن تحته ويثوّر الماء الّذي عليه حتّى لايتبيّن شخصه، فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها، فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة؟.

---

(١) ذكر في كتاب حياة الحيوان للدميري أعاجيب وخواص له فراجع [النمازي].

قال المفضّل: فقلت: خبّرني يامولاي عن التنّين والسحاب، فقال عليه السلام: إنَّ السحاب كالموكّل به يختطفه حيثما ثقفه، كما يختطف حجر المغناطيس الحديد؛ فهو لايطلع رأسه في الأرض خوفاً من السحاب ولايخرج إلّا في القيظ مرّةً إذا صحت السماء فلم يكن فيه نكتة من غيمة؛ قلت: فلمَ وكّل السحاب بالتنّين يرصده ويختطفه إذا وجده؟ قال: ليدفع عن الناس مضرّته.

بيان: قوله: لابعقل ورويّة، لعلَّ المراد أنَّ هذه الأُمور من محض لطفه تعالى حيث يلهمهم ذلك لابعقل ورويّة، وفي أكثر النسخ: لا بعقل ومروته؛ وهو تصحيف والمراد معلوم. والجهد: الطاقة والمشقة أي أصابته مشقّة عظيمة من العطش. والعجيج: الصياح ورفع الصوت. وأعوزه الشيء أي احتاج إليه. والتماوت: إظهار الموت حيلة. والمساورة: هي الوثوب على وجه الصيد. وقال الفيروزآباديُّ: الدلفين بالضمّ دابّة بحريّة تنجي الغريق وقوله عليه السلام: يثور الماء أي يهيّجه ويحرّكه. والتنين: حيّة عظيمة معروفة. وثقفه أي وجده. والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريّا إلى طلوع سهيل. والصحو: ذهاب الغيم.

قال المفضّل: فقلت: قد وصفت لي يا مولاي من أمر البهائم مافيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرّة والنمل والطير؛ فقال عليه السلام:

يا مفضّل تأمّل وجه الذرّة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عمّا فيه صلاحها؟ فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرّة إلّا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره؟.

انظر إلى النمل واحتشادها في جمع القوت وإعداده، فإنّك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحبّ إلى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل في ذلك من الجدّ والتشمير ماليس للناس مثله؛ أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل؟ ثمّ يعمدون إلى الحبّ فيقطعونه قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتّى يجف؛ ثمَّ لا يتّخذ النمل الزبية إلّا في نشر من الأرض كي لا يفيض السيل فيغرقها فكلّ هذا منه بلا عقل ولا رويّة بل خلقة خُلقَ عليها لمصلحة لطفاً من الله عزّوجلّ.

انظر إلى هذا الّذي يقال له: اللّيث، وتسمّيه العامّة أسد الذباب، وما أُعطي من الحيلة والرفق في معاشه، فإنّك تراه حين يحسّ بالذباب قد وقع قريباً منه تركه مليّاً حتّى كأنّه موات لاحراك به، فإذا رأى الذباب قد اطمأنّ وغفل عنه دبّ دبيباً دقيقاً حتّى يكون منه بحيث يناله وثبة ثمّ يثب عليه فيأخذه فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كلّه مخافة أن ينجو منه فلا يزال قابضاً عليه حتّى يحسّ بأنّه قد ضعف واسترخى ثمّ يقبل عليه فيفترسه ويحيى بذلك منه؛ فأمّا العنكبوت فإنّه ينسج ذلك النسج فيتّخذه شركاً ومصيدةً للذباب ثمّ يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب أجال عليه يلدغه ساعةً بعد ساعه فيعيش بذلك منه فكذلك يحكى صيد الكلاب والفهود، وهكذا يحكى صيد الأشراك والحبائل.

فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الإنسان إلّا بالحيلة واستعمال آلات فيها، فلا تزدر بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحةً كالذرّة والنملة وما أشبه ذلك فإن المعنى النفيس قد يمثّل بالشيء الحقير فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

بيان: الاحتشاد: الاجتماع. والزبية بالضمّ: الحفرة. والنشر بالفتح وبالتحريك: المكان المرتفع. وقال الجوهريّ: اللّيث: الأسد وضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب انتهى. والموات بالفتح: ما لا روح فيه. ويقال: ما به حراك كسحاب أي حركة. والشرك بالتحريك: حبالة الصائد. ويقال: أحال عليه السوط يضربه أي أقبل. قوله عليه السلام: فكذلك أي كفعل اللّيث. وقوله: هكذا أي كالعنكبوت. والازدراء: الاحتقار. قوله عليه السلام: فلا يضع منه أي لاينقص من قدر المعنى النفيس تمثيله بالشيء الحقير، قال الفيروزآباديّ: وضع عنه: حطّ من قدره.

تأمّل يا مفضّل جسم الطائر وخلقته فإنّه حين قدّر أن يكون طائراً في الجوّ خفّف جسمه وأدمج خلقه، فاقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الاصابع الخمس على أربع، ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما، ثمّ خلق ذا جؤجؤ محدّد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه، كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشقّ الماء وتنفذ فيه، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران، وكسي كلّه الريش ليداخله الهواء فيقلّه، ولمّا قدّر أن يكون طعمه الحبّ واللّحم يبلعه بلعاً بلا مضغ نقص من خلقه الأسنان، وخلق له منقارصلب جاس يتناول به طعمه فلا ينسحج من لقط الحبّ، ولا يتقصّف من نهش اللّحم، ولمّا عدم الأسنان وصار يزدرد الحبّ صحيحاً واللّحم غريضاً أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعام طحناً يستغني به عن المضغ؛ واعتبر بذلك بأنّ عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الانس صحيحاً، ويطحن في أجواف الطير لايرى له أثر، ثمّ جعل مما يبيض بيضاً ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فإنّه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتّى تستحكم لأ ثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كلّ شيء من خلقه مشاكلاً للأمر الّذي قدّر أن يكون عليه ثمّ صار الطائر السائح في هذا الجوّ يقعد على بيضه فيحضنه أُسبوعاً، وبعضها أُسبوعين، وبعضها ثلاثة أسابيع حتّى يخرج الفرخ من البيضة ثمّ يقبل عليه فيزقّه الريح لتتّسع حوصلته للغذاء ثمّ يربّيه ويغذّيه بما يعيش به فمن كلّفه أن يلقط الطعم ويستخرجه بعد ان يستقرّ في حوصلته ويغذو به فراخه؟ ولأيّ معنى يحتمل هذه المشقّة وليس بذي رويّة ولا تفكّر؟ ولا يأمل في فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العزّ والرفد وبقاء الذكر؟ فهذا هو فعل يشهد بأنّه معطوف على فراخه، لعلّه لايعرفها ولا يفكّر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره.

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولاوكر

موطى بل تنبعث وتنتفخ وتقوقي وتمتنع من الطعام حتّى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلمَ كان ذلك منها إلاّ لإقامة النسل؟ ومن أخذها بإقامة النسل ولا رويّة ولا تفكّر لولا أنّها مجبولة على ذلك؟.

اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المحّ الأصفر الخاثر، والماء الأبيض الرقيق، فبعضه لينتشر منه الفرخ، وبعضه ليغذى به، إلى أن تنقاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير فإنّه لو كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحصنة الّتي لا مساغ لشيء إليها لجعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها، كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه.

فكّر في حوصلة الطائر وما قدّر له، فإنّ مسلك الطعام إلى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام إلاّ قليلاً قليلاً، فلو كان الطائر لا يلقط حبّةً ثانيةً حتّى تصل الأُولى إلى القانصة لطال عليه، ومتى كان يستوفي طعمه؟ فإنما يختلسه اختلاساً لشدة الحذر، فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلّقة أمامه ليوعي فيها ما أدرك من الطعام بسرعة ثمّ تنفذه إلى القانصة على مهل، وفي الحوصلة أيضاً خلّة أُخرى، فإنّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون ردّه للطعام من قرب أسهل عليه.

توضيح: أقلّه أي حمله ورفعه. وجسا كدعا: صلب ويبس. ويقال: سحجت جلده فانسحج أي قشرته فانقشر. والتقصّف: التكسّر. والغريض الطريّ، أي غير مطبوخ. والعجم بالتحريك: النوى وحضن الطائر بيضه يحضنه: ذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه. وزق الطائر فرخه يزقّه أي أطعمه بفيه. وتقوقي أي تصيح. والمحّ بضمّ الميم والحاء المهملة: صفرة البيض، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة: وقال الاصمعيّ: اخثرت الزبد: تركته خاثراً، وذلك إذا لم تذبه. وتنقاب اي تنفلق.

قال المفضّل: فقلت يا مولاي إنّ قوماً من المعطّلة يزعمون أنّ اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنّما يكون من قبل امتزاج الأخلاط واختلاف مقاديرها بالمرج والإهمال. فقال:

يا مفضّل هذا الوشي الّذي تراه في الطواويس والدرّاج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما يخطّ بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف؟ ولو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفاً.

تأمّل ريش الطير كيف هو؟ فإنّك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلك دقاق قد أُلف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة، ثمّ ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح قليلاً ولا ينشقّ لتداخله الريح فيقلّ الطائر إذا طار، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الّذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته، وهو القصبة الّتي هو في وسط الريشة، وهو مع ذلك أجوف ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران.

بيان: المرج بالتحريك: الفساد والاضطراب والاختلاط. وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة والأوّل أظهر والوشي: نقش الثوب ويكون من كلّ لون. والسلوك: جمع السلك وهو جمع السلكة - بالكسر -: الخيط يخاط به.

هل رأيت يا مفضّل هذا الطائر الطويل الساقين؟ وعرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه؟ فإنّه أكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنّه ربيئة فوق مرقب وهو يتأمّل ما دبّ في الماء فإذا رأى شيئاً ممّا يتقوّت به خطا خطوات رقيقاً حتّى يتناوله، ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعرمنه فيتفرّق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولايفسد عليه مطلبه.

تأمّل ضروب التدبير في خلق الطائر فإنّك تجد كلّ طائر طويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكّن من تناول طعامه من الأرض ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، وربّما أُعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولة له وإمكاناً أفلا ترى أنّك لا تفتّش شيئاً من الخلقة إلّا وجدته على غاية الصواب والحكمة؟.

توضيح: ماء ضحضاح أي قريب القعر. والربيئة بالهمز: العين والطليعة الّذي ينظر للقوم لئلاّ يدهمهم عدوٌّ، ولا يكون إلّا على جبل أو شرف. والمرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب. والذعر: الخوف.

انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار فهي لاتفقده؟ ولا هي تجده مجموعاً معدّاً بل تناله بالحركة والطلب، وكذلك الخلق كلّه فسبحان من قدّر الرزق كيف قوّته؟ فلم يجعل ممّا لا يقدر عليه إذ جعل للخلق حاجة إليه ولم يجعله مبذولاً وينال بالهوينا إذ كان لا صلاح في ذلك فإنّه لو كان يوجد مجموعاً معداً كانت البهائم تتقلّب عليه ولا تنقلع [عنه] حتّى تبشم فتهلك، وكان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ إلى غاية الاشر والبطر حتّى يكثر الفساد ويظهر الفواحش.

أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير الّتي لا تخرج إلاّ باللّيل كمثل البوم والهام والخفّاش؟ قلت: لا يا مولاي، قال: إنّ معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجوّ من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب، وذلك أنّ هذه الضروب مبثوثة في الجوّ لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بأنّك إذا وضعت سراجاً باللّيل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كثير فمن أين يأتي ذلك كلّه إلاّ من القرب؟.

فإن قال قائل: إنّه يأتي من الصحاري والبراري: قيل له: كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد؟ وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه؟ مع أنّ هذه عياناً تتهافت على السراج من قرب فيدلّ ذلك على أنّها منتشرة في كلّ موضع من الجوّ، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوت بها.

فانظر كيف وجّه الرزق لهذه الطيور الّتي لا تخرج إلاّ باللّيل من هذه الضروب المنتشرة في الجوّ؛ واعرف مع ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة الّتي عسى أن يظنّ ظانٌّ أنّها فضل لامعنى له؛ خلق الخفّاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الأربع [بل هو إلى ذوات الأربع] أقرب، وذلك أنّه ذو أذنين ناشزتين وأسنان ووبر وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول ويمشي إذا مشى على أربع، وكلُّ هذا خلاف صفة الطير، ثمّ هو أيضاً ممّا يخرج باللّيل ويتقوّت مما يسري في الجوّ من الفراش وما أشبهه؛ وقد قال قائلون: إنّه لا طُعم للخفّاش، وإنّ غذاءه من النسيم وحده، وذلك يفسد ويبطل من جهتين: إحداهما خروج ما يخرج منه من الثفل والبول فإنّ هذا لا يكون من غير طُعم، والأُخرى أنّه ذو أسنان ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنىً، وليس في الخلقة شيء لا معنى له؛ وأمّا المآرب فيه فمعروفة حتّى أنّ زبله يدخل في بعض الأعمال؛ ومن أعظم الإرب فيه خلقته العجيبة الدالّة على قدرة الخالق جلّ شأنه، وتصرّفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة. فأمّا الطائر الصغير الّذي يقال له: «ابن تمرة» فقد عشّش في بعض الأوقات في بعض الشجر فنظر إلى حيّة عظيمة قد أقبلت نحو عشّه فاغرةً فاها لتبلعه فبينما هو يتقلّب ويضطرب في طلب حيلة منها إذ وجد حسكة فحملها فألقاها في فم الحيّة، فلم تزل الحيّة تلتوي وتتقلّب حتّى ماتت. أفرأيت لو لم أُخبرك بذلك كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنّه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة؟ اعتبر بهذا وكثير من الأشياء تكون فيها منافع لا تعرف إلاّ بحادث يحدث به أو خبر يسمع به.

انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل، وتهيئة البيوت المسدّسة وما ترى في ذلك اجتماعه من دقائق الفطنة فانّك إذا تأمّلت العمل رأيته عجيباً لطيفاً، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبيّاً جاهلاً بنفسه فضلاً عما سوى ذلك، ففي هذا أوضح الدلالة على أنّ الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة الناس.

انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه فإنّك إذا تأمّلت خلقه رأيته كأضعف الأشياء، وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه. ألا ترى أنّ ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك؟ أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه؟ انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشي السهل والجبل والبدو والحضر، حتّى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا ممّا يصنع بالأيدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة، وفي كم من سنة كان يرتفع فاستدلّ بذلك على القدرة الّتي لا يؤودها شيء ويكثر عليها.

تأمّل خلق السمك ومشاكلته للأمر الّذي قدّر أن يكون عليه فإنّه خلق غير ذي قوائم لأنّه لا

يحتاج إلى المشي إذ كان مسكنه الماء، وخلق غير ذي رئة لأنّه لا يستطيع أنْ يتنفّس وهو منغمس في اللّجّة، جعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاّح بالمجاذيف من جانبي السفينة، وكسي جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات فأعين بفضل حسّ في الشمّ لأنّ بصره ضعيف والماء يحجبه، فصار يشمّ الطعم من البعد البعيد فينتجعه، وإلاّ فكيف يعلم به وبموضعه؟ واعلم أنّ من فيه إلى صماخيه منافذ فهو يعبّ الماء بفيه ويرسله من صماخيه فيتروّح إلى ذلك كما يتروّح غيره من الحيوان إلى تنسُّم هذا النسيم.

فكّر الآن في كثرة نسله وما خصّ به من ذلك فإنّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، والعلّة في ذلك أن يتّسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان فإنّ أكثرها يأكل السمك حتّى أنّ السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك فإذا مرَّ بها خطفته فلمّا كانت السباع تأكل السمك والطير يأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك، ودوابّ الماء والأصداف، والأصناف الّتي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلاّ الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث؛ مثل القرمز فإنّه إنّما عرف الناس صبغه بأنَّ كلبة تجول على شاطىء البحر فوجدت شيئاً من الصنف الّذي يسمّى الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتّخذوه صبغاً، وأشباه هذه ممّا يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان.

قال المفضّل: حان وقت الزوال فقام مولاي عليه السلام إلى الصلاة، وقال: بكّر إليَّ غداً إن شاء الله تعالى فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفتنيه، مبتهجاً بما منحنيه، حامداً لله على ما آتانيه فبتُّ ليلتي مسروراً مبتهجاً.

بيان: البشم محرّكة: التخمة والسأمة. بشم كفرح وأبشمه الطعام. والفراش هي الّتي تقع في السراج. واليعسوب. أمير النحل وطائر أصغر من الجرادة أو أعظم. وقوله عليه السلام: ناشزتين بالمعجمة أي مرتفعتين، وفي بعض النسخ بالمهملة أي مبسوطتين. والسُرى: السير باللّيل. وقال الفيروزآباديّ: والتمّرة كقبّرة وابن تمّرة طائر أصغر من العصفور. انتهى. وفغر فاه أي فتحه، والحسك محرّكةً: نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم. قوله عليه السلام: غبيّاً جاهلاً أي ليس له عقل يتصرّف في سائر الأشياء على نحو تصرّفه في ذلك الأمر المخصوص فظهر أنّ خصوص هذا الأمر إلهام من مدبّر حكيم، أو خلقة وطبيعة جبله عليها، ليصدر عنه خصوص هذا الأمر لما فيه من المصلحة مع كونه غافلاً عن المصلحة أيضاً، ولعلّ هذا يؤيّد ما يقال:

إن الحيوانات العجم غير مدركة للكلّيّات ويقال: دلفت الكتيبة في الحرب أي تقدّمت، ويقال: دلفناهم؛ فالعساكر تحتمل الرفع والنصب. والرجل بالفتح جمع راجل: خلاف الفارس. وانساب: جرى ومشى مسرعاً. ولا يؤودها أي لا يثقلها. ولجّة الماء: معظمه، والمجذاف: ما تجري به السفينة. وانتجع: طلب الكلأ في موضع. وحافات الآجام: جوانبها. وعكف على الشيء: أقبل عليه مواظباً. وقال الفيروزآباديّ: القرمز: صبغ أرمنيّ يكون من عصارة دود في آجامهم. وقال: الحلزون - محركة - دابّة تكون في الرمث أي بعض مراعي الإبل، ويظهر من كلامه عليه السلام اتّحادهما، ويحتمل أن يكون المراد أنّ من صبغ الحلزون تفطّنوا بإعمال القرمز للصبغ لتشابههما. تم المجلس الثاني.

المجلس الثالث: قال المفضّل: فلمّا كان اليوم الثالث بكّرت إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست، فقال عليه السلام: الحمد لله الّذي اصطفانا ولم يصطف علينا، اصطفانا بعلمه، وأيّدنا بحلمه، من شذ عنّا فالنار مأواه، ومن تفيّأ بظلّ دوحتنا فالجنّة مثواه، قد شرحت لك يا مفضّل خلق الإنسان وما دبّربه وتنقّله في أحواله وما فيه من الاعتبار، وشرحت لك أمر الحيوان، وأنا أبتدىء الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك واللّيل والنهار والحرّ والبرد والرياح والجواهر الاربعة: الأرض والماء والهواء والنار؛ والمطر والصخر والجبال والطين والحجارة والمعادن والنبات والنخل والشجر وما في ذلك من الادلة والعبر.

فكّر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإنّ هذا اللّون أشدّ الألوان موافقة للبصر وتقوية حتّى أنّ من صفات الأطبّاء لمن أصابه شيء أضرّ ببصره إدمان النظر إلى الخضره وما قرب منها إلى السواد، وقد وصف الحذّاق منهم لمن كلّ بصره الاطلاع في إجّانة خضراء مملوءة ماءاً، فانظر كيف جعل الله عزّوجلّ أديم السماء بهذا اللّون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المنقلبة عليه فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الّذي أدركه الناس بالفكر والرويّة والتجارب يوجد مفروغاً منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون، ويفكّر فيها الملحدون، ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

بيان: اصطفانا بعلمه أي اختارنا وفضّلنا على الخلق بأن أعطانا من علمه مالم يعط أحداً. وأيّدنا بحلمه أي قوّانا على تبليغ الرسالة بما حلاّنا به من حلمه لنصبر على ما يلقانا من أذى الناس وتكذيبهم. والدوحة: الشجرة العظيمة. والصخر: الحجر العظام. وأديم السماء: وجهها، كما يطلق أديم الأرض على وجهها، ويمكن أن يكون عليه السلام شبّهها بالأديم. وقوله عليه السلام: حكمة بالغة بالرفع خبر مبتدأ محذوف؛ أو بالنصب بالحاليّة أو بكونه مفعولاً لأجله.

فكّر يا مفضّل في طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتي النهار واللّيل فلولا طلوعها بطل

أمر العالم كلّه فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرّفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم، ولم يكونوا يتهنّؤون بالعيش مع فقدهم لذّة النور وروحه، والإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره والزيادة في شرحه بل تأمّل المنفعة في غروبها؛ فلولا غروبها لم يكن للناس هدوءٌ ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء والراحة لسكون أبدانهم وجموم حواسّهم وانبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء ثمّ كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم فإنّ كثيراً من الناس لولا جثوم هذا اللّيل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوءٌ ولا قرار حرصاً على الكسب والجمع والادّخار ثمّ كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها وتحمي كلّ ما عليها من حيوان ونبات فقدّرها الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتاً وتغرب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثمّ يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ويقرُّوا فصار النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه.

ثم فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة، وما في ذلك من التدبير والمصلحة؛ ففي الشتاء تعود الحرراة في الشجر والنبات فيتولّد فيهما موادُّ الثمار، ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر، وتشدُّ أبدان الحيوان وتقوى، وفي الربيع تتحرّك وتظهر المواد المتولّدة في الشتاء فيطلع النبات، وتنوّر الأشجار، ويهيج الحيوان للسفاد، وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار، وتتحلّل فضول الأبدان، ويجفّ وجه الأرض فتهيأ للبناء والأعمال، وفي الخريف يصفو الهواء، وترتفع الأمراض، وتصحّ الأبدان ويمتدُّ اللّيل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله، ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أُخرى لو تقصّيت لذكرها لطال فيها الكلام.

فكّر الآن في تنقّل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة، وما في ذلك من التدبير فهو الدور الّذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة: الشتاء، والربيع، والصيف، والخريف؛ ويستوفيها على التمام، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلاّت والثمار، وتنتهي إلى غاياتها، ثمّ تعود فيستأنف النشوء والنموّ، ألا ترى أنّ السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالمَ إلى كلّ وقت وعصر من غابر الأيّام، وبها يحسب الناس الأعمال والأوقات الموقّتة للديون والإجارات والمعاملات وغير ذلك من أُمورهم، وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحّة.

انظر إلى شروقها على العالم كيف دبّر أنّ يكون فإنّها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات لأنّ الجبال والجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أوّل النهار من المشرق فتشرق على ماقابلها من وجه المغرب

ثمّ لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتّى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أوّل النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلاّ أخذ بقسطه من المنفعة منها، والإرب الّتي قدّرت له، ولو تخلّفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة الّتي لم تكن عندهم فيها حيلة؟ فصارت تجري على مجاريها لا تعتلّ ولا تتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه.

استدلّ بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامّة في معرفة الشهور، ولا يقوم عليه حساب السنة، لأنّ دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار وتصرّمها، ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلّف عن شهور الشمس وسنيها، وصار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف.

فكّر في إنارته في ظلمة اللّيل والإرب في ذلك فإنّه مع الحاجة إلى الظلمة لهدوء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون اللّيل ظلمة داجية لاضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل؛ لأنّه ربّما احتاج الناس إلى العمل باللّيل لضيق الوقت عليهم في تقضّي الأعمال بالنهار أو لشدّة الحرّ وإفراطه فيعمل في ضوء القمر أعمالاً شتّى كحرث الأرض، وضرب اللّبن، وقطع الخشب، وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وأنساً للسائرين، وجعل طلوعه في بعض اللّيل دون بعض، ونقص مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار، ويمتنعوا من الهدوء والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرّف القمر خاصّة في مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرّف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون.

ايضاح: الدولة بالفتح والضمّ: انقلاب الزمان، ودالت الأيّام: دارت، والله يداولها بين الناس. وهدأ كمنع هدءاً وهدوءاً: سكن. ويقال: نكيت في العدوّ نكاية إذا قتلت فيهم وجرحت. وجثم الإنسان والطائر والنعم، يجثم جثماً وجثوماً: لزم مكانه لم يبرح، والمراد جثومهم في اللّيل. والتظاهر: التعاون. ونوّر الشجر أي أخرج نوره. وحدم النار: شدّة احتراقها. والتقضّي: بلوغ أقصى الشيء ونهايته. والغابر الباقي والماضي؛ والمراد هنا الثاني. وبزغت الشمس بزوغاً: شرقت، أو البزوغ ابتداء الطلوع. وقال الجوهريّ: اعتلّ عليه واعتلّه: إذا اعتاقه عن أمر. انتهى. وليلة داجية أي مظلمة.

فكّر يا مفضّل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلاّ مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين: أحدهما عامٌّ مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاصٌّ لنفسه نحو المشرق؛ كالنملة الّتي تدور على الرحى فالرحى تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في تلك

تتحرّك حركتين مختلفتين: إحداهما بنفسها فتتوجّه أمامها، والأُخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها؛ فاسئل الزاعمين أنّ النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلّها راتبة؟ أو تكون كلّها منتقلة؟ فإنّ الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير؟ ففي هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير، وليس بإهمال كما تزعم المعطّلة.

فإن قال قائل: ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً؟ قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبةً لبطلت الدلالات الّتي يستدلّ بها من تنقّل المنتقلة ومسيرها في كلّ برج من البروج؛ كما قد يستدلّ على أشياء ممّا يحدث في العالم بتنقّل الشمس والنجوم في منازلها، ولو كانت كلّها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لأنّه إنّما يوقف بمسير المنتقلة منها بتنقّلها في البروج الراتبة كما يستدلّ على سير السائر على الأرض بالمنازل الّتي يجتاز عليها، ولو كان تنقّلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها، ولساغ لقائل أن يقول: إنّ كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة الّتي وصفنا ففي أختلاف سيرها وتصرّفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها.

فكّر في هذه النجوم الّتي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريّا والجوزاء والشِعريين وسهيل فإنّها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض أمورها كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت، واحتجابها إذا احتجبت فصار ظهور كلّ واحد واحتجابه في وقت غير وقت الآخر لينتفع الناس بما يدلّ عليه كلّ واحد منها على حدته، وكما جعلت الثريّا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة فإنّها بمنزلة الأعلام الّتي يهتدي بها الناس في البرّ والبحر للطرق المجهولة، وذلك أنّها لا تغيب ولا تتوارى؛ فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب والمصلحة، وفيهما مآرب أُخرى: علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البرّ والبحر؛ وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحرّ والبرد، وبها يهتدي السائرون في ظلمة اللّيل لقطع القفار الموحشة، واللّجج الهائلة، مع ما في تردّدها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فإنّها تسير أسرع السير وأحثّه.

أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منّا حتّى يتبيّن لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن ستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها؟ كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالت واضطرمت في الجوّ، وكذلك أيضاً لو أنّ أُناساً كانوا في قبّة مكلّلة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حثيثاً لحارت أبصارهم حتّى يخرّوا لوجوههم فانظر كيف قدّر أن يكون مسيرها

في البعد البعيد لكيلا تضرّ في الأبصار وتنكأ فيها، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلّف عن مقدار الحاجه في مسيرها، وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسدّ مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر، ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف اللّيل، وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع أن يبرح مكانه فتأمّل اللّطلف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدّة لحاجة إليها، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب الّتي وصفنا.

فكّر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم في هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف اللّيل والنهار، وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض، وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالّذي بينت وشخّصت لك آنفاً، وهل يخفى على ذي لبّ أنّ هذا تقدير مقدّر، وصواب وحكمة من مقدّر حكيم؟.

فإن قال قائل: إنّ هذا شيء اتّفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات؟ فترى كلّ شيء من آلته مقدّراً بعضه يلقى بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبمَ كان يثبت هذا القول لو قاله؟ وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه؛ أفينكر أن يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض: إنّه كان بلا صانع ومقدّر، ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض وما عليها: إنه شيء اتّفق أنّ يكون بلا صنعة ولا تدبير؛ لو اعتلّ هذا الفلك كما تعتلّ الآلات الّتي تتّخذ للصناعات وغيرها أيُّ شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه؟.

بيان: قوله عليه السلام: لا تفارق مراكزها لعلّ المراد أنّه ليس لها حركة بيّنة ظاهرة كما في السيّارات، أو لا تختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب والبعد بأن تكون الجملة التالية مفسّرة لها، ويحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج الّتي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذاة تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج وإن انتقلت عن مواضعها، وعليه ينبغي أن يحمل قوله عليه السلام: وبعضها مطلقة تنتقل في البروج، أو على ما ذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرة بيّنة يعرفه كلّ أحد، والأوّل أظهر كما سيظهر من كلامه عليه السلام قوله: فإنّ الإهمال معنى واحد يحتمل أن يكون المراد أنّ الطبيعة أو الدهر اللذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثّرين كلّ منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة، ولا يمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مرَّ؛ أو المراد أنّ العقل يحكم أنّ مثل هذين الأمرين المتّسقين الجاريين على قانون الحكمة لا يكون إلاّ من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم؛ أو المراد أنّ الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلّة وترجيح الأمر الممكن من غير

مرجّح كما تزعمون أمر واحد حاصل فيهما، فلمَ صارت إحداهما راتبة؟ والأخرى منتقلة؟ ولمَ لم يعكس الأمر؟ والأوّل أظهر كما لا يخفى. قوله عليه السلام : لبطلت الدلالات ظاهره كون الاوضاع النجومية علامات للحوادث. قوله عليه السلام : في البروج الراتبة يدلّ ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنّه عليه السلام راعى في انتقال البروج محاذاة نفس الأشكال، وإن أمكن أن يكون المراد بيان حكمة بطء الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج ولو بقربها منها لكنّه بعيد. قوله عليه السلام : والشعريين قال الجوهري: الشعرى: الكوكب الّذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدّة الحرّ وهما الشِعريان الشعرى العبور الّتي في الجوزاء، والشعرى القميصاء الّتي في الذراع تزعم العرب أنّهما أُختا سهيل، انتهى. والقفار جمع قفر، وهو الخلاء من الأرض. وخطف البرق البصر: ذهب به. ووهج النار - بالتسكين -: توقدها. وقوله: حثيثاً أي مسرعاً. وتجافى أي لم يلزم مكانه. وبرح مكانه: زال عنه.

فكّر يا مفضّل في مقادير النهار واللّيل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كلّ واحد منهما إذا امتد إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك، أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كلّ ما في الأرض من حيوان ونبات؟.

أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول المدّة، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك سيهلكها أجمع ويؤديها إلى التلف؛ وأمّا النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتّى يجفّ ويحترق، وكذلك اللّيل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرّف في طلب المعاش حتّى تموت جوعاً، وتخمد الحرارة الطبيعيّة من النبات حتّى يعفن ويفسد، كالّذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.

اعتبر بهذا الحرّ والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصرّفان هذا التصرّف من الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثمّ هما بعد دباغ الأبدان الّتي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فإنّه لولا الحرّ والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت.

فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسّل فإنّك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء، والآخر يزيد مثل ذلك حتّى ينتهي كلّ واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان، ولو كان دخول إحداهما على الأُخرى مفاجأة لأضر ذلك بالأبدان وأسقمها كما أنّ أحدكم لو خرج من حمام حار إلى موضع البرودة لضرّه ذلك وأسقم بدنه فلمَ جعل الله عزّوجلّ هذا الترسّل في الحرّ والبرد إلاّ للسلامة من ضرر المفاجأة؟ ولمَ جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرّ المفاجأة لولا التدبير في ذلك؟ فإن زعم زاعم أنّ هذا الترسّل في دخول الحرّ والبرد

إنّما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلّة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها ؛ فإن اعتلّ في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلّة في ذلك فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقي من هذا القول حتّى استقرّ على العمد والتدبير ؛ لولا الحرّ لمّا كانت الثمار الجاسية المرّة تنضج فتلين وتعذب حتّى يتفكّه بها رطبة ويابسة ، ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ، ويريع الريع الكثير الّذي يتّسع للقوت وما يرد في الأرض للبذر أفلا ترى ما في الحرّ والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضّها ، وفي ذلك عبرة لمن فكّر ، ودلالة على أنّه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه .

بيان : قوله عليه السلام : لا يجاوز ذلك أي في معظم المعمورة . وقال الفيروزآباديّ : خوت الدار : تهدّمت ، والنجوم خيّاً : أمحلت فلم تمطر كأخوت . وقال : المتكث : المهزول . وقال : الترسّل : الرفق والتؤدة . انتهى . قوله عليه السلام : ببعد ما بين المشرقين أي المشرق والمغرب ، كناية عن عظم الدائرة الّتي يقطع عليها البروج أو مشرق الصيف والشتاء ، والاوّل أظهر . قوله عليه السلام : الجاسية أي الصلبة . ويتفكه بها أي يتمتّع بها . والريع : النماء والزيادة . وقال الجوهريّ : أمضّني الجرح إمضاضاً : إذا أوجعك ، وفيه لغة أخرى : مضّني الجرح ؛ ولم يعرفها الأصمعيّ .

وأنبهك يا مفضّل على الريح وما فيها ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الّذي يكاد أن يأتي على النفوس ، ويحرض الأصحّاء وينهك المرضى ، ويفسد الثمار ، ويعفن البقول ، ويعقب الوباء في الأبدان ، والآفات في الغلّات؟ ففي هذا بيان أنّ هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق .

وأنبّئك عن الهواء بخلّة أخرى فإنّ الصوت أثر يؤثّره اصطكاك الأجسام في الهواء ، والهواء يؤدّيه إلى المسامع ، والناس يتكلّمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم ، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه ، فكان يكربهم ويفدحهم ، وكانوا يحتاجو في تجديده والاستبدال به إلى أكثر ممّا يحتاج إليه في تجديد القراطيس لأنّ ما يلقى من الكلام أكثر ممّا يكتب فجعل الخلاق الحكيم جلّ قدسه هذا الهواء قرطاساً خفيّاً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثمّ يمحى فيعود جديداً نقيّاً ، ويحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع ، وحسبك بهذا النسيم المسمّى «هواء» عبرة ومافيه من المصالح فإنّه حياة هذه الابدان والممسك لها من داخل بما تستنشق منه ، ومن خارج بما تباشر من روحه ، وفيه تطّرد هذه الأصوات فيؤدّي بها من البعد البعيد ، وهو الحامل لهذه الأراييح ينقلها من موضع إلى موضع .

ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت ؛ وهو القابل لهذا الحرّ

والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه، ومنه هذه الريح الهابّة فالريح تروح عن الأجسام وتزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتّى يستكثف فيمطر، وتفضّه حتّى يستخفّ فيتفشّى، وتلقح الشجر، وتسير السفن، وترخي الأطعمة وتبرّد الماء، وتشبّ النار، وتجفّف الأشياء النديّة، وبالجملة إنّها تحيي كلّ ما في الأرض فلولا الريح لذوى النبات ومات الحيوان وحمّت الأشياء وفسدت.

توضيح: ركود الريح: سكونها. والحرض: فساد البدن. ويقال: نهكته الحمّى أي أضنته وهزلته. وقوله عليه السلام: والهواء يؤدّيه يدلّ على ما هو المنصور من تكيّف الهواء بكيفيّة الصوت على ما فصّل في محلّه. ويقال: كربه الأمر أي شقّ عليه وفدحه الدَين أي أثقله. وريثما فعل كذا أي قدر ما فعله. ويبلغ إمّا على بناء المجرّد فالعالم فاعله أو على التفعيل فالهواء فاعله والرَّوح بالفتح: الراحة ونسيم الريح. واطّرد الشيء: تبع بعضه بعضاً وجرى. والأراييح جمع للريح. وتزجي السحاب - على بناء الافعال - أي تسوقه. وتفضه أي تفرّقه. والتفشّي: الانتشار. وترخي الأطعمة - على التفعيل أو الإفعال - أي تصيرها رخوة لطيفة. وتشبُّ النار أي توقُدها.

فكّر يا مفضّل فيما خلق الله عزّ وجلّ عليه هذه الجواهر الأربعة ليتّسع ما يحتاج إليه منها، فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتّسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم وأحطابهم، والعقاقير العظيمة، والمعادن الجسيمة غناؤها، ولعلّ من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول: ما المنفعة فيها؟ فهي مأوى هذه الوحوش ومحالّها ومرعاها ثمّ فيها بعد متنفّس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم؛ فكم بيداءٍ وكم فدفد حالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها، ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيّق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا حزبه أمر يضطرّه إلى الانتقال عنه.

ثمّ فكّر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة فتكون موطناً مستقراً للأشياء فيتمكّن الناس من السعي عليها في مآربهم، والجلوس عليها لراحتهم، والنوم لهدئهم، والإتقان لأعمالهم فإنّها لو كانت رجراجة متكفّئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك، بل كانوا لا يتهنّؤون بالعيش والأرض ترتجّ من تحتهم؛ واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلّة مكثها حتّى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها.

فإن قال قائل: فلم صارت هذه الأرض تزلزل؟ قيل له: إنّ الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهّب بها الناس ليرعووا وينزعوا عن المعاصي، وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجرى في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم، ويدّخر لهم إن صلحوا

من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا، وربّما عجّل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للخاصّة والعامّة.

ثمّ إنّ الأرض في طباعها الّذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وإنّما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة، أفرأيت لو أنّ اليبس أفرط على الأرض قليلاً حتّى تكون حجراً صلداً أكانت تنبت هذا النبات الّذي به حياة الحيوان؟

وكان يمكن بها حرث أو بناء؟ أفلا ترى كيف تنصب من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللّين والرخاوة ولتهيّأ للاعتماد؟.

ومن تدبير الحكيم جلّ وعلا في خلقة الأرض أنّ مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب فلمَ جعل الله عزّوجلّ كذلك إلّا لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويها؟ ثمّ تفيض آخر ذلك إلى البحر فكأنّما يرفع أحد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلّة بعينها، ولولا ذلك لبقي الماء متحيّراً على وجه الأرض فكان يمنع الناس من إعمالها ويقطع الطرق والمسالك؛ ثمّ الماء لولا كثرته وتدفّقه في العيون والأودية والأنهار لضاق عمّا يحتاج الناس إليه لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم، وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاتهم، وشرب ما يرده من الوحوش والطير والسباع وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء؛ وفيه منافع أُخر أنت بها عارف وعن عظم موقعه غافل فإنه سوى الأمر الجليل المعروف من غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات يمزج بالأشربة فتلين وتطيب لشاربها، وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الّذي يغشاها، وبه يبلّ التراب فيصلح للاعتمال وبه يكفّ عادية النار إذا اضطرمت وأشرف الناس على المكروه، وبه يسيغ الغصّان ما غصّ به، وبه يستحم المتعب الكالّ فيجد الراحة من أوصابه، إلى أشباه هذا من المآرب الّتي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها.

فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت: ما الإرب فيه؟ فاعلم أنّه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك ودوابّ البحر، ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر، وأصناف شتّى تستخرج من البحر، وفي سواحله منابت العود والیلنجوج، وضروب من الطيب والعقاقير؛ ثمّ هو بعدُ مركب الناس ومحملٌ لهذه التجارات الّتي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق، ومن العراق إلى العراق فإنّ هذا التجارات لو لم يكن لها محمل إلّا على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها لأنّ أجر حملها كان يجاوز أثمانها فلا يتعرض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران: أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها، والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيش بفضلها؛ وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار الذي يتحيّر فيه، ويعجز عمّا يحوّل إلى السحاب والضباب أوّلاً أوّلاً وقد تقدّم من صفته ما فيه كفاية.

والنار أيضاً كذلك فإنّها لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه، ولم يكن بدّ من ظهورها في الأحايين لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الأخشاب، تلتمس عند الحاجة إليها، وتمسك بالمادّة والحطب ما احتيج إلى بقائها لئلاّ تخبو، فلا هي تمسك بالمادّة والحطب فتعظم المؤونة في ذلك، ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كلّ ما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها. ثمّ فيه خلّة أُخرى وهي أنّها ممّا خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فإنّه لو فقد النار لَعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فأمّا البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها، ولما قدّر الله عزّ وجلّ أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفّاً وأصابع مهيّأة لقدح النار واستعمالها، ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها أُعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان.

وأُنبّئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها، وهي هذا المصباح الّذي يتّخذه الناس فيقضون به حوائجهم ما شاءوا من ليلهم، ولولا هذه الخلّة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور؛ فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة اللّيل؟ وكيف كان حال من عرض له وجعٌ في وقت من أوقات اللّيل فاحتاج أن يعالج ضماداً، أو سفوفاً أو شيئاً يستشفي به؟ فأمّا منافعها في نضج الأطعمة ودفاء الأبدان وتجفيف أشياء وتحليل أشياء وأشباه ذلك فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى.

تبيان: العقاقير: أُصول الأدوية. والغناء بالفتح: المنفعة. والخاوية: الخالية. والفدفد: الفلاة، والمكان الصلب الغليظ والمرتفع، والأرض المستوية. والفسحة بالضمّ: السعة. ويقال: لي عن هذا الأمر مندوحة ومنتدح أي سعة. وحزبه أمرٌ أي أصابه. والراتبة. الثابتة. الراكنة: الساكنة. وهدأ هدءاً وهدوءاً: سكن. وقوله عليه السلام: رجراجة أي متزلزلة متحرّكة. والتكفّؤ: الانقلاب والتمايل والتحرّك. والارتجاج الاضطراب. والارعواء: الرجوع عن الجهل والكفّ عن القبيح والصّلد - ويكسر -: الصلب الأملس. قوله عليه السلام: كيف تنصب كذا في أكثر النسخ، والنصب يكون بمعنى الرفع والوضع، ولعل المراد هنا الثاني، والظاهر أنّه تصحيف نقصت أو نحوه. قوله عليه السلام: إنّ مهبّ الشمال أرفع أي بعدما خرجت الأرض من الكرويّة الحقيقيّة صار ما يلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع ممّا يلي الجنوب، ولذا ترى أكثر الأنهار كدجلة والفرات وغيرهما تجري من الشمال إلى الجنوب، ولما كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعاً للأرض في ارتفاعه وانخفاضه فلذا صارت العيون المتفجرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتّى تجري على وجه الأرض؛ ولذا حكموا بفوقيّة الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البئر والبالوعة، وإذا تأمّلت فيما ذكرنا يظهر لك ما بيّنه عليه السلام من الحكم في ذلك، وأنّه لاينافي كرويّة الأرض.

والتدفق: التصبب قوله عليه السلام: فإنّه سوى الأمر الجليل الضمير راجع إلى الماء وهو اسم إنّ ويمزج خبره أي للماء سوى النفع الجليل المعروف وهو - كونه سبباً لحياة كلّ شيء - منافع أخرى؛ منها: أنّه يمزج مع الأشربة. وقال الجوهريّ: الحميم: الماء الحارّ، وقد استحممت إذا اغتسلت به؛ ثمّ صار كلّ اغتسال استحماماً بأيّ ماء كان. انتهى. والوصب محرّكة: المرض. والمكتنف بفتح النون من الكنف بمعنى الحفظ والإحاطة، واكتنفه أي أحاط به، ويظهر منه أنّ نوعاً من الياقوت يتكوّن في البحر، وقيل: أطلق على المرجان مجازاً، ويحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالغوص وإن لم يتكوّن فيه. واليلنجوج: عود البخور. ومن العراق أي البصرة. وإلى العراق أي الكوفة أو بالعكس. قوله عليه السلام: ويعجز أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواء عمّا يستحيل الهواء إليه من السحاب والضباب التي تتكون من الهواء. أوّلاً أوّلاً أي تدريجاً أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لايتّسع لذلك. الضباب بالفتح: ندى كالغيم أو سحاب رقيق كالدخان. والأحايين جمع أحيان، وهو جمع حين بمعنى الدهر والزمان. قوله عليه السلام: فلا هي تمسك بالمادّة والحطب أي دائماً بحيث إذا انطفأت لم يمكن إعادتها. والمادّة: الزيادة المتّصلة، والمراد هنا الدهن ومثله. ودفاء الأبدان بالكسر: دفع البرد عنها.

فكّر يا مفضّل في الصحو والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه، ولودام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده ألا ترى أنّ الأمطار إذا توالت عفنت البقول والخضر، واسترخت أبدان الحيوان، وخصر الهواء فأحدث ضروباً من الأمراض، وفسدت الطرق والمسالك، وأنّ الصحو إذا دام جفّت الأرض، واحترق النبات، وغيض ماء العيون والأودية فأضرّ ذلك بالناس، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروباً أخرى من الأمراض فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كلّ واحد منهما عادية الآخر فصلحت الأشياء واستقامت.

فإن قال قائل: ولمَ لايكون في شيء من ذلك مضرّة البتّة؟ قيل له: ليمضّ ذلك الإنسان ويؤلمه بعض الألم فيرعوي عن المعاصي، فكما أنّ الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المرّة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك إذا طغى وأشر احتاج إلى ما يعضّه ويؤلمه ليرعوي ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حظّه ورشده، ولو أنّ ملكاً من الملوك قسّم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضّة ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت؟ فأين هذا من مطرة رواء؟ إذ يعمر به البلاد ويزيد في الغلاّت أكثر من قناطير الذهب والفضّة في أقاليم الأرض كلها.

أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون! وربّما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيذمر ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم

نفعه جهلاً بمحمود العاقبة وقلّة معرفة عظيم الغناء والمنفعة فيها. تأمّل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك، فإنّه جعل ينحدر عليها من علوّ ليتفشّى ما غلظ وارتفع منها فيروّيه، ولو كان إنّما يأتيها من بعض نواحيها لمّا علا على المواضع المشرفة منها ويقلّ ما يزرع في الأرض.

ألا ترى أنّ الّذي يزرع سيحاً أقلّ من ذلك فالأمطار هي الّتي تطبق الأرض؛ وربّما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلّة الكثيرة، وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع إلى موضع، وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتّى يستأثر بالماء ذوو العزة والقوة ويحرمه الضعفاء.

ثمّ إنّه حين قدّر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرشّ ليغور في قطر الأرض فيرويها، ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثمّ كان يحطم الزرع القائمة إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولاً رقيقاً فينبت الحبّ المزروع، ويحيي الأرض والزرع القائم، وفي نزوله أيضاً مصالح أُخرى فإنّه يليّن الأبدان، ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمّى باليرقان، إلى أشباه هذا من المنافع.

فإن قال قائل: أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه أو برد يكون فيه تحطم الغلات وبخورة يحدثها في الهواء فيولّد كثيراً من الأمراض في الأبدان والآفات في الغلاّت؟ قيل: بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفّه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه أرجح مما عسى أن يرزأ في ماله.

بيان: يعتقبان أي يأتي كلّ منهما عقيب صاحبه. وخصر الهواء بكسر الصاد المهملة، يقال: خصر يومنا أي اشتدّ برده، وماء خاصر: بارد، وفي أكثر النسخ بالحاء المهملة والسين من حسر أي كلّ، وهو لا يستقيم إلاّ بتكلّف وتجوّز، وفي بعضها بالخاء المعجة والثاء المثلّثة من قولهم: خثر اللّبن خثراً إذا غلظ. والبشع: الكريه الطعم الّذي يأخذ بالحلق. والقنطار: معيار، ويروى أنّه ألف ومائتا أوقية، ويقال: هو مائة وعشرون رطلاً، ويقال: هو ملء مسك الثور ذهباً. قوله عليه السلام: ويذهب له به الصوت، أي يملأ صيت كرمه وجوده الآفاق. والذمر: الملامة والتهدّد. قوله: ليتفشّي التفشّي: الاتّساع، والأظهر «ليغشي» بالغين المعجمة كما في بعض النسخ. والحطم: الكسر. والاندفاق: الانصباب. واليرقان: آفة للزرع. وقوله: ممّا عسى أن يرزأ من الرزء: المصيبة.

انظر يا مفضّل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة الّتي يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليها، والمنافع فيها كثيرة: فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج فيبقى في قلاها لمن يحتاج إليه، ويذوب ماذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة الّتي تجتمع منها الأنهار العظام،

وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير الّتي لا ينبت مثلها في السهل، ويكون فيها كهوف ومقايل للوحوش من السباع العادية ويتّخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرّز من الأعداء، وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء، ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر، وفيها خلال أخرى لايعرفها إلاّ المقدّر في سابق علمه.

تفسير: المقايل في بعض النسخ بالقاف، وكأنّه من القيلولة، وفي بعضها بالغين، ولعلّه من الغيل: الشجر الملتفّ. وفي بعض كتب اللّغة: المغالة: العُش وفي بعض النسخ معاقل جمع المعقل وهو الملجأ.

فكّر يا مفضّل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجصّ والكلس والجبس والزرانيخ، والمرتك، والقونيا والزئبق، والنحاس، والرصاص، والفضّة، والذهب، والزبرجد، والياقوت، والزمرّد، وضروب الحجارة، وكذلك ما يخرج منها من القار، والموميا، والكبريت، والنفط، وغير ذلك ممّا يستعمله الناس في مآربهم، فهل يخفى على ذي عقل بأنّ هذه كلّها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها؟ ثمّ قصرت حيلة الناس عمّا حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنّهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتّى يكثر الذهب والفضة ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشرى والبيع والمعاملات، ولا كان يجبي السلطان الأموال، ولا يدّخرهما أحد للأعقاب، وقد أُعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل، والفضّة من الرصاص، والذهب من الفضّة، وأشباه ذلك ممّا لا مضرّة فيه.

فانظر كيف أعطوا إرادتهم فيما لا ضرر فيه، ومنعوا ذلك فيما كان ضارّاً لهم لو نالوه؛ ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتاً بماء غزير، لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضّة.

تفكّر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فإنّه أراد جلّ ثناؤه أن يرى العباد قدرته وسعة خزائنه، ليعلموا أنّه لوشاء أن يمنحهم كالجبال من الفضّة لفعل، لكن لا صلاح لهم في ذلك، لأنّه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلّة انتفاعهم به؛ واعتبر ذلك بأنّه قد يظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الأواني والأمتعة فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيس جليل آخذ الثمن فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخسّت قيمته؛ ونفاسة الأشياء من عزّتها.

بيان: الكلس بالكسر: الصاروج. والجبس بالكسر الجصّ. وفي أكثر النسخ الجبسين ولم أجده فيما عندنا من كتب اللغة لكن في كتب الطب كما في أكثر النسخ. والمرتك كمقعد: المرداسنج. والقونيا بالباء الموحدة أو الياء المثنّاة من تحت، ولم أجدهما في كتب

اللّغة، لكن في القاموس: القونة: القطعة من الحديد أو الصفر يرقّع بها الإناء؛ وفي بعض النسخ: والتوتيا، وفي كتب اللّغة أنّه حجر يكتحل به. والقار: القير. وجبى الخراج جباية: جمعه. والإيغال: المبالغة في الدخول والذهاب. وانصلت: مضى وسبق.

فكّر يا مفضّل: في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب، فالثمار للغذاء، والأتبان للعلف، والحطب للوقود، والخشب لكلّ شيء من أنواع النجارة وغيرها، واللّحاء والورق والأصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع. أرأيت لو كنّا نجد الثمار الّتي نغتذي بها مجموعة على وجه الأرض ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وإن كان الغذاء موجوداً فإنّ المنافع بالخشب والحطب والأتبان وسائر ماعدّدناه كثيرة، عظيم قدرها، جليل موقعها؛ هذا مع ما في النبات من التلذّذ بحسن منظره ونضارته الّتي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه.

بيان: لحاء الشجرة بالكسر: قشرها.

فكّر يا مفضّل: في هذا الريع الّذي جعل في الزرع فصارت الحبّة الواحدة تخلف مائة حبّة وأكثر وأقلّ، وكان يجوز أن يكون الحبّة تأتي بمثلها فلمَ صارت تريع هذا الريع إلاّ ليكون في الغلّة متّسع لما يرد في الأرض من البذر، وما يتقوت الزرّاع إلى إدراك زرعها المستقبل؟.

ألا ترى أنّ الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم، وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدّم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة، وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فإنّك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً، فلمَ كان كذلك إلاّ ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم وما يرد فيغرس في الأرض؟ ولو كان الأصل منه يبقى منفرداً لا يفرخ ولا يريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس، ثمّ كان إن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه خلف.

تأمّل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلا وما أشبه ذلك فإنّها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أنّ تشتد وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه فأما البر وما أشبهه فإنه يخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها مثال الاسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفّر على الزرّاع.

فإن قال قائل: أو ليس قد ينال الطير من البرّ والحبوب؟ قيل له: بلى على هذا قدّر الأمر فيها لأنّ الطير خلق من خلق الله وقد جعل الله تبارك وتعالى له فيما تخرج الأرض حظّاً، ولكن حضنت الحبوب بهذه الحجب لئلاً يتمكّن الطير منها كلّ التمكّن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش فإنّ الطير لو صادف الحبّ بارزاً ليس عليه شيء يحول دونه لأكبّ عليه حتّى ينسفه أصلاً فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت، ويخرج الزرّاع من زرعه صفراً

فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطائر منه شيئاً يسيراً يتقوّت به، ويبقى أكثره للإنسان فإنّه أولى به إذ كان هو الّذي كدح فيه وشقي به، وكان الّذي يحتاج إليه أكثر ممّا يحتاج إليه الطير.

تأمّل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات فإنّها لمّا كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت أصولها مركوزة في الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤدّيه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الأرض كالأمّ المربّية لها، وصارت أُصولها الّتي هي كالأفواه ملتقمة للأرض لتنزع منها الغذاء كما يرضع أصناف الحيوان أمهاتها.

ألا ترى إلى عمد الفساطيط والخيم كيف تمدّ بالأطناب من كلّ جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كلّه له عروق منتشرة في الأرض ممتدّة إلى كلّ جانب لتمسكه وتقيمه، ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف، فانظر إلى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة الّتي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم متقدمة في خلق الشجر لأنّ خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم ألا ترى عمدها وعيدانها من الشجر؟ فالصناعة مأخوذة من الخلقة.

بيان: ينسفه بالكسر أي يقلعه. وبشم الحيوان بشماً من باب تعب: اتّخم من كثرة الأكل. والكدح: العمل والسعي. والشقاء: الشدّة والعسر شقي كرضي. والدوح بفتح الدال وسكون الواو جمع الدوحة، وهي الشجرة العظيمة.

تأمّل يا مفضّل خلق الورق فإنّك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع فمنها غلاظ ممتدّة في طولها وعرضها، ومنها دقاق تتخلّل الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً لو كان ممّا يصنع بالأيدي كصنع البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل، ولا حتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي منه في أيّام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلّها بلا حركة ولا كلام إلاّ بالإرادة النافذة في كلّ شيء والأمر المطاع.

واعرف مع ذلك العلّة في تلك العروق الدقاق فإنّها جعلت تتخلّل الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل الماء إليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء إلى كلّ جزء منها وفي الغلاظ منها معنى آخر فإنّها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلّا تنهتك وتتمزّق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها للتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة.

فكّر في هذا العجم والنوى والعلّة فيه فإنّه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق، كما يحرز الشيء النفيس الّذي تعظم الحاجة إليه في مواضع أخر، فإن حدث على الّذي في بعض المواضع منه حادث وجُد في موضع آخر، ثمّ بعدُ يمسك بصلابته رخاوة

الثمار ورقّتها، ولولا ذلك لتشدّخت وتفسّخت وأسرع إليه الفساد، وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح، وقد تبيّن لك موضع الارب في العجم والنوى.

فكّر الآن في هذا الّذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلّة فيه؟ ولماذا يخرج في هذه الهيئة؟ وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكلٌ كمثل ما يكون في السرو والدلب وما أشبه ذلك، فلمَ صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللّذيذة إلّا ليستمتع بها الإنسان؟.

فكّر في ضروب من التدبير في الشجر فإنّك تراه يموت في كلّ سنة موتة، فيحتبس الحرارة الغريزيّة في عوده ويتولّد فيه موادّ الثمار ثمّ تحيى وتنتشر فتأتيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع كما تقدّم إليك أنواع الأطبخة الّتي تعالج بالأيدي واحداً بعد واحد، فترى الأغصان في الشجر تتلقّاك ثمارها حتّى كأنّها تناولكها عن يد، وترى الرياحين تلقّاك في أفنانها كأنّها تجيئك بأنفسها، فلمن هذا التقدير إلّا لمقدّر حكيم؟ وما العلّة فيه إلّا تفكيه الإنسان بهذه الثمار والأنوار؟ والعجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها!.

اعتبر بخلق الرمّانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير فإنّك ترى فيها كأمثال التلال من شحم مركوم في نواحيها، وحبّاً مرصوفاً رصفاً كنحو ما ينضد بالأيدي وترى الحبّ مقسوماً أقساماً، وكلّ قسم منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج وألطفه، وقشره يضمّ ذلك كلّه، فمن التدبير في هذه الصنعة أنّه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمّانة من الحبّ وحده، وذلك أنّ الحبّ لا يمدّ بعضه بعضاً فجعل ذلك الشحم خلال الحبّ ليمدّه بالغذاء، ألا ترى أنّ أصول الحبّ مركوزة في ذلك الشحم؟ ثمّ لفّ بتلك اللّفائف لتضمّه وتمسكه فلا يضطرب، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة ليصونه ويحصنه من الآفات، فهذا قليل من كثير من وصف الرمّانة وفيه أكثر من هذا لمن أراد الاطناب والتذرّع في الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار.

بيان: قوله عليه السلام: معجماً لعلّ المراد شدّة ارتباطها قال الفيروزآباديّ: باب معجم كمكرم: مقفل. انتهى. ويحتمل أن يكون كناية عن خفائها كقوله صلى الله عليه وآله: صلاة النهار عجماء. وقوله عليه السلام: إن عاق دون الغرس أي الأغصان عائق تغرس النوى بدلها. والشدخ: الكسر والغمز، والمشدخ هو بسر يغمز وييبس للشتاء. والدلب بالضمّ: الصنار قوله عليه السلام: فيحتبس الحرارة الغريزيّة يدلّ على أنّ الحرارة الغريزيّة لا يختصّ بالحيوان، بل يوجد في النبات أيضاً كما صرّح به جماعة من المحقّقين. ويقال: رصفت الحجارة في البناء رصفاً أي ضممت بعضها إلى بعض. واستحصف: استحكم. والتذرّع: كثرة الكلام والافراط فيه.

فكّر يا مفضّل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدبّاء والقثّاء والبطّيخ، وما في ذلك من التدبير والحكمة فإنّه حين قدّر أن يحتمل مثل هذه الثمار جعل نباته

منبسطاً على الأرض، ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة، وليتقصف قبل إدراكها وانتهائها إلى غايتها. فانظر كيف صار يمتدّ على وجه الأرض ليلقي عليها ثمارها فتحملها عنه فترى الأصل من القرع والبطّيخ مفترشاً للأرض، ثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنّه هرة ممتدّة وقد اكتنفتها أجراؤها لترضع منها.

وانظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمارّة الصيف، ووقدة الحرّ فتلقاها النفوس بانشراح وتشوّق إليها، ولو كانت توافي في الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراراً منها مع ما يكون فيها من المضرّة للأبدان. ألا ترى أنّه ربّما أدرك شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من أكله إلّا الشرِه الّذي لا يمتنع من أكل ما يضرّه ويستوخم مغبّته.

توضيح: قال الفيروزآباديّ: اليقطين: ما لا ساق له من النبات ونحوه. والقصف: الكسر. وقال الجوهريّ: الجِرو والجُرو والجَرو: ولد الكلب والسباع، والجمع أجرٍ، وأصله أجروٌ على أفعل، وجراءٌ، وجمع الجراء أجريةٌ، والجِرو والجِروة الصغير من القثّاء. انتهى. والحمارّة بتخفيف الميم وتشديد الراء وقد يخفف في الشعر: شدّة الحرّ. وفي الأساس: ما لي أراك تشرح[1] إلى كلّ رتبة؛ وهو إظهار الرغبة إليها، وفيه: هو شره العين يطمع في كلّ ما يراه يرمي نفسه عليه ويتمنّاه. انتهى. واستوخمه: لم يجده مريئاً موافقاً. والمغبّة: العاقبة.

فكّر يا مفضّل في النخل فإنّه لمّا صار فيه أُناث يحتاج إلى التلقيح جعلت فيه ذكورة للّقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الّذي يلقح الأُناث لتحمل وهو لا يحمل.

تأمّل خلقة الجذع كيف هو فإنّك تراه كالمنسوج نسجاً من غير خيوط ممدودة كالسدى وأُخرى معه معترضة كاللّحمة كنحو ما ينسج بالأيدي، وذلك ليشتدّ ويصلب ولا ينقصف من حمل القنوان الثقيلة، وهزّ الرياح العواصب إذا صار نخلة، وليتهيّأ للسقوف والجسور وغير ذلك ممّا يتّخذ منه إذا صار جذعاً؛ وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنّك ترى بعضه مداخلاً بعضاً طولاً وعرضاً كتداخل أجزاء اللّحم، وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتّخذ منه من الآلات فإنّه لو كان مستحصفاً كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك ممّا يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرّة والتوابيت وما أشبه ذلك. ومن جسيم المصالح في الخشب أنّه يطفو على الماء فكلّ الناس يعرف هذا منه وليس كلّهم يعرف جلالة الأمر فيه؛ فلولا هذه الخلّة كيف كانت هذه السفن والأظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة، وأنّى كان ينال الناس هذا الوفق وخفة المؤونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد؟ وكانت تعظم

---

(١) كذا. والظاهر: تشره.

المؤونة عليهم في حملها حتّى يلقى كثير ممّا يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عسراً وجوده.

فكّر في هذه العقاقير وما خصّ بها كلّ واحد منها من العمل في بعض الأدواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج، وهذا ينزف المرّة السوداء مثل الأفتيمون، وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج، وهذا يحلّل الأورام وأشباه هذا من أفعالها فمن جعل هذه القوى فيها إلّا من خلقها للمنفعة؟ ومن فطّن الناس بها إلّا من جعل هذا فيها؟ ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال قائلون؟ وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويّته وتجاربه فالبهائم كيف فطنت لها؟ حتّى صار بعض السباع يتداوى من جراحه إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، وأشباه هذا كثير. ولعلّك تشكّك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لاأنس ولا أنيس فتظنّ أنّه فضل لاحاجة إليه وليس كذلك بل هو طُعم لهذه الوحوش، وحبّه علف للطير، وعوده وأفنانه حطب فيستعمله الناس، وفيه بعدُ أشياء تعالج به الأبدان، وأخرى تدبغ به الجلود وأخرى تصبغ به الأمتعة، وأشباه هذا من المصالح. ألست تعلم أنّ أخسّ النبات وأحقره هذا البردي وما أشبهها؛ ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتّخذ من البردي القراطيس[1] الّتي يحتاج إليها الملوك والسوقة، والحُصُر الّتي يستعملها كلّ صنف من الناس، وليعمل منه الغلف الّتي يوقى بها الأواني، ويجعل حشواً بين الظروف في الأسفاط لكيلا تعيب وتنكسر، وأشباه هذا من المنافع.

فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة ومالا قيمة له، وأخسّ من هذا وأحقره الزبل والعذرة الّتي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً، وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع الموقع الّذي لايعدله شيء حتّى أنّ كلّ شيء من الخضر لايصلح ولا يزكو إلّا بالزبل والسماد الّذي يستقذره الناس ويكرهون الدنوّ منه؛ واعلم أنّه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته، هما قيمتان مختلفتان بسوقين، وربّما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته، فلو فطنوا طالبوا الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها.

قال المفضّل: وحان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال: بكّر إليّ غداً إن شاء الله؛ فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرّفنيه مبتهجاً بما آتانيه، حامداً لله على ما منحنيه فبتُّ ليلتي مسروراً.

---

(١) البردي: نبت رخو ينبت في ديار المصر كثيراً، يمضغ أصله ويتخذ منه القرطاس. يستفاد منه أن القرطاس الذي في زمن الأئمة عليهم السلام يتخذ من نبات البردي ولذلك يجوز عليه السجدة كما هو صريح الروايات. [النمازي].

بيان: قوله عليه السلام: ليصلح بيان لما يتحصّل ممّا مرّ لا للمتانة فقط. والنزف: النزح: قوله عليه السلام: هب الإنسان أي سلمنا أنّه كذلك. والحصر بالضمّ: اعتقال البطن. والسوقة بالضمّ: الرعيّة للواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث. والغلف بضمّة وبضمّتين وكركّع: جمع غلاف. والزبل بالكسر: السرقين. وقال الفيروزآباديّ: السماد: السرقين برماد وقال الجزريّ: هو ما يطرح في أصول الزرع والخضر من العذرة والزبل ليجوّد نباته وأقول: يدلّ ظاهراً على جواز استعمال العذرات النجسة في ذلك وربّما يستدلّ به على تطهير الاستحالة.

المجلس الرابع: قال المفضّل: فلمّا كان اليوم الرابع بكّرت إلى مولاى فاستؤذن لي فأمرني بالجلوس فجلست، فقال عليه السلام: منّا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الأقدم، والنور الأعظم العليّ العلاّم، ذي الجلال والإكرام، ومنشيء الأنام، ومفني العوالم والدهور، وصاحب السرّ المستور والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون؛ وصلواته وبركاته على مبلّغ وحيه، ومؤدّي رسالته، الّذي ابتعثه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة، فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيّبات والتحيّات الزاكيات الناميات، وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضين والغابرين أبد الآبدين ودهر الداهرين وهم أهله ومستحقه.

قد شرحت لك يا مفضّل من الأدلّة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك مافيه عبرة لمن اعتبر؛ وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان الّتي اتّخذها أناس من الجهّال ذريعة إلى جحود الخالق والخلق والعمد والتدبير، وما أنكرت المعطّلة والمنانيّة من المكاره والمصائب وما أنكروه من الموت والفناء، وماقاله أصحاب الطبائع، ومن زعم أنّ كون الأشياء بالعرض والاتفاق ليتّسع ذلك القول في الردّ عليهم، قاتلهم الله أنّى يؤفكون؟.

اتخذ أُناس من الجهّال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد ذريعة إلى جحود الخلق والتدبير والخالق؛ فيقال في جواب ذلك: إنّه إن لم يكن خالق ومدبّر فلمَ لايكون ما هو أكثر من هذا وافظع؟ فمن ذلك أن تسقط السماء على الأرض، وتهوي الأرض فتذهب سفلاً، وتتخلّف الشمس عن الطلوع أصلاً، وتجفّ الأنهار والعيون حتّى لايوجد ماء للشفة، وتركد الريح حتّى تحمّ الأشياء وتفسد، ويفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها. ثمّ هذه الآفات الّتي ذكرناها من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتد حتّى تجتاح كلّ ما في العالم؟ بل تحدث في الأحايين، ثمّ لا تلبث أن ترفع؟ أفلا ترى بأنّ العالم يصان ويحفظ من تلك الأحداث الجليلة الّتي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره، ويلذع أحياناً بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم، ثمّ لا تدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة.

وقد أنكرت المعطّلة ما أنكرت المنانيّة من المكاره والمصائب الّتي تصيب الناس، فكلاهما يقول: إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلمَ يحدث فيه هذه الأمور المكروهة؟ والقائل بهذا القول يذهب به إلى أنّه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كلّ كدر، ولو كان هكذا كان الإنسان سيخرج من الأشر والعتوّ إلى ما لايصلح في دين ودنيا كالّذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن يخرجون إليه حتّى أنّ أحدهم ينسى أنّه بشر أو أنّه مربوب أو أنّ ضرراً يمسّه، أو أنّ مكروهاً ينزل به، أو أنّه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً أو يواسي فقيراً. أو يرثي لمبتلى أو يتحنّن على ضعيف، أو يتعطّف على مكروب، فإذا عضّته المكاره ووجد مضضها اتّعظ وأبصر كثيراً ممّا كان جهله وغفل عنه، ورجع إلى كثير ممّا كان يجب عليه، والمنكرون لهذه الأمور المؤذية بمنزلة الصبيان الّذين يذمّون الأدوية المرّة البشعة؛ ويتسخّطون من المنع من الأطعمة الضارّة؛ ويتكرّهون الأدب والعمل؛ ويحبّون أن يتفرّغوا للّهو والبطالة؛ وينالوا كلّ مطعم ومشرب؛ ولايعرفون ماتؤدّيهم إليه البطالة من سوء النشوء والعادة وما تعقبهم الأ طعمة اللّذيذه الضارّة من الأدواء والأسقام، وما لهم في الأدب من الصلاح، وفي الأدوية من المنفعة وإن شاب ذلك بعض الكراهة.

فإن قالوا: ولمَ لم يكن الإنسان معصوماً من المساوي حتّى لا يحتاج إلى أن يلذعه بهذه المكاره؟ قيل: إذاً كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا مستحقّ للثواب عليها.

فإن قالوا: وما كان يضرّه أنّ لا يكون محموداً على الحسنات مستحقاً للثواب بعد أن يصير إلى غاية النعيم واللّذّة؟ قيل لهم: اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعماً ويكفى كلّ ما يحتاج إليه بلا سعي ولا استحقاق، فانظر هل تقبل نفسه ذلك؟ بل ستجدونه بالقليل ممّا يناله بالسعي والحركة أشدّ اغتباطاً وسروراً منه بالكثير ممّا يناله بغير الاستحقاق، وكذلك نعيم الآخرة أيضاً يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الإنسان في هذا الباب مضاعفة، بأن أعدّ له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا، وجعل له السبيل إلى أنّ ينال بسعي واستحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه.

فإن قالوا: أوليس قد يكون من الناس من يركن إلى مانال من خير وإن كان لا يستحقّه: فما الحجّة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخره على هذه الجملة؟ قيل لهم: إنّ هذا باب لو صحّ للناس لخرجوا إلى غاية الكلب والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم؛ فمن كان يكفّ نفسه عن فاحشة أو يتحمّل المشقّة في باب من أبواب البرّ لو وثق بأنّه صائر إلى النعيم لا محالة؟ أو من كان يأمن على نفسه وأهله وماله من الناس لو لم يخافوا الحساب والعقاب؟ فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة، فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معاً، وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الأمور غير مواضعها.

وقد يتعلّق هؤلاء بالآفات الّتي تصيب الناس فتعمّ البرّ والفاجر، أويبتلي بها البرّ ويسلم

الفاجر منها، فقالوا: كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجّة فيه؟ فيقال لهم: إنّ هذه الآفات وإن كانت تنال الصالح والطالح جميعاً، فإنّ الله جعل ذلك صلاحاً للصنفين كليهما: أمّا الصالحون فإنّ الّذي يصيبهم من هذا يردّهم نعم ربّهم عندهم في سالف أيامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر؛ وأمّا الطالحون فإنّ مثل هذا إذا نالهم كسر شرتهم، وردعهم عن المعاصي والفواحش، وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحاً في ذلك: أمّا الأبرار فإنّهم يغتبطون بما هم عليه من البرّ والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة. وأمّا الفجّار فإنّهم يعرفون رأفة ربّهم وتطوّله عليهم بالسلامة من غير استحقاقهم فيحضّهم ذلك على الرأفة بالناس والصفح عمّن أساء إليهم.

ولعلّ قائلاً يقول: إنّ هذه الآفات الّتي تصيب الناس في أموالهم، فما قولك فيما يبتلون به في أبدانهم فيكون فيه تلفهم، كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف؟ فيقال لهم: إنّ الله جعل في هذا أيضاً صلاحاً للصنفين جميعاً: أمّا الأبرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها؛ وأمّا الفجّار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها. وجملة القول أنّ الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرّف هذه الأمور كلّها إلى الخيرة والمنفعة فكما أنّه إذا قطعت الريح شجرة أو قطعت نخلة أخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبّر الحكيم في الآفات الّتي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم فيصيّرها جميعاً إلى الخيرة والمنفعة.

فإن قال: ولمَ يحدث على الناس؟ قيل له: لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي، ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البرّ، فإنّ هذين الأمرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة، وهذه الحوادث الّتي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم، فلو أخلوا منهما لغلوا في الطغيان والمعصية كما على الناس في أوّل الزمان حتّى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم.

وممّا ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء فإنّهم يذهبون إلى أنّه ينبغي أن يكون الناس مخلّدين في هذه الدنيا، مبرّئين من الآفات. فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته فينظر ما محصوله. أفرأيت لو كان كلّ من دخل العالم ويدخله يبقون ولا يموت أحد منهم ألم تكن الأرض تضيق بهم حتّى تعوزهم المساكن والمزارع والمعاش؟ فإنّهم والموت يفنيهم أوّلاً أوّلاً يتنافسون في المساكن والمزارع حتّى ينشب بينهم في ذلك الحروب ويسفك فيهم الدماء، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولايموتون؟ وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلوب، فلو وثقوا بأنّهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء ينال، ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله، ولا سلا عن شيء ممّا يحدث عليه، ثمّ كانوا يملّون الحياة وكلّ شيء من أمور الدنيا كما قد يملّ الحياة من طال عمره حتّى يتمنّى الموت والراحة من الدنيا.

فإن قالوا: إنّه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكاره والأوصاب حتّى لا يتمنّوا الموت ولا يشتاقوا إليه، فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتوّ والأشر الحامل لهم على مافيه فساد الدين والدنيا. وإن قالوا: إنّه كان ينبغي أن لايتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعاش قيل لهم: إذاً كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله ومواهبه في الدارين جميعاً إذا لم يدخل العالم إلّا قرن واحد لايتوالدون ولا يتناسلون.

فإن قالوا: كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم. يقال لهم: رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعاش عنهم ثمّ لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأنس بالقرابات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد، وموضع تربية الأولاد والسرور بهم. ففي هذا دليل على أنّ كلّ ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ وسفاه من الرأي والقول.

ولعلّ طاعناً يطعن على التدبير من جهة أخرى فيقول: كيف يكون ههنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عزّ بزّ؟ فالقويّ يظلم ويغصب، والضعيف يُظلم ويسام الخسف، والصالح فقير مبتلى، والفاسق معافى موسّع عليه، ومن ركب فاحشة أو انتهك محرّماً لم يعاجل بالعقوبة؛ فلو كان في العالم تدبير لجرت الأمور على القياس القائم، فكان الصالح هو المرزوق، والطالح هو المحروم، وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف، والمتهتّك للمحارم يعاجل بالعقوبة؛ فيقال في جواب ذلك: إن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الإحسان الّذي فضّل به الإنسان على غيره من الخلق، وحمل النفس على البرّ والعمل الصالح احتساباً للثواب وثقة بما وعد الله منه، ولصار الناس بمنزلة الدوابّ الّتي تساس بالعصا والعلف، ويلمع لها بكلّ واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك، ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب حتّى كان هذا يخرجهم عن حدّ الإ نسيّة إلى حدّ البهائم، ثمّ لايعرف ماغاب، ولايعمل إلّا على الحاضر، وكان يحدث من هذا أيضاً ان يكون الصالح إنّما يعمل الصالحات للرزق والسعة في هذه الدنيا، ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنّما يعفّ عن ذلك لترقّب عقوبة تنزل به من ساعته حتّى يكون أفعال الناس كلّها تجري على الحاضر لا يشوبها شيء من اليقين بما عند الله، ولا يستحقّون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها؛ مع أنّ هذه الأمور الّتي ذكرهاالطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه، بل قد تجري على ذلك أحياناً، والأمر المفهوم، فقد ترى كثيراً من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير، وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أنّ الكفّار هم المرزوقون، والأبرارهم المحرومون، فيؤثرون الفسق على الصلاح؛ وترى كثيراً من الفسّاق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم، كما عوجل فرعون بالغرق، وبخت نصر بالتيه، وبلبيس بالقتل؛ وإن أمهل بعض الأشرار بالعقوبة وأُخّر

بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا ممّا يبطل التدبير، فإنّ مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم، بل يكون تأخيرهم ما أخّروه أو تعجيلهم ما عجّلوه داخلاً في صواب الرأي والتدبير؛ وإذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب أنّ للأشياء خالقاً حكيماً قادراً فما يمنعه أن يدبّر خلقه فإنّه لا يصحّ في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلاّ بإحدى ثلاث خلال: إمّا عجز، وإمّا جهل، وإمّا شرارة؛ وكلّ هذه محال في صنعته عزّوجلّ وتعالى ذكره وذلك أنّ العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة، والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة، والشرير لا يتطاول لخلقها وإنشائها وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبّرها لا محالة وإن كان لا تدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فإنّ كثيراً من تدبير الملوك لا تفهمه العامّة ولا تعرف أسبابه لأنّها لا تعرف دخلة أمر الملوك وأسرارهم فإذا عرف سببه وجد قائماً على الصواب والشاهد المحنة. ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فيتبيّن لك من جهتين أو ثلاث أنّه حارٌّ أو بارد ألم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشكّ فيه عن نفسك؟ فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخالق[1] والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة؟ وأكثر منها ما لا يحصى كثرة، لو كان نصف العالم وما فيه مشكلاً صوابه لما كان من حزم الرأي وسمت الأدب أن يقضى على العالم بالإهمال لأنّه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب والإتقان ما يردع الوهم عن التسرّع إلى هذه القضيّة فكيف وكلّ ما كان فيه إذا فتّش وجد على غاية الصواب حتّى لا يخطر بالبال شيء إلاّ وجد ما عليه الخلقة أصحّ وأصوب منه؟.

بيان قوله عليه السلام: للاسم الأقدم لعلّ المراد بالاسم المسمّى، أو المراد الاسم الّذي أظهره وأثبته في اللّوح قبل سائر الأسماء، أو المراد الاسم الّذي يخصّ الذات فهو أسبق الأسماء في الاعتبار وأشرفها كما يظهر من الآثار. قوله: والغيب المحظور أي الممنوع عن غيره تعالى إلّا من ارتضاه لذلك. قوله: بالعرض قال الفيروزآباديّ: عرض الشيء: ظهر، والعرض: أن يموت الإنسان من غير علّة. والاجتياح: الاستئصال. قوله عليه السلام: ويلذع يقال: لذعته النار أي أحرقته، ولذعه بلسانه أي أوجعه بكلام، وفي بعض النسخ بإهمال الأوّل وإعجام الثاني من لدغ العقرب. ويقال: رثيت لفلان أي رققت له. والمضض محرّكة: وجع المصيبة. قوله عليه السلام: إذا كان يكون غير محمود يمكن أن يقرأ إذا بالتنوين وبدونها، وعلى الثاني يكون خبر كان محذوفاً أي إذا كان الإنسان كذلك.

ثمّ اعلم أنّه ينبغي أن تحمل العصمة المأخوذة في السؤال على غير المعنى المشهور الّذي سيأتي تحقيقه في باب عصمة الأئمّة عليهم السلام بل المراد العصمة بمعنى الإلجاء الّذي لم يبق معه اختيار، ولذا فرّع عليه السلام عليه عدم استحقاق الثواب، وإلّا فالعصمة الّتي اتّصفت بها الأنبياء

(١) كذا. والظاهر كما في المصدر: والخلق.

والأئمة عليهم السلام لا ينافي ذلك كما سنحقّقه في مقامه إن شاء الله تعالى. ويمكن أن يقال - على تقدير أن يكون المراد هذا المعنى أيضاً - بأنّه إذا صار هذا عامّاً في جميع البشر لا يتأتّى في بعض الموادّ الّتي لا تستحقّ ذلك من نفوس الأشرار والفجّار إلّا بالإلجاء الرافع للاستحقاق. قوله عليه السلام : إلى غاية الكلب والضراوة قال الجوهريّ: دفعت عنك كلب فلان أي شرّه وأذاه، والكلب أيضاً شبيه بالجنون. وقال: ضرى الكلب بالصيد ضراوة أي تعوّد. أقول: لمّا كان السؤال مبنيّاً على فرض العصمة ظاهراً فتصحيح هذا الجواب في غاية الإشكال وخطر بالبال وجوه:

الأوّل: أنّ لا يكون السؤال مبنيّاً على فرض العصمة بل يكون المراد أنّه لمّا ذكرت أنّ العصمة تنافي الاستحقاق فنقول: لمَ لم يبذل لهم الثواب على أيّ حال بأن يكلّفهم العمل ليستحقّوا الثواب إن أرادوا استحقاقه وإلّا أعطاهم من غير استحقاق؟ إذ كثير من الناس يطلبون النعيم بغير استحقاق فلا يكون عليهم في الدنيا والآخرة سخط على المخالفة، وعلى هذا الجواب ظاهر الانطباق على السؤال كما لا يخفى.

الثاني: أنّ يكون السؤال مبنيّاً على فرض العصمة في بعضهم وهم الّذين يطلبون الثواب ولا يريدون استحقاقه كما هو ظاهر السياق، ويكون حاصل الجواب أنّه لو كان المجبور على الخيرات مثاباً فمقتضى العدل أن يكون غير المجبور الطالب للخير والاستحقاق غير معاقب على حال وإلّا لكان له الحجّة على ربّه بأنّك لم تعصمني كما عصمت غيري، ومنعت عنّي اللّطف بالبلايا والصوارف عن المعاصي في الدنيا ثمّ تعذّبني على المعاصي، فعلى هذا فلو علم غير المعصومين ذلك لدعتهم الدواعي النفسانيّة إلى غاية الفساد، وهذا وجه وجيه لكن يحتاج إلى طيّ بعض المقدّمات.

الثالث: أنّ يكون السؤال مبنيّاً على ذلك الفرض أيضاً لكن يكون الجواب مبنيّاً على أنّه قد يستلزم المحال نقيضه، إذ الكلام في هذا النوع من الخلق المسمّى بالإنسان الّذي اقتضت الحكمة أن يكون قد ركّبت فيه أنواع الشهوات والدواعي فلو فرضته على غير تلك الحالة لكان من قبيل فرض الشيء إنساناً وملكاً وهما لا يجتمعان، فعلى هذا يلزمه أيضاً لفرض كونه إنساناً أن يدعوه عدم خوف العقاب والفراغ إلى الأشر والبطر وأنواع المعاصي، وحاصله يرجع إلى تغيير الجواب الأوّل إلى جواب آخر لا يرد عليه السؤال على غاية اللّطف والدقّة.

والردع: الكفّ والمنع. وقوله: يغتبطون على البناء من الاغتباط وهو حسن الحال بحيث يتمنّى غيره حاله. والحضّ: الحثّ والتحريص[1]. وتمحيص الأوزار: تنقيصها أو إزالتها. قوله عليه السلام : فإن قال: ولمَ يحدث على الناس؟ أقول: لمّا كان آخر الكلام موهماً لأنّ هذه

---

(١) كذا. والظاهر التحريض.

الأمور بعد حدوثها يصيّرها الله تعالى إلى الحكمة والصلاح سأل ثانياً: ما السبب في أصل الحدوث حتّى يحتاج إلى أن يجعله الله صلاحاً؟ ويحتمل أنّ يكون مراده أنّا علمنا أنّ في وجودها صلاحاً فهل في عدمها فساد؟ والجواب على التقديرين ظاهر. وقال الفيروزآباديّ: عوز الشيء كفرح: لم يوجد، وأعوزه الشيء: احتاج إليه، والدهر أحوجه. وقال: تناشبوا: تضامّوا وتعلّق بعضهم ببعض، ونشبه الأمر كلزم زنةً ومعنًى. وقال: أفرجوا عن الطريق والقتيل: انكشفوا، وعن المكان: تركوه. انتهى. والمراد هنا عدم التخلية بين أحد وبين ما يريده. قوله عليه السلام: ولا سلا عن شيء أي لا ينسى ويتسلّى عن شيء من المصائب إذ بتذكّر الموت تزول شدّة المحن، من قولهم: سلا عن الشيء أي نسيه. وقال الجوهريّ: بزّه يبزّه بزّاً: سلبه، وفي المثل من عزّ بز أي من غلب أخذ السلب. وقال: سامه خسفاً وخُسفاً بالضمّ أي أولاه ذُلاً. وقال الفيروزآباديّ: لمع بيده: أشار. وقال تفاقم الأمر: عظم. وقوله عليه السلام: وبخت نصر بالتيه أقول: لعلّه إشارة إلى ما ذكره جماعة من المؤرّخين أنّ ملكاً من الملائكة لطم بخت نصّر لطمة ومسخه وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل ما يفعله الإنسان، ثمّ ردّه الله تعالى إلى صورة الإنس وأعاد إليه ملكه فلمّا عاد إلى ملكه أراد قتل دانيال فقتله الله على يد واحد من غلمانه؛ وقيل في سبب قتله: إنّ الله أرسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه فكان لا يقر ولا يسكن حتّى يدقّ رأسه فمات من ذلك. وبليس غير معروف عند المؤرّخين. والتطاول هنا مبالغة في الطَول بمعنى الفضل والإحسان. ودخلة الرجل مثلّثة: نيّته ومذهبه وجمع أمره وبطانته. قوله عليه السلام: والشاهد المحنة أي بالشاهد يمكن امتحان الغائب.

واعلم يا مفضّل إنّ اسم هذا العالم بلسان اليونانيّة الجاري المعروف عندهم «قوسموس» وتفسيره «الزينة» وكذلك سمّته الفلاسفة ومن ادّعى الحكمة أفكانوا يسمّونه بهذا الاسم إلاّ لما رأوا فيه من التقدير والنظام؟ فلم يرضوا أن يسموه تقديراً ونظاماً حتّى سمّوه زينة ليخبروا أنّه مع ما هو عليه من الصواب والإتقان على غاية الحسن والبهاء.

أعجب يا مفضّل من قوم لا يقضون [على] صناعة الطبّ بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطىء، ويقضون على العالم بالإهمال ولا يرون شيئاً منه مهملاً. بل أعجب من أخلاق من ادّعى الحكمة حتّى جهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا ألسنتهم بالذمّ للخالق جلّ وعلا. بل العجب من المخذول «مانيّ» حين ادّعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتّى نسبه إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل تبارك الحليم الكريم. وأعجب منهم جميعاً المعطلة الّذين راموا أن يدرك بالحسّ ما لا يدرك بالعقل فلمّا أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب فقالوا: ولم لا يدرك بالعقل؟ قيل: لأنّه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته فإنّك لو رأيت حجراً يرتفع في الهواء علمت أنّ رامياً رمى به فليس

... حجراً يرتفع في الهواء علمت أنّ رامياً رمى به فليس

هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل لأنّ العقل هو الّذي يميّزه فيعلم أنّ الحجر لا يذهب علواً من تلقاء نفسه؛ أفلا ترى كيف وقف البصر على حدّه فلم يتجاوزه؟ فكذلك يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله بعقل أقرّ أنّ فيه نفساً ولم يعاينها ولم يدركها بحاسّة من الحواسّ، وعلى حسب هذا أيضاً نقول: إنّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته.

فإن قالوا: فكيف يكلّف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللّطيف ولا يحيط به؟ قيل لهم: إنّما كلّف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه، وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه، ولم يكلّفوا الإحاطة بصفته كما أنّ الملك لا يكلّف رعيّته أنّ يعلموا أطويل هو أم قصير، أبيض هو أم أسمر وإنما يكلّفهم الإذعان بسلطانه والانتهاء إلى أمره؛ ألا ترى أنّ رجلاً لو أتى باب الملك فقال: اعرض عليّ نفسك حتّى أتقصّى معرفتك وإلّا لم أسمع لك كان قد أحلّ نفسه العقوبة، فكذا القائل: إنّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتّى يحيط بكنهه متعرّض لسخطه.

فإن قالوا: أوليس قد نصفه فنقول: هو العزيز الحكيم الجواد الكريم؟ قيل لهم: كلّ هذه صفات إقرار، وليست صفات إحاطة، فإنّا نعلم أنّه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه، وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها، ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه، بل فوق هذا المثال بما لا نهاية له لأنّ الأمثال كلّها تقصر عنه ولكنّها تقود العقل إلى معرفته.

فإن قالوا: ولمَ يختلف فيه؟ قيل لهم: لقصر الأوهام عن مدى عظمته وتعدّيها أقدارها في طلب معرفته، وإنّها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك ومادونه، فمن ذلك هذه الشمس الّتي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها، ولذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال بعضهم: هو فلك أجوف مملوء ناراً، له فمٌ يجيش بهذا الوهج والشعاع؛ وقال آخرون: هو سحابة؛ وقال آخرون: هو جسم زجاجيٌّ يقبل ناريّة في العالم ويرسل عليه شعاعها؛ وقال آخرون: هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر؛ وقال آخرون: هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار؛ وقال آخرون: هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربع. ثمّ اختلفوا في شكلها فقال بعضهم: هي بمنزلة صفيحة عريضة وقال آخرون: هي كالكرة المدحرجة. وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنّها مثل الأرض سواء؛ وقال آخرون: بل هي أقلّ من ذلك؛ وقال آخرون: هي أعظم من الجزيرة العظيمة. وقال أصحاب الهندسة: هي أضعاف الأرض مائة وسبعون مرة. ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنّهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها، وإذا كانت هذه الشمس الّتي يقع عليها البصر ويدركها الحسّ قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحسّ واستتر عن الوهم؟.

فإن قالوا: ولم استتر؟ قيل لهم: لم يستتر بحيلة يخلص إليها كمن يحتجب عن الناس

بالأبواب والستور، وإنّما معنى قولنا: استتر أنّه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام، كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن إدراكها بالنظر.

فإن قالوا: ولم لطف؟ - وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً - كان ذلك خطأً من القول لأنّه لا يليق بالّذي هو خالق كلّ شيء إلاّ أن يكون مبايناً لكلّ شيء، متعالياً عن كلّ شيء؛ سبحانه وتعالى.

فإن قالوا: كيف يعقل أن يكون مبايناً لكلّ شيء متعالياً؟ قيل لهم: الحقّ الّذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه: فأوّلها أن ينظر أموجود هو أم ليس بموجود والثاني أنّ يعرف ما هو في ذاته وجوهره. والثالث أن يعرف كيف هو وما صفته؟ والرابع أن يعلم لماذا هو ولأيّة علّة؟ فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أنّ يعرفه من الخالق حقّ معرفته غير أنّه موجود فقط. فإذا قلنا: كيف وما هو؟ فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به وأمّا لماذا هو فساقط في صفة الخالق لأنّه جلّ ثناؤه علة كلّ شيء وليس شيء بعلّة له؛ ثمّ ليس علم الإنسان بأنّه موجود يوجب له أن يعلم ما هو كما أنّ علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ما هي وكيف هي، وكذلك الأمور الروحانيّة اللّطيفة.

فإن قالوا: فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتّى كأنّه غير معلوم! قيل لهم: هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه والإحاطة به، وهو من جهة أُخرى أقرب من كلّ قريب إذا استدلّ عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد، وهو من جهة كالغامض لايدركه أحد، وكذلك العقل أيضاً ظاهر بشواهد، ومستور بذاته.

فأمّا أصحاب الطبائع فقالوا: إنّ الطبيعة لاتفعل شيئاً لغير معنى ولا تتجاوز عمّا فيه تمام الشيء في طبيعته، وزعموا أنّ الحكمة تشهد بذلك. فقيل لهم: فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها، وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب؟ فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقرُّوا بما أنكروا لأن هذه هي صفات الخالق، وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بأنّ الفعل للخالق الحكيم.

وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء وزعموا أنّ كونها بالعرض والاتّفاق، وكان ممّا احتجّوا به هذه الآفات الّتي تلد غير مجرى العرف والعادة كالإنسان يولد ناقصاً أو زائداً إصبعاً، أو يكون المولود مشوّهاً مبدل الخلق، فجعلوا هذا دليلاً على أنّ كون الأشياء ليس بعمد وتقدير، بل بالعرض كيف ما اتّفق أن يكون. وقد كان أرسطاطا ليس ردَّ عليهم فقال: إن الّذي يكون بالعرض والاتّفاق إنّما هو شيءٌ يأتي في الفرط مرّة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها، وليس بمنزلة الأُمور الطبيعية الجارية على شكل واحد جرياً دائماً متتابعاً.

وأنت يا مفضّل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد

كالإنسان يولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع كما عليه الجمهور من الناس، فأمّا ما يولد على خلاف ذلك فإنّه لعلّة تكون في الرحم أو في المادّة الّتي ينشأ منها الجنين، كما يعرض في الصناعات حين يتعمّد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون ذلك عائق في الأداة أو في الآلة الّتي يعمل فيها الشيء، فقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب الّتي وصفنا فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوّهاً ويسلم أكثرها فيأتي سويّاً لا علّة فيه، فكما أنّ الّذي يحدث في بعض الأعمال الأعراض لعلّة فيه لا توجب عليها جميعاً الإهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعيّة لعائق يدخل عليها لا يوجب أنّ يكون جميعها بالعرض والاتّفاق، فقول من قال في الأشياء: إنّ كونها بالعرض والاتّفاق من قبل أنّ شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة يعرض له خطأ وخطل.

فإن قالوا: ولمَ صار مثل هذا يحدث في الأشياء؟ قيل لهم: ليعلم أنّه ليس كون الأشياء باضطرار من الطبيعة، ولا يمكن أن يكون سواه كما قال قائلون، بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم، إذ جعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف، ويزول أحياناً عن ذلك لاعراض تعرض لها فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبرة فقيرة إلى إبداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها وإتمام عملها تبارك الله أحسن الخالقين.

يا مفضّل خذ ما آتيتك واحفظ ما منحتك، وكن لربّك من الشاكرين ولآلائه من الحامدين، ولأوليائه من المطيعين، فقد شرحت لك من الأدلّة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلاً من كثير، وجزءاً من كلّ فتدبّره وفكّر فيه واعتبر به. فقلت: بمعونتك يا مولاي أقوى على ذلك وأبلغه إن شاء الله؛ فوضع يده على صدري فقال: احفظ بمشيّئة الله ولا تنس إن شاء الله.

فخررت مغشيّاً عليّ فلمّا أفقت قال: كيف ترى نفسك يا مفضّل؟ فقلت: قد استغنيت بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الّذي كتبته، وصار ذلك بين يديّ كأنّما أقراه من كفّي، ولمولاي الحمد والشكر كما هو أهله ومستحقّه.

فقال: يا مفضّل فرّغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك فسألقي إليك من علم ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله بينهما، وفيهما من عجائب خلقه وأصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدرة المنتهى، وسائر الخلق من الجنّ والإنس إلى الأرض السابعة السفلى وماتحت الثرى حتّى يكون ما وعيته جزءاً من أجزاء؛ انصرف إذا شئت مصاحباً مكلوءاً فأنت منّا بالمكان الرفيع، وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى، ولا تسألن عمّا وعدتك حتّى أحدث لك منه ذكراً.

قال المفضّل: فانصرفت من عند مولاي بمالم ينصرف أحد بمثله[1].

---

(١) كتاب توحيد المفضل للإمام الصادق عليه السلام.

بيان: جاش البحر والقدر وغيرهما يجيش جيشاً: غلا. قوله عليه السلام: قال أصحاب الهندسة أقول: المشهور بين متأخريهم أنّ جرم الشمس مائة وستّة وستّون مثلاً وربع وثمن لجرم الأرض، وما ذكره عليه السلام لعلّه كان مذهب قدمائهم مع أنّه قريب من المشهور، والاختلاف بين قدمائهم ومتأخريهم في أمثال ذلك كثير. قوله عليه السلام: الحقّ الّذي أي الأمور الحقّة الثابتة الّتي تطلب معرفتها من بين الأشياء. وفي بعض النسخ لحقّ أي ما يحقّ وينبغي أن تطلب معرفته من أحوال الأشياء هو أربعة أوجه. وقال الجوهريّ: قولهم لقيته في الفرط بعد الفرط أي الحين بعد الحين. والصدى بالفتح: العطش.

ثمّ اعلم أنّ بعض تلك الفقرات تؤمئ إلى تجرّد النفس، والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم أجمعين.

٥ - باب الخبر المروي عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالإهليلجة

حدّثني محرز بن سعيد النحويّ بدمشق قال: حدّثني محمّد بن أبي مسهر بالرملة، عن أبيه، عن جده قال: كتب المفضّل بن عمر الجعفيّ إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يُعلمه أنّ أقواماً ظهروا من أهل هذه الملّة يجحدون الربوبيّة، ويجادلون على ذلك، ويسأله أن يردّ عليهم قولهم، ويحتجّ عليهم فيما ادّعوا بحسب ما احتجّ به على غيرهم. فكتب أبو عبدالله عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد وفّقنا الله وإيّاك لطاعته، وأوجب لنا بذلك رضوانه برحمته؛ وصل كتابك تذكر فيه ما ظهر في ملّتنا، وذلك من قوم من أهل الإلحاد بالربوبيّة قد كثرت عدّتهم واشتدّت خصومتهم، وتسأل أن أصنع للردّ عليهم والنقض لما في أيديهم كتاباً على نحو ما رددت على غيرهم من أهل البدع والاختلاف، ونحن نحمد الله على النعم السابغة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصّة والعامّة فكان من نعمه العظام وآلائه الجسام الّتي أنعم بها تقريره قلوبهم بربوبيّته، وأخذه ميثاقهم بمعرفته، وإنزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما في الصدور من أمراض الخواطر ومشتبهات الأمور، ولم يدع لهم ولا لشيء من خلقه حاجة إلى من سواه، واستغنى عنهم، وكان الله غنيّاً حميداً.

ولعمري ما أُتي الجهّال من قبل ربّهم وإنّهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البيّنات في خلقهم، وما يعاينون من ملكوت السماوات والأرض والصنع العجيب المتقن الدالّ على الصانع، ولكنّهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي، وسهّلوا لها سبيل الشهوات، فغلبت الأهواء على قلوبهم، واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم، وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين. والعجب من مخلوق يزعم أنّ الله يخفى على عباده وهو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله، وتأليف يبطل ولعمري لو تفكّروا في هذه الأمور العظام

لعاينوا من أمر التركيب البيّن، ولطف التدبير الظاهر، ووجود الأشياء مخلوقة بعد أن لم تكن، ثمّ تحوّلها من طبيعة إلى طبيعة، وصنيعة بعد صنيعة، ما يدلّهم ذلك على الصانع فإنّه لا يخلو شيء منها من أنّ يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدلّ على أن له خالقاً مدبّراً، وتأليف بتدبير يهدي إلى واحد، حكيم.

وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتاباً كنت نازعت فيه بعض أهل الأديان من أهل الإنكار وذلك أنّه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند، وكان لا يزال ينازعني في رأيه، ويجادلني على ضلالته، فبينا هو يوماً يدقّ إهليلجةً ليخلطها دواءاً احتجت إليه من أدويته، إذ عرض له شيء من كلامه الّذي لم يزل ينازعني فيه من ادّعائه أنّ الدنيا لم تزل ولاتزال شجرة تنبت وأخرى تسقط، نفس تولد وأخرى تتلف، وزعم أنّ انتحالي المعرفة لله تعالى دعوى لا بيّنة لي عليها، ولا حجّة لي فيها، وأنّ ذلك أمر أخذه الآخر عن الأوّل، والأصغر عن الأكبر، وأنّ الأشياء المختلفة والمؤتلفة والباطنة والظاهرة إنّما تعرف بالحواسّ الخمس: نظر العين؛ وسمع الأذن؛ وشمُّ الأنف؛ وذوق الفم؛ ولمس الجوارح؛ ثمّ قاد منطقه على الأصل الّذي وضعه فقال: لم يقع شيء من حواسّي على خالق يؤدّي إلى قلبي، إنكاراً لله تعالى.

ثمّ قال: أخبرني بِمَ تحتجُّ في معرفة ربّك الّذي تصف قدرته وربوبيّته، وإنّما يعرف القلب الأشياء كلّها بالدلالات الخمس الّتي وصفت لك؟ قلت: بالعقل الّذي في قلبي، والدليل الّذي أحتجُّ به في معرفته.

قال: فأنّى يكون ما تقول وأنت تعرف أنّ القلب لا يعرف شيئاً بغير الحواسّ الخمس؟ فهل عاينت ربّك ببصر، أو سمعت صوته بأذن، أو شممته بنسيم، أو ذقته بفم، أو مسسته بيد فأدّى ذلك المعرفة إلى قلبك؟ قلت: أرأيت إذ أنكرت الله وجحدته لأنّك زعمت أنّك لاتحسّه بحواسّك الّتي تعرف بهاالاشياء - وأقررت أنا به هل بد من أن يكون أحدنا صادقاً والآخر كاذباً؟ قال: لا.

قلت: أرأيت إن كان القول قولك فهل يخاف عليَّ شيء ممّا أُخوّفك به من عقاب الله؟ قال: لا.

قلت: أفرأيت إن كان كما أقول والحقّ في يدي ألست قد أخذت فيما كنت أُحاذر من عقاب الخالق بالثقة وأنّك قد وقعت بجحودك وإنكارك في الهلكة؟ قال: بلى.

قلت: فأيّنا أولى بالحزم وأقرب من النجاة؟ قال: أنت، إلا أنك من أمرك على ادّعاء وشبهة، وأنا على يقين وثقة، لأنّي لا أرى حواسّي الخمس أدركته، وما لم تدركه حواسّي فليس عندي بموجود.

قلت: إنّه لمّا عجزت حواسّك عن إدراك الله أنكرته، وأنا لمّا عجزت حواسّي عن إدراك الله تعالى صدّقت به.

قال: وكيف ذلك؟ قلت: لأنّ كلّ شيء جرى فيه أثر تركيب لَجسم، أو وقع عليه بصر لَلون فما أدركته الأبصار ونالته الحواسّ فهو غير الله سبحانه لأنّه لايشبه الخلق، وأنّ هذا الخلق ينتقل بتغيير وزوال، وكلّ شي أشبه التغيير والزوال فهو مثله، وليس المخلوق كالخالق ولا المحدَث كالمحدِث.

شرح: قوله عليه السلام: والبلاء المحمود عنه الخاصّة والعامّة أي النعمة الّتي يحمدها ويقرُّ بها الخاصُّ والعامُّ لنا وهو العلم، أو النعم الّتي شملت الخاصّ والعامّ كما سيفصّله عليه السلام بعد ذلك. قوله عليه السلام: ما أُتي الجهّال أي ما أتاهم الضرر والهلاك إلّا من قبلهم. قال الفيروزآباديُّ: أُتي كعني أشرف عليه العدوّ. وقال الجزريّ: في حديث أبي هريرة في العدوى: إنّي قلت أتيت. أي دهيت وتغيّر عليك حسّك فتوهّمت ما ليس بصحيح صحيحاً. قوله عليه السلام: استحوذ الشيطان أي غلب واستولى. قوله عليه السلام: وصنيعة أي احسان، ويحتمل أن يراد بها هنا الخلقة المصنوعة. قوله عليه السلام: لجسم بفتح اللاّم أي البتّة هو جسم. وكذا قوله: للون. ويدلّ على أنّ التركيب الخارجيّ إنّما يكون في الجسم وأنّ المبصر بالذات هو اللّون. قوله عليه السلام: أشبه التغيير أي المتغيّر، أو ذا التغيير بتقدير مضاف.

متن: قال: إنَّ هذا لقول، ولكنّي لمنكر مالم تدركه حواسّي فتؤدّيه إلى قلبي؛ فلمّا اعتصم بهذه المقالة ولزم هذه الحجّة قلت: أمّا إذ أبيت إلّا أن تعتصم بالجهالة، وتجعل المحاجزة حجّة فقد دخلت في مثل ماعبت وامتثلت ما كرهت، حيث قلت: إنّي اخترت الدعوى لنفسي لأنَّ كلّ شيء لم تدركه حواسّي عندي بلا شيء.

قال: وكيف ذلك؟ قلت: لأنّك نقمت على الادّعاء ودخلت فيه فادّعيت أمراً لم تحط به خبراً ولم تقله علماً فكيف استجزت لنفسك الدعوى في إنكارك الله، ودفعك أعلام النبوّة والحجّة الواضحة وعبتها عليّ؟ أخبرني هل أحطت بالجهات كلّها وبلغت منتهاها؟ قال: لا: قلت: فهل رقيت إلى السماء الّتي ترى؟ أو انحدرت إلى الأرض السفلى فجلت في أقطارها؟ أو هل خضت في غمرات البحور واخترقت نواحي الهواء فيما فوق السماء وتحتها إلى الأرض وما أسفل منها فوجدت ذلك خلاءً من مدبّر حكيم عالم بصير؟ قال: لا. قلت: فما يدريك لعلَّ الّذي أنكره قلبك هو في بعض ما لم تدركه حواسّك ولم يحط به علمك.

قال: لا أدري لعلّ في بعض ما ذكرت مدبّراً، وما أدري لعلّه ليس في شيء من ذلك شيء! قلت: أمّا إذ خرجت من حدّ الإنكار إلى منزلة الشكّ فإنّي أرجو أن تخرج إلى المعرفة.

قال: فإنّما دخل عليَّ الشكّ لسؤالك إيّاي عمّا لم يحط به علمي، ولكن من أين يدخل عليَّ اليقين بما لم تدركه حواسّي؟ قلت: من قبل إهليلجتك هذه.

قال: ذاك إذاً أثبت للحجّة، لأنّها من آداب الطبّ الّذي أذعن بمعرفته قلت: إنّما أردت آن آتيك به من قبلها لأنّها أقرب الأشياء إليك، ولو كان شيء أقرب إليك منها لأتيتك من قبله،

لأنّ في كلّ شيء أثر تركيب وحكمة، وشاهداً يدلّ على الصنعة الدالّة على من صنعها ولم تكن شيئاً، ويهلكها حتّى لا تكون شيئاً. قلت: فأخبرني هل ترى هذه إهليلجة؟ قال: نعم.

قلت: أفترى غيب ما في جوفها؟ قال: لا قلت: أفتشهد أنّها مشتملة على نواة ولا تراها؟ قال: ما يدريني لعلّ ليس فيها شيء. قلت: أفترى أنّ خلف هذا القشر من هذه الإهليلجة غائب لم تره من لحم أو ذي لون؟ قال: ما أدري لعلّ ما ثمّ غير ذي لون ولا لحم. قلت: أفتقرُّ أنّ هذه الإهليلجة الّتي تسميها الناس بالهند موجودة لاجتماع أهل الاختلاف من الأُمم على ذكرها؟ قال: ما أدري لعلّ ما اجتمعوا عليه من ذلك باطل! قلت: أفتقرُّ أنّ الإهليلجة في أرض تنبت؟ قال: تلك الأرض وهذه واحدة وقد رأيتها. قلت: أفما تشهد بحضور هذه الإهليلجة على وجود ما غاب من أشباهها؟ قال: ما أدري لعلّه ليس في الدنيا إهليلجة غيرها. فلمّا اعتصم بالجهالة قلت: أخبرني عن هذه الإهليلجة أتقرُّ أنّها خرجت من شجرة، أو تقول: إنّها هكذا وجدت؟ قال: لا بل من شجرة خرجت. قلت: فهل أدركت حواسّك الخمس ما غاب عنك من تلك الشجرة، قال: لا. قلت: فما أراك إلاّ قد أقررت بوجود شجرة لم تدركها حواسك. قال: أجل ولكنّي أقول: إنّ الإهليلجة والأشياء المختلفة شي لم تزل تدرك، فهل عندك في هذا شي تردّ به قولي؟ قلت: نعم أخبرني عن هذه الإهليلجة هل كنت عاينت شجرتها وعرفتها قبل أن تكون هذه الإهليلجة فيها؟ قال: نعم. قلت: فهل كنت تعاين هذه الإهليلجة؟ قال: لا. قلت: أفما تعلم أنّك كنت عاينت الشجرة وليس فيها الإهليلجة، ثمّ عدت إليها فوجدت فيها الإهليلجة أفما تعلم أنّه قد حدث فيها ما لم تكن؟ قال ما أستطيع أن أنكر ذلك ولكنّي أقول: إنّها كانت فيها متفرّقة. قلت: فأخبرني هل رأيت تلك الإهليلجة الّتي تنبت منها شجرة هذه الإهليلجة قبل أن تغرس؟ قال: نعم.

قلت: فهل يحتمل عقلك أنّ الشجرة الّتي تبلغ أصلها وعروقها وفروعها ولحاؤها وكلّ ثمرة جنيت، وورقة سقطت ألف ألف رطل كانت كامنة في هذه الإهليلجة؟ قال: ما يحتمل هذا العقل ولا يقبله القلب. قلت: أقررت أنّها حدثت في الشجرة؟ قال: نعم ولكنّي لا أعرف أنّها مصنوعة فهل تقدر أن تقرّرني بذلك؟ قلت: نعم أرأيت أنّي إن أريتك تدبيراً أتقرُّ أنّ له مدبّراً وتصويراً أنّ له مصوّراً؟. قال: لا بدّ من ذلك.

قلت: ألست تعلم أنّ هذه الإهليلجة لحم ركّب على عظم فوضع في جوف متّصل بغصن مركّب على ساق يقوم على أصل فيقوى بعروق من تحتها على جرم متّصل بعض ببعض؟ قال: بلى. قلت: ألست تعلم أنّ هذه الإهليلجة مصوّرة بتقدير وتخطيط، وتأليف وتركيب وتفصيل متداخل بتأليف شيء في بعض شيء، به طبق بعد طبق وجسم على جسم ولون مع لون، أبيض في صفرة، ولين على شديد، في طبائع متفرّقة، وطرائق مختلفة، وأجزاء مؤتلفة مع لحاء تسقيها، وعروق يجري فيها الماء وورق يسترها ويقيها من الشمس أن تحرقها، ومن البرد أن

يهلكها، والريح أن تذبلها؟ قال: أفليس لو كان الورق مطبقاً عليها كان خيراً لها؟ قلت: الله أحسن تقديراً لو كان كما تقول لم يصل إليها ريح يروّحها، ولا برد يشدّدها، ولعفنت عند ذلك، ولو لم يصل إليها حرّ الشمس لما نضجت، ولكن شمسٌ مرّةً وريحٌ مرّةً وبردٌ مرّة قدّر الله ذلك بقوّة لطيفة ودبّره بحكمة بالغة.

قال: حسبي من التصوير فسّر لي التدبير الّذي زعمت أنّك ترينه[1]. قلت: أرأيت الإهليلجة قبل أن تعقد إذ هي في قمعها ماء بغير نواة ولا لحم ولا قشر ولا لون ولا طعم ولا شدّة؟ قال: نعم. قلت: أرأيت لو لم يرفق الخالق ذلك الماء الضعيف الّذي هو مثل الخردلة في القلّة والذلّة ولم يقوّه بقوّته ويصوّره بحكمته ويقدّره بقدرته هل كان ذلك الماء يزيد على أن يكون في قمعه غير مجموع بجسم وقمع وتفصيل؟ فإن زاد زاد ماءاً متراكباً غيرمصوّر ولا مخطّط ولا مدبّر بزيادة أجزاء ولا تأليف أطباع قال: قد أريتني من تصوير شجرتها وتأليف خلقتها وحمل ثمرتها وزيادة أجزائها وتفصيل تركيبها أوضح الدلالات، وأظهر البيّنة على معرفه الصانع ولقد صدقت بأنّ الأشياء مصنوعة، ولكنّي لا أدري لعلّ الإهليلجة والأشياء صنعت أنفسها؟ قلت: أولست تعلم أنّ خالق الأشياء والإهليلجة حكيم عالم بما عاينت من قوّة تدبيره؟ قال: بلى. قلت: فهل ينبغي للّذي هو كذلك أن يكون حدثاً؟ قال: لا. قلت: أفلست قد رأيت الإهليلجة حين حدثت وعاينتها بعد أن لم تكن شيئاً ثمّ هلكت كأن لم تكن شيئاً؟ قال: بلى، وإنّما أعطيتك أنّ الإهليلجة حدثت ولم أعطك أنّ الصانع لا يكون حادثاً لا يخلق نفسه. قلت: ألم تعطني أنّ الحكيم الخالق لا يكون حدثاً، وزعمت أنّ الإهليلجة حدثت؟ فقد أعطيتني أنّ الإهليلجة مصنوعة، فهو عزّوجلّ صانع الإهليلجة، وإن رجعت إلى أن تقول: إن الإهليلجة مصنوعة، فهو عزّوجلّ صانع الإهليلجة، وإن رجعت إلى أنّ تقول: إنّ الإهليلجة صنعت نفسها ودبّرت خلقها فما زدت أن أقررت بما أنكرت، ووصفت صانعاً مدبّراً أصبت صفته، ولكنّك لم تعرفه فسمّيته بغير اسمه قال: كيف ذلك؟ قلت: لأنك أقررت بوجود حكيم لطيف مدبّر، فلّما سألتك من هو؟ قلت: الإهليلجة. قد أقررت بالله سبحانه، ولكنّك سمّيته بغير اسمه، ولو عقلت وفكّرت لعلمت أنّ الإهليلجة أنقص قوّة من أن تخلق نفسها، وأضعف حيلة من أن تدبّر خلقها.

قال: هل عندك غير هذا؟ قلت: نعم؛ أخبرني عن هذه الإهليلجة الّتي زعمت أنّها صنعت نفسها ودبّرت أمرها كيف صنعت نفسها صغيرة الخلقة، صغيرة القدرة، ناقصة القوّة، لا تمتنع أن تكسر وتعصر وتؤكل؟ وكيف صنعت نفسها مفضولة مأكولة مرّة قبيحة المنظر لا بهاء لها ولا ماء؟ قال: لأنّها لم تقو إلّا على ما صنعت نفسها أو لم تصنع إلّا ما هويت. قلت: أمّا إذ أبيت إلّا التمادي في الباطل فأعلمني متى خلقت نفسها ودبّرت خلقها قبل أن تكون أو بعد

(١) تريينه. ظ.

أن كانت؟ فإن زعمت أنّ الإهليلجة خلقت نفسها بعدما كانت فإنّ هذا لَمن أبين المحال! كيف تكون موجودة مصنوعة ثمّ تصنع نفسها مرّة أخرى؟ فيصير كلامك إلى أنّها مصنوعة مرّتين؛ ولئن قلت: إنّها خلقت نفسها ودبّرت خلقها قبل أن تكون إنّ هذا من أوضح الباطل وأبين الكذب! لأنّها قبل أن تكون ليس بشيء، فكيف يخلق لا شيء شيئاً؟ وكيف تعيب قولي: إنّ شيئاً يصنع لا شيئاً ولا تعيب قولك: إنّ لا شيء يصنع لا شيئاً؟ فانظر أيّ القولين أولى بالحقّ؟ قال: قولك. قلت: فما يمنعك منه؟ قال: قد قبلته واستبان لي حقه وصدقه بأنّ الأشياء المختلفة والإهليلجة لم يصنعن أنفسهنّ، ولم يدبّرن خلقهنّ، ولكنّه تعرّض لي أنّ الشجرة هي الّتي صنعت الإهليلجة لأنّها خرجت منها. قلت: فمن صنع الشجرة: قال: الإهليلجة الأخرى! قلت: اجعل لكلامك غاية أنتهي إليها فإمّا أن تقول: هو الله سبحانه فيقبل منك، وإمّا أن تقول: الإهليلجة فنسألك.

قال: سل. قلت: أخبرني عن الإهليلجة هل تنبت منها الشجرة إلّا بعدما ماتت وبليت وبادت؟ قال: لا. قلت: إنّ الشجرة بقيت بعد هلاك الإهليلجة مائة سنة، فمن كان يحميها ويزيد فيها، ويدبّر خلقها ويربّيها، وينبت ورقها؟ ما لك بدٌّ من أن تقول: هو الّذي خلقها، ولئن قلت: الإهليلجة وهي حيّة قبل أن تهلك وتبلى وتصير تراباً، وقد ربّت الشجرة وهي ميتة أنّ هذا القول مختلف. قال: لا أقول ذلك. قلت أفتقرُّ بأنّ الله خلق الخلق أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك؟ قال: إنّي من ذلك على حدّ وقوف ما أتخلّص إلى أمر ينفذ لي فيه الأمر. قلت: أمّا إذا أبيت إلاّ الجهالة وزعمت أنّ الأشياء لا تدرك إلاّ بالحواسّ فإنّي أخبرك أنّه ليس للحواسّ دلالة على الأشياء ولا فيها معرفة إلّا بالقلب، فإنّه دليلها ومعرّفها الأشياء الّتي تدّعي أنّ القلب لا يعرفها إلاّ بها.

شرح: قوله عليه السلام : وامتثلت قال الفيروزآباديُّ: امتثل طريقته: تبعها فلم يعدها. قوله: نقمت عليّ أي عبت وكرهت. قوله: من لحم قال الفيروزآباديّ: لحم كلّ شيء لبّه.

قوله تلك الأرض أي أشار إلى الأرض، وقال أقرُّ بوجود هذه الأرض الّتي أرى والإهليلجة الواحدة الّتي في يدي. قوله: كانت فيها متفرّقة لعلّه اختار مذهب إنكساغورس ومن تبعه من الدهريّة القائلين بالكمون والبروز، وأنّ كلّ شيء كامن؛ ويومئ إليه جوابه. قوله عليه السلام : في قمعها قال الفيروزآباديّ: القمع محرّكة: بثرة تخرج في اصول الأشفار، وقال القمع بالفتح والكسر وكعنب: ما التزق بأسفل التمرة والبسرة ونحوهما انتهى، وعلى التقديرين استعير لما يبدو من الإهليلجة ابتداءاً في شجرها من القشرة الرقيقة الصغيرة الّتي فيها ماء، والأوّل أبلغ. قوله عليه السلام : غير مجموع بجسم أي هل كان يزيد بغير أن يضمّ إليه جسم آخر من خارج، أو قمع آخر مثله، أو بغير قمعه أي قلعه وتفصيله أي تفريقه ليدخل فيه شيء أو يضمّ إلى شيء. قوله عليه السلام : فإن زاد أي فإن سلم أنّه كان يمكن أن يزيد بطبيعته بغير

ما ذكر كانت زيادته ماءاً متراكباً بعضه فوق بعض فقط كما كان أوّلاً لا بتخطيط وتصوير وتدبير وتأليف إذ يحكم العقل بديهة أنّ مثل تلك الأفاعيل المختلفة المنطبقة على قانون الحكمة لا تصدر عن طبيعة عادمة للشعور والإرادة. قوله عليه السلام: فهل ينبغي إشارة إلى ما يحكم به الوجدان من أنّ من كان على هذا المبلغ من العلم والحكمة والتدبير لا يكون ممكناً محدَثاً محتاجاً في العلم وسائر الأمور إلى غيره، إلاّ ان يفيض عليه من العالم بالذات، وهو إقرار بالصانع. قوله: ولم اعطك. غفل الهنديّ عمّا كان يلزم من اعترافيه. قوله: وإن رجعت إلى إن قلت: إن الصانع القديم الحكيم هو طبيعة الإهليلجة صنعت هذا الشخص منها فقد اقررت بالصانع وسمّيته الطبيعة، إذ هي غير حكيم ولا ذات إرادة فقد أقررت بالصانع وأخطأت في التسمية، أو المراد أنّك بعد الاعتراف بالخالق الحكيم القديم لو قلت: إنّه هذه الإهليلجة فقد أقررت بما أنكرت أي نقضت قولك الأوّل، وقلت بالنقيضين، ولا محمل لتصحيحه إلاّ أن تقول: سمّيت ما أقررت به بهذا الاسم، وهذا لا يضرّنا بعد ما تيسّر لنا من إقرارك؛ ويحتمل أن يكون هذا كلاماً على سبيل الاستظهار في المجادلة أي إن تنزّلنا عمّا أقررت به من قدم الحكيم وحدوث الإهليلجة يكفينا إقرارك بكون الخالق حكيماً، إذ معلوم أنّها ليست كذلك، فقد سمّيت الصانع الحكيم بهذا الاسم. قوله: مفضولة إذ ظاهر أنّ كثيراً من المخلوقات أفضل وأشرف منها. قوله: هو الّذي خلقها أي لابدّ أن يكون مربّيها هوخالقها، فإن قلت: إنّ الخالق والمربّي واحد وهي الإهليلجة خلقت عند كونها حية، وربّت بعد موتها فالقول مختلف إذ خلقها تدريجيّ، وعند خلق أيّ مقدار من الشجرة لابدّ من انقلاب بعضها شجرة فلم تكن الإهليلجة باقية بعد تمام خلق ذلك المقدار، والخلق والتربية ممزوجان لايصلح القول بكونها حيّة عند أحدهما ميتة عند الآخر؛ ويحتمل أن يكون المراد أنّ القول بأنّ الخالق والمربّي واحد والقول بأنّ الإهليلجة بعد موتها ربّت متنافيان؛ لأنّ موتها عبارة عن استحالتها بشيء آخر، فالمربّي شيء آخر سوى الإهليلجة. وفي بعض النسخ: وقد رأيت الشجرة. قوله: ما أتخلّص أي ما أصل إلى أمر يجري فيه أمري أي حكمي، ويمكنني أن أحكم بصحّته. ثمّ لمّا علم عليه السلام أنّ سبب توقّفه اقتصاره على حكم الحواسّ بيّن عليه السلام أنّ الحواسّ داخلة تحت حكم العقل، ولابدّ من الرجوع إلى العقل في معرفة الأشياء.

متن: فقال: أمّا إذ نطقت بهذا فما أقبل منك إلاّ بالتخليص والتفحّص منه بإيضاح وبيان وحجّة وبرهان. قلت: فأوّل ما أبدأ به أنّك تعلم أنّه ربّما ذهب الحواسّ، أو بعضها ودبّر القلب الأشياء الّتي فيها المضرّة والمنفعة من الأمور العلانية والخفيّة فأمر بها ونهى فنفذ فيها أمره وصحّ فيها قضاؤه.

قال: إنّك تقول في هذا قولاً يشبه الحجّة، ولكنّي أحبّ أن توضحه لي غير هذا الإيضاح. قلت: ألست تعلم أنّ القلب يبقى بعد ذهاب الحواسّ؟ قال: نعم ولكن يبقى بغير دليل على

الأشياء الّتي تدلّ عليها الحواسّ. قلت: أفلست تعلم أنّ الطفل تضعه أمّه مضغة ليس تدلّه الحواسّ على شيء يسمع ولا يبصر ولا يذاق ولا يلمس ولا يشمّ؟ قال: بلى. قلت: فأيّة الحواسّ دلّته على طلب اللّبن إذا جاع، والضحك بعد البكاء إذا روي من اللبن؟ وأيّ حواسّ سباع الطير ولاقط الحبّ منها دلّها على أن تلقي بين أفراخها اللّحم والحبّ فتهوي سباعها إلى اللّحم، والآخرون إلى الحبّ؟ وأخبرني عن فراخ طير الماء ألست تعلم أنّ فراخ طير الماء إذا طرحت فيه سبحت وإذا طرحت فيه فراخ طير البرّ غرقت والحواسّ واحدة، فكيف انتفع بالحواسّ طير الماء وأعانته على السباحة ولم تنتفع طير البرّ في الماء بحواسّها؟ وما بال طير البرّ إذا غمستها في الماء ساعة ماتت وإذا أمسكت طير الماء عن الماء ساعة ماتت؟ فلا أرى الحواسّ في هذا إلاّ منكسرة عليك، ولا ينبغي ذلك أن يكون إلاّ من مدبّر حكيم جعل للماء خلقاً وللبرّ خلقاً.

أم أخبرني ما بال الذرّة الّتي لا تعاين الماء قطّ تطرح في الماء فتسبح، وتلقى الإنسان ابن خمسين سنة من أقوى الرجال وأعقلهم لم يتعلّم السباحة فيغرق؟ كيف لم يدلّه عقله ولبّه وتجاربه وبصره بالأشياء مع اجتماع حواسّه وصحّتها أن يدرك ذلك بحواسّه كما أدركته الذرّة إن كان ذلك إنّما يدرك بالحواسّ؟ أفليس ينبغي لك أن تعلم أنّ القلب الّذي هو معدن العقل في الصبيّ الّذي وصفت وغيره ممّا سمعت من الحيوان هو الّذي يهيّج الصبيّ إلى طلب الرضاع، والطير اللاّقط على لقط الحبّ، والسباع على ابتلاع اللّحم؟.

قال: لست أجد القلب يعلم شيئاً إلاّ بالحواسّ! قلت: أمّا إذ أبيت إلاّ النزوع إلى الحواسّ فإنّا لنقبل نزعك إليها بعد رفضك لها، ونجيبك في الحواسّ حتّى يتقرّر عندك أنّها لا تعرف من سائر الأشياء إلاّ الظاهر ممّا هو دون الربّ الأعلى سبحانه وتعالى، فأمّا ما يخفى ولا يظهر فليست تعرفه، وذلك أنّ خالق الحواسّ جعل لها قلباً احتجّ به على العباد، وجعل للحواسّ الدلالات على الظاهر الّذي يستدلّ بها على الخالق سبحانه، فنظرت العين إلى خلق متّصل بعضه ببعض فدلّت القلب على ما عاينت، وتفكّر القلب حين دلّته العين على ما عاينت من ملكوت السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد يرى، ولا دعائم تمسكها لا تؤخّر مرّة فتنكشط، ولا تقدّم أخرى فتزول، ولا تهبط مرّة فتدنو، ولا ترتفع أخرى فتنأى، لا تتغيّر لطول الأمد ولا تخلق لاختلاف اللّيالي والأيّام، ولا تتداعى منها ناحية، ولا ينهار منها طرف، مع ما عاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك، وتنقّلها في البروج يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة، منها السريع، ومنها البطيء، ومنها المعتدل السير، ثمّ رجوعها واستقامتها، وأخذها عرضاً وطولاً، وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة وظهورها إذا غربت، وجري الشمس والقمر في البروج دائبين لا يتغيّران في أزمنتهما وأوقاتهما يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع وأمر معلوم بحكمة يعرف ذوو الألباب أنّها ليست من حكمة الإنس، ولا تفتيش الأوهام، ولا تقليب التفكّر، فعرف القلب

حين دلّته العين على ما عاينت أنّ لذلك الخلق والتدبير والأمر العجيب صانعاً يمسك السماء المنطبقة أن تهوي إلى الأرض وأنّ الّذي جعل الشمس والنجوم فيها خالق السماء، ثمّ نظرت العين إلى ما استقلّها من الأرض فدلّت القلب على ما عاينت فعرف القلب بعقله أنّ ممسك الأرض الممتدّة أن تزول أو تهوي في الهواء - وهو يرى الريشة يرمى بها فتسقط مكانها وهي في الخفّة على ما هي عليه - هو الّذي يمسك السماء الّتي فوقها، وأنّه لولا ذلك لخسفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والأنام والأشجار والبحور والرمال، فعرف القلب بدلالة العين أنّ مدبّر الأرض هو مدبّر السماء. ثمّ سمعت الأذن صوت الرياح الشديدة العاصفة واللّينة الطيّبة، وعاينت العين ما يقلع من عظام الشجر ويهدم من وثيق البنيان، وتسفى من ثقال الرمال، تخلّي منها ناحية وتصبّها في أخرى، بلا سائق تبصره العين، ولا تسمعه الأذن، ولا يدرك بشيء من الحواسّ، وليست مجسّدة تلمس ولا محدودة تعاين، فلم تزد العين والأذن وسائر الحواسّ على أن دلّت القلب أنّ لها صانعاً، وذلك أنّ القلب يفكّر بالعقل الّذي فيه، فيعرف أنّ الريح لم تتحرّك من تلقائها وأنّها لو كانت هي المتحرّكة لم تكفف عن التحرّك، ولم تهدم طائفة وتعفّي أخرى، ولم تقلع شجرة وتدع أخرى إلى جنبها، ولم تصب أرضاً وتنصرف عن أخرى فلمّا تفكّر القلب في أمر الريح علم أنّ لها محرّكاً هو الّذي يسوقها حيث يشاء، ويسكنها إذا شاء ويصيب بها من يشاء، ويصرفها عمّن يشاء، فلمّا نظر القلب إلى ذلك وجدها متّصلة بالسماء، وما فيها من الآيات فعرف أنّ المدبّر القادر على أن يمسك الأرض والسماء هو خالق الريح ومحرّكها إذا شاء، وممسكها كيف شاء، ومسلّطها على من يشاء. وكذلك دلّت العين والأذن القلب على هذه الزلزلة، وعرف ذلك بغيرهما من حواسّه حين حركته فلمّا دلّ الحواسُّ على تحريك هذا الخلق العظيم من الأرض في غلظها وثقلها، وطولها وعرضها وما عليها من ثقل الجبال والمياه والأنام وغير ذلك، وإنّما تتحرّك في ناحية ولم تتحرّك في ناحية أخرى وهي ملتحمة جسداً واحداً، وخلقاً متّصلاً بلا فصل ولا وصل، تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم أخرى؛ فعندها عرف القلب أنّ محرّك ما حرّك منها هو ممسك ما أمسك منها، وهو محرّك الريح وممسكها، وهو مدبّر السماء والأرض وما بينهما، وأنّ الأرض لو كانت هي المزلزلة لنفسها لما تزلزلت ولما تحرّكت ولكنّه الّذي دبّرها وخلقها حرّك منها ما شاء. ثمّ نظرت العين إلى العظيم من الآيات من السحاب المسخّر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لا جسد له يلمس بشيء من الأرض والجبال، يتخلّل الشجرة فلا يحرّك منها شيئاً، ولا يهصر منها غصناً، ولا يعلق منها بشيء يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته، ويحتمل من ثقل الماء وكثرته ما لا يقدر على صفته، مع ما فيه من الصواعق الصادعة، والبروق اللّامعة، والرعد والثلج والبرد والجليد ما لا تبلغ الأوهام صفته ولا تهتدي القلوب إلى كنه عجائبه، فيخرج مستقلاً في الهواء يجتمع بعد تفرّقه ويلتحم

بعد تزايله، تفرّقه الرياح من الجهات كلّها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربّها، يسفل مرّة ويعلو أُخرى، متمسّك بما فيه من الماء الكثير الّذي إذا أزجاه صارت منه البحور، يمرّ على الأراضي الكثيرة والبلدان المتنائية لا تنقص منه نقطة، حتّى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفراسخ فيرسل ما فيه قطرةً بعد قطرة، وسيلاً بعد سيل، متتابع على رسله حتّى ينقع البرك وتمتلي الفجاج، وتعتلي الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصّة بسيولها، مصمخة الآذان لدويّها وهديرها فتحيى بها الأرض الميتة، فتصبح مخضرّة بعد أن كانت مغبرّة، ومعشبة بعد أن كانت مجدبة، قد كسيت ألواناً من نبات عشب ناضرة زاهرة مزيّنة معاشاً للناس والأنعام، فإذا أفرغ الغمام ماءه أقلع وتفرّق وذهب حيث لا يعاين ولا يدرى أين توارى، فأدّت العين ذلك إلى القلب فعرف القلب أنّ ذلك السحاب لو كان بغير مدبّر وكان ما وصفت من تلقاء نفسه ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء، وإن كان هو الّذي يرسله لما احتمله ألفي فرسخ أو أكثر، ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك، ولما أرسله قطرة بعد قطرة، بل كان يرسله إرسالاً فكان يهدم البنيان ويفسد النبات، ولما جاز إلى بلد وترك آخر دونه؛ فعرف القلب بالأعلام المنيرة الواضحة أنّ مدبّر الأمور واحد، وأنّه لو كان اثنين أو ثلاثة لكان في طول هذه الأزمنة والأبد والدهر اختلاف في التدبير وتناقض في الأمور، ولتأخّر بعض وتقدّم بعض، ولكان تسفّل بعض ما قد علا، ولعلا بعض ما قد سفل، ولطلع شيء وغاب فتأخّر عن وقته أو تقدّم ما قبله فعرف القلب بذلك أنّ مدبّر الأشياء ما غاب منها وما ظهر هو الله الأوّل، خالق السماء وممسكها، وفارش الأرض وداحيها، وصانع ما بين ذلك ممّا عدّدنا وغير ذلك ممّا لم يحص.

وكذلك عاينت العين اختلاف اللّيل والنهار دائبين جديدين لا يبليان في طول كرّهما، ولا يتغيّران لكثرة اختلافهما، ولا ينقصان عن حالهما، النهار في نوره وضيائه، واللّيل في سواده وظلمته، يلج أحدهما في الآخر حتّى ينتهي كلّ واحد منهما إلى غاية محدودة معروفة في الطول والقصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد، مع سكون من يسكن في اللّيل، وانتشار من ينتشر في اللّيل، وانتشار من ينتشر في النهار، وسكون من يسكن في النهار، ثمّ الحرّ والبرد وحلول أحدهما بعقب الآخر حتّى يكون الحرّ برداً، والبرد حرّاً في وقته وإبّانه، فكلّ هذا ممّا يستدلّ به القلب على الربّ سبحانه وتعالى، فعرف القلب بعقله أنّ من دبّر هذه الأشياء هو الواحد العزيز الحكيم الّذي لم يزل ولا يزال، وأنّه لو كان في السماوات والأرضين آلهة معه سبحانه لذهب كلّ إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، ولفسد كلّ واحد منهم على صاحبه.

وكذلك سمعت الأذن ما أنزل المدبّر من الكتب تصديقاً لمّا أدركته القلوب بعقولها، وتوفيق الله إيّاها، وما قاله من عرفه كنه معرفته بلا ولد ولا صاحبة ولا شريك فأدّت الأذن ما سمعت من اللّسان بمقالة الأنبياء إلى القلب.

شرح: قوله عليه السلام: ربّما ذهب الحواسّ إمّا بالنوم كما سيأتي أو بآفة فإنّ العقل لا محالة يدلّه على أن يشير إلى بعض ما يصلحه، ويطلب ما يقيمه بأيّ وجه كان، على أنّ ذهاب الحواسّ الخمس لا ينافي بقاء النطق. قوله عليه السلام: إلاّ النزوع إلى الحواسّ أي الاشتياق إليها، والحاصل أنّا نوافقك ونستدلّ لك بما تدلّ عليه الحواسّ؛ وإن كنت رفضتها وتركتها وسلّمت في ما مضى كونها معزولة عن بعض الأشياء فنقول: إنّ حكم العقل بوجود الصانع إنّما هو من جهة ما دلّته الحواسُّ عليه ممّا نشاهده من آثار صنعه تعالى. قوله عليه السلام: فتنكشط الانكشاط: الانكشاف. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾(١) أي قلعت كما يقلع السقف، ولعلّ المراد بالتأخّر تأخّر ما يحاذي رؤوسنا بحيث يرى ما وراءه، وبالتقدّم أن يتحرّك جميعها حركة أينيّة حتّى يخرج من بينها، ويحتمل أن يكون المراد فيهما معاً إمّا الأوّل أو الثاني، ويكون التعبير عن أحدهما بالانكشاط وعن الآخر بالزوال لمحض تفنّن العبارة، وعلى التقادير المراد بالزوال الزوال عنّا وعن محاذاتنا. قوله عليه السلام: ولا يتداعى قال الجوهريّ: تداعت الحيطان للخراب أي تهادمت. وقال: انهار أي انهدم قوله عليه السلام: ثمّ رجوعها إشارة إلى ما يعرض للمتحيّرة من الرجعة والاستقامة والإقامة. وقوله عليه السلام: وأخذها عرضاً وطولاً إشارة إلى كونها تارة عن جنوب المعدّل، وتارة عن شمالها، وكون بعضها تارة عن جنوب منطقة البروج وتارة عن شمالها، وإلى حركة المائل في السفليّين وعرض الوراب والانحراف والاستواء فيهما، وإلى ميل الذروة والحضيض في المتحيّرة. وخنوسها: غيبتها واستتارها تحت شعاع الشمس. قوله عليه السلام: المنطبقة أي المحيطة بجميع الخلق، وفي بعض النسخ المظلّة. واستقلّها أي حملها ورفعها. قوله عليه السلام: متّصلة بالسماء أي داخلة في ذلك النظام شبيهة بها فيه. قوله عليه السلام: يلمس بشيء لعلّ المراد الاصطكاك الّذي يحصل منه صوت، وفي بعض النسخ كشيء، ويحتمل أن يكون تصحيف يشبه بشيء. وقال الفيروزآبادي: الهصر: الجذب. والإمالة. والكسر. والدفع. والإدناء. وعطف شيء رطب كغصن ونحوه وكسره من غير بينونة. وقال: الجليد: ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد. انتهى. وقوله عليه السلام: أزجاه أي دفعه. والرسل بالكسر: التأنّي والرفق. وينقع بالياء على المعلوم أو بالتاء على المجهول. والبرك كعنب جمع بركة وهي معروفة. والفجاج بالضمّ: الطريق الواسع بين جبلين، وبالكسر جمع الفجّ بمعناه. والاعتلاء: الارتفاع. وقوله عليه السلام: غاصّة أي ممتلئة. والمصمخة لعلّها مشتقّة من الصماخ أي تؤذي الصماخ؛ والأظهر مصمّمة. قوله عليه السلام: من نبات بالإضافة على أن يكون مصدراً، أو بالتنوين ليكون عشب بدل بعض له. والإقلاع عن الأمر: الكفّ عنه. والكرّ: الرجوع. قوله عليه السلام: مع سكون من يسكن في اللّيل أي جعل في معظم المعمورة طول كلّ منهما وقصره على حدّ

---

(١) سورة التكوير، الآية: ١١.

محدود لا يتجاوزه لئلّا تفوت مصلحة كلّ منهما من السكون في اللّيل والانتشار في النهار، ويحتمل أنّ يكون إشارة إلى أصل الحكمة في حصول اللّيل والنهار. قوله عليه السلام: وانتشار من ينتشر في اللّيل كالخفّاش والبعوضة وسائر ما ينتشر في اللّيل من الهوامّ، وكالخائف والمسافر الّذي تصلحه حركة اللّيل. قوله: إذاً لذهب أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كلُّ إله منهم بما خلقه واستبدّ به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين؛ ووقع بينهم التجاذب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا إذ يستحيل كونهما واجبين كاملين وهذا شأن الناقص؛ ويحتمل أن يكون الغرض نفي الآلهة الناقصة الممكنة الّتي جعلوها شريكاً للواجب تعالى شأنه؛ وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد. وفي بعض النسخ هكذا: «ولعلا بعضهم على بعض، ولأفسد كلُّ واحد منهم على صاحبه، وكذلك سمعت الأُذن ما أنزل الله من كتبه على ألسن أنبيائه تصديقاً لما أدركته العقول بتوفيق الله إيّاها وعونه لها إذا أرادت ما عنده أنّه الأوّل لا شبيه له، ولا مثل له، ولا ضدّ له، ولا تحيط به العيون، ولا تدركه الأوهام كيف هو لأنّه لا كيف له وإنّما الكيف للمكيّف المخلوق المحدود المحدَث غير أنّا نوقن أنّه معروف بخلقه موجود بصنعه فتبارك الله وتعالى اسمه لا شريك له فعرف القلب بعقله أنّه لو كان معه شريك كان ضعيفاً ناقصاً، ولو كان ناقصاً ما خلق الإنسان ولاختلفت التدابير وانتقضت الأُمور، مع النقص الّذي يوصف به الأرباب المتفرّدون والشركاء المتعانتون.

متن: فقال: قد أتيتني من أبواب لطيفة بما لم يأتني به أحد غيرك إلاّ أنّه لا يمنعني من ترك ما في يدي إلاّ الإيضاح والحجّة القويّة بما وصفت لي وفسّرت. قلت: أمّا إذا حجبت عن الجواب واختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة من قبل نفسك خاصّة ما يستبين لك أنّ الحواسّ لا تعرف شيئاً إلاّ بالقلب؛ فهل رأيت في المنام أنّك تأكل وتشرب حتّى وصلت لذّة ذلك إلى قلبك؟ قال: نعم. قلت: فهل رأيت أنّك تضحك وتبكي وتجول في البلدان الّتي لم ترها والّتي قد رأيتها حتّى تعلم معالم ما رأيت منها؟ قال: نعم ما لا أُحصي. قلت: هل رأيت أحداً من أقاربك من أخ أو أب أو ذي رحم قد مات قبل ذلك حتّى تعلمه وتعرفه كمعرفتك إيّاه قبل أن يموت؟ قال: أكثر من الكثير. قلت: فأخبرني أيّ حواسّك أدرك هذه الأشياء في منامك حتّى دلّت قلبك على معاينة الموتى وكلامهم، وأكل طعامهم، والجولان في البلدان، والضحك والبكاء وغير ذلك؟ قال: ما أقدر أن أقول لك أيّ حواسّي أدرك ذلك أو شيئاً منه، وكيف تدرك وهي بمنزلة الميّت لا تسمع ولا تبصر؟ قلت: فأخبرني حيث استيقظت ألست قد ذكرت الّذي رأيت في منامك تحفظه وتقصّه بعد يقظتك على إخوانك لا تنسى منه حرفاً؟ قال: إنّه كما تقول وربّما رأيت الشيء في منامي ثمّ لا أمسي حتّى أراه في يقظتي كما رأيته في منامي. قلت: فأخبرني أيّ حواسّك قرّرت علم ذلك في قلبك حتّى ذكرته بعدما استيقظت؟ قال: إنّ هذا الأمر ما دخلت فيه الحواسّ. قلت: أفليس ينبغي لك أن تعلم حيث بطلت الحواسّ في هذا أنّ الّذي عاين تلك الأشياء وحفظها في منامك قلبك الّذي جعل الله فيه

العقل الّذي احتجّ به على العباد؟ قال: إن الّذي رأيت في منامي ليس بشيء إنّما هو بمنزلة السراب الّذي يعاينه صاحبه وينظر إليه لا يشكّ فيه أنّه ماء فإذا انتهى إلى مكانه لم يجده شيئاً فما رأيت في منامي فبهذه المنزلة.

قلت: كيف شبّهت السراب بما رأيت في منامك من أكلك الطعام الحلو والحامض، وما رأيت من الفرح والحزن؟ قال: لأنّ السراب حيث انتهيت إلى موضعه صار لا شيء، وكذلك صار ما رأيت في منامي حين انتبهت قلت: فأخبرني إن أتيتك بأمر وجدت لذّته في منامك وخفق لذلك قلبك ألست تعلم أنّ الأمر على ما وصفت لك؟ قال: بلى.

قلت: فأخبرني هل احتلمت قطّ حتّى قضيت في امرأة نهمتك عرفتها أم لم تعرفها؟ قال: بلى ما لا أحصيه. قلت: ألست وجدت لذلك لذّةً على قدر لذّتك في يقظتك فتنتبه وقد أنزلت الشهوة حتّى تخرج منك بقدر ما تخرج منك في اليقظة، هذا كسر لحجّتك في السراب. قال: ما يرى المحتلم في منامه شيئاً إلاّ ما كانت حواسّه دلّت عليه في اليقظة. قلت: ما زدت على أن قويت مقالتي، وزعمت أنّ القلب يعقل الأشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواسّ وموتها فكيف أنكرت أنّ القلب يعرف الأشياء وهو يقظان مجتمعة له حواسّه، وما الّذي عرّفه إيّاها بعد موت الحواسّ وهو لا يسمع ولا يبصر؟ ولكنت حقيقاً أن لا تنكر له المعرفة وحواسّه حيّة مجتمعة إذا أقررت أنّه ينظر إلى الامرأة بعد ذهاب حواسّه حتّى نكحها وأصاب لذّته منها؛ فينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه به من معرفته بالأشياء والحواسُّ ذاهبة أن يعرف أنّ القلب مدبّر الحواسّ ومالكها ورائسها والقاضي عليها، فإنّه ما جهل الإنسان من شيء فما يجهل أنّ اليد لا تقدر على العين أن تقلعها، ولا على اللّسان أن تقطعه، وأنّه ليس يقدر شيء من الحواسّ أن يفعل بشيء من الجسد شيئاً بغير إذن القلب ودلالته وتدبيره لأنّ الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبّراً للجسد، به يسمع وبه يبصر وهو القاضي والأمير عليه؛ لا يتقدّم الجسد إن هو تأخّر، ولا يتأخّر إن هو تقدّم، وبه سمعت الحواسّ وأبصرت، إن أمرها ائتمرت، وإن نهاها انتهت، وبه ينزل الفرح والحزن، وبه ينزل الألم، إن فسد شيء من الحواسّ بقي على حاله، وإن فسد القلب ذهب جميعاً حتّى لا يسمع ولا يبصر.

قال: لقد كنت أظنّك لا تتخلّص من هذه المسألة وقد جئت بشيء لا أقدر على ردّه قلت: وأنا أعطيك تصاديق ما أنبأتك به وما رأيت في منامك في مجلسك الساعة. قال: افعل فإنّي قد تحيّرت في هذه المسألة. قلت: أخبرني هل تحدّث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شيء وتأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنّك؟ قال: نعم. قلت: فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئاً من حواسّك؟ قال: لا. قلت: أفلا تعلم أنّ الّذي أخبرك به قلبك حقٌّ؟ قال: اليقين هو؛ فزدني ما يذهب الشكّ عنّي ويزيل الشبه من قلبي.

شرح: خفق القلب: اضطرابه. والنهمة: بلوغ الهمّة في الشيء، والنهم بالتحريك إفراط

الشهوة في الطعام. أقول: قد عرفت أنَّ القلب يطلق في مصطلح الأخبار على النفس الناطقة، ولمّا كان السائل منكراً لادراك ما سوى الحواسّ الظاهرة نبّهه عليه السلام على خطئه بمدركات الحواسّ الباطنة الّتي هي آلات النفس.

أقول: ذكر السيّد ابن طاووس قدّس الله روحه في كتاب النجوم من هذه الرسالة جملة ليست فيما عندنا من النسخ فلنذكرها:

«قلت: أخبرني هل يعرف أهل بلادك علم النجوم؟ قال: إنّك لغافل عن علم أهل بلادي بالنجوم قلت: وما بلغ من علمهم بها؟ فقال: إنّا نخبرك عن علمهم بخصلتين تكتفي بهما عمّا سواهما. قلت: فأخبرني ولا تخبرني إلاّ بحق. قال بديني لا أخبرك إلاّ بحقّ وبما عاينت. قلت: هات.

قال: أمّا إحدى الخصلتين فإنّ ملوك الهند لا يتّخذون إلاّ الخصيان. قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّ لكلّ رجل منهم منجّماً حاسباً فإذا أصبح أتى باب الملك فقاس الشمس وحسب فأخبره بما يحدث في يومه ذلك، وما حدث في ليلته الّتي كان فيها، فإن كانت امرأة من نسائه قارفت شيئاً يكرهه أخبره، فقال: فلان قارف كذا وكذا مع فلانة، ويحدث في هذا اليوم كذا وكذا.

قلت: فأخبرني عن الخصلة الأخرى. قال: قوم بالهند بمنزلة الخنّاقين عندكم يقتلون الناس بلا سلاح ولا خنق ويأخذون أموالهم. قلت: وكيف يكون هذا؟ قال. يخرجون مع الرفقة والتجّار بقدر ما فيها من الرجالة فيمشون معهم أيّاماً ليس معهم سلاح، ويحدّثون الرجال ويحسبون حساب كلّ رجل من التجّار فإذا عرف أجمعهم موضع النفس من صاحبه وكز كلٌ واحد منهم صاحبه الّذي حسب به في ذلك الموضع فيقع جميع التجّار موتى! قلت: إنّ هذا أرفع من الباب الأوّل إن كان ما تقول حقّاً! قال: أحلف لك بديني إنّه حقّ ولربّما رأيت ببلاد الهند قد أخذ بعضهم وأمر بقتله.

قلت: فأخبرني كيف كان هذا حتّى اطّلعوا عليه؟ قال: بحساب النجوم. قلت: فما سمعت كهذا علماً قط، وما أشكّ أنّ واضعه الحكيم العليم، فأخبرني من وضع هذا العلم الدقيق الّذي لا يدرك بالحواسّ ولا بالعقول ولا بالفكر؟ قال: حساب النجوم وضعته الحكماء وتوارثه الناس».

متن: قلت: أخبرني هل يعلم أهل بلادك علم النجوم؟ قال: إنّك لغافل عن علم أهل بلادي بالنجوم فليس أحد أعلم بذلك منهم. قلت: أخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم وهي ممّا لا يدرك بالحواسّ ولا بالفكر؟ قال: حساب وضعته الحكماء وتوارثه الناس فإذا سألت الرجل منهم عن شيء قاس الشمس ونظر في منازل الشمس والقمر وما للطالع من النحوس، وما للباطن من السعود، ثمّ يحسب ولا يخطىء، ويحمل إليه المولود فيحسب له ويخبر بكلّ علامة فيه بغير معاينة وما هو مصيبه إلى يوم يموت. قلت: كيف دخل الحساب في مواليد

الناس؟ قال: لأنَّ جميع الناس إنّما يولدون بهذه النجوم، ولولا ذلك لم يستقم هذا الحساب فمن ثمَّ لا يخطىء إذا علم الساعة واليوم والشهر والسنة الّتي يولد فيها المولود. قلت: لقد توصّفت علماً عجيباً ليس في علم الدنيا أدقّ منه ولا أعظم إن كان حقّاً كما ذكرت، يعرف به المولود الصبيّ وما فيه من العلامات ومنتهى أجله وما يصيبه في حياته، أوليس هذا حساباً تولد به جميع أهل الدنيا من كان من الناس؟ قال: لا أشكّ فيه. قلت: فتعال ننظر بعقولنا كيف علم الناس هذا العلم وهل يستقيم أن يكون لبعض الناس إذا كان جميع الناس يولدون بهذه النجوم، وكيف عرفها بسعودها ونحوسها، وساعاتها وأوقاتها، ودقائقها ودرجاتها، وبطيئها وسريعها، ومواضعها من السماء، ومواضعها تحت الأرض، ودلالتها على غامض هذه الأشياء الّتي وصفت في السماء وما تحت الأرض، فقد عرفت أنَّ بعض هذه البروج في السماء، وبعضها تحت الأرض، وكذلك النجوم السبعة منها تحت الأرض ومنها في السماء فما يقبل عقلي أنَّ مخلوقاً من أهل الأرض قدر على هذا. قال: وما أنكرت من هذا؟ قلت: إنّك زعمت أنَّ جميع أهل الأرض إنّما يتوالدون بهذه النجوم، فأرى الحكيم الّذي وضع هذا الحساب بزعمك من بعض أهل الدنيا، ولا شكَّ إن كنت صادقاً أنّه ولد ببعض هذه النجوم والساعات والحساب الّذي كان قبله، إلاّ أن تزعم أنَّ ذلك الحكيم لم يولد بهذه النجوم كما ولد سائر الناس. قال: وهل هذا الحكيم إلاّ كسائر الناس؟ قلت: أفليس ينبغي أن يدلّك عقلك على أنّها قد خلقت قبل هذا الحكيم الّذي زعمت أنّه وضع هذا الحساب، وقد زعمت أنّه ولد ببعض هذه النجوم؟ قال: بلى.

قلت: فكيف اهتدى لوضع هذه النجوم؟ وهل هذا العلم إلاّ من معلّم كان قبلهما وهو الّذي أسس هذا الحساب الّذي زعمت أنّه أساس المولود، والأساس أقدم من المولود، والحكيم الّذي زعمت أنّه وضع هذا إنّما يتبع أمر معلّم هو أقدم منه، وهو الّذي خلقه مولوداً ببعض هذه النجوم، وهو الّذي أسّس هذه البروج الّتي ولد بها غيره من الناس فواضع الأساس ينبغي أن يكون أقدم منها، هب أنَّ هذا الحكيم عمّر مذ كانت الدنيا عشرة أضعاف، هل كان نظره في هذه النجوم إلاّ كنظرك إليها معلّقة في السماء أو تراه كان قادراً على الدنوّ منها وهي في السماء حتّى يعرف منازلها ومجاريها، نحوسها وسعودها، ودقائقها، وبأيّتها تكسف الشمس والقمر، وبأيّتها يولد كلّ مولود، وأيّها السعد وأيّها النحس، وأيّها البطيء وأيّها السريع، ثمَّ يعرف بعد ذلك سعود ساعات النهار ونحوسها، وأيّها السعد وأيّها النحس، وكم ساعة يمكث كلّ نجم منها تحت الأرض، وفي أيّ ساعة تغيب، وأيّ ساعة تطلع، وكم ساعة يمكث طالعاً، وفي أيّ ساعة تغيب، وكم استقام لرجل حكيم كما زعمت من أهل الدنيا أنّ يعلم علم السماء ممّا لا يدرك بالحواسّ، ولا يقع عليه الفكر، ولا يخطر على الأوهام؟ وكيف اهتدى أن يقيس الشمس حتّى يعرف في أيّ برج، وفي أيّ برج القمر، وفي أيّ برج من السماء هذه السبعة السعود والنحوس وما الطالع منها وما الباطن؟ وهي

معلّقة في السماء وهو من أهل الأرض لا يراها إذا توارت بضوء الشمس إلاّ أن تزعم أنّ هذا الحكيم الّذي وضع هذا العلم قد رقي إلى السماء، وأنا أشهد أنّ هذا العالم لم يقدر على هذا العلم إلاّ بمن في السماء، لأنّ هذا ليس من علم أهل الأرض.

قال: ما بلغني أنّ أحداً من أهل الأرض رقي إلى السماء. قلت: فلعلّ هذا الحكيم فعل ذلك ولم يبلغك؟ قال: ولو بلغني ما كنت مصدّقاً. قلت: فأنا أقول قولك، هبه رقي إلى السماء هل كان له بدّ من أن يجري مع كلّ برج من هذه البروج، ونجم من هذه النجوم من حيث يطلع إلى حيث يغيب، ثمّ يعود إلى الآخر حتّى يفعل مثل ذلك حتّى يأتي على آخرها؟ فإنّ منها ما يقطع السماء في ثلاثين سنة، ومنها ما يقطع دون ذلك، وهل كان له بدّ من أن يجول في أقطار السماء حتّى يعرف مطالع السعود منها والنحوس، والبطيء والسريع، حتّى يحصي ذلك؟ أو هبه قدر على ذلك حتّى فرغ ممّا في السماء هل كان يستقيم له حساب ما في السماء حتّى يحكم حساب ما في الأرض وما تحتها وأن يعرف ذلك مثل ما قد عاين في السماء؟ لأنّ مجاريها تحت الأرض على غير مجاريها في السماء، فلم يكن يقدر على إحكام حسابها ودقائقها وساعاتها إلاّ بمعرفة ما غاب عنه تحت الأرض منها، لأنّه ينبغي أن يعرف أي ساعة من اللّيل يطلع طالعها، وكم يمكث تحت الأرض، وأيّة ساعة من النهار يغيب غائبها لأنّه لا يعاينها، ولا ما طلع منها ولا ما غاب، ولا بدّ من أن يكون العالم بها واحداً وإلاّ لم ينتفع بالحساب ألا تزعم أنّ ذلك الحكيم قد دخل في ظلمات الأرضين والبحار فسار مع النجوم والشمس والقمر في مجاريها على قدر ما سار في السماء حتّى علم الغيب منها، وعلم ما تحت الأرض على قدر ما عاين منها في السماء.

قال: وهل أريتني أجبتك إلى أنّ أحداً من أهل الأرض رقي إلى السماء وقدر على ذلك حتّى أقول: إنّه دخل في ظلمات الأرضين والبحور؟ قلت: فكيف وقع هذا العلم الّذي زعمت أنّ الحكماء من الناس وضعوه وأنّ الناس كلّهم مولدون به وكيف عرفوا ذلك الحساب وهو أقدم منهم؟.

أقول: في نسخة السيّد ابن طاروس هنا زيادة:

«قال: أرأيت إن قلت لك: إنّ البروج لم تزل وهي الّتي خلقت أنفسها على هذا الحساب ما الّذي تردُّ عليّ؟ قلت: أسألك كيف يكون بعضها سعداً وبعضها نحساً، وبعضها مضيئاً وبعضها مظلماً، وبعضها صغيراً وبعضها كبيراً؟.

قال: كذلك أرادت أن تكون بمنزلة الناس، فإنّ بعضهم جميل، وبعضهم قبيح، وبعضهم قصير، وبعضهم طويل، وبعضهم أبيض، وبعضهم أسود، وبعضهم صالح، وبعضهم طالح. قلت: فالعجب منك إنّي أراودك منذ اليوم على أن تقرّ بصانع فلم تجبني إلى ذلك حتّى كان الآن أقررت بأنّ القردة والخنازير خلقن أنفسهنّ!.

قال: لقد بهتّني بما لم يسمع الناس منّي! قلت: أفمنكر أنت لذلك؟ قال: أشدّ إنكار. قلت: فمن خلق القردة والخنازير إن كان الناس والنجوم خلقن أنفسهنّ؟ فلا بدّ من أن تقول: إنّهنّ من خلق الناس، أو خلقن أنفسهنّ، أفتقول: إنّها من خلق الناس؟ قال: لا. قلت: فلا بدّ من أن يكون لها خالق أو هي خلقت أنفسها؛ فإن قلت: إنّها من خلق الناس أقررت أنّ لها خالقاً، فإن قلت: لا بدّ أن يكون لها خالق فقد صدقت وما أعرفنا به، ولئن قلت: إنّهنّ خلقن أنفسهنّ فقد أعطيتني فوق ما طلبت منك من الإقرار بصانع. ثمّ قلت: فأخبرني بعضهنّ قبل بعض خلقن أنفسهنّ أم كان ذلك في يوم واحد؟ فإن قلت: بعضهنّ قبل بعض فأخبرني السماوات وما فيهنّ والنجوم قبل الأرض والإنس والذرّ خلقن أم بعد ذلك؟ فإن قلت إنّ الأرض قبل أفلا ترى قولك: إنّ الأشياء لم تزل قد بطل حيث كانت السماء بعد الأرض؟.

قال: بلى ولكن أقول: معاً جميعاً خلقن. قلت: أفلا ترى أنّك قد أقررت أنّها لم تكن شيئاً قبل أن خلقن، وقد أذهبت حجّتك في الازليّة؟ قال: إنّي لعلى حدّ وقوف، ما أدري ما أجيبك فيه لانّي أعلم أنّ الصانع إنّما سمّي صانعاً لصناعته، والصناعة غير الصانع، والصانع غير الصناعة لأنّه يقال للرجل الباني لصناعته البنّاء، والبناء غير الباني والباني غير البناء، وكذلك الحارث غير الحرث والحرث غير الحارث. قلت: فأخبرني عن قولك: إن الناس خلقوا أنفسهم فبكمالهم خلقوها أرواحهم وأجسادهم وصورهم وأنفاسهم أم خلق بعض ذلك غيرهم؟ قال: بكمالهم لم يخلق ذلك ولا شيئاً منهم غيرهم.

قلت: فأخبرني الحياة أحبّ إليهم أم الموت؟ قال: أوتشكُّ أنّه لا شيء أحبّ إليهم من الحياة، ولا أبغض إليهم من الموت؟ قلت: فأخبرني من خلق الموت الّذي يخرج أنفسهم الّتي زعمت أنّهم خلقوها؟ فإنّك لا تنكر أنّ الموت غير الحياة، وأنّه هو الّذي يذهب بالحياة. فإن قلت: إن الّذي خلق الموت غيرهم، فإنّ الّذي خلق الموت هو الّذي خلق الحياة؛ ولئن قلت: هم الّذين خلقوا الموت لأنفسهم إنّ هذا لمحال من القول! وكيف خلقوا لأنفسهم ما يكرهون إن كانوا كما زعمت خلقوا أنفسهم؟ هذا ما يستنكر من ضلالك أنّ تزعم أن الناس قدروا على خلق أنفسهم بكمالهم وأنّ الحياة أحبّ إليهم من الموت وخلقوا ما يكرهون لأنفسهم!.

قال: ما أجد واحداً من القولين ينقاد لي ولقد قطعته عليّ قبل الغاية الّتي كنت أُريدها. قلت: دعني فإنّ من الدخول في أبواب الجهالات ما لا ينقاد من الكلام، وإنّما أسألك عن معلّم هذا الحساب الّذي علّم أهل الأرض علم هذه النجوم المعلّقة في السماء».

أقول: رجعنا إلى ما في النسخ المشهورة:

قال: ما أجد يستقيم أن أقول: إنّ أحداً من أهل الأرض وضع علم هذه النجوم المعلّقة في السماء. قلت: فلا بدّ لك أن تقول: إنّما علّمه حكيم عليم بأمر السماء والأرض ومدبّرهما.

قال: إن قلت هذا فقد أقررت لك بإلهك الّذي تزعم أنّه في السماء. قلت: أما إنك فقد أعطيتني أنّ حساب هذه النجوم حقّ، وأنّ جميع الناس ولدوا بها. قال: الشكّ في غير هذا.

قلت: وكذلك أعطيتني أنّ أحداً من أهل الأرض لم يقدر على أن يغيب مع هذه النجوم والشمس والقمر في المغرب حتّى يعرف مجاريها ويطلع معها إلى المشرق. قال: الطلوع إلى السماء دون هذا. قلت: فلا أراك تجد بدّاً من أنّ تزعم أن المعلّم لهذا من السماء. قال: لئن قلت إنّ ليس لهذا الحساب معلّم لقد قلت إذاً غير الحقّ، ولئن زعمت أنّ أحداً من أهل الأرض علم ما في السماء وما تحت الأرض لقد أبطلت لأنّ أهل الأرض لا يقدرون على علم ما وصف لك من حال هذه النجوم والبروج بالمعاينة والدنوّ منها فلا يقدرون عليه لأنّ علم أهل الدنيا لا يكون عندنا إلاّ بالحواسّ، وما يدرك علم هذه النجوم الّتي وصفت بالحواسّ لأنّها معلّقة في السماء وما زادت الحواسّ على النظر إليها حيث تطلع وحيث تغيب، فأمّا حسابها ودقائقها ونحوسها وسعودها وبطيئها وسريعها وخنوسها ورجوعها فأنّى تدرك بالحواسّ أو يهتدى إليها بالقياس؟.

قلت: فأخبرني لو كنت متعلّماً مستوصفاً لهذا الحساب من أهل الأرض أحبّ إليك أن تستوصفه وتتعلّمه، أم من أهل السماء؟ قال: من أهل السماء، إذ كانت النجوم معلّقة فيها حيث لا يعلمها أهل الأرض.

قلت: فافهم وأدقّ النظر وناصح نفسك ألست تعلم أنّه حيث كان جميع أهل الدنيا إنّما يولدون بهذه النجوم على ما وصفت في النحوس والسعود أنّهنّ كنّ قبل الناس؟ قال: ما أمتنع أن أقول هذا. قلت: أفليس ينبغي لك أن تعلم أنّ قولك: إنّ الناس لم يزالوا ولا يزالون قد انكسر عليك حيث كانت النجوم قبل الناس؛ فالناس حدث بعدها، ولئن كانت النجوم خلقت قبل الناس ما تجد بدّاً من أن تزعم أن الأرض خلقت قبلهم.

قال: ولم تزعم أنّ الأرض خلقت قبلهم؟ قلت: ألست تعلم أنّها لو لم تكن الأرض جعل الله لخلقه فراشاً ومهاداً ما استقام الناس ولا غيرهم من الأنام، ولا قدروا أن يكونوا في الهواء إلاّ أن يكون لهم أجنحة؟ قال: وماذا يغني عنهم الأجنحة إذا لم تكن لهم معيشة؟ قلت: ففي شكّ أنت من أنّ الناس حدث بعد الأرض والبروج؟ قال: لا ولكن على اليقين من ذلك.

قلت: آتيك أيضاً بما تبصره. قال: ذلك أنفى للشكّ عنّي. قلت: ألست تعلم أنّ الّذي تدور عليه هذه النجوم والشمس والقمر هذا الفلك؟ قال: بلى. قلت: أفليس قد كان أساساً لهذه النجوم؟ قال: بلى. قلت: فما أرى هذه النجوم الّتي زعمت أنّها مواليد الناس إلاّ وقد وضعت بعد هذا الفلك لأنّه به تدور البروج وتسفل مرّة وتصعد أخرى.

قال: قد جئت بأمر واضح لا يشكل على ذي عقل أنّ الفلك الّذي تدور به النجوم هو أساسها الّذي وضع لها لأنّها إنّما جرت به. قلت أقررت أنّ خالق النجوم الّتي يولد بها الناس

سعودهم ونحوسهم هو خالق الأرض لأنّه لو لم يكن خلقها لم يكن ذرة. قال: ما أجد بدّاً من إجابتك إلى ذلك. قلت: أفليس ينبغي لك أن يدلّك عقلك على أنّه لا يقدر على خلق السماء إلاّ الّذي خلق الأرض والذرء والشمس والقمر والنجوم، وأنّه لولا السماء وما فيها لهلك ذرء الأرض.

شرح: أن يكون لبعض الناس أي هذا العلم. اعلم أنّ كلامه واحتجاجه عليه السلام مبنيّ على أحد أمرين: الأوّل ما يحكم به الوجدان من أنّ العلم بدقائق حركات هذه الكواكب وخواصّ آثارها والمناسبة بينها وبين ما هي علامة لحدوثها لا يتأتّى إلاّ لخالقها الّذي جعلها كذلك، أو من ينتهي علمه إليه، ومعلوم أنّ ما هو الحقّ من هذه العلوم إنّما وصل إلى الخلق من الأنبياء كما اعترفوا به، ولمّا لم يحيطوا بجميع ذلك وضاع عنهم بعض ما استفادوا من الأنبياء عليهم السلام أيضاً فلذا ترى الرياضيّين يتحيّرون في بعض الحركات الّتي لا تستقيم على أصولهم، ويسمّونها ما لا ينحلّ، وترى المنجّمين يخطئون في كثير من أحكامهم لذلك. ثمّ ذكر عليه السلام على سبيل التنزّل أنّه لو سلّمنا أنّه يمكن أن يتيسّر ذلك لمخلوق من البشر فلا يتأتّى ذلك إلاّ لمن كان معها في حركاتها ويعاشرها مدّة طويلة ليعلم كيفيّة حركاتها وجرّب بكثرة المعاشرة خواصّها وآثارها.

والثاني: أن يكون المراد أنّك إذا اعترفت أنّ كلّ الخلق يولدون بهذه النجوم فلا يكون أحد منهم علّة لها ولآثارها لتقدّمها عليهم، ولا شكّ في أنّه لا بدّ من حكيم عالم بجميع الأمور قادر عليها، أسّس ذلك الأساس وبنى عليها تلك الآثار والأحكام الّتي أمكن للخلق بها استعلام ما لم يأت من الأمور، فقد أقررت بالصانع فهو أوّل عالم بهذا العلم لا الحكيم الّذي تزعم أنّه يولد بتلك النجوم. ويحتمل أن يكون المقصود من الكلام الإشارة إلى كلا الدليلين كما لا يخفى بعد التأمّل. قوله عليه السلام: مواضعها من السماء أي عند كونها فوق الأرض، ومواضعها تحت الأرض أي بعد غروبها واستتارها عنّا بالأرض. قوله عليه السلام: إلاّ بمن في السماء أي بمن أحاط علمه وقدرته وحكمه بالسماء وما فيها. قوله عليه السلام: فأنا أقول قولك أي أنا أعتقد ما قلت من أنّ الحكماء الّذين تزعمهم عالمين به لم يرقوا إلى السماء، أو أعتقد أنّه لا يمكنهم أن يرقوا إلى السماء بأنفسهم بدون تعلّق إرادة الربّ تعالى به، ومع ذلك فإن سلّمناه فلا يكفي محض الصعود للإحاطة بذلك. قوله عليه السلام: مع كلّ برج أي فيه أو بالحركة السريعة. قوله عليه السلام: في ثلاثين سنة وهو زحل، وهو أبطأ السيّارات، وإنّما لم يتعرّض عليه السلام لثوابت مع كونها أبطأ لأنّ مبنى أحكامهم على السيارات. قوله عليه السلام: لأنّ مجاريها تحت الأرض لمّا ذكر عليه السلام سابقاً سيره مع الكواكب من الطلوع إلى الغروب أشار عليه السلام ههنا إلى أنّه لا يكفي ذلك للعلم بجميع الحركات حتّى يسير معها بعد الغروب فيحاذي ما تحت الأرض من البحار والمواضع المظلمة بالبخارات، أو يسير مع سائر الكواكب عند كون الشمس فوق الأرض حتّى يحاذي ما تحتها الظلمة، ثمّ بيّن عليه السلام الحاجة

إلى ذلك بأنّه لا تكفي الإحاطة ببعض مسيرها للعلم بحركاتها لأنّ حركاتها الخاصّة عندهم مختلفة بالنسبة إلى مركز العالم بسبب التداوير والأفلاك الخارجة المراكز وغيرها، فتارة تسرع وتارة تبطيء فلا تتأتّى مقايسة بعض حركاتها ببعض.

قوله عليه السلام: كيف يكون بعضها سعداً أي يرجع قولك إلى أنّها مع صفاتها وجدت من غير صانع فكيف صار بعضها هكذا وبعضها هكذا، فترجّح هذه الأحوال الممكنة وحصولها من غير علّة ممّا يحكم العقل باستحالته، أو المراد أنّها لو كانت خالقة لأنفسها لكان كلٌّ منها يختار لنفسه أفضل الأحوال وأشرفها فكان جميعها على حالة واحدة هي أفضل الأحوال؛ وهذا أظهر. ثمّ لمّا لم يفهم السائل ذلك غيّر الكلام وصرفه إلى ما هو أوضح. وقوله عليه السلام: قد أقررت أنّها لم تكن شيئاً إمّا مبنيٌّ على أنّ الصنع والخلق لا يتعلّقان إلاّ بالحادث، أو على ما كان ظاهر كلام السائل أنّ لوجودها مبدءاً، ثمّ إنّ السائل لمّا تفطّن بفساد كون الشيء صانعاً لنفسه رجع وأقرّ بأنّ العقل يحكم ببديهة بأنّ المصنوع غير الصانع، والباني غير البناء، وما ذكره عليه السلام من أنّ خالق الحياة والموت لا بدّ أن يكون واحداً ممّا يحكم به الوجدان مع أنّ الظاهر من خالق الحياة من يكون مستقلاً فيه، والموت ليس إلاّ رفع الحياة، فلو كان مستنداً إلى غيره لم يكن خالق الحياة مستقلاً فيه.

قوله عليه السلام: دون هذا أي أنا أنكر الصعود إلى السماء الّذي هو أسهل ممّا ذكرت فكيف أقرّ به، أو المراد أنّ الصعود إلى السماء أسهل عليّ من الإقرار بما ذكرت. قوله عليه السلام: إنّهنّ كنّ قبل الناس إي بالعلّيّة والسببيّة كما ظنّ السائل، أو بالزمان أي تقدّمها على كلّ شخص، أو على الجميع بناءاً على لزوم التقدّم على كلّ من الأشخاص التقدم على الجميع كما قيل، أو على أنّه عليه السلام كان يعلم أنّ السائل كان قائلاً بذلك فذكره عليه السلام إلزاماً عليه كما اعترف به؛ وعلى الأوّل يكون المراد بقوله: لم يزالوا ولا يزالون عدم استنادهم إلى علّة، وعلى الثاني فالمراد إمّا قدم مادّتهم أو صورهم أيضاً بناءاً على القول بالكمون، وعلى الثالث فالمراد قدم نوعهم. قوله عليه السلام: بعد هذا الفلك أي هي محتاجة إلى الفلك، والفلك متقدّمة عليها بالعلّيّة فلا يصحّ كون النجوم علّة لها للزوم الدور. قوله عليه السلام: لم يكن ذرء أي مذروء ومخلوق من الإنس.

ثمّ اعلم أنّ حاصل استدلاله على ما ظهر لهذا القاصر هو أنّه عليه السلام - لمّا قرّر السائل سالفاً على أنّ النجوم ليست خالقة لأنفسها، وآنفاً على أنّها ليست مخلوقة للناس وغيرها ممّا يحدث بزعمه بتأثيرها لتأخّرها عنها، وعلى أنّ الأرض أيضاً متقدمة على ما عليها من الخلق فلا تكون مخلوقة لما عليها، وعلى أنّ الفلك لتقدّمه على النجوم المتقدّمة على الناس لا يجوز كونه مخلوقاً لشيء منها - استدلّ عليه السلام ههنا على أنّه لا بدّ أن يكون خالق السماء والأرض وما في السماء من الشمس والقمر والنجوم وما على الأرض من الخلق واحداً.

أمّا اتّحاد خالق الأرض والنجوم فيمكن تقريره بوجهين: الأوّل: أنّ الناس محتاجون إلى الأرض كما عرفت، وظاهر أنّها من أعظم مصالحهم فالوجدان الصحيح يحكم بأنّ من خلق شيئاً يعدُّ له ما يصلحه، ويهيّىء له ما سيحتاج إليه فظهر أنّه لا بدّ أن يكون خالق الناس وخالق الأرض واحداً، والناس بزعمك مخلوقون للنجوم ولزمك القول بوجود خالق للنجوم، فلا بد من القول بكون الأرض منسوبة إلى خالق النجوم إمّا بلا واسطة أو بواسطة النجوم أو غيرها فثبت المطلوب.

الثاني: أنّا نرى التلازم بين الناس والأرض لحكم العقل بأنّ كلاً منهما يرتفع عند ارتفاع الآخر إذ الظاهر أنّ غاية خلق الأرض هو الإنسان ونحوه وهم محتاجون في أمورهم إليها، وقد تقرّر أنّ المتلازمين إمّا أنّ يكون أحدهما علّة للآخر، أو كلٌ منهما معلول علّة ثالثة، ولا يجوز أن يكون الناس عللاً للأرض لما عرفت، ولا معلولة لها لانتسابها عندك إلى النجوم فلا بدّ من أن يكونا معلولي علّة واحدة. وبأحد هذين التقريرين يثبت اتّحاد خالق السماء وخالق هذه الأمور السابقة لاحتياج ما على الأرض من الخلق إلى السماء وما فيها من النجوم، وإليه أشار عليه‌السلام بقوله: وإنّه لولا السماء وما فيها لهلك ذرء الأرض. هذا ما أحاط به نظري العاثر، وسيأتي في تضاعيف كلامه عليه‌السلام توضيح ما قلناه، والتصريح ببعض ما قرّرناه، والله يعلم وحججه عليهم‌السلام حقائق كلامهم ودقائق مرامهم؛ ثمّ لا يتوهّم متوهّم من كلامه عليه‌السلام أنّ للنجوم تأثيراً فإنّه ظاهر أنّه عليه‌السلام إنّما ذكرها إلزاماً عليه، ومماشاةً معه لإتمام الحجّة عليه بل لا يمكن الاستدلال على سعودها ونحوسها وكونها علامات للكائنات أيضاً بهذا الوجه لكن ظاهره أنّ لها سعادة ونحوسة وأنّها علامات، وسيأتي القول في ذلك مفصّلاً في كتاب السماء والعالم.

متن: قال: أشهد أنّ الخالق واحد من غير شكّ لأنّك قد أتيتني بحجّة ظهرت لعقلي وانقطعت بها حجّتي، وما أرى يستقيم أن يكون واضع هذا الحساب ومعلّم هذه النجوم واحداً من أهل الأرض لأنّها في السماء، ولا مع ذلك يعرف ما تحت الأرض منها إلاّ معلّم ما في السماء منها، ولكن لست أدري كيف سقط أهل الأرض على هذا العلم الّذي هو في السماء حتّى اتفق حسابهم على ما رأيت من الدقّة والصواب فإنّي لو لم أعرف من هذا الحساب ما أعرفه لأنكرته ولأخبرتك أنّه باطل في بدء الأمر فكان أهون عليّ.

قلت: فأعطني موثقاً إن أنا أعطيتك من قبل هذه الإهليلجة الّتي في يدك وما تدّعي من الطبّ الّذي هو صناعتك وصناعة آبائك حتّى يتّصل الإهليلجة وما يشبهها من الأدوية بالسماء لتذعننّ بالحقّ، ولتنصفنّ من نفسك. قال: ذلك لك. قلت: هل كان الناس على حال وهم لا يعرفون الطبّ ومنافعه من هذه الإهليلجة وأشباهها؟ قال: نعم.

قلت: فمن أين اهتدوا له؟ قال: بالتجربة وطول المقايسة. قلت: فكيف خطر على

أوهامهم حتّى همّوا بتجربته؟ وكيف ظنّوا أنّه مصلحة للأجساد وهم لا يرون فيه إلاّ المضرّة؟ أو كيف عزموا على طلب ما لا يعرفون ممّا لا تدلّهم عليه الحواسّ؟ قال: بالتجارب.

قلت: أخبرني عن واضع هذا الطبّ وواصف هذه العقاقير المتفرّقة بين المشرق والمغرب، هل كان بدٌّ من أن يكون الّذي وضع ذلك ودلّ على هذه العقاقير رجل حكيم من بعض أهل هذه البلدان؟.

قال: لا بدّ أن يكون كذلك، وأن يكون رجلاً حكيماً وضع ذلك وجمع عليه الحكماء فنظروا في ذلك وفكّروا فيه بعقولهم. قلت: كأنّك تريد الإنصاف من نفسك والوفاء بما أعطيت من ميثاقك فأعلمني كيف عرف الحكيم ذلك؟ وهبه قد عرف بما في بلاده من الدواء، والزعفران الّذي بأرض فارس، أتراه اتّبع جميع نبات الأرض فذاقه شجرة شجرة حتّى ظهر على جميع ذلك؟ وهل يدلّك عقلك على أنّ رجالاً حكماء قدروا على أن يتّبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتّى عرفوا ذلك بحواسّهم، وظهروا على تلك الشجرة الّتي يكون فيها خلط بعض هذه الأدوية الّتي لم تدرك حواسّهم شيئاً منها؟ وهبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبّعه جميع شجر فارس ونباتها، كيف عرف أنّه لا يكون دواء حتّى يضم إليه الإهليلج من الهند، والمصطكى من الروم، والمسك من التبّت، والدارصيني من الصين، وخصى بيدستر من الترك، والأفيون من مصر، والصبر من اليمن، والبورق من أرمنيّة، وغير ذلك من أخلاط الأدوية الّتي تكون في أطراف الأرض؟ وكيف عرف أنّ بعض تلك الأدوية وهي عقاقير مختلفة يكون المنفعة باجتماعها ولا يكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع؟ أم كيف اهتدى لمنابت هذه الأدوية وهي ألوان مختلفة وعقاقير متباينة في بلدان متفرّقة؟ فمنها عروق، ومنها لحاء ومنها ورق، ومنها ثمر، ومنها عصير، ومنها مائع، ومنها صمغ، ومنها دهن، ومنها ما يعصر ويطبخ، ومنها ما يعصر ولا يطبخ، ممّا سمّي بلغات شتّى لا يصلح بعضها إلاّ ببعض ولا يصير دواءاً إلاّ باجتماعها؛ ومنها مرائر السباع والدوابّ البرّيّة والبحريّة، وأهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرّقون باللّغات، متغالبون بالمناصبة، ومتحاربون بالقتل والسبي أفترى ذلك الحكيم تتبّع هذه البلدان حتّى عرف كلّ لغة وطاف كلّ وجه، وتتبّع هذه العقاقير مشرقاً ومغرباً آمناً صحيحاً لا يخاف ولا يمرض، سليماً لا يعطب، حيّاً لا يموت، هادياً لا يضلّ، قاصداً لا يجور حافظاً لا ينسى، نشيطاً لا يمل، حتّى عرف وقت أزمنتها، ومواضع منابتها مع اختلاطها واختلاف صفاتها وتباين ألوانها وتفرّق أسمائها، ثمّ وضع مثالها على شبهها وصفتها، ثمّ وصف كلّ شجرة بنباتها وورقها وثمرها وريحها وطعمها؟ أم هل كان لهذا الحكيم بدّ من أن يتّبع جميع أشجار الدنيا وبقولها وعروقها شجرة شجرة، وورقة ورقة، شيئاً شيئاً؟ فهبه وقع على الشجرة الّتي أراد فكيف دلّته حواسّه على أنّها تصلح لدواء، والشجر مختلف منه الحلو والحامض والمرّ والمالح.

وإن قلت: يستوصف في هذه البلدان ويعمل بالسؤال، فأنّى يسأل عمّا لم يعاين ولم يدركه بحواسّه؟ أم كيف يهتدي إلى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلّمه بغير لسانه وبغير لغته والأشياء كثيرة؟ فهبه فعل كيف عرف منافعها ومضارّها، وتسكينها وتهييجها، وباردها وحارّها، وحلوها ومرارتها وحرافتها، ولينها وشديدها؟ فلئن قلت: بالظنّ إنّ ذلك ممّا لا يدرك ولا يعرف بالطبائع والحواسّ، ولئن قلت: بالتجربة والشرب لقد كان ينبغي له أن يموت في أوّل ما شرب وجرّب تلك الأدوية بجهالته بها وقلّة معرفته بمنافعها ومضارّها وأكثرها السمّ القاتل. ولئن قلت: بل طاف في كلّ بلد، وأقام في كلّ أمّة يتعلّم لغاتهم ويجرّب بهم أدويتهم تقتل الأوّل فالأوّل منهم ما كان لتبلغ معرفته الدواء الواحد إلّا بعد قتل قوم كثير، فما كان أهل تلك البلدان الّذين قتل منهم من قتل بتجربته بالّذين ينقادونه بالقتل ولا يدعونه أن يجاورهم، وهبه تركوه وسلّموا لأمره ولم ينهوه كيف قوي على خلطها، وعرف قدرها ووزنها وأخذ مثاقيلها وقرط قراريطها؟ وهبه تتبّع هذا كلّه، وأكثره سمّ قاتل، إن زيد على قدرها قتل، وإن نقص عن قدرها بطل، وهبه تتبّع هذا كلّه وجال مشارق الأرض ومغاربها، وطال عمره فيها تتبّعه شجرة شجرة وبقعة بقعة كيف كان له تتبّع ما لم يدخل في ذلك من مرارة الطير والسباع ودوابّ البحر؟ هل كان بدٌّ حيث زعمت أنّ ذلك الحكيم تتبّع عقاقير الدنيا شجرة شجرة وثمرة ثمرة حتّى جمعها كلّها فمنها ما لا يصلح ولا يكون دواءاً إلّا بالمرار؟ هل كان بدٌّ من أن يتبع جميع طير الدنيا وسباعها ودوابّها دابّة دابّة وطائراً طائراً يقتلها ويجرّب مرارتها، كما بحث عن تلك العقاقير على ما زعمت بالتجارب؟ ولو كان ذلك فكيف بقيت الدوابّ وتناسلت وليست بمنزلة الشجرة إذا قطعت شجرة نبتت أخرى؟ وهبه أتى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدوابّ الّتي كان ينبغي أن يتّبعها بحراً بحراً ودابّة دابّة حتّى أحاط به كما أحاط بجميع عقاقير الدنيا الّتي بحث عنها حتّى عرفها وطلب ذلك في غمرات الماء؟ فإنّك مهما جهلت شيئاً من هذا فإنّك لا تجهل أنّ دوابّ البحر كلّها تحت الماء فهل يدلّ العقل والحواسّ على أنّ هذا يدرك بالبحث والتجارب؟.

قال: لقد ضيّقت عليّ المذاهب، فما أدري ما أجيبك به! قلت: فإنّي آتيك بغير ذلك ممّا هو أوضح وأبين ممّا اقتصصت عليك، ألست تعلم أنّ هذه العقاقير الّتي منها الأدوية والمرار من الطير والسباع لا يكون دواءاً إلّا بعد الاجتماع؟ قال: هو كذلك.

قلت: فأخبرني كيف حواسّ هذا الحكيم وضعت هذه الأدوية مثاقيلها وقراريطها؟ فإنّك من أعلم الناس بذلك لأنّ صناعتك الطبّ، وأنت تدخل في الدواء الواحد من اللّون الواحد زنة أربع مائة مثقال، ومن الآخر مثاقيل وقراريط فما فوق ذلك ودونه حتّى يجيء بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه، وإن سقيت صاحب القولنج أكثر من ذلك أستطلق بطنه والان فكيف أدركت حواسّه على هذا؟ أم كيف عرفت حواسّه أنّ الّذي

يسقي لوجع الرأس لا ينحدر إلى الرجلين، والانحدار أهون عليه من الصعود؟ والّذي يسقى لوجع القدمين لا يصعد إلى الرأس، وهو إلى الرأس عند السلوك أقرب منه؟ وكذلك كلّ دواء يسقى صاحبه لكلّ عضو لا يأخذ إلاّ طريقه في العروق الّتي تسقى له، وكلّ يصير إلى المعدة ومنها يتفرّق؟ أم كيف لا يسفل منه ما صعد ولا يصعد منه ما انحدر؟ أم كيف عرفت الحواسّ هذا حتّى علم أنّ الّذي ينبغي للأذن لا ينفع العين وما ينتفع به العين لا يغني من وجع الأذن، وكذلك جميع الأعضاء يصير كلّ داء منها إلى ذلك الدواء الّذي ينبغي له بعينه؟ فكيف أدركت العقول والحكمة والحواسّ هذا وهو غائب في الجوف، والعروق في اللّحم، وفوقه الجلد لا يدرك بسمع ولا ببصر ولا بشمّ ولا بلمس ولا بذوق؟.

قال: لقد جئت بما أعرفه إلاّ أنّنا نقول: إنّ الحكيم الّذي وضع هذه الأدوية وأخلاطها كان إذا سقى أحداً شيئاً من هذه الأدوية فمات شقّ بطنه وتتبّع عروقه ونظر مجاري تلك الأدوية وأتى المواضع الّتي تلك الأدوية فيها. قلت: فأخبرني ألست تعلم أنّ الدواء كله إذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئاً واحداً؟ قال: بلى.

قلت: أما تعلم أنّ الإنسان إذا خرجت نفسه برد دمه وجمد؟ قال: بلى. قلت: فكيف عرف ذلك الحكيم دواءه الّذي سقاه للمريض بعدما صار غليظاً عبيطاً ليس بأمشاج يستدلّ عليه بلون فيه غير لون الدم؟ قال: لقد حملتني على مطيّة صعبة ما حملت على مثلها قطّ، ولقد جئت بأشياء لا أقدر على ردّها.

شرح: قوله عليه السلام: خلط بعض هذه الأدوية الخلط بالكسر: ما يخلط بالشيء أي ما يدخل في بعض هذه الأدوية المركّبة. قوله عليه السلام: ثمّ وضع مثالها على شبهها أي ضمّ كلّ ما وجد من كلّ نوع إلى مثله لأنّه يشبهه ويوافقه في الصفة أو ترك الأشياء الّتي تشبه ما يريده، وإن كانت موافقة له في الصفات فإنّ كثيراً من العقاقير تشتبه بغيرها لاتّفاقهما في كثير من الصفات. قوله عليه السلام: فكيف بقيت لعلّ المفروض أنّ ذلك كان في مبادي خلق العالم لقدم ذلك العلم فيلزم من التجارب الكثيرة فناء الحيوانات لقلّتها في تلك الأزمنة. قوله عليه السلام: ليس بأمشاج أي أشياء مختلطة متمايزة.

أقول: كلامه عليه السلام يدلّ على أنّ خواص الأدوية وأجناسها ومنافعها ومناسبتها للأمراض إنّما وصل إلى الخلق بإخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولم يصل الخلق إليها بعقولهم وتجاربهم.

متن: قلت: فأخبرني من أين علم العباد ما وصفت من هذه الأدوية الّتي فيها المنافع لهم حتّى خلطوها وتتبّعوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرّقة، وعرفوا مواضعها ومعادنها في الأماكن المتباينة، وما يصلح من عروقها وزنتها من مثاقيلها وقراريطها، وما يدخلها من الحجارة ومرار السباع وغير ذلك؟ قال: قد أعييت عن إجابتك لغموض مسائلك وإلجائك

إيّاي إلى أمر لا يدرك علمه بالحواسّ، ولا بالتشبيه، والقياس، ولا بدّ أن يكون وضع هذه الأدوية واضع، لأنّها لم تضع هي أنفسها، ولا اجتمعت حتّى جمعها غيرها بعد معرفته إيّاها؛ فأخبرني كيف علم العباد هذه الأدوية الّتي فيها المنافع حتّى خلطوها وطلبوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرّقة؟.

قلت: إنّي ضاربٌ لك مثلاً وناصبٌ لك دليلاً تعرف به واضع هذه الأدوية والدالّ على هذه العقاقير المختلفة وباني الجسد وواضع العروق الّتي يأخذ فيها الدواء إلى الداء. قال: فإن قلت ذلك لم أجد بدّاً من الانقياد إلى ذلك. قلت: فأخبرني عن رجل أنشأ حديقة عظيمة، وبنى عليها حائطاً وثيقاً، ثمّ غرس فيها الأشجار والأثمار والرياحين والبقول، وتعاهد سقيها وتربيتها، ووقاها ما يضرّها، حتّى لا يخفى عليه موضع كلّ صنف منها فإذا أدركت أشجارها وأينعت أثمارها واهتزّت بقولها دفعت إليه فسألته أن يطعمك لوناً من الثمار والبقول سمّيته له أتراه كان قادراً على أنّ ينطلق قاصداً مستمرّاً لا يرجع، ولا يهوي إلى شيء يمرّ به من الشجرة والبقول حتّى يأتي الشجرة الّتي سألته أن يأتيك بثمرها، والبقلة الّتي طلبتها حيث كانت من أدنى الحديقة أو أقصاها فيأتيك بها؟ قال: نعم. قلت: أفرأيت لو قال لك صاحب الحديقة حيث سألته الثمرة: ادخل الحديقة فخذ حاجتك فإنّي لا أقدر على ذلك، هل كنت تقدر أن تنطلق قاصداً لا تأخذ يميناً ولا شمالاً حتّى تنتهي إلى الشجرة فتجتني منها؟ قال: وكيف أقدر على ذلك ولا علم لي في أيّ مواضع الحديقة هي؟ قلت: أفليس تعلم أنّك لم تكن لتصيبها دون أن تهجم عليها بتعسّف وجولان في جميع الحديقة حتّى تستدلّ عليها ببعض حواسّك بعدما تتصفح فيها من الشجرة شجرة شجرة وثمرة ثمرة حتّى تسقط على الشجرة الّتي تطلب ببعض حواسّك أن تأتيها، وإن لم ترها انصرفت؟.

قال: وكيف أقدر على ذلك ولم أعاين مغرسها حيث غرست، ولا منبتها حيث نبتت، ولا ثمرتها حيث طلعت. قلت: فإنّه ينبغي لك أنّ يدلّك عقلك حيث عجزت حواسّك عن إدراك ذلك أنّ الّذي غرس هذا البستان العظيم فيما بين المشرق والمغرب وغرس فيه هذه الأشجار والبقول هو الّذي دلّ الحكيم الّذي زعمت أنّه وضع الطبّ على تلك العقاقير ومواضعها في المشرق والمغرب؛ وكذلك ينبغي لك أن تستدلّ بعقلك على أنّه هو الّذي سمّاها وسمّى بلدتها وعرف مواضعها كمعرفة صاحب الحديقة الّذي سألته الثمرة، وكذلك لا يستقيم ولا ينبغي أن يكون الغارس والدالّ عليها إلاّ الدالّ على منافعها ومضارّها وقراريطها ومثاقيلها.

قال: إنّ هذا لكما تقول. قلت: أفرأيت لو كان خالق الجسد وما فيه من العصب واللّحم والأمعاء والعروق الّتي يأخذ فيها الأدوية إلى الرأس وإلى القدمين وإلى ما سوى ذلك غير خالق الحديقة وغارس العقاقير، هل كان يعرف زنتها ومثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكلّ داء منها، وما كان يأخذ في كلّ عرق؟.

قال: وكيف يعرف ذلك أو يقدر عليه وهذا لا يدرك بالحواسّ، ما ينبغي أن يعرف هذا إلاّ الّذي غرس الحديقة وعرف كلّ شجرة وبقلة وما فيها من المنافع والمضارّ. قلت: أفليس كذلك ينبغي أن يكون الخالق واحداً؟ لأنّه لو كان اثنين أحدهما خالق الدواء والآخر خالق الجسد والداء لم يهتد غارس العقاقير لإيصال دوائه إلى الداء الّذي بالجسد ممّا لا علم له به، ولا اهتدى خالق الجسد إلى علم ما يصلح ذلك الداء من تلك العقاقير، فلمّا كان خالق الداء والدواء واحداً أمضى الدواء في العروق الّتي برأ وصوّر إلى الداء الّذي عرف ووضع فعلم مزاجها من حرّها وبردها وليّنها وشديدها وما يدخل في كلّ دواء منه من القراريط والمثاقيل، وما يصعد إلى الرأس وما يهبط إلى القدمين منها وما يتفرّق منه فيما سوى ذلك.

قال: لا أشكّ في هذا لأنّه لو كان خالق الجسد غير خالق العقاقير لم يهتد واحد منهما إلى ما وصفت. قلت: فإنّ الّذي دلّ الحكيم الّذي وصفت أنّه أوّل من خلط هذه الأدوية ودل على عقاقيرها المتفرّقة فيما بين المشرق والمغرب، ووضع هذا الطبّ على ما وصفت لك هو صاحب الحديقة فيما بين المشرق والمغرب، وهو باني الجسد، وهو دلّ الحكيم بوحي منه على صفة كلّ شجرة وبلدها، وما يصلح منها من العروق والثمار والدهن والورق والخشب واللّحاء؛ وكذلك دلّه على أوزانها من مثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكلّ داء منها، وكذلك هو خالق السباع والطير والدوابّ الّتي في مرارها المنافع ممّا يدخل في تلك الأدوية فإنّه لو كان غير خالقها لم يدر ما ينتفع به من مرارها وما يضرّ وما يدخل منها في العقاقير؛ فلمّا كان الخالق سبحانه وتعالى واحداً دلّ على ما فيه من المنافع منها فسمّاه باسمه حتّى عرف وترك مالا منفعة فيه منها، فمن ثمّ علم الحكيم أيّ السباع والدوابّ والطير فيه المنافع، وأيّها لا منفعة فيه، ولولا أنّ خالق هذه الأشياء دلّه عليها ما اهتدى بها.

قال: إنّ هذا لكما تقول وقد بطلت الحواسّ والتجارب عند هذه الصفات. قلت أمّا إذا صحّت نفسك فتعال ننظر بعقولنا ونستدلّ بحواسّنا، هل كان يستقيم لخالق هذه الحديقة وغارس هذه الأشجار وخالق هذه الدوابّ والطير والناس الّذي خلق هذه الأشياء لمنافعهم أن يخلق هذا الخلق ويغرس هذا الغرس في أرض غيره ممّا إذا شاء منعه ذلك؟.

قال: ما ينبغي أن تكون الأرض الّتي خلقت فيها الحديقة العظيمة وغرست فيها الأشجار إلاّ لخالق هذا الخلق وملك يده. قلت: فقد أرى الأرض أيضاً لصاحب الحديقة لاتصال هذه الأشياء بعضها ببعض. قال: ما في هذا شكٌّ. قلت: فأخبرني وناصح نفسك ألست تعلم أنّ هذه الحديقة وما فيها من الخلقة العظيمة من الإنس والدوابّ والطير والشجر والعقاقير والثمار وغيرها لا يصلحها إلاّ شربها وريّها من الماء الّذي لا حياة لشيء إلاّ به؟ قال: بلى. قلت: أفترى الحديقة وما فيها من الذرء خالقها واحد. وخالق الماء غيره يحبسه عن هذه الحديقة إذا شاء ويرسله إذا شاء فيفسد على خالق الحديقة؟.

قال: ما ينبغي أن يكون خالق هذه الحديقة وذارئ هذا الذرء الكثير وغارس هذه الأشجار إلاّ المدبّر الأوّل وما ينبغي أن يكون ذلك الماء لغيره، وإنّ اليقين عندي لهو أنّ الّذي يجري هذه المياه من أرضه وجباله لغارس هذه الحديقة وما فيها من الخليقة لأنّه لو كان الماء لغير صاحب الحديقة لهلكت الحديقة وما فيها، ولكنّه خالق الماء قبل الغرس والذرء وبه استقامت الأشياء وصلحت. قلت: أفرأيت لو لم يكن لهذه المياه المنفجرة في الحديقة مغيض لما يفضل من شربها يحبسه عن الحديقة أن يفيض عليها أليس كان يهلك ما فيها من الخلق على حسب ما كانوا يهلكون لو لم يكن لها ماء؟ قال: بلى ولكنّي لا أدري لعلّ هذا البحر ليس له حابس وأنّه شيء لم يزل. قلت: أمّا أنت فقد أعطيتني أنّه لولا البحر ومغيض المياه إليه لهلكت الحديقة. قال: أجل. قلت: فإنّي أخبرك عن ذلك بما تستيقن بأنّ خالق البحر هو خالق الحديقة وما فيها من الخليقة، وأنّه جعله مغيضاً لمياه الحديقة مع ما جعل فيه من المنافع للناس.

قال: فاجعلني من ذلك على يقين كما جعلتني من غيره. قلت: ألست تعلم أنّ فضول ماء الدنيا يصير في البحر؟ قال: بلى. قلت: فهل رأيته زائداً قطّ في كثرة الماء وتتابع الأمطار على الحدّ الّذي لم يزل عليه؟ أو هل رأيته ناقصاً في قلّة المياه وشدّة الحرّ وشدّة القحط؟ قال: لا. قلت: أفليس ينبغي أن يدلّك عقلك على أنّ خالقه وخالق الحديقة وما فيها من الخليقة واحد، وأنّه هو الّذي وضع له حدّاً لا يجاوزه لكثرة الماء ولا لقلّته، وأنّ ممّا يستدلّ على ما أقول أنّه يقبل بالأمواج أمثال الجبال يشرف على السهل والجبل فلو لم تقبض أمواجه ولم تحبس في المواضع الّتي أمرت بالاحتباس فيها لأطبقت على الدنيا حتّى إذا انتهت على تلك المواضع الّتي لم تزل تنتهي إليها ذلّت أمواجه وخضع أشرافه.

قال: إنّ ذلك لكما وصفت ولقد عاينت منه كلّ الّذي ذكرت، ولقد أتيتني ببرهان ودلالات ما أقدر على إنكارها ولا جحودها لبيانها. قلت: وغير ذلك سآتيك به ممّا تعرف اتّصال الخلق بعضه ببعض، وأنّ ذلك من مدبّر حكيم عالم قدير، ألست تعلم أنّ عامّة الحديقة ليس شربها من الأنهار والعيون وأنّ أعظم ما ينبت فيها من العقاقير والبقول الّتي في الحديقة ومعاش ما فيها من الدوابّ والوحش والطير من البراري الّتي لا عيون لها ولا أنهار إنّما يسقيه السحاب؟ قال: بلى. قلت: أفليس ينبغي أن يدلّك عقلك وما أدركت بالحواسّ الّتي زعمت أنّ الأشياء لا تعرف إلاّ بها أنّه لو كان السحاب الّذي يحتمل من المياه إلى البلدان والمواضع الّتي لا تنالها ماء العيون والأنهار وفيها العقاقير والبقول والشجر والأنام لغير صاحب الحديقة لأمسكه عن الحديقة إذا شاء، ولكان خالق الحديقة من بقاء خليقته الّتي ذرأ وبرأ على غرور ووجل، خائفاً على خليقته أن يحبس صاحب المطر الماء الّذي لا حياة للخليقة إلاّ به؟.

قال: إنّ الّذي جئت به لواضح متّصل بعضه ببعض، وما ينبغي أن يكون الّذي خلق هذه الحديقة وهذه الأرض، وجعل فيها الخليقة وخلق لها هذا المغيض، وأنبت فيها هذه الثمار المختلفة إلاّ خالق السماء والسحاب؛ يرسل منها ماشاء من الماء إذا شاء أن يسقي الحديقة ويحيي ما في الحديقة من الخليقة والأشجار والدوابّ والبقول وغير ذلك، إلاّ أنّي أحب أن تأتيني بحجّة أزداد بها يقيناً وأخرج بها من الشكّ. قلت: فإنّي آتيك بها إن شاء الله من قبل إهليلجتك واتّصالها بالحديقة، وما فيها من الأشياء المتّصلة بأسباب السماء لتعلم أنّ ذلك بتدبير عليم حكيم.

قال: وكيف تأتيني بما يذهب عنّي الشكّ من قبل الإهليلجة؟ قلت: فيما أُريك فيها من إتقان الصنع، وأثر التركيب المؤلّف، واتّصال ما بين عروقها إلى فروعها، واحتياج بعض ذلك إلى بعض حتّى يتّصل بالسماء. قال: إن أريتني ذلك لم أشكّ. قلت: ألست تعلم أنّ الإهليلجة نابتة في الأرض وأنّ عروقها مؤلّفة إلى أصل، وأنّ الأصل متعلّق بساق متّصل بالغصون، والغصون متّصلة بالفروع، والفروع منظومة بالأكمام والورق، وملبس ذلك كلّه الورق، ويتّصل جميعه بظلّ يقيه حرّ الزمان وبرده؟.

قال: أمّا الإهليجة فقد تبيّن لي اتّصال لحائها وما بين عروقها وبين ورقها ومنبتها من الأرض، فأشهد أنّ خالقها واحد لا يشركه في خلقها غيره لإتقان الصنع واتّصال الخلق وائتلاف التدبير وإحكام التقدير. قلت: إن أريتك التدبير مؤتلفاً بالحكمة والإتقان معتدلاً بالصنعة، محتاجاً بعضه إلى بعض، متّصلاً بالأرض الّتي خرجت منه الإهليلجة في الحالات كلّها أتقرُّ بخالق ذلك؟ قال: إذن لا أشكّ في الوحدانيّة. قلت: فافهم وافقه ما أصف لك: ألست تعلم أنّ الأرض متّصلة بإهليلجتك وإهليلجتك متصلة بالتراب، والتراب متّصل بالحرّ والبرد، والحرّ والبرد متّصلان بالهواء والهواء متّصل بالريح، والريح متّصلة بالسحاب، والسحاب متصل بالمطر، والمطر متّصل بالأزمنة، والأزمنة متّصلة بالشمس والقمر، والشمس والقمر متّصلتان بدوران الفلك، والفلك متّصل بما بين السماء والأرض صنعة ظاهرة، وحكمة بالغة، وتأليف متقن، وتدبير محكم، متّصل كلّ هذا ما بين السماء والأرض، لا يقوم بعضه إلاّ ببعض، ولا يتأخّر واحد منهما عن وقته، ولو تأخّر عن وقته لهلك جميع من في الأرض من الأنام والنباتات؟ قال: إنّ هذه لهي العلامات البيّنات، والدلالات الواضحات الّتي يجري معها أثر التدبير، بإتقان الخلق والتأليف مع إتقان الصنع، لكنّي لست أدري لعلّ ما تركت غير متّصل بما ذكرت. قلت: وما تركت؟ قال: الناس. قلت: ألست تعلم أنّ هذا كلّه متّصل بالناس، سخّره لها المدبّر الّذي أعلمتك أنّه إن تأخّر شيء ممّا عددت عليك هلكت الخليقة، وباد جميع ما في الحديقة، وذهبت الإهليلجة الّتي تزعم أنّ فيها منافع الناس؟.

قال: فهل تقدر أن تفسّر لي هذا الباب على ما لخّصت لي غيره؟ قلت: نعم أبيّن لك ذلك من قبل إهليلجتك، حتّى تشهد أنّ ذلك كلّه مسخّر لبني آدم. قال: وكيف ذلك؟ قلت: خلق الله السماء سقفاً مرفوعاً، ولولا ذلك اغتمّ خلقه لقربها، وأحرقتهم الشمس لدنوّها، وخلق لهم شهباً ونجوماً يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر لمنافع الناس، ونجوماً يعرف بها أصل الحساب، فيها الدلالات على إبطال الحواسّ، ووجود معلّمها الّذي علّمها عباده، ممّا لا يدرك علمها بالعقول فضلاً عن الحواسّ، ولا يقع عليها الأوهام ولا يبلغها العقول إلاّ به لأنّه العزيز الجبّار الّذي دبّرها وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، يسبحان في فلك يدور بهما دائبين، يطلعهما تارة ويؤفلهما أخرى، فبنى عليه الأيّام والشهور والسنين الّتي هي من سبب الشتاء والصيف والربيع والخريف، أزمنة مختلفة الأعمال، أصلها اختلاف اللّيل والنهار اللّذين لو كان واحد منهما سرمداً على العباد لما قامت لهم معايش أبداً، فجعل مدبّر هذه الأشياء وخالقها النهار مبصراً واللّيل سكناً، وأهبط فيهما الحرّ والبرد متباينين لو دام واحد منهما بغير صاحبه ما نبتت شجرة ولا طلعت ثمرة، ولهلكت الخليقة لأنّ ذلك متّصل بالريح المصرفة في الجهات الأربع، باردة تبرّد أنفاسهم، وحارّة تلقح أجسادهم وتدفع الأذى عن أبدانهم ومعايشهم، ورطوبة ترطب طبائعهم، ويبوسة تنشف رطوباتهم وبها يأتلف المفترق وبها يتفرّق الغمام المطبق حتّى ينبسط في السماء كيف يشاء مدبّره فيجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم، وأرزاق مقسومة وآجال مكتوبة، ولو احتبس عن أزمنته ووقته هلكت الخليقة ويبست الحديقة، فأنزل الله المطر في أيّامه ووقته إلى الأرض الّتي خلقها لبني آدم، وجعلها فرشاً ومهاداً، وحبسها أن تزول بهم، وجعل الجبال لها أوتاداً، وجعل فيها ينابيع تجري في الأرض بما تنبت فيها لا تقوم الحديقة والخليقة إلاّ بها، ولا يصلحون إلاّ عليها مع البحار الّتي يركبونها، ويستخرجون منها حلية يلبسونها ولحماً طرياً وغيره يأكلونه؛ فعلم أنّ إله البرّ والبحر والسماء والأرض وما بينهما واحدٌ حيٌّ قيّوم مدبّر حكيم، وأنّه لو كان غيره لاختلفت الأشياء.

وكذلك السماء نظير الأرض الّتي أخرج الله منها حباً وعنباً وقضباً، وزيتوناً ونخلاً، وحدائق غلباً، وفاكهة وأبّاً، بتدبير مؤلّف مبيّن، بتصوير الزهرة والثمرة حياة لبني آدم، ومعاشاً يقوم به أجسادهم، وتعيش بها أنعامهم الّتي جعل الله في أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين، والانتفاع بها والبلاغ على ظهورها معاشاً لهم لا يحيون إلاّ به، وصلاحاً لا يقومون إلاّ عليه، وكذلك ما جهلت من الأشياء فلا تجهل أنّ جميع ما في الأرض شيئان: شيء يولد، وشيء ينبت، أحدهما آكل، والآخر مأكول، وممّا يدلّك عقلك أنّه خالقهم ما ترى من خلق الإنسان وتهيئة جسده لشهوة الطعام، والمعدة لتطحن المأكول، ومجاري العروق لصفوة الطعام، وهيّأ لها الأمعاء، ولو كان خالق المأكول غيره لما خلق الأجساد مشتهية للمأكول وليس له قدرة عليه.

قال: لقد وصفت صفة أعلم أنّها من مدبّر حكيم لطيف قدير عليم، قد آمنت وصدّقت أنّ الخالق واحد سبحانه وبحمده، غير أنّي أشكّ في هذه السمائم القاتلة أن يكون هو الّذي خلقها لأنّها ضارّة غير نافعة! قلت: أليس قد صار عندك أنّها من غير خلق الله؟ قال: نعم لأنّ الخلق عبيده ولم يكن ليخلق ما يضرّهم. قلت: سأبصّرك من هذا شيئاً تعرفه ولا أنبّئك إلاّ من قبل إهليلجتك هذه وعلمك بالطبّ، قال: هات. قلت: هل تعرف شيئاً من النبت ليس فيه مضرّة للخلق؟ قال: نعم. قلت: ما هو؟ قال: هذه الأطعمة. قلت: أليس هذا الطعام الّذي وصفت يغيّر ألوانهم، ويهيّج أوجاعهم حتّى يكون منها الجذام والبرص والسلال والماء الأصفر، وغير ذلك من الأوجاع؟ قال: هو كذلك. قلت: أمّا هذا الباب فقد انكسر عليك. قال: أجل. قلت: هل تعرف شيئاً من النبت ليس فيه منفعة؟ قال: نعم.

قلت: أليس يدخل في الأدوية الّتي يدفع بها الأوجاع من الجذام والبرص والسلال وغير ذلك، ويدفع الداء ويذهب السقم ممّا أنت أعلم به لطول معالجتك قال: إنّه كذلك.

قلت: فأخبرني أيّ الأدوية عندكم أعظم في السمائم القاتلة؟ أليس الترياق؟ قال: نعم هو رأسها وأوّل ما يفرغ إليه عند نهش الحيّات ولسع الهوامّ وشرب السمائم.

قلت: أليس تعلم أنّه لابدّ للأدوية المرتفعة والأدوية المحرقة في أخلاط الترياق إلاّ أن تطبخ بالأفاعي القاتلة؟ قال: نعم هو كذلك ولا يكون الترياق المنتفع به الدافع للسمائم القاتلة إلاّ بذلك، ولقد انكسر عليّ هذا الباب، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّه خالق السمائم القاتلة والهوامّ العادية، وجميع النبت والأشجار، وغارسها ومنبتها، وبارىء الأجساد، وسائق الرياح، ومسخر السحاب، وأنّه خالق الأدواء الّتي تهيج بالإنسان كالسمائم القاتلة الّتي تجري في أعضائه وعظامه، ومستقرّ الأدواء وما يصلحها من الدواء، العارف بالروح ومجرى الدم وأقسامه في العروق واتّصاله بالعصب والأعضاء والعصب والجسد، وأنّه عارف بما يصلحه من الحرّ والبرد، عالم بكلّ عضو بما فيه، وأنّه هو الّذي وضع هذه النجوم وحسابها والعالم بها، والدالّ على نحوسها وسعودها وما يكون من المواليد، وأنّ التدبير واحد لم يختلف متّصل فيما بين السماء والأرض وما فيها؛ فبيّن لي كيف قلت، هو الأوّل والآخر وهو اللّطيف الخبير وأشباه ذلك؟ قلت: هو الأوّل بلا كيف، وهو الآخر بلا نهاية، ليس له مثل، خلق الخلق والأشياء لا من شيء ولا كيف بلا علاج ولا معاناة ولا فكر ولا كيف، كما أنّه لا كيف له، وإنّما الكيف بكيفيّة المخلوق لأنّه الأوّل لا بدءة له ولا شبه ولا مثل ولا ضدّ ولاندّ، لا يدرك ببصر ولا يحسّ بلمس، ولا يعرف إلاّ بخلقه تباركِ وتعالى.

قال: فصف لي قوّته. قلت: إنّما سمّي ربّنا جلّ جلاله قويّاً للخلق العظيم القويّ الّذي خلق مثل الأرض وما عليها من جبالها وبحارها ورمالها وأشجارها وما عليها من الخلق

المتحرّك من الإنس ومن الحيوان، وتصريف الرياح والسحاب المسخّر المثقّل بالماء الكثير، والشمس والقمر وعظمهما وعظم نورهما الّذي لا تدركه الأبصار بلوغاً ولا منتهىً، والنجوم الجارية، ودوران الفلك، وغلظ السماء، وعظم الخلق العظيم والسماء المسقّفة فوقنا راكدة في الهواء، وما دونها من الأرض المبسوطة، وما عليها من الخلق الثقيل، وهي راكدة لا تتحرّك، غير أنّه ربّما حرّك فيها ناحية، والناحية الأُخرى ثابتة، وربّما خسف منها ناحية والناحية الأُخرى قائمة؛ يرينا قدرته ويدلّنا بفعله على معرفته، فلهذا سمّي قويّاً لا لقوّة البطش المعروفة من الخلق، ولو كانت قوّته تشبه قوّة الخلق لوقع عليه التشبيه، وكان محتملاً للزيادة، وما احتمل الزيادة كان ناقصاً وما كان ناقصاً لم يكن تامّاً، وما لم يكن تامّاً كان عاجزاً ضعيفاً، والله عزّوجلّ لا يشبّه بشيء، وإنّما قلنا: إنّه قوي للخلق القويّ؛ وكذلك قولنا، العظيم والكبير؛ ولا يشبّه بهذه الأسماء الله تبارك وتعالى.

قال: أفرأيت قوله: سميع بصير عالم؟ قلت: إنّما يسمّى تبارك وتعالى بهذه الأسماء لأنّه لا يخفى عليه شيء ممّا لا تدركه الأبصار من شخص صغير أو كبير، أو دقيق أو جليل، ولا نصفه بصيراً بلحظ عين كالمخلوق؛ وإنّما سمّي سميعاً لأنّه ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم، ولا خمسة إلاّ هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا، يسمع النجوى، ودبيب النمل على الصفا، وخفقان الطير في الهواء لا تخفى عليه خافية ولا شيء ممّا أدركته الأسماع والأبصار وما لا تدركه الأسماع والأبصار، ماجلّ من ذلك وما دقّ، وما صغر وما كبر؛ ولم نقل سميعاً بصيراً كالسمع المعقول من الخلق؛ وكذلك إنّما سمي عليماً لأنّه لا يجهل شيئاً من الأشياء، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، علم ما يكون وما لا يكون، وما لو كان كيف يكون، ولم نصف عليماً بمعنى غريزة يعلم بها، كما أنّ للخلق غريزة يعلمون بها، فهذا ما أراد من قوله: عليم؛ فعزّ من جلّ عن الصفات، ومن نزّه نفسه عن أفعال خلقه فهذا هو المعنى، ولولا ذلك ما فصل بينه وبين خلقه فسبحانه وتقدّست أسماؤه.

قال: إنّ هذا لكما تقول ولقد علمت أنّما غرضي أن أسأل عن ردّ الجواب فيه عند مصرف يسنح عنّي، فأخبرني لعلّي أحكمه فيكون الحجّة قد انشرحت للمتعنّت المخالف، أو السائل المرتاب، أو الطالب المرتاد، مع ما فيه لأهل الموافقة من الازدياد. فأخبرني عن قوله: لطيف، وقد عرفت أنّه للفعل، ولكن قد رجوت أن تشرح لي ذلك بوصفك. قلت: إنّما سمّيناه لطيفاً للخلق اللّطيف، ولعلمه بالشيء اللّطيف ممّا خلق من البعوض والذرّة، وممّا هو أصغر منهما لا يكاد تدركه الأبصار والعقول، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته، لا يعرف من ذلك لصغره الذكر من الأُنثى، ولا الحديث المولود من القديم الوالد، فلمّا رأينا لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للفساد والهرب من الموت، والحدب على نسله من ولده، ومعرفة بعضها بعضاً، وما كان منها في لجج البحار، وأعنان السماء،

والمفاوز والقفار، وما هو معنا في منزلنا، ويفهم بعضهم بعضاً من منطقهم، وما يفهم من أولادها، ونقلها الطعام إليها والماء، علمنا أنَّ خالقها لطيف وأنّه لطيف بخلق اللّطيف، كما سمّيناه قويّاً بخلق القويّ.

قال: إنَّ الّذي جئت به الواضح، فكيف جاز للخلق أن يتسمّوا بأسماء الله تعالى؟ قلت: إنَّ الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أباح للناس الأسماء ووهبها لهم، وقد قال القائل من الناس للواحد: واحد، ويقول: قويّ والله تعالى قويّ، ويقول: صانع والله صانع، ويقول: رازق والله رازق، ويقول: سميع بصير والله سميع بصير، وما أشبه ذلك، فمن قال للإنسان: واحد فهذا له اسم وله شبيه، والله واحد وهو له اسم ولا شيء له شبيه وليس المعنى واحداً، وأمّا الأسماء فهي دلالتنا على المسمّى لأنّا قد نرى الإنسان واحداً وإنّما نخبر واحداً إذا كان مفرداً فعلم أنَّ الإنسان في نفسه ليس بواحد في المعنى لأنَّ أعضاءه مختلفة وأجزاءه سواءاً، ولحمه غير دمه، وعظمه غير عصبه، وشعره غير ظفره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر الخلق والإنسان واحد في الاسم، وليس بواحد في الاسم والمعنى والخلق، فإذا قيل لله فهو الواحد الّذي لا واحد غيره لأنّه لا اختلاف فيه، وهو تبارك وتعالى سميع وبصير وقويٌّ وعزيز وحكيم وعليم فتعالى الله أحسن الخالقين.

قال: فأخبرني عن قوله: رؤوفٌ رحيم، وعن رضاه ومحبّته وغضبه وسخطه. قلت: إنَّ الرحمة وما يحدث لنا منها شفقة ومنها جود، وإنَّ رحمة الله ثوابه لخلقه؛ والرحمة من العباد شيئان: أحدهما يحدث في القلب الرأفة والرقّة لما يرى بالمرحوم من الضرّ والحاجة وضروب البلاء، والآخر ما يحدث منّا من بعد الرأفة واللّطف على المرحوم والرحمة منّا ما نزل به، وقد يقول القائل: انظر إلى رحمة فلان وإنّما يريد الفعل الّذي حدث عن الرقّة الّتي في قلب فلان، وإنّما يضاف إلى الله عزّ وجلّ من فعل ما حدث عنّا من هذه الأشياء؛ وأمّا المعنى الّذي هو في القلب فهو منفيٌّ عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لا رحمة رقّة، وأمّا الغضب فهو منّا إذا غضبنا تغيّرت طبائعنا وترتعد أحياناً مفاصلنا وحالت ألواننا، ثمّ نجيء من بعد ذلك بالعقوبات فسمّي غضباً، فهذا كلام الناس المعروف؛ والغضب شيئان: أحدهما في القلب، وأمّا المعنى الّذي هو في القلب فهو منفيٌّ عن الله جلّ جلاله، وكذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة عزّ وجلّ لا شبيه له ولا مثل في شيء من الأشياء.

قال: فأخبرني عن إرادته. قلت: إنَّ الإرادة من العباد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فالإرادة للفعل إحداثه إنّما يقول له: كن فيكون بلا تعب ولا كيف.

قال: قد بلغت حسبك فهذه كافية لمن عقل؛ والحمد لله ربّ العالمين، الّذي هدانا من الضلال، وعصمنا من ان نشبّهه بشيء من خلقه، وأن نشكّ في عظمته وقدرته ولطيف صنعه وجبروته، جلّ عن الأشباه والأضداد، وتكبّر عن الشركاء والأنداد.

شرح: قوله عليه السلام: دفعت إليه على بناء المجهول أي دفعتك الحاجة والضرورة إليه، وفي الأساس: دفع فلان إلى فلان: انتهى إليه. قوله عليه السلام: مغيض هو بفتح الميم وكسر الغين المعجمة: موضع يجري إليه الماء ويغيب أو يجتمع فيه، وفي الثاني مصدر ميميٌّ قوله عليه السلام: في الجهات الأربع أي الشمال والجنوب والصبا والدبور، ويحتمل أن يكون المراد المتغيّرة بسبب الصفات الأربعة الّتي فسّرها عليه السلام. قوله عليه السلام: تلقح أجسادهم أي تنميها، مستعاراً من لقاح الشجر، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾[1]. وفي أكثر النسخ بالفاء وهو بمعنى الإحراق، فيكون كناية عن نضجها. والودق: المطر. قوله: وقضباً يعني الرطبة، سمّيت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنّها تقضب مرّة بعد أخرى. وحدائق غلباً أي عظاماً، وصفت به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها، أو لأنّها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب. وأبّاً: مرعىً، من أبّ إذا أمّ لأنّه يؤمُّ وينتجع، أو من أبَّ لكذا: إذا تهيّأ له لأنّه متهيّأ للرعي، وفاكهة يابسة تؤبُّ للشتاء. وقال الجوهريّ: الأثاث: متاع البيت قال الفرّاء: لا واحد له، وقال أبو زيد: الأثاث المال أجمع، الإبل والغنم والعبيد والمتاع، الواحدة: أثاثة. انتهى. ومتاعاً أي شيئاً ينتفع به. إلى حين إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى ويفنى أو إلى أن تموتوا. قوله عليه السلام: والانتفاع عطف على أصوافها، أو في أصوافها. قوله عليه السلام: ومستقرّ اسم مكان معطوف على الأدواء. قوله عليه السلام: هو الأوّل بلا كيف أي كان أزليّاً من غير اتّصاف بكيفيّة، أو من غير أن تعرف كيفيّة أوّليّته بمقارنة زمان قديم بل بلا زمان. قوله عليه السلام: لا من شيء ولا كيف أي لا من مادّة ولا من شبه ومثال وتصوّر وخيال تمثّل فيه كيفيّة الخلق ثمّ خلق على مثال ذلك كما في المخلوقين. قوله عليه السلام ثانياً: ولا كيف أي ليس لخلقه وإيجاده كيفيّة كما في المخلوقين من حركة ومزاولة عمل فكما أنّه لا كيف لذاته لا كيف لإيجاده، وإذا وصف خلقه وإيجاده بالكيف فهو يرجع إلى كيفيّة مخلوقة فإذا قيل: كيف خلق الأشياء فالمعنى الصحيح له كيف مخلوقاته لا أنّه كيف كان فعله وإيجاده، وإليه أشار عليه السلام بقوله: وإنّما الكيف بكيفيّة المخلوق، ثمّ علّل ذلك بأنّ هذه صفات المحدَثين، وهو الأوّل لا بدء له ولا شبه فكيف يتّصف بها. قوله عليه السلام: الّذي خلق خبر مبتدأ محذوف أي هو الّذي. وقوله عليه السلام: وتصريف الرياح عطف على الخلق العظيم ويحتمل العطف على قوله: مثل الأرض. قوله عليه السلام: بلوغاً ولا منتهى لعلّ المراد أنّه لا يبلغ الأبصار إليهما، ولا إلى منتهى نورهما، أو منتهى جسمهما.

قوله عليه السلام: وعظم الخلق العظيم أي السماء أو ما عليها من الملائكة. قوله: ولا يشبّه بهذه الأسماء على بناء المجهول من باب التفعيل أي لا يصير إطلاق هذه الاسماء عليه سبباً لأن يظن أنّه شبيه بخلقه. قوله: إنّما غرضي أي غرضي من السؤال أن تجيب عمّا يعرض لي

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

من إشكال يصرفني عن الحقّ، يسنح ويظهر عنّي، وفي بعض النسخ عن ردّ الجواب فيه عند متعرّف غبيّ. أي إنّي قد آمنت وأيقنت، وإنّما المقصود من السؤال أن أقدر على أن أجيب عن سؤال متعرّف غبي جاهل أحمق لأهديه إلى الحقّ؛ وهو أظهر. والحدب: العطف والشفقة، ولعلّ المراد بما في أعنان السماء ما يطير في الهواء. وقد مرَّ تفسير بعض الفقرات وسيأتي تفسير بعضها.

٦ - باب التوحيد ونفي الشريك ومعنى الواحد والأحد والصمد وتفسير سورة التوحيد

الآيات، البقرة «٢»: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ «١٦٣» «وقال تعالى»: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ[1] كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2] «١٦٥» «وقال سبحانه»: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ «٢٥٥» «وقال تعالى»: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ «٢٨٤».

آل عمران «٣»: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ «٦٢» «وقال تعالى»: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ[3] أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[4] «٦٤».

النساء «٤»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ[5] إِثْمًا عَظِيمًا﴾ «٤٨» «وقال تعالى»: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا[6] وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ «وقال»: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ «١٣٢».

---

(١) أي من الأصنام أو الرؤساء أو الأعم. يحبونهم أو يعظمونهم ويصفونهم كتعظيمه تعالى والميل إلى طاعته (منه).

(٢) قوله تعالى: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أي لا تنقطع محبتهم لله، بخلاف محبة الأنداد فإنها لأغراض فاسدة تزول بأدنى سبب. «منه رحمه الله».

(٣) أي لا يختلف فيها الرسل والكتب. «منه رحمه الله».

(٤) أي ألزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم، واعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل. «منه رحمه الله».

(٥) الافتراء يطلق على القول والفعل. «منه ره».

(٦) إلا إناثاً يعني اللات والعزى ومناة ونحوها فإنه كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان. إما لتأنيث أسمائها أو لكونها جمادات ضاهت الإناث لانفعالها، فالتغيير بذلك للتعريض عليهم لأن من حق المعبود أن يكون فاعلاً غير منفعل، وقيل أريد بهما الملائكة بنات الله «منه رحمه الله».

الأنعام «٦»: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ[1] مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ «٥٦».

الأعراف «٧»: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ «في مواضع ٥٩، ٦٥، ٧٣».

يونس «١٠»: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ[2] إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ «٦٦» وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

هود «١١»: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ «٢».

يوسف «١٢»: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ «٣٨» «وقال»: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ «وقال»: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

الرعد «١٣»: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ[3] ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن[4] فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ «وقال»: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

---

(١) فيكشف ما تدعونه إلى كشفه إن شاء أن يتفضل عليهم، ولا يشاء في الآخرة «منه رحمه الله».

(٢) وما يتبع، أي لا يتبعون. شركاء على الحقيقة. على هذا الاحتمال يكون شركاء مفعول يتبع، ومفعول يدعون كان محذوفاً وإن كانوا يسمّونها شركاء ويحتمل أن تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع. «منه رحمه الله».

(٣) أي الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد ويُدعى إلى عبادته، أوله الدعوة المجابة، فإن من دعاه أجاب. إلا كباسط كفيه؛ أي الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء يطلب منه أن يبلغ فاه؛ وما هو ببالغه لأنه جماد لا يشعر بدعائه، ولا يقدر على إجابته. وقيل: شبههم بمن أراد أن يغرف الماء ليشبه به فبسط كفيه. «منه رحمه الله».

(٤) قيل المراد بالسجود حقيقته فإن الملائكة والمؤمنين يسجدون، وقيل: أريد به الانقياد، انقياد ظلالهم بالمد والتقليص، والمراد بالغدوّ والآصال: الدوام، أو حال من الظلال، وتخصيص الوقتين لأن المراد بالظلال الأرواح، أو قيل إشارة إلى المثال «منه رحمه الله».

هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ «٣٠» «وقال» : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ «٣٣» «وقال» : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ «٣٦».

إبراهيم «١٤»: ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ «٥٢».

النحل «١٦»: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ «وقال تعالى» : ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ[1] نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

الإسراء «١٧»: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ «٣٩» «وقال تعالى»: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟[2] إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ[3] إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾.

الكهف «١٨»: ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ «٣٨» «وقال تعالى»: ﴿وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ «٤٢» «وقال تعالى»: ﴿أَفَحَسِبَ[4] ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن

---

(١) قوله: لما لا يعلمون، أي لآلهتهم التي لا علم لها، فالضمير لما أو للتي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات «منه رحمه الله».

(٢) أي يطلبوا إلى من هو من مالك الملك سبيلاً بالمعازة والمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض، أو بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم «منه».

(٣) قيل: أي الأنبياء الذين يدعون الخلق إلى الله مع علو مرتبتهم يطلبون القربة إليه فأنتم أولى بذلك، أو المعنى أو الجماعة الذين يدعونهم ويدعون أنهم آلهتهم آلهة من المسيح والملائكة يبتغون الوسيلة والقربة إليه بعبادتهم ويجتهد كل منهم ليكون أقرب إلى رحمته «منه».

(٤) المفعول الثاني «لحسب» مقدّر، أي نافعهم أو لا أعذّبهم، أوسد «أن يتخذوا» مسد المفعولين. «منه رحمه الله».

يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ﴾ «١٠٢» «وقال تعالى»: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ[1] فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ «١١٠».

مريم «١٩»: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوٓا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ[2] ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ «٣٦» «وقال تعالى»: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ[3] ﴿٤٣﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ «١٠٨».

الحج «٢٢»: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ «٣١» «وقال»: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ «٧١».

المؤمنون «٢٣»: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ «وقال عزّ وجلّ»: ﴿فَتَعَٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

---

(١) قوله: ﴿يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: أي يأمل حسن لقائه يخاف سوء لقائه. (منه رحمه الله).

(٢) قوله: هم ينشرون أي الموتى، وهم وإن لم يقرّوا بذلك لكن يلزم ذلك من ادعائهم كونها آلهة. (منه رحمه الله).

(٣) أي من عذابه، وقوله: لا يستطيعون استئنافي لإبطال ما اعتقدوه، ولا هم منا يصحبون أي لا يجارون من عذابنا ولا يصحبهم منا نصر. (منه رحمه الله).

الفرقان «٢٥»: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ «٣».

الشعراء «٢٦»: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ «٢١٣».

النمل «٢٧»: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ «٢٦» «وقال تعالى»: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ[1] ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ[2] وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ[3] ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ[4] فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

القصص «٢٨»: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ[5] ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ[6] ﴿٦٤﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «٨» «وقال عزّوجلّ»: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) أي يعدلون عن الحق. (منه رحمه الله).

(٢) أي جبالاً ثابتة. والبحران: العذب والمالح وبحرا فارس والروم. (منه رحمه الله).

(٣) قوله: خلفاء الأرض ورثكم سكناها والتصرّف فيها فمن قبلكم (منه رحمه الله).

(٤) أي بالنجوم وعلامات الأرض. بين يدي رحمته أي المطر من السماء والأرض أي بأسبابها. (منه رحمه الله).

(٥) أي حقّ عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين والذين أغووا الخلق من الأنس. ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ يعنون أتباعهم. ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ أي لم يكونوا يعبدوننا، بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زيفوا عبادتنا، أو لم يعبدونا باستحقاق. «منه رحمه الله».

(٦) لو أنهم كانوا يهتدون، أي بحيلة لدفع العذاب أو إلى الحق، وقيل: «لو» للتمني أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين. «منه رحمه الله».

يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ».

الروم «٣٠»: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟[1] دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ[2] حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟[3] بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا[4] فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ «٤٠».

لقمان «٣١»: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ «١٣» «وقال»: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ «١٥».

سبأ «٣٤»: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ «٢٢» «وقال تعالى»: ﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ «٢٧» «وقال سبحانه»: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ[5] أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

فاطر «٣٥»: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ «٣» «وقال سبحانه»: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ[6] سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ[7] ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن

---

(١) تفرقهم اختلافهم فيما يعبدونه «منه رحمه الله».

(٢) شيعاً أي فرقاً يشايع كل إمامها. «منه رحمه الله».

(٣) ليكفروا: اللام للعاقبة. «منه رحمه الله».

(٤) سلطاناً: أي حجة أو ذا سلطان، أي ملكاً، فعلى الأولى التكلم مجاز «منه رحمه الله».

(٥) قوله تعالى يعبدون الجن: أي الشياطين حيث أطاعوهم، وقيل: كانوا يتمثلون ويتخيلون أنهم الملائكة فيعبدونهم. «منه رحمه الله».

(٦) قيل: الفرات هو الذي ينكسر به العطش، والسائغ: الذي يسهل انحداره، والأجاج: الذي يحرق بملوحته. والمراد بالحلية اللئالي. مواخر أي تشق الماء بجريها. «منه رحمه الله».

(٧) الأجل المسمى مدة دوره أي منتهاه، أو يوم القيامة. القطمير لفافة النواة. «منه رحمه الله».

دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟[1] لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ «٤٠».

يس «٣٦»: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

الصافات «٣٧»: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ[2] صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾.

ص «٣٨»: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

الزمر «٣٩»: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ «٦» «وقال تعالى»: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ «٨» «وقال تعالى»: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ «وقال سبحانه»: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٢٩» «وقال تعالى»: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ «١٢» «وقال»: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ «٢٠».

«وقال تعالى»: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ «٦٢» «إلى قوله تعالى»: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾؛ أي على فرض المحال ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الأنفاع، أو لتبريهم منكم مما تدعون لهم. «منه رحمه الله».

(٢) ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية، الزاجرين لأجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها، أو الناس عن المعاصي والشياطين عن التعرض لهم، التالين آيات الله تعالى وأسراره على أنبيائه وأصفيائه. أو بطوائف العلماء الصافين في العبادات، الزاجرين عن الكفر والمعاصي، التالين آيات الله وشرائعه. أو بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد، الزاجرين الخيل أو العدو، والتالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مجاهدة الأعداء. «منه قدس سره».

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ «٦٥» «إلى قوله تعالى»: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ «٨٤».

فصلت «٤١»: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ «٦» «إلى قوله تعالى»: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ «٩» «وقال تعالى»: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ «١٤» «وقال تعالى»: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٩» «وقال تعالى»: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ «١٣».

الزخرف «٤٣»: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ «٤٥» «وقال تعالى»: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

الجاثية «٤٥»: ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ «١٠».

محمد «٤٧»: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ «١٩».

ق «٥٠»: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ «٢٦».

الذاريات «٥١»: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ «٥١».

الطور «٥٢»: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ «٤٣».

الممتحنة «٦٠»: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ «٤».

الجن «٧٢»: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ «٢٠».

المزمل «٧٣»: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ «٩».

التوحيد «١١٢»: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

١ - **يد، ل:** الطالقانيّ، عن محمّد بن سعيد بن يحيى، عن إبراهيم بن الهيثم البلديّ، عن أبيه، عن المعافى بن عمران، عن إسرائيل، عن المقدام بن شريح بن هانئ، عن أبيه قال: إنّ

أعرابيّاً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أتقول: إنّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه وقالوا: يا أعرابيّ أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإنّ الّذي يريده الأعرابيّ هو الّذي نريده من القوم؛ ثمّ قال: يا أعرابيّ إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوز ان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه، فأمّا اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد أمّا ترى أنّه كفر من قال إنّه ثالث ثلاثة؛ وقول القائل: هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لأنّه تشبيه وجلّ ربّنا وتعالى عن ذلك. وأمّا الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربّنا؛ وقول القائل: إنّه عزّ وجلّ أحديُّ المعنى يعني به أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربّنا عزّ وجلّ [١].

مع: عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب بن نصر بن عبد الوهّاب بن عطاء بن واصل السنجريّ، عن أبي الحسن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن حمزة الشعرانيّ العمّاريّ - من ولد عمّار بن ياسر - عن أبي محمّد عبيد الله بن يحيى بن عبد الباقي الآذني، عن أبي المقدام بن شريح بن هانئ، عن أبيه مثله [٢].

بيان: التقسّم: التفرّق، والمعنى الأوّل المنفيّ هو الوحدة العدديّة بمعنى أنّ يكون له ثان من نوعه، والثاني أنّ يكون المراد به صنفاً من نوع، فإنّ النوع يطلق في اللّغة على الصنف، وكذا الجنس على النوع، فإذا قيل لروميّ مثلاً: هذا واحد من الناس بهذا المعنى يكون المعنى أنّ صنف هذا صنف من أصناف الناس، أو هذا من صنف من أصنافهم، ويحتمل أنّ يكون المراد بالأوّل الّذي له ثان في الإلهيّة، وبالثاني الواحد من نوع داخل تحت جنس فالمراد أنّه يريد به أي بالناس أنّه نوع لهذا الشخص، ويكون ذكر الجنس لبيان أنّ النوع يستلزم الجنس غالباً فيلزم التركيب من الأجزاء العقليّة. والمعنيان المثبتان: الأوّل منهما إشارة إلى نفي الشريك، والثاني منهما إلى نفي التركيب. وقوله: في وجود أي في الخارج.

٢ - **يد، مع:** أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن عيسى، عن أبي هاشم الجعفريّ قالت: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد؟ قال: المجتمع عليه بجميع الألسن بالواحدانية [٣].

سن: أبي، عن داود بن القاسم مثله.

---

(١) التوحيد ص ٨٣ ب ٢ ح ٢ والخصال ص ٢ باب الواحد ح ١.

(٢) معاني الأخبار ص ٥ باب ٦ ح ٢.

(٣) التوحيد ص ٨٢ ب ٣ ح ١ ومعاني الأخبار ص ٥.

٣ - ج: عن أبي هاشم الجعفريّ، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: قل هو الله أحد ما معنى الأحد؟ قال: المجمع عليه بالوحدانيّة أما سمعته يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1]؛ بعد ذلك له شريك وصاحبة؟[2].

بيان: قوله عليه السلام: بعد ذلك استفهام على الإنكار أي كيف يكون له شريك وصاحبة بعد إجماع القول على خلافه؟.

٤ - **يد:** ابن عصام والدقّاق معاً، عن الكلينيّ، عن عليّ بن محمّد ومحمّد بن الحسن جميعاً، عن سهل، عن أبي هاشم الجعفريّ قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد؟ قال: الّذي إجتماع الألسن عليه بالتوحيد كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[3].

بيان: يحتمل تلك الأخبار وجوهاً:

الأوّل: أنّ يكون عليه السلام أحال معنى الواحد على ما هو المعروف بين الناس وأعرض عنه، واستدلّ عليه بماجبل عليه جميع العقول من الإذعان بتوحيده.

الثاني: أن يكون المراد به أنّ معنى الواحد هو الّذي أقرّ به كلّ ذي عقل إذا صرف عنه الأغراض النفسانيّة.

الثالث: أنّ يكون هذا اللّفظ بحسب الشرع موضوعاً لهذا المعنى مأخوذاً فيه إجماع الألسن.

ثمّ الظاهر أنّ تكون الآية أحتجاجاً على مشركي قريش حيث كانوا يقرّون بأنّ الخالق لجميع المخلوقات هو الله تعالى، ومع ذلك كانوا يعبدون الأصنام ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله؛ ويحتمل أنّ يكون المراد أنّ غرائز الخلق كلّها مجبولة على الإذعان بتوحيده فإذا رجعوا إلى أنفسهم وتركوا العصبيّة والعناد يرون أنفسهم مذعنةً بذلك، وينبّه على ذلك أنّهم عند اضطرارهم في المهالك والمخاوف لا يلجؤون إلاّ إليه كما نبّه تعالى عليه في مواضع من القرآن المجيد؛ والأوّل أظهر فإن للتوحيد ثلاثة معان: الأوّل توحيد واجب الوجود، والثاني توحيد صانع العالم ومدبّر النظام، والثالث توحيد الإله وهو المستحقّ للعبادة، وكان مشركوا قريش مخالفين في المعنى الثالث.

٥ - **ج:** عن هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديقُ، الصادق عليه السلام عن قول من زعم أنّ الله لم يزل معه طينة موذية فلم يستطع التفصّي منها إلاّ بامتزاجه بها ودخوله فيها فمن تلك الطينة خلق الأشياء. قال: سبحان الله وتعالى ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصّي من الطينة!

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦. (٢) الاحتجاج، ص ٤٤١.

(٣) التوحيد ص ٨٣ ب ٣ ح ٢.

إن كانت الطينة حيّة أزليّة فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبّرا العالم من أنفسهما، فإن كان ذلك كذلك فمن أين جاء الموت والفناء، وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميّت مع الأزليّ القديم والميّت لا يجيىء منه حيٌّ. هذه مقالة الديصانيّة أشدّ الزنادقة قولاً وأهملهم مثلاً، نظروا في كتب قد صنّفتها أوائلهم، وحبروها لهم بألفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت، ولا حجّة توجب إثبات ما ادّعوا، كلّ ذلك خلافاً على الله وعلى رسله؛ وتكذيباً بما جاؤوا به عن الله.

فأمّا من زعم أنّ الأبدان ظلمة والأرواح نور وأنّ النور لا يعمل الشرّ والظلمة لا تعمل الخير فلا يجب عليهم أنّ يلوموا أحداً على معصية، ولا ركوب حرمة، ولا إتيان فاحشة، وأنّ ذلك على الظلمة غير مستنكر لأنّ ذلك فعلها، ولاله أنّ يدعو ربّاً، ولا يتضرّع إليه، لأنّ النور ربٌّ، والربّ لا يتضرّع إلى نفسه، ولا يستعيذ بغيره، ولا لأحد من أهل هذه المقالة أنّ يقول: أحسنت وأسأت، لأنّ الإساءة من فعل الظلمة وذلك فعلها، والإحسان من النور، ولا يقول النور لنفسه: أحسنت يا محسن، وليس هناك ثالث، فكانت الظلمة على قياس قولهم أحكم فعلاً وأتقن تدبيراً وأعزّ أركاناً من النور لأنّ الأبدان محكمة فمن صوّر هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة، وكلّ شيء يرى ظاهراً من الظهر والأشجار والثمار والطير والدوابّ يجب أنّ يكون إلهاً ثمّ حبست النور في حبسها والدولة لها، وما ادّعوا بأنّ العاقبة سوف تكون للنور فدعوىً، وينبغي على قياس قولهم أنّ لا يكون للنور فعل لأنّه أسير، وليس له سلطان فلا فعل له ولا تدبير، وإن كان له مع الظلمة تدبير فما هو بأسير بل هو مطلق عزيز فإن لم يكن كذلك وكان أسير الظلمة فإنه يظهر في العالم إحسان وخير مع فساد وشرّ، فهذا يدلّ على أنّ الظلمة تحسن الخير وتفعله كما تحسن الشرّ وتفعله، فإن قالوا: محال ذلك فلا نور يثبت ولا ظلمة، وبطلت دعواهم ويرجع الأمر إلى أنّ الله واحد وما سواه باطل فهذه مقالة «ماني» الزنديق وأصحابه.

وأمّا من قال: النور والظلمة بينهما حَكم فلا بدّ من أنّ يكون أكبر الثلاثة الحكم، لأنّه لا يحتاج إلى الحاكم إلاّ مغلوب، أو جاهل، أو مظلوم، وهذه مقالة المدقونيّة والحكاية عنهم تطول.

قال: فما قصّة ماني؟ قال: متفحّص أخذ بعض المجوسيّة فشابها ببعض النصرانيّة، فأخطأ الملّتين ولم يصب مذهباً واحداً منهما، وزعم أنّ العالم دبّر من إلهين: نور وظلمة، وأنّ النور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه فكذّبته النصارى وقبلته المجوس. الخبر[1].

توضيح وتحقيق: أعلم أنّه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى إبطال مذاهب ثلاث فرق من الثنويّة ولنحقّق أصل مذاهبهم ليتّضح ماأفاده عليه السلام في الردّ عليهم.

---

(١) الاحتجاج ص ٣٤٥.

الأول: مذهب الديصانيّة وهم أصحاب ديصان، وهم أثبتوا أصلين: نوراً وظلاماً، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً، والظلام يفعل الشرّ طبعاً واضطراراً، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور، وما كان من شرّ وضرّ ونتن وقبح فمن الظلام؛ وزعموا أنّ النور حيٌّ عالم قادر حسّاس درّاك، ومنه تكون الحركة والحياة؛ والظلام ميّت جاهل عاجز جماد موات، لا فعل لها ولا تمييز؛ وزعموا أنّ الشر يقع منه طباعاً، وزعموا أنّ النور جنس واحد، وكذلك الظلام جنس واحد وأن إدراك النور إدراك متّفق، وأنّ سمعه وبصره هو حواسّه، وإنّما قيل: سميع بصير لاختلاف التركيب لا لأنّهما في نفسهما شيئان مختلفان.

وزعموا أنّ اللّون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسّة وأنما وجده لوناً لأنّ الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة، ووجده طعماً لأنّها خالطته بخلاف ذلك الضرب، وكذلك يقول في لون الظلمة وطعمها ورائحتهاو مجسّتها؛ وزعموا أنّ النور بياض كلّه، وأنّ الظلمة سواد كلّها؛ وزعموا أنّ النور لم يزل يلقي الظلمة بأسفل صفيحة منه، وأنّ الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفيحة منها.

واختلفوا في المزاج والخلاص فزعم بعضهم أنّ النور دخل الظلمة، والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتأذّى بها، وأحبّ أنّ يرققهاويليّنها ثمّ يتخلّص منها، وليس ذلك لاختلاف جسمها، ولكن كما أنّ المنشار جنسه حديد وصفيحته ليّنة وأسنانه خشنة فاللّين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد، فيلطف النور بلينه حتّى يدخل فيما بين تلك الفرج فما أمكنه إلاّ بتلك الخشونة، فلا يتصوّر الوصول إلى كمال ووجود إلاّ بلين وخشونة.

وقال بعضهم: بل الظلام لمّا احتال حتّى تشبّث بالنور من أسفل صفيحته ودرجه فاجتهد النور حتّى يتخلّص منه ويدفعها عن نفسه اعتمد عليه فلجج فيه وذلك بمنزلة الإنسان الّذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجاً فيه، فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلّص منه والتفرّد بعالمه.

وقال بعضهم: إنّ النور إنّما دخل الظلام اختياراً ليصلحها ويستخرج منه أجزاء صالحة لعالمه، فلمّا دخل تشبّث به زماناً فصار يفعل الجور والقبيح إضطراراً لا اختياراً، ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل إلاّ الخير المحض والحسن البحت، وفرق بين الفعل الضروريّ وبين الفعل الاختياريّ.

الثاني: مذهب المانويّة أصحاب ماني الحكيم الّذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة، وكان يقول بنبوّة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوّة موسى عليه السلام. حكى محمّد بن هارون المعروف بأبي عيسى الورّاق أنّ الحكيم ماني زعم أنّ العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين: أحدهما نور والآخر ظلمة، وأنّهما أزليّان لم يزالا ولن يزالا، وأنكر وجود شيء لا من الأصل قديماً، وزعم أنّهما لم

يزالا قويّين حسّاسين، سميعين بصيرين، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادّان، والخير والشرّ متحاذيان تحاذي الشخص والظلّ؛ والنور جوهره حسن فاضل كريم صاف نقيّ طيّب الريح حسن المنظر، ونفسه خيّرة كريمة حليمة نافعة عالمة، وفعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام والاتّفاق، وجهته فوق، وأكثرهم على أنّه مرتفع من ناحية الشمال.

وزعم بعضهم أنّه بجنب الظلمة وأجناسه خمسة: أربعة منها أبدان، والخامسة روحها: فالأبدان النار والريح والنور والماء، وروحها النسيم، وهي تتحرّك في هذه الأبدان، وصفاته حسنة خيّرة طاهرة زكيّة.

وقال بعضهم: كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجوّ، وأرض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض بل على صورة جرم الشمس، وشعاعها كشعاع الشمس، ورائحتها طيّبة أطيب رائحة، وألوانها ألوان قوس قزح.

وقال بعضهم: ولا شيء إلاّ الجسم، والأجسام على ثلاثة أنواع: أرض النور، وهي خمسة. وهناك جسم آخر ألطف منه وهو الجوّ وهو نفس النور، وجسم آخر ألطف منه وهو النسيم وهو روح النور. قال: ولم يزل يولّد ملائكة وآلهة أولياء ليس على سبيل المناكحة بل كما يتولّد الحكمة من الحكيم، والنطق الطيّب من الناطق. وملك ذلك العالم هو روحه، ويجمع عالمه الخير والحمد والنور.

وأمّا الظلمة فجوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر، ونفسها شريرة لئيمة سفيهة ضارّة جاهلة، وفعلها الشرّ والفساد، والضرر والغمّ والتشويش والاختلاف، وجهتها تحت، وأكثرهم على أنّها منحطّة من جانب الجنوب.

وزعم بعضهم: أنّها بجنب النور، وأجناسها خمسة: أربعة منها أبدان والخامسة روحها، فالأبدان هي الحريق والظلمة والسموم والضباب، وروحها الدخان، وهو يتحرّك في هذه الأبدان، وأمّا صفاتها فهي خبيثة شريرة نجسة دنسة.

وقال بعضهم: كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجوّ، فأرض الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الأرض بل هي أكثف وأصلب، ورائحتها كريهة أنتن الروائح وألوانها السواد.

وقال بعضهم: ولا شيء إلاّ الجسم، والأجسام على ثلاثة أنواع: أرض الظلمة، وجسم آخر أظلم منه وهو الدخان، وجسم آخر أظلم منه وهو السموم، وقال: ولم يزل تولّد الظلمة وشياطين وعفاريت لا على سبيل المناكحة بل كما يتولّد الحشرات من العفونات القذرة، قال: وملك ذلك العالم هو روحه، ويجمع عالمه الشرّ والذميمة والظلمة.

ثمّ اختلفت المانويّة في المزاج وسببه، والخلاص وسببه؛ قال بعضهم إنّ النور والظلام

امتزجا بالخبط والاتّفاق لا بالقصد والاختيار، وقال أكثرهم: إنَّ سبب الامتزاج أنَّ أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الروح فرأت الأبدان على ممازجة النور، فأجابتها لإسراعها إلى الشرّ، فلمّا رأى ذلك ملك النور وجّه إليها ملكاً من ملائكته في خمسة أجزاء من أجناسها الخمسة، فاختلطت الخمسة النوريّة بالخمس الظلاميّة؛ فخالط الدخان النسيم، وإنّما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم، والهلاك والآفات من الدخان؛ وخالط الحريق النار؛ والنور الظلمة؛ والسموم الريح؛ والضباب الماء. فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور، وما فيه من مضرّة وشرّ وفساد فمن أجناس الظلمة، فلمّا رأى ملك النور هذه الإمتزاج أمر ملكاً من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة ليخلص أجناس النور من أجناس الظلمة، وإنّما سارت الشمس والنجوم والقمر لاستصفاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة. هذا ما ذكر الشهرستانيّ من تحقيق مذهبهم مع خرافات أُخر نقلها عنهم.

وقال ابن أبي الحديد: قالت المانويّة: إنَّ النور لا نهاية له من جهة فوق وأمّا من جهة تحت فله نهاية؛ والظلمة لا نهاية لها من جهة أسفل وأمّا من جهة فوق فلها نهاية؛ وكان النور والظلمة هكذا قبل خلق العالم وبينهما فرجة، وإنَّ بعض أجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر إلى الظلمة فأشرقت الظلمة فأقبل عالم كثير من النور فجاءت الظلمة ليستخلص المأمورين من تلك الأجزاء، وطالت الحرب واختلط كثير من أجزاء النور بكثير من أجزاء الظلمة، فاقتضى حكمة نور الأنوار وهو الباري سبحانه عندهم أنَّ عمل الأرض من لحوم القتلى، والجبال من عظامهم، والبحار من صديدهم ودمائهم، والسماء من جلودهم، وخلق الشمس والقمر وسيّرهما لاستصفاء ما في العالم من أجزاء النور المختلطة بأجزاء الظلمة، وجعل حول العالم خندقاً خارج الفلك الأعلى يطرح فيه الظلام المستصفى، فهو لا يزال يزيد ويتضاعف ويكثر في ذلك الخندق وهو ظلام صرف قد استصفى نوره.

وأمّا النور المستخلص فيلحق بعد الإستصفاء بعالم الأنوار فلا تزال الأفلاك متحرّكة والعالم مستمرّاً إلى أن يتمّ استصفاء النور الممتزج، وحينئذ يبقى من النور الممتزج شيء منعقد باطل لا تقدر النيران على استصفائه، فعند ذلك تسقط الأجسام العالية - وهي الأفلاك - على الأجسام السافلة - وهي الأرضون - وتفور نار وتضطرم في تلك الأسافل وهي المسمّاة بجهنّم، ويكون الاضطرام مقدار ألف وأربعمائة سنة، فتحلّل بتلك النار تلك الأجزاء المنعقدة من النور الممتزجة بأجزاء الظلمة الّتي عجز الشمس والقمر عن استصفائها فيرتفع إلى عالم الأنوار ويبطل حينئذ، ويعود النور كلّه إلى حاله الأولى قبل الامتزاج وكذلك الظلمة.

الثالث: المرقوبيّة أثبتوا أصلين متضادّين: أحدهما النور، والثاني الظلمة، وأثبتوا أصلاً

ثالثاً هو المعدّل الجامع وهو سبب المزاج، فإنّ المتنافرين المتضادّين لا يمتزجان إلاّ بجامع، وقالوا: الجامع دون النور في الرتبة، وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم.

ومنهم من يقول: الامتزاج إنّما يحصل بين الظلمة والمعدّل إذهو قريب منها فامتزج به ليتطيّب به ويلتذّ ملاذّه فبث النور إلى العالم الممتزج روحاً مسيحيّة وهو روح الله وابنه تحنّناً على المعدّل السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتّى يخلّصه من حبائل الشياطين، فمن اتّبعه فلم يلامس النساء ولم يقرب الزهومات أفلت ونجا، ومن خالفه خسر وهلك. قالوا: وإنّما أثبتنا المعدّل لأنّ النور الّذي هوالله تعالى لا تجوز عليه مخالطة الشيطان، فإنّ الضدّين يتنافران طبعاً، ويتمانعان ذاتاً ونفساً فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما؟ فلابدّ من معدّل تكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيقع المزاج معه. كذا ذكره الشهرستانيّ[1].

وقال ابن أبي الحديد: قول المجوس هو أنّ الغرض من خلق العالم أن يتحصّن الخالق جلّ اسمه من العدوّ وأن يجعل العالم شبكة له ليوقع العدوّ فيه، ويجعله في ربط ووثاق. والعدوّ عندهم هو الشيطان وبعضهم يعتقد قدمه وبعضهم حدوثه[2].

قال قوم منهم: إنّ الباري ﷻ استوحش ففكر فكرة رديّة فتولّد منها الشيطان. وقال آخرون: بل شكّ شكّاً رديّاً فتولّد الشيطان من شكّه. وقال آخرون: بل تولّد من عفونة رديّة قديمة.

وزعموا أنّ الشيطان حارب الباري سبحانه؛ وكان في الظلمة لم يزل بعيداً عن سلطان الباري سبحانه فلم يزل يزحف حتّى رأى النور فوثب وثبة عظيمة فصار في سلطان الله تعالى في النور، وأدخل معه البلايا والشرور فبنى الله سبحانه هذه الأفلاك والأرض والعناصر شبكة له، وهو فيها محبوس لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه الأوّل والظلمة فهو أبداً يضطرب ويرمي الآفات على خلق الله سبحانه فمن أحياه الله رماه الشيطان بالموت، ومن أصحّه رماه الشيطان بالسقم، ومن سرّه رماه الشيطان بالحزن والكآبة فلا يزال كذلك. وكلّ يوم ينتقص سلطانه وقوّته لأنّ الله تعالى يحتال له كلّ يوم ويضعّفه إلى أن تذهب قوّته كلّها، ويخمد ويصير جمادا جامداً هوائيّاً، ويجمع الله تعالى أهل الأديان فيعذّبهم بقدر ما يطهّرهم ويصفّيهم من طاعة الشيطان، ويغسّلهم من الأدناس ثمّ يدخلهم الجنّة وهي لا أكل فيها ولا شرب ولا تمتّع، ولكنّها موضع لذّة وسرور.

أقول: لمّا عرفت هذه المذاهب السخيفة المزخرفة الّتي يغني تقريرها عن التعرّض لإبطالها وتزييفها فلنرجع إلى توضيح الخبر.

---

(١) الملل والنحل ص ٢٥٣ وفيه: المرقونية.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٥ ص ١٠٦.

فنقول: يظهر من كلامه عليه السلام أنّ الديصانيّة قالوا بقدم الطينة أي الظلمة، وبحدوث الامتزاج، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما نسبه الشهرستانيّ إلى الزروانيّة حيث قال: زعم بعضهم أنّه كان لم يزل مع الله شيء رديّ إمّا فكرة رديّة، وإمّا عفونة رديّة، وذلك هو مصدر الشيطان، وزعموا أنّ الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات، وكان أهلها في خير محض ونعيم خالص فلمّا حدث «أهرمن» حدثت الشرور والآفات والفتن، وكان بمعزل من السماء فاحتال حتّى خرق السماء وصعد.

ثمّ إنّه استدلّ عليه السلام على إبطال مذهبهم بوجهين: الأوّل أنّ قولكم: إنّه تعالى كان لم يزل متأذّياً من تلك الطينة ولم يستطع التفصّي منها يستلزم عجزه تعالى، والعجز نقص يحكم العقل ببراءة صانع مثل هذا النظام عنه، وأيضاً يوجب الاحتياج إلى من يرفع ويدفع ذلك عنه، وهو ينافي وجوب الوجود الّذي قام البرهان على اتّصاف الصانع تعالى به.

والثاني: أنّه لا يخلو إمّا أن تكون تلك الطينة الأزليّة حيّة عالمة قادرة، فيكون كلٌّ منهما إلهاً واجباً بالذات، لما قد ثبت بالعقل والنقل أنّ الممكن لا يكون قديماً فإذا حصل العالم من امتزاجهما فلا يجوز على شيء من أجزاء العالم الموت والفناء إذ انتفاء المركّب إنّما يكون بانتفاء أحد أجزائه والجزآن هنا قديمان. ويحتمل أن يكون هذا إلزاماً عليهم حيث أثبتوا الظلمة وجعلوها ميتة جاهلة عاجزة جماداً لينسبوا إليها الموت والفناء؛ زعماً منهم أنّ مثل هذه الأُمور لا يصدر عن النور الحيّ العالم القادر، وإمّا أن تكون ميتة أي عادمة للقدرة والعلم والإرادة، وهذا محال إذ القدم يستلزم وجوب الوجود، وهو يستلزم الاتصاف بالعلم والقدرة وسائر الكمالات، وإليه أشار عليه السلام بقوله فلا بقاء للميّت مع الأزليّ القديم. ثمّ أبطل عليه السلام ذلك بوجه آخر، وهو أنّهم ينسبون خلق المؤذيات كالحيّات والعقارب والسباع إلى الظلمة، ولو كانت ميتة لا يجوز نسبة خلقها إليها إذ العقل يحكم بديهة أنّه يجب أن يكون الصانع أشرف من المصنوع من جميع الجهات وكيف يفيض الحياة والعلم والقدرة ممّن لم يكن له حظٌّ منها.

وأمّا المانويّة فيظهر من كلامه عليه السلام في تقرير مذهبهم غير مامرٍّ من نقل الناقلين لمذهبهم ولا عبرة بنقلهم، فإنّهم كثيراً ما ينسبون أشياء إلى جماعة من الشيعة وغيرهم ممّا قد نعلم خلافها، مع أنّه يحتمل أن يكون كلامهم مرموزاً، وعلم عليه السلام أنّ مرادهم بالنور الروح، وبالظلمة الجسد؛ والنور هو الربّ تعالى. ويؤيّده أنّه كان الملعون نصرانيّاً ومذهب النصارى في المسيح عليه السلام قريب من ذلك، ويحتمل أن يكون ما ذكره عليه السلام مذهباً لجماعة من قدمائهم، ثمّ غيّروه إلى ما نقل عنهم؛ وكون النور أسيراً للظلمة يحتمل أن يكون كناية عن عدم استقلاله في التدبير ومعارضة أهرمن له في كثير ممّا يريده. وقد استدلّ عليه السلام على بطلان مذهبهم بوجوه:

الأوّل: أن لا يكون الناس قادرين على ترك الشرور والمساوي والمعاصي لأنّها من فعل الجسد الّذي هو الظلمة، ولا يتأتّى منه الخير، ولا يستحقّ أحد الملامة على الشرّ، لكونه مجبوراً عليه، وقد نراهم يلومون الناس على الشرور والمساوي، فهذا دليل على بطلان مذهبهم.

الثاني: أنّهم يستحسنون التضرّع إلى الربّ تعالى وعبادته والاستعانة به، وأمثال تلك الأعمال فعل الروح الّذي هو الربّ بزعمهم فكيف يعبد نفسه ويستعين بنفسه ويتضرّع إليها؟ وإن قالوا: إنّه يتضرّع إلى الظلمة فكيف يليق بالربّ أن يستعيذ بغيره؟.

الثالث: أنّه يلزم أن لا يجوز أن يقول أحد لأحد: أحسنت ولا أسأت، وهذا باطل اتّفاقاً وبديهةً، وأمّا بيان الملازمة فلأنّ الحاكم بذلك إمّا النور أو الظلمة، إذ المفروض أنّه لا شيء غيرهما. وكلاهما باطلان: أمّا الأوّل فلأنّ الظاهر من هذا الكلام المغايرة بين المادح والممدوح والمفروض اتّحادهما، ويحتمل أن يكون هذا منبّهاً على ما يحكم به العقل بديهة من المغايرة بين الأشخاص، مع أنّهم يقولون: بأنّ أرواح جميع الخلق شخص واحد هو النور وهو الربُّ تعالى، وهذا قريب من الوحدة الّتي قالت به الصوفيّة. وأمّا الثاني فلأنّ الظلمة فعلها الإساءة وتعدّها حسنة، فكيف تحكم بقبحها؟.

ويمكن تقرير الملازمة بوجه آخر بأن يقال: ظاهر أنَّ التحسين والتشنيع من فعل النور، ولا يتصوّر منه شيء منهما لأنّ المخاطب في «أسأت» هو الظلمة وهو مجبور على فعل القبيح بزعمهم فلا يستحقّ اللّوم، وهو المراد بقوله: وذلك فعلها، والمخاطب في «أحسنت» هو النور لأنّ الحسن فعله فيتّحد المادح والممدوح.

الرابع: أنّهم يحكمون بأنّ النور هوالربّ تعالى، ويجب على هذا أن يكون أقوى وأحكم وأتقن من الظلمة الّتي هي مخلوقة، ويلزمهم بمقتضى أقوالهم الفاسدة عكس ذلك لأنَّ الأبدان عندهم من فعل الظلمة، ولا نحكم بقدرة الربّ وعلمه وحكمته إلاّ بما نشاهد من تلك الأبدان المختلفة، والأشجار والثمار، والطيور والدوابّ، ولا نشاهد ممّا يقولون من الأرواح شيئاً، فيلزمهم على قياس ذلك أن تكون الظلمة إلهاً قادراً حكيماً عليماً. فقوله عليه السلام: من صوّر مبتدأ، وقوله: يجب أن يكون إلهاً خبره. وقوله: كلُّ شيء معطوف على قوله: هذا الخلق.

الخامس: قولهم: بأنّ النور في حبس الظلمة ينافي القول بربوبيّته لأنَّ كونه محبوساً يستلزم عجزه ونقصه، وكلٌّ منهما ينافي الربوبيّة كما مرَّ، وما ادّعوا من أنّه في القيامة يغلب النور عليها فمع أنّه لا ينفع في دفع الفساد فهو دعوى من غير حجّة. وأيضاً يلزمهم أن لا يكون للنور فعل لأنّه أسير. وإن قالوا بأنَّ له أيضاً فعلاً من الخلق والتدبير فليس بأسير لأنَّ العقل يحكم بأنَّ الخالق المدبّر لابد من أن يكون عزيزاً منيعاً قادراً قاهراً على كلّ من سواه فلمّا ثبت على قياس قولهم أنّه أسير فيلزمهم بما قرّرنا أن يكون ما في العالم من الإحسان والخير أيضاً

من فعل الظلمة، فإن حكموا باستحالة ذلك أي كون الخير من الظلمة فقد بطل أصل كلامهم، وهو الحكم بتوزيع الخلق، وثبت ما قلناه: من أنّ الربّ تعالى واحد لا يشاركه ولا يضادّه في ملكه أحد.

وأمّا مذهب المرقوبيّة فقد بيّن عليه السلام بطلانه بأنّ القول بالحَكم ينافي القول بربوبيّة النور، لأنّ الحَكم يكون قاهراً والنور مقهوراً، وبديهة العقل حاكمة ببطلان كون الربّ مقهوراً. وأيضاً يلزم أن يكون الحَكم أعلم بالحكمة من النور الّذي حكمتم أنّه ربٌّ، والضرورة قاضية بأنّ الربّ الخالق لمثل هذا الخلق المدبّر لهذا النظام لا يكون جاهلاً. هذا جملة القول في هذا الخبر على ما ناله فهمي القاصر، وبسط القول فيه يحتاج إلى كتاب مفرد معمول لذلك. والله الموفّق لكلّ خير.

٦ - **فس:** ثمّ ردَّ على الثنويّة الّذين قالوا بإلهين فقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. قال: لو كان إلهين كما زعمتم لكانا يخلقان، فيخلق هذا ولا يخلق هذا، ويريد هذا ولا يريد هذا، ولطلب كلّ واحد منهما الغلبة، وإذا أراد أحدهما خلق إنسان وأراد الآخر خلق بهيمة فيكون إنساناً وبهيمة في حالة واحدة وهذا غير موجود، فلمّا بطل هذا ثبت التدبير والصنع لواحد؛ ودلّ أيضاً التدبير وثباته وقوام بعضه ببعض على أنّ الصانع واحد جلّ جلاله، وذلك قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ...﴾ الآية، ثمّ قال آنفاً: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

بيان: أنفاً بالتحريك أي استنكافاً وتنزّهاً.

٧ - **يد، مع:** أبي، عن سعد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن الربيع بن محمّد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام - وسئل عن الصمد - فقال: الصمد الّذي لا جوف له[2].

٨ - **يد، مع:** الدقّاق، عن الكلينيّ، عن علاّن، عن سهل، عن محمّد بن وليد - ولقبه شبّاب الصيرفي - عن داود بن القاسم الجعفريّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما الصمد؟ قال: السيّد المصمود إليه في القليل والكثير[3].

٩ - **يد:** ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن الميثميّ، عن صفوان بن يحيى، عن أبي أيّوب، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: انسب لنا ربّك فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثمّ نزلت هذه السورة إلى آخرها فقلت: ما الصمد؟ فقال: الّذي ليس بمجوّف[4].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦٨ في تفسيره لسورة المؤمنون، الآية: ٩١.
(٢) التوحيد، ص ٩٣ باب ٤ ح ٧، ومعاني الأخبار ص ٦.
(٣) التوحيد، ص ٩٤ باب ٤ ح ١٠، ومعاني الأخبار ص ٦.
(٤) التوحيد، ص ٩٣ باب ٤ ح ٨ و٩.

١٠ - يد: أبي، عن سعد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن الحسن بن أبي السريّ، عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد، فقال: إنّ الله تباركت أسماؤه الّتي يدعى بها، وتعالى في علوّ كنهه، واحد توحّد بالتوحيد في علوّ توحيده، ثمّ أجراه على خلقه فهو واحد صمد قدّوس، يعبده كلّ شيء، ويصمد إليه كلّ شيء، ووسع كلّ شيء علماً[1].

إيضاح: واحد خبر «إنّ» والجملتان معترضتان أي تطهّرت أسماؤه عن النقائص أو كثرت صفات جلاله وعظمته، أو ثبتت ولا يعتريها التغيّر، وكلمة «في» في قوله: في علوّ كنهه تعليليّة. وقوله عليه السلام: توحّد بالتوحيد أي لم يكن في الأزل أحد يوحّده فهو كان يوحّد نفسه فكان متفرّداً بالوجود، متوحّداً بتوحيد نفسه، ثمّ بعد الخلق عرّفهم نفسه، وأمرهم أن يوحّدوه، أو المراد أنّ توحّده لا يشبه توحّد غيره، فهو متفرّد بالتوحيد، أو كان قبل الخلق كذلك، وأجرى سائر أنواع التوحيد على خلقه، إذ الوحدة تساوق الوجود أو تستلزمه لكن وحداتهم مشوبة بأنواع الكثرة.

١١ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن عليّ بن سيف بن عميرة، عن محمّد بن عبيد قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: قل للعباسيّ يكفّ عن الكلام في التوحيد وغيره، ويكلّم الناس بما يعرفون، ويكفّ عمّا ينكرون، وإذا سألوك عن التوحيد فقل كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ وإذا سألوك عن الكيفيّة فقل كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ وإذا سألوك عن السمع فقل كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؛ كلم الناس بما يعرفون[2].

١٢ - يد: حدّثنا أبومحمّد جعفر بن عليّ بن أحمد الفقيه القمّيّ ثمّ الإيلاقيّ رضي الله عنه، قال حدّثنا أبو سعيد عبدان بن الفضل، قال: حدّثني أبو الحسن محمّد بن يعقوب بن محمّد بن يوسف بن جعفر بن إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بمدينة خجندة، قال: حدّثني أبو بكر محمّد بن أحمد بن شجاع الفرغانيّ، قال حدّثني أبومحمّد الحسن بن حمّاد القبريّ بمصر، قال: حدّثني إسماعيل بن عبد الجليل البرقيّ، عن أبي البختريّ وهب بن وهب القرشيّ، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قال: «قل» أي أظهر ما أوحينا إليك ونبّأناك به بتأليف الحروف الّتي قرأنا ها لك، ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد، و«هو» إسم مشاور مكنّى إلى غائب، فالهاء تنبيه عن معنى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواسّ كما أنّ قولك: «هذا» إشارة إلى الشاهد عند الحواسّ، وذلك أنّ الكفّار

---

(١) التوحيد، ص ٩٣ باب ٤ ح ٨ و٩. (٢) التوحيد، ص ٩٥ باب ٤ ح ١٤.

نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يامحمّد إلى إلهك الّذي تدعو إليه حتّى نراه وندركه ولا نأله فيه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. فالهاء تثبيت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواسّ، والله تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواسّ[1].

- حدّثني أبي، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدر بليلة، فقلت له: علّمني شيئاً أنصر به على الأعداء، فقال: قل: يا هو يا من لا هو إلاّ هو. فلمّا أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: يا عليّ علّمت الاسم الأعظم؛ وكان على لساني يوم بدر، وإنّ أمير المؤمنين عليه السلام قرأ قل هو الله أحد فلمّا فرغ قال: يا هو من لا هو إلاّ هو اغفر لي وانصرني على القوم الكافرين.

وكان عليّ عليه السلام يقول ذلك يوم صفّين وهو يطارد، فقال له عمّار بن ياسر: يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات؟ قال: اسم الله الأعظم، وعماد التوحيد لله لا إله إلاّ هو، ثمّ قرأ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2]، وأواخر الحشر، ثمّ نزل فصلّى أربع ركعات قبل الزوال.

قال: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله معناه المعبود الّذي يأله فيه الخلق، ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات.

قال الباقر عليه السلام: الله معناه المعبود الّذي أله الخلق عن درك ماهيّته والإحاطة بكيفيّته، ويقول العرب: أله الرجل إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علماً، ووله: إذا فزع إلى شيء ممّا يحذره ويخافه، فالإله هو المستور عن حواسّ الخلق.

قال الباقر عليه السلام: الأحد الفرد المتفرّد، والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرّد الّذي لا نظير له، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد، والواحد المتباين الّذي لا ينبعث من شيء ولا يتّحد بشيء، ومن ثمّ قالوا: إن بناء العدد من الواحد، وليس الواحد من العدد، لأنّ العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الإثنين، فمعنى قوله: الله أحد أي المعبود الّذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيّته فرد بإلهيّته، متعال عن صفات خلقه.

قال الباقر عليه السلام: وحدّثني أبي زين العابدين، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهما السلام أنّه قال: الصمد: الّذي لا جوف له. والصمد: الّذي قد انتهى سؤدده. والصمد: الّذي لا يأكل ولا يشرب. والصمد: الّذي لا ينام. والصمد: الدائم الّذي لم يزل ولا يزال.

قال الباقر عليه السلام: كان محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه يقول: الصمد القائم بنفسه الغنيّ عن غيره. وقال غيره: الصمد: المتعالي عن الكون والفساد، والصمد: الّذي لا يوصف بالتغاير.

قال الباقر عليه السلام: الصمد السيّد المطاع الّذي ليس فوقه آمر وناه.

---

(١) التوحيد، ص ٨٨ باب ٤ ح ١. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

قال: وسئل عليُّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن الصمد فقال: الصمد: الّذي لا شريك له، ولا يؤوده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء[1].

١٣ - قال وهب بن وهب القرشيّ: قال زيد بن عليّ عليه السلام: الصمد الّذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، والصمد الّذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتفرّد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ[2].

١٤ - قال وهب بن وهب القرشيّ: وحدّثني الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه الباقر، عن أبيه عليهما السلام أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن عليّ عليه السلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار؛ وأنّه سبحانه قد فسّر الصمد فقال: الله أحد الله الصمد، ثمّ فسّره فقال: لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد لم يلد لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة الّتي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعّب منه البدوات، كالسنة والنوم، والخطرة والهمّ، والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف والرجاء، والرغبة والسأمة، والجوع والشبع؛ تعالى أن يخرج منه شيء، وأن يتولّد منه شيء كثيف أو لطيف. ولم يولد لم يتولّد من شيء، ولم يخرج منه شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء، والدابّة من الدابّة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما تخرج الأشياء اللّطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشمّ من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللّسان، والمعرفة والتميز من القلب، وكالنار من الحجر لا بل هو الله الصمد الّذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشيء الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الّذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفواً أحد[3].

١٥ - قال وهب بن وهب القرشيّ: سمعت الصادق عليه السلام يقول: قدم وفد من فلسطين على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم، ثمّ سألوه عن الصمد فقال: تفسيره فيه الصمد خمسة أحرف، فالألف دليل على إنّيته، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس، واللاّم دليل على إلهيّته بأنّه هو الله، والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللّسان ولا يقعان في السمع، ويظهران في الكتابة دليلان على أنّ إلهيّته لطيفة خافية لا يدرك بالحواسّ، ولا يقع في لسان واصف، ولا أذن

---

(١) التوحيد، ص ٨٩-٩٠ باب ٤ ح ٢ و٣. (٢) التوحيد، ص ٩٠ باب ٤ ح ٤.

(٣) التوحيد، ص ٩٠ باب ٤ ح ٥.

سامع لأنّ تفسير الإله هو الّذي أله الخلق عن درك ماهيّته وكيفيّته بحسّ أو وبوهم، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواسّ، وإنّما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على أنّ الله سبحانه أظهر ربوبيّته في إبداع الخلق، وتركيب أرواحهم اللّطيفة في أجسادهم الكثيفة، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه، كما أنّ لام الصمد لا تتبيّن ولا تدخل في حاسّة من حواسّه الخمس، فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف، فمتى تفكّر العبد في ماهيّة الباري وكيفيّته أله فيه وتحيّر ولم تحط فكرته بشيء يتصوّر له، لأنّه عزّوجلّ خالق الصور، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنّه عزّوجلّ خالقهم، ومركّب أرواحهم في أجسادهم؛ وأمّا الصاد فدليل على أنّه عزّوجلّ صادق، وقوله صدق وكلامه صدق، ودعا عباده إلى اتّباع الصدق بالصدق، ووعد بالصدق دار الصدق، وأمّا الميم فدليل على ملكه، وأنّه الملك الحقّ، لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه، وأمّا الدال فدليل على دوام ملكه، وأنّه عزّوجلّ دائم تعالى عن الكون والزوال، بل هو الله عزّوجلّ مكون الكائنات الّذي كان بتكوينه كلّ كائن.

ثمّ قال عليه السلام: لو وجدت لعلمي الّذي آتاني الله عزّوجلّ حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد، وكيف لي بذلك ولم يجد جدّي أمير المؤمنين عليه السلام حملةً لعلمه حتّى كان يتنفّس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإنّ بين الجوانح منّي علماً جمّاً، هاه هاه، ألا لا أجد من يحمله، ألا وإنّي عليكم من الله الحجّة البالغة، فلا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم قديئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور.

ثمّ قال الباقر عليه السلام: الحمد لله الّذي منّ علينا ووفّقنا لعبادته الأحد الصمد الّذي لم يلدولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وجنّبنا عبادة الأوثان، حمداً سرمداً وشكراً واصباً. وقوله عزّوجلّ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ يقول الله عزّوجلّ: لم يلد فيكون له ولد يرثه ملكه، ولم يولد فيكون له والد يشركه في ربوبيّته وملكه، ولم يكن له كفواً أحد فيعازّه في سلطانه[1].

بيان: روي في معاني الأخبار ما يتعلّق بتأويل الصمد من هذا الخبر بهذا الإسناد. ثمّ اعلم أنّ تحقيق معنى «هو» بهذا الوجه غير معروف، ولا يبعد أن يكون في أصل الوضع كذلك. وقوله: ولا نأله صيغة المتكلّم من أله بمعنى تحيّر. واختلف في لفظ الجلالة فالمشهور أنّه عربيٌّ مشتقٌّ، إمّا من أله بمعنى عبد، أومن أله: إذا تحير، إذ العقول تتحيّر في معرفته، أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه، لأنّ القلوب تطمئنُّ بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته، أو من أله: إذا فزع من أمر نزل عليه، وألهه غيره: أجاره، إذ العابد يفزع إليه وهو يجيره، أو من أله الفصيل: إذا ولع بامه، إذ العباد يولعون بالتضرّع إليه في الشدائد، أو من

(١) التوحيد، ص ٩٢ باب ٤ ح ٦.

وله: إذا تحيّر وتخبّط عقله، وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها، أو من لاه مصدره لاه يليه ليهاً ولاهاً: إذا احتجب وارتفع لأنّه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار، ومرتفع على كلّ شيء وعمّا لا يليق به، وقيل: إنّه غير مشتقّ وهو علم للذات المخصوصة وضع لها ابتداءاً. وقيل: أصله «لاها» بالسريانيّة فعرّب بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللام عليه.

وقال الرازيّ: ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد، وجوهاً؛ أحدها: أنّ الواحد يدخل في العدد والأحد لا يدخل فيه. وثانيها: أنّك إذا قلت: فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقال: لكنّه يقاومه اثنان بخلاف الأحد، وثالثها: أنّ الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي. انتهى.

وقوله عليه السلام: ومن ثمّ لبيان أنّ الواحد الحقيقيّ هوالّذي لا يكون فيه شيء من أنحاء التعدّد لأنّ الوحدة تقابل العدد.

ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في معنى الصمد، فقيل: إنّه فعل بمعنى المفعول من صمد إليه: إذا قصده، وهو السيّد المقصود إليه في الحوائج. وروت العامّة عن ابن عبّاس أنّه لمّا نزلت هذه الآية قالوا: ما الصمد؟ قال صلى الله عليه وآله: هو السيد الّذي يصمد إليه في الحوائج. وقيل: إنّ الصمد هو الّذي لا جوف له، وقال ابن قتيبة: الدال فيه مبدلة من التاء وهو الصمت؛ وقال بعض اللّغويّين: الصمد: هو الأملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله ولا يخرج منه شيء.

فعلى الأوّل عبارة عن وجوب الوجود والاستغناء المطلق واحتياج كلّ شيء في جميع أموره إليه أي الّذي يكون عنده ما يحتاج إليه كلُّ شيء، ويكون رفع حاجة الكلّ إليه، ولم يفقد في ذاته شيئاً ممّا يحتاج إليه الكلّ، وإليه يتوجّه كلُّ شيء بالعبادة والخضوع، وهو المستحقُّ لذلك، وإليه يؤمي خبر الجعفريّ.

وأمّا على الثاني فهو مجاز عن أنّه تعالى أحديُّ الذات أحديُّ المعنى ليست له أجزاء ليكون بين الأجزاء جوف، ولا صفات زائدة فيكون بينها وبين الذات جوف؛ أو عن أنّه الكامل بالذات ليس فيه جهة استعداد وإمكان ولا خلوّ له عمّا يليق به، فلا يكون له جوف يصلح أن يدخله ما ليس له في ذاته فيستكمل به، فالجوف كناية عن الخلوّ عمّا لا يصحُّ اتّصافه به.

وأمّا على الثالث فيكون كناية عن عدم الانفعال والتأثّر عن الغير، وكونه محلّاً للحوادث كما سيأتي في جواب من سأل الصادق عليه السلام عن رضا الله وسخطه، فقال: ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أنّ الرضا دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال لأنّ المخلوق أجوف، معتمل، مركّب، للأشياء فيه مدخل؛ وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه لأنّه واحد وأحديُّ الذات وأحديُّ المعنى، وهذا الخبر يؤيّد بعض المعاني السابقة أيضاً.

وقد نقل بعض المفسّرين عن الصحابة والتابعين والأئمّة واللّغويّين قريباً من عشرين

معنى، ويمكن إدخال جميعها فيما ذكر من المعنى الأوّل لأنّه لاشتماله على الوجوب الذاتيّ يدلّ على جميع السلوب، ولدلالته على كونه مبدءاً للكلّ يدلّ على اتّصافه بجميع الصفات الكماليّة، وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا المعنى.

وقوله عليه السلام: لا يوصف بالتغاير أي الصفات الموجودة المغايرة للذات، ويحتمل على بعد أن يكون مأخوذاً من الغيرة كناية عن أنّه ليس له ضدٌّ ولا ندٌّ، وفيما رواه الطبرسيُّ رحمه الله: لا يوصف بالنظائر. والبدوات بالفتحات: ما يبدو ويسنح ويظهر من الحوادث والحالات المتغيّرة والآراء المتبدّلة، يقال: بدا أي ظهر، وبدا له في الأمر: نشأ له فيه رأي، وهو ذو بدوات. والإنّيّة: التحقّق والوجود. والصعداء بضمّ الصاد وفتح العين: تنفّس طويل والجوانح: الضلوع تحت الترائب ممايلي الصدر. والواصب: الدائم والثابت. والمعازّة: المغالبة.

١٦ - يد: ابن إدريس، عن أبيه، عن ابن هاشم، عن ابن بزيع، عن ابن يونس، عن الحسن ابن السريّ، عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ - تباركت أسماؤه وتعالى في علو كنهه - أحد توحد بالتوحيد في توحده، ثمّ أجراه على خلقه، فهو أحد صمد ملك قدوس يعبده كلّ شيء ويصمد إليه، وفوق الّذي عسينا أن نبلغ، ربُّنا وسع كلَّ شيء علماً[1].

سن: اليقطينيّ، عن يونس، عن الحسن بن السريّ مثله[2].

١٧ - يد: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن الحلبيّ وزرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أحد صمد، ليس له جوف، وإنّما الروح خلق من خلقه نصر وتأييد وقوة يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين[3].

١٨ - يد: ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل بن شاذان قال: سأل رجل من الثنويّة أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وأنا حاضر - فقال له: إنّي أقول: إنّ صانع العالم اثنان، فما الدليل على أنّه واحد؟ فقال: قولك: إنه اثنان دليل على أنّه واحد لأنك لم تدع الثاني إلاّ بعد إثباتك الواحد، فالواحد مجمع عليه، وأكثر من واحد مختلف فيه[4].

قال الصدوق رحمه الله: الدليل على أنّ الصانع واحد لا أكثر من ذلك أنّهما لو كانا اثنين لم يخل الأمر فيهما من أن يكون كلّ واحد منهما قادراً على منع صاحبه ممّا يريد أو غير قادر، فإن كانا كذلك فقد جاز عليهما المنع، ومن جاز عليه ذلك فمحدث، كما أنّ المصنوع محدث؛ وإن لم يكونا قادرين لزمهما العجز والنقص، وهما من دلالات الحدث، فصحّ أنّ القديم واحد.

---

(١) التوحيد، ص ١٣٦ باب ١٠ ح ٧.
(٢) المحاسن للبرقي، ص ٢٤١.
(٣) التوحيد، ص ١٧١ باب ٢٧ ح ٢.
(٤) التوحيد، ص ٢٦٩ باب ٣٦ ح ٦.

ودليل آخر: وهو أنَّ كلّ واحد منهما لا يخلو من أن يكون قادراً على أن يكتم الآخر شيئاً، فإن كان كذلك فالّذي جاز الكتمان عليه حادث، وإن لم يكن قادراً فهو عاجز، والعاجز حادث بما بيّنّاه. وهذا الكلام يحتجُّ به في إبطال قديمين صفة كلّ واحد منهما صفة القديم الّذي أثبتناه. فأمّا ما ذهب إليه ماني وابن ديصان من خرافاتهما في الامتزاج، ودانت به المجوس من حماقاتها في أهرمن ففاسد بما به يفسد قدم الأجسام، ولدخولهما في تلك الجملة اقتصرت على الكلام فيهما ولم أفرد كلّا منهما بما يسئل عنه منه.

١٩ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما الدليل على أنَّ الله واحد؟ قال: اتّصال التدبير وتمام الصنع، كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(١).

بيان: إمّا إشارة إلى برهان التمانع أوإلى التلازم، وسيأتي بعض تقريراتهما.

٢٠ - **ف:** عن داود بن القاسم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الصمد، فقال: الّذي لا سرّة له. قلت: فإنّهم يقولون: إنّه الّذي لا جوف له، فقال: كلّ ذي جوف له سرّة(٢).

بيان: الغرض أنّه ليس فيه تعالى صفات البشر وسائر الحيوانات، وهو أحد أجزاء معنى الصمد كما عرفت وهو لا يستلزم كونه تعالى جسماً مصمتاً.

٢١ - **جع:** سئل ابن الحنفيّة عن الصمد. فقال: قال عليٌّ عليه السلام: تأويل الصمد لا اسم ولا جسم، ولا مثل ولا شبه، ولا صورة ولا تمثال، ولا حدّ ولا حدود، ولا موضع ولا مكان، ولا كيف ولا أين، ولا هنا ولا ثمّة، ولا ملأ ولا خلأ، ولا قيام ولا قعود، ولا سكون ولا حركة، ولا ظلمانيّ ولا نورانيّ، ولا روحانيّ ولا نفسانيّ، ولا يخلو منه موضع ولا يسعه موضع، ولا على لون، ولاعلى خطر قلب، ولا على شمّ رائحة، منفيٌّ عنه هذه الأشياء(٣).

٢٢ - **ج:** عن هشام بن الحكم أنّه قال: من سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام أن قال: لمَ لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يخلو قولك: إنّهما اثنان من أن يكونا قديمين قويّين، أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً، فإن كانا قويّين فلم لا يدفع كلٌّ واحد منهما صاحبه ويتفرد بالربوبيّة؟ وإن زعمت أنَّ أحدهما قويٌّ والآخر ضعيف ثبت أنّه واحد - كما نقول - للعجز الظاهر في الثاني، وإن قلت: إنّهما اثنان لم يخل من أن يكونا متّفقين من كلّ جهة، أو مفترقين من كلّ جهة، فلمّا رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، واختلاف اللّيل والنهار والشمس والقمر، دلّ صحّة الأمر والتدبير

---

(١) التوحيد، ص ٢٦٩ باب ٣٦ ح ٥ وللحديث صدر والآية من سورة الأنبياء برقم ٢٢.
(٢) تحف العقول ص ٣٣٦. (٣) جامع الأخبار، ص ٩.

وائتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد[١].

يد: الدقّاق، عن أبي القاسم العلويّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن إبراهيم بن هاشم القميّ، عن العبّاس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم مثله؛ وزاد فيه: ثمّ يلزمك إن ادّعيت اثنين فلابدّ من فرجة بينهما حتّى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة، وإن ادّعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتّى يكون بينهم فرجتان فيكونوا خمسة، ثمّ يتناهى في العدد إلى مالا نهاية له في الكثرة[٢].

كا: عليّ، عن أبيه مثله[٣].

بيان: ولنشر ههنا إلى بعض براهين التوحيد على وجه الاختصار، ثمّ لنذكرما يمكن أن يقال في حلّ هذا الخبر الّذي هو من غوامض الأخبار.

فأمّا البراهين: فالأوّل أنّه لمّا ثبت كون الوجود عين حقيقة الواجب فلو تعدّد لكان امتياز كلّ منهما عن الآخر بأمر خارج عن الذات فيكونان محتاجين في تشخّصهما إلى أمر خارج، وكلُّ محتاج ممكن.

والثاني: أنّه لو تعدّد الواجب لذاته فإمّا أن يكون امتياز كلّ منهما عن الآخر بذاته فيكون مفهوم واجب الوجود محمولاً عليهما بالحمل العرضيّ، والعارض معلول للمعروض فيرجع إلى كون كلّ منهما علّة لوجوب وجوده وقد ثبت بطلانه. وإمّا أن يكون ذلك الامتياز بالأمر الزائد على ذاتهما وهو أفحش، فإنّه إمّا أن يكون معلولاً لماهيّتهما أو لغيرهما، وعلى الأوّل إن اتّحد ماهيّتهما كان التعيّن مشتركاً وهذا خلف، وإن تعدّدت الماهيّة كان كلّ منهما شيئاً عرض له وجوب الوجود أعني الوجود المتأكّد للواجب، وقد تبيّن بدلائل عينيّة الوجود بطلانه، وعلى الثاني يلزم الاحتياج إلى الغير والامكان؛ وبالجملة لو كان الواجب متعدّداً لكان نسبة الوجوب إليهما نسبة العوارض فكان ممكناً لا واجباً.

الثالث: أنّه لو كان لله سبحانه شريك لكان لمجموع الواجبين وجود غير وجود الآحاد، سواء كان ذلك الوجود عين مجموع الوجودين، أو أمراً زائداً عليه، ولكان هذا الوجود محتاجاً إلى وجود الأجزاء، والمحتاج إلى الغير ممكن محتاج إلى مؤثّر والمؤثّر في الشيء يجب أن يكون مؤثّراً في واحد من أجزائه، وإلاّ لم يكن مؤثّراً في ذلك الشيء، وقد ادّعوا الضرورة فيه، ولا يمكن التأثير فيما نحن فيه في شيء من الأجزاء لكون كلّ من الجزئين واجباً، فالشريك يستلزم التأثير فيما لا يمكن التأثير فيه، أو إمكان ما فرض وجوبه إلى غير ذلك من المفاسد.

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٣٣. (٢) التوحيد، ص ٢٤٣.
(٣) أصول الكافي، ص ٤٩ كتاب التوحيد باب ١ ح ٥.

الرابع: برهان التمانع وأظهر تقريراته أنّ وجوب الوجود يستلزم القدرة والقوّة على جميع الممكنات قوّة كاملة بحيث يقدر على إيجاده ودفع ما يضادّه مطلقاً، وقدم القدرة على هذا الوجه نقص، والنقص عليه تعالى محال ضرورة بدليل إجماع العقلاء عليه، ومن المحال عادةً إجماعهم على نظريّ، ولئن لم يكن ضروريّاً فنظريّ ظاهر متّسق الطريق، واضح الدليل، واستحالة إجماعهم على نظريّ لا يكون كذلك أظهر؛ فنقول حينئذ: لو كان في الوجود واجبان لكانا قويّين، وقوّتهما يستلزم عدم قوّتهما لأنّ قوّة كلّ منهما على هذا الوجه يستلزم قوته على دفع الآخر عن إرادة ضدّ ما يريده نفسه من الممكنات، والمدفوع غير قويّ بهذا المعنى الّذي زعمنا أنّه لازم لسلب النقص.

هذا إنّما يتمُّ لو كان إرادة كلّ منهما للممكن بشرط إرادة الآخر لضدّه ممكناً وبالعكس؛ وليس كذلك بل إرادة كلّ منهما له بشرط إرادة الآخر لضدّه ممتنع، ونظير ذلك أنّ إرادة الواجب للممكن بشرط وجود ضده محال، ولا يلزم منه نقص. قلت: امتناع الارادة بشرط إرادة الآخر هو الامتناع بالغير، وامتناعه بالغير تحقق النقص والعجز - تعالى عن ذلك - وأمّا امتناع إرادة الشيء بشرط وجود ضدّه فمن باب إرادة المحال الذاتي، وإن كان امتناع الارادة امتناعاً بالغير؛ ومثله غير ملزوم للنقص بخلاف ما نحن فيه فإنَّ المراد ممتنع بالغير.

فإن قلت: وجود الشيء كما يمتنع بشرط ضدّه ونقيضه كذلك يمتنع بشرط ملزوم ضدّه ونقيضه، والأوّل امتناع بالذات، والثاني امتناع بالغير، وكما أنَّ إرادة الأوّل منه تعالى محال ولا نقص فيه، وكذلك إرادة الثاني؛ وظاهر أنَّ إرادة إيجاد الممكن بشرط إرادة الآخر له من قبل الثاني فينبغي أن لا يكون فيه نقص. قلت: فرق بين الأمرين فإنَّ وجود الممكن إذا قيّد واشترط بملزوم نقيضه كان ممتنعاً ولو بالغير ولم يتعلّق به إرادة ضرورة، وأمّا إذا لم يقيّد الوجود به بل أُطلق فغير ممتنع فيمكن تعلّق الإرادة به ولو في زمان وجود ملزوم النقيض بأن يدفع الملزوم، وإن لم يندفع هو من قبل نفسه أومن دافع آخر؛ بخلاف إرادة الآخر له فإنّه لو لم يندفع من قبل نفسه ولم يدفعه دافع آخر لم يتعلّق به الإرادة ضرورة فهو مدفوع، وإلاّ فالآخر مدفوع فصار حاصل الفرق حينئذ أنَّ الصانع تعالى قادر على إيجاد أحد الضدّين في زمان الضدّ الآخر بدون حاجة إلى واسطة غير مستندة إليه تعالى، وهو أي الحاجة إلى الواسطة المستندة إلى الفاعل لا ينافي الاستقلال والقدرة كما لا ينافي الاحتياج إلى الواسطة المستندة إلى الذات الوجوب الذاتيّ بخلاف ما نحن فيه فإنّه إحتياج إلى واسطة غير مستندة إلى الذات.

لا يقال: لعلّ انتفاء إرادة الآخر واجب بنفسه، ولا نسلّم منافاة توسّط الواجب بالذات بين الفاعل وفعله، لاستقلاله وإستلزامه النقص. لأنّا نقول: الأوّل بيّن البطلان فإنَّ تحقّق إرادة الآخر وانتفاعها ممكن في نفسه لكنّه ينتفي فيما نحن فيه من قبل ذي الارادة لو انتفى

فيكون واسطة ممكنة غير صادرة عن الفاعل ولا مستندة إليه؛ وأمّا الثاني فربّما تدّعى البداهة في استلزامه النقص وهو غير بعيد وبهذا التقرير يندفع كثير من الشكوك والشبه.

الخامس: تقرير آخر لبرهان التمانع ذكره المحقق الدوانيّ، وهو أنّه لا يخلو أن يكون قدرة كلّ واحد منهما وارادته كافية في وجود العالم، أو لا شيء منهما كاف، أو أحدهما كاف فقط، وعلى الأوّل يلزم اجتماع المؤثّرين التامّين على معلول واحد، وعلى الثاني يلزم عجزهما لأنّهما لا يمكن لهما التأثير إلاّ باشتراك الآخر، وعلى الثالث لا يكون الآخر خالقاً فلا يكون إلهاً؛ أفمن يخلق كمن لا يخلق؟.

لا يقال: إنّما يلزم العجز إذا انتفت القدرة على الإيجاد بالاستقلال أمّا إذا كان كلٌّ منهما قادراً على الإيجاد بالاستقلال ولكن اتّفقا على الإيجاد بالاشتراك فلا يلزم العجز كما أنّ القادرين على حمل خشبة بالانفراد قد يشتركان في حملها، وذلك لا يستلزم عجزهما لأنّ إرادتهما تعلّقت بالاشتراك، وإنّما يلزم العجز لو أرادا الاستقلال ولم يحصل. لأنّا نقول: تعلّق إرادة كلّ منهما إن كان كافياً لزم المحذور الأوّل، وإن لم يكن كافياً لزم المحذور الثاني، والملازمتان بيّنتان لا تقبلان المنع، وما أوردتم من المثال في سند المنع لا يصلح للسنديّة إذ في هذه الصورة ينقص ميل كلّ واحد منهما من الميل الّذي يستقل في الحمل قدر ما يتمّ الميل الصادر من الآخر حتّى تنقل الخشبة بمجموع الميلين، وليس كلّ واحد منهما بهذا القدر من الميل فاعلاً مستقلاً، وفي مبحثنا هذا ليس المؤثّر إلاّ تعلّق القدرة والإرادة؛ ولا يتصوّر الزيادة والنقصان في شيء منهما.

السادس: أنّ كلّ من جاء من الأنبياء وأصحاب الكتب المنزلة إنّما ادّعى الاستناد إلى واحد أسند إليه الآخر، ولو كان في الوجود واجبان لكان يخبر مخبر من قبله بوجوده وحكمه، واحتمال أن يكون في الوجود واجب لا يرسل إلى هذا العالم أو لا يؤثّر ولا يدبّر أيضاً فيه مع تدبيره ووجود خبره في عالم آخر أو عدمه ممّا لا يذهب إليه وهم واهم، فإنّ الوجوب يقتضي العلم والقدرة وغيرهما من الصفات، ومع هذه الصفات الكماليّة يمتنع عدم الإعلام ونشر الآثار بحيث يبلغ إلينا وجوده، وأمّا ما زعمت الثنويّة من الإله الثاني فليس بهذه المثابة. وممّا يرسل ويحكم فيهم وإن قالوا بوجود الواجب الآخر فقد نفوا لازمه فهو باطل بحكم العقل.

وقد أثبتنا في كتاب الروضة فيما أوصى به أمير المؤمنين ابنه الحسن عليهما السلام ما يومي إلى هذا الدليل، حيث قال عليه السلام: واعلم أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت صفته وفعاله، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضادّه في ذلك أحد ولا يحاجّه، وأنّه خالق كلّ شيء.

السابع: الأدلّة السمعيّة من الكتاب والسنّة وهي أكثر من أن تحصى، وقد مرّ بعضها، ولا

محذور في التمسّك بالأدلّة السمعيّة في باب التوحيد، وهذه هي المعتمد عليها عندي. وبسط الكلام في تلك الأدلّة وما سواها ممّا لم نشر إليها موكول إلى مظانّها، ولنرجع إلى حلّ الخبر وشرحه، وقد قيل فيه وجوه:

الأوّل: أنَّ المراد بالقويّ القويُّ على فعل الكلّ بالإرادة مع إرادة إستبداده به، والمراد بالضعيف الّذي لا يقوى على فعل الكلّ، ولا يستبدّ به ولا يقاوم القويّ، فإن كانا قويّين فلِمَ لا يدفع كلّ منهما صاحبه ويتفرّد به، أي يلزم من قوتّهما انفراد كلّ بالتدبير، ويلزم منه عدم وقوع الفعل، وإن زعمت أنَّ أحدهما قويٌّ والآخر ضعيف ثبت أنّه واحد أي المبدأ للعالم واحد لعجز الضعيف عن المقاومة والتأثير، وثبت احتياج الضعيف إلى العلّة الموجدة لأنَّ القويّ أقوى وجوداً من الضعيف، وضعف الوجود لا يتصوّر إلاّ بجواز خلوّ الماهيّة عن الوجود، ويلزم منه الاحتياج إلى المبدأ المباين الموجد له.

وإن قلت: إنّهما اثنان أي المبدأ اثنان، وهذا هو الشقّ الثاني، أي كونهما ضعيفين بأن يقدر ويقوى كلّ منهما على بعض، أو يفعل بعضاً دون بعض بالإرادة، وإن كان يقدر على الكلّ وفي هذا الشقّ لايخلو من أن يكونا متّفقين أي في الحقيقة من كلّ جهة، ويلزم من هذا عدم الامتياز بالتعين للزوم المغايرة بين الحقيقة والتعيّنين المختلفين، واستحالة استنادهما إلى الحقيقة، واستحالة استنادهما إلى الغير فيكون لهما مبدءٌ، أو مختلفين مفترقين من كلّ جهة وذلك معلوم الانتفاء فإنّا لمّا رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً، واللّيل والنهار والشمس والقمر دلّ صحّة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أنَّ المدبّر واحد لا اثنان مختلفان من كلّ جهة، ثمّ ذلك المدبّر الواحد لا يجوز أن يكون واحداً بجهة من حيث الحقيقة مختلفاً بجهة أُخرى فيكون المدبّر اثنين، ويلزمك إن ادّعيت اثنين فرجة ما بينهما لأنَّ لهما وحدة فلا يتمايزان إلاّ بمميز فاصل بينهما حتّى يكونا اثنين، لامتناع الاثنينيّة بلا مميّز بينهما، وعبّر عن الفاصل المميّز بالفرجة حيث إنَّ الفاصل بين الأجسام يعبر عنه بالفرجة، وأولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات تنبيهاً على أنّكم لا تستحقّون أن تخاطبوا إلاّ بما يليق استعماله في المحسوسات، وذلك المميّز لابدّ أن يكون وجوديّاً داخلاً في حقيقة أحدهما، إذلا يجوز التعدّد مع الاتّفاق في تمام الحقيقة كما ذكرنا، ولا يجوز أن يكون ذلك المميّز ذا حقيقة يصح انفكاكها عن الوجود وخلوّها عنه ولو عقلاً، وإلاّ لكان معلولاً محتاجاً إلى المبدأ فلا يكون مبدءاً ولا داخلاً فيه، فيكون المميّز الفاصل بينهما قديماً موجوداً بذاته كالمتّفق فيه فيكون الواحد المشتمل على المميّز الوجوديّ اثنين لا واحداً، ويكون الاثنان اللّذان ادّعيتهما ثلاثة، فإن قلت به وادّعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين من تحقّق المميّز بين الثلاثة، ولابدّ من مميّزين وجوديّين حتّى تكون بين الثلاثة فرجتان ولابدّ من كونهما قديمين كما مرّ فيكونوا خمسة، وهكذا، ثمّ يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في

الكثرة، أي يتناهى الكلام في التعدد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة، أو يبلغ عدده إلى كثرة غير متناهية، أو المراد أنّه يلزمك أن يتناهى المعدود المنتهي ضرورة بمعروض ما ينتهي إليه العدد أي الواحد إلى كثير لا نهاية له في الكثرة فيكون عدداً بلا واحد وكثرة بلا وحدة، وعلى هذا يكون الكلام برهانياً لا يحتاج إلى ضميمة، وعلى الأوّلين يصير بضمّ ما ذكرناه من ثالث الاحتمالات برهانياً.

الثاني: أنّ يكون إشارة إلى ثلاثة براهين، وتقرير الأوّل - بعدما تقرّر أنّ ما لا يكون قويّاً على إيجاد أيّ ممكن كان لا يكون واجباً بالذات - أن يقال: لا يصحّ أن يكون الواجب بالذات اثنين، وإلاّ كان كلّ منهما قويّاً على إيجاد أيّ ممكن كان، وكلّ ممكن بحيث يكون استناده إلى أيّ منهما كافياً في تصحّح خروجه من القوّة إلى الفعل، وحينئذ لم يكن محيص إمّا من لزوم استناد كلّ معلول شخصيّ إلى علّتين مستبدّتين بالإفاضة وذلك محال؛ أو من لزوم الترجّح بلا مرجّح وهو فطريّ الاستحالة، أو من كون أحدهما غير واجب بالذات وهو خلاف المفروض، وهذا البرهان يتم عند قوله عليه السلام: للعجز الظاهرفي الثاني.

وقوله عليه السلام: وإن قلت إلى قوله: على أنّ المدبّر واحد إشارة إلى برهان ثان، وهو أحد الوجوه البرهانيّة في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[1]؛ وتلخيص تقريره أنّ التلازم بين أجزاء النظام الجمليّ المنتظم المتّسق كما بين السماء والأرض مثلاً على ما قد أحقّته القوانين الحكميّة لا يستتبُّ إلاّ بالإستناد إلى فاعل واحد يصنع الجميع بحكمته وقدرته إذ التلازم بين شيئين لا يتصحّح إلاّ بعلّيّة أحدهما للآخر، أو بمعلوليّتهما لعلّة واحدة موجبة، فلو تعدد أختلّ الأمر وفسد النظام.

وتقرير الثالث هو أنّك لو ادّعيت اثنين كان لا محالة بينهما إنفصال في الوجود، وافتراق في الهويّة، ويكون هناك موجود ثالث هو المركّب من مجموع الإثنين، وهو المراد بالفرجة، لأنّه منفصل الذات والهويّة، وهذا المركّب لتركّبه عن الواجبات بالذات المستغنيات عن الجاعل موجود لا من تلقاء الصانع إذ افتقار المركّب إلى الجاعل بحسب افتقار أجزائه فإذا لم تفتقر أجزاؤه لم يفتقر هو بالضرورة فإذن قد لزمك أن يكون هذا الموجود الثالث أيضاً قديماً فيلزمك ثلاثة وقد ادّعيت اثنين وهكذا؛ ويرد عليه مع بعد إطلاق الفرجة بهذا المعنى أنّه يلزم في الفرض الثاني سبعة لا خمسة.

الثالث: أن يكون إشارة إلى حجّتين: إحداهما عاميّة مشهوريّة، والأخرى خاصيّة برهانيّة: أمّا الأولى فقوله: لا يخلو قولك إلى قوله: في الثاني ومعناه أنّه لو فرض قديمان فلا يخلو أن يكون كلاهما قويّين أو كلاهما ضعيفين أو أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً، والثلاثة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

بأسرها باطلة أمّا الأوّل فلأنّه إذا كانا قويّين، وكلّ منهما في غاية القوّة من غير ضعف وعجز كما هو المفروض - والقوّة تقتضي الغلبة والقهر على كلّ شيء سواه - فما السبب المانع لأن يدفع كلّ واحد منهما صاحبه حتّى يتفرّد بالتدبير والقهر على غيره؟ إذ اقتضاء الغلبة والاستعلاء مركوزة في كلّ ذي قوّة على قدر قوّته والمفروض أنّ كلاً منهما في غاية القوّة. وأمّا فساد الشقّ الثاني فهو ظاهر عند جمهور الناس، لما حكموا بالفطرة من أنّ الضعف ينافي الالهيّة، ولظهوره لم يذكره عليه السلام. وأيضاً يعلم فساده بفساد الشقّ الثالث، وهو قوله: وإن زعمت أنّ أحدهما قويٌّ والآخر ضعيف ثبت أنّه أي الإله واحد - كما نحن نقول - للعجز الظاهر في المفروض ثانياً لأنّ الضعف منشأ العجز، والعاجز لا يكون إلهاً بل مخلوقاً محتاجاً لأنّه محتاج إلى من يعطيه القوّة والكمال والخيريّة.

وأمّا الحجّة البرهانيّة فأشار إليها بقوله: «وإن قلت: إنّهما اثنان» وبيانه أنّه لو فرض موجودان قديمان فإمّا أن يتّفقا من كلّ جهة، أو يختلفا من كلّ جهة، أو يتّفقا بجهة ويختلفا بأُخرى والكلُّ محال: أمّا بطلان الأوّل فلأنّ الاثنينيّة لا تتحقّق إلاّ بامتياز أحد الإثنين عن صاحبه ولو بوجه من الوجوه؛ وأمّا بطلان الثاني فلما نبّه عليه بقوله: فلمّا رأينا الخلق منتظماً، وتقريره أنّ العالم كلّه كشخص واحد كثير الأجزاء والأعضاء مثل الإنسان، فإنّا نجد أجزاء العالم مع اختلاف طبائعها الخاصّة وتباين صفاتها وأفعالهاالمخصوصة يرتبط بعضها ببعض، ويفتقر بعضها إلى بعض، وكلّ منها يعين بطبعه صاحبه، وهكذا نشاهد الأجرام العالية وما ارتكز فيها من الكواكب النّيرة في حركاتها الدوريّة وأضوائها الواقعة منها نافعة للسفليّات، محصّلة لأمزجة المركّبات الّتي يتوقّف عليها صور الأنواع ونفوسها، وحياة الكائنات ونشوء الحيوان والنبات، فإذا تحقّق ما ذكرنا من وحدة العالم لوحدة النظام واتّصال التدبير دلّ على أنّ إلهه واحد، وإليه أشار بقوله: دلّ صحّة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد.

وأمّا بطلان الشقّ الثالث - وهو أنّهما متّفقان من وجه ومختلفان من وجه آخر - فبأن يقال - كما أشار إليه عليه السلام بقوله: «ثمّ يلزمك» -: إنّه لابدّ فيهما من شيء يمتاز به أحدهما عن صاحبه وصاحبه عنه، وذلك الشيء يجب أن يكون أمراً وجوديّاً يوجد في أحدهما ولم يوجد في الآخر، أو أمران وجوديّان يختصّ كلّ منهما بواحد فقط، وأمّا كون الفارق المميّز لكلّ منهما عن صاحبه أمراً عدميّاً فهو ممتنع بالضرورة إذ الأعدام بما هي أعدام لا تمايز بينها ولا تمييز بها، فإذا فرض قديمان فلا أقلّ من وجود أمر ثالث يوجد لأحدهما، ويسلب عن الآخر، وهو المراد بالفرجة إذ به يحصل الانفراج أي الافتراق بينهما لوجوده في أحدهما وعدمه في الآخر، وهو أيضاً لا محالة قديم موجود معهما، وإلاّ لم يكونا اثنين قديمين فيلزم أن يكون القدماء ثلاثة وقد فرض أثنان وهذا خلف، ثمّ يلزم من فرض كونهم ثلاثة أن يكونوا خمسة، وهكذا إلى أن يبلغ عددهم إلى مالا نهاية له وهو محال.

أقول: الأظهر على هذا التقرير أن تحمل الوحدة في قوله عليه السلام : على أنّ المدبّر واحد على الأعمّ من الوحدة النوعيّة والشخصيّة، ولو حملت على الشخصيّة يمكن أن يستخرج منه ثلاث حجج بهذا التقرير ولا يخفى توجيهها.

الرابع: أن يكون إشارة إلى ثلاث حجج لكن على وجه آخر، وتقرير الأوّل أنّه لو كان أثنين فإمّا أن يكونا قويّين أي مستقلّين بالقدرة على كلّ ممكن في نفسه سواء كان موافقاً للمصلحة أو مخالفاً، وهو إنّما يتصوّر بكونهما قديمين؛ وإمّا أن يكونا ضعيفين أي غير مستقلّين بالقدرة على ممكن ما في نفسه؛ وإمّا أن يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً؛ والأوّل محال لاشتماله على التناقض، لأنّ كون كلّ منهما قويّاً بهذا المعنى يستلزم أن يكون قويّاً على دفع الآخر عن أن يصدر عنه مراد الأوّل بعينه أو مثله أو ضدّه في محلّه لأنّ عدم المنافي شرط في صدور كلّ ممكن، وعدم القوّة على الشرط ينافي القوّة على المشروط ولا شكّ أنّ المدفوع كذلك ضعيف مسخّر، فقوّة كلّ منهما في فعل صدر عنه يستلزم دفعه الآخر فيه وضعف ذلك الآخر، وفي فعل تركه حتّى فعل الآخر ضدّه يستلزم تمكينه الآخر في فعله، وهذا تفرّد بالتدبير، فالاستفهام في لم لا يدفع إنكاريٌّ أي معلوم ضرورة أنّه يدفع كلّ منهما الآخر ويتفرّد بالتدبير؛ وبطلان الشقّ الثالث لكونه مستلزماً لعجز أحدهما أي ضعفه، وعدم كونه ممّن ينتهي إليه شيء من تدبير العالم يستلزم بطلان الشقّ الثاني بطريق أولى. وتقرير الثاني هو أنّه لو كان المدبّر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إمّا متساوية من جميع الوجوه بأن لا يكون في واحد منهما ولا في كلّ منهما ما يختصّ به ويرجّح صدوره عنه على صدوره عن الآخر من الداعي والمصلحة ونحوهما وإمّا غير متساوية من جميع الوجوه وكلاهما باطل.

أمّا الأوّل فلأنّه إمّا أن يكون ترك كلّ منهما لذلك المعلول مستلزماً لفعل الآخر إيّاه لحكمة كلّ منهما أم لا، فعلى الأوّل إحداث أحدهما ذلك المعلول يستلزم الترجيح بلا مرجّح، لأنّ إحداث كلّ منهما ذلك المعلول ليس أولى بوجه من تركه إيّاه وإحداث الآخر إيّاه، وعلى الثاني إمّا أن يكون ترك التارك له مع تجويزه الترك على الآخر قبيحاً وخلاف الحكمة أم لا، والأوّل يستلزم النقص، والثاني يستلزم عدم إمكان رعاية المصالح الّتي لا تحصى في خلق العالم، لأنّه اتّفاقيّ حينئذ، ومعلوم بديهةً أنّ الاتّفاقيّ لا يكون منتظماً في أمرسهل، كصدور مثل قصيدة من قصائد البلغاء المشهورين عمّن لم يمارس البلاغة، وإن كان يمكن أن يصدر عنه اتّفاقاً مصراع بليغ، أو مصراعان فضلاً عمّا نحن فيه.

وأمّا بطلان الثاني فلأنّه يستلزم أن تكون مختلفة من جميع الوجوه بأن لا يكون أحدهما قادراً عليه أصلاً لأنّ اختلاف نسبة قادرين إلى معلول واحد شخصيّ إنّما يتصوّر فيما يمكن أن يكون صدوره عن أحدهما أصلح وأنفع من صدوره عن الآخر، وهذا إنّما يتصوّر فيما كان نفع فعله راجعاً إليه كالعباد، وأمّا إذا كان القادران بريئين من الإنتفاع كما فيما نحن فيه فلا

يتصوَّر ذلك فيه بديهةً، وينبه عليه أنَّ الغنيَّ المطلق إنّما يفعل ما هو الخير في نفسه من غير أن يكون له فيه نفع سواء كان لغيره فيه نفع كما في ثواب المطيع أولم يكن، ومثاله عقاب الكافر إن لم يكن للمطيعين فيه نفع.

وتقرير الثالث أنّه إن كان المدبّر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إمّا متساوية من جميع الوجوه أو لا وكلاهما باطل، أمّا الأوّل فلأنَّ صدور بعض المعلومات عن أحدهما وبعض آخر منهما عن الآخر منهما حينئذ يحتاج إلى ثالث هو الفرجة بينهما أي ما يميز ويعين كلّ معلول معلول لواحد معين منهما حتّى يكون المدبران اثنين لامتناع الترجيح من جهة الفاعلين بلا مرحج أي بلا داع أصلاً كما هو المفروض فيلزم خلاف الفرض، وهو أن يكون المدبّر ثلاثة ثمّ ننقل الكلام إلى الثلاثة وهكذا إلى مالا نهاية له في الكثرة ويلزم التسلسل. وإنما لم يكتف عليه السلام بعد نقل الكلام إلى الثلاثة بالاحتياج إلى فرجة واحدةٍ للتميُّزين حتّى يكون المجموع أربعة لا خمسة، وإن كان المطلوب وهو لزوم التسلسل حاصلاً به أيضاً لأنَّ هناك ثلاثة تمييزات، وتخصيص واحد منهما بمميّز كما هو المفروض واشتراك اثنين منهما بواحد مع اتّحاد النسبة تحكّم. وأمّا بطلان الثاني فلما مرَّ في بيان بطلان الشقِّ الثاني من الدليل الثاني.

أقول: لا يخفى بعد هذا التقرير عن الأفهام واحتياجه إلى تقدير كثير من المقدّمات في الكلام.

الخامس: أن يكون الأوّل إشارة إلى برهان التمانع بأحد تقريراته المشهورة والثاني إلى التلازم كما مرَّ، والثالث يكون إلزاماً على المجسّمة المشركة القائلين بإلهين مجسّمين متباعدين في المكان كما هو الظاهر من كلام المجوس لعنهم الله، ويكون الفرجة محمولة على معناها المتبادر من جسم يملأ البعد بينهما لبطلان الخلاء أو سطح فاصل بينهما لتحقّق الاثنينيّة. هذا ما قيل أو يمكن أن يقال في حلّ هذا الخبر الّذي تحيّرت فيه الأفهام والفكر، ولم نتعرّض لبسط الكلام في كلّ وجه، ولا لإيراد ما يرد على كلّ منها من الإشكالات والاعتراضات احترازاً عن الإسهاب والإطناب والله الموفّق للصواب.

٢٣ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن عبّاد بن سليمان، عن سعد بن سعد قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التوحيد، فقال: هو الّذي أنتم عليه[1].

٢٤ - **يد:** أبي، عن سعد، عن إبراهيم بن هاشم، ويعقوب بن يزيد، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته وهو يقول في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾[2] قال: هو توحيدهم لله عزّ وجلّ[3].

---

(١) التوحيد، ص ٤٦ باب ٢ ح ٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.
(٣) التوحيد، ص ٤٦ باب ٢ ح ٧.

٢٥ - يد: الأشناني، عن ابن مهرويه، عن الفرّاء، عن الرضا، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: التوحيد نصف الدين، واستنزلوا الرزق بالصدقة[١].

قال الصدوق في كتاب التوحيد بعد نقل الأعرابيّ: سمعت من أثق بدينه ومعرفته باللّغة والكلام يقول: إنّ قول القائل: واحد واثنان وثلاثة إلى آخره إنّما وضع في أصل اللّغة للإبانة عن كمّيّة ما يقال عليه لا لأنّ له مسمّى يتسمّى به بعينه، أو لأنّ له معنىً سوى ما يتعلّمه الإنسان لمعرفة الحساب، ويدور عليه عقد الأصابع عند ضبط الآحاد والعشرات والمئات والألوف، ولذلك متى أراد مريد أن يخبر غيره عن كمّيّة شيء بعينه سمّاه باسمه الأخصّ، ثمّ قرن لفظة الواحد به وعلّقه عليه يدلّ به على كمّيّته لا على ماعدا ذلك من أوصافه، ومن أجله يقول القائل: درهم واحد، وإنّما يعني به أنّه درهم فقط، وقد يكون الدرهم درهماً بالوزن ودرهماً بالضرب فإذا أراد المخبرأن يخبر عن وزنه قال: درهم واحد بالوزن، وإذا أراد أن يخبر عن عدده أو ضربه قال: درهم واحد بالعدد، ودرهم واحد بالضرب. وعلى هذا الاصل يقول القائل: هو رجل واحد، وقد يكون الرجل واحدا بمعنى أنّه إنسان وليس بإنسانين، ورجل ليس برجلين، وشخص ليس بشخصين، ويكون واحداً في الفضل، واحداً في العلم، واحداً في السخاء، واحداً في الشجاعة، فإذا أراد القائل أن يخبر عن كميته قال: هو رجل واحد فدل ذلك من قوله على أنّه رجل وليس هو برجلين، وإذا أراد أن يخبر عن فضله قال: هذا واحد عصره، فدل ذلك على أنّه لا ثاني له في الفضل، وإذا أراد أن يدلّ على علمه قال: إنّه واحد في علمه؛ فلودلّ قوله: واحد بمجرّده على الفضل والعلم كما دل بمجرده على الكمية لكان كلُّ من اطلق عليه لفظة واحد أراد فاضلاً لا ثاني له في فضله، وعالماً لا ثاني له في علمه؛ وجواداً لا ثاني له في جوده، فلمّا لم يكن كذلك صحّ أنّه بمجرّده لا يدلّ إلاّ على كمّيّة الشيء دون غيره، وإلاّ لم يكن لما أُضيف إليه من قول القائل: واحد عصره ودهره فائدة، ولا كان لتقييده بالعلم والشجاعة معنىً لأنّه كان يدلّ بغير تلك الزيادة وبغير ذلك التقييد على غاية الفضل وغاية العلم والشجاعة؛ فلمّا احتيج معه إلى زيادة لفظ واحتيج إلى التقييد بشيء صحّ ما قلناه. فقد تقرّر أنّ لفظة القائل واحد إذا قيل على الشيء دلّ بمجرّده على كمّيّة في اسمه الأخصّ، ويدلُّ ما يقترن به على فضل المقول عليه وعلى كماله وعلى توحّده بفضله وعلمه وجوده، وتبيّن أنّ الدرهم الواحد قد يكون درهماً واحداً بالوزن، ودرهماً واحداً بالعدد، ودرهماً واحداً بالضرب، وقد يكون بالوزن درهمين، وبالضرب درهماً واحداً، ويكون بالدوانيق ستّة دوانيق، وبالفلوس ستّين فلساً، ويكون بالأجزاء كثيراً، وكذلك يكون العبد عبداً واحداً ولا يكون عبدين بوجه، ويكون شخصاً واحداً ولا يكون شخصين بوجه، ويكون أجزاءاً كثيرة وأبعاضاً كثيرة، وكلّ بعض من أبعاضه يكون جواهر

---

(١) التوحيد، ص ٦٨ باب ٢ ح ٢٤.

كثيرة متّحدة اتّحد بعضها ببعض وتركّب بعضها مع بعض، ولا يكون العبد واحداً وإن كان كلّ واحد منه في نفسه إنّما هو عبد واحد، وإنّما لم يكن العبد واحداً لأنّه ما من عبد إلاّ وله مثل في الوجود أو في المقدور، وإنما صح أن يكون للعبد مثل لأنّه لم يتوحد بأوصافه الّتي من أجلها صار عبداً مملوكاً، ووجب لذلك أن يكون الله عزّوجلّ متوحّداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ليكون إلهاً واحداً فلا يكون له مثل ويكون واحداً لا شريك له ولا إله غيره، فالله تبارك وتعالى إله واحد لا إله إلاّ هو، وقديم واحد لا قديم إلاّ هو، وموجود واحد ليس بحالّ ولا محلّ، ولا موجود كذلك إلاّ هو، وشيء واحد لا يجانسه ولا يشاكله شيء ولا يشبهه شيء، ولا شيء كذلك إلاّ هو، فهو كذلك موجود غير منقسم في الوجود ولا في الوهم؛ وشيء لا يشبهه شيء بوجه، وإله لا إله غيره بوجه، وصار قولنا: يا واحد يا أحد في الشريعة إسماً خاصّاً له دون غيره، لا يسمّى به إلاّ هو عزّوجلّ ، كما أنّ قولنا: الله إسم لا يسمّى به غيره.

وفصل آخر في ذلك وهو أنّ الشيء قد يعدّ مع ما جانسه وشاكله وماثله، يقال: هذا رجل، وهذان رجلان، وثلاثة رجال. وهذا عبد، وهذا سواد، وهذا عبدان، وهذان سوادان. ولا يجوز على هذا الأصل أن يقال: هذان إلهان إذ لا إله إلاّ إله واحد، فالله لايعدّ على هذا الوجه، ولا يدخل في العدد من هذا الوجه بوجه. وقد يعدّ الشيء مع مالا يجانسه ولا يشاكله، يقال: هذا بياض، وهذان بياض وسواد، وهذا محدث، وهذان محدثان، وهذان ليسا بمحدثين ولا بمخلوقين. بل أحدهما قديم والآخر محدث، وأحدهما ربٌّ والآخر مربوب، فعلى هذا الوجه يصحّ دخوله في العدد، وعلى هذا النحو قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[1] الآية. وكما أنّ قولنا: فلان إنّما هو رجل واحد لا يدلُّ على فضله بمجرّده كذلك قولنا: فلان ثاني فلان لا يدلّ بمجرّده إلاّ على كونه؛ وإنّما يدلُّ على فضله متى قيل: إنّه ثانيه في الفضل، أو في الكمال، أو العلم. فأمّا توحيد الله تعالى ذكره فهو توحيده بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، ولذلك كان إلهاً واحداً لا شريك له ولا شبيه، والموحّد هو من أقرّ به على ما هو عليه عزّوجلّ من أوصافه العلى وأسمائه الحسنى على بصيرة منه ومعرفة وإيقان وإخلاص، وإذا كان ذلك كذلك فمن لم يعرف الله عزّوجلّ متوحّداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ولم يقرّ بتوحيده بأوصافه العلى فهو غير موحّد؛ وربّما قال جاهل من الناس: إنّ من وحّد الله وأقرّ أنّه واحد فهو موحّد وإن لم يصفه بصفاته الّتي توحّد بها، لأنّ من وحّد الشيء فهو موحّد في أصل اللّغة فيقال له: أنكرنا ذلك لأنّ من زعم أنّ ربّه إله واحد وشيء واحد ثمّ أثبت معه موصوفاً آخر بصفاته الّتي توحّد بها فهو عند جميع الأمّة وسائر أهل الملل ثنويٌّ غير موحّد، ومشرك مشبّه غير مسلم، وإن زعم أنّ ربّه إله واحد، وشيء واحد،

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.

وموجود واحد، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الله تبارك وتعالى متوحّداً بصفاته الّتي تفرّد بالإلهيّة من أجلها، وتوحّد بالوحدانيّة لتوحّده بها ليستحيل أن يكون إله آخر، ويكون الله واحداً والاله واحداً لا شريك له ولا شبيه لأنّه إن لم يتوحّد بها كان له شريك وشبيه كما أنّ العبد لمّا لم يتوحّد بأوصافه الّتي من أجلها كان عبداً كان له شبيه، ولم يكن العبد واحداً وإن كان كلّ واحد منّا عبداً واحداً، وإذا كان كذلك فمن عرفه متوحّداً بصفاته، وأقرّ بما عرفه، واعتقد ذلك كان موحّداً وبتوحيد ربّه عارفاً، والأوصاف الّتي توحّد الله تعالى بها وتوحّد بربوبيّته لتفرّده بها في الأوصاف الّتي يقتضي كلّ واحد منها أن لا يكون الموصوف بها إلاّ واحداً لا يشاركه فيه غيره ولا يوصف به إلاّ هو؛ وتلك الأوصاف هي كوصفنا له بأنّه موجود واحد لا يصحّ أن يكون حالاً في شيء، ولا يجوز أن يحلّه شيء، ولا يجوز عليه العدم والفناء والزوال؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أوّل الأوّلين، وآخر الآخرين، قادر يفعل ما يشاء، لا يجوز عليه ضعف ولا عجز؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أقدر القادرين، وأقهر القاهرين، عالم لا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه شيء، لا يجوز عليه جهل ولا سهو، ولا شكّ ولا نسيان؛ مستحقٌّ للوصف بذلك بأنّه أعلم العالمين، حيٌّ لا يجوز عليه موت ولا نوم، ولا ترجع إليه منفعة، ولا تناله مضرّة، مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أبقى الباقين، وأكمل الكاملين، فاعل لا يشغله شيء عن شيء، ولا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه إله الأوّلين والآخرين، وأحسن الخالقين، وأسرع الحاسبين، غنيٌّ لا يكون له قلّة، مستغن لا يكون له حاجة، عدل لا تلحقه مذمة، ولا ترجع إليه منقصة، حكيم لا يقع منه سفاهة، رحيم لا يكون له رقّة ويكون في رحمته سعة، حليم لا يلحقه موجدة، ولا يقع منه عجلة؛ مستحقٌّ للوصف بذلك بأنّه أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، وذلك لأنّ أوّل الأوّلين لا يكون إلاّ واحداً، وكذلك أقدر القادرين، وأعلم العالمين، وأحكم الحاكمين، وأحسن الخالقين، وكلّ ما جاء على هذا الوزن؛ فصحّ بذلك ما قلناه، وبالله التوفيق ومنه العصمة والتسديد[1].

٧ - باب عبادة الأصنام والكواكب والاشجار والنيّرين وعلة حدوثها وعقاب من عبدها أو قرّب اليها قرباناً

الآيات؛ الأنعام: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ «٧١».

الأعراف: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ

(١) التوحيد، ص ٨٤ باب ٣ ح ٣ بعد خبر الاعرابي.

أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (١٩٥) إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨)﴾.

يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ «١٨».

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)﴾.

هود: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ «١٠٩».

النحل: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ «١٧».

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ «٧١».

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦)﴾.

مريم: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ «٤٢».

الحج: ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣)﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)﴾.

الفرقان: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾.

الشعراء: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم (٦٩) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (٧٠) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (٧١) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (٧٢) أو ينفعونكم أو يضرون (٧٣) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٧٤) قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الأقدمون (٧٦) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين (٧٧)﴾. «إلى قوله تعالى»: ﴿وبرزت الجحيم للغاوين (٩١) وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون (٩٢) من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون (٩٣) فكبكبوا فيها هم والغاوون (٩٤) وجنود إبليس أجمعون (٩٥) قالوا وهم فيها يختصمون (٩٦) تالله إن كنا لفي ضلال مبين (٩٧) إذ نسويكم برب العالمين (٩٨) وما أضلنا إلا المجرمون (٩٩) فما لنا من شافعين (١٠٠) ولا صديق حميم (١٠١) فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين (١٠٢)﴾.

النمل: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (٢٤) ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون (٢٥) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم (٢٦)﴾.

العنكبوت: ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾ «إلى قوله تعالى»: ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ «٢٥».

الروم: ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (١٢) ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين (١٣)﴾ «إلى قوله تعالى»: ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ «١٢ - ٢٨».

يس: ﴿أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون (٢٣) إني إذا لفي ضلال مبين (٢٤)﴾.

الصافات: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (٣٥) ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (٣٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون (٨٦) فما ظنكم برب العالمين (٨٧)﴾ «إلى قوله»: ﴿قال أتعبدون ما تنحتون (٩٥) والله خلقكم وما تعملون (٩٦)﴾ «وقال تعالى»: ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين (١٢٥) الله ربكم ورب آبائكم الأولين (١٢٦)﴾.

ص: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب (٥) وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (٦) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٧)﴾.

الزمر: ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين (٢) ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ «٢، ٣».

«وقال عزّوجلّ»: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ «٣٨» «وقال تعالى»: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)﴾.

المؤمن [غافر]: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «٦٦» «إلى قوله تعالى» ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤)﴾.

السجدة [فصلت]: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ «٣٧».

حمعسق [الشورى]: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ «٦».

الزخرف: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧)﴾.

الجاثية: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ «٢٣».

الأحقاف: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢)﴾ **إلى قوله تعالى**: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

النجم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ ١٩ - ٢٣.

[الكافرون]: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)﴾ «إلى آخر السورة».

أقول: سيأتي الآيات الكثيرة في ذلك في كتاب النبوّة وكتاب الاحتجاج وكتاب المعاد.

١ - **فس**: قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[1] قال:

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٣.

كان قوم مؤمنون قبل نوح عليه السلام فماتوا فحزن عليهم الناس فجاء إبليس فاتّخذ لهم صورهم ليأنسوا بها فأنسوا بها، فلمّا جاءهم الشتاء أدخلوهم البيوت فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر فجائهم إبليس فقال لهم: إنّ هؤلاء آلهة كانوا آباؤكم يعبدونها فعبدوهم وضلّ منهم بشر كثير؛ فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله[(١)].

٢ - فس: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: كانت ودّ صنماً لكلب، وكانت سواع لهذيل، ويغوث لمراد، وكانت يعوق لهمدان، وكانت نسر لحصين[(٢)].

٣ - ب: هارون، عن ابن صدقة، عن جعفر، عن أبيه أنّ عليّاً صلوات الله عليه سئل عن أساف ونائلة وعبادة قريش لهما، فقال: نعم كانا شابّين صبيحين، وكان بأحدهما تأنيث، وكانا يطوفان بالبيت فصادفا من البيت خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فمسخهما الله حجرين فقالت قريش: لولا أنّ الله تبارك وتعالى رضي أن يعبدا معه ما حوّلهما عن حالهما[(٣)].

٤ - ع: في أسئلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل عن أوّل من كفر وأنشأ الكفر فقال عليه السلام: إبليس لعنه الله[(٤)].

٥ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب وابن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، وكرام بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ قابيل لمّا رأى النار قد قبلت قربان هابيل قال له إبليس: إنّ هابيل كان يعبد تلك النار، فقال قابيل: لا أعبد النار الّتي عبدها هابيل، ولكن أعبد ناراً أخرى، وأقرب قرباناً لها فتقبل قرباني، فبنى بيوت النار فقرّب؛ ولم يكن علم بربّه عزّ وجلّ، ولم يرث منه ولده إلاّ عبادة النيران[(٥)].

ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب عن ابن سنان مثله.

٦ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن النعمان، عن بريد العجليّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما سمّي العود خلافاً لأنّ إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ودّ فسمّي العود خلافاً. وهذا في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة[(٦)].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٦. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٧.

(٣) قرب الإسناد، ص ٥٠ ح ١٣٦. وفي المجمع: أساف ككتاب وسحاب، صنم وضعها عمرو بن يحيى على الصفا ونائله على المروة وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة. وهما أساف بن عمرو ونائله بنت سهل كانا شخصين من جرهم ففجرا في الكعبة، فمسخا في الحجرين فعبدتهما قريش وقالوا: لولا إن الله رضي هذين ما حوّلهما عن حالهما. انتهى [النمازي].

(٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣١٩ باب نوادر العلل ح ٤٤ وللحديث صدر وذيل.

(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٣ باب ٢ ح ١. (٦) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤ باب ٤ ح ١.

بيان: إنّما سمّي العود أي الشجرة المعهودة خلافاً؛ لأنّ إبليس عمل سواعاً منها على خلاف ودّ فلذلك سمّيت بها.

٧ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن جعفر بن محمّد عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : وقالوا ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[1]، قال: كانوا يعبدون الله عزّ وجلّ فماتوا فضجّ قومهم وشقّ ذلك عليهم، فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم: أتّخذ لكم أصناماً على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله، فأعدّ لهم أصناماً على مثالهم فكانوا يعبدون الله عزّ وجلّ ، وينظرون إلى تلك الأصنام، فلمّا جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عزّ وجلّ حتّى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم، فقالوا: «إن آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء» فعبدوهم من دون الله عزّ وجلّ ، فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ الآية[2].

٨ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق رحمه الله، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن الأحول، عن بريد بن معاوية قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ إبليس اللّعين هو أوّل من صوّر صورة على مثال آدم عليه السلام ليفتن به الناس، ويضلّهم عن عبادة الله تعالى، وكان ودّ في ولد قابيل وكان خليفة قابيل على ولده وعلى من بحضرتهم في سفح الجبل يعظّمونه ويسوّدونه، فلمّا أن مات ودّ جزع عليه إخوته وخلف عليهم إبناً يقال له: «سواع» فلم يغن غناء أبيه منهم فأتاهم إبليس في صورة شيخ فقال: قد بلغني ما أصبتم به من موت ودّ عظيمكم، فهل لكم في أن أصوّر لكم على مثال ودّ صورة تستريحون إليها وتأنسون بها؟ قالوا: افعل. فعمد الخبيث إلى الآنك فأذابه حتّى صار مثل الماء، ثمّ صوّر لهم صورة مثال ودّ في بيته فتدافعوا على الصورة يلثمونها ويضعون خدودهم عليها ويسجدون لها، وأحبّ سواع أن يكون التعظيم والسجود له، فوثب على صورة ودّ فحكّها حتّى لم يدع منها شيئاً، وهمّوا بقتل سواع، فوعظهم وقال: أنا أقوم لكم بما كان يقوم به ودّ، وأنا ابنه، فإن قتلتموني لم يكن لكم رئيس، فمالوا إلى سواع بالطاعة والتعظيم فلم يلبث سواع أن مات، وخلف إبناً يقال له: «يغوث» فجزعوا على سواع فأتاهم إبليس وقال: أنا الّذي صوّرت لكم صورة ودّ، فهل لكم أن أجعل لكم مثال سواع على وجه لا يستطيع أحد أن يغيّره؟ قالوا: فافعل، فعمد إلى عود فنجره ونصبه لهم في منزل سواع، وإنّما سمّي ذلك العود خلافاً، لأنّ إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ودّ، قال: فسجدوا له وعظّموه، وقالوا ليغوث: ما نأمنك على هذا الصنم أن تكيده كما كاد أبوك مثال ودّ، فوضعوا على البيت حرّاساً وحجّاباً، ثمّ كانوا يأتون الصنم في يوم واحد، ويعظّمونه

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٣.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٣ باب ٣ ح ١.

أشدّ ما كانوا يعظّمون سواعاً، فلمّا رأى ذلك يغوث قتل الحرسة والحجّاب ليلاً، وجعل الصنم رميماً، فلمّا بلغهم ذلك أقبلوا ليقتلوه فتوارى منهم إلى أن طلبوه ورأسوه وعظّموه ثمّ مات وخلف إبناً يقال له: يعوق فأتاهم إبليس فقال: قد بلغني موت يغوث، وأنا جاعل لكم مثاله في شيء لا يقدر أحد أن يغيّره قالوا: فافعل، فعمد الخبيث إلى حجر أبيض فنقره بالحديد حتّى صوّر لهم مثال يغوث فعظّموه أشدّ ممّا مضى، وبنوا عليه بيتاً من حجر، وتبايعوا أن لا يفتحوا باب ذلك البيت إلاّ في رأس كلّ سنة، وسمّيت البيعة يومئذٍ لأنّهم تبايعوا وتعاقدوا عليه؛ فاشتدّ ذلك على يعوق فعمد إلى ريطة وخلق فألقاها في الحائر، ثمّ رماها بالنار ليلاً فأصبح القوم وقد احترق البيت والصنم والحرس وارفض الصنم ملقى فجزعوا وهمّوا بقتل يعوق فقال لهم: إن قتلتم رئيسكم فسدت أموركم، فكفّوا فلم يلبث أن مات يعوق وخلف إبناً يقال له: نسر، فأتاهم إبليس فقال: بلغني موت عظيمكم فأنا جاعل لكم مثال يعوق في شيء لا يبلى فقالوا: افعل فعمد إلى الذهب وأوقد عليه النار حتّى صار كالماء، وعمل مثالاً من الطين على صورة يعوق ثمّ أفرغ الذهب فيه، ثمّ نصبه لهم في ديرهم واشتدّ ذلك على نسر، ولم يقدر على دخول ذلك الدير فانحاز عنهم في فرقة قليلة من إخوته يعبدون نسراً، والآخرون يعبدون الصنم حتّى مات نسر، وظهرت نبوّة إدريس فبلغه حال القوم وأنّهم يعبدون جسماً على مثال يعوق، وأنّ نسراً كان يعبد من دون الله، فسار إليهم بمن معه حتّى نزل مدينة نسر وهم فيها فهزمهم، وقتل من قتل، وهرب من هرب فتفرقوا في البلاد، وأمر بالصنم فحمل وألقي في البحر، فاتّخذت كلّ فرقة منهم صنماً، وسمّوها بأسمائها فلم يزالوا بعد ذلك قرناً بعد قرن لا يعرفون إلاّ تلك الأسماء ثمّ ظهرت نبوّة نوح عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وترك ما كانوا يعبدون من الأصنام؛ فقال بعضهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[1].

بيان: ارفضاض الشيء: تفرّقه، وترفّض: تكسّر. وانحاز عنه: عدل.

٩ - **ثو:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن منذر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر أنّ سلمان قال: إنّ رجلاً دخل الجنّة في ذباب وآخر دخل النار في ذباب. فقيل له: وكيف ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: مرّا على قوم في عيد لهم، وقد وضعوا أصناماً لهم لا يجوز بهم أحد حتّى يقرّب إلى أصنامهم قرباناً قلّ أم كثر، فقالوا لهما، لا تجوزا حتّى تقرّبا كما يقرّب كلّ من مرّ، فقال أحدهما: ما معي شيء أقربه، وأخذ أحدهما ذباباً فقرّبه، ولم يقرّب الآخر، فقال: لا أقرّب إلى غير الله عزّ وجلّ شيئاً فقتلوه فدخل الجنّة، ودخل الآخر النار[2].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٦٧ الفصل ١١ ح ٤٨.

(٢) ثواب الأعمال، ص ٢٦٧.

١٠ - **شي:** عن الزهريّ قال: أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فسأله عن شيء فلم يجبه، فقال له الرجل: فإن كنت ابن أبيك فإنّك من أبناء عبدة الأصنام؛ فقال له: كذبت إنّ الله أمر إبراهيم أن ينزل إسماعيل بمكّة ففعل، فقال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾(١). فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً قطّ، ولكنّ العرب عبدة الأصنام، وقالت بنو إسماعيل: هؤلاء شفعاؤنا عند الله فكفرت ولم تعبد الأصنام(٢).

بيان: لعلّ المراد أنّهم أقرّوا بوحدانيّة الصانع، وإن أشركوا من جهة العبادة والسجود لها، فنفى عليه السلام عنهم أعظم أنواع الشرك وهو الشرك في الربوبيّة وقد مرّت الإشارة إلى الفرق بينهما في الباب السابق.

١١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن بعض أصحابه، عن العبّاس بن عامر، عن أحمد بن رزق الغمشانيّ، عن عبد الرحمن بن الأشلّ بيّاع الأنماط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت قريش تلطّخ الأصنام الّتي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر، وكان يغوث قبالة الباب، وكان يعوق عن يمين الكعبة، وكان نسر عن يسارها، وكانوا إذا دخلوا خرّوا سجّداً ليغوث، ولا ينحنون ثمّ يستديرون بحيالهم إلى يعوق، ثمّ يستديرون بحيالهم إلى نسر، ثمّ يلبّون فيقولون: لبّيك اللّهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك، إلاّ شريك هو لك، تملكه وما ملك. قال: فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة، فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً إلاّ أكله، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾(٣) (٤).

١٢ - **فس:** قال عليُّ بن إبراهيم في قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾(٥) قال: نزلت في قريش وذلك أنّه ضاق عليهم المعاش فخرجوا من مكّة وتفرقوا، وكان الرجل إذا رأى شجرة حسنة، أو حجراً حسناً هواه فعبده، وكانوا ينحرون لها النعم، ويلطّخونها بالدم ويسمّونها سعد صخرة، وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم جاؤوا إلى الصخرة فيتمسّحون بها الغنم والإبل؛ فجاء رجل من العرب بإبل له يريد أن يتمسّح بالصخرة إبله ويبارك عليها، فنفرت إبله وتفرّقت، فقال الرجل شعراً:

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا ... فشتّتنا سعد فما نحن من سعد
وما سعد إلاّ صخرة مسودة ... من الأرض لا تهدي لغيّ ولا رشد

ومرّ به رجل من العرب والثعلب يبول عليه فقال شعراً:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه؟ ... لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب(٦)!

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤٨ ح ٣١.
(٣) سورة الحج، الآية: ٧٣.
(٤) فروع الكافي، ص ٥٦٨ باب ٣٣٩ ح ١١.
(٥) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩٠.

٨ - باب نفي الولد والصاحبة

الآيات: **النساء «٤»:** ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ «١٧١، ١٧٢».

المائدة «٥»: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

أقول: سيأتي كثير من الآيات المتعلقة بعيسى عليه السلام في كتاب النبوّة، وكثير منها في أبواب الاحتجاجات.

التوبة «٩»: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾.

يونس «١٠»: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ «٦٨».

الإسراء «١٧»: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

الكهف «١٨»: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾.

مريم «١٩»: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٣٥ **«وقال تعالى»:** ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

الصافات «٣٧»: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

الزمر «٣٩»: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ «٤».

الزخرف «٤٣»: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾. «وقال تعالى»: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

الطور «٥٢»: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ «٣٩».

النجم «٥٣»: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾.

الجن «٧٢»: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ «٣».

١ - فس: جعفر بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ قال: هذا حيث قالت قريش: إنّ لله ولداً، وأنّ الملائكة إناث، فقال الله تبارك وتعالى ردّاً عليهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ أي عظيماً ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ ممّا قالوا: أنْ دعوا للرحمن ولداً، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ واحداً واحداً(١).

٢ - يد: ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن اليقطينيّ، عن سليمان بن رشيد، عن أبيه،

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١ في تفسيره لسورة مريم الآيات ٨٨-٩٥.

عن المفضّل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الحمد الله الّذي لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك(١).

٣ - فس: قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾، يعني أوّل الآنفين له أنْ يكون له ولد(٢).

بيان: هذا أحد الوجوه في تأويل هذه الآية. قال الجوهريّ: قال أبو زيد: العبد بالتحريك: الغضب والأنف، والاسم العبدة مثل الأنفة، وقد عبد أي أنف. وقال أبو عمرو: قوله تعالى: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ من الأنف والغضب انتهى. وثانيها أنْ يكون من قبيل تعليق المحال بالمحال أي ليس له ولد، إذ لو كان له ولد لكنت أوّل العابدين له، فإنَّ النبيّ يكون أعلم بالله وبما يصحّ له وما لا يصحّ، وأولى بتعظيم ما يجب تعظيمه، ومن حقّ تعظيم الوالد تعظيم ولده. وثالثها: أنَّ المعنى: إن كان له ولد في زعمكم فأنا أوّل العابدين لله، الموحّدين له، المنكرين لقولكم. ورابعها: أنَّ «إن» بمعنى «ما» للنفي؛ والمعنى: ما كان للرحمن ولد، فأنا أوّل العابدين لله المقرّين بذلك.

أقول: سيأتي ما يتضمّن نفي الصاحبة والولد في باب جوامع التوحيد، وسنذكر احتجاج النبيّ صلى الله عليه وآله على القائلين بالولد في المجلّد الرابع.

٩ - باب النهي عن التفكر في ذات الله تعالى والخوض في مسائل التوحيد واطلاق القول بأنّه شيء

الآيات: **الزمر «٣٩»:** ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ «٦٧».

١ - **شي:** عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: هل تصف ربّنا نزداد له حبّاً وبه معرفة؟ فغضب وخطب الناس، فقال فيما قال: عليك يا عبد الله بما دلّك عليه القرآن من صفته، وتقدّمك فيه الرسول من معرفته فائتمّ به واستضئ بنور هدايته، فإنّما هي نعمة وحكمة أُوتيتها فخذ ما أُوتيت وكن من الشاكرين، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سنّة الرسول وأئمّة الهداة أثره فكل علمه إلى الله ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين واعلم يا عبد الله أنَّ الراسخين في العلم هم الّذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب، إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً(٣).

---

(١) التوحيد، ص ٤٨ باب ٢ ح ١٢. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦٣.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٨٦ ح ٥.

بيان: الاقتحام: الهجوم والدخول مغالبة. والسدد جمع السدّة وهي الباب المغلق وفيه إشكال لدلالته على أنّ الراسخين في العلم في الآية غير معطوف على المستثنى، كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة، وسيأتي القول في كتاب الإمامة، إلاّ أنّ يقال: إنّ هذا إلزام على من يفسّر الآية كذلك، أو يقال: بالجمع بين التفسيرين على وجهين مختلفين؛ وسيأتي تمام القول في ذلك محلّه إن شاء الله تعالى.

٢ - **ج:** روي عن هشام أنّه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام: أنّ الله تعالى ما هو؟ فقال عليه السلام: هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي: شيء إلى أنّه شيء بحقيقة الشيئيّة غير أنّه لا جسم ولا صورة، ولا يحسّ ولا يجسّ، ولا يدرك بالحواسّ الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيّره الأزمان. الخبر[(١)].

بيان: اعلم أنّ الشيء مساوٍ للموجود إذا أخذ الوجود أعمّ من الذهنيّ والخارجيّ، والمخلوط بالوجود من حيث الخلط شيء، وشيئيّته كونه ماهيّة قابلة له؛ وقيل: إنّ الوجود عين الشيئيّة. فإذا عرفت هذا فالمراد بقوله: بحقيقة الشيئيّة أي بالشيئيّة الحقّة الثابتة له في حدّ ذاته لأنّه تعالى هو الّذي يحقّ أنّ يقال له: شيء أو موجود، لكون وجوده بذاته ممتنع الانفكاك عنه، وغيره تعالى في معرض العدم والفناء، وليس وجودهم إلاّ من غيرهم، أو المراد أنّه يجب معرفته بمحض أنّه شيء، لا أنّ يثبت له حقيقة معلومة مفهومة يتصدّى لمعرفتها فإنّه يمتنع معرفة كنه ذاته وصفاته؛ وقيل: إنّه إشارة إلى أنّ الوجود عين ذاته تعالى.

٣ - **لي:** أبي، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد ابن حمران، عن أبي عبيدة الحذّاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا زياد إيّاك والخصومات، فإنّها تورث الشكّ، وتحبط العمل، وتردي صاحبها، وعسى أنّ يتكلّم الرجل بالشيء لا يغفر له؛ يا زياد إنّه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكّلوا به، وطلبوا علم ما كفوه، حتّى انتهى بهم الكلام إلى الله عزّ وجلّ فتحيّروا، فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه، أو يدعى من خلفه فيجيب من بين يديه[(٢)].

سن: أبي، عن ابن أبي عمير مثله.

٤ - **لي:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن أبي اليسع، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إيّاكم والتفكّر في الله، فإنّ التفكّر في الله لا يزيد إلاّ تيهاً إنّ الله عزّ وجلّ لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار[(٣)].

٥ - **ن:** ابن إدريس، عن أبيه، عن ابن بندار، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن محمّد بن

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٣٢. (٢) أمالي الصدوق، ص ٣٤٠ مجلس ٦٥ ح ٢.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٣٤٠ مجلس ٦٥ ح ٣.

عبد الله الخراساني - خادم الرضا عليه السلام - قال: قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام: هل يقال لله: إنّه شيء؟ فقال: نعم، وقد سمّى نفسه بذلك في كتابه فقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[(١)] فهو شيء ليس كمثله شيء[(٢)].

٦ - فس: قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾[(٣)] حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا، وتكلّموا فيما دون العرش ولا تكلّموا فيما فوق العرش، فإنّ قوماً تكلّموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتّى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه، وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه[(٤)].

بيان: التكلّم فيما فوق العرش كناية عن التفكّر في كنه ذاته وصفاته تعالى، فالمراد إمّا الفوقيّة المعنويّة؛ أو بناءاً على زعمهم حيث قالوا بالجسم والصورة؛ ويحتمل على بعد أن يكون المراد التفكّر في الخلاء البحت بعد انتهاء الأبعاد.

٧ - شي: عن ربعي، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ «قال: الكلام في الله والجدال في القرآن ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[(٥)] قال: منهم القصّاص[(٦)].

بيان: القصّاص علماء المخالفين فإنّهم كرواة القصص والأكاذيب فيما يبنون عليه علومهم، وهم يخوضون في تفاسير الآيات وتحقيق صفات الذات بالظنون والأوهام لانحرافهم عن أهل البيت عليهم السلام.

٨ - يد، مع: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ عن هشام بن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٢٢ باب ١١ ح ٣١. أقول: الشيء إما يستعمل مصدراً وهو المعبر عنه بالمشيّة، وهو الإبداع والإيجاد، ولا يطلق عليه تعالى؛ وإما يستعمل بالمعنى الاسم المصدري وهو المشيء والمبدع والموجد كلفظ الخلق، فقد يراد منه المصدر وقد يراد منه اسم المصدر بمعنى المخلوق فهو تعالى خالق وبخلقه تحقق المخلوق، وهو تعالى الشائي المريد وبمشيته تحققت الأشياء، فهو تعالى مشيىء الشيء حين لا شيء. وفي دعاء الجوشن: يا من كل شيء قائم به، يا من كل شيء كائن له، يا من كل شيء موجود به؛ الخ. وفي الخطبة الغديرية قال صلى الله عليه وآله: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، لا مثله شيء وهو مُشَيء الشيء الذي ملاء الدهر قدسه؛ الخ. وقال الرضا عليه السلام: فرق بين من جسّمه وصوّره وشيّأه وبيّنه - أي الخلق - إذ كان لا يشبهه شيء؛ فهذا المعنى الاسم المصدري الخالي عن هذا الوصف أعني الحقائق الخارجية والثابتات الواقعية التي يطلق عليها اسم الشيء، يطلق عليه سبحانه فهو شيء بحقيقة الشيئية لا كالأشياء، فإن الأشياء كائنات عن مشيته النافذة، والله كائن بنفسه فليس كمثله شيء. [النمازي].

(٣) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٩٢ ح ٣١.

الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال للزنديق - حين سأله عن الله ما هو؟ -: قال هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي: شيء إلى إثبات معنى، وإنّه شيء بحقيقة الشيئيّة، غير أنّه لا جسم ولا صورة(١).

٩ - **يد، مع:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن محمّد بن عيسى، عمّن ذكره، رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام أنّه سئل أيجوز أن يقال: إن الله عزّ وجلّ شيء؟ قال: نعم تخرجه من الحدّين: حدّ التعطيل، وحدّ التشبيه(٢).

ج: مرسلاً مثله(٣).

بيان: حدُّ التعطيل هو عدم إثبات الوجود والصفات الكماليّة والفعليّة والإضافيّة له تعالى، وحدُّ التشبيه الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات.

١٠ - **يد:** العطّار، عن أبيه، عن سهل قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام - سنة خمس وخمسين ومائتين -: قد اختلف يا سيّدي أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة، فإن رأيت يا سيّدي أن تعلّمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطوّلاً على عبدك.

فوقع بخطه - عليه السلام -: سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، ويصوّر ما يشاء، وليس بمصوّر، جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه، وتعالى عن أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(٤).

بيان: وهذا عنكم معزول أي لا يجب عليكم التفكّر في الذات والصفات بل عليكم التصديق بما وصف تعالى به نفسه.

١١ - **سر:** السيّاريّ قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ليس العبادة كثرة الصوم والصلاة، إنّما العبادة في التفكّر في الله(٥).

بيان: أي التفكّر في قدرته وعظمته بالتفكّر في عظمة خلقه، كما فسّر به في الأخبار الأخر، أو بالتفكّر فيما جاء عن الله وحججه عليهم السلام في ذلك.

١٢ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن أبي نجران، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي

---

(١) - (٢) التوحيد ص ١٠٤ باب ٧ ح ٢ و١. ومعاني الأخبار، ص ٨.
(٣) الاحتجاج، ص ٤٤٢. (٤) التوحيد، ص ١٠١ باب ٦ ح ١٤.
(٥) السرائر، ج ٣ ص ٥٦٨.

عبد الله عليه السلام بمسائل، فيها: أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يوصف بالصورة وبالتخطيط، فإن رأيت - جعلني الله فداك - أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد.

فكتب صلّى الله عليه على يدي عبد الملك بن أعين: سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب فيه من قبلك، فتعالى الله الّذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون المشبّهون لله تبارك وتعالى بخلقه، المفترون على الله. واعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّ وجلّ، فانف عن الله البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، ولا تعد القرآن فتضل بعد البيان[١].

بيان: على يدي عبد الملك أي كان هو الرسول والحامل للكتاب والجواب.

١٣ - **ضا:** إيّاك والخصومة فإنّها تورث الشكّ، وتحبط العمل، وتردي صاحبها، وعسى أن يتكلّم بشيء لا يغفر له.

١٤ - ونروي أنّه كان فيما مضى قوم انتهى بهم الكلام إلى الله عزّ وجلّ فتحيّروا، فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه[٢].

١٥ - **وأروي:** تكلّموا فيمادون العرش فإنّ قوماً تكلّموا في الله عزّ وجلّ فتاهوا.

١٦ - وأروي عن العالم عليه السلام - وسألته عن شيء من الصفات - فقال: لا تتجاوز ممّا في القرآن.

١٧ - وأروي أنّه قرئ بين يدي العالم عليه السلام قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[٣] فقال: إنّما عنى أبصار القلوب وهي الأوهام، فقال: لا تدرك الأوهام كيفيّته وهو يدرك كلّ وهم، وأمّا عيون البشر فلا تلحقه، لأنّه لا يحدّ فلا يوصف؛ هذا ما نحن عليه كلّنا[٤].

١٨ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن الصالح، عن الحسين بن سعيد قال: سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام يجوز أن يقال لله: إنه شيء؟ فقال: نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ التعطيل وحدّ التشبيه[٥].

١٩ - **يد:** ابن مسرور، عن ابن بطّة، عن عدّة من أصحابه، عن اليقطينيّ قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما تقول إذا قيل لك: أخبرني عن الله عزّ وجلّ: أشيء هو أم لا شيء هو؟ قال:

---

(١) التوحيد، ص ١٠٢ باب ٦ ح ١٥.
(٢) الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام ص ٣٨٤ باب ١٠٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٤) الفقه المنسوب للامام الرضا عليه السلام ص ٣٨٤.
(٥) التوحيد، ص ١٠٧ باب ٧ ح ٧.

فقلت له: قد أثبت عزّوجلّ نفسه شيئاً حيث يقول: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[(١)] فأقول: إنّه شيء لا كالأشياء؛ إذ في نفي الشيئيّة عنه إبطاله ونفيه. قال لي: صدقت وأصبت.

ثمّ قال الرضا عليه السلام: للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز لأنّ الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه[(٢)].

شي: عن هشام المشرقيّ، عنه عليه السلام مثله. وزاد في آخره وهو كما وصف نفسه أحد صمد نور[(٣)].

٢٠ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقي، عن أبيه، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وكلّما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عزّوجلّ فهو مخلوق، والله خالق كلّ شيء، تبارك الّذي ليس كمثله شيء[(٤)].

يد: حمزة بن محمّد العلويّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن عطيّة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله: خالق كلّ شيء[(٥)].

يد: ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي المعزّا رفعه عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله: فهو مخلوق ما خلا الله عزّوجلّ [(٦)].

إيضاح: الخلو بكسر الخاء وسكون اللّام: الخالي. وقوله عليه السلام: خلو من خلقه أي من صفات خلقه أو من مخلوقاته، فيدل على نفي الصفات الموجودة الزائدة لأنّها لا بدّ أن تكون مخلوقة لله تعالى بانضمام المقدّمتين الأخيرتين المبنيّتين على التوحيد، واتّصافه بمخلوقه مستحيل لما تقرّر من أنّ الشيء لا يكون فاعلاً وقابلاً لشيء واحد، ويدلّ أيضاً على بطلان ما ذهب إليه جماعة من كونه تعالى معروضاً لماهيّات الممكنات. وقوله عليه السلام: وخلقه خلو منه أي من صفاته، أو المراد أنّه لا يحلّ في شيء بوجه من الوجوه، فينفي كونه عارضاً لشيء أو حالاً فيه أو متمكّناً فيه إذ ما من شيء إلاّ وهو مخلوق له بحكم المقدّمتين الأخيرتين.

٢١ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن ابن حميد رفعه قال: سئل عليّ بن الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال: إنّ الله تعالى علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[(٧)] فمن رام ما وراء ذلك فقد هلك[(٨)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.
(٢) التوحيد، ص ١٠٧ باب ٧ ح ٨.
(٣) تفسير العياشي ج١ ص ٣٨٥ ح ١١.
(٤) - (٦) التوحيد، ص ١٠٥ باب ٧ ح ٣-٥.
(٧) سورة الحديد، الآية: ٦.
(٨) التوحيد، ص ٢٨٣ باب ٤٠ ح ٢.

بيان: ظاهره المنع عن التفكّر والخوض في مسائل التوحيد والوقوف مع النصوص، وقيل: المراد أنّه تعالى بيّن لهم صفاته ليتفكّروا فيها؛ ولا يخفى بعده.

٢٢ - **سن:** أبي، عن صفوان، وابن أبي عمير معاً، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا سليمان إنّ الله يقول: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[١] فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا[٢].

٢٣ - **سن:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن يحيى، عن عبد الرحيم القصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شيء من الصفة فقال: فرفع يديه إلى السماء ثمّ قال: تعالى الله الجبّار، إنّه من تعاطى ما ثمّ هلك. يقولها مرّتين[٣].

بيان: تعالى الله الجبّار أي عن أن يكون له جسم أو صورة أو يوصف بصفة زائدة على ذاته، وأن يكون لصفاته الحقيقيّة بيان حقيقيّ؛ من تعاطى أي تناول بيان ما ثمّ من صفاته الحقيقيّة هلك وضلّ ضلالاً بعيداً.

٢٤ - **سن:** بعض أصحابنا، عن حسين بن ميّاح، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من نظر في الله كيف هو هلك[٤].

٢٥ - **سن:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب بن الخزّاز، عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا محمّد إنّ الناس لا يزال لهم المنطق حتّى يتكلّموا في الله، فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا إله إلاّ الله الواحد الّذي ليس كمثله شيء[٥].

بيان: أي إذا سمعتم الكلام في الله فاقتصروا على التوحيد ونفي الشريك منبّهاً على أنّه لا يجوز الكلام فيه، وتبيين معرفته إلاّ بسلب التشابه والتشارك بينه وبين غيره؛ أو إذا أجروا الكلام في الجسم والصورة فقولوا ذلك تنزيهاً له عمّا يقولون.

٢٦ - **سن:** ابن فضّال، عن ثعلبة، عن الحسن الصيقل، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تكلّموا فيما دون العرش، ولا تكلّموا فيما فوق العرش، فإنّ قوماً تكلّموا في الله فتاهوا، حتّى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه[٦].

٢٧ - **سن:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن حفص أخي مرازم، عن الفضل بن يحيى قال: سأل أبي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن شيء من الصفة، فقال: لا تجاوز عمّا في القرآن[٧].

٢٨ - **سن:** أبو أيّوب المدنيّ، عن ابن أبي عمير، عن ابن بكير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ملكاً كان في مجلسه فتناول الربّ تبارك وتعالى ففقد فما يدرى أين هو[٨].

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤٢.
(٢) المحاسن للبرقي، ص ٢٣٧.
(٣) - (٥) المحاسن، ص ٢٣٧.
(٦) - (٧) المحاسن، ص ٢٣٨-٢٣٩.
(٨) المحاسن، ص ٢٤٠.

بيان: أي فقد من مكانه سخطاً من الله عليه؛ أو تحيّر وسار في الأرض فلم يعرف له خبر. وقيل: هو على المعلوم أي ففقد ما كان يعرف وكان لا يدري في أيّ مكان هو من الحيرة؛ ولا يخفى ما فيه.

٢٩ - **سن:** محمّد بن عيسى، عمّن ذكره رفعه قال: سئل أبو جعفر عليه السلام أيجوز أن يقال لله: إنّه موجود؟ قال: نعم تخرجه من الحدّين: حدّ الإبطال وحدّ التشبيه[١].

٣٠ - **م:** لقد مرّ أمير المؤمنين عليه السلام على قوم من أخلاط المسلمين، ليس فيهم مهاجريّ ولا أنصاريّ، وهم قعود في بعض المساجد في أوّل يوم من شعبان، وإذا هم يخوضون في أمر القدر وغيره ممّا اختلف الناس فيه، قد ارتفعت أصواتهم واشتدّ فيه جدالهم، فوقف عليهم وسلّم فردّوا عليه ووسّعوا له، وقاموا إليه يسألونه القعود إليهم، فلم يحفل بهم، ثمّ قال لهم - وناداهم -: يا معاشر المتكلّمين ألم تعلموا أنّ لله عباداً قد أسكتتهم خشيته من غير عيّ ولا بكم؟ وأنّهم هم الفصحاء البلغاء الألبّاء، العالمون بالله وأيّامه ولكنّهم إذا ذكروا عظمة الله انكسرت ألسنتهم، وانقطعت أفئدتهم، وطاشت عقولهم، وتاهت حلومهم، إعزازاً لله وإعظاماً وإجلالاً، فإذا أفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدّون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين، وإنّهم برآء من المقصّرين والمفرطين إلا أنّهم لا يرضون لله بالقليل، ولا يستكثرون لله الكثير، ولا يدلّون عليه بالأعمال، فهم إذا رأيتهم مهيّمون مروّعون، خائفون، مشفقون، وجلون؛ فأين أنتم منهم يا معشر المبتدعين ألم تعلموا أنّ أعلم الناس بالضرر أسكتهم عنه، وأنّ أجهل الناس بالضرر أنطقهم فيه؟[٢].

بيان: لا يدلّون من قولهم: أدلّ عليه أي أوثق بمحبّته فأفرط عليه. والهيام: الجنون من العشق.

٣١ - **كش:** عليّ بن محمّد، عن محمّد بن موسى الهمدانيّ، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن غيره، عن جعفر بن محمّد بن حكيم الخثعميّ قال: اجتمع ابن سالم، وهشام ابن الحكم، وجميل بن درّاج، وعبد الرحمن بن الحجّاج، ومحمد بن حمران، وسعيد بن غزوان، ونحو من خمسة عشر من أصحابنا فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد، وصفة الله عزّ وجلّ، وعن غير ذلك، لينظروا أيّهم أقوى حجّة، فرضي هشام بن سالم أن يتكلّم عند محمّد بن أبي عمير، ورضي هشام بن الحكم أن يتكلّم عند محمّد بن هشام فتكالما وساقا ما جرى بينهما، وقال: قال عبد الرحمن بن الحجّاج لهشام بن الحكم: كفرت والله بالله العظيم وألحدت فيه، ويحك ما قدرت أن تشبه بكلام ربّك

---

(١) المحاسن، ص ٢٤٠.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٦٣٥ ح ٣٧١.

إلاّ العود يضرب به. قال جعفر بن محمّد بن حكيم فكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام يحكي له مخاطبتهم وكلامهم، ويسأله أن يعلّمهم ما القول الّذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبّار فأجابه في عرض كتابه: فهمت رحمك الله، واعلم رحمك الله أنّ الله أجلّ وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه وكفّوا عمّا سوى ذلك(١).

٣٢-يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن اليقطينيّ، عن ابن أبي نجران قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد فقلت: أتوهّم شيئاً؟ فقال: نعم غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصوّر في الأوهام؟ إنّما يتوهّم شيء غير معقول ولا محدود(٢).

بيان: اعلم أنّ من المفهومات مفهومات عامّة شاملة لا يخرج منها شيء من الأشياء لا ذهناً ولا عيناً كمفهوم الشيء والموجود والمخبر عنه، وهذه معانٍ اعتباريّة يعتبرها العقل لكلّ شيء؛ إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ جماعة من المتكلّمين ذهبوا إلى مجرّد التعطيل، ومنعوا من إطلاق الشيء والموجود وأشباههما عليه، محتجّين بأنّه لو كان شيئاً شارك الأشياء في مفهوم الشيئيّة وكذا الموجود وغيره. وذهب إلى مثل هذا بعض معاصرينا فحكم بعدم اشتراك مفهوم من المفهومات بين الواجب والممكن، وبأنّه لا يمكن تعقّل ذاته وصفاته تعالى بوجه من الوجوه، وبكذب جميع الأحكام الايجابيّة عليه تعالى. ويردّ قولهم الأخبار السالفة، وبناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الأمر وما صدق عليه، وبين الحمل الذاتيّ والحمل العرضيّ، وبين المفهومات الاعتباريّة والحقائق الموجودة.

فأجاب عليه السلام بأنّ ذاته تعالى وإن لم يكن معقولاً لغيره ولا محدوداً بحدّ إلاّ أنّه ممّا يصدق عليه مفهوم شيء، لكن كلّ ما يتصوّر من الأشياء فهو بخلافه لأنّ كلّ ما يقع في الأوهام والعقول فصورها الإدراكيّة كيفيّات نفسانيّة، وأعراض قائمة بالذهن، ومعانيها ماهيّات كلّيّة قابلة للاشتراك والانقسام فهو بخلاف الأشياء.

١٠ - باب أدنى ما يجزي من المعرفة في التوحيد، وأنه لا يعرف الله إلّا به

١-يد، ن: ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن مختار بن محمّد بن مختار الهمدانيّ، عن الفتح بن يزيد الجرجانيّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن أدنى المعرفة فقال: الإقرار بأنّه لا إله غيره، ولا شبه له ولا نظير له، وأنّه قديم مثبت، موجود غير فقيد، وأنّه ليس كمثله شيء(٣).

---

(١) رجال الكشي، ص ٥٦٤ ح ٥٠٠. (٢) التوحيد، ص ١٠٦ باب ٧ ح ٦.
(٣) التوحيد ص ٢٨٣ باب ٤٠ ح ١، وعيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٢٢ باب ١١ ح ٢٩.

بيان: قوله عليه السلام: موجود إمّا من الوجود أو من الوجدان أي معلوم. وكذا قوله: غير فقيد أي غير مفقود زائل الوجود، أو لا يفقده الطالب. وقيل: أي غير مطلوب عند الغيبة حيث لا غيبة له.

٢ - **يد، ن:** الدقّاق، عن محمّد الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن زياد، عن عبد العزيز بن المهتديّ قال: سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد، فقال: كلّ من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وآمن بها فقد عرف التوحيد. قلت: كيف يقرأها؟ قال: كما يقرأها الناس. وزاد فيه: كذلك الله ربّي، كذلك الله ربّي، كذلك الله ربّي(١).

٣ - **يد:** الدقّاق والورّاق معاً، عن الصوفيّ، عن الرويانيّ، عن عبد العظيم الحسنيّ قال: دخلت على سيّدي عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فلمّا بصر بي قال لي: مرحباً بك يا أبا القاسم أنت وليّنا حقّاً. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله إنّي أريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضيّاً ثبتت عليه حتّى ألقى الله عزّ وجلّ. فقال: هاتها أبا القاسم.

فقلت: إنّي أقول: إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج من الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، وأنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء ومالكه وجاعله ومحدثه، وإنّ محمداً عبده ورسوله خاتم النبيّين فلا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، وأقول: إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ أنت يا مولاي.

فقال عليه السلام: ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟ قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟ قال: لأنّه لا يرى شخصه ولا يحلّ ذكره باسمه حتّى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قال: فقلت: أقررتُ وأقول: إنّ وليّهم وليّ الله، وعدوّهم عدوّ الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وأقول: إنّ المعراج حقّ، والمساءلة في القبر حقّ، وإنّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، والصراط حقّ، والميزان حقّ، وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإنّ الله يبعث من في القبور؛ وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقال عليّ بن محمّد عليه السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الّذي ارتضاه لعباده، فاثبت

---

(١) التوحيد، ص ٢٨٤ باب ٤٠ ح ٣، وعيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٢٢ باب ١١ ح ٣٠.

عليه ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[1].

٤ - يد: ماجيلويه، عن عمّه، عن محمّد بن عليّ القرشيّ، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن يعلى الكوفيّ، عن جويبر، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس قال: جاء أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله علّمني من غرائب العلم. قال: ما صنعت في رأس العلم حتّى تسأل عن غرائبه؟ قال الرجل: ما رأس العلم يا رسول الله؟ قال: معرفة الله حقّ معرفته. قال الأعرابيّ: وما معرفة الله حقّ معرفته؟ قال: تعرفه بلا مثل ولا شبه ولا ندّ، وأنّه واحدٌ أحدٌ ظاهرٌ باطنٌ أوّلٌ آخرٌ، لا كفو له ولا نظير، فذلك حقُّ معرفته[2].

بيان: النِدُّ بالكسر: المثل.

٥ - يد: أبي وابن الوليد معاً، عن محمّد بن العطّار، وأحمد بن إدريس معاً، عن الأشعريّ، عن بعض أصحابنا، عن محمّد بن عليّ الطاحن، عن طاهر بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت إلى الطيّب - يعني أبا الحسن عليه السلام - ما الّذي لا يجتزى في معرفة الخالق جلّ جلاله بدونه؟ فكتب عليه السلام: ليس كمثله شيء، لم يزل سميعاً وعليماً وبصيراً، وهو الفعّال لما يريد[3].

بيان: المشهور أنّ الكاف زائدة، وقيل: أي ليس مثل مثله شيء فيدلّ على نفي مثله بالكناية الّتي هي أبلغ، لأنّه مع وجود المثل يكون هو مثل مثله، أو المعنى: أنّه ليس ما يشبه أن يكون مثلاً له فكيف مثله حقيقة.

٦ - يد: الدقّاق، عن الكلينيّ، عن محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم قال لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي ناظرت قوماً فقلت لهم: إنّ الله أكرم وأجلُّ من أن يعرف بخلقه، بل العباد يعرفون بالله. فقال: رحمك الله[4].

٧ - يد: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن حمران، عن الفضل بن السكن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان[5].

٨ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن بعض أصحابنا، عن عليّ بن عقبة رفعه قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام بم عرفت ربّك؟ فقال: بما عرّفني نفسه. قيل: وكيف عرّفك نفسه؟ فقال: لا تشبهه صورة، ولا يحسّ بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، قريبٌ في بُعده، بعيدٌ في قربه، فوق كلّ شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كلّ شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج من الأشياء لا كشيء من شيء خارج، سبحان من

---

(١) التوحيد، ص ٨١ باب ٢ ح ٣٧.
(٢) التوحيد، ص ٢٨٤ باب ٤٠ ح ٥.
(٣) التوحيد، ص ٢٨٤ باب ٤٠ ح ٤.
(٤) - (٥) التوحيد، ص ٢٨٥ باب ٤١ ح ١ و٣.

هو هكذا ولا هكذا غيره، ولكلّ شيء مبدأ[١].

سن: بعض أصحابنا، عن صالح بن عقبة، عن قيس بن سمعان، عن أبي ربيحة - مولى رسول الله ﷺ - رفعه قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام وذكر مثله[٢].

بيان: قريب من حيث إحاطة علمه وقدرته بالكلّ. في بعده أي مع بعده عن الكلّ من حيث المباينة في الذات والصفات فظهر أنّ قربه ليس بالمكان، بعيد عن إحاطة العقول والأوهام والأفهام به مع قربه حفظاً وتربيةً ولطفاً ورحمةً، وقد مرّ أنّه يحتمل أن يكون إشارة إلى أنّ جهة قربه أي بالعلّيّة واحتياج الكلّ إليه هي جهة بعده عن مشابهة مخلوقاته إذ الخالق لا يشابه المخلوق، وكذا العكس. فوق كلّ شيء أي بالقدرة والقهر والغلبة، وبالكمال والاتّصاف بالصفات الحسنة، ولا يقال: شيء فوقه في الأمرين، وفيه إشعار بأنّه ليس المراد به الفوقيّة بحسب المكان وإلاّ لأمكن أن يكون شيء فوقه. أمام كلّ شيء أي علّة كلّ شيء ومقدّمٌ عليها، ويحتاج إليه كلّ موجود، ويتضرّع إليه ويعبده كلّ مكلّف، أو كلّ شيء متوجّه نحوه في الاستكمال، والتشبّه به في صفاته الكماليّة، والكلام في قوله: ولا يقال له: أمام كما مرّ. داخل في الأشياء أي لا يخلو شيء من الأشياء ولا جزءٌ من الأجزاء عن تصرّفه وحضوره العلميّ وإفاضة فيضه وجوده عليه، لا كدخول الجزء في الكلّ، ولا كدخول العارض في المعروض، ولا كدخول المتمكّن في المكان. خارج من الأشياء بتعالي ذاته عن ملابستها ومقارنتها والاتّصاف بصفتها والائتلاف منها، لا كخروج شيء من شيء بالبعد المكانيّ أو المحلّيّ. ولكلّ شيء مبدء أي علّة في ذواتها وصفاتها كالتعليل لما سبق.

٩ - **يد:** محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسيّ، عن أحمد بن محمّد بن سعيد النسويّ، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله الصغديّ - بمرو - عن محمّد بن يعقوب بن الحكم العسكريّ، وأخيه معاذ بن يعقوب، عن محمّد بن سنان الحنظليّ، عن عبد الله بن عاصم، عن عبد الرحمن بن قيس، عن ابن هاشم الرمّانيّ، عن زاذان، عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى، وما سأل عنه أبا بكر فلم يجبه، ثمّ أُرشد إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسأله عن مسائل فأجابه عنها، وكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عرفت الله بمحمّد، أم عرفت محمّداً بالله؟

فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ما عرفت الله عزّ وجلّ بمحمّد - ﷺ - ولكن عرفت محمّداً بالله عزّ وجلّ، حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض فعرفت أنّه مدبّر مصنوعٌ باستدلال وإلهام منه وإرادة، كما ألهم الملائكة طاعته وعرّفهم نفسه بلا شبه ولا كيف[٣]. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

---

(١) التوحيد، ص ٢٨٥ باب ٤١ ح ٢. (٢) المحاسن، ص ٢٣٩.

(٣) التوحيد، ص ٢٨٦ باب ٤١ ح ٤.

وحدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رحمه الله قال: سمعت محمّد بن يعقوب يقول: معنى قوله: اعرفوا الله بالله يعني أنّ الله عزّ وجلّ خلق الأشخاص والألوان والجواهر والأعيان، فالأعيان: الأبدان، والجواهر: الأرواح، وهو عزّ وجلّ لا يشبه جسماً ولا روحاً، وليس لأحدٍ في خلق الروح الحسّاس الدرّاك أثرٌ ولا سببٌ، هو المتفرّد بخلق الأرواح والأجسام، فمن نفى عنه الشبهين: شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله، ومن شبّهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله.

أقول: قال الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد: القول الصواب في هذا الباب هو أن يقال: عرفنا الله بالله، لأنّا إن عرفناه بعقولنا فهو عزّ وجلّ واهبها، وإن عرفناه عزّ وجلّ بأنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام فهو عزّ وجلّ باعثهم ومرسلهم ومتّخذهم حججاً، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عزّ وجلّ محدثنا فبه عرفناه؛ وقد قال الصادق عليه السلام: لولا الله ما عرفناه، ولولا نحن ما عرف الله. ومعناه: لولا الحجج ما عرف الله حقّ معرفته، وولولا الله ما عرف الحجج. وقد سمعت بعض أهل الكلام يقول: لو أنّ رجلاً ولد في فلاة من الأرض ولم ير أحداً يهديه ويرشده حتّى كبر وعقل ونظر إلى السماء والأرض لدلّه ذلك على أنّ لهما صانعاً ومحدثاً. فقلت: إنّ هذا شيء لم يكن، وهو إخبار بما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون، ولو كان ذلك لكان لا يكون ذلك الرجل إلاّ حجّة الله - تعالى ذكره - على نفسه كما في الأنبياء عليهم السلام، منهم من بعث إلى نفسه، ومنهم من بُعث إلى أهله وولده، ومنهم من بعث إلى أهل محلّته، ومنهم من بعث إلى أهل بلده، ومنهم من بعث إلى الناس كافّةً.

وأمّا استدلال إبراهيم الخليل عليه السلام بنظره إلى الزهرة، ثمّ إلى القمر، ثمّ إلى الشمس، وقوله - فلمّا أفلت -: يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون فإنه عليه السلام كان نبيّاً ملهماً مبعوثاً مرسلاً، وكان جميع قوله إلى آخره بإلهام الله عزّ وجلّ إيّاه، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[1] وليس كلّ أحد كإبراهيم عليه السلام؛ ولو استغني في معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم الله عزّ وجلّ وتعريفه لما أنزل الله عزّ وجلّ ما أنزل من قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2]، ومن قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخره؛ ومن قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾، إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[3]، وآخر الحشر وغيرها من آيات التوحيد[4].

تبيين وتحقيق: أعلم أن هذه الأخبار لا سيّما خبر ابن السكن تحتمل وجوهاً:

الأوّل: أن يكون المراد بالمعرّف به ما يعرف الشيء به بأنّه هوهو فمعنى اعرفوا الله بالله:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٣.
(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٣) سورة الأنعام، الآيات: ١٠١-١٠٣.
(٤) التوحيد، ص ٢٩٠ باب ٤١ ح ١٠.

اعرفوه بأنّه هو الله مسلوباً عنه جميع ما يعرف به الخلق من الجواهر والأعراض ومشابهته شيء منها، وهذا هو الّذي ذكره الكلينيّ رحمه الله، وعلى هذا فمعنى قوله: والرسول بالرسالة: معرفة الرسول بأنّه أرسل بهذه الشريعة وهذه الأحكام، وهذا الدين، وهذا الكتاب، ومعرفة كلّ من أولي الأمر بأنّه الآمر بالمعروف، والعالم العامل به، وبالعدل أي لزوم الطريقة الوسطى في كلّ شيء، والإحسان أي الشفقة على خلق الله والتفضّل عليهم ودفع الظلم عنهم. أو المعنى: اعرفوا الله بالله أي بما يناسب ألوهيّته من التنزيه والتقديس، والرسول بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال، وأولي الأمر بما يناسب درجتهم العالية الّتي هي الرئاسة العامّة للدنيا والدين، وبما يحكم العقل به من اتّصاف صاحب تلك الدرجة القصوى به من العلم والعصمة والفضل والمزيّة على من سواه؛ ويحتمل أن يكون الغرض عدم الخوض في معرفته تعالى ورسوله وحججه بالعقول الناقصة فينتهي إلى نسبة ما لا يليق به تعالى إليه، وإلى الغلوّ في أمر الرسول والأئمّة صلوات الله عليهم.

وعلى هذا يحتمل وجهين: الأوّل أن يكون المراد: اعرفوا الله بعقولكم بمحض أنّه خالقٌ إله، والرسول بأنّه رسول أرسله الله إلى الخلق، وأولي الأمر بأنّه المحتاج إليه لإقامة المعروف والعدل والإحسان، ثمّ عوّلوا في صفاته تعالى وصفات حججه عليهم السلام على ما بيّنوا ووصفوا لكم من ذلك ولا تخوضوا فيها بعقولكم والثاني أن يكون المعنى: اعرفوا الله بما وصف لكم في كتابه وعلى لسان نبيّه، والرسول بما أوضح لكم من وصفه في رسالته إليكم، والإمام بما بيّن لكم من المعروف والعدل والإحسان كيف اتّصف بتلك الأوصاف والأخلاق الحسنة. ويحتمل الأخيرين وجهاً ثالثاً، وهو أنّ يكون المراد لا تعرفواالرسول بما يخرج به عن الرسالة إلى درجة الألوهيّة، وكذا الإمام.

الثاني: أن يكون المراد بما يعرف به ما يعرف باستعانته من قوى النفس العاقلة والمدركة وما يكون بمنزلتها ويقوم مقامها، فمعنى اعرفوا الله بالله: اعرفوه بنور الله المشرق على القلوب بالتوسّل إليه والتقرّب به، فإنّ العقول إليه لا تهتدي إليه إلاّ بأنوار فيضه تعالى واعرفوا الرسول بتكميله إيّاكم برسالته، وبمتابعته فيما يؤدّي إليكم من طاعة ربّكم فإنّها توجب الروابط المعنويّة بينكم وبينه، وعلى قدرذلك يتيسّر لكم من معرفته، وكذا معرفة أولي الأمر إنّما تحصل بمتابعتهم في المعروف والعدل والإحسان وباستكمال العقل بها.

الثالث: أنّ يكون المراد ما يعرف بها من الأدلّة والحجج، فمعنى أعرفوا الله بالله أنّه إنّما تتأتّى معرفته لكم بالتفكّر فيما أظهر لكم من آثار صنعه وقدرته وحكمته بتوفيقه وهدايته، لا بما أرسل به الرسول من الآيات والمعجزات فإنّ معرفتها إنّما تحصل بعد معرفته تعالى، واعرفوا الرسول بالرسالة أي بما أُرسل به من المعجزات والدلائل أو بالشريعة المستقيمة الّتي بعث بها، فإنّها لانطباقها على قانون العدل والحكمة يحكم العقل بحقّيّة من أرسل بها، واعرفوا أولي

الأمر بعلمهم بالمعروف، وإقامة العدل والإحسان، وإتيانهم بها على وجهها، وهذا أقرب الوجوه؛ ويؤيّده خبر سلمان وكذا خبر ابن حازم، إذ الظاهر أنّ المراد به أنّ وجوده تعالى أظهر الأشياء، وبه ظهر كلّ شيء، وقد أظهر الآيات للخلق على وجوده وعلمه وقدرته، وأظهر المعجزات حتّى علم بذلك حقّيّة حججه عليهم السلام، فالعباد معروفون به، ولا يحتاج في معرفة وجوده إلى بيان أحد من خلقه. ويمكن أن يقرأ «يعرفون» على بناء المعلوم أيضاً.

وأمّا ما ذكره الصدوق رحمه الله فيرجع إلى أنّ المعنى أنّ جميع ما يعرف الله به ينتهي إليه سبحانه. ويرد عليه أنّه على هذا تكون معرفة الرسول وأولي الأمر أيضاً بالله فما الفرق بينهما وبين معرفة الله في ذلك؟ وأيضاً لا يلائمه قوله: اعرفوا الله بالله، إلاّ أن يقال: الفرق باعتبار أصناف المعرفة، فالمعرفة بالرسالة صنف من المعرفة بالله، والمعرفة بالمعروف صنف آخر منها، ومعرفة الله فيها أصناف لا اختصاص لها بصنف، والمراد باعرفوا الله بالله: حصّلوا معرفة الله الّتي تحصل بالله؛ هكذا حقّقه بعض الأفاضل. ثمّ إنّ في كلامه تشويشاً وتناقضاً، ولعلّ مراده أخيراً نفي معرفة صفاته الكماليّة حقّ معرفتها بدون إرسال الرسل ونصب الحجج إلاّ أنّ التصديق بوجوده تعالى يتوقّف على ذلك وإن كان بعض كلماته يدلّ عليه.

١١ - باب الدين الحنيف والفطرة وصبغة الله والتعريف في الميثاق

الآيات: **البقرة «٢»**: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ «١٣٨».

الروم «٣٠»: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٣٠».

١ - **مع**: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ فقلت: ما الحنيفيّة؟ قال: هي الفطرة[1].

بيان: أي الملّة الحنيفيّة هي التوحيد الّذي فطر الله الخلق عليه، ويؤمي إليه قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ واختلف في معنى ذلك الفطرة فقيل: المعنى أنّه خلقهم على نوع من الجبلّة والطبع المتهيّأ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمرّ على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، وإنّما يعدل عنه من يعدل لآفة من الآفات، وتقليد الآباء والأمّهات. وقيل: كلّهم مفطورون على معرفة الله والإقرار به فلا تجد أحداً إلاّ وهو يقرّ بأنّ الله تعالى صانع له، وإن سمّاه بغير اسمه أو عبد معه غيره. وقيل: المعنى أنّه خلقهم لها لأنّه خلق كلّ الخلق لأن يوحّدوه ويعبدوه. قال

---

(١) معاني الأخبار، ص ٢٤٩. يأتي في ج١٠١ حديث عن المحاسن: إن الأطفال فطروا على التوحيد [النمازي].

الجزريّ فيه: خلقت عبادي حنفاء أي طاهري الأعضاء من المعاصي لا أنّه خلقهم كلّهم مسلمين، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[١].

وقيل: أراد أنّه خلقهم حنفاء مؤمنين لمّا أخذ عليهم الميثاق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[٢] فلا يوجد أحد إلاّ وهو مقرٌّ بأنّ له ربّاً وإن أشرك به، والحنفاء جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه، والحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم؛ وأصل الحنف: الميل. انتهى.

أقول: الّذي يظهر من الأخبار هو أنّ الله تعالى قرّر عقول الخلق على التوحيد والإقرار بالصانع في بدء الخلق عند الميثاق، فقلوب جميع الخلق مذعنةٌ بذلك وإن جحدوه معاندةً. وسيأتي تمام الكلام في ذلك في كتاب العدل إن شاء الله تعالى.

٢ - **فس:** الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن محمّد بن جمهور، عن جعفر بن بشير، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ قال: الولاية[٣].

٣ - **فس:** الحسن بن عليّ بن زكريّا، عن الهيثم بن عبد الله الرمّانيّ، عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام في قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: هو لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله - صلى الله عليه وآله - عليٌّ أمير المؤمنين - عليه السلام - إلى ههنا التوحيد[٤].

٤ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن علاء بن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: التوحيد[٥].

٥ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: التوحيد[٦].

٦ - **يد:** بالإسناد عن ابن هاشم، وابن يزيد معاً، عن ابن فضّال، عن ابن بكير عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: فطرهم على التوحيد[٧].

يد: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[٨].

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٣) - (٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٣٢.
(٥) - (٨) التوحيد، ص ٣٢٨-٣٢٨ باب ٥٣ ح ١ و٢ و٤ و٥.

سن: ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة مثله[١].

٧ - **يد:** ابن المتوكّل، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليقطينيّ، عن يونس، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، فقال: ألست بربكم وفيهم المؤمن والكافر[٢].

٨ - **يد:** أبي، عن سعد، عن أحمد وعبد الله ابني محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: فطرهم جميعاً على التوحيد[٣].

٩ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن عليّ بن حسان، عن الحسن بن يونس، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: التوحيد، ومحمّد رسول الله، وعليّ أمير المؤمنين[٤].

ير: أحمد بن موسى، عن الخشّاب، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير مثله[٥].

١٠ - **يد:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن ابن المغيرة، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله قول الله عزّ وجلّ في كتابه ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنّه ربّهم. قلت: وخاطبوه؟ قال: فطأطأ رأسه ثمّ قال: لولا ذلك لم يعلموا من ربّهم ولا من رازقهم[٦].

١١ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن هاشم، وابن أبي الخطّاب، وابن يزيد جميعاً عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ وعن الحنيفيّة، فقال: هي الفطرة الّتي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، قال: فطرهم الله على المعرفة.

قال زرارة: وسألته عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾[٧] الآية قال: أخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فعرّفهم وأراهم صنعه ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه. وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مولود يولد على الفطرة، يعني على الفطرة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه، فذلك قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٨] [٩].

---

(١) المحاسن، ص ٢٤١.
(٢) التوحيد، ص ٣٢٩ باب ٥٣ ح ٣.
(٣) - (٤) التوحيد، ص ٣٢٩ باب ٥٣ ح ٦ و٧.
(٥) بصائر الدرجات، ص ٨٩ ج ٢ باب ١٠ ح ٧.
(٦) التوحيد، ص ٣٣٠ باب ٥٣ ح ٨.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٨) سورة لقمان، الآية: ٢٥.
(٩) التوحيد، ص ٣٣٠ باب ٥٣ ح ٩.

١٢ - **سن:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن ابن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ ما الحنيفيّة؟ قال: هي الفطرة الّتي فطر الناس عليها، فطر الله الخلق على معرفته.(١)

١٣ - **سن:** أبي، عن عليّ بن النعمان، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: فطرهم على معرفته أنّه ربّهم، ولولا ذلك لم يعلموا - إذا سئلوا - من ربّهم ولا من رازقهم(٢).

١٤ - **سن:** المحسّن بن أحمد، عن أبان الأحمر، عن أبي جعفر الأحول، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: عروة الله الوثقى: التوحيد، والصبغة: الإسلام(٣).

بيان: قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله الّتي فطر الناس عليها، فإنّها حلية الإنسان، كما أنّ الصبغة حلية المصبوغ، أو هدانا هدايته وأرشدنا حجّته، أو طهّر قلوبنا بالإيمان تطهيره. وسمّاه صبغةً لأنّه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ، وتداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب، أو للمشاكلة فإنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه العمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقّق نصرانيّتهم(٤).

١٥ - **مع:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن فضالة، عن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: هي الإسلام(٥).

١٦ - **سن:** ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾(٦) قال: ثبتت المعرفة في قلوبهم، ونسوا الموقف، وسيذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ولا من رازقه(٧).

١٧ - **سن:** البزنطيّ، عن رفاعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ قال: نعم لله الحجّة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا - وقبض يده -(٨).

١٨ - **شف:** من كتاب القاضي القزوينيّ، عن هارون بن موسى التلعكبريّ عن محمّد بن

---

(١) - (٢) - (٣) المحاسن، ص ٢٤١.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٤٦. وفيه: المعموديّة وهو الصواب.
(٥) معاني الأخبار، ص ١٨٨.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٧) المحاسن، ص ٢٤١.
(٨) المحاسن، ص ٢٤٢.

سهل، عن الحميريّ، عن ابن يزيد، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: هي التوحيد، وأنّ محمّداً رسول الله - صلى الله عليه وآله - وأن عليّاً أمير المؤمنين - عليه السلام -.

١٩ - شي: عن زرارة، عن أبي جعفر وحمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصبغة الإسلام(١).

٢٠ - شي: عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: الصبغة معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية في الميثاق(٢).

٢١ - شي: عن الوليد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الحنيفيّة هي الإسلام(٣).

٢٢ - غو: قال النبيّ صلى الله عليه وآله : كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه(٤).

بيان: قال السيّد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر - بعد نقل بعض التأويلات عن المخالفين في هذا الخبر -: والصحيح في تأويله أنّ قوله: يولد على الفطرة يحتمل أمرين: أحدهما أن تكون الفطرة ههنا الدين، ويكون «على» بمعنى اللاّم فكأنّه قال: كلّ مولود يولد للدين ومن أجل الدين؛ لأنّ الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلّفين إلاّ ليعبده فينتفع بعبادته، يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٥) والدليل على أنّ «على» يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكّيت عن أبي يزيد عن العرب أنّهم يقولون: صف عليّ كذا وكذا حتّى أعرفه، بمعنى صف لي، ويقولون: ما أغبطك عليّ يريدون ما أغبطك لي، والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض، وإنّما ساغ أن يريد بالفطرة الّتي هي الخلقة في اللّغة الدين من حيث كان هو المقصود بها؛ وقد يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلّق والاختصاص، وعلى هذا يتأوّل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أراد دين الله الّذي خلق الخلق له، وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أراد به أنّ ما خلق الله العباد له من العبادة والطاعة ليس ممّا يتغيّر ويختلف حتّى يخلق قوماً للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يريد بذلك الأمر وإن كان ظاهره ظاهر الخبر، فكأنّه قال: لاتبدّلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا.

---

(١) - (٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٨١ ح ١٠٨ و١٠٩ و١٠٣.

(٤) غوالي اللئالي، ج ١ ص ٣٥ الفصل ٤ ح ١٨. ورواه العامة كما في كتاب التاج ج ٤ ورواه البخاري في ج ٨ باب القدر [النمازي].

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

والوجه الآخر في تأويل قوله عليه السلام: الفطرة أن يكون المراد به الخلقة، وتكون لفظة «على» على ظاهرها لم يرد بها غيره، ويكون المعنى: كلُّ مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانيّة الله تعالى وعبادته والإيمان به؛ لأنّه عزّ وجلّ قد صوّر الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان به، وإن لم ينظروا ويعرفوا؛ فكأنّه عليه السلام قال: كلّ مخلوق ومولود فهو يدلّ بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار يهوديّاً أو نصرانيّاً، وهذا الوجه أيضاً يحتمله قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾. وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة والسلام: حتّى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه[1] يحتمل وجهين: أحدهما أنَّ من كان يهوديّاً أو نصرانيّاً ممّن خلقته لعبادتي وديني فإنّما جعله أبواه كذلك، أو من جرى مجراهما ممّن أوقع له الشبهة وقلّده الضلال عن الدين، وإنّما خصَّ الأبوين لأنَّ الأولاد في الأكثر ينشأون على مذاهب آبائهم ويألفون أديانهم ونحلهم، ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم، وأنّه إنّما خلقهم للإيمان فصدّهم عنه آباؤهم، أو من جرى مجراهم. والوجه الآخر: أن يكون معنى يهوّدانه وينصّرانه أي يلحقانه بأحكامهما لأنّ أطفال أهل الذمّة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم فكأنّه عليه السلام قال: لا تتوهّموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنّهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا إلاّ للإيمان والدين الصحيح، لكن آباؤهم هم الّذين أدخلوهم في أحكامهم؛ وعبّر عن إدخالهم في أحكامهم بقوله: يهوّدانه وينصّرانه[2].

١٢ - باب إثبات قدمه تعالى وامتناع الزوال عليه

١ - **لي:** ابن المتوكّل، عن السعد آباديّ، عن البرقيّ، عن البزنطيّ، عن أبي الحسن الموصليّ، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين متى كان ربّك؟ فقال له: ثكلتك أمّك ومتى لم يكن حتّى يقال: متى كان، كان ربّي قبل القبل بلا قبل، ويكون بعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنه فهو منتهى كلّ غاية[3].

ج: مرسلاً بزيادة قوله: فقال: يا أمير المؤمنين أفنبيٌّ أنت؟ فقال: ويلك إنّما أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله[4].

يد: بالإسناد المتقدّم مع تلك الزيادة.

---

(١) قال المطرزي: الفطرة: الخلقة، ثم إنها جعلت للخلقة القابلة لدين الحق على الخصوص وعليه الحديث المشهور [النمازي].

(٢) أمالي المرتضى ج ٤ ص ٣.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٥٣٤ مجلس ٩٦ ح ١.

(٤) الاحتجاج للطبرسي، ص ٢١٠.

وقال الصدوق بعده: يعني بذلك عبد طاعة لا غير ذلك[١].

بيان: لمّا كان «متى كان» سؤالاً عن الزمان المخصوص من بين الأزمنة لوجوده، ولا يصحُّ فيما لا اختصاص لزمان به أجابه عليه السلام بقوله: متى لم يكن حتّى يقال متى كان، ونبّه على بطلان الاختصاص الّذي أخذ في السؤال، ثمّ بيّن عليه السلام سر مديّته، فقال: كان ربّي قبل القبل أي هو قبل كلّ ما هو قبل شيء ولا قبل بالنسبة إليه، وبعد كلّ ما هو بعد شيء ولا شيء بعده، أو هو قبل الموصوف بالقبليّة والبعديّة لذاته أي الزمان وبعده بلا زمان إذ هو مبدأ كلّ شيء وغاية له، والغاية: نهاية الامتداد، وقد يطلق على نفس الامتداد، والمعنى: أنّه لا غاية لوجوده وسائر كمالاته أزلاً وأبداً، ولعلّ المراد بها ثانياً نفس الامتداد أي ليس لما يتوهّم له من الامتداد نهاية.

ويحتمل أن يكون المراد بها أوّلاً أيضاً الامتداد فيكون مجروراً أي بلا امتداد زمانيّ، ويحتمل أن يكون المراد بها ثانياً أيضاً النهاية، أي كلّ ما توهّمت أنّه غاية له فهو موجود بعده، ولا ينتهي إليه وجوده فكلّ غاية أي امتداد أو نهاية ينقطع عنه لوجوده تعالى قبله وبعده فهو منتهى كلّ غاية أي بعدها. أو هو علّة لها وإليه ينتهي وجودها، فكيف تكون غاية له؟ ويحتمل أن يكون المراد بالغايات نهايات أفكار العارفين فإنّها منقطعة عنه لا تصل إليه، ويكونه منتهى كلّ غاية أنّه منتهى رغبات الخلائق وحاجاتهم، ويمكن أن يحمل الغاية في الأخيرتين على العلّة الغائيّة أيضاً، والله يعلم.

٢ - مع: ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ابن ابن أُذينة، عن محمّد ابن حكيم، عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام - وقد سئل عن قوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ - فقال: الأوّل لا عن أوّل قبله ولا عن بدء سبقه، وآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين، ولكن قديم أوّل آخر، لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال، خالق كلّ شيء[٢].

بيان: لا عن أوّل قبله أي لا مبتدئ عن أوّل يكون قبله زماناً ولا عن بدء على وزن فعل، أو بدئ على وزن فعيل أي مبتدأ سبقه رتبة بالعلّيّة وقوله: لا عن نهاية أي لا معها مجازاً. ويحتمل أن تكون «عن» تعليليّة أي ليست آخريّته بسبب أنّ له نهاية بعد نهاية غيره. وقوله: لا يقع عليه الحدوث ناظر إلى الأوّل. وقوله عليه السلام: ولا يحول من حال إلى حال ناظر إلى الآخر أي آخريّته بأنّه أبديٌّ بجميع صفاته لا يعتريه تغيّر في شيء من ذلك. وسيأتي تحقيقه في باب الأسماء.

٣ - ج: سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الله عزّ وجلّ متى كان؟ فقال

---

(١) التوحيد، ص ١٧٤ باب ٢٨ ح ٣.
(٢) معاني الأخبار، ص ١٢.

له: ويلك أخبرني أنت متى لم يكن حتّى أخبرك متى كان؛ سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً[١].

يد: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن الثماليّ مثله[٢].

فس: أبي، عن ابن محبوب، عن الثماليّ، عن أبي الربيع مثله.

٤ - يد: أبي، عن سعد، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سنان، عن إسحاق بن حرث، عن أبي بصير قال: أخرج أبو عبد الله عليه السلام حقّاً فأخرج منه ورقة فإذا فيها: سبحان الواحد الّذي لا إله غيره، القديم المبدىء الّذي لا بدء له، الدائم الّذي لا نفاد له، الحيّ الّذي لا يموت، الخالق ما يرى وما لا يرى، العالم كلّ شيء بغير تعليم، ذلك الله الّذي لا شريك له[٣].

٥ - يد: ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن محمّد بن أحمد، عن عبد الله بن محمّد، عن عليّ بن مهزيار قال: كتب أبو جعفر عليه السلام إلى رجل بخطّه - وقرأته - في دعاء كتب به أن يقول: يا ذا الّذي كان قبل كلّ شيء، ثمّ خلق كلّ شيء، ثمّ يبقى ويفنى كلّ شيء، ويا ذا الّذي ليس في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهنّ ولا بينهنّ ولا تحتهنّ إله يعبد غيره[٤].

٦ - يد: محمّد بن الفضل بن محمّد بن إسحاق المذكّر، عن إبراهيم بن محمّد بن سفيان، عن عليّ بن سلمة اللّبقيّ، عن إسماعيل بن يحيى، عن عبد الله بن عبد الله بن طلحة، عن سعدبن سنان، عن الضحّاك، عن النزال بن سبرة قال: جاء يهوديٌّ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين متى كان ربّنا؟ قال: فقال له عليٌّ عليه السلام: إنّما يقال: متى كان لشيء لم يكن فكان، وربّنا هو كائن بلا كينونة كائن، كان بلا كيف يكون، كان لم يزل بلا لم يزل وبلا كيف يكون تبارك وتعالى ليس له قبل هو قبل القبل بلا قبل وبلا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية إليها غاية انقطعت الغايات عنه فهو غاية كلّ غاية[٥].

بيان: بلا كينونة كائن أي كان ولم يحدث حادث بعد أو لا على نحو حدوث الحوادث قال الفيروزآباديّ: الكون: الحدث كالكينونة. قوله: بلا كيف يكون أي صيغة موجودة زائدة، ولعلّ الوصف بقوله: يكون للإشعار بأنّه إذا كان له كيف يكون حادثاً لا محالة. قوله عليه السلام: بلا لم يزل أي بلا زمان قديم موجود يسمّى بلم يزل ليكون معه قديماً ثانياً. وقوله عليه السلام ثانياً: بلا كيف يكون تأكيد لما سبق، ويحتمل أن يكون الأوّل لنفي الكيفيّات

(١) الاحتجاج، ص ٣٢١.
(٢) التوحيد، ص ١٧٣ باب ٢٨ ح ١.
(٣) التوحيد، ص ٤٦ باب ٢ ح ٨.
(٤) التوحيد، ص ٤٧ باب ١ ح ١١.
(٥) التوحيد، ص ٧٧ باب ٢ ح ٣٣.

الجسمانيّة أو الحادثة، والثاني لنفي الصفات الحقيقيّة الزائدة أو القديمة؛ ويحتمل أن يكون المراد بالأخير أنّه ليس لوجوده في الأزل واتّصافه بها كيف، فيكون إشارة إلى نفي معلوليّة الوجود أو زيادته. وفي الكافي بسند آخر: كيف يكون له قبل. وهوأظهر كما سيأتي أيضاً. قوله عليه السلام: بلا غاية أي امتداد وزمان موجود. ولا منتهى غاية أي في الأزل. ولا غاية أي منتهى ينتهي إليها غاية أي امتداد في لا يزال.

٧ - **يد:** ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن سهل، عن عمرو بن عثمان، عن محمّد بن يحيى الخزّاز، عن محمّد بن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رأس الجالوت لليهود: إنّ المسلمين يزعمون أنّ عليّاً من أجدل الناس وأعلمهم، اذهبوا بنا إليه لعلّي أسأله عن مسألة أخطّئه فيها. فأتاه فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أريد أن أسألك عن مسألة. قال: سل عمّا شئت. قال: يا أمير المؤمنين متى كان ربّنا؟ قال: يا يهوديّ إنّما يقال «متى كان» لمن لم يكن فكان؛ هو كائن بلا كينونة كائن، كان بلا كيف، يا يهوديّ كيف يكون له قبل وهو قبل القبل؟ بلا غاية ولا منتهى غاية، ولا غاية إليها غاية، انقطعت الغايات عنه فهو غاية كلّ غاية. فقال: أشهد أنّ دينك الحقّ وأنّ ما خالفه باطل(١).

أقول: قد أثبتنا خبر محمّد بن عبد الله الخراسانيّ في باب إثبات الصانع، وسيأتي كثير من الأخبار في باب نفي الزمان والمكان، وسائر الأبواب مشحونة بما يناسب الباب من الأخبار.

١٣ - باب نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد وأنه لا يدرك بالحواسّ والأوهام، والعقول والأفهام

الآيات: **الأنعام** «٩١» والحجّ «٧٤» والزمر «٦٧»: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

١ - **ما:** محمّد بن أحمد بن شاذان القمّيّ، عن أبيه، عن محمّد بن الحسن، عن سعد، عن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن بلال، عن محمّد بن بشير الدهّان، عن محمّد بن سماعة قال: سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له: أخبرني أيّ الأعمال أفضل؟ قال: توحيدك لربّك، قال: فما أعظم الذنوب؟ قال: تشبيهك لخالقك(٢).

٢ - **نص:** عليّ بن الحسين، عن هارون بن موسى، عن محمّد بن همّام، عن الحميريّ، عن عمر بن عليّ العبديّ، عن داود بن كثير الرقّيّ، عن يونس بن ظبيان قال: دخلت على

---

(١) التوحيد، ص ١٧٥ باب ٢٨ ح ٦.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٩٧. مجلس ٣٩ ح ١٤٥٨.

الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله إنّي دخلت على مالك وأصحابه فسمعت بعضهم يقول: إنّ لله وجهاً كالوجوه وبعضهم يقول: له يدان! واحتجّوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾ وبعضهم يقول: هو كالشابّ من أبناء ثلاثين سنة! فما عندك في هذا يا بن رسول الله؟ قال: - وكان متكئاً فاستوى جالساً - وقال: اللهمّ عفوك عفوك. ثمّ قال: يا يونس من زعم أنّ لله وجهاً كالوجوه فقد أشرك، ومن زعم أنّ لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله فلا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون بصفة المخلوقين، فوجه الله أنبياؤه وأولياؤه وقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾ اليد: القدرة، كقوله: ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾، فمن زعم أنّ الله في شي، أو على شيء، أو يحول من شيء إلى شيء، أو يخلو منه شيء، أو يشتغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين؛ والله خالق كلّ شيء لا يقاس بالقياس، ولا يشبه بالناس، لايخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، قريبٌ في بعده، بعيدٌ في قربه ذلك الله ربّنا لا إله غيره، فمن أراد الله وأحبّه بهذه الصفة فهو من الموحّدين، ومن أحبّه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه برآء[١].

٣ - **لي:** محمّد بن محمّد بن عاصم، عن الكلينيّ، عن علاّن، عن محمّد بن الفرج الرخجيّ قال: كتبت إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام أسأله عمّا قال هشام بن الحكم في الجسم، وهشام بن سالم في الصورة. فكتب عليه السلام: دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان، ليس القول ماقال الهشامان[٢].

يد: الدقّاق، عن الكلينيّ، عن عليّ بن محمّد رفعه عن الرخجيّ مثله[٣].

بيان: لا ريب في جلالة قدر الهشامين وبراءتهما عن هذين القولين، وقد بالغ السيّد المرتضى قدّس الله روحه في براءة ساحتهما عمّا نسب إليهما في كتاب الشافي، مستدلاً عليها بدلائل شافية، ولعلّ المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندةً كما نسبوا المذاهب الشنيعة إلى زرارة وغيره من أكابر المحدّثين، أو لعدم فهم كلامهما؛ فقد قيل: إنّهما قالا بجسم لا كالأجسام، وبصورة لا كالصور، فلعلّ مرادهما بالجسم الحقيقة القائمة بالذات، وبالصورة الماهيّة، وإن أخطآ في إطلاق هذين اللّفظين عليه تعالى.

قال المحقّق الدوانيّ: المشبّهة منهم من قال: إنّه جسم حقيقة، ثمّ افترقوا فقال بعضهم: إنّه مركّب من لحم ودم. وقال بعضهم: هو نور متلألىء كالسبيكة البيضاء، طوله سبعة أشبار بشبر نفسه. ومنهم من قال: إنّه على صورة إنسان؛ فمنهم من يقول: إنّه شابٌّ أمرد جعد قطط؛ ومنهم من قال: إنّه شيخ أشمط الرأس واللّحية؛ ومنهم من قال: هو في جهة الفوق

(١) كفاية الأثر، ص ٢٥٥.
(٢) أمالي الصدوق، ص ٢٢٨ مجلس ٤٧ ح ١.
(٣) التوحيد، ص ٩٧ باب ٦ ح ٢.

مماسٌّ للصفحة العليا من العرش، ويجوز عليه الحركة والانتقال وتبدّل الجهات، وتئطّ العرش تحته أطيط الرحل الجديد تحت الراكب الثقيل، وهو يفضل عن العرش بقدر أربع أصابع؛ ومنهم من قال: هو محاذ للعرش غير مماسّ له، وبعده عنه بمسافة متناهية، وقيل: بمسافة غير متناهية، ولم يستنكف هذا القائل عن جعل غير المتناهي محصوراً بين حاصرين؛ ومنهم من تستّر بالكفّة فقال: هو جسم لا كالأجسام وله حيّز لا كالأحياز، ونسبته إلى حيّزه ليس كنسبة الأجسام إلى أحيازها، وهكذا ينفي جميع خواصّ الجسم عنه حتّى لا يبقى إلاّ اسم الجسم؛ وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرّحين بالجسميّة انتهى.

وقال الشهرستانيّ: حكى الكعبيّ عن هشام بن الحكم أنّه قال: هو جسم ذو أبعاض، له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا تشبهه، ونقل عنه أنّه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنّه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة، وأنّه يتحرّك وحركته فعله، وليست من مكان إلى مكان، وقال: هو متناه بالذات غير متناه بالقدر!.

وحكى عنه أبو عيسى الورّاق أنّه قال: إنّ الله تعالى مماسٌّ لعرشه لا يفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عنه شيء.

وقال هشام بن سالم: إنّه تعالى على صورة إنسان، أعلاه مجوّف، وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ، وله حواسّ خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء، وهو نور أسود لكنّه ليس بلحم ولا دم.

ثمّ قال: وغلا هشام بن الحكم في حقّ عليّ عليه السلام حتّى قال: إنّه إله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول، لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة فإنّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنّه ألزم العلاّف فقال: إنّك تقول: إنّ الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنّه عالم بعلم ويباينها في أنّ علمه ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين، فلم لا تقول: هو جسم لا كالأجسام؟ وصورة لا كالصور، وله قدر لا كالأقدار، إلى غير ذلك. انتهى[1].

أقول: فنظهر أنّ نسبة هذين القولين إليهما إمّا لتخطئة رواة الشيعة وعلمائهم لبيان سفاهة آرائهم، أو أنّهم لمّا ألزموهم في الاحتجاج أشياء إسكاتاً لهم نسبوها إليهم، والأئمّة عليهم السلام لم ينفوها عنهم إمّا للتبرّي عنهم إبقاءاً عليهم، أو لمصالح أخر. ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أنّ المراد: ليس هذا القول الّذي تقول ما قال الهشامان بل قولهما مباين لذلك. ويحتمل أن يكون هذان مذهبهما قبل الرجوع إلى الأئمّة عليهم السلام والأخذ بقولهم، فقد قيل: إنّ هشام بن الحكم كان قبل أن يلقي الصادق عليه السلام على رأي جهم بن صفوان، فلمّا تبعه عليه السلام تاب

(١) الملل والنحل ص ١٨٣.

ورجع إلى الحقّ، ويؤيّده ما ذكره الكراجكيّ في كنز الفوائد في الردّ على القائلين بالجسم بمعنييه حيث قال: وأمّا موالاتنا هشاماً رحمه الله فهي لما شاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم الّذي كان ينصره، ورجوعه عنه، وإقراره بخطئه فيه وتوبته منه؛ وذلك حين قصد الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام إلى المدينة فحجبه، وقيل له: إنّه أمرنا أن لا نوصلك إليه ما دمت قائلاً بالجسم، فقال: والله ما قلت به إلاّ لأنّي ظننت أنّه وفاق لقول إمامي، فأمّا إذا أنكره عليّ فإنّني تائبٌ إلى الله منه؛ فأوصله الإمام عليه السلام إليه ودعا له بخير وحفظ[1].

٤ - عن الصادق عليه السلام أنّه قال لهشام: إنَّ الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكلّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه[2].

٥ - وروي عنه أيضاً أنّه قال: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلاّ هو، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا يحدّ ولا يحسّ، ولا تدركه الأبصار، ولا يحيط به شيء، ولا هو جسم ولا صورة ولا بذي تخطيط ولا تحديد[3].

٦ - شي: عن جابر الجعفيّ قال: قال محمّد بن عليّ عليه السلام: يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله، يزعمون أنَّ الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتّخذها مصلّى، يا جابر إنّ الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه، تعالى عن صفة الواصفين، وجلّ عن أوهام المتوهّمين، واحتجب عن عين الناظرين، ولا يزول مع الزائلين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم[4].

٧ - شي: عن هشام المشرقيّ، عن أبي الحسن الخراسانيّ، قال: إنَّ الله - كما وصف نفسه - أحد صمد نور، ثمّ قال: بل يداه مبسوطتان. فقلت له: أفله يدان هكذا؟ - وأشرت بيدي إلى يده - فقال: لو كان هكذا كان مخلوقاً[5].

٨ - ج: في سؤال الزنديق برواية هشام، عن الصادق عليه السلام، لا جسم ولا صورة ولا يحسّ ولا يجسّ، ولا يدرك بالحواسّ الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور، ولا تغيّره الأزمان. الخبر[6].

٩ - ج: قال الرضا عليه السلام: إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قال الله جلَّ جلاله: ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي، وما عرفني من شبّهني بخلقي، ولا على ديني من استعمل القياس في ديني[7].

---

(١) كنز الفوائد، ج ٢ ص ٤١.
(٢) التوحيد ص ٨٠ باب ٢ ح ٣٦.
(٣) أصول الكافي ج ١ باب ٣٤ ح ١.
(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٧٨ ح ٩٤.
(٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٥٨ ح ١٤٥.
(٦) الاحتجاج، ص ٣٣٢.
(٧) الاحتجاج، ص ٤١٠.

يد، ن، لي: ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن الريّان بن الصلت، عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله جلّ جلاله مثله[(١)].

١٠ - يد، لي: ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن الصقر بن دلف قال: سألت أبا الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام عن التوحيد وقلت له: إنّي أقول بقول هشام بن الحكم، فغضب عليه السلام ثمّ قال: ما لكم ولقول هشام؟ إنّه ليس منّا من زعم أنّ الله جسم، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة، يا ابن دلف إنّ الجسم محدَث، والله محدثه ومجسّمه[(٢)].

١١ - كش: عليّ بن محمّد، عن محمّد بن أحمد، عن ابن يزيد، عن الحسين بن بشّار، عن يونس بن بهمن قال: قال لي يونس: اكتب إلى أبي الحسن عليه السلام فاسأله عن آدم هل فيه من جوهريّة الله شيء! قال: فكتبت إليه، فأجاب: هذه المسألة مسألة رجل على غير السنّة. فقلت ليونس؛ فقال: لا يسمع ذا أصحابنا فيبرؤون منك، قال: قلت ليونس: يتبرّؤون منّي أو منك؟[(٣)].

١٢ - كش: طاهر بن عيسى، عن جعفر بن أحمد، عن الشجاعيّ، عن ابن يزيد، عن الحسين بن بشّار، عن الوشّاء، عن يونس بن بهمن قال: قال يونس بن عبد الرحمن: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام سألته عن آدم هل كان فيه من جوهريّة الربّ شيء؟ فكتب إليّ جواب كتابي: ليس صاحب هذه المسألة على شيء من السنّة، زنديق[(٤)].

بيان: الكلام في يونس وما نسب إليه أيضاً كما مرّ في الهشامين. وقال الشهرستانيّ: إنّه زعم أنّ الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الربّ وهو من مشبّهة الشيعة انتهى[(٥)].

١٣ - لي: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام: جعلت فداك أصلّي خلف من يقول بالجسم، ومن يقول بقول يونس - يعني ابن عبد الرحمن -؟ فكتب عليه السلام لا تصلّوا خلفهم ولا تعطوهم من الزكاة وابرؤوا منهم، برئ الله منهم[(٦)].

١٤ - لي: ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن أبي هاشم الجعفريّ قال: سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئته فجهلوك. وبه قدّروك والتقدير على غير ما وصفوك، وإنّي بريءٌ يا إلهي من الّذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك

---

(١) التوحيد، ص ٦٨ باب ٢ ح ٢٣، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٦ باب ١١ ح ٤، وأمالي الصدوق، ص ١٥ مجلس ٢ ح ٣.

(٢) التوحيد، ص ١٠٤ باب ٦ ح ٢٠ وأمالي الصدوق، ص ٢٢٨ مجلس ٤٧ ح ٢.

(٣) رجال الكشي، ص ٧٨٥ ح ٩٤٢.

(٤) رجال الكشي، ص ٧٨٧ ح ٩٤٩.

(٥) الملل والنحل، ص ١٨٦.

(٦) أمالي الصدوق، ص ٢٢٩ مجلس ٤٧ ح ٣.

شيء، إلهي ولن يدركوك، وظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي مندوحة أن يتناولوك، بل سوّوك بخلقك فمن ثمَّ لم يعرفوك، واتّخذوا بعض آياتك ربّاً فبذلك وصفوك، تعاليت ربّي عمّا به المشبّهون نعتوك[1].

بيان: وبه أي بالجهل. قوله: والتقدير على غير مابه وصفوك أي التقدير بما قدّروا به من المقادير الجسمانيّة ينافي ما وصفوك به من الربوبيّة، ويحتمل أن يكون المراد بالتقدير مطلق التوصيف أي ينبغي ويجب توصيفك على غيرما وصفوك به من الجسم والصورة. والمندوحة: السعة أي في التفكّر في خلقك والاستدلال به على عظمتك وتقدّسك عن صفات المخلوقين مندوحة عن أن يتفكّروا في ذاتك فينسبوا إليك ما لا يليق بجنابك، أو المعنى: إن التفكّر في الخلق يكفي في أن لا ينسبوا إليك هذه الأشياء.

يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن بعض أصحابنا قال: مرَّ أبو الحسن الرضا عليه السلام بقبر من قبور أهل بيته فوضع يده عليه، ثمَّ قال: إلهي بدت قدرتك. وذكر نحوه[2].

١٥ - **شا:** جاءت الرواية أنَّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم، إذ سمع قوماً يشبّهون الله بخلقه ففزع لذلك وارتاع له ونهض حتّى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف عنده ورفع صوته يناجي ربّه، فقال في مناجاته له: إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئته فجهلوك وقدّروك بالتقدير على غير ما به أنت شبّهوك. إلى آخر ما مرَّ[3].

١٦ - **ن:** ابن المتوكّل، عن عليّ بن إبراهيم، عن الصقر بن دلف، عن ياسر الخادم قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر[4].

١٧ - **يد:** الدقّاق، عن الكلينيّ، عن علاّن، عن سهل، عن إبراهيم بن محمّد الهمدانيّ قال: كتبت إلى الرجل - يعني أبا الحسن عليه السلام -: إنَّ من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة، فكتب عليه السلام بخطّه: سبحان من لا يحدّ ولا يوصف، ليس كمثله شيء وهوالسميع العليم أو قال: البصير[5].

١٨ - **يد، ن:** الفاميّ - في مسجد الكوفة - عن محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن إبراهيم ابن هاشم، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليّ بن موسى

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٤٨٧ مجلس ٨٩ ح ٢ وفيه: ولم تبد هيبتك.

(٢) التوحيد، ص ١٢٤ باب ٩ ح ٢.

(٣) الارشاد للمفيد، ص ٢٦٠ وفيه: ولم تبد هيئة جلالك.

(٤) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٠٥ باب ١١ ح ١.

(٥) التوحيد، ص ١٠٠ باب ٦ ح ٩.

الرضا عليه السلام قال: قلت له: يا ابن رسول الله إنّ الناس ينسبونا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمّة عليهم السلام ، فقال: يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار الّتي رويت عن آبائي الأئمّة عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار الّتي رويت عن النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك؟ فقلت: بل ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر قال: فليقولوا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في التشبيه والجبر إذاً. فقلت له: إنّهم يقولون: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً وإنّما روي عليه. قال: فليقولوا في آبائي الأئمّة عليهم السلام : إنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنّما روي عليهم. ثمّ قال عليه السلام : من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة، يا ابن خالد إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر الغلاة الّذين صغّروا عظمة الله تعالى، فمن أحبّهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبّنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برّنا، ومن برّهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردّنا، ومن ردّهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدّقهم فقد كذّبنا، ومن كذّبهم فقد صدّقنا، ومن أعطاهم فقد حرمنا، ومن حرمهم فقد أعطانا. يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتّخذنّ منهم وليّاً ولا نصيراً[١].

ج: عن الحسين بن خالد عنه عليه السلام مثله[٢].

١٩ - ج: الحسين بن عبد الرحمن الحمانيّ، قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام : إنّ هشام ابن الحكم زعم أنّ الله تعالى جسم ليس كمثله شيء، عالم سميع بصير، قادر متكلّم ناطق، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ليس شيء منها مخلوقاً. فقال: قاتله الله أما علم أنّ الجسم محدودٌ والكلام غير المتكلّم؟ معاذ الله وأبرأ إلى الله من هذا القول، لا جسم ولا صورة ولا تحديد، وكلّ شيء سواه مخلوق، وإنّما تكون الأشياء بإرادته ومشيئته من غير كلام ولا تردّد في نفس ولا نطق بلسان[٣].

يد: الدقّاق، عن محمّد الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن الحسين بن عبد الرحمن الحماني مثله[٤].

بيان: قوله: ليس كمثله شيء يومي إلى أنّه لم يقل بالجسميّة الحقيقيّة، بل أطلق عليه لفظ الجسم ونفى عنه صفات الأجسام، ويحتمل أن يكون مراده أنّه لا يشبهه شيء من الأجسام بل هو نوع مباين لسائر أنواع الأجسام، فعلى الأوّل نفى عليه السلام إطلاق هذا اللّفظ عليه تعالى بأنّ

---

(١) التوحيد، ص ٣٦٣ باب ٥٩ ح ١٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٣٠ باب ١١ ح ٤٥.
(٢) الاحتجاج، ص ٤١٤. (٣) الاحتجاج، ص ٣٨٥.
(٤) التوحيد، ص ١٠٠ باب ٦ ح ٨.

الجسم إنّما يطلق على الحقيقة الّتي يلزمها التقدير والتحديد فكيف يطلق عليه تعالى؟.

وقوله: يجري مجرى واحد إشارة إلى عينيّة الصفات وكون الذات قائمة مقامها فنفى عليه السلام كون الكلام كذلك، ثمّ نبّه على بطلان ما يوهم كلامه من كون الكلام من أسباب وجود الأشياء، فلفظة «كن» في الآية الكريمة كناية عن تسخيره للأشياء وانقيادها له، من غير توقّف على التكلّم بها. ثمّ نفى عليه السلام كون الإرادة على نحو إرادة المخلوقين من خطور بال، أو تردّد في نفس. ويحتمل أن يكون المقصود بما نسب إلى هشام كون الصفات كلّها مع زيادتها مشتركة في عدم الحدوث والمخلوقيّة، فنفاه عليه السلام بإثبات المغايرة أوّلاً ثمّ بيان أنّ كلّ شيء سواه مخلوق، والأوّل أظهر؛ ولفظة «تكون» يمكن أن تقرأ على المعلوم وعلى المجهول من باب التفعيل.

٢٠ - ج: عن يعقوب بن جعفر، عن أبي إبراهيم عليه السلام أنّه قال: لا أقول: إنّه قائم فأزيله عن مكان، ولا أحدّه بمكان يكون فيه، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح، ولا أحدّه بلفظ شقّ فم، ولكن كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(١)، بمشيئته من غير تردّد في نفس، صمداً فرداً لم يحتج إلى شريك يدبّر له ملكه، ولا يفتح له أبواب علمه(٢).

بيان: فأزيله عن مكانه أي فأقول: إنّه يجوز أن يزول ويتحرّك من مكان إلى آخر فيلزم مع كونه تعالى جسماً محتاجاً تبدّل الأحوال عليه. أو المعنى: أنّ القيام نسبة إلى المكان بخلوّ بعض المكان عن بعض القائم عنه، وشغل بعضه ببعضه، مع أنّ نسبته تعالى إلى جميع الأمكنة على السواء ولا يشتغل به مكان. وقوله: في شيء من الأركان أي بشيء من الأعضاء والجوارح، ويحتمل أن يكون «في» بمعناه ويكون المراد بها الحركة الكمّيّة. وقوله عليه السلام: بلفظ شقّ فم أي بكلمة تخرج من فلقة الفم عند تكلّمه بها.

٢١ - فس: محمّد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن إسماعيل، عن عليّ بن العبّاس، عن جعفر بن محمّد، عن الحسن بن اسيد، عن يعقوب بن جعفر قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى أنزل على عبده محمّد صلى الله عليه وآله أنّه لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم، ويسمّى بهذه الأسماء الرحمن الرحيم العزيز الجبّار العليّ العظيم، فتاهت هنالك عقولهم، واستخفّت حلومهم، فضربوا له الأمثال، وجعلوا له أنداداً، وشبّهوه بالأمثال، ومثّلوه أشباهاً، وجعلوه يزول ويحول، فتاهوا في بحر عميق لا يدرون ما غوره ولا يدركون [كنه] بعده(٣).

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.
(٢) الاحتجاج، ص ٣٨٦.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٤١.

٢٢ - **ب:** ابن عيسى، عن البزنطيّ قال: قلت له: جعلت فداك هم يقولون في الصفة فقال لي - هو ابتداءاً -: إنّ رسول الله ﷺ لمّا أسري به أوقفه جبرئيل عليه السلام موقفاً لم يطأه أحد قطّ فمضى النبيّ ﷺ فأراه الله من نور عظمته ما أحبّ. فوقّفته على التشبيه فقال: سبحان الله! دع ذا لا ينفتح عليك منه أمر عظيم[١].

بيان: فقال لي هو أبتداءاً أي من غير أن أذكر ما وصفوه من التشبيه، فوقّفته على التشبيه أي فذكرت له ما يقولون في التشبيه فأجابه عليه السلام بتنزيهه تعالى عن ذلك، ونهاه عن القول بذلك، والتفكّر فيه لئلاً ينفتح عليه من ذلك أمر عظيم هو الكفر والخروج عن الدين.

٢٣ - **يد:** المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد العسكريّ، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قام رجل إلى الرضا عليه السلام قال له: يا ابن رسول الله صف لنا ربّك فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا. فقال الرضا عليه السلام: إنّه من يصف ربّه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاع، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، أعرّفه بما عرّف به نفسه من غير رويّة، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة، لا يدرك بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه، ومتدان في بعده لا بنظير، لا يمثّل بخليقته، ولا يجور في قضيّته، الخلق إلى ما علم منقادون، وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون لا يعملون خلاف ما علم منهم ولا غيره يريدون، فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقصّ، يحقّق ولا يمثّل، ويوحّد ولا يبعّض، يعرف بالآيات ويثبت بالعلامات فلا إله غيره الكبير المتعال. ثمّ قال عليه السلام - بعد كلام آخر تكلّم به -: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه عن أبيه عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ قال: ما عرف الله من شبّهه بخلقه، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده[٢].

بيان: الظعن: السير، والتقصّي: البعد وبلوغ الغاية. يحقّق على المجهول أي يثبت وجوده. ولا يمثّل أي لا يوجد كنهه في الذهن.

٢٤ - **ضه:** روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال له رجل: أين المعبود فقال عليه السلام لا يقال له: أين لأنّه أيّن الأينيّة، ولا يقال له: كيف لأنّه كيّف الكيفيّة ولا يقال له: ما هو لأنّه خلق الماهيّة، سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيّار أمواج عظمته، وحصرت الألباب عند ذكر أزليّته، وتحيّرت العقول في أفلاك ملكوته[٣].

٢٥ - وروي عنه أيضاً - عليه السلام - أنّه قال: اتّقوا أن تمثّلوا بالربّ الّذي لا مثل له أو تشبّهوه من خلقه، أو تلقوا عليه الأوهام، أوتعملوا فيه الفكر، وتضربوا له الأمثال، أو تنعتوه بنعوت المخلوقين فإنّ لمن فعل ذلك ناراً[٤].

---

(١) قرب الاسناد، ص ٣٥٧ ذيل ح ١٢٧٥.
(٢) التوحيد، ص ٤٧ باب ٢ ح ٩.
(٣) روضة الواعظين، ص ٤٦.
(٤) روضة الواعظين، ص ٤٦.

٢٦ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن عبد الله بن جرير العبديّ، عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه كان يقول: الحمد لله الّذي لا يحسّ ولا يجسّ ولا يمسّ، ولا يدرك بالحواسّ الخمس، ولا يقع عليه الوهم، ولا تصفه الألسن، فكلّ شيء حسّته الحواسّ، أو جسّته الجواسُّ، أو لمسته الأيدي فهو مخلوق، والله هوالعليّ حيث ما يبتغي يوجد، والحمد لله الّذي كان قبل أن يكون كان، لم يوجد لوصفه كان، بل كان أزلاً كان كائناً، لم يكوّنه مكوّن جلّ ثناؤه، بل كوّن الأشياء قبل كونها فكانت كما كوّنها، علم ما كان وما هو كائن، كان إذ لم يكن شيء، ولم ينطق فيه ناطق، فكان إذ لا كان[١].

بيان: نفي كان إمّا لإشعاره بالحدوث كمامرّ، أو لعدم كونه زمانيّاً بناءاً على أنّ الزمان يخصّ المتغيّرات. ويدلّ الخبر على حدوث العالم.

٢٧ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن محمّد بن جعفر البغداديّ، عن سهل، عن أبي الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام أنّه قال: إلهي تاهت أوهام المتوهّمين وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلّت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوّك، فأنت الّذي لا تتناهى، ولم يقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات ثمّ هيهات يا أوّليّ يا وحدانيّ يا فردانيّ، شمخت في العلوّ بعزّ الكبر، وارتفعت من وراء كلّ غورة ونهاية بجبروت الفخر[٢].

بيان: أو الوقوع أي عليك، ويحتمل تعلّق قوله: بالبلوغ بالوقوع بأن تكون الباء ظرفيّة، ويحتمل أيضاً تنازع الوقوع والبلوغ في قوله: إلى علوّك. فأنت الّذي لا تتناهى أي ليس لمعرفتك ومعرفة صفاتك حدود تنتهي إليها، أو لعلمك وقدرتك ورحمتك وغيرها نهاية تقف عندها. والمراد بالعيون الجواسيس؛ أو بالفتح بمعنى حديد البصر إن ساعده الإستعمال، وإذا حمل على العيون - جمع العين بمعنى الباصرة - فإسناد العبارة إليها مجازيٌّ، ويحتمل أن تكون العبارة متعلّقة بقوله: لا تتناهي على اللفّ والنشر غير المرتّب. وشمخ: علا وطال. والغور: القعر من كلّ شيء أي ارتفعت عن أن يدرك كنه ذاتك وصفاتك بالوصول إلى غور الأفكار ونهايتها بسبب جبروت وعظمة ذاتيّة توجب الفخر.

٢٨ - يد: ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن داود بن القاسم قال: سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، ومن وصفه بالمكان فهو كافر، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب. ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٣] [٤].

---

(١) التوحيد، ص ٥٩ باب ٢ ح ١٧.
(٢) التوحيد، ص ٦٦ باب ٢ ح ١٩.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٥.
(٤) التوحيد، ص ٦٨ باب ٢ ح ٢٥.

٢٩ - يد: الفاميّ، عن محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، ومن أنكر قدرته فهو كافر[1].

٣٠ - يد: الفاميّ، عن محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن ابن أبي عمير، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من شبه الله بخلقه فهو مشرك، إنّ الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكلّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه.

قال الصدوق رحمه الله: الدليل على أنّ الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه من جهة من الجهات: أنّه لا جهة لشيء من أفعاله إلاّ محدثة، ولا جهة محدثة إلاّ وهي تدلّ على حدوث من هي له، فلو كان الله جلّ ثناؤه يشبه شيئاً منها لدلّت على حدوثه من حيث دلّت على حدوث من هي له، إذ المتماثلان في العقول يقتضيان حكماً واحداً من حيث تماثلا منها، وقد قام الدليل على أنّ الله عزّ وجلّ قديم، ومحال أن يكون قديماً من جهة حادثاً من أخرى. ومن الدليل على أنّ الله تبارك وتعالى قديم: أنّه لو كان حادثاً لوجب أن يكون له محدِثٌ لأنّ الفعل لا يكون إلاّ بفاعل، ولكان القول في محدثه كالقول فيه، وفي هذا وجود حادث قبل حادث لا إلى أوّل، وهو محالٌ، فيصحّ أنّه لا بدَّ من صانع قديم، وإذا كان ذلك كذلك فالّذي يوجب قدم ذلك الصانع ويدلّ عليه يوجب قدم صانعنا ويدلّ عليه[2].

٣١ - يد: ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن إبراهيم ابن الحكم بن ظهير، عن عبد الله بن جوين العبديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه كان يقول: الحمد لله الّذي لا يحسّ ولا يجسّ ولا يمسّ، ولا يدرك بالحواسّ الخمس، ولا يقع عليه الوهم، ولا تصفه الألسن، وكلّ شيء حسّته الحواسّ أو لمسته الأيدي فهو مخلوق؛ الحمد لله الّذي كان إذ لم يكن شيء غيره، وكون الأشياء فكانت كما كوّنها، وعلم ما كان وما هو كائن[3].

٣٢ - يد: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن القاسم، عن جدّه، عن يعقوب بن جعفر قال: سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام - وهو يكلّم راهباً من النصارى - فقال له في بعض ما ناظره: إنّ الله تبارك وتعالى أجلُّ وأعظم من أن يحدّ بيد، أو رجل أو حركة، أو سكون، أو يوصف بطول، أو قصر، أو تبلغه الأوهام، أو تحيط بصفته العقول، أنزل مواعظه ووعده ووعيده، أمر بلا شفة ولا لسان، ولكن كما شاء أن يقول: كن فكان خيراً كما أراد في اللّوح[4].

---

(١) التوحيد، ص ٧٦ باب ٢ ح ٣١.
(٢) التوحيد، ص ٨٠ باب ٢ ح ٣٦.
(٣) التوحيد، ص ٧٥ باب ٢ ح ٢٩.
(٤) التوحيد، ص ٧٥ باب ٢ ح ٣٠.

٣٣ - **يد:** حمزة بن محمّد العلويّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن محمّد بن حكيم قال: وصفت لأبي الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقيّ وما يقول في الشابّ الموفق، ووصفت له قول هشام بن الحكم فقال: إن الله عزّ وجلّ لا يشبهه شيء(١).

بيان: الموفق: هو الّذي أعضاؤه موافقة لحسن الخلقة؛ أو المستوي من قولهم: أوفقت الإبل: إذا اصطفت واستوت. وقيل: إنّه تصحيف الريق أي ذا البهجة والبهاء وقيل: هوتصحيف الموقّف - بتقديم القاف - بمعنى المزيّن، فإنّ الوقف سوار من عاج، ووقّفت يديها بالحنّاء نقّطتها، ويحتمل أن يكون تصحيف الموتق.

٣٤ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن سهل، عن حمزة بن محمّد قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة فكتب عليه السلام: سبحان من ليس كمثله شيء لا جسم ولا صورة(٢).

يد: العطّار، عن أبيه، عن سهل، عن بعض أصحابه مثله(٣).

يد: العطّار، عن أبيه، عن سهل، عن حمزة بن محمّد إلى قوله: شيء(٤).

أقول: رواه الكراجكيّ عن الحسين بن عبيد الله الواسطيّ، عن التلعكبريّ، عن الكلينيّ، عن محمّد بن الحسن، عن سهل.

٣٥ - **يد:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن عليّ بن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أنّ الله عزّ وجلّ جسمٌ صمديٌّ نوري، معرفته ضرورة، يمنّ بها على من يشاء من خلقه. فقال عليه السلام: سبحان من لا يعلم كيف هو إلاّ هو، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا يحدّ ولا يحسّ ولا يجسّ ولا يمسّ، ولا تدركه الحواسّ، ولا يحيط به شيء لا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد(٥).

بيان: معرفته ضرورة أي تقذف في القلب من غير اكتساب، أو تحصل بالرؤية تعالى الله عن ذلك. وقد يؤوّل كلامه بأنّ مراده بالجسم الحقيقة العينيّة القائمة بذاتها لا بغيرها، وبالصمديّ مالا يكون خالياً في ذاته عن شيء فيستعدّ أن يدخل هو فيه، أو مشتملاً على شيء يصحّ عليه خروجه عنه، وبالنوريّ ما يكون صافياً عن ظلم الموادّ وقابليّاتها بل عن الماهيّة المغايرة للوجود وقابليّاتها له.

٣٦ - **يد:** الدقّاق، عن محمّد الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، والحسين بن عليّ، عن صالح بن أبي حمّاد، عن بكر بن صالح، عن الحسين بن سعيد، عن

---

(١) التوحيد، ص ٩٧ باب ٦ ح ١. (٢) التوحيد، ص ٩٧ باب ٦ ح ٣.

(٣) - (٤) التوحيد، ص ١٠٢ باب ٦ ح ١٦ و١٧. (٥) التوحيد، ص ٩٨ باب ٦ ح ٤.

عبد الله بن المغيرة، عن محمّد بن زياد قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إنّ هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً، إلاّ أنّي أختصر لك منه أحرفاً، يزعم أنّ الله جسم لأنّ الأشياء شيئان، جسم، وفعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجوز أن يكون بمعنى فاعل. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويله! أما علم أنّ الجسم محدودٌ متناه، والصورة محدودةٌ متناهيةٌ، فإذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً. قال: قلت: فما أقول؟ قال عليه السلام: لا جسم ولا صورة، وهو مجسّم الأجسام، ومصور الصور لم يتجزّأ ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص؛ لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق، ولا بين المنشىء والمُنشأ، لكنّ هو المنشىء، فرق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه، إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبه هو شيئاً[1].

إيضاح: استدلّ عليه السلام على نفي جسميّته تعالى بأنّه لوكان جسماً لكان محدوداً بحدود متناهياً إليها، لاستحالة لا تناهي الأبعاد، وكلّ محتمل للحدّ قابل للانقسام بأجزاء متشاركة في الاسم والحدّ، فله حقيقة كلّيّة غير متشخّصة بذاتها ولا موجودة بذاتها أو هو مركّب من أجزاء حال كلّ واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقاً، أو بأنّ كلّ قابل للحدّ والنهاية قابلٌ للزيادة والنقصان لا يتأبّى عنهما في حدّ ذاته، وإن استقرّ على حدّ معيّن فإنّما استقرّ عليه من جهة جاعل. ثمّ استدلّ عليه السلام بوجه آخر وهو ما يحكم به الوجدان من كون الموجِد أعلى شأناً وأرفع قدراً من الموجَد، وعدم المشابهة والمشاركة بينهما، وإلاّ فكيف يحتاج أحدهما إلى العلّة دون الآخر؟ وكيف صار هذا موجداً لهذا بدون العكس؟ ويحتمل أن يكون المراد عدم المشاركة والمشابهة فيما يوجب الاحتياج إلى العلّة فيحتاج إلى علّة أُخرى. قوله: فرق بصيغة المصدر أي الفرق حاصل بينه وبين من صوّره؛ ويمكن أن يقرأ على الماضي المعلوم.

٣٧ - **يد:** عليّ بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه أحمد، عن البزنطيّ، عن محمّد بن حكيم قال: وصفت لأبي إبراهيم عليه السلام قول هشام الجواليقيّ، وحكيت له قول هشام بن الحكم: إنّه جسم فقال: إنّ الله لا يشبهه شيء؛ أيّ فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم، أو صورة، أو بخلقة، أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً[2].

بيان: الخناء: الفحش في القول، ويحتمل أن يكون الترديد من الراوي.

٣٨ - **يد:** ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن سهل، عن محمّد بن عليّ القاسانيّ قال: كتبت إليه عليه السلام: إنّ من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد، قال: فكتب عليه السلام: سبحان من لا يحدّ ولا يوصف ولا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير[3].

---

(١) التوحيد، ص ٩٩ باب ٦ ح ٧.
(٢) التوحيد، ص ٩٩ باب ٦ ح ٦.
(٣) التوحيد، ص ١٠١ باب ٦ ح ١٢.

٣٩ - **يد:** ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن عمران بن موسى، عن الحسن بن جريش الرازيّ، عن بعض أصحابنا، عن الطيّب - يعني عليّ بن محمّد - وعن أبي جعفر عليه السلام أنّهما قالا: من قال بالجسم فلا تعطوه من الزكاة ولا تصلّوا وراءه[١].

٤٠ - **نص:** أبو المفضّل الشيبانيّ، عن أحمد بن مطوّق بن سوار، عن المغيرة بن محمّد ابن المهلب، عن عبد الغفّار بن كثير، عن إبراهيم بن حميد، عن أبي هاشم، عن مجاهد، عن ابن عبّاس قال. قدم يهوديٌّ على رسول الله صلى الله عليه وآله - يقال له: نعثل - فقال: يا محمّد إنّي سائلك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك قال: سل يا أبا عمارة. فقال: يا محمّد صف لي ربّك، فقال عليه السلام: إنَّ الخالق لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الّذي تعجز الحواسُّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلَّ عمّا يصفه الواصفون، نأى في قربه، وقرب في نأيه كيّف الكيفيّة فلا يقال له: كيف، وأيّن الأين فلا يقال له: أين، هو منقطع الكيفوفيّة والأينونيّة، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

قال: صدقت يا محمّد أخبرني عن قولك: إنّه واحد لا شبيه له، أليس الله واحد والإنسان واحد؟ فوحدانيّته أشبهت وحدانيّة الإنسان. فقال عليه السلام: الله واحد وأحديّ المعنى، والإنسان واحد ثنويّ المعنى، جسم وعرض، وبدن وروح، فإنّما التشبيه في المعاني لا غير، قال: صدقت يا محمّد[٢].

٤١ - **يد:** ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن الأشعري، عن محمّد بن عيسى، عن هشام ابن إبراهيم العبّاسيّ قال: قلت له - يعني أبا الحسن عليه السلام - جعلت فداك أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة، قال: ومن هو؟ قلت: الحسن بن سهل قال: وفي أيّ شيء المسألة؟ قلت: في التوحيد، قال: وأيّ شيء من التوحيد؟ قال: يسألك عن الله جسم أو لا جسم؟ فقال لي: إنَّ للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: إثبات بتشبيه، ومذهب النفي، ومذهب إثبات بلا تشبيه، فمذهب الإثبات بتشبيه لا يجوز، ومذهب النفي لا يجوز، والطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيه[٣].

٤٢ - **يد:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن يعقوب السرّاج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ بعض أصحابنا يزعم أنَّ لله صورة مثل الإنسان وقال آخر إنّه في صورة أمرد جعد قطط! فخرَّ أبو عبد الله عليه السلام ساجداً ثمّ رفع رأسه فقال:

---

(١) التوحيد، ص ١٠١ باب ٦ ح ١١.
(٢) كفاية الأثر، ص ١١.
(٣) التوحيد، ص ١٠٠ باب ٦ ح ١٠.

سبحان الله الّذي ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار، ولا يحيط به علم، لم يلد لأنّ الولد يشبه أباه، ولم يولد فيشبه من كان قبله، ولم يكن له من خلقه كفواً أحد، تعالى عن صفة من سواه علوّاً كبيراً[1].

بيان: الجعد: ضدّ السبط، قال الجزريّ في صفة شعره عليه السلام: ليس بالسبط ولا الجعد القطط؛ السبط من الشعر: المنبسط المسترسل، والقطط، الشديد الجعودة.

٤٣ - **كش:** محمّد بن مسعود، عن عليّ بن محمّد القمي، عن البرقيّ، عن محمّد بن موسى بن عيسى، عن أسكيب بن أحمد الكيسانيّ، عن عبد الملك بن هشام الخيّاط قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام أسألك جعلني الله فداك؟ قال: سل يا جبليّ، عمّا ذا تسألني؟ فقلت: جعلت فداك زعم هشام بن سالم أنّ لله عزّ وجلّ صورة، وأنّ آدم خلق على مثال الربّ، فيصف هذا ويصف هذا - أومأت إلى جانبيّ وشعر رأسي - وزعم يونس مولى آل يقطين وهشام بن الحكم أنّ الله شيء لا كالأشياء، وأنّ الأشياء بائنة منه، وأنّه بائن من الأشياء، وزعما أنّ إثبات الشيء أن يقال: جسم، فهو جسم لا كالأجسام، شيء لا كالأشياء، ثابت موجود غير مفقود ولا معدوم، خارج عن الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، فبأيّ القولين أقول؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: أراد هذا الإثبات، وهذا شبّه ربّه تعالى بمخلوق، تعالى الله الّذي ليس له شبه ولا مثل ولا عدل ولا نظير، ولا هو بصفة المخلوقين، لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم، وقل بما قال مولى آل يقطين وصاحبه. قال: فقلت: يعطى الزكاة من خالف هشاماً في التوحيد؟ فقال برأسه: لا[2].

بيان: أراد هذا الإثبات أي يونس وهشام بن الحكم، ولعلّه عليه السلام إنّما صوّب قولهما في المعنى لا في إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى، ويظهر ممّا زعما، «من أنّ إثبات الشيء أن يقال جسم» أنّ مرادهم بالجسم أعمّ من المعنى المصطلح كما مرّ.

٤٤ - **يد:** ماجيلويه، عن عمّه، عن محمّد بن عليّ الصيرفيّ، عن عليّ بن حمّاد، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لا يقدّر قدرته ولا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه علمه، ولا مبلغ عظمته، وليس شيء غيره، وهو نورٌ ليس فيه ظلمةٌ، وصدقٌ ليس فيه كذب، وعدلٌ ليس فيه جورٌ، وحقٌ ليس فيه باطلٌ، كذلك لم يزل ولا يزال أبد الآبدين، وكذلك كان إذ لم تكن أرضٌ ولا سماءٌ، ولا ليلٌ ولا نهارٌ، ولا شمسٌ ولا قمرٌ، ولا نجومٌ ولا سحابٌ، ولا مطرٌ ولا رياحٌ، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أنّ يخلق خلقاً يعظّمون عظمته، ويكبّرون كبرياءه، ويُجلّون جلاله، فقال: كونا ظلّين، فكانا كما قال الله تبارك وتعالى.

---

(١) التوحيد، ص ١٠٢ باب ٦ ح ١٩. (٢) رجال الكشي، ص ٥٦٧ ح ٥٠٣.

قال الصدوق رحمه الله : معنى قوله: هو نور أي هو منير وهاد، ومعنى قوله: كونا ظلّين الروح المقدّس والملك المقرّب، والمراد به أنّ الله كان ولا شيء معه فأراد أن يخلق أنبياءه وحججه وشهداءه فخلق قبلهم الروح المقدّس، وهو الّذي يؤيد الله عزّ وجلّ به أنبياءه وشهداءه وحججه صلوات الله عليهم، وهو الّذي يحرسهم به من كيد الشيطان ووسواسه، ويسدّدهم ويوفّقهم ويمدّهم بالخواطر الصادقة، ثمّ خلق الروح الأمين الّذي نزل على أنبيائه بالوحي منه عزّ وجلّ وقال لهما: كونا ظلّين ظليلين لأنبيائي ورسلي وحججي وشهدائي، فكانا كما قال الله عزّ وجلّ ظلّين ظليلين لأنبيائه ورسله وحججه وشهدائه، يعينهم بهما، وينصرهم على أيديهما، ويحرسهم بهما، وعلى هذا المعنى قيل للسلطان العادل: إنّه ظل الله في أرضه لعباده، يأوي إليه المظلوم، ويأمن به الخائف الوجل، ويأمن به السبل، وينتصف به الضعيف من القويّ، وهذا هو سلطان الله وحجّته الّتي لا تخلو الأرض منه إلى أن تقوم الساعة[١].

بيان: قوله عليه السلام : وليس شيء غيره أي كذلك، أو كان كذلك حين لا شيء غيره، ويحتمل اتصاله بما بعده أي هو متصف بتلك الاوصاف المذكورة بعد ذلك لا شيء غيره، وقوله عليه السلام : كونا ظلّين يحتمل أن يكون إشارة إلى خلق أرواح الثقلين، فإنّ الظلال تطلق على عالم الأرواح في الأخبار كما سيأتي، أو إلى الملائكة وأرواح البشر، أو إلى نور محمّد وعلي عليهما السلام ، أو نور محمّد ونور أهل بيته عليهم السلام ، ويؤيّده ما سيأتي في باب بدء خلق أرواح الأئمة عليهم السلام عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الله ولا شيء غيره، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمّداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان، ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر الخبر. وعن صفوان، عن الصادق عليه السلام قال: لمّا خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرّة، فقال عزّ وجلّ : هذان نوران لي مطيعان، فخلق الله من ذلك النور محمّداً وعليّاً والأصفياء من ولده عليهم السلام . وعن الثمالي قال: دخلت حبابة الوالبيّة على أبي جعفر عليه السلام فقالت: أخبرني يا ابن رسول الله أيّ شيء كنتم في الأظلّة؟ فقال عليه السلام : كنّا نوراً بين يدي الله قبل خلق خلقه. الخبر.

ويحتمل أن يكون المراد بهما مادّتي السماء والأرض.

٤٥ - فس: أبي، عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: قال لي: يا أحمد ما الخلاف بينكم وبين أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد؟ فقلت: جعلت فداك قلنا نحن بالصورة للحديث الّذي روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربّه في صورة شابّ! فقال هشام بن الحكم بالنفي بالجسم. فقال: يا أحمد إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسري به إلى السماء وبلغ عند سدرة

---

(١) التوحيد، ص ١٢٨ باب ٩ ح ٨.

المنتهى خرق له في الحجب مثل سمّ الإبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى، وأردتم أنتم التشبيه، دع هذا يا أحمد لا ينفتح عليك منه أمر عظيم[١].

بيان: بالنفي أي نفي الصورة مع القول بالجسم، والمراد بالحجب إمّا الحجب المعنويّة وبالرؤية الرؤية القلبيّة، أو الحجب الصوريّة، فالمراد بنورالعظمة آثارعظمته برؤية عجائب خلقه.

٤٦ - **سن:** محمّد بن عيسى، عن أبي هاشم الجعفريّ قال: أخبرني الأشعث بن حاتم أنّه سأل الرضا عليه السلام عن شيء من التوحيد فقال: ألا تقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: اقرأ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾. فقرأت فقال: وما الأبصار؟ قلت: أبصارالعين قال: لا إنّما عنى الأوهام، لا تدرك الأوهام كيفيّته وهو يدرك كلّ فهم[٢].

سن: محمّد بن عيسى، عن أبي هاشم، عن أبي جعفر عليه السلام نحوه، إلاّ أنّه قال: الأبصار ههنا أوهام العباد، والأوهام أكثر من الأبصار، وهو يدرك الأوهام ولا تدركه الأوهام[٣].

بيان: كون الأوهام أكثر لأنّ البصر في الشخص متّحد، وله واهمة ومتفكّرة ومتخيّلة وعاقلة، وكثيراً ما يسلب عن الشخص البصر وتكون له تلك القوى، ويحتمل أن يكون المراد بها أكثريّة مدركاتها فإنّها تدرك ما لا يدركه البصر أيضاً.

٤٧ - **شي:** عن الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول: لا يوصف الله بمحكم وحيه، عظم ربّنا عن الصفة، وكيف يوصف من لا يحدُّ، وهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللّطيف الخبير[٤].

بيان: أي دلّ محكم الآيات على أنّه لا يوصف كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

أقول: قد مرّ كثير من الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع، وباب النهي عن التفكّر، وسيأتي بعضها في باب جوامع التوحيد، وباب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على النصارى، وباب الرؤية.

١٤ - باب نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى وتأويل الآيات والأخبار في ذلك

١ - **لي:** السنانيّ، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن عمّه النوفليّ، عن عليّ بن سالم عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠ مقدمة المصنف.
(٢) - (٣) المحاسن، ص ٢٣٩.
(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٠٣ ح ٧٧.

مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون؛ بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والإنتقال، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً[1].

٢ - شا، ج: روي أنّ بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له: أنت خليفة رسول الله على الأمّة؟ فقال: نعم، فقال: إنّا نجد في التوراة أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أممهم، فخبّرني عن الله أين هو؟ في السماء هو أم في الأرض؟ فقال له أبو بكر: في السماء على العرش، قال اليهوديُّ: فأرى الأرض خاليةً منه، فأراه على هذا القول في مكان دون مكان! فقال له أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، أعزب عنّي وإلاّ قتلتك؛ فولّى الرجل متعجّباً يستهزىء بالإسلام، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا يهوديّ قد عرفت ما سألت عنه وما أُجبت به وإنّا نقول: إنّ الله عزّ وجلّ أيّن الأين فلا أين له، وجلّ من أن يحويه مكان، وهو في كلّ مكان بغير مماسّة ولا مجاورة، يحيط علماً بما فيها، ولا يخلو شيء من تدبيره تعالى، وإنّي مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم، يصدّق بما ذكرته لك فإن عرفته أتؤمن به؟ قال اليهوديّ: نعم، قال: ألستم تجدون في بعض كتبكم أنّ موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً. إذ جاءه ملك من المشرق فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله عزّ وجلّ، ثمّ جاءه ملك من المغرب فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله عزّ وجلّ، ثمّ جاءه ملك آخر، فقال له: من أين جئت؟ قال: قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عزّ وجلّ، وجاءه ملك آخر فقال: من أين جئت؟ قال: قد جئتك من الأرض السابعة السفلى من عند الله عزّ وجلّ، فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان؛ فقال اليهوديّ: أشهد أنّ هذا هو الحقُّ المبين، وأنّك أحقّ بمقام نبيّك ممّن استولى عليه[2].

بيان: عزب عنه يعزِب ويعزُب أي بعد وغاب، وفسّر عليه السلام قوله: وهو في كلّ مكان بما ذكره بعده ليظهر أنّ المراد به الإحاطة بالعلم والتدبير.

٣ - شا، ج: روى الشعبيّ أنّه سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول: والّذي احتجب بسبع طباق؛ فعلاه بالدرّة، ثمّ قال له: يا ويلك إنّ الله أجلّ من أن يحتجب عن شيء، أو يحتجب عنه شيء سبحان الّذي لا يحويه مكان، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ فقال الرجل: أفأُكفر عن يميني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا لم تحلف بالله فيلزمك الكفّارة وإنّما حلفت بغيره[3].

٤ - ج: في جواب أسئلة الزنديق المنكر للقرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: معنى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ فإنّما خاطب

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٣٠ مجلس ٤٧ ح ٧. (٢) الإرشاد، ص ١٠٨ والاحتجاج، ص ٢٠٩.
(٣) الإرشاد، ص ١٢٠ والاحتجاج، ص ٢١٠.

نبيّنا ﷺ هل ينتظر المنافقون والمشركون إلاّ أن تأتيهم الملائكة فيعاينوهم، أو يأتي ربّك، أو يأتي بعض آيات ربّك؟ يعني بذلك أمر ربّك، والآية هي العذاب في دار الدنيا كما عذّب الأمم السالفة، والقرون الخالية، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾ يعني بذلك ما يهلك من القرون فسمّاه إتياناً، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ يعني استوى تدبيره وعلا أمره، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌۚ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾ وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ فإنّما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة الّتي ركّبها فيهم على جميع خلقه، وأنّ فعلهم فعله. الخبر[1].

يد: في هذا الخبر: وقال في آية أخرى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ﴾ يعني أرسل عليهم عذاباً، وكذلك إتيانه بنيانهم؛ وقال الله عزّوجلّ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾، فإتيانه بنيانهم من القواعد إرسال العذاب[2].

تبيان: قال البيضاويّ: هل ينتظرون أي ما ينتظرون يعني أهل مكّة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لمّا كان يلحقهم لحوق المنتظر شبّهوا بالمنتظرين. إلاّ أن تأتيهم الملائكة ملائكة الموت أو العذاب. أو يأتي ربّك أي أمره بالعذاب، أو كلّ آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلّي لقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ يعني أشراط الساعة[3].

أقول: لعلّه ﷺ فسّر إتيان الربّ بالقيامة، وإتيان أمره تعالى بقيامها، وإتيان بعض الآيات بنزول العذاب في الدنيا، وإتيان الملائكة بظهورهم عند الموت، أو الأعمّ منه ومن غيره.

وقال الطبرسيّ رحمه الله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾ أي نقصدها. ننقصها من أطرافها اختلف في معناه على أقوال: أحدها: أولم ير هؤلاء الكفّار أنّا ننقص أطراف الأرض بإماتة أهلها. وثانيها: ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها. وثالثها: أنّ المراد نقصد الأرض ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها فننقص من أهل الكفر ونزيد في المسلمين، يعني ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك. ورابعها: أنّ معناه أولم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة، والموت بعدالحياة، والنقصان بعد الزيادة انتهى[4].

وأمّا ما ذكره ﷺ أخيراً في الخبر الأوّل فالظاهر تعلّقه بالثلاثة الأخيرة، فالمراد بالأولى نفوذ أمره تعالى في السماء والأرض، وخلقه الملائكة والحجج فيهما، وإنفاذهم أمره تعالى فيهما، وبالثانية كون الملائكة والحجج معهم شاهدين عليهم، وكذا الثالثة.

٥ - **ج:** عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ، عن أبي إبراهيم موسى ﷺ قال: ذكر عنده قوم زعموا أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا؛ فقال: إنّ الله لا ينزل ولا يحتاج إلى

---

(١) الاحتجاج، ص ٢٥٠.
(٢) التوحيد، ص ٢٦٦ باب ٢٦ ح ٥.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٦٢.
(٤) مجمع البيان، ج ٦ ص ٥٢.

أنّ ينزل، إنّما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه، وهو ذو الطول لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم؛ أمّا قول الواصفين: إنّه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكلّ متحرّك محتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به فمن ظنّ الله الظنون فقد هلك وأهلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ من نقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود فإنّ الله عزّوجلّ عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهّم المتوهّمين[1].

يد: الدقّاق: عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن عيّاش، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ مثله. وزاد في آخره: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[2] [3].

بيان: إنّما منظره أي نظره وعلمه وإحاطته، بأن يكون مصدراً ميمياً، أوما ينظر إليه في القرب والبعد منه سواء أي لا يختلف اطّلاعه على الأشياء بالقرب والبعد لأنّ القرب والبعد إنّما يجريان في المكانيّ بالنسبة إلى المكان، وهو سبحانه متعال عن المكان. والطول: الفضل والإنعام.

قوله: فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أي النزول المكانيّ إنّما يتصوّر في المتحيّز، وكل متحيّز موصوف بالتقدّر، وكلّ متقدّر متّصف بالنقص عمّا هو أزيد منه، وبالزيادة على ما هو أنقص منه، أو يكون في نفسه قابلاً للزيادة والنقصان، والوجوب الذاتيّ ينافي ذلك، لاستلزامه التجزّي والانقسام المستلزمين للإمكان؛ وأيضاً كلّ متحرّك محتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به لأنّ المتحرّك إمّا جسم أو متعلّق بالجسم، والجسم المتحرّك لابدّ له من محرّك لأنّه ليس يتحرّك بجسميّته، والمتعلّق بالجسم لابدّ له في تحركه من جسم يتحرّك به، وهو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المتحرّك، وعن التغيّر بمغيّر، وعن التعلّق بجسم يتحرّك به؛ ويحتمل أن يكون المراد بالأوّل الحركة القسريّة، وبالثاني ما يشمل الإراديّة والطبيعيّة، بأن يكون المراد بقوله: من يتحرّك به ما يتحرّك به من طبيعة أو نفس.

وقوله: من أن تقفوا من وقف يقف أي أن تقوموا في الوصف له وتوصيفه على حدّ فتحدّونه بنقص أو زيادة؛ ويحتمل أن يكون من قفا يقفو أي أن تتّبعوا له في البحث عن صفاته تتّبعاً على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة. وقوله: حين تقوم أي إلى التهجّد أو إلى الخيرات أو إلى الأمور كلّها، وتقلّبك في الساجدين أي تردّدك وحركاتك فيمابين المصلّين بالقيام والقعود والركوع والسجود.

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٨٦.
(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٧-٢١٩.
(٣) التوحيد، ص ١٧٨ باب ٢٨ ح ١٢.

٦ -ج: عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ قال سأل رجل - يقال له عبد الغفّار السلميّ - أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ فقال: أرى ههنا خروجاً من حجب وتدلّياً إلى الأرض، وأرى محمّداً صلى الله عليه وآله رأى ربّه بقلبه ونسب إلى بصره وكيف هذا؟ فقال أبو إبراهيم عليه السلام: دنى فتدلّى، فإنّه لم يدلّ عن موضع، ولم يتدلّ ببدن. فقال عبد الغفّار: أصفه بما وصف به نفسه حيث قال: دنى فتدلّى فلم يتدلّ عن مجلسه إلاّ قد زال عنه، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه. فقال أبو إبراهيم عليه السلام: إنّ هذه لغة في قريش إذا أراد الرجل منهم أن يقول: «قد سمعت» يقول: قد تدلّيت، وإنّما التدلّي: الفهم[1].

بيان: التدلّي: القرب، والنزول من علو، والإمتداد إلى جهة السفل، ويكون من التدلّل بمعنى الغنج؛ وما ذكره عليه السلام أنّ المراد به الفهم فهو على المجاز لأنّ من يريد فهم شيء يتدلّى إلى القائل ليسمعه ويفهمه. ثمّ اعلم أنّه قد اختلف في تفسير هذه الآية على وجوه:

الأول: أن تكون الضمائر راجعة إلى جبرئيل عليه السلام، فالمعنى: وهو أي جبرئيل بالأفق الأعلى «أفق السماء» ثمّ دنى من النبيّ صلى الله عليه وآله فتدلّى أي تعلّق به، وهو تمثيل لعروجه بالرسول صلى الله عليه وآله، أوتدلّى من الأفق الأعلى فدنى الرسول، فيكون إشعاراً بأنّه عرج به غير منفصل عن محلّه وتقريراً لشدّة قوّته، وقيل: المعنى: قرب فاشتدّ قربه، فكان البعد بينهما قاب قوسين أي قدرهما أو أدنى، والمقصود تمثيل ملكة الاتّصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبّس.

الثاني: أن تكون الضمائر راجعة إلى محمّد صلى الله عليه وآله أي ثمّ دنى محمّد من الخلق والأمّة، وصار كواحد منهم فتدلّى إليهم بالقول اللّيّن والدعاء الرفيق فالحاصل أنّه صلى الله عليه وآله استوى وكمل فدنى من الخلق بعد علوّه وتدلّى إليهم وبلّغ الرسالة.

الثالث: أن تكون الضمائر راجعة إلى الله تعالى، فيكون دنوّه كناية عن رفع مكانته، وتدلّيه عن جذبه بشراشره إلى جناب القدس، والحاصل أنّه مؤوّل بالدنوّ المعنويّ، والتقرّب والمعرفة واللّطف، على ما يؤوّل حديث «من تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً» وقيل: الدنوّ منه صلى الله عليه وآله، وهو كناية عن عظم قدره حيث انتهى إلى حيث لم ينته إليه أحد، والتدلّي منه تعالى كناية من غاية لطفه ورحمته.

٧ -لي، يد، ن: الدقّاق، عن الصوفيّ، عن الرويانيّ، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى ينزل كلّ ليلة إلى السماء

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٨٦.

الدنيا. فقال ﷺ: لعن الله المحرّفين للكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله ﷺ كذلك إنّما قال ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى يُنزل ملكاً إلى السماء الدنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة في أوّل اللّيل فيأمره فينادي: هل من سائل فأُعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل، يا طالب الشرّ أقصر؛ فلا يزال ينادي بهذا إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء. حدّثني بذلك أبي، عن جدّي، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ [(١)].

ج: مرسلاً مثله[(٢)].

بيان: الظاهر أنّ مراده عليه السلام تحريفهم لفظ الخبر، ويحتمل أن يكون المراد تحريفهم معناه بأن يكون المراد بنزوله تعالى إنزال ملائكته مجازاً.

ع: السنانيّ والدقّاق والمكتب والورّاق، عن الأسديّ مثله.

٨ - **لي:** السنانيّ، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى الله عن ذلك. قلت: فلمَ أسرى نبيّه محمّد ﷺ إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه. قلت: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ قال: ذاك رسول الله ﷺ دنى من حجب النور فرأى ملكوت السماوات، ثمّ تدلّى ﷺ فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتّى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى[(٣)].

٩ - **فس:** أبي، عن حمّاد، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الربّ تبارك وتعالى ينزل كلّ ليلة جمعة إلى سماء الدنيا من أوّل اللّيل، وفي كلّ ليلة في الثلث الأخير، وأمامه ملك ينادي: هل من تائب يتاب عليه؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟ اللّهم أعط كلّ منفق خلفاً وكلّ ممسك تلفاً؛ فإذا طلع الفجر عاد الربّ إلى عرشه فيقسّم الأرزاق بين العباد. ثمّ قال للفضيل بن يسار: يا فضيل نصيبك من ذلك وهو قول الله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[(٤)] [(٥)].

بيان: نزوله تعالى كناية عن تنزّله عن عرش العظمة والجلال، وأنّه مع غنائه عنهم من جميع الوجوه يخاطبهم بما يخاطب به من يحتاج إلى غيره تلطّفاً وتكرّماً، وعوده إلى عرشه

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٣٣٥ مجلس ٦٤ ح ٥، والتوحيد، ص ١٧٦ باب ٢٨ ح ٧، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١١٦ باب ١١ ح ٢١.

(٢) الاحتجاج ص ٤١٠.

(٣) أمالي الصدوق، ص ١٢٨ مجلس ٢٩ ح ٢١.

(٤) سورة سبأ، الآيات: ٣٩-٤١.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٨.

من توجّهه تعالى إلى شؤون أخرى يفعلها الملوك إذا تمكّنوا على عرشهم. قوله عليه السلام: نصيبك أي خذ نصيبك من هذا الخير ولا تغفل عنه.

١٠ - ع: المكتب والورّاق والهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن يحيى بن أبي عمران، وصالح بن السنديّ، عن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: لأيّ علّة عرج الله بنبيّه صلى الله عليه وآله إلى السماء، ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان؟ فقال عليه السلام: إنّ الله لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمان، ولكنه عزّ وجلّ أراد أن يشرّف به ملائكته وسكّان سماواته ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، وليس ذلك على ما يقوله المشبّهون، سبحان الله وتعالى عمّا يصفون[1].

يد: عليّ بن الحسين بن الصلت، عن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الصلت، عن عمّه عبد الله بن الصلت، عن يونس مثله[2].

١١ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عيينة عن حبيب السجستانيّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠﴾[3] فقال لي: يا حبيب لا تقرأ هكذا اقرأ: ثمّ دنى فتدانا فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إلى عبده يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ما أوحى؛ يا حبيب إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فتح مكّة أتعب نفسه في عبادة الله عزّ وجلّ والشكر لنعمه في الطواف بالبيت وكان عليّ عليه السلام معه فلمّا غشيهم اللّيل انطلقا إلى الصفا والمروة يريدان السعي، قال: فلمّا هبطا من الصفا إلى المروة وصارا في الوادي دون العلم الّذي رأيت غشيهما من السماء نور فأضاءت لهما جبال مكّة، وخسأت أبصارهما، قال: ففزعا لذلك فزعاً شديداً، قال: فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى ارتفع من الوادي، وتبعه عليّ عليه السلام فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء فإذا هو برمّانتين على رأسه، قال: فتناولهما رسول الله صلى الله عليه وآله فأوحى الله عزّ وجلّ إلى محمّد: يا محمّد إنّها من قطف الجنّة فلا يأكل منها إلاّ أنت ووصيّك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله إحداهما، وأكل عليّ عليه السلام الأخرى ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى محمّد صلى الله عليه وآله ما أوحى. قال أبو جعفر عليه السلام: يا حبيب ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥﴾[4] يعني عندها وافى به جبرئيل حين صعد إلى السماء، قال: فلمّا انتهى إلى محلّ السدرة وقف جبرئيل دونها وقال: يا محمّد إنّ هذا موقفي الّذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه، ولن أقدر على أن أتقدّمه، ولكن امض أنت أمامك إلى السدرة، فوقف عندها؛ قال: فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السدرة وتخلّف

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٦٠ باب ١١٢ ح ٢.
(٢) التوحيد، ص ١٧٥ باب ٢٨ ح ٥.
(٣) سورة النجم، الآيات: ٨-١٠.
(٤) سورة النجم، الآيات: ١٢-١٥.

جبرئيل عليه السلام، قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما سمّيت سدرة المنتهى لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محلّ السدرة، والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما ترفع إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض، قال: فينتهون بها إلى محلّ السدرة، قال: فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى أغصانها تحت العرش وحوله، قال: فتجلّى لمحمّد صلى الله عليه وآله نور الجبّار عزّ وجلّ، فلمّا غشي محمّداً صلى الله عليه وآله النور شخص ببصره، وارتعدت فرائصه، قال: فشدّ الله عزّ وجلّ لمحمّد قلبه وقوّى له بصره حتّى رأى من آيات ربّه ما رأى، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ قال يعني الموافاة، قال: فرأى محمّد صلى الله عليه وآله ما رأى ببصره من آيات ربّه الكبرى، يعني أكبر الآيات.

قال أبو جعفر عليه السلام: وإنّ غلظ السدرة بمسيرة مائة عام من أيّام الدنيا، وإنّ الورقة منها تغطّي أهل الدنيا، وإنّ لله عزّ وجلّ ملائكة وكلهم بنبات الأرض من الشجر والنخل فليس من شجرة ولا نخلة إلاّ ومعها من الله عزّ وجلّ ملك يحفظها وما كان فيها ولولا أنّ معها من يمنعها لأكلها السباع وهوامُّ الأرض إذا كان فيها ثمرها، قال: وإنّما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يضرب أحد من المسلمين خلاه تحت شجرة أو نخلة قد أثمرت لمكان الملائكة الموكّلين بها، قال: ولذلك يكون الشجر والنخل أنساً إذا كان فيه حمله، لأنّ الملائكة تحضره[1].

إيضاح: القطف بالكسر: اسم للثمار المقطوعة أصولها. وشخوص البصر: فتحه بحيث لا يطرف. والفريصة: ودج العنق واللّحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد.

١٢ - **فس:** قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ دنا يعني رسول الله صلى الله عليه وآله من ربّه عزّ وجلّ فتدلّى، قال: إنّما أنزلت ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ قال: كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية أو أدنى، قال: بل أدنى من ذلك، فأوحى إلى عبده ما أوحى، قال: وحي المشافهة[2].

تبيين: قال الجوهريّ تقول: بينهما قاب قوس، وقيب قوس، وقاد قوس، وقيد قوس أي قدر قوس، والقاب ما بين المقبض والسية، ولكلّ قوس قابان. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أراد قابي قوس فغلبه.

١٣ - **ل:** في مسائل اليهوديّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: فربّك يَحمل أو يُحمل؟ قال: إنّ ربّي عزّ وجلّ يحمل كلّ شيء بقدرته، ولا يحمله شيء. قال: فكيف قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[3]؟ قال: يا يهوديّ ألم تعلم أنّ لله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، فكل شيء على الثرى، والثرى على القدرة، والقدرة تحمل كلّ شيء. الخبر[4].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٢١ باب ١٨٥ ح ١.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢١١.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.
(٤) الخصال، ص ٥٩٧ باب ٢٥ ح ١.

١٤ - يد، ن: تميم القرشيّ، عن أبيه، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، عن الهرويّ قال: سأل المأمون أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1] فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض، وكانت الملائكة تستدلّ بأنفسها وبالعرش والماء على الله عزّ وجلّ، ثمَّ جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنّه على كلّ شيء قدير، ثمَّ رفع العرش بقدرته ونقله، وجعله فوق السماوات السبع، ثمَّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام وهو مستول على عرشه، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرَّة بعد مرَّة، ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه لأنّه غنيٌّ عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون على العرش لأنّه ليس بجسم، تعالى عن صفة خلقه علوّاً كبيراً[2].

١٥ - يد، مع، ن: المعاذي، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن فضّال، عن أبيه قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[3] فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنّه يعني أنّهم عن ثواب ربّهم محجوبون.

قال: وسألته عن قوله الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[4] فقال: إن الله عزّ وجلّ لا يوصف بالمجيء والذهاب، تعالى عن الانتقال، إنّما يعني بذلك وجاء أمر ربّك والملك صفّاً صفّاً.

قال: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[5] قال: يقول: «هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام»، وهكذا نزلت. قال: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ وعن قول الله: ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وعن قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾. فقال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يسخر ولا يستهزىء ولا يمكر ولا يخادع، ولكنّه عزّ وجلّ يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً[6].

ج: مرسلاً عنه عليه السلام[7].

---

(١) سورة هود، الآية: ٧.
(٢) التوحيد، ص ٣٢٠ باب ٤٩ ح ٢.
(٣) سورة المطففين، الآية: ١٥.
(٤) سورة الفجر، الآية: ٢٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.
(٦) التوحيد، ص١٦٣ باب ٢٠ ح ١ وباب ٢١ ح ١.
(٧) الإحتجاج، ص ٤١١.

بيان: قال الزمخشريّ في الآية الأولى: كونهم محجوبين عنه، تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنّه لا يؤذن على الملوك إلاّ للمكرّمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلاّ المهانون عندهم[1]. وقال الرازيّ في الآية الثانية: اعلم أنّه ثبت بالدليل العقليّ أنّ الحركة على الله محال لأنّ كلّ ما كان كذلك كان جسماً، والجسم مستحيل أن يكون أزليّاً، فلا بدّ فيه من التأويل، وهو أنّ هذا من باب حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه؛ ثمّ ذلك المضاف ما هو؟ فيه وجوه:

أحدها: وجاء أمر ربّك للمحاسبة والمجازاة. وثانيها: وجاء قهر ربّك كما يقال: جاءتنا بنو أميّة أي قهرهم. وثالثها: وجاء جلائل آيات ربّك، لأنّ هذا يكون يوم القيامة، وفي ذلك اليوم تظهر العظام وجلائل الآيات، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات. ورابعها: وجاء ظهوره، وذلك لأنّ معرفة الله تصير ذلك اليوم ضروريّة فصار ذلك كظهوره وتجلّيه للخلق، فقال: وجاء ربّك أي زالت الشبه وارتفعت الشكوك. وخامسها: أنّ هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه مثّلت حاله في ذلك بحال الملك إذا ظهر بنفسه فإنّه يظهر بمجرّد حضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلّها. وسادسها: أنّ الربّ المربّي فلعلّ ملكاً هو أعظم الملائكة هو مربّ للنبيّ ﷺ جدّاً، فكان هو المراد من قوله: وجاء ربّك[2].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في الآية الثالثة: أي هل ينتظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله إلاّ أن يأتيهم أمر الله أي عذاب الله، وما توعدهم به على معصيته في ستر من السحاب، وقيل: قطع من السحاب، وهذا كما يقال: قتل الأمير فلاناً وضربه وأعطاه، وإن لم يتولّ شيئاً من ذلك بنفسه، بل فعل بأمره فأسند إليه لأمره به. وقيل: معناه ما ينتظرون إلاّ أن تأتيهم جلائل آيات الله، غير أنّه ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال: دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده، وإنّما ذكر الغمام ليكون أهول، فإنّ الأهوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾[3] وقال الزجّاج: معناه: يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب، كما قال: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[4] أي أتاهم بخذلانه إيّاهم؛ والأقوال متقاربة. وقد يقال: أتى وجاء فيما لا يجوز عليه المجيء والذهاب، يقال: أتاني وعيد فلان، وجاءني كلام فلان، وأتاني حديثه، ولا يراد به الإتيان الحقيقيّ، ثمّ قال: وقرأ أبو جعفر الملائكة بالجرّ، قال: وقيل: معنى الآية: إلاّ أن يأتيهم الله بظلل من الغمام أي بجلائل آياته وبالملائكة. انتهى[5]. أقول: على قراءته عليه السلام لا يحتاج إلى شيء من هذه التأويلات.

---

(١) الكشاف ج ٤ ص ١٩٦.
(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٣١ ص ١٧٤.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٢.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٢.
(٥) مجمع البيان ج٢ ص ٦٠.

١٦ -ج: عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في جواب اليهوديّ الّذي سأل عن معجزات الرسول صلى الله عليه وآله: إنّه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام في أقلّ من ثلث ليلة، حتّى انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم فتدلّى، فدلّي له من الجنّة رفرف أخضر وغشى النور بصره فرأى عظمة ربّه بفؤاده ولم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينها وبينه أو أدنى. الخبر[1].

بيان: الضمير في قوله: بينها راجع إلى الجنّة، ورجوعه إلى العظمة بعيد.

١٧ -يد، ع: ابن عصام، عن الكلينيّ، عن عليّ بن محمّد بن سليمان، عن إسماعيل ابن إبراهيم، عن جعفر بن محمّد التميميّ، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد ابن عليّ قال: سألت أبي سيّد العابدين عليه السلام فقلت له: يا أبه أخبرني عن جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا عرج به إلى السماء وأمره ربّه عزّ وجلّ بخمسين صلاة كيف لم يسأله التخفيف عن أمّته حتّى قال له موسى بن عمران عليه السلام: ارجع إلى ربّك فاسأل التخفيف، فإنّ أمّتك لا تطيق ذلك؟ فقال: يا بنيّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يقترح على ربّه عزّ وجلّ ولا يراجعه في شيء يأمره به، فلمّا سأله موسى عليه السلام ذلك فكان شفيعاً لأمّته إليه لم يجز له ردّ شفاعة أخيه موسى فرجع إلى ربّه فسأله التخفيف إلى أن ردّها إلى خمس صلوات.

قال: قلت له: يا أبه فلمَ لا يرجع إلى ربّه عزّ وجلّ ويسأله التخفيف عن خمس صلوات وقد سأله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربّه ويسأله التخفيف؟ فقال يا بنيّ أراد صلى الله عليه وآله أن يحصل لأمّته التخفيف مع أجر خمسين صلاة يقول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ ألا ترى أنّه صلى الله عليه وآله لمّا هبط إلى الأرض نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول: إنها خمسة بخمسين، ما يبدّل القول لديّ وما أنا بظلاّم للعبيد. قال: فقلت له: يا أبه أليس الله تعالى ذكره لا يوصف بمكان؟ قال: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قلت: فما معنى قول موسى عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: ارجع إلى ربّك؟ فقال: معناه معنى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾، ومعنى قول موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾، ومعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني حجّوا إلى بيت الله، يا بنيّ إنّ الكعبة بيت الله تعالى، فمن حجّ بيت الله فقد قصد إلى الله، والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه، والمصلّي ما دام في صلاته فهو واقف بين يدي الله جلّ جلاله، وأهل موقف عرفات هم وقوف بين يدي الله عزّ وجلّ، وإنّ لله تبارك وتعالى بقاعاً في سماواته فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ

(١) الاحتجاج، ص ٢٢٠.

إِلَيْهِ﴾ ويقول في قصّة عيسى عليه السلام : ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ويقول عزّ وجلّ : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(١).

بيان: الغرض من ذكر هذه الاستشهادات بيان شيوع تلك الاستعمالات والتجوّزات في لسان أهل الشرع والعرف.

١٨ - **يد:** ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي المغرّا رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تعالى خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وكلّ ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله عزّ وجلّ (٢).

يد: حمزة العلويّ، عن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن عطيّة، عن خثيمة، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ وابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن أبيه، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله بزيادة(٣).

١٩ - **يد:** حمزة العلويّ، عن علّي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾(٤) فقال: هو واحد أحديّ الذات، بائن من خلقه، وبذاك وصف نفسه، وهو بكلّ شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة، لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالإحاطة والعلم لا بالذات لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فإذا كان بالذات لزمه الحواية(٥).

بيان: ما يكون من نجوى ثلاثة أي ما يقع من تناجي ثلاثة، ويجوز أن يقدّر مضاف، أو يؤوّل نجوى بمتناجين، ويجعل ثلاثة صفة لها. إلاّ وهو رابعهم أي إلاّ الله يجعلهم أربعة من حيث إنّه يشاركهم في الاطّلاع عليها. ولا خمسة أي ولا نجوى خمسة، وتخصيص العددين إمّا لخصوص الواقعة، أو لأنّ الله وترٌ يحبُّ الوتر، والثلاثة أوّل الأوتار، أو لأنّ التشاور لا بدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسّط بينهما.

ثمّ اعلم أنّه لمّا كان القدّام والخلف واليمين والشمال غير متميّزة إلاّ بالاعتبار عدّ الجميع حدّين والفوق والتحت حدّين فصارت أربعة، والمعنى: أنّه ليست إحاطته سبحانه بالذات لأنّ الأماكن محدودة فإذا كانت إحاطته بالذات بأن كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكّن، وإن كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطاً بالمتمكّن كالمكان.

---

(١) التوحيد، ص ١٧٦ باب ٢٨ ح ٨، وعلل الشرائع ج ١ ص ١٦٠ باب ١١٣ ح ١.
(٢) التوحيد، ص ١٠٥ باب ٧ ح ٥.
(٣) التوحيد، ص ١٠٥ باب ٧ ح ٤ و٣.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٥) التوحيد، ص ١٢١ باب ٩ ح ١٢.

٢٠ - يد: العطّار، عن سعد، عن ابن يزيد، عن الحسن بن عليٍّ الخزاز، عن مثنّى الحنّاط، عن أبي جعفر - أظنه محمّد بن النعمان - قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] قال: كذلك هو في كلّ مكان. قلت: بذاته؟ قال: ويحك إنّ الأماكن أقدار، فإذا قلت: في مكان بذاته لزمك أن تقول في أقدار وغير ذلك، ولكن هو بائن من خلقه، محيط بما خلق علماً وقدرةً وإحاطةً وسلطاناً، وليس علمه بما في الأرض بأقلّ ممّا في السماء، لا يبعد منه شيء، والأشياء له سواءٌ علماً وقدرة وسلطاناً وملكاً وإحاطة[2].

تفسير: قال البيضاويّ: «وهو الله» الضمير لله، والله خبره؛ في السماوات وفي الأرض متعلّق باسم الله، والمعنى: هو المستحقّ للعبادة فيهما لا غير كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أو بقوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ والجملة خبر ثانٍ أو هي الخبر، والله بدل، ويكفي لصحّة الظرفيّة كون المعلوم فيهما، كقولك: رميت الصيد في الحرم - إذا كنت خارجه والصيد فيه - أو ظرف مستقرّ وقع خبراً بمعنى أنّه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنّه فيهما. ويعلم سرّكم وجهركم بيان وتقرير له[3].

٢١ - يد: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم قال: قال أبو شاكر الديصانيّ: إنّ في القرآن آية هي قوّة لنا. قلت: وما هي؟ فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ فلم أدر بما أجيبه، فحججت فخبّرت أبا عبد الله عليه السلام فقال: هذا كلام زنديق خبيث، إذا رجعت إليه فقل له: ما اسمك بالكوفة؟ فإنّه يقول: فلان، فقل: ما اسمك بالبصرة؟ فإنّه يقول: فلان، فقل كذلك الله ربّنا في السماء إله وفي الأرض إله، وفي البحار إله، وفي كلّ مكان إله. قال: فقدمت فأتيت أبا شاكر فأخبرته فقال: هذه نقلت من الحجاز[4].

بيان: لعلّ هذا الديصانيّ لمّا كان قائلاً بإلهين: نور ملكه السماء، وظلمة ملكها الأرض، أوّل الآية بما يوافق مذهبه بأن جعل قوله: وفي الأرض إله جملة تامّة معطوفة على مجموع الجملة السابقة أي وفي الأرض إله آخر، ويظهر من بعض الأخبار أنّه كان من الدهريّين فيمكن أن يكون استدلاله بما يوهم ظاهر الآية من كونه بنفسه حاصلاً في السماء والأرض فيوافق ما ذهبوا إليه من كون المبدء الطبيعة فإنّها حاصلة في الأجرام السماويّة والأجسام الأرضيّة معاً، فأجاب عليه السلام بأنّ المراد أنّه تعالى مسمّى بهذا الاسم في السماء وفي الأرض؛ والأكثرون على أنّ الظرف متعلّق بالإله، لأنّه بمعنى المعبود، أو مضمّن معناه كقولك: هو حاتم في البلد.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣.
(٢) التوحيد، ص ١٣٢ باب ٩ ح ١٥.
(٣) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٤.
(٤) التوحيد، ص ١٣٣ باب ٩ ح ١٦.

٢٢ - **يد:** القطّان والدقّاق معاً، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن محمّد بن عبيد الله، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الرحمن بن أسود، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وآله صديقان يهوديّان قد آمنا بموسى رسول الله وأتيا محمّداً صلى الله عليه وآله وسمعا منه، وقد كانا قرءا التوراة وصحف إبراهيم عليه السلام، وعلما علم الكتب الأولى فلمّا قبض الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وآله أقبلا يسألان عن صاحب الأمر بعده وقالا: إنّه لم يمت نبيّ قطّ إلاّ وله خليفة يقوم بالأمر في أُمّته من بعده، قريب القرابة إليه من أهل بيته، عظيم القدر، جليل الشأن. فقال أحدهما لصاحبه: هل تعرف صاحب الأمر من بعد هذا النبيّ؟ قال الآخر: لا أعلمه إلاّ بالصفة الّتي أجدها في التوراة هو الأصلع المصفّر فإنّه كان أقرب القوم من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا دخلا المدينة وسألا عن الخليفة أُرشد إلى أبي بكر، فلمّا نظرا إليه قالا: ليس هذا صاحبنا، ثمّ قالا له: ما قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: إنّي رجل من عشيرته، وهو زوج ابنتي عائشة قالا: هل غير هذا؟ قال: لا، قالا: ليست هذه بقرابة فأخبرنا أين ربّك؟ قال: فوق سبع سماوات! قالا: هل غير هذا؟ قال: لا، قالا: دلّنا على من هو أعلم منك، فإنّك أنت لست بالرجل الّذي نجد في التوراة أنّه وصيّ هذا النبيّ وخليفته. قال: فتغيّظ من قولهما، وهمّ بهما، ثمّ أرشدهما إلى عمر، وذلك أنّه عرف من عمر أنّهما إن استقبلاه بشيء بطش بهما، فلمّا أتياه قالا: ما قرابتك من هذا النبيّ؟ قال: أنا من عشيرته، وهو زوج ابنتي حفصة. قالا: هل غير هذا؟ قال: لا. قالا: ليست هذه بقرابة وليست هذه الصفة الّتي نجدها في التوراة، ثمّ قالا له: فأين ربّك؟ قال: فوق سبع سماوات! قالا: هل غير هذا؟ قال: لا. قالا: دلّنا على من هو أعلم منك فأرشدهما إلى عليّ عليه السلام فلمّا جاءاه فنظرا إليه قال أحدهما لصاحبه: إنه الرجل الّذي صفته في التوراة، إنّه وصيّ هذا النبيّ، وخليفته وزوج ابنته، وأبو السبطين والقائم بالحقّ من بعده.

ثمّ قالا لعليّ عليه السلام: أيّها الرجل ما قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: هو أخي وأنا وارثه ووصيّه، وأوّل من آمن به، وأنا زوج ابنته.

قالا: هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة، وهذه الصفة الّتي نجدها في التوراة فأين ربّك عزّ وجلّ؟. قال لهما عليّ عليه السلام: إن شئتما أنبأتكما بالّذي كان على عهد نبيّكما موسى عليه السلام، وإن شئتما أنبأتكما بالّذي كان نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله. قالا: أنبئنا بالّذي كان على عهد نبيّنا موسى عليه السلام.

قال عليّ عليه السلام: أقبل أربعة أملاك: ملك من المشرق، وملك من المغرب، وملك من السماء وملك من الأرض، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من عند ربّي؛ وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من عند ربّي، وقال النازل من السماء للخارج من الأرض: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من

عند ربّي، وقال الخارج من الأرض للنازل من السماء: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من عند ربّي فهذا ما كان على عهد نبيكما موسى عليه السلام.

وأمّا ما كان على عهد نبيّنا فذلك قوله في محكم كتابه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ الآية.

قال اليهوديّان: فما منع صاحبيك أن يكونا جعلاك في موضعك الّذي أنت أهله؟ فوالّذي أنزل التوراة على موسى إنّك لأنت الخليفة حقّاً، نجد صفتك في كتبنا ونقرؤه في كنائسنا، وإنّك لأنت أحقّ بهذا الأمر وأولى به ممّن قد غلبك عليه. فقال عليّ عليه السلام: قدّما وأخرا وحسابهما على الله عزّ وجلّ يوقفان ويُسألان[1].

٢٣ - يد: العطّار، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: يا أبا جعفر أخبرني عن ربّك متى كان؟

فقال: ويلك إنّما يقال لشيء لم يكن فكان: «متى كان» إنّ ربّي تبارك وتعالى كان لم يزل حيّاً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لكانه مكاناً. الخبر[2].

٢٤ - يد: وروي أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السلام: أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماءاً وأرضاً؟ فقال عليه السلام: «أين» سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان[3].

٢٥ - يد: ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن أبان، عن ابن أورمة، عن ابن محبوب، عن صالح بن حمزة، عن أبان، عن أسد، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أنّ الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، لو كان عزّ وجلّ على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً[4].

بيان: لكان محمولاً أي محتاجاً إلى ما يحمله. قوله عليه السلام: محصوراً أي عاجزاً ممنوعاً عن الخروج عن المكان، أو محصوراً بذلك الشيء ومحويّاً به فيكون له انقطاع وانتهاء فيكون ذا حدود وأجزاء.

٢٦ - يد: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن حمّاد بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كذب من زعم أنّ الله عزّ وجلّ في شيء، أو من شيء، أو على شيء.

قال الصدوق رحمه الله: الدليل على أنّ الله عزّ وجلّ لا في مكان أنّ الأماكن كلّها حادثة، وقد قام الدليل على أنّ الله عزّ وجلّ قديم سابق للأماكن، وليس يجوز أن يحتاج الغنيّ القديم إلى ما

(١) التوحيد، ص ١٨٠ باب ٢٨ ح ١٥.
(٢) التوحيد، ص ١٧٣ باب ٢٨ ح ٢.
(٣) التوحيد، ص ١٧٥ باب ٢٨ ح ٤.
(٤) التوحيد، ص ١٧٨ باب ٢٨ ح ٩-١٢.

كان غنياً عنه، ولا أن يتغيّر عمّا لم يزل موجوداً عليه، فصحّ اليوم أنّه لا في مكان كما أنّه لم يزل كذلك؛ وتصديق ذلك ما حدّثنا به القطان، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن سليمان المروزيّ، عن سليمان بن مهران قال: قلت لجعفر بن محمّد عليه السلام هل يجوز أن نقول: إنّ الله عزّ وجلّ في مكان؟ فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك إنّه لو كان في مكان لكان محدثاً لأنّ الكائن في مكان محتاج إلى المكان، والاحتياج من صفات الحدث، لا من صفات القديم(١).

٢٧ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن عبّاس، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان، وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، ولا يحلّ في مكان، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾، ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال(٢).

بيان: قوله: غير خلقه أي ليس الحجاب بينه وبين خلقه إلاّ عجز المخلوق عن الإحاطة به. وقوله: محجوب إمّا نعت لحجاب، أو خبر مبتدأ محذوف، فعلى الأوّل فهو إمّا بمعنى حاجب إذ كثيراً ما يجيء صيغة المفعول بمعنى الفاعل كما قيل في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ أو بمعناه ويكون المراد أنّه ليس له تعالى حجاب مستور، بل حجابه ظاهر وهو تجرّده وتقدّسه وعلوّه عن أن يصل إليه عقل أو وهم، ويحتمل على هذا أن يكون المراد بالحجاب الحجّة الّذي أقامه بينه وبين خلقه فهو ظاهر غير مخفيّ، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد به أنّه لم يحتجب بحجاب مخفيّ فكيف الظاهر. وأمّا على الثاني فالظرف متعلق بقوله: محجوب أي هو محجوب بغير حجاب، وههنا احتمال ثالث وهو أن يكون محجوب مضاف إليه بتقدير اللاّم، وإجراء الاحتمالات في الفقرة الثانية ظاهر، وهي إمّا تأكيد للأولى أو الأولى إشارة إلى الاحتجاب عن الحواسّ والثانية إلى الاستتار عن العقول والأفهام.

٢٨ - يد: محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسيّ، عن أحمد بن محمّد النشويّ، عن أحمد بن محمّد الصفديّ، عن محمّد بن يعقوب العسكريّ وأخيه معاذ معاً، عن محمّد بن سنان الحنظليّ عن عبد الله بن عاصم، عن عبد الرحمن بن قيس، عن أبي هاشم الرمّانيّ، عن زاذان، عن سلمان الفارسيّ في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ثمّ أرشد إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسأله عنها فأجابه، فكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عن وجه الربّ تبارك وتعالى، فدعا علي عليه السلام بنار وحطب فأضرمه فلمّا اشتعلت قال

(١) - (٢) التوحيد، ص ١٧٨ باب ٢٨ ح ٩-١٢.

عليّ عليه السلام: أين وجه هذه النار؟ قال النصرانيّ: هي وجه من جميع حدودها. قال عليّ عليه السلام هذه النار مدبَّرة مصنوعة لا تعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها؟ ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[1]، لا يخفى على ربّنا خافية. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة[2].

٢٩ - يد: الأشنانيّ، عن عليّ بن مهرويه، عن داود بن سليمان، عن الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ موسى بن عمران لمّا ناجى ربّه قال: يا ربّ أبعيد أنت منّي فأناديك، أم قريب فأناجيك، فأوحى الله جلَّ جلاله إليه: أنا جليس من ذكرني. فقال موسى: يا ربّ إنّي أكون في حال أجلُّك أنَّ أذكرك فيها. فقال: يا موسى اذكرني على كلّ حال[3].

٣٠ - يد: محمّد بن إبراهيم الفارسيّ، عن أبي سعيد الرمحيّ، عن محمّد بن عيسى الواسطيّ، عن محمّد بن زكريّا المكّيّ قال: أخبرني منيف - مولى جعفر بن محمّد - قال: حدّثني سيّدي جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: كان الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يصلّي فمرَّ بين يديه رجل فنهاه بعض جلسائه فلمّا انصرف من صلاته قال له: لمَ نهيت الرجل؟ قال: يا ابن رسول الله حظر فيما بينك وبين المحراب. فقال: ويحك إنّ الله عزّ وجلّ أقرب إليّ من أن يحظر فيما بيني وبينه أحد[4].

٣١ - يد: المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن الحسين بن اشكيب، عن هارون بن عقبة، عن أسد بن سعيد، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قال الباقر عليه السلام: يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله عزّ وجلّ، يزعمون أنَّ الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتّخذه مصلّى، يا جابر إنّ الله تبارك وتعالى لا نظير له، ولا شبيه، تعالى عن صفة الواصفين، وجلّ عن أوهام المتوهّمين، واحتجب عن أعين الناظرين، لا يزول مع الزائلين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم[5].

٣٢ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن عيّاش، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر، عن أبي إبراهيم عليه السلام أنّه قال: لا أقول: إنّه قائم فأزيله عن مكانه، ولا أحدّه بمكان يكون فيه، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح، ولا أحدّه بلفظ شقّ فم، ولكن كما قال تبارك وتعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ بمشيئته، من غير تردّد في نفس، فرد صمد لم يحتج إلى شريك يكون له في ملكه، ولا يفتح له أبواب علمه[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٢) التوحيد، ص ١٨٢ باب ٢٨ ح ١٦.
(٣) التوحيد، ص ١٨٢ باب ٢٨ ح ١٧.
(٤) التوحيد، ص ١٨٤ باب ٢٨ ح ٢٢.
(٥) التوحيد، ص ١٧٩ باب ٢٨ ح ٣.
(٦) التوحيد، ص ١٨٣ باب ٢٨ ح ١٩.

ج: عن يعقوب مثله.

٣٣ - يد: السنانيّ، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن سالم، عن أبي بصير؛ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان، ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً[١].

٣٤ - يد: محمّد بن إبراهيم بن إسحاق العزائميّ، عن أحمدبن محمّد بن رميح، عن عبد العزيز بن إسحاق، عن جعفر بن محمّد الحسنيّ، عن محمّد بن عليّ بن خلف، عن بشر بن الحسن، عن عبد القدّوس، عن أبي إسحاق السبيعيّ، عن الحارث الأعور، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه دخل السوق فإذا هو برجل موليه ظهره يقول: لا والّذي احتجب بالسبع؛ فضرب عليٌّ عليه السلام ظهره ثمّ قال: من الّذي احتجب بالسبع؟ قال: الله يا أمير المؤمنين، قال: أخطأت ثكلتك أمّك، إنّ الله عزّ وجلّ ليس بينه وبين خلقه حجاب لأنّه معهم أينما كانوا.

قال: ما كفّارة ما قلت يا أمير المؤمنين؟ قال: أن تعلم أنّ الله معك حيث كنت؛ قال: أطعم المساكين؟ قال: لا إنّما حلفت بغير ربّك[٢].

٣٥ - يد: الدقّاق، عن أبي القاسم العلويّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القميّ، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ، عن هشام بن الحكم - في حديث الزنديق الّذي أتى أبا عبد الله عليه السلام - قال: سأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أن يكون العرش حاوياً له، ولا أنّ العرش محتاز له، ولكنّا نقول: هو حامل العرش، وممسك العرش؛ ونقول من ذلك ما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فثبّتنا من العرش والكرسيّ ما ثبّته، ونفينا أن يكون العرش أو الكرسيّ حاوياً له، وأن يكون عزّ وجلّ محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء ممّا خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض: قال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنّه عزّ وجلّ أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنّه جعله معدن الرزق فثبّتنا ما ثبّته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عزّ وجلّ. وهذا يجمع عليه فرق الأمّة كلّها.

قال السائل: فتقول: إنّه ينزل إلى السماء الدنيا؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: نقول ذلك، لأنّ الروايات قد صحّت به والأخبار. قال السائل: وإذا نزل أليس قد حال عن العرش وحؤوله

---

(١) التوحيد، ص ١٨٤ باب ٢٨ ح ٢٠. (٢) التوحيد، ص ١٨٤ باب ٢٨ ح ٢١.

عن العرش انتقال؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس ذلك على ما يوجد من المخلوق الّذي ينتقل باختلاف الحال عليه والملالة والسأمة وناقل ينقله ويحوّله من حال إلى حال، بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال، ولا يجري عليه الحدوث، فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الّذي متى تنحّى عن مكان خلا منه المكان الأوّل ولكنّه ينزل إلى السماء الدنيا بغير معاناة ولا حركة فيكون هو كما في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا إنّما يكشف عن عظمته، ويري أولياءه نفسه حيث شاء، ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره في القرب والبعد سواء.

ثمّ قال: قال مصنّف هذا الكتاب: قوله عليه السلام: إنّه على العرش إنه ليس بمعنى التمكّن فيه، ولكنّه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال: فلان على خير واستعانة على عمل كذا وكذا؛ ليس بمعنى التمكّن فيه والاستقرار عليه، ولكن ذلك بمعنى التمكّن منه والقدرة عليه، وقوله في النزول ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافة، ولكنّه على معنى إنزال الأمر منه إلى سماء الدنيا لأنّ العرش هو المكان الّذي ينتهى إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه، وقد يجعل الله عزّ وجلّ السماء الدنيا في الثلث الأخير من اللّيل وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش. وقوله: يري أولياءه نفسه فإنّه يعني بإظهار بدائع فطرته، فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوّة وقدرة وخيلاً ورجلاً: قد أظهر نفسه، وعلى ذلك دلّ الكلام ومجاز اللفظ[1].

أقول: من قوله قال السائل إلى آخر كلامه لم يكن في أكثر النسخ وليس في الاحتجاج أيضاً.

٣٦ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، وابن هاشم، عن الحسن بن عليّ، عن داود ابن عليّ اليعقوبيّ، عن بعض أصحابنا، عن عبد الأعلى - مولى آل سام - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله يهوديٌّ يقال له: سبحت فقال له: يا محمّد جئت أسألك عن ربّك فإن أجبتني عمّا أسألك عنه وإلاّ رجعت. فقال له: سل عمّا شئت. فقال: أين ربّك؟ فقال: هو في كلّ مكان، وليس هو في شيء من المكان بمحدود. قال: فكيف هو؟ فقال: وكيف أصف ربّي بالكيف والكيف مخلوق؟ والله لا يوصف بخلقه[2].

قال: فمن يعلم أنّك نبيّ؟ قال: فما بقي حوله حجر ولا مدر ولا غير ذلك إلاّ تكلّم بلسان عربيّ مبين: يا شيخ إنّه رسول الله. فقال سبحت: بالله ما رأيت كاليوم أبين ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣٧ - **ص:** الصدوق، عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق، عن أحمد بن محمّد بن رميح،

---

(١) التوحيد، ص ٢٤٨ باب ٢٦ ح ١.
(٢) التوحيد، ص ٣٠٩ باب ٤٤ ح ١.

عن أحمد بن جعفر، عن أحمد بن عليّ، عن محمّد بن عليّ الخزاعيّ، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم مثله[١].

ير: إبراهيم بن هاشم، عن الحسن بن عليّ مثله.

٣٨ - **يد:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كذب من زعم أنَّ الله عزّ وجلّ من شيء، أو في شيء، أو على شيء[٢].

٣٩ - **يد:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أنَّ الله عزّ وجلّ من شيء أو في شيء فقد أشرك. ثمّ قال: من زعم أنَّ الله من شيء فقد جعله محدَثاً، ومن زعم أنّه في شيء فقد زعم أنّه محصور، ومن زعم أنّه على شيء فقد جعله محمولاً[٣].

٤٠ - **يد:** ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن ابن حميد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أنَّ الله عزّ وجلّ من شيء، أو في شيء، أو على شيء فقد كفر. قلت: فسّر لي. قال: أعني بالحواية من الشيء له، أو بإمساك له، أو من شيء سبقه[٤].

٤١ - وفي رواية أخرى قال: من زعم أنَّ الله من شيء فقد جعله محدَثاً، ومن زعم أنّه في شيء فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنّه على شيء فقد جعله محمولاً[٥].

بيان: قوله: بالحواية من الشيء له تفسير لقوله: في شيء، وقوله: أو بإمساك له تفسير لقوله: على شيء، وقوله: أو من شيء سبقه تفسير لقوله: من شيء.

٤٢ - **يد:** الطالقانيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله الصغديّ، عن محمّد بن يعقوب العسكريّ وأخيه معاذ معاً، عن محمّد بن سنان الحنظليّ، عن عبد الله ابن عاصم، عن عبد الرحمن بن قيس، عن أبي الهاشم الرمّاني، عن زاذان، عن سلمان الفارسيّ في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها، ثمّ أرشد إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسأله فأجابه فكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عن الربّ أين هو وأين كان؟ قال عليّ عليه السلام لا يوصف الربّ جلّ جلاله بمكان، وهو كما كان، وكان كما هو، لم يكن في مكان، ولم يزُل من مكان إلى مكان، ولا أحاط به مكان، بل كان لم يزَل بلا حدّ ولا كيف. قال: صدقت، فأخبرني عن الربّ أفي الدنيا هو أو في الآخرة؟ قال عليّ عليه السلام: لم

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٨٣ ح ٣٤٧.

(٢) - (٣) التوحيد، ص ٣١٧ باب ٤٨ ح ٨ و٩.

(٤) - (٥) التوحيد، ص ٣١٧ باب ٤٨ ح ٥ و٦.

يزل ربّنا قبل الدنيا هو مدبّر الدنيا، وعالم بالآخرة، فأمّا أن تحيط به الدنيا والآخرة فلا، ولكن يعلم ما في الدنيا والآخرة. قال: صدقت يرحمك الله.

ثمّ قال: أخبرني عن ربّك أيَحمل أو يُحمل؟ فقال عليٌّ عليه السلام: إنّ ربّنا جلّ جلاله يَحمل ولا يُحمل. قال النصرانيّ: وكيف ذلك ونحن نجد في الإنجيل: ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية؟ فقال عليٌّ عليه السلام: إنّ الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظنّ كهيئة السرير، ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر، وربّك عزّ وجلّ مالكه لا أنّه عليه ككون الشيء على الشيء، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه. قال النصرانيّ: صدقت رحمك الله. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة[1].

٤٣ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن جذعان بن نصر، عن سهل، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير، عن داود الرقّيّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[2] فقال لي: ما يقولون؟ قلت: يقولون: إنّ العرش كان على الماء والربّ فوقه. فقال: فقد كذبوا، من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً، ووصفه بصفة المخلوقين، وألزمه أنّ الشيء الّذي يحمله أقوى منه. قلت: بيّن لي جعلت فداك. فقال: إنّ الله عزّ وجلّ حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر، فلمّا أن أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربّكم؟ فكان أوّل من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام فقالوا: أنت ربّنا فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة علمي وديني وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون، ثمّ قيل لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالطاعة. فقالوا: ربّنا أقررنا. فقال للملائكة اشهدوا. فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يقولوا: إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون. يا داود ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق[3].

قال الصدوق رحمه الله في التوحيد: إنّ المشبّهة تتعلق بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾[4] ولا حجّة لها في ذلك لأنّه عزّ وجلّ عنى بقوله: استوى على العرش أي ثمّ نقل العرش إلى فوق السماوات وهو مستولٍ عليه ومالك له، فقوله عزّ وجلّ: «ثم» إنّما هو لرفع العرش إلى مكانه الّذي هو فيه، ونقله للاستواء، ولا يجوز أن يكون معنى قوله: استوى «استولى» لأنّ الاستيلاء لله تعالى على الملك وعلى الأشياء ليس هو بأمر حادث، بل كان لم يزل مالكاً لكل شيء ومستولياً على كلّ شيء، وإنّما ذكر عزّ وجلّ الاستواء بعد قوله: «ثمّ» وهو يعني الرفع مجازاً، وهو

(١) التوحيد، ص ٣١٦ باب ٤٨ ح ٧.
(٢) سورة هود، الآية: ٧.
(٣) التوحيد، ص ٣١٩ باب ٤٩ ح ١.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

كقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1] فذكر «نعلم» مع قوله: «حتى» وهو عزّوجلّ يعني: حتّى يجاهد المجاهدون ونحن نعلم ذلك؛ لأنّ حتّى لا يقع إلاّ على فعل حادث وعلم الله عزّوجلّ بالأشياء لا يكون حادثاً؛ وكذلك ذكر قوله عزّوجلّ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بعد قوله «ثم» وهو يعني بذلك: ثمّ رفع العرش لاستيلائه عليه؛ ولم يعن بذلك الجلوس واعتدال البدن، لأنّ الله لا يجوز أن يكون جسماً ولا ذا بدن، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً[2].

٤٤ - **سن:** أبي، عمّن ذكره قال: اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت، فقالوا: إنّ هذا الرجل عالم - يعنون به عليّ بن أبي طالب عليه السلام - فانطلق بنا إليه لنسأله فأتوه فقيل له: هو في القصر؛ فانتظروه حتّى خرج، فقال له رأس الجالوت: يا أمير المؤمنين جئنا نسألك. قال: سل يا يهوديّ عمّا بدا لك. قال: أسألك عن ربّنا متى كان؟ فقال: كان بلا كينونة، كان بلا كيف، كان لم يزل بلا كم وبلا كيف، كان ليس له قبل، هو قبل القبل بلا قبل، ولا غاية ولا منتهى غاية، ولا غاية إليها، انقطعت عنه الغايات، فهو غاية كلّ غاية قال: فقال رأس الجالوت لليهود: امضوا بنا فهذا أعلم ممّا يقال فيه[3].

بيان: ولا غاية إليها أي ينتهى إليها.

٤٥ - **سن:** القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن أبي الحسن موسى عليه السلام - وسئل عن معنى قول الله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ - فقال: استولى على ما دقّ وجلّ[4].

ج: عن الحسن مثله.

٤٦ - **يد، مع:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب عن مقاتل ابن سليمان قال: سألت جعفر بن محمّد عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قال: استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء[5].

٤٧ - **فس:** محمّد بن أبي عبد الله، عن سهل، عن ابن محبوب، عن محمّد بن مارد أنّ أبا عبد الله عليه السلام سئل عن معنى قول الله عزّوجلّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فقال استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء[6].

يد: ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن سهل، مثله[7].

يد: ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن سهل، عن الخشّاب رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[8].

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله، الآية: ٣١.
(٢) التوحيد، ص ٣١٨ باب ٤٨ ح ٩.
(٣) - (٤) المحاسن، ص ٢٣٧.
(٥) التوحيد ص ٣١٧ باب ٤٨ ح ٧ ومعاني الأخبار ص ٢٩.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢.
(٧) - (٨) التوحيد، ص ٣١٥ باب ٤٨ ح ١ وح ٤.

٤٨ - يد: أبي، عن سعد، عن محمّد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فقال: استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب، استوى من كلّ شيء(١).

بيان: اعلم أنّ الاستواء يطلق على معانٍ: **الأوّل**: الاستقرار والتمكّن على الشيء **الثاني**: قصد الشيء والإقبال إليه. **الثالث**: الاستيلاء على الشيء. قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

الرابع: الاعتدال يقال: سوّيت الشيء فاستوى. **الخامس**: المساواة في النسبة.

فأمّا المعنى الأوّل فيستحيل على الله تعالى لما ثبت بالبراهين العقليّة والنقليّة من استحالة كونه تعالى مكانيّاً، فمن المفسّرين من حمل الاستواء في هذه الآية على الثاني أي أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك؛ وقد رووا أنّه سئل أبو العبّاس أحمد بن يحيى عن هذه الآية فقال: الاستواء: الإقبال على الشيء، ونحو هذا قال الفرّاء والزجّاج في قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾(٢). والاكثرون منهم حملوها على الثالث أي استولى عليه وملكه ودبّره، قال الزمخشري: لمّا كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك لا يحصل إلّا مع الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا فلان استوى على السرير، يريدون ملكه، وإن لم يقعد على السرير البتّة. وإنّما عبّروا عن حصول الملك بذلك، لأنّه أصرح وأقوى في الدلالة من أن يقال: فلان ملك، ونحوه قولك: يد فلان مبسوطة، ويد فلان مغلولة بمعنى أنّه جواد أو بخيل، لا فرق بين العبارتين إلّا فيما قلت، حتّى أنّ من لم يبسط يده قطّ بالنوال أو لم يكن له يد رأساً وهو جواد قيل فيه: يده مبسوطة؛ لأنّه لا فرق عندهم بينه وبين قولهم: «جواد» انتهى. ويحتمل أنّ يكون المراد المعنى الرابع بأن يكون كناية عن نفي النقص عنه تعالى من جميع الوجوه فيكون قوله تعالى: على العرش حاليّة، وسيأتي توجيهه ولكنّه بعيد. وأمّا المعنى الخامس فهو الظاهر ممّا مرّ من الأخبار.

فاعلم أنّ العرش قد يطلق على الجسم العظيم الّذي أحاط بسائر الجسمانيّات، وقد يطلق على جميع المخلوقات، وقد يطلق على العلم أيضاً كما وردت به الأخبار الكثيرة، وسيأتي تحقيقه في كتاب السماء والعالم.

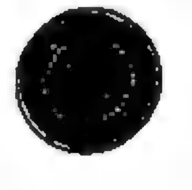
فإذا عرفت هذا فإمّا أن يكون عليه السلام فسّر العرش بمجموع الأشياء، وضمّن الاستواء ما يتعدّى بعلى، كالاستيلاء والاستعلاء والإشراف؛ فالمعنى: استوت نسبته إلى كلّ شيء حال كونه مستولياً عليها؛ أو فسّره بالعلم ويكون متعلّق الاستواء مقدّراً أي تساوت نسبته من كلّ

---

(١) التوحيد، ص ٣١٥ باب ٤٨ ح ٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

شيء حال كونه متمكّناً على عرش العلم، فيكون إشارة إلى بيان نسبته تعالى وأنّها بالعلم والإحاطة، أو المراد بالعرش عرش العظمة والجلال والقدرة كما فسّر بها أيضاً في بعض الأخبار أي استوى من كلّ شيء مع كونه في غاية العظمة ومتمكّناً على عرش التقدّس والجلالة؛ والحاصل أنّ علوّ قدره ليس مانعاً من دنوّه بالحفظ والتربية والإحاطة وكذا العكس، وعلى التقادير فقوله: استوى خبر، وقوله: على العرش حال، ويحتمل أن يكونا خبرين على بعض التقادير، ولا يبعد على الاحتمال الأوّل جعل قوله: على العرش متعلّقاً بالاستواء بأن تكون كلمة على بمعنى إلى، ويحتمل على تقدير حمل العرش على العلم أن يكون قوله: على العرش خبراً، وقوله: استوى حالاً من العرش لكنّه بعيد. وعلى التقادير يمكن أن يقال: إنّ النكتة في إيراد الرحمن بيان أنّ رحمانيّته توجب استواء نسبته إيجاداً وحفظاً وتربية وعلماً إلى الجميع بخلاف الرحيميّة فإنّها تقتضي إفاضة الهدايات الخاصّة على المؤمنين فقط، وكذا كثير من أسمائه الحسنى تخصّ جماعة كما سيأتي تحقيقها. ويؤيّد بعض الوجوه الّتي ذكرنا ما ذكره الصدوق رحمه الله في كتاب العقائد حيث قال: اعتقادنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق، والعرش في وجوه أخر هو العلم، وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فقال: استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء انتهى[1]. وإنّما بسطنا الكلام في هذا المقام لصعوبة فهم تلك الأخبار على أكثر الأفهام.

أقول: قد مرّت الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع، وباب نفي الجسم والصورة، وسيأتي في باب احتجاج أمير المؤمنين صلوات الله عليه على النصارى، وباب العرش والكرسيّ، وباب جوامع التوحيد.



(١) اعتقادات الصدوق ص ٧٤.



تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الرابع

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: ٧١٢٠

أبواب تأويل الآيات والأخبار الموهمة لخلاف ما سبق

١ - باب تأويل قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ و﴿جَنْبِ اللَّهِ﴾ و﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾

١ - **فس**: محمّد بن أحمد بن ثابت، عن القاسم بن إسماعيل الهاشميّ، عن محمّد بن سيّار، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو أنّ الله خلق الخلق كلّهم بيده لم يحتجّ في آدم أنّه خلقه بيده فيقول: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1] أفترى الله يبعث الأشياء بيده؟[2].

بيان: لعلّ المراد أنّه لو كان الله تعالى جسماً يزاول الأشياء ويعالجها بيده لم يكن ذلك مختصّاً بآدم عليه السلام، بل هو تعالى منزّه عن ذلك، وهو كناية عن كمال العناية بشأنه كما سيأتي.

٢ - **يد، مع**: ابن عصام، عن الكلينيّ، عن العلاّن، عن اليقطينيّ قال: سألت أبا الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[3] فقال: ذلك تعيير الله تبارك وتعالى لمن شبّهه بخلقه، ألا ترى أنّه قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ومعناه إذ قالوا: إنّ الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويّات بيمينه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء. ثمّ نزّه عزّ وجلّ نفسه عن القبضة واليمين فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4].

بيان: هذا وجه حسن لم يتعرّض له المفسّرون، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ متّصل بقوله «والأرض جميعاً» فيكون على تأويله عليه السلام القول مقدّراً أي ما عظّموا الله حقّ تعظيمه وقد قالوا: إنّ الأرض جميعاً؛ ويؤيّده أنّ العامّة رووا أنّ يهوديّاً أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وذكر نحواً من ذلك فضحك صلى الله عليه وآله.

٣ - **يد**: أحمد بن الهيثم العجليّ، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن أبي الحسن العبديّ، عن سليمان بن مهران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فقال: يعني ملكه لا يملكها معه أحد. والقبض من الله تعالى في موضع آخر: المنع، والبسط منه: الإعطاء

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢١٥.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(٤) التوحيد، ص ١٦٠ باب ١٧ ح ١ ومعاني الأخبار، ص ١٤.

والتوسيع كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يعني يعطي ويوسّع ويمنع ويضيّق. والقبض منه عزّ وجلّ في وجه آخر: الأخذ في وجه القبول منه كما قال: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ أي يقبلها من أهلها ويثيب عليها. قلت: فقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قال: اليمين: اليد، واليد: القدرة والقوّة، يقول عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾ بقدرته وقوته سبحانه وتعالى عمّا يشركون[(١)].

بيان: قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: القبضة في اللّغة: ما قبضت عليه بجميع كفّك أخبر الله سبحانه عن كمال قدرته فذكر أنّ الأرض كلّها مع عظمها في مقدوره كالشيء الّذي يقبض عليه القابض بكفّه فيكون في قبضته، وهذا تفهيم لنا على عادة التخاطب فيما بيننا لأنّا نقول: هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرّف فيه وإن لم يقبض عليه، وكذا قوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي يطويها بقدرته كما يطوي أحد منّا الشيء المقدور له طيّه بيمينه، وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك، كما قال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي ما كانت تحت قدرتكم إذ ليس الملك يختصّ باليمين دون الشمال وسائر الجسد، وقيل: معناه انّها محفوظات مصونات بقوّته واليمين: القوّة[(٢)].

٤ - يد، ن: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن الهرويّ قال: قلت لعليّ بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه أهل الحديث: إنّ المؤمنين يزورون ربّهم من منازلهم في الجنّة؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت إنّ الله تبارك وتعالى فضّل نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله على جميع خلقه من النبيّين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومبايعته مبايعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عزّ وجلّ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[(٣)] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[(٤)] وقال النبي صلى الله عليه وآله: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله. ودرجة النبيّ صلى الله عليه وآله في الجنّة أرفع الدرجات، فمن زاره إلى درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فما معنى الخبر الّذي رووه أنّ ثواب لا إله إلاّ الله النظر إلى وجه الله؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم، هم الّذين بهم يتوجّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى دينه ومعرفته؛ وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[(٥)] وقال عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[(٦)] فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم

---

(١) التوحيد، ص ١٦١ باب ١٧ ح ٢.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤١٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٤) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٥) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦-٢٧.
(٦) سورة القصص، الآية: ٨٨.

القيامة، وقال ﷺ: إنّ فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني، يا أبا الصلت إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن الجنّة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال: نعم، وإنّ رسول الله ﷺ قد دخل الجنّة ورأى النار لمّا عرج به إلى السماء قال: فقلت له: إنّ قوماً يقولون إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين. فقال عليه السلام: ما أولئك منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنار فقد كذّب النبي ﷺ وكذّبنا، وليس من ولايتنا على شيء، ويخلّد في نار جهنّم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾﴾[1] وقال النبي ﷺ: لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة فناولني من رطبها فأكلته فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيّة فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة[2].

٥ - يد، مع: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن بكر، عن أبي عبد الله البرقيّ، عن عبد الله بن يحيى، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت: قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فقال: اليد في كلام العرب: القوّة والنعمة، قال الله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أي بقوّة، وقال: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي قوّاهم، ويقال: لفلان عندي أيادي كثيرة أي فواضل وإحسان، وله عندي يدٌ بيضاء أي نعمة[3].

٦ - يد، مع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن محمّد بن عيسى، عن المشرقيّ، عن عبد الله ابن قيس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: بل يداه مبسوطتان. فقلت له: يدان هكذا - وأشرت بيديّ إلى يديه. فقال: لا لو كان هكذا لكان مخلوقاً[4].

بيان: غلّ اليد وبسطها كناية عن البخل والجود، وثني اليد مبالغة في الردّ ونفي البخل عنه، وإثبات لغاية الجود، فإنّ غاية ما يبذله السخيّ من ماله أن يعطيه بيديه، أو للإشارة إلى منح الدنيا والآخرة، أو ما يعطى للاستدراج وما يعطى للإكرام أو للإشارة إلى لطفه وقهره.

٧ - فس: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ قال: دين ربّك. وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: نحن الوجه الذي يؤتى الله منه[5].

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٣٤-٤٤. (٢) التوحيد، ص ١١٧ باب ٨ ح ٢١.

(٣) التوحيد، ص ١٥٣ باب ١٣ ح ١ ومعاني الأخبار، ص ١٦.

(٤) التوحيد، ص ١٦٨ باب ٢٥ ح ٢ ومعاني الأخبار ص ١٨.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢٣.

٨ - يد، مع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن بزيع، عن منصور بن يونس، عن جليس لأبي حمزة، عن أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: فيهلك كلُّ شيء ويبقى الوجه إنّ الله عزّ وجلّ أعظم من أن يوصف بالوجه، ولكن معناه: كلّ شيء هالك إلاّ دينه، والوجه الّذي يؤتى منه[1].

ير: ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن منصور مثله.

ير: أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن إسماعيل، عن منصور، عن أبي حمزة مثله.

٩ - ير: أحمد، عن الحسين، عن بعض أصحابنا، عن ابن عميرة، عن ابن المغيرة قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن قول الله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: ما يقولون فيه؟ قلت: يقولون: يهلك كلّ شيء إلاّ وجهه؛ فقال: يهلك كلّ شيء إلا وجهه الذي يؤتى منه، ونحن وجه الله الذي يؤتى منه[2].

١٠ - يد، مع: ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ربيع الورّاق، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: نحن[3].

١١ - يد: ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن سهل، عن البزنطيّ، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: من أتى الله بما أمر به من طاعة محمّد والأئمّة من بعده صلوات الله عليهم فهو الوجه الّذي لا يهلك، ثمّ قرأ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[4].

١٢ - وبهذا الإسناد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن وجه الله الّذي لا يهلك[5].

١٣ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن صفوان بن يحيى، عن أبي سعيد المكاريّ، عن أبي بصير، عن الحارث بن المغيرة النصريّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: كل شيء هالك إلاّ من أخذ طريق الحقّ[6].

بيان: ذكر المفسّرون فيه وجهين: أحدهما أنّ المراد به إلاّ ذاته كما يقال: وجه هذا الأمر

---

(١) التوحيد، ص ١٤٩ باب ١٢ ح ١ ومعاني الأخبار، ص ١٢.
(٢) بصائر الدرجات، ص ٧٩ ج ٢ باب ٤ ح ٦.
(٣) التوحيد، ص ١٥٠ باب ١٢ ح ٥ ومعاني الأخبار، ص ١٣.
(٤) - (٥) التوحيد، ص ١٥٠ باب ١٢ ح ٣ وح ٤.
(٦) التوحيد، ص ١٤٩ باب ١٢ ح ٢.

أي حقيقته. وثانيهما أنّ المعنى ما أريد به وجه الله من العمل. واختلف على الأوّل في الهلاك هل هو الانعدام حقيقة، أو أنّه لإمكانه في معرض الفناء والعدم، وعلى ما ورد في تلك الأخبار يكون المراد بالوجه الجهة كما هو في أصل اللّغة، فيمكن أن يراد به دين الله إذ به يتوسّل إلى الله ويتوجّه إلى رضوانه، أو أئمّة الدين فإنّهم جهة الله، وبهم يتوجّه إلى الله ورضوانه ومن أراد طاعة الله تعالى يتوجّه إليهم.

١٤ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن سيف، عن أخيه الحسين، عن أبيه سيف بن عميرة النخعيّ، عن خيثمة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قال: دينه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام دين الله ووجهه وعينه في عباده، ولسانه الّذي ينطق به، ويده على خلقه، ونحن وجه الله الّذي يؤتى منه لن نزال في عباده ما دامت لله فيهم رويّة. قلت: وما الرويّة؟ قال: الحاجة، فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه فصنع ما أحبّ[1].

بيان: قال الجوهريّ: لنا قبلك رويّة أي حاجة. انتهى. وحاجة الله مجاز عن علم الخير والصلاح فيهم.

١٥ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن هشام، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد ابن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: تبارك الجبّار - ثمّ أشار إلى ساقه فكشف عنها الإزار - قال: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[2] قال: أفحم القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر شاخصة أبصارهم ترهقهم الذلّة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون.

قال الصدوق رحمه الله: قوله عليه السلام: تبارك الجبّار - وأشار إلى ساقه فكشف عنها الإزار - يعني به تبارك الجبّار أن يوصف بالساق الّذي هذه صفته[3].

بيان: أفحمته: أسكته في خصومة أو غيرها.

١٦ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن الحسين بن موسى، عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: - كشف إزاره عن ساقه ويده الأخرى على رأسه - فقال: سبحان ربّي الأعلى. قال الصدوق: معنى قوله: «سبحان ربي الأعلى» تنزيه لله عزّ وجلّ عن أن يكون له ساق[4].

١٧ - **يد، ن:** المكتب والدقّاق، عن الأسدي، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن،

---

(١) التوحيد، ص ١٥١ باب ١٢ ح ٧.
(٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.
(٣) التوحيد، ص ١٥٤ باب ١٤ ح ٢.
(٤) التوحيد، ص ١٥٥ باب ١٤ ح ٣.

عن بكر بن صالح، عن الحسن بن سعيد، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجّداً، أو تدمج أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود[(١)].

ج: عن الرضا عليه السلام مثله.

بيان: دمج دموجاً: دخل في الشيء واستحكم فيه، والدامج: المجتمع. قوله: يكشف أي عن شيء من أنوار عظمته وآثار قدرته. واعلم أنّ المفسّرين ذكروا في تأويل هذه الآية وجوهاً:

الأول: أنّ المراد: يوم يشتدّ الأمر ويصعب الخطب، وكشف الساق مثل في ذلك، وأصله تشمير المخدّرات عن سوقهنّ في الهرب؛ قال حاتم:

إن عضّت به الحرب عضّها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

الثاني: أنّ المعنى يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً؛ مستعار من ساق الشجر وساق الإنسان، وتنكيره للتهويل أو التعظيم.

الثالث: أنّ المعنى أنّه يكشف عن ساق جهنّم، أو ساق العرش، أو ساق ملك مهيب عظيم.

قال الطبرسيّ رحمه الله: ويدعون إلى السجود أي يقال لهم على وجه التوبيخ: اسجدوا فلا يستطيعون. وقيل: معناه أنّ شدّة الأمر وصعوبة حال ذلك اليوم تدعوهم إلى السجود وإن كانوا لا ينتفعون به ليس أنّهم يؤمرون به، وهذا كما يفزع الإنسان إلى السجود إذا أصابه هول من أهوال الدنيا. خاشعة أبصارهم أي ذليلة أبصارهم لا يرفعون نظرهم عن الأرض ذلّة ومهانة. ترهقهم ذلّة أي تغشاهم ذلّة الندامة والحسرة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون أي أصحّاء يمكنهم السجود فلا يسجدون يعني أنّهم كانوا يؤمرون بالصلاة في الدنيا فلم يفعلوا. وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّهما قالا في هذه الآية: أفحم القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والخزي والمذلّة؛ وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون أي يستطيعون الأخذ بما أمروا به والترك لما نهوا عنه ولذلك ابتلوا[(٢)].

١٨ - **يد:** ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن ابن سنان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: أنا الهادي، وأنا المهتدي، وأنا أبو اليتامى والمساكين وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كلّ ضعيف، ومأمن

---

(١) التوحيد، ص ١٥٤ باب ١٤ ح ١ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١١٠ باب ١١ ح ١٤.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٩٧ في تفسيره للآية ٤١ من سورة القلم.

كلّ خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنّة، وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى وكلمة التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله الّذي يقول: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ اللَّهِ﴾ وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطّة، من عرفني وعرف حقّي فقد عرف ربّه لأنّي وصيّ نبيّه في أرضه، وحجّته على خلقه، لا ينكر هذا إلاّ رادٌّ على الله ورسوله.

قال الصدوق: الجنب: الطاعة في لغة العرب، يقال: هذا صغير في جنب الله أي في طاعة الله عزّوجلّ، فمعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: أنا جنب الله أي أنا الّذي ولايتي طاعة الله، قال الله عزّوجلّ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ اللَّهِ﴾[١] أي في طاعة الله عزّوجلّ[٢].

بيان: روي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: معنى جنب الله أنّه ليس شيء أقرب إلى الله من رسوله، ولا أقرب إلى رسوله من وصيّه، فهو في القرب كالجنب، وقد بيّن الله تعالى ذلك في كتابه بقوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ اللَّهِ﴾ يعني في ولاية أوليائه. وقال الطبرسيّ رحمه الله: الجنب: القرب أي يا حسرتي على ما فرّطت في قرب الله وجواره، وفلان في جنب فلان أي في قربه وجواره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ وهو الرفيق في السفر، وهو الّذي يصحب الإنسان بأن يحصل بجنبه لكونه رفيقه قريباً منه ملاصقاً له. انتهى. والعين أيضاً من المجازات الشائعة أي لمّا كان شاهداً على عباده مطّلعاً عليهم فكأنّه عينه؛ وكذا اللسان فإنّه لمّا كان يخاطب الناس من قبل الله ويعبّر عنه في بريّته فكأنّه لسانه.

١٩ - **شي:** عن أبي معمّر السعديّ قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: يعني لا ينظر إليهم بخير لمن لا يرحمهم، وقد يقول العرب للرجل السيّد أو للملك: لا تنظر إلينا يعني أنّك لا تصيبنا بخير وذلك النظر من الله إلى خلقه[٣].

٢٠ - **يد، ن:** ابن عصام، عن الكلينيّ، عن أحمد بن إدريس، عن ابن عيسى، عن عليّ ابن سيف، عن محمّد بن عبيدة قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ قال: يعني بقدرتي وقوّتي.

قال الصدوق رحمه الله: سمعت بعض مشايخ الشيعة بنيسابور يذكر في هذه الآية أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يقفون على قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ ثم يبتدؤون بقوله: ﴿بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ قال: وهذا مثل قول القائل: بسيفي تقاتلني وبرمحي تطاعنني، كأنّه يقول: بنعمتي عليك وإحساني إليك قويت على الاستكبار والعصيان[٤].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٦.
(٢) التوحيد، ص ١٦٤ باب ٢٢ ح ٢.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٣ ح ٧٢.
(٤) التوحيد، ص ١٥٣ باب ١٣ ح ٢.

بيان: ما ورد في الخبر أظهر ما قيل في تفسير هذه الآية، ويمكن أن يقال في توجيه التشبيه: إنّها لبيان أنّ في خلقه كمال القدرة، أو أنّ له روحاً وبدناً أحدهما من عالم الخلق والآخر من عالم الأمر، أو لأنّه مصدرٌ لأفعال ملكيّة، ومنشأ لأفعال بهيميّة، والثانية كأنّها أثر الشمال، وكلتا يديه يمين، وأمّا حمل اليد على القدرة فهو شائع في كلام العرب، تقول: ما لي لهذا الأمر من يد أي قوّة وطاقة، وقال تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَا ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[1].

وقد ذكر في الآية وجوه أخر: أحدها أنّ اليد عبارة عن النعمة، يقال: أيادي فلان في حقّ فلان ظاهرةٌ، والمراد باليدين النعم الظاهرة والباطنة أو نعم الدين والدنيا. وثانيها: أنّ المراد: خلقته بنفسي من غير توسّط كأب وأمّ وثالثها: أنّه كناية عن غاية الاهتمام بخلقه، فإنّ السلطان العظيم لا يعمل شيئاً بيديه إلا إذا كانت غاية عنايته مصروفة إلى ذلك العمل.

أقول: سيأتي كثير من الأخبار المناسبة لهذا الباب في أبواب كتاب الإمامة وباب أسئلة الزنديق المدّعي للتناقض في القرآن.

٢ - باب تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ و﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وقوله ﷺ «خلق الله آدم على صورته»

١ - **يد، ن:** الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله إنّ الناس يروون أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله خلق آدم على صورته! فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث، إنّ رسول الله ﷺ مرّ برجلين يتسابّان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك. فقال عليه السلام: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فإن الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته[2].

ج: مرسلاً عن الحسين مثله.

٢ - **مع:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[3] قال: روح اختاره الله واصطفاه وخلقه وأضافه إلى نفسه، وفضّله على جميع الأرواح فأمر فنفخ منه في آدم عليه السلام[4].

يد: حمزة العلويّ، عن عليّ، عن أبيه مثله.

٣ - **يد، مع:** غير واحد من أصحابنا، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن بكر، عن القاسم بن عروة، عن عبد الحميد الطائيّ، عن محمّد بن مسلم قال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٢) التوحيد، ص ١٥٢ باب ١٢ ح ١١ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ١١٠ باب ١١ ح ١٢.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٩. (٤) معاني الأخبار، ص ١٧.

سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ كيف هذا النفخ؟ فقال: إنّ الروح متحرّك كالريح، وإنّما سمّي روحاً لأنّه اشتقّ اسمه من الريح، وإنّما أخرجه على لفظة الروح لأنّ الروح مجانس للريح، وإنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاه على سائر الأرواح كما اصطفى بيتاً من البيوت فقال: بيتي وقال لرسول من الرسل: خليلي وأشباه ذلك، وكلّ ذلك مخلوقٌ مصنوعٌ محدَثٌ مربوبٌ مدبّرٌ(١).

ج: مرسلاً عن محمّد، عنه عليه السلام.

٤ - ج: حمران بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: هي مخلوقة خلقها الله بحكمته في آدم وفي عيسى عليه السلام(٢).

٥ - مع: غير واحد، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن عبيس بن هشام، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ قال: من قدرتي(٣).

٦ - يد: بالإسناد عن العبّاس، عن ابن أسباط، عن سيف بن عميرة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام مثله.

٧ - يد: القطّان، عن السكّريّ، عن الحكم بن أسلم، عن ابن عيينة، عن الجريريّ، عن أبي الورد بن ثمامة، عن علي عليه السلام قال: سمع النبي صلى الله عليه وآله رجلاً يقول لرجل: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال عليه السلام: مه لا تقل هذا فإنّ الله خلق آدم على صورته.

قال الصدوق رحمه الله: تركت المشبّهة من هذا الحديث أوّله، وقالوا: إنّ الله خلق آدم على صورته، فضلّوا في معناه وأضلّوا(٤).

٨ - يد: السنانيّ والمكتب والدقّاق جميعاً، عن الأسديّ: عن البرمكيّ، عن عليّ ابن العبّاس عن عبيس بن هشام، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً وخلق روحاً، ثمّ أمر ملكاً فنفخ فيه وليست بالّتي نقصت من قدرة الله شيئاً هي من قدرته(٥).

شي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

٩ - يد: ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي جعفر الأصمّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الروح الّتي في آدم والّتي في عيسى ما هما؟ قال روحان مخلوقان اختارهما واصطفاهما روح آدم وروح عيسى صلوات الله عليهما(٦).

---

(١) التوحيد، ص ١٧١ باب ٢٧ ح ٣ ومعاني الأخبار ص ١٧.
(٢) الاحتجاج، ص ٣٢٣. (٣) معاني الأخبار، ص ١٧.
(٤) - (٥) التوحيد، ص ١٥٢ باب ١٢ ح ١٠. (٦) التوحيد، ص ١٧١ باب ٢٧ ح ٤.

١٠ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن الحلبيّ وزرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أحدٌ صمدٌ ليس له جوف، وإنّما الروح خلق من خلقه، نصر وتأييد وقوّة يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين(١).

١١ - **شي:** عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ قالا: إنّ الله تبارك وتعالى؛ وذكر مثله(٢).

١٢ - **شي:** عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ قال: روح خلقها الله فنفخ في آدم منها(٣).

١٣ - **شي:** عن محمّد بن أورمة، عن أبي جعفر الأحول، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الروح الّتي في آدم، قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ قال: هذه روح مخلوقة لله، والروح الّتي في عيسى بن مريم مخلوقة لله(٤).

١٤ - **شي:** في رواية سماعة عنه عليه السلام خلق آدم فنفخ فيه، وسألته عن الروح قال: هي من قدرته من الملكوت(٥).

١٥ - **يد:** ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه أحمد، عن أبيه، عن عبد الله بن بحر عن أبي أيّوب، عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عمّا يروون أنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته، فقال: هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه، والروح إلى نفسه فقال: بيتي وقال: نفخت فيه من روحي(٦).

ج: عن محمّد مثله(٧).

بيان: هذا الخبر لا ينافي ما سبق، لأنّه تأويل على تقدير عدم ذكر أوّله، كما يرويه من حذف منه ما حذف.

تذنيب: قال السيّد المرتضى قدّس الله روحه في كتاب تنزيه الأنبياء: فإن قيل: ما معنى الخبر المرويّ عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله خلق آدم على صورته؟ أو ليس ظاهر هذا الخبر يقتضي التشبيه وأنّ له تعالى عن ذلك صورة؟ قلنا: قد قيل في تأويل هذا الخبر إنّ الهاء في «صورته» إذا صحّ هذا الخبر راجعة إلى آدم عليه السلام، دون الله تعالى فكان المعنى أنّه تعالى

---

(١) التوحيد، ص ١٧١ باب ٢٧ ح ٢.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٣٩ في تفسير سورة الاسراء، ح ١٦٠.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦١ ح ٨.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦١ ح ٩ و١١.

(٦) التوحيد، ص ١٠٣ باب ٦ ح ١٨. (٧) الاحتجاج، ص ٣٢٣.

خلقه على الصورة التي قبض عليها فإنّ حاله لم يتغيّر في الصورة بزيادة ولا نقصان كما تتغيّر أحوال البشر. وذكر وجه ثانٍ وهو على أن تكون الهاء راجعة إلى الله تعالى، ويكون المعنى أنّه خلقه على الصورة التي اختارها واجتباها لأنّ الشيء قد يضاف إلى مختاره ومصطفيه. وذكر أيضاً وجه ثالث وهو أنّ هذا الكلام خرج على سبب معروف لأنّ الزهريّ روى عن الحسن أنّه كان يقول: مرّ رسول الله ﷺ برجل من الأنصار وهو يضرب وجه غلام له ويقول: قبح الله وجهك ووجه من تشبهه، فقال النبيّ ﷺ: بئس ما قلت. فإنّ الله خلق آدم على صورته، يعني صورة المضروب. ويمكن في الخبر وجه رابع وهو أن يكون المراد أنّ الله تعالى خلق آدم وخلق صورته لينتفي بذلك الشكّ في أنّ تأليفه من فعل غيره لأنّ التأليف من جنس مقدور البشر، والجواهر وما شاكلها من الأجناس المخصوصة من الأعراض هي الّتي يتفرّد القديم تعالى بالقدرة عليها، فيمكن قبل النظر أن يكون الجواهر من فعله وتأليفها من فعل غيره فكأنّه عليه السلام أخبر بهذه الفائدة الجليلة وهو أنّ جوهر آدم وتأليفه من فعل الله تعالى. ويمكن وجه خامس وهو أن يكون المعنى أنّ الله أنشأه على هذه الصورة الّتي شوهد عليها على سبيل الابتداء، وإنّه لم ينتقل إليها ويتدرّج كما جرت العادة في البشر. وكلّ هذه الوجوه جائز في معنى الخبر والله تعالى ورسوله ﷺ أعلم بالمراد[1]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول: وفيه وجه سادس ذكره جماعة من شرّاح الحديث، وهو أنّ المراد بالصورة الصفة من كونه سميعاً بصيراً متكلّماً، وجعله قابلاً للاتصاف بصفاته الكماليّة والجلاليّة على وجه لا يفضي إلى التشبيه، والأولى الاقتصار على ما ورد في النصوص عن الصادقين عليهم السلام، وقد روت العامّة الوجه الأوّل المرويّ عن أمير المؤمنين وعن الرضا صلوات الله عليهما بطرق متعدّدة في كتبهم.

٣ - باب تأويل آية النور

١ - **يد، مع:** أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن العبّاس عن هلال قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] فقال: هاد لأهل السماء وهاد لأهل الأرض[3].

٢ - وفي رواية البرقيّ: هدى من في السماوات وهدى من في الأرض.

٣ - **ج:** عن العبّاس بن هلال: قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقال عليه السلام: هادي من في السماوات وهادي من في الأرض[4].

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ١٢٧. (٢) سورة النور، الآية: ٣٥.
(٣) التوحيد، ص ١٥٥ باب ١٥ ح ١ ومعاني الأخبار، ص ١٥ باب ١٣ ح ٦.
(٤) الاحتجاج، ص ٤٥٠.

٤ - يد، مع: إبراهيم بن هارون الهيستيّ، عن محمّد بن أحمد بن أبي الثلج، عن الحسين بن أيّوب، عن محمّد بن غالب، عن عليّ بن الحسين، عن الحسن بن أيّوب، عن الحسين بن سليمان، عن محمّد بن مروان الذهليّ، عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ قال لي: محمّد صلى الله عليه وآله، قلت: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ قال: صدر محمّد صلى الله عليه وآله، قلت: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: فيه نور العلم يعني النبوّة، قلت: ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ قال: علم رسول الله صلى الله عليه وآله صدر إلى قلب عليّ عليه السلام، قلت: ﴿كَأَنَّهَا﴾ قال: لأيّ شيء تقرأ كأنّها؟ قلت: وكيف جعلت فداك؟ قال: كأنّه كوكب دريّ، قلت: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا يهوديّ ولا نصرانيّ قلت: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمّد من قبل أن ينطق به، قلت: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ قال: الإمام على أثر الإمام[1].

قال الصدوق رحمه الله: إنّ المشبّهة تفسّر هذه الآية على أنّه ضياء السماوات والأرض، ولو كان كذلك لما جاز أن توجد الأرض مظلمة في وقت من الأوقات، لا باللّيل ولا بالنهار، لأنّ الله هو نورها وضياؤها على تأويلهم، وهو موجود غير معدوم، فوجود الأرض مظلمة بالليل ووجودنا داخلها أيضاً مظلماً بالنهار يدلّ على أنّ تأويل قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هو ما قاله الرضا عليه السلام دون تأويل المشبّهة، وأنّه عليه السلام هادي أهل السماوات والأرض، والمبيّن لأهل السماوات والأرض أمور دينهم ومصالحهم، فلمّا كان بالله وبهداه يهتدي أهل السماوات والأرض إلى صلاحهم وأمور دينهم كما يهتدون بالنور الّذي خلقه الله لهم في السماوات والأرض إلى إصلاح دنياهم قال: إنّه نور السماوات والأرض على هذا المعنى، وأجرى على نفسه هذا الاسم توسّعاً ومجازاً لأنّ العقول دالّة على أنّ الله عزّ وجلّ لا يجوز أن يكون نوراً ولا ضياءاً، ولا من جنس الأنوار والضياء لأنّه خالق الأنوار وخالق جميع أجناس الأشياء، وقد دلّ على ذلك أيضاً قوله: مثل نوره وإنّما أراد به صفة نوره، وهذا النور هو غيره لأنّه شبّهه بالمصباح وضوئه الّذي ذكره، ووصفه في هذه الآية ولا يجوز أن يشبّه نفسه بالمصباح لأن الله لا شبه له ولا نظير فصحّ أنّ نوره الّذي شبّهه بالمصباح إنّما هو دلالته أهل السماوات والأرض على مصالح دينهم وعلى توحيد ربّهم وحكمته وعدله ثمّ بيّن وضوح دلالته هذه وسمّاها نوراً من حيث يهتدي بها عباده إلى دينهم وصلاحهم فقال: مثله مثل كوّة وهي المشكاة فيها المصباح والمصباح هو السراج في زجاجة صافية شبيهة بالكوكب الّذي هو الكوكب المشبّه بالدرّ في لونه وهذا المصباح الّذي في هذه الزجاجة الصافية يتوقّد من زيت زيتونة مباركة، وأراد به زيتون الشام لأنّه يقال: إنّه بورك فيه لأهله، وعنى عزّ وجلّ بقوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أنّ هذه الزيتونة ليست بشرقيّة فلا تسقط الشمس عليها في وقت الغروب، ولا غربيّة ولا تسقط الشمس عليها في وقت

(١) التوحيد، ص ١٥٧ باب ١٥ ح ٣.

الطلوع بل هي في أعلى شجرها، والشمس تسقط عليها في طول نهارها، فهو أجود لها وأضوء لزيتها، ثمّ أكد وصفه لصفاء زيتها فقال: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لما فيها من الصفاء فبيّن أنّ دلالات الله الّتي بها دلّ عباده في السماوات والأرض على مصالحهم وعلى أمور دينهم في الوضوح والبيان بمنزلة هذا المصباح الّذي في هذه الزجاجة الصافية، ويتوقّد بها الزيت الصافي الذي وصفه، فيجتمع فيه ضوء النار مع ضوء الزجاجة وضوء الزيت وهو معنى قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ وعنى بقوله عزّوجلّ: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يعني من عباده وهم المكلّفون ليعرفوا بذلك ويهتدوا به ويستدلّوا به على توحيد ربّهم وسائر أمور دينهم، وقد دلّ الله عزّوجلّ بهذه الآية وبما ذكره من وضوح دلالاته وآياته الّتي دلّ بها عباده على دينهم أنّ أحداً منهم لم يؤت فيما صار إليه من الجهل ومن تضييع الدين لشبهة ولبس دخلا عليه في ذلك من قبل الله عزّوجلّ إذ كان الله عزّوجلّ قد بيّن لهم دلالاته وآياته على سبيل ما وصف، وأنّهم إنّما أُوتوا في ذلك من قبل نفوسهم بتركهم النظر في دلالات الله والاستدلال بها على الله عزّوجلّ وعلى صلاحهم في دينهم، وبيّن أنّه بكلّ شيء من مصالح عباده ومن غير ذلك عليم[١]. وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قول الله عزّوجلّ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فقال: هو مثل ضربه الله لنا فالنبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم من دلالات الله وآياته الّتي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والسنن والفرائض، ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم[٢].

٥ - **فس**: حميد بن زياد، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام في هذه الآية: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ مثل هداه في قلب المؤمن، قوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة: جوف المؤمن، والقنديل: قلبه، والمصباح: النور الّذي جعله الله فيه. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ قال: الشجرة: المؤمن. ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: على سواء الجبل لا غربيّة أي لا شرق لها ولا شرقيّة أي لا غرب لها، إذا طلعت الشمس طلعت عليها وإذا غربت غربت عليها. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ يعني يكاد النور الّذي جعله الله في قلبه ﴿يُضِيٓءُ﴾ وإن لم يتكلّم. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ فريضة على فريضة، وسنّة على سنّة ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ وهذا مثل ضربه الله للمؤمن. ثمّ قال: فالمؤمن من يتقلّب في خمسة من النور: مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومصيره يوم القيامة إلى الجنّة نور. قلت لجعفر عليه السلام: جعلت فداك يا سيّدي إنّهم يقولون: مثل نور الرب؟ قال: سبحان الله! ليس لله مثل، قال الله: فلا تضربوا لله الأمثال[٣].

---

(١) التوحيد، ص ١٥٥ باب ١٥ ح ١.
(٢) التوحيد، ص ١٥٧ باب ١٥ ح ٢.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٧٩.

بيان: قوله عليه السلام: الشجرة: المؤمن لعلّ المراد أنّ نور الإيمان الّذي جعله الله في قلب المؤمن يتّقد من أعمال صالحة هي ثمرة شجرة مباركة هي المؤمن المهتدي ويحتمل أن يكون المراد بالمؤمن المؤمن الكامل وهو الإمام عليه السلام ولا يبعد أن يكون المؤمن تصحيف الإيمان، أو القرآن، أو نحن، أو الإمام.

٦ - **فس:** محمّد بن همام، عن جعفر بن محمّد، عن محمّد بن الحسن الصائغ، عن الحسن بن علي، عن صالح بن سهل الهمدانيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فاطمة عليها السلام ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن و﴿الْمِصْبَاحُ﴾ الحسين ﴿فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ كأنّ فاطمة كوكب دريّ بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يوقد من إبراهيم عليه السلام ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهوديّة ولا نصرانيّة، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ يكاد العلم ينفجر منها ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يهدي الله بالأئمّة عليهم السلام من يشاء[1].

توضيح: قوله عليه السلام والمصباح الحسين أي المصباح المذكور في الآية ثانياً، وعلى هذا الخبر تكون المشكاة والزجاجة كنايتين عن فاطمة عليها السلام.

٧ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن عليّ بن العبّاس، عن عليّ بن حمّاد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله وضع العلم الّذي كان عنده عند الوصي، وهو قول الله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول: أنا هادي السماوات والأرض مثل العلم الّذي أعطيته وهو نوري الّذي يهتدى به مثل المشكاة فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمّد صلى الله عليه وآله، والمصباح النور الّذي فيه العلم، وقوله: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ يقول: إنّي أُريد أن أقبضك فاجعل الّذي عندك عند الوصيّ كما يجعل المصباح في الزجاجة؛ ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فأعلمهم فضل الوصي؛ ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ فأصل الشجرة المباركة إبراهيم صلّى الله عليه، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[2] وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[3] ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يقول: لستم بيهود فتصلّوا قبل المغرب، ولا نصارى فتصلّوا قبل المشرق، وأنتم على ملّة إبراهيم صلوات الله عليه، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4] وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول: مثل أولادكم الذين يولدون منكم كمثل الزيت الذي يعصر من الزيتون، يكاد زيتها يضيء، يقول: يكادون أن يتكلّموا بالنبوّة ولو لم ينزل عليهم ملك[5].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٧٨.
(٢) سورة هود، الآية: ٧٣.
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣-٣٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.
(٥) الروضة من الكافي المطبوع مع الأصول ص ٨٤٩ ح ٥٧٤.

أقول: ستأتي الأخبار الكثيرة في تأويل تلك الآية في كتاب الإمامة في باب أنّهم أنوار الله.

تنوير: قال البيضاويّ: النور في الأصل كيفيّة تدركها الباصرة أوّلاً، وبواسطتها سائر المبصرات، كالكيفيّة الفائضة من النيّرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما، وهو بهذا المعنى لا يصحّ إطلاقه على الله تعالى إلاّ بتقدير مضاف كقولك: زيد كرم بمعنى ذو كرم، أو على تجوّز بمعنى منوّر السماوات والأرض. وقد قرئ به. فإنّه تعالى نوّرها بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار، وبالملائكة والأنبياء؛ أو مدبّرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير: نور القوم لأنّهم يهتدون به في الأمور؛ أو موجدها فإنّ النور ظاهر بذاته مظهر لغيره، وأصل الظهور هو الوجود، كما أنّ أصل الخفاء هو العدم، والله سبحانه موجود بذاته، موجد لما عداه؛ أو الّذي به يدرك، أو يدرك أهلها من حيث إنّه يطلق على الباصرة لتعلّقها به، أو لمشاركتها له في توقّف الإدراك عليه ثمّ على البصيرة لأنّها أقوى إدراكاً فإنّها تدرك نفسها وغيرها من الكلّيّات والجزئيّات، الموجودات والمعدومات، ويغوص في بواطنها ويتصرّف فيها بالتركيب والتحليل. ثمّ إنّ هذه الإدراكات ليست بذاتها، وإلاّ لما فارقتها فهي إذن من سبب يفيضها عليها، وهو الله تعالى ابتداءاً أو بتوسّط من الملائكة والأنبياء، ولذلك سمّوا أنواراً. ويقرب منه قول ابن عبّاس: معناه هادي من فيهما، فهم بنوره يهتدون؛ وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشراقه، ولاشتمالهم على الأنوار الحسيّة والعقليّة، وقصور الإدراكات البشريّة عليهما وعلى المتعلّق بهما والمدلول لهما.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ صفة نوره العجيبة الشأن، وإضافته إلى ضميره سبحانه دليل على أنّ إطلاقه عليه لم يكن على ظاهر ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كصفة مشكاة، وهي الكوّة الغير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ضخم ثاقب. وقيل: المشكاة: الأنبوبة في وسط القنديل، والمصباح: الفتيلة المشتعلة ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل من الزجاج ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب إلى الدرّ، أو فعيل كبريق من الدر، فإنّه يدفع الظلام بضوئه، أو بعض ضوئه بعضاً من لمعانه، إلاّ أنّه قلب همزته ياءاً، ويدلّ عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل، وقراءة أبي عمرو والكسائي درّيء كشرّيب، وقد قرئ به مقلوباً ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ أي ابتداء توقّد المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت زبالتها بزيتها، وفي إبهام الشجرة ووصفه بالبركة ثمّ إبدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء، والبناء للمفعول من أوقد؛ وحمزة والكسائيّ وأبو بكر بالتاء كذلك على إسناده إلى الزجاجة بحذف المضاف. وقرئ توقد بمعنى تتوقّد وتوقّد بحذف التاء لاجتماع الزيادتين وهو غريب ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ تقع الشمس عليها حيناً بعد حين بل بحيث يقع عليها طول النهار كالّتي تكون على قلّة أو صحراء واسعة فإنّ ثمرتها تكون أنضج، وزيتها أصفى؛ أو لا ثابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام، فإنّ زيتونه

أجود الزيتون، أو لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها ومقناة تغيب عنها دائماً فيتركها نيّاً. وفي الحديث: لا خير في شجرة ولا في نبات في مقناة، ولا خير فيها في مضحى. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط بيضه[1] ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ متضاعف فإنّ نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل، وضبط المشكاة لأشعّته.

وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه:

الأوّل: أنّه تمثيل للهدى الّذي دلّ عليه الآيات البيّنات في جلاء مضمونها وظهور ما تضمّنته من الهدى المشكاة المنعوتة. أو تشبيه للهدى من حيث إنّه محفوظ من ظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح، وإنّما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليها، وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس. أو تمثيل لما نوّر الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المثبت فيها من مصباحها، ويؤيّده قراءة أُبيّ مثل نور المؤمن. أو تمثيل لما منح الله عباده من القوى الدرّاكة الخمس المترتّبة الّتي بها المعاش والمعاد، وهي الحاسّة الّتي تدرك المحسوسات بالحواسّ الخمس، والخياليّة التي تحفظ صورة تلك المحسوسات لتعرضها على القوّة العقليّة متى شاءت، والعلميّة الّتي تدرك الحقائق الكليّة، والمفكّرة وهي التي تؤلّف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم، والقوّة القدسيّة الّتي يتجلّى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصّة بالأنبياء والأولياء المعنيّة بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[2] بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية، وهي المشكاة، والزجاجة، والمصباح، والشجرة، والزيت، فإنّ الحاسّة كالمشكاة لأنّ محلّها كالكوّة، ووجهها إلى الظاهر لا يدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات؛ والخياليّة كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقليّة، وإنارتها بما يشتمل عليها من المعقولات؛ والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكليّة، والمعارف الإلهية؛ والمفكّرة كالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها؛ والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية، لتجرّدها عن اللّواحق الجسميّة، أو لوقوعها بين الصور والمعاني متصرّفة في القبيلتين، منتفعة من الجانبين؛ والقوّة القدسيّة كالزيت فإنّها لصفائها وشدّة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكّر ولا تعليم أو تمثيل للقوّة العقليّة في مراتبها بذلك فإنّها في بدء أمرها خالية عن العلوم، مستعدّة لقبولها كالمشكاة، ثمّ ينتقش بالعلوم الضروريّة بتوسّط إحساس الجزئيّات بحيث يتمكّن من تحصيل النظريّات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار، وذلك التمكّن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة، وإن كان بالحدس فكالزيت، وإن كان بقوّة قدسيّة فكالّذي يكاد

---

(١) الظاهر: بياضه.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

زيتها يضيء لأنّها تكاد تعلم وإن لم تتّصل بملك الوحي والإلهام الّذي مثله النار من حيث إنّ العقول تشتعل عنها، ثمّ إذا حصلت لها العلوم بحيث يتمكّن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح، فإذا استحضرها كان نوراً على نور يهدي الله لنوره الثاقب من يشاء، فإنّ الأسباب دون مشيئته لاغية، إذ بها تمامها ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ إدناءاً للمعقول من المحسوس توضيحاً وبياناً ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ معقولاً كان أو محسوساً، ظاهراً أو خفيّاً، وفيه وعد ووعيد لمن تدبّرها ولمن لم يكترث بها[1]. انتهى.

وقال الطبرسي رحمه الله: اختلف في هذا التشبيه والمشبّه به على أقوال: أحدها أنّه مثل ضربه الله لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوّة، لا شرقيّة ولا غربيّة أي لا يهوديّة ولا نصرانيّة، يوقد من شجرة مباركة يعني شجرة النبوّة وهي إبراهيم، يكاد نور محمّد يتبيّن ولو لم يتكلّم به كما أنّ ذلك الزيت يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار أي تصيبه النار. وقيل: إنّ المشكاة إبراهيم، والزجاجة إسماعيل، والمصباح محمّد، كما سمّي سراجاً في موضع آخر، من شجرة مباركة يعني إبراهيم لأنّ أكثر الأنبياء من صلبه، لا شرقيّة ولا غربيّة: لا نصرانيّة ولا يهوديّة، لأنّ النصارى تصلّي إلى المشرق، واليهود تصلّي إلى المغرب، يكاد زيتها يضيء أي يكاد محاسن محمّد تظهر قبل أن يوحى إليه، نور على نور أي نبيّ من نسل نبيّ. وقيل: إنّ المشكاة عبد المطّلب، والزجاجة عبد الله، والمصباح هو النبي صلى الله عليه وآله، لا شرقيّة ولا غربيّة بل مكيّة لأنّ مكّة وسط الدنيا. وروي عن الرضا عليه السلام أنّه قال: نحن المشكاة، والمصباح محمد صلى الله عليه وآله يهدي الله لولايتنا من أحبّ.

وثانيها: أنّها مثل ضربه الله للمؤمن؛ المشكاة نفسه، والزجاجة صدره، والمصباح الإيمان، والقرآن في قلبه، توقد من شجرة مباركة هي الإخلاص لله وحده لا شريك له، فهي خضراء ناعمة كشجرة التفّت بها الشجر فلا يصيبها الشمس على أيّ حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت، وكذلك المؤمن قد احترز من أن يصيبه شيء من الفتن، فهو بين أربع خلال: إن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق؛ فهو في سائر الناس كالرجل الحيّ يمشي بين قبور الأموات، نور على نور كلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى نور يوم القيامة. عن أبيّ بن كعب.

وثالثها: أنّه مثل القرآن في قلب المؤمن فكما أنّ هذا المصباح يستضاء به وهو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به ويعمل به، فالمصباح هو القرآن، والزجاجة قلب المؤمن، والمشكاة لسانه وفمه، والشجرة المباركة شجرة الوحي، يكاد زيتها يضيء تكاد حجج القرآن تتّضح وإن لم يقرأ. وقيل: تكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكّر فيها وتدبّرها ولو لم

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٩٨.

ينزل القرآن، نور على نور يعني أنّ القرآن نور مع سائر الأدلّة قبله، فازدادوا به نوراً على نور[1]. انتهى كلامه رحمه الله.

٤ - باب معنى حجزة الله عز وجل

١ - يد: ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود، عن محمّد بن شبر الهمداني قال: سمعت محمّد بن الحنفيّة يقول: حدَّثني أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذ بحجزة الله، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا وشيعتنا آخذون بحجزتنا.

قلت: يا أمير المؤمنين وما الحجزة؟ قال: الله أعظم من أن يوصف بحجزة أو غير ذلك، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله آخذ بأمر الله، ونحن آل محمّد آخذون بأمر نبيّنا، وشيعتنا آخذون بأمرنا[2].

٢ - يد، ن: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن عليّ الخزّاز، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذ بحجزة الله، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا. ثمَّ قال: الحجزة: النور[3].

٣ - ن، يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن الحسن بن يوسف، عن عبد السلام، عن عمّار عن أبي اليقظان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذاً بحجزة ربّه، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا فنحن وشيعتنا حزب الله وحزب الله هم الغالبون والله ما نزعم أنّها حجزة الإزار ولكنّها أعظم من ذلك، يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بدين الله، ونجيء نحن آخذين بدين نبيّنا، ويجيء شيعتنا آخذين بديننا.

٤ - وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: الصلاة حجزة الله، وذلك أنّها تحجز المصلّي عن المعاصي ما دام في صلاته. قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[4].

بيان: الأخذ بالحجزة كناية عن التمسّك بالسبب الّذي جعلوه في الدنيا بينهم وبين ربّهم ونبيّهم وحججهم أي الأخذ بدينهم وطاعتهم ومتابعة أمرهم، وتلك الأسباب الحسنة تتمثّل في الآخرة بالأنوار، فإذا عرفت ذلك فاعلم أنَّ مضامين تلك الأخبار ترجع إلى أمر واحد،

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٥١ في تفسير لسورة النور الآية: ٣٥.
(٢) التوحيد، ص ١٦٥ باب ٢٣ ح ١.
(٣) التوحيد، ص ١٦٥ باب ٢٣ ح ٢ وعيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١١٦ باب ١١ ح ٢٠.
(٤) التوحيد، ص ١٦٦ باب ٢٣ ح ٣ و٤.

فقوله عليه السلام في الخبر الأوّل: ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله آخذ بأمر الله أي بما عمل به من أوامر الله فيحتجّ في ذلك اليوم ويتمسّك بأنّه عمل بما أمره الله به؛ وكذا النور الّذي ورد في الخبر الثاني يرجع إلى ذلك، إذ الأديان والأخلاق والأعمال الحسنة أنوار معنويّة تظهر للناس في القيامة؛ والثالث ظاهر. قال الجزريّ: فيه: إنّ الرحم أخذت بحجزة الرحمن أي اعتصمت به والتجأت إليه مستجيرة. وأصل الحجزة موضع شدّ الإزار، ثمّ قيل للإزار: حجزة للمجاورة، واحتجز الرجل بالإزار: إذا شدّه على وسطه، فاستعاره للاعتصام والالتجاء والتمسّك بالشيء والتعلّق به، ومنه الحديث الآخر: يا ليتني آخذ بحجزة الله أي بسبب منه.

٥ - باب نفي الرؤية وتأويل الآيات فيها

الآيات: **النساء «٤»**: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ «١٥٢».

الأنعام «٦»: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ «١٠٣».

١ - **لي**: أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن عليّ بن معبد، عن واصل، عن عبد الله بن سنان، عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام ودخل عليه رجل من الخوارج فقال: يا أبا جعفر أيّ شيء تعبد؟ قال: الله، قال: رأيته؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان، ورأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواسّ، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه ذلك الله لا إله إلاّ هو. قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

يد: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن عبد الله بن سنان، عن أبيه مثله.

ج: مرسلاً عن عبد الله بن سنان، عن أبيه مثله[2].

بيان: قوله عليه السلام: بحقائق الإيمان أي بالعقائد الّتي هي حقائق أي عقائد عقليّة ثابتة يقينيّة لا يتطرّق إليها الزوال والتغيّر، هي أركان الإيمان؛ أو بالأنوار والآثار الّتي حصلت في القلب من الإيمان؛ أو بالتصديقات والإذعانات الّتي تحقّ أن تسمّى إيماناً؛ أو المراد بحقائق الإيمان ما ينتمي إليه تلك العقائد من البراهين العقليّة فإنّ الحقيقة ما يصير إليه حقّ الأمر ووجوبه ذكره المطرزيّ في الغريبين. لا يعرف بالقياس أي بالمقايسة بغيره. وقوله عليه السلام: ولا يشبه بالناس كالتعليل لقوله: لا يدرك بالحواسّ. موصوف بالآيات أي إذا أريد أن يذكر ويوصف يوصف بأنّ له الآيات الصادرة عنه المنتمية إليه، أو أنّما يوصف بالصفات الكماليّة بما يشاهد من آيات قدرته وعظمته، وينزّه عن مشابهتها لما يرى من العجز والنقص فيها. معروف بالعلامات أي يعرف وجوده وصفاته العينيّة الكماليّة بالعلامات الدالّة عليه لا بالكنه.

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٢٩ مجلس ٧٢ ح ٤٤. (٢) التوحيد، ص ١٠٨ باب ٨ ح ٥.

٢ - يد، لي: القطّان والدقّاق والسنانيّ، عن ابن زكريّا القطّان، عن محمّد بن العبّاس، عن محمّد بن أبي السريّ، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن ابن طريف، عن الأصبغ - في حديث - قال: قام إليه رجل يقال له: ذعلب، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك؟ فقال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالّذي أعبد ربّاً لم أره.

قال: فكيف رأيته؟ صفه لنا. قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. ويلك يا ذعلب إنّ ربّي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بالقيام قيام انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللّطافة لا يوصف باللّطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسّة، قائل لا بلفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كلّ شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كلّ شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج. فخرّ ذعلب مغشيّاً عليه. الخبر[1].

بيان: ذعلب بكسر الذال المعجمة وسكون العين المهملة وكسر اللّام كما ضبطه الشهيد رحمه الله. والأبصار بفتح الهمزة ويحتمل كسرها. قوله عليه السلام: لطيف اللّطافة أي لطافته لطيفة عن أن تدرك بالعقول والأفهام، ولا يوصف باللّطف المدرك لعباده في دقائق الأشياء ولطائفها، وعظمته أعظم من أن تحيط بها الأذهان، وهو لا يوصف بالعظم الّذي يدركه مدارك الخلق من عظائم الأشياء وجلائلها، وكبرياؤه أكبر من أن يوصف ويعبّر عنه بالعبادة والبيان، وهو لا يوصف بالكبر الّذي يتّصف به خلقه، وجلالته أجلّ من أن تصل إليها أفهام الخلق، وهو لا يوصف بالغلظ كما يوصف الجلائل من الخلق به والمراد بالغلظ إمّا الغلظ في الخلق أو الخشونة في الخلق. قوله عليه السلام: لا يوصف بالرقّة أي رقّة القلب لأنّه من صفات الخلق بل المراد فيه تعالى غايته. قوله عليه السلام: مؤمن لا بعبادة أي يؤمن عباده من عذابه، من غير أن يستحقّوا ذلك بعبادة، أو يطلق عليه المؤمن لا كما يطلق بمعنى الايمان والاذعان والتعبّد. قوله عليه السلام لا بلفظ أي من غير تلفّظ بلسان أو من غير احتياج إلى إظهار لفظ بل يلقي في قلوب من يشاء من خلقه ما يشاء.

٣ - لي: عليّ بن أحمد بن موسى، عن الصوفيّ، عن الرويانيّ، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[2] قال: يعني مشرقة تنتظر ثواب ربّها[3].

---

(١) التوحيد، ص ٣٠٥ باب ٤٣ ح ١ وأمالي الصدوق ص ٢٨١ مجلس ٥٥ ح ١.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٣٣٤ مجلس ٦٤ ح ١.

يد، ن: الدقّاق، عن الصوفيّ مثله.

ج: مرسلاً مثله[١].

بيان: اعلم أنّ للفرقة المحقّة في الجواب عن الاستدلال بتلك الآية على جواز الرؤية وجوهاً:

الاول: ما ذكره عليه السلام في هذا الخبر من أنّ المراد بالناظرة المنتظرة كقوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[٢] روي ذلك عن مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير والضحّاك، وهو المرويّ عن عليّ عليه السلام. واعترض عليه بأنّ النظر بمعنى الانتظار لا يتعدّى بإلى. وأُجيب بأنّ تعديته بهذا المعنى بإلى كثيرة، كما قال الشاعر:

إنـي إلـيـك لـمـا وعـدت لـنـاظـر ... نـظـر الـفـقـيـر إلى الـغـنـيّ الـمـوسـر

وقال آخر:

ويـوم بـذي قـار رأيـت وجـوهـهـم ... إلى الموت من وقع السيوف نواظر

والشواهد عليه كثيرة مذكورة في مظانّه؛ ويحكى عن الخليل أنّه قال: يقال: نظرت إلى فلان بمعنى انتظرته. وعن ابن عبّاس أنه قال: العرب تقول: إنّما أنظر إلى الله ثمّ إلى فلان، وهذا يعمّ الأعمى والبصير، فيقولون: عيني شاخصة إلى فلان وطامحة إليك، ونظري إلى الله وإليك. وقال الرازيّ: وتحقيق الكلام فيه أنّ قولهم في الانتظار: «نظرته» بغير صلة فإنّما ذلك في الانتظار لمجيء الإنسان بنفسه، فأمّا إذا كان منتظراً لرفده ومعونته فقد يقال فيه: نظرت إليه. انتهى. وأُجيب أيضاً بأنّا لا نسلّم أنّ لفظة إلى صلة للنظر، بل هو واحد الآلاء، ومفعول به للنظر بمعنى الانتظار، ومنه قول الشاعر:

أبـيـض لا يـرهـب الـهـزال ولا ... يـقـطـع رحـمـاً ولا يـخـون إلـى

أي لا يخون نعمة.

الثاني: أن يكون فيه حذف مضاف أي إلى ثواب ربّها أي هي ناظرة إلى نعيم الجنّة حالاً بعد حال فيزداد بذلك سرورها، وذكر الوجوه والمراد به أصحاب الوجوه. روي ذلك عن جماعة من علماء المفسّرين من الصحابة والتابعين وغيرهم.

الثالث: أن يكون إلى بمعنى عند وهو معنى معروف عند النحاة وله شواهد، كقول الشاعر:

فـهـل لـكـمُ فـيـمـا إليّ فـإنّـنـي ... طبيب بما أعيى النطاسيّ حذيماً

أي فيما عندي، وعلى هذا يحتمل تعلّق الظرف بناضرة وبناظرة. والأوّل أظهر.

الرابع: أن يكون النظر إلى الربّ كناية عن حصول غاية المعرفة بكشف العلائق الجسمانيّة فكأنّها ناظرة إليه تعالى كقوله صلى الله عليه وآله: «اعبد الله كأنك تراه».

---

(١) الإحتجاج، ص ٣٢١.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٥.

٤ - لي: المكتب، عن محمّد الأسديّ، عن ابن بزيع، عن الرضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[1] قال: لا تدركه أوهام القلوب فكيف تدركه أبصار العيون؟[2].

بيان: هذه الآية إحدى الدلالات الّتي استدلّ بها النافون للرؤية وقرّروها بوجهين: أحدهما أنّ إدراك البصر عبارة شائعة في الإدراك بالبصر إسناداً للفعل إلى الآلة، والإدراك بالبصر هو الرؤية بمعنى اتّحاد المفهومين أو تلازمهما، والجمع المعرّف باللاّم عند عدم قرينة العهديّة والبعضيّة للعموم والاستغراق بإجماع أهل العربيّة والأصول وأئمّة التفسير، وبشهادة استعمال الفصحاء، وصحّة الاستثناء، فالله سبحانه قد أخبر بأنّه لا يراه أحد في المستقبل، فلو رآه المؤمنون في الجنّة لزم كذبه تعالى وهو محال.

واعترض عليه بأنّ اللاّم في الجمع لو كان للعموم والاستغراق كما ذكرتم كان قوله: لا تدركه الأبصار موجبة كلّيّة، وقد دخل عليها النفي، فرفعها هو رفع الإيجاب الكلّي، ورفع الإيجاب الكلّيّ سلب جزئيّ، ولو لم يكن للعموم كان قوله: لا تدركه الابصار سالبة مهملة في قوة الجزئية، فكان المعنى لا تدركه بعض الأبصار، ونحن نقول بموجبة حيث لا يراه الكافرون، ولو سلّم فلا نسلّم عمومه في الأحوال والأوقات فيحمل على نفي الرؤية في الدنيا جمعاً بين الادلّة.

والجواب أنّه قد تقرّر في موضعه أنّ الجمع المحلّى باللاّم عامٌّ نفياً وإثباتاً في المنفيّ والمثبت كقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[3] و﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[4] حتّى أنّه لم يرد في سياق النفي في شيء من الكتاب الكريم إلاّ بمعنى عموم النفي، ولم يرد لنفي العموم أصلاً، نعم قد اختلف في النفي الداخل على لفظة كلّ لكنّه في القرآن المجيد أيضاً بالمعنى الّذي ذكرنا كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[5] إلى غير ذلك، وقد اعترف بما ذكرنا في شرح المقاصد وبالغ فيه؛ وأمّا منع عموم الأحوال والأوقات فلا يخفى فساده فإنّ النفي المطلق الغير المقيّد لا وجه لتخصيصه ببعض الأوقات إذ لا ترجيح لبعضها على بعض، وهو أحد الأدلّة على العموم عند علماء الأصول، وأيضاً صحّة الاستثناء دليل عليه، وهل يمنع أحد صحّة قولنا: ما كلّمت زيداً إلا يوم الجمعة، ولا أكلمه إلاّ يوم العيد؟ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ﴾ وقال: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ﴾ وأيضاً كلّ نفي ورد في القرآن بالنسبة إلى ذاته تعالى فهو للتأبيد وعموم الأوقات لا سيّما فيما قبل هذه الآية، وأيضاً عدم إدراك الأبصار جميعاً لشيء لا يختصّ بشيء من

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٢) أمالي الصدوق، ص ٣٣٤ مجلس ٦٤ ح ٢.
(٣) سورة غافر، الآية: ٣١.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٩١.
(٥) سورة لقمان، الآية: ١٨.

الموجودات خصوصاً مع اعتبار شمول الأحوال والأوقات فلا يختصّ به تعالى فتعيّن أن يكون التمدّح بعدم إدراك شيء من الأبصار له في شيء من الأوقات.

وثانيهما: أنّه تعالى تمدّح بكونه لا يرى فإنّه ذكره في أثناء المدائح، وما كان من الصفات عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنزيه الله تعالى عنه، وإنّما قلنا من الصفات احترازاً عن الأفعال كالعفو والانتقام فإنّ الأوّل تفضّل، والثاني عدل، وكلاهما كمال.

٥ - لي: الطالقاني، عن ابن عقدة، عن المنذر بن محمد، عن عليّ بن إسماعيل الميثمي، عن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن الله تبارك وتعالى هل يُرى في المعاد؟ فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً يا ابن الفضل إنّ الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفيّة، والله خالق الألوان والكيفيّة[1].

٦ - يد، ن، لي: الهمداني، عن عليّ، عن أبيه، عن الهرويّ قال: قلت لعليّ ابن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه أهل الحديث أنّ المؤمنين يزورون ربّهم من منازلهم في الجنّة؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت إنّ الله تبارك وتعالى فضّل نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله على جميع خلقه من النبيّين والملائكة وجعل طاعته طاعته ومبايعته مبايعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته فقال الله عزّ وجلّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[3] وقال النبي صلى الله عليه وآله: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله جل جلاله. ودرجة النبيّ صلى الله عليه وآله في الجنّة أرفع الدرجات، فمن زاره إلى درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فما معنى الخبر الّذي رووه أنّ ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم هم الّذين بهم يتوجّه إلى الله وإلى دينه ومعرفته وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ مَنْ

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٣٣٤ مجلس ٦٤ ح ٣. أما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ و﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فالمراد به جبرئيل رآه النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج بصورته الأصلية كما في الروايات الشريفة المروية مستفيضة عن النبي وآله، في صحاح العامة والخاصة. أما قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ فيمكن أن يكون الناظرة بمعنى المنتظرة، يعني منتظرة ثواب ربها، كما في نص القرآن والرواية. أو يكون الرب بمعنى السيد والمطاع كما في كتب اللغة، وجاء في القرآن في آيتين من سورة يوسف، فالمراد ناظرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في القيامة والجنة، كما ورد في الدعاء: فلا تحرمني في الجنان رؤيته، أي رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله. أو يكون المراد ناظرة إلى الله سبحانه، كما في قوله عليه السلام: رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا النظر بالعين الظاهرة ولا بأعين القلوب كما هو واضح، فإن المخلوق ليس له آلة ووسيلة وسبيل إلى ذلك بحواسه الظاهرة والباطنة. [مستدرك السفينة ج ٤ لغة «رأي»].

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠. (٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.

عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[(١)] وقال عزّوجلّ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[(٢)] فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وآله : إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني يا أبا الصلت إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام الخبر[(٣)].

ج: مرسلاً مثله[(٤)].

٧ - لي: ابن ناتانة، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم الكرخي قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام : إنّ رجلاً رأى ربّه عزّوجلّ في منامه فما يكون ذلك؟ فقال: ذلك رجل لا دين له إنّ الله تبارك وتعالى لا يرى في اليقظة ولا في المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة[(٥)].

بيان: لعلّ المراد أنّه كذب في تلك الرؤيا، أو أنّه لمّا كان مجسّماً تخيّل له ذلك، أو أنّ هذه الرؤيا من الشيطان، وذكرها يدلّ على كونه معتقداً للتجسّم.

٨ - شا، ج: روى أهل السير أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله أرأيته حين عبدت الله؟ فقال له أمير المؤمنين: لم أك بالّذي أعبد من لم أره. فقال: كيف رأيته يا أمير المؤمنين؟ فقال له: ويحك لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، معروف بالدلالات، منعوت بالعلامات، لا يقاس بالناس، ولا يدرك بالحواسّ. فانصرف الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالاته[(٦)].

٩ - ج: في خبر الزنديق الّذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عما توهّمه من التناقض في القرآن قال عليه السلام : وأما قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عزّوجلّ بعدما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمّى الحيوان فيغتسلون فيه ويشربون من آخر فتبيضّ وجوههم فيذهب عنهم كلّ قذى ووعث ثمّ يؤمرون بدخول الجنّة فمن هذا المقام ينظرون إلى ربّهم كيف يثيبهم، ومنه يدخلون الجنّة فذلك قوله عزّوجلّ في تسليم الملائكة عليهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[(٧)]. فعند ذلك أثيبوا بدخول الجنّة والنظر إلى ما وعدهم الله عزّوجلّ ، فذلك قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ والناظرة في بعض اللّغة

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦-٢٧.
(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٣) التوحيد، ص ١١٧ باب ٨ ح ٢١ وعيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٥ باب ١١ ح ٣ وأمالي الصدوق، ص ٣٧٢ مجلس ٧٠ ح ٧.
(٤) الاحتجاج، ص ٤٠٨.
(٥) أمالي الصدوق، ص ٤٨٨ مجلس ٨٩ ح ٥.
(٦) الارشاد ص ١٢٠ والاحتجاج ص ٢٠٩.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

هي المنتظرة، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[(١)] أي منتظرة بمَ يرجع المرسلون.

وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾[(٢)] يعني محمّداً ﷺ حين كان عند سدرة المنتهى، حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عزّوجلّ. وقوله في آخر الآية: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾[(٣)] رأى جبرئيل عليه السلام في صورته مرّتين: هذه المرّة ومرّة أخرى، وذلك أنّ خلق جبرئيل عظيم فهو من الروحانيّين الّذين لا يدرك خلقهم وصورتهم إلا ربّ العالمين. الخبر[(٤)].

بيان: الوعث والوعثاء: المشقّة. قوله صلوات الله عليه: والنظر إلى ما وعدهم الله يحتمل أن يكون المراد بالنظر الانتظار، فيكون قوله: والناظرة في بعض اللّغة تتمّة وتأييداً للتوجيه الأوّل، والأظهر أنّه عليه السلام أشار إلى تأويلين: الأوّل تقدير مضاف في الكلام أي ناظرة إلى ثواب ربّها فيكون النظر بمعنى الإبصار. والثاني أن يكون النظر بمعنى الانتظار، ويؤيّده ما في التوحيد في تتمّة التوجيه الأوّل: فذلك قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وإنّما يعني بالنظر إليه النظر إلى ثوابه تبارك وتعالى، وأرجع عليه السلام الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ إلى جبرئيل عليه السلام وسيأتي القول فيه.

١٠ - **ج:** يونس بن ظبيان قال: دخل رجل على أبي عبدالله عليه السلام قال: أرأيت الله حين عبدته؟ قال له: ما كنت أعبد شيئاً لم أره. قال: وكيف رأيته؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه[(٥)].

١١ - **ج:** عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[(٦)] قال: إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ليس يعني بصر العيون ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ليس يعني من البصر بعينه ﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾[(٧)] ليس يعني عمى العيون، إنّما عنى إحاطة الوهم، كما يقال: فلان بصير بالشعر، وفلان بصير بالفقه، وفلان بصير بالدراهم، وفلان بصير بالثياب، الله أعظم من أن يُرى بالعين[(٨)].

يد: أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن عيسى، عن ابن أبي نجران، عن عبدالله بن سنان مثله[(٩)].

بيان: قوله عليه السلام: الله أعظم من أن يرى بالعين هذا تفريع على ما سبق أي إذا لم يكن

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٥.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٣-١٤.
(٣) سورة النجم، الآيتان: ١٧-١٨.
(٤) الاحتجاج، ص ٢٣٤.
(٥) الاحتجاج، ص ٣٣٦.
(٦) - (٧) سورة الأنعام، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.
(٨) الاحتجاج، ص ٣٣٦.
(٩) التوحيد، ص ١١٢ باب ٨ ح ١٠.

مدركاً بالأوهام فيكون أعظم من أن يدرك بالعين، ويحتمل أن يكون المعنى أنه أعظم من أن يشكّ، أو يتوهّم فيه أنّه مدرك بالعين حتّى يتعرّض لنفيه فيكون دليلاً على أنّ المراد بالأبصار الأوهام.

١٢ - ج: أحمد بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام أسأله عن الرؤية وما فيه الخلق فكتب عليه السلام: لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئيّ هواء ينفذه البصر، فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصحّ الرؤية، وفي وجوب اتّصال الضياء بين الرائي والمرئيّ وجوب الاشتباه - وتعالى الله عن الاشتباه - فثبت أنّه لا تجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسبّبات(١).

١٣ - يد: ابن إدريس، عن أبيه، عن أحمد بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما فيه الناس. فكتب: لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئيّ هواء ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء عن الرائي والمرئيّ لم تصحّ الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه لأنّ الرائي متى ساوى المرئيّ في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، وكان في ذلك التشبيه، لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسبّبات(٢).

بيان: استدلّ عليه السلام على عدم جواز الرؤية بأنّها تستلزم كون المرئي جسمانياً ذا جهة وحيّز وبيّن ذلك بأنّه لا بد أن يكون بين الرائي والمرئيّ هواء ينفذه البصر، وظاهره كون الرؤية بخروج الشعاع، وإن أمكن أن يكون كناية عن تحقّق الإبصار بذلك وتوقّفه عليه، فإذا لم يكن بينهما هواء وانقطع الهواء وعدم الضياء الّذي هو أيضاً من شرائط الرؤية عن الرائي والمرئيّ لم تصحّ الرؤية بالبصر، وكان في ذلك أي في كون الهواء بين الرائي والمرئيّ الاشتباه يعني شبه كلّ منهما بالآخر يقال: اشتبها: إذا أشبه كلّ منهما الآخر لأنّ الرائي متى ساوى المرئيّ وماثله في النسبة إلى السبب الّذي أوجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، ومشابهة أحدهما الآخر في توسّط الهواء بينهما، وكان في ذلك التشبيه أي كون الرائي والمرئيّ في طرفي الهواء الواقع بينهما يستلزم الحكم بمشابهة المرئيّ بالرائي من الوقوع في جهة ليصحّ كون الهواء بينهما فيكون متحيّزاً ذا صورة وضعيّة فإنّ كون الشيء في طرف مخصوص من طرفي الهواء وتوسّط الهواء بينه وبين شيء آخر سبب عقليّ للحكم بكونه في جهة ومتحيّزاً وذا وضع، وهو المراد بقوله: لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسبّبات، ويحتمل أن يكون ذلك تعليلاً لجميع ما ذكر من كون الرؤية متوقّفة على الهواء إلى آخر ما ذكر. وحاصله يرجع إلى ما ادّعاه جماعة من أهل الحقّ من العلم الضروريّ بأنّ الإدراك المخصوص المعلوم بالوجه الممتاز عن غيره لا يمكن أن يتعلّق بما ليس في جهة وإلاّ لم يكن للبصر مدخلٌ فيه،

(١) الاحتجاج، ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) التوحيد، ص ١٠٩ باب ٨ ح ٧.

ولا كسبٌ لرؤيته بل المدخل في ذلك للعقل فلا وجه حينئذ لتسميته إبصاراً، والحاصل أنّ الإبصار بهذه الحاسّة يستحيل أن يتعلّق بما ليس في جهة بديهةً، وإلا لم يكن لها مدخل فيه، وهم قد جوّزوا الإدراك بهذه الجارحة الحسّاسة، وأيضاً هذا النوع من الإدراك يستحيل ضرورة أن يتعلّق بما ليس في جهة، مع قطع النظر عن أنّ تعلّق هذه الحاسّة يستدعي الجهة والمقابلة. وما ذكره الفخر الرازيّ من أنّ الضروريّ لا يصير محلاً للخلاف، وأنّ الحكم المذكور ممّا يقتضيه الوهم ويعين عليه، وهو ليس مأموناً لظهور خطئه في الحكم بتجسّم الباري تعالى وتحيّزه، وما ظهر خطؤه مرّة فلا يؤمن بل يتّهم ففاسد لأنّ خلاف بعض العقلاء في الضروريّات جائز كالسوفسطائيّة والمعتزلة في قولهم بانفكاك الشيئيّة والوجود وثبوت الحال، وأمّا قوله: بأنّه حكم الوهم الغير المأمون فطريف جداً لأنّه منقوض بجميع أحكام العقل، لأنّه أيضاً مما ظهر خطؤه مراراً، وجميع الهندسيّات والحسابيّات، وأيضاً مدخليّة الوهم في الحكم المذكور ممنوع، وإنّما هو عقليّ صرف عندنا، وكذلك ليس كون الباري تعالى متحيّزاً ممّا يحكم به ويجزم بل هو تخيّل يجري مجرى سائر الأكاذيب في أنّ الوهم وإن صوّره وخيّله إلينا لكنّ العقل لا يكاد يجوّزه بل يحيله ويجزم ببطلانه، وكون ظهور الخطأ مرّة سبباً لعدم ائتمان المخطئ واتّهامه ممنوع أيضاً، وإلاّ قدح في الحسّيّات وسائر الضروريّات. وقد تقرّر بطلانه في موضعه في ردّ شبه القادحين في الضروريات.

١٤ - **يد:** الدقّاق، عن الكلينيّ، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أدخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتّى بلغ سؤاله التوحيد، فقال أبو قرّة: إنّا روّينا أنّ الله عزّ وجلّ قسم الرؤية والكلام بين اثنين، فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمّد صلّى الله عليه وآله الرؤية، فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلّغ عن الله عزّ وجلّ إلى الثقلين الجنّ والإنس: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أليس محمّد صلّى الله عليه وآله؟ قال: بلى، قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله ويقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر! أما يستحيون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله بشيء، ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر. قال أبو قرّة: فإنّه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ يقول: ما كذب فؤاد محمّد صلّى الله عليه وآله ما رأت عيناه، ثمّ أخبر بما رأى فقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ فآيات الله غير الله، وقد قال: و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة. فقال أبو قرّة فتكذّب الروايات؟ فقال أبوالحسن عليه السلام: إذا كانت

الروايات مخالفة للقرآن كذّبت بها، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحيط به علم ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء[1].

بيان: اعلم أنَّ المفسّرين اختلفوا في تفسير تلك الآيات قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ يحتمل كون ضمير الفاعل في رأى راجعاً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وإلى الفؤاد. قال البيضاويّ: ما كذب الفؤاد ما رأى ببصره من صورة جبرئيل، أو الله أي ما كذب الفؤاد بصره بما حكاه له، فإنّ الأمور القدسيّة تدرك أوّلاً بالقلب، ثمّ ينتقل منه إلى البصر، أو ما قال فؤاده لمّا رآه: لم أعرفك، ولو قال ذلك كان كاذباً لأنّه عرفه بقلبه كما رآه بصره؛ أو ما رآه بقلبه، والمعنى لم يكن تخيّلاً كاذباً، ويدلّ عليه أنّه سئل عليه السلام هل رأيت ربّك؟ فقال: رأيته بفؤادي، وقرئ ما كذّب أي صدّقه ولم يشكّ فيه. ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة. انتهى[2]. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال الرازي: يحتمل الكلام وجوهاً ثلاثة: الأول الرب تعالى والثاني جبرئيل عليه السلام، والثالث الآيات العجيبة الإلهيّة. انتهى. أي ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى فيحتمل نزوله صلى الله عليه وآله ونزول مرئيّه.

فإذا عرفت محتملات تلك الآيات عرفت سخافة استدلالهم بها على جواز الرؤية ووقوعها بوجوه: الأوّل أنّه يحتمل أن يكون المرئيّ جبرئيل، إذ المرئيّ غير مذكور في اللفظ، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الوجه في الخبر السابق. وروى مسلم في صحيحه بإسناده عن زرعة، عن عبد الله ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأى جبرئيل عليه السلام له ستّمائة جناح. وروى أيضاً بإسناده عن أبي هريرة ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رأى جبرئيل عليه السلام بصورته الّتي له في الخلقة الأصليّة. الثاني: ما ذكره عليه السلام في هذا الخبر وهو قريب من الأوّل لكنّه أعمّ منه. الثالث: أن يكون ضمير الرؤية راجعاً إلى الفؤاد، فعلى تقدير إرجاع الضمير إلى الله تعالى أيضاً لا فساد فيه. الرابع: أن يكون على تقدير إرجاع الضمير إليه عليه السلام وكون المرئيّ هو الله تعالى المراد بالرؤية غاية مرتبة المعرفة ونهاية الانكشاف.

وأمّا استدلاله عليه السلام بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهو إمّا لأنّ الرؤية تستلزم الجهة والمكان وكونه جسماً أو جسمانيّاً، أو لأنَّ الصورة الّتي تحصل منه في المدركة تشبهه. قوله عليه السلام: حيث قال أي أوّلاً قبل هذه الآية، وإنّما ذكر عليه السلام ذلك لبيان أنّ المرئيّ قبل هذه الآية غير مفسّر أيضاً، بل إنّما يفسره ما سيأتي بعدها. قوله عليه السلام: وما أجمع المسلمون عليه أي اتّفق المسلمون على حقّيّة مدلول ما في الكتاب مجملاً، والحاصل أنّ الكتاب قطعيّ السند متّفق عليه بين جميع الفرق فلا يعارضه الاخبار المختلفة المتخالفة الّتي تفرّدتم برواياتها.

ثمّ اعلم أنّه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى دقيقة غفل عنها الأكثر، وهي أنّ الأشاعرة

---

(١) التوحيد، ص ١١٠ باب ٨ ح ٩.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٠٤.

وافقونا في أنّ كنهه تعالى يستحيل أن يتمثّل في قوّة عقليّة حتّى أنّ المحقّق الدوانيّ نسبه إلى الأشاعرة موهماً اتّفاقهم عليه، وجوّزوا ارتسامه وتمثّله في قوّة جسمانيّة، وتجويز إدراك القوّة الجسمانيّة لها دون العقليّة بعيدٌ عن العقل مستغرب فأشار عليه السلام إلى أنّ كلّ ما ينفي العلم بكنهه تعالى من السمع ينفي الرؤية أيضاً فإن الكلام ليس في رؤية عرض من أعراضه تعالى بل في رؤية ذاته وهو نوع من العلم بكنهه تعالى.

١٥ - **يد:** أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل عليه السلام مكاناً لم يطأه جبرئيل قطّ فكشف لي فأراني الله عزّ وجلّ من نور عظمته ما أحبّ[1].

١٦ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن أحمد بن محمّد، عن أبي هاشم الجعفريّ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الله عزّ وجلّ هل يوصف؟ فقال: أما تقرأ القرآن قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله عزّ وجلّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قلت بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: وما هي؟ قلت: أبصار العيون فقال: إن أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام، وهو يدرك الأوهام[2].

بيان: أكثر أي أعمّ إدراكاً فهو أولى بالتعرّض لنفيه.

١٧ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عمّن ذكره، عن محمّد بن عيسى، عن أبي هاشم الجعفريّ قال: قلت لأبي جعفر عليّ بن الرضا عليه السلام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فقال: يا أبا هاشم أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان الّتي لم تدخلها ولم تدركها ببصرك فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟[3]

ج: عن الجعفري مثله[4].

١٨ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن ابن أبان، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن سعيد، عن إبراهيم بن محمّد الخزّاز ومحمّد بن الحسين قالا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له ما روي أنّ محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربّه في هيئة الشابّ الموفق في سنّ أبناء ثلاثين سنة، رجلاه في خضرة وقلنا: إنّ هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثميّ يقولون: إنّه أجوف إلى السرّة والباقي صمد، فخرّ ساجداً ثمّ قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحّدوك فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن شبّهوك بغيرك إلهي لا أصفك إلاّ بما وصفت به نفسك، ولا أشبهك بخلقك، أنت أهل لكلّ خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين.

---

(١) التوحيد، ص ١٠٨ باب ٨ ح ٤.
(٢) التوحيد، ص ١١٢ باب ٨ ح ١١.
(٣) التوحيد، ص ١١٣ باب ٨ ح ١٢.
(٤) الإحتجاج، ص ٤٤٢.

ثمّ التفت إلينا فقال: ما توهّمتم من شيء فتوهّموا الله غيره. ثمّ قال: نحن آل محمّد النمط الوسطى الّذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي، يا محمّد إنّ رسول الله ﷺ حين نظر إلى عظمة ربّه كان في هيئة الشابّ الموفق وسنّ أبناء ثلاثين سنة، يا محمّد عظم ربّي وجلّ أن يكون في صفة المخلوقين.

قال: قلت: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال: ذاك محمّد ﷺ كان إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتّى يستبين له ما في الحجب، إنّ نور الله منه اخضرّ ما اخضرّ، ومنه احمرّ ما احمرّ، ومنه ابيضّ ما ابيضّ، ومنه غير ذلك، يا محمّد ما شهد به الكتاب والسنّة فنحن القائلون به[1].

بيان: قوله عليه السلام: النمط الوسطى - وفي الكافي الأوسط - قال الجزريّ: في حديث عليّ عليه السلام: خير هذه الأمة النمط الأوسط، النمط: الطريقة من الطرائق والضروب، يقال: ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك الضرب، والنمط: الجماعة من الناس أمرهم واحد. انتهى. قوله عليه السلام: لا يدركنا الغالي في أكثر النسخ بالغين المعجمة، وفي بعضها بالعين المهملة، وعلى التقديرين المراد به من يتجاوز الحدّ في الأمور أي لا يدركنا ولا يلحقنا في سلوك طريق النجاة من يغلو فينا أو في كلّ شيء، والتالي أي التابع لنا لا يصل إلى النجاة إلا بالأخذ عنّا فلا يسبقنا بأن يصل إلى المطلوب لا بالتوصّل بنا. وفي الكافي: إن نور الله منه أخضر، ومنه أحمر، ومنه أبيض ومنه غير ذلك. وسيأتي في باب العرش في خبر أبي الطفيل أنّ الله خلق العرش من أنوار مختلفة فمن ذلك النور نور أخضر اخضرّت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرّت منه الصفرة، ونور أحمر احمرّت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار.

ثمّ اعلم أنّه يمكن إبقاء الحجب والأنوار على ظواهرها بأن يكون المراد بالحجب أجساماً لطيفة مثل العرش والكرسيّ يسكنها الملائكة الروحانيّون كما يظهر من بعض الدعوات والأخبار أي أفاض عليه شبيه نور الحجب ليمكن له رؤية الحجب كنور الشمس بالنسبة إلى عالمنا، ويحتمل التأويل أيضاً بأن يكون المراد بها الوجوه الّتي يمكن الوصول إليها في معرفة ذاته تعالى وصفاته إذ لا سبيل لأحد إلى الكنه، وهي تختلف باختلاف درجات العارفين قرباً وبعداً فالمراد بنور الحجب قابليّة تلك المعارف وتسميتها بالحجب إمّا لأنّها وسائط بين العارف والربّ تعالى كالحجاب، أو لأنّها موانع عن أن يسند إليه تعالى ما لا يليق به، أو لأنّها لمّا لم تكن موصلة إلى الكنه فكأنّها حجب إذ الناظر خلف الحجاب لا تتبيّن له حقيقة الشيء كما هي.

وقيل: إنّ المراد بها العقول فإنّها حجب نور الأنوار ووسائط النفوس الكاملة، والنفس

---

(١) التوحيد، ص ١١٤ باب ٨ ح ١٣.

إذا استكملت ناسبت نوريّتها نوريّة تلك الأنوار فاستحقّت الاتّصال بها والاستفادة منها فالمراد بجعله في نور الحجب جعله في نور العلم والكمال مثل نور الحجب حتى يناسب جوهر ذاته جوهر ذاتهم فيستبين له ما في ذواتهم، ولا يخفى فساده على أصولنا بوجوه شتّى.

وأمّا تأويل ألوان الأنوار فقد قيل فيه وجوه:

الأول: أنّها كناية عن تفاوت مراتب تلك الأنوار بحسب القرب والبعد من نور الأنوار، فالأبيض هو الأقرب، والأخضر هو الأبعد كأنّه ممتزج بضرب من الظلمة والأحمر هو المتوسّط بينهما ثمّ ما بين كلّ اثنين ألوان أخرى كألوان الصبح والشفق المختلفة في الألوان لقربها وبعدها من نور الشمس.

الثاني: أنّها كناية عن صفاته المقدّسة فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات وإفاضته الأرواح الّتي هي عيون الحياة ومنابع الخضرة، والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالإعدام والتعذيب، والأبيض رحمته ولطفه على عباده كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ (١).

الثالث: ما استفدته من الوالد العلاّمة قدّس الله روحه وذكر أنّه ممّا أُفيض عليه من أنوار الكشف واليقين، وبيانه يتوقّف على تمهيد مقدّمة وهي أنّ لكل شيء مثالاً في عالم الرؤيا والمكاشفة، وتظهر تلك الصور والأمثال على النفوس مختلفة باختلاف مراتبها في النقص والكمال، فبعضها أقرب إلى ذي الصورة، وبعضها أبعد، وشأن المعبّر أن ينتقل منها إلى ذواتها.

فإذا عرفت هذا فالنور الأصفر عبارة عن العبادة ونورها كما هو المجرّب في الرؤيا فإنّه كثيراً ما يرى الرائي الصفرة في المنام فيتيسّر له بعد ذلك عبادة يفرح بها وكما هو المعاين في جباه المتهجّدين، وقد ورد في الخبر في شأنهم أنه ألبسهم الله من نوره لمّا خلوا به. والنور الأبيض: العلم لأنّه منشأ للظهور وقد جرّب في المنام أيضاً والنور الاحمر: المحبّة كما هو المشاهد في وجوه المحبّين عند طغيان المحبّة وقد جرّب في الأحلام أيضاً. والنور الأخضر: المعرفة، كما تشهد به الرؤيا ويناسبه هذا الخبر، لأنّه عليه السلام في مقام غاية العرفان كانت رجلاه في خضرة، ولعلّهم عليهم السلام إنّما عبّروا عن تلك المعاني على تقدير كونها مرادة بهذه التعبيرات لقصور أفهامنا عن محض الحقيقة كما تعرض على النفوس الناقصة في الرؤيا هذه الصور، ولأنّا في منام طويل من الغفلة عن الحقائق كما قال عليه السلام : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. وهذه التأويلات غاية ما يصل إليه أفهامنا القاصرة، والله أعلم بمراد حججه وأوليائه عليهم السلام .

١٩ - يد، ابن الوليد، عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن مرازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه عزّ وجلّ - يعني بقلبه - وتصديق

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

ذلك ما حدّثنا به ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه عزّ وجلّ؟ فقال: نعم بقلبه رآه أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد[١].

٢٠ - يد: أبي، عن سعد، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص أو غيره قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قال: رأى جبرئيل على ساقه الدرّ مثل القطر على البقل له ستّمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والارض[٢].

٢١ - يد: الدقاق، عن الأسدي، عن عليّ بن أبي القاسم، عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟ فوقّع عليه السلام: يا أبا يوسف جلّ سيّدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يُرى. قال: وسألته هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه؟ فوقّع عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ[٣].

٢٢ - يد: ابن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان، عن ابن حميد قال: ذاكرت أبا عبدالله عليه السلام فيما يروون من الرؤية، فقال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسيّ، والكرسيّ جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزءٌ من سبعين جزءاً من نور السرّ، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب[٤].

بيان: لعلّه تمثيلٌ وتنبيهٌ على عجز القوى الجسمانيّة، وبيان لأنّ لإدراكها حدّاً لا تتجاوزه؛ ويحتمل أن يكون تنبيهاً بضعف القوى الظاهرة على ضعف القوى الباطنة، أي كما لا يقدر بصرك في رأسك على تحديق النظر إلى الشمس فكذلك لا يقدر عين قلبك على مطالعة شمس ذاته وأنوار جلاله، والأوّل أظهر.

٢٣ - يد: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبي الحسن الموصليّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ فقال: ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره. قال: وكيف رأيته قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان[٥].

٢٤ - يد: الدقاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم

---

(١) - (٢) التوحيد، ص ١١٦ باب ٨ ح ١٦-١٨.
(٣) - (٤) التوحيد، ص ١٠٨ باب ٨ ح ٢-٣.
(٥) التوحيد، ص ١٠٩ باب ٨ ح ٦.

القيامة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة. فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[١] ثمَّ سكت ساعة ثمَّ قال: وإنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟.

قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فأحدّث بهذا عنك؟ فقال: لا فإنّك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله ثمّ قدّر أنّ ذلك تشبيه كفر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون[٢].

٢٥ - **لي**، **يد**: ابن المتوكّل، عن السعد آباديّ، عن البرقي، عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن محمّد بن مروان، عن محمّد بن السائب، عن أبي صالح، عن عبدالله بن عبّاس في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: يقول: سبحانك تبت إليك من أن أسألك رؤية، وأنا أوّل المؤمنين بأنك لا ترى[٣].

قال الصدوق رحمه الله: إنّ موسى عليه السلام علم أنّ الله عزّ وجلّ لا يجوز عليه الرؤية وإنّما سأل الله عزّ وجلّ أن يريه ينظر إليه عن قومه حين ألحّوا عليه في ذلك، فسأل موسى ربّه ذلك من غير أن يستأذنه، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ في حال تدكدكه ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ ومعناه أنّك لا تراني أبداً، لأنّ الجبل لا يكون ساكناً متحركاً في حال أبداً، وهذا مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ومعناه أنّهم لا يدخلون الجنّة أبداً كما لا يلج الجمل في سمّ الخياط أبداً ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أي ظهر بآية من آياته وتلك الآية نور من الأنوار الّتي خلقها ألقى منها على ذلك الجبل ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ من هول تدكدك ذلك الجبل على عظمه وكبره، فلمّا أفاق قال سبحانك تبت إليك أي رجعت إلى معرفتي بك عادلاً عمّا حملني عليه قومي من سؤالك الرؤية، ولم تكن هذه التوبة من ذنب لأنّ الأنبياء لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولم يكن الاستئذان قبل السؤال بواجب عليه لكنّه كان أدباً يستعمله ويأخذ به نفسه متى أراد أن يسأله؛ على أنّه قد روى قوم أنّه قد استأذن في ذلك فأذن له ليعلم قومه بذلك أنّ الرؤية لا تجوز على الله عزّ وجلّ. وقوله: وأنا أوّل المؤمنين يقول: أنا أوّل المؤمنين - من القوم الّذين كانوا معه وسألوه أن يسأل ربّه أن يريه ينظر إليه - بأنّك لا ترى.

والأخبار الّتي رويت في هذا المعنى وأخرجها مشايخنا رضي الله عنهم في مصنّفاتهم عندي صحيحة، وإنّما تركت إيرادها في هذا الباب خشية أن يقرأها جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عزّ وجلّ وهو لا يعلم.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢. (٢) التوحيد، ص ١١٧ باب ٨ ح ٢٠.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٤١٢ مجلس ٧٧ ح ٣.

والأخبار الّتي ذكرها أحمد بن محمّد بن عيسى في نوادره والّتي أوردها محمّد بن أحمد ابن يحيى في جامعه في معنى الرؤية صحيحة لا يردّها إلا مكذّب بالحقّ أو جاهل به، وألفاظها ألفاظ القرآن، ولكلّ خبر معنى ينفي التشبيه والتعطيل، ويثبت التوحيد، وقد أمرنا الأئمّة صلوات الله عليهم أن لا نكلّم الناس إلا على قدر عقولهم، ومعنى الرؤية هنا الواردة في الأخبار: العلم، وذلك أنّ الدنيا دار شكوك وارتياب وخطرات، فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله وأموره في ثوابه وعقابه ما تزول به الشكوك ويعلم حقيقة قدرة الله عزّ وجلّ وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1] فمعنى ما روي في الحديث أنه عزّ وجلّ يرى أي يعلم علماً يقينياً، كقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾[2] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ وأشباه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين، وأما قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ فمعناه: لمّا ظهر عزّ وجلّ للجبل بآية من آيات الآخرة التي يكون بها الجبال سراباً، والتي ينسف بها الجبال نسفاً، تدكدك الجبل فصار تراباً لأنّه لم يطق حمل تلك الآية. وقد قيل: إنّه بدا له نور العرش[3].

وتصديق ما ذكرته ما حدّثنا به تميم القرشيّ، عن أبيه، عن حمدان بن سليمان، عن عليّ ابن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليّ بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، فسأله عن آيات من القرآن فكان فيما سأل أن قال له: فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ الآية؟ كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟

فقال الرضا عليه السلام: إنّ كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أنّ الله تعالى عن أن يرى بالأبصار، ولكنّه لمّا كلّمه الله عزّ وجلّ وقرّبه نجيّاً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عزّ وجلّ كلّمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة ألف رجل فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى عليه السلام إلى الطور، وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلّمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأنّ الله عزّ وجلّ أحدثه في الشجرة، ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا: لن نؤمن لك بأنّ هذا

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.
(٣) التوحيد، ص ١١٨ باب ٨ ح ٢٢.

الّذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عَزَّوَجَلَّ عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله إيّاك؟ فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حقّ معرفته! فقال موسى عليه السلام: يا قوم إنّ الله لا يرى بالأبصار ولا كيفيّة له، وإنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه. فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله.

فقال موسى عليه السلام: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ بآياته ﴿جَعَلَهُۥ دَكࣰّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقࣰاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ منهم بأنك لا ترى. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن[1]. الخبر.

ن: تميم القرشي مثله[2].

بيان: اعلم أنّ المنكرين للرؤية والمثبتين لها كليهما استدلّوا بما ورد في تلك القصّة على مطلوبهم فأمّا المثبتون فاحتجّوا بها بوجهين:

الأول: أن موسى عليه السلام سأل الرؤية ولو امتنع كونه تعالى مرئياً لما سأل، لأنّه حينئذ إمّا أن يعلم امتناعه أو يجهله فإن علمه فالعاقل لا يطلب المحال لأنّه عبث، وإن جهله فالجاهل بما لا يجوز على الله تعالى ويمتنع لا يكون نبياً كليماً.

وأجيب عنه بوجوه:

الأول: ما ورد في هذا الخبر من أنّ السؤال إنّما كان بسبب قومه لا لنفسه لأنّه كان عالماً بامتناعها، وهذا أظهر الوجوه واختاره السيّد الأجلّ المرتضى في كتابي تنزيه الأنبياء وغرر الفوائد، وأيّده بوجوه: منها حكاية طلب الرؤية من بني إسرائيل في مواضع كقوله تعالى: ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةࣰ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةࣰ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾[4]. ومنها: أنّ موسى عليه السلام أضاف ذلك إلى السفهاء، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾[5] وإضافة ذلك إلى السفهاء تدلّ على أنّه كان بسببهم ومن أجلهم حيث سألوا ما لا يجوز عليه تعالى.

---

(١) التوحيد، ص ١٢١ باب ٨ ح ٢٤.
(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٧٤ باب ١٥ ح ١.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٥٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

فإن قيل: فلمَ أضاف السؤال إلى نفسه ووقع الجواب مختصّاً به؟ قلنا: لا يمتنع وقوع الإضافة على هذا الوجه، مع أنَّ السؤال كان لأجل الغير إذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللّبس، فلهذا يقول أحدنا - إذا شفع في حاجة غيره - للمشفوع إليه: أسألك أن تفعل بي كذا وتجيبني إلى ذلك، ويحسن أن يقول المشفوع إليه: قد أجبتك وشفّعتك؛ وما جرى مجرى ذلك، على أنّه قد ذكر في الخبر ما يغني عن هذا الجواب.

وأمّا ما يورد في هذا المقام من أنَّ السؤال إذا كان للغير فأيُّ جرم كان لموسى حتّى تاب منه؟ فأجاب عليه السلام بحمل التوبة على معناه اللّغويّ أي الرجوع أي كنت قطعت النظر عمّا كنت أعرفه من عدم جواز رؤيتك، وسألت ذلك للقوم فلمّا انقضت المصلحة في ذلك تركت هذا السؤال ورجعت إلى معرفتي بعدم جواز رؤيتك وما تقتضيه من عدم السؤال.

وأجاب السيّد قدّس الله روحه عنه بأنّه يجوز أن يكون التوبة لأمر آخر غير هذا الطلب، أو يكون ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى، وإظهار الانقطاع إليه، والتقرّب منه، وإن لم يكن هناك ذنب. والحاصل أنَّ الغرض من ذلك إنشاء التذلّل والخضوع، ويجوز أن يضاف إلى ذلك تنبيه القوم المخطئين على التوبة ممّا التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه؛ بل أقول: يحتمل أن يكون التوبة من قبلهم كما كان السؤال كذلك.

الثاني: أنه عليه السلام لم يسأل الرؤية بل تجوّز بها عن العلم الضروريّ لأنّه لازمها، وإطلاق اسم الملزوم على اللاّزم شائع سيّما استعمال رأى بمعنى علم وأرى بمعنى أعلم والحاصل أنّه سأله أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة الّتي تضطرّه إلى المعرفة، فتزول عنه الدواعي والشكوك، ويستغني عن الاستدلال كما سأل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

الثالث: أنَّ في الكلام مضافاً محذوفاً أي أرني آية من آياتك أنظر إلى آيتك، وحاصله يرجع إلى الثاني.

الرابع: أنه عليه السلام سأل الرؤية مع علمه بامتناعها لزيادة الطمأنينة بتعاضد دليل العقل والسمع، كما في طلب إبراهيم عليه السلام، وحاصله يرجع إلى منع أنَّ العاقل لا يطلب المحال الّذي علم استحالته إذ يمكن أن يكون الطلب لغرض آخر غير حصول المطلوب فلا يلزم العبث لجواز ترتُّب غرض آخر عليه، والعبث ما لا فائدة فيه أصلاً، ولعلّ في هذا السؤال فوائد عظيمة سوى ما ذكر أيضاً ولا يلزمنا تعيين الفائدة بل على المستدلّ أن يدل على انتفائها مطلقاً، ونحن من وراء المنع، وممّا يستغرب من الأشاعرة أنّهم أجمعوا على أنَّ الطلب غير الإرادة، واحتجّوا عليه بأنَّ الآمر ربما أمر عبده بأمر وهو لا يريده، بل يريد نقيضه، ثمَّ يقولون ههنا: بأنَّ طلب ما علم استحالته لا يتأتّى من العاقل.

الثاني من وجهي احتجاجهم: هو أنّه تعالى علّق الرؤية على استقرار الجبل وهو أمر

ممكن في نفسه، والمعلّق على الممكن ممكن لأنّ معنى التعليق أنّ المعلّق يقع على تقدير وقوع المعلّق عليه، والمحال لا يقع على شيء من التقادير ويمكن الجواب عنه بوجوه أوجهها أن يقال: التعليق إمّا أن يكون الغرض منه بيان وقت المعلّق وتحديد وقوعه بزمان وشرط ومن البيّن أنّ ما نحن فيه ليس من هذا القبيل، وإمّا أن يكون المطلوب فيه مجرّد بيان تحقّق الملازمة وعلاقة الاستلزام بأن يكون لإفادة النسبة الّتي بين الشرط والجزاء مع قطع النظر عن وقوع شيء من الطرفين وعدم وقوعه، ولا يخفى على ذي لبّ أن لا علاقة بين استقرار الجبل ورؤيته تعالى في نفس الأمر ولا ملازمة، على أن إفادة مثل هذا الحكم وهو تحقّق علاقة اللّزوم بين هاتين القضيّتين لا يليق بسياق مقاصد القرآن الحكيم مع ما فيه من بُعده عن مقام سؤال الكليم فإنّ المناسب لما طلب من الرؤية بيان وقوعه ولا وقوعه، لامجرّد إفادة العلاقة بين الأمرين فالصواب حينئذ أن يقال: المقصود من هذا التعليق بيان أنّ الجزاء لايقع أصلاً بتعليقه على ما لا يقع، ثمّ هذا التعليق إن كان مستلزماً للعلاقة بين الشرط والجزاء فواجب أن يكون إمكان الجزاء مستتبعاً لإمكان الشرط لأنّ ما له هذه العلاقة مع المحال لا يكون ممكناً على ما هو المشهور من أنّ مستلزم المحال محال، وإلا فلا وجه لوجوب إمكان الجزاء والأوّل وإن كان شائع الإرادة من اللّفظ إلاّ أنّ الثاني أيضاً مذهب معروف للعرب كثير الدوران بينهم، وهو عمدة البلاغة ودعامتها، ومن ذلك قول الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب

ومعلوم أنّ مشيب الغراب وصيرورة القار كالحليب لا ملازمة بينهما وبين إتيان الشاعر أهله.

ونظيره في الكتاب الكريم كثير كتعليق خروج أهل النار منها على ولوج الجمل في سم الخياط وبعيد من العاقل أن يدّعي علاقة بينهما، وإذا كان ذلك التعليق أمراً شائعاً كثير الوقوع في كلامهم فلا ترجيح للاحتمال الأوّل بل الترجيح معنا، فإنّ البلاغة في ذلك، وأمّا إذا تحقّق العلاقة في الواقع بينهما وعلّق عليه لمكان تلك العلاقة فليس له ذلك الموقع من حسن القبول ألا ترى أنّ المتمنّي لوصال حبيبه الميّت لو قال: إذا رجع الموتى إلى الدنيا أمكن لي زيارة الحبيب لم يكن كقول الصبّ المتحسّر على مفارقة الأحبّاء: متى أقبل الأمس الدابر وحيي الميّت الغابر طمعت في اللّقاء. وأيضاً لا يخفى على ذي فطرة أنّ التزام تحقّق علاقة لزوم بين استقرار الجبل في تلك الحال وبين رؤيته تعالى بحيث لو فرض وقوع ذلك الاستقرار امتنع أن لا يقع رؤيته تعالى مستبعدٌ جدّاً يكاد يجزم العقل ببطلانه فإذن المقصود من ذلك الكلام مجرّد بيان انتفائه بتعليقه على أمر غير واقع، ويكفي في ذلك عدم وقوع المعلّق عليه، ولا يستدعي امتناع المعلّق امتناعه، ولو سلّم فنقول: إنّ المعلّق عليه هو الاستقرار لا مطلقاً بل في المستقبل وعقيب النظر، بدلالة الفاء وإن، وذلك لأنّه إذا دخل الفاء على إن يفيد اشتراط التعقيب لا تعقيب الاشتراط فالشرط ههنا وقوع الاستقرار عقيب النظر، والنظر

ملزوم لوقوع حركة الجبل عقيبه، فوقوع السكون عقيبه محال لاستحالة وقوع الشيء عقيب ما يستعقب منا في ذلك الشيء ويستلزم وقوعه عقيبه. وأمّا أنّ النظر لا يستلزم اندكاك الجبل وتزلزله ولا علاقة بينه وبينه وإنّما هو مصاحبة اتّفاقيّة فممنوع، ولعلّ النظر ملزوم للحركة كما أنّ استقرار الجبل ملزوم لرؤيته تعالى، وتحقّق العلاقة بين النظر والحركة ليس بأبعد من تحقّق العلاقة بين الاستقرار والرؤية. ولنقتصر على ذلك فإنّ إطناب الكلام في كل من الدلائل والأجوبة يوجب الخروج عمّا هو المقصود من الكتاب.

وأمّا المنكرون فاحتجّوا بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ فإنّ كلمة لن تفيد إمّا تأبيد النفي في المستقبل - كما صرّح به الزمخشريّ في انموذجه - فيكون نصّاً في أن موسى عليه السلام لا يراه أبداً، أو تأكيده - على ما صرّح به في الكشّاف - فيكون ظاهراً في ذلك لأنّ المتبادر في مثله عموم الأوقات، وإذا لم يره موسى لم يره غيره إجماعاً، وإن نوقش في كونها للتأكيد أو للتأبيد فكفاك شاهداً استدلال أئمّتنا عليهم السلام بها على نفي الرؤية مطلقاً، لأنّهم أفصح الفصحاء طرّاً باتّفاق الفريقين، مع أنّا لكثرة براهيننا لا نحتاج إلى الإكثار في دلالة هذه الآية على المطلوب.

٢٨ - **يد:** الدقّاق: عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن عبدالله بن زاهر، عن الحسين بن يحيى الكوفيّ، عن قثم بن قتادة، عن عبدالله بن يونس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له: ذعلب ذرب اللّسان بليغ في الخطاب شجاع القلب فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك؟ فقال: ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد ربّاً لم أره. قال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته؟ قال يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان[1].

أقول: تمامه في باب جوامع التوحيد.

٢٩ - **نهج:** من كلام له عليه السلام - وقد سأله ذعلب اليمانيّ - فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ قال: وكيف تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلّم لا برويّة، ومريد بلا همّة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسّة، رحيم لا يوصف بالرقّة، تعنو الوجوه لعظمته، وتجب القلوب من مخافته[2].

٣٠ - **سن:** البزنطيّ، عن رجل من أهل الجزيرة، عن أبي عبدالله عليه السلام إنّ رجلاً من اليهود أتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا عليّ هل رأيت ربّك؟ فقال: ما كنت بالّذي أعبد إلهاً

(١) التوحيد، ص ٣٠٨ باب ٤٣ ح ٢.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٦٠ خطبة رقم ١٧٧. وفيه: ومريد لا بهمّة.

لم أره، ثمّ قال: لم تره العيون في مشاهدة الأبصار، غير أنّ الإيمان بالغيب من عقد القلوب[١].

٣١ - شي: عن الأشعث بن حاتم قال: قال ذو الرياستين: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عمّا اختلف فيه الناس من الرؤية، فقال بعضهم لا يرى. فقال: يا أبا العبّاس من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله، قال الله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ هذه الأبصار ليست هي الأعين إنّما هي الأبصار الّتي في القلوب لا تقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو[٢].

٣٢ - ضه: سأل محمّد الحلبيّ الصادق عليه السلام فقال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه؟ قال: نعم رآه بقلبه، فأمّا ربّنا جلّ جلاله فلا تدركه أبصار حدق الناظرين ولا يحيط به أسماع السامعين[٣].

٣٣ - وسئل الصادق عليه السلام هل يرى الله في المعاد؟ فقال: سبحانه تبارك وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً إن الأبصار لا تدرك إلاّ ما له لون وكيفيّة، والله خالق الألوان والكيفية[٤].

٣٤ - نص: الحسين بن عليّ، عن هارون بن موسى، عن محمّد بن الحسن، عن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين، فقال له معاوية بن وهب: يا ابن رسول الله ما تقول في الخبر الّذي روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربّه على أيّ صورة رآه؟ وعن الحديث الّذي رووه أنّ المؤمنين يرون ربّهم في الجنّة؟ على أيّ صورة يرونه؟

فتبسم عليه السلام ثمّ قال: يا معاوية ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه ثمّ لا يعرف الله حقّ معرفته.

ثمّ قال عليه السلام: يا معاوية إنّ محمداً صلى الله عليه وآله لم ير الربّ تبارك وتعالى بمشاهدة العيان وإنّ الرؤية على وجهين: رؤية القلب، ورؤية البصر، فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: من شبّه الله بخلقه فقد كفر. ولقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن الحسين بن عليّ قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل: يا أخا رسول الله هل رأيت ربّك؟ فقال: وكيف أعبد من لم أره؟ لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان فإذا كان المؤمن يرى ربّه بمشاهدة البصر فإنّ كلّ من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق، ولا بدّ للمخلوق من الخالق، فقد جعلته إذاً محدَثاً مخلوقاً،

---

(١) المحاسن، ص ٢٣٩.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٠٣ ح ٧٨ في تفسيره لسورة الأنعام.

(٣) - (٤) روضة الواعظين، ص ٤١-٤٢.

ومن شبّهه بخلقه فقد اتّخذ مع الله شريكاً ويلهم أولم يسمعوا بقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ وقوله: ﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾؟ وإنّما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سمّ الخياط فدكدكت الأرض وصعقت الجبال ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي ميتا ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ ورد عليه روحه ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من قول من زعم أنّك ترى، ورجعت إلى معرفتي بك أنّ الأبصار لا تدركك ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وأوّل المقرّين بأنّك ترى ولا تُرى، وأنت بالمنظر الأعلى.

ثمّ قال عليه السلام: إنّ أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الربّ والإقرار له بالعبوديّة، وحدّ المعرفة أن يعرف أنّه لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير، وأن يعرف أنّه قديم مثبت موجود غير فقيد. موصوف من غير شبيه ولا مبطل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وبعده معرفة الرسول والشهادة بالنبوّة، وأدنى معرفة الرسول الإقرار بنبوّته، وإنّ ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهي فذلك من الله عزّ وجلّ، وبعده معرفة الإمام الّذي به تأتمّ بنعته وصفته واسمه في حال العسر واليسر، وأدنى معرفة الإمام أنّه عدل النبيّ إلا درجة النبوّة، ووارثه، وأنّ طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله، والتسليم له في كلّ أمر، والردّ إليه، والأخذ بقوله، ويعلم أنّ الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب، وبعده الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ أنا، ثمّ بعدي موسى ابني، وبعده عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّدٌ ابنه، وبعد محمّد عليٌّ ابنه وبعد عليّ الحسن ابنه، والحجّة من ولد الحسن. ثمّ قال: يا معاوية جعلت لك أصلاً في هذا فاعمل عليه، فلو كنت تموت على ما كنت عليه لكان حالك أسوأ الأحوال فلا يغرّنّك قول من زعم أن الله تعالى يرى بالبصر، قال: وقد قالوا أعجب من هذا، أولم ينسبوا آدم عليه السلام إلى المكروه؟ أولم ينسبوا إبراهيم عليه السلام إلى ما نسبوه؟ أولم ينسبوا داود عليه السلام إلى ما نسبوه من حديث الطير؟ أولم ينسبوا يوسف الصديق إلى ما نسبوه من حديث زليخا؟ أولم ينسبوا موسى عليه السلام إلى ما نسبوه من القتل؟ أولم ينسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما نسبوه من حديث زيد؟ أولم ينسبوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى ما نسبوه من حديث القطيفة؟ إنّهم أرادوا بذلك توبيخ الإسلام ليرجعوا على أعقابهم، أعمى الله أبصارهم كما أعمى قلوبهم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً[1].

٣٥ - يد: الدقّاق، عن الكلينيّ، عن أحمد بن إدريس، عن ابن عيسى، عن عليّ بن سيف، عن محمّد بن عبيدة قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن الرؤية وما ترويه العامّة والخاصّة، وسألته أن يشرح لي ذلك.

فكتب عليه السلام بخطّه: اتّفق الجميع لا تمانع بينهم أنّ المعرفة من جهة الرؤية ضرورة، فإذا

(١) كفاية الأثر، ص ٢٥٦.

جاز أن يرى الله عزّوجلّ بالعين وقعت المعرفة ضرورةً، ثمّ لم تخل تلك المعرفة من أن تكون إيماناً أو ليست بإيمان فإن كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيماناً فالمعرفة الّتي في دار الدنيا من جهة الاكتساب ليست بإيمان، لأنّها ضدّه فلا يكون في الدنيا أحدٌ مؤمناً، لأنّهم لم يروا الله عزّوجلّ ، وإن لم تكن تلك المعرفة الّتي من جهة الرؤية إيماناً لم تخل هذه المعرفة الّتي من جهة الاكتساب أن تزول أو لا تزال في المعاد، فهذا دليل على أن الله عزّوجلّ لا يرى بالعين إذ العين تؤدّي إلى ما وصفناه[1].

إيضاح: اعلم أنّ الناظرين في هذا الخبر قد سلكوا مسالك شتّى في حلّها ولنذكر بعضها:

الاول - هو الأقرب إلى الأفهام وإن كان أبعد من سياق الكلام، وكان الوالد العلاّمة قدّس الله روحه يرويه عن المشايخ الأعلام وتقريره على ما حرّره بعض الأفاضل الكرام - هو أنّ المراد أنّه اتّفق الجميع أي جميع العقلاء من مجوّزي الرؤية ومحيليها - لا تمانع ولا تنازع بينهم - على أنّ المعرفة من جهة الرؤية ضرورة أي كل ما يرى يعرف بأنّه على ما يرى، وأنّه متّصف بالصفات الّتي يرى عليها ضرورة، فحصول معرفة المرئيّ بالصفات الّتي يرى عليها ضروريٌّ، وهذا الكلام يحتمل وجهين: أحدهما كون قوله: من جهة الرؤية خبراً أي أنّ المعرفة بالمرئيّ تحصل من جهة الرؤية ضرورة. وثانيهما تعلّق الظرف بالمعرفة وكون قوله: ضرورة خبراً أي المعرفة الناشئة من جهة الرؤية ضرورة أي ضروريّة، والضرورة على الاحتمالين تحتمل الوجوب والبداهة، وتقرير الدليل: أنّ حصول المعرفة من جهة الرؤية ضروريٌّ، فلو جاز أن يرى الله سبحانه بالعين وقعت المعرفة من جهة الرؤية ضرورة، فتلك المعرفة لا تخلو من أن تكون إيماناً أو لا تكون إيماناً، وهما باطلان لأنّه إن كانت إيماناً لم تكن المعرفة الحاصلة في الدنيا من جهة الاكتساب إيماناً لأنّهما متضادّان، فإنّ المعرفة الحاصلة بالاكتساب أنّه ليس بجسم، وليس في مكان، وليس بمتكمّم، ولا متكيّف، والرؤية بالعين لا تكون إلاّ بإدراك صورة متحيّزة من شأنها الانطباع في مادّة جسمانيّة، والمعرفة الحاصلة من جهتها معرفة بالمرئيّ بأنّه متّصف بالصفات المدركة في الصورة فهما متضادّتان لا تجتمعان في المطابقة للواقع، فإن كانت هذه إيماناً لم تكن تلك إيماناً فلا يكون في الدنيا مؤمن لأنّهم لم يروا الله عزّ ذكره، وليس لهم إلاّ المعرفة من جهة الاكتساب، فلو لم يكن إيماناً لم يكن في الدنيا مؤمن، وإن لم تكن تلك المعرفة الّتي من جهة الرؤية إيماناً أي اعتقاداً مطابقاً للواقع، وكانت المعرفة الاكتسابيّة إيماناً لم تخل هذه المعرفة الّتي من جهة الاكتساب من أن تزول عند المعرفة من جهة الرؤية لتضادّهما أو لا تزول لامتناع زوال الإيمان في الآخرة.

وهذه العبارة تحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: لم تخل هذه المعرفة من الزوال عند الرؤية، والمعرفة من جهتها لتضادهما، والزوال مستحيل لايقع لامتناع زوال الإيمان في الآخرة.

---

(١) التوحيد، ص ١٠٩ باب ٨ ح ٨.

وثانيها: لم تخل هذه المعرفة من الزوال وعدم الزوال ويكون متّصفاً بكليهما في المعاد عند وقوع الرؤية والمعرفة من جهتها لامتناع اجتماع الضدين، وامتناع زوال الإيمان في المعاد، والمستلزم لاجتماع النقيضين مستحيلٌ.

وثالثها: لم تخل هذه المعرفة من الزوال وعدم الزوال ولابدّ من أحدهما وكلٌ منهما محالٌ.

وأما بيان أنّ الإيمان لا يزول في المعاد بعد الاتّفاق والاجتماع عليه أنّ الإعتقاد الثابت المطابق للواقع الحاصل بالبرهان مع معارضة الوساوس الحاصلة في الدنيا يمتنع زوالها عند ارتفاع الوساوس والموانع على أنّ الرؤية عند مجوّزيها إنّما تقع للخواص من المؤمنين والكمّل منهم في الجنّة فلو زال إيمانهم لزم كون غير المؤمن أعلى درجة من المؤمن، وكون الاحطّ مرتبة أكمل من الأعلى درجة، وفساده ظاهر.

أقول: الاحتمالات الثلاثة إنّما هي على ما في الكافي من «الواو» وأما على ما في التوحيد من كلمة «أو» فالأخير متعين.

ثمّ اعلم أنّه يرد على هذا الحلّ أن من لم يسلّم امتناع الرؤية كيف يسلّم كون الإيمان المكتسب منافياً لها، وإن ادّعى الضرورة في كون الرؤية مستلزمة لما اتّفقوا على امتناعه فهو كاف في إثبات المطلوب، إلا أن يقال: إنّما أورد هكذا بياناً لكثرة الفساد وإيضاحاً للمراد، أو يقال: لعله عليه السلام كان بيّن للسائل امتناع الرؤية بالدلائل فلمّا ذكر السائل ما ترويه العامّة في ذلك بيّن امتناع وقوع ما ثبت لنا بالبراهين امتناعه، وآمنّا به بهذا الوجه.

الثاني: أنّ حاصل الدليل أنّ المعرفة من جهة الرؤية غير متوقّفة على الكسب والنظر، والمعرفة في دار الدنيا، متوقّفة عليه ضعيفة بالنسبة إلى الأولى فتخالفتا مثل الحرارة القويّة والحرارة الضعيفة، فإن كانت المعرفة من جهة الرؤية إيماناً لم تكن المعرفة من جهة الكسب إيماناً كاملاً لأنّ المعرفة من جهة الرؤية أكمل منها، وإن لم يكن إيماناً يلزم سلب الإيمان عن الرائين، لامتناع اجتماع المعرفتين في زمان واحد في قلب واحد يعني قيام تصديقين أحدهما أقوى من الآخر بذهن واحد، وأحدهما حاصل من جهة الرؤية، والآخر من جهة الدليل، كما يمتنع قيام حرارتين بماء واحد في زمان واحد، ويرد عليه النقض بكثير من المعارف التي تعرف في الدنيا بالدليل وتصير في الآخرة بالمعاينة ضروريّة، ويمكن بيان الفرق بتكلّف.

الثالث: ما حقّقه بعض الأفاضل بعدما مهّد من أنّ نور العلم والإيمان يشتدّ حتى ينتهي إلى المشاهدة والعيان لكن العلم إذا صار عيناً لم يصر عيناً محسوساً، والمعرفة إذا انقلبت مشاهدة لم تنقلب مشاهدة بصرية حسّيّة لأنّ الحسّ والمحسوس نوع مضادّ للعقل والمعقول ليس نسبة أحدهما إلى الآخر نسبة النقص إلى الكمال والضعف إلى الشدة، بل لكلّ منهما في حدود نوعه مراتب في الكمال والنقص لا يمكن لشيء من أفراد أحد النوعين المتضادّين أن

ينتهي في مراتب استكمالاته واشتداده إلى شيء من أفراد النوع الآخر فالإبصار إذا اشتدّ لا يصير تخيّلاً مثلاً، ولا التخيل إذا اشتدّ يصير تعقّلاً ولا بالعكس، نعم إذا اشتدّ التخيّل تصير مشاهدة ورؤية بعين الخيال لا بعين الحسّ، وكثيراً ما يقع الغلط من صاحبه أنه رأى بعين الخيال أم بعين الحسّ الظاهر، كما يقع للمبرسمين والمجانين، وكذا التعقّل إذا اشتدّ يصير مشاهدة قلبيّة ورؤية عقليّة، لا خياليّة ولا حسيّة، وبالجملة الإحساس والتخيّل والتعقّل أنواع متقابلة من المدارك كلّ منها في عالم آخر من العوالم الثلاثة، ويكون تأكّد كلّ منها حجاباً مانعاً عن الوصول إلى الآخر، فإذا تمهّد هذا فنقول: اتّفق الجميع أن المعرفة من جهة الرؤية أمر ضروريّ، وأنّ رؤية الشيء متضمّنة لمعرفته بالضرورة، بل الرؤية بالحسّ نوع من المعرفة، فإنّ من رأى شيئاً فقد عرفه بالضرورة، فإن كان الإيمان بعينه هو هذه المعرفة التي مرجعها الإدراك البصريّ والرؤية الحسّيّة فلم تكن المعرفة العلميّة التي حصلت للإنسان من جهة الاكتساب بطريق الفكر والنظر إيماناً لأنّها ضده، لانك قد علمت أنّ الإحساس ضدّ التخيّل، وأنّ الصورة الحسّيّة ضد الصورة العقليّة فإذا لم يكن الايمان بالحقيقة مشتركاً بينهما، ولا أمراً جامعاً لهما لثبوت التضادّ وغاية الخلاف بينهما، ولا جنساً مبهماً بينهما غير تامّ الحقيقة المتحصّلة كجنس المتضادين مثل اللّونيّة بين نوعي السواد والبياض لانّ الإيمان أمر محصّل وحقيقة معيّنة، فهو إمّا هذا وإمّا ذاك فإذا كان ذاك لم يكن هذا، وإن كان هذا لم يكن ذاك ثمّ ساق الدليل إلى آخره كما مرّ، ولا يخفى أنّ شيئاً من الوجوه لا يخلو من تكلّفات إما لفظيّة وإمّا معنويّة، ولعله عليه السلام بنى ذلك على بعض المقدّمات المقرّرة بين الخصوم في ذلك الزمان إلزاماً عليهم كما صدر عنهم كثيرٌ من الاخبار كذلك، والله تعالى يعلم وحججه حقائق كلامهم عليهم السلام.

تذييل: اعلم أنّ الأمّة اختلفوا في رؤية الله تعالى على أقوال فذهبت الإماميّة والمعتزلة إلى امتناعها مطلقاً، وذهبت المشبهة والكرامية إلى جواز رؤيته تعالى في الجهة والمكان لكونه تعالى عندهم جسماً، وذهبت الأشاعرة إلى جواز رؤيته تعالى منزّهاً عن المقابلة والجهة والمكان.

قال الآبيّ في كتاب إكمال الإكمال ناقلاً عن بعض علمائهم: إنّ رؤية الله تعالى جائزة في الدنيا عقلاً، واختلف في وقوعها وفي أنه هل رآه النبي صلى الله عليه وآله ليلة الإسراء أم لا فأنكرته عائشة وجماعة من الصحابة والتابعين والمتكلّمين، وأثبت ذلك ابن عبّاس وقال: إنّ الله اختصّه بالرؤية، وموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلّة، وأخذ به جماعةٌ من السلف، والأشعريّ في جماعة من أصحابه وابن حنبل، وكان الحسن يقسم لقد رآه، وتوقف فيه جماعة، هذا حال رؤيته في الدنيا. وأمّا رؤيته في الآخرة فجائزةٌ عقلاً وأجمع على وقوعها أهل السنّة، وأحالها المعتزلة والمرجئة والخوارج، والفرق بين الدنيا والآخرة أن القوى والإدراكات ضعيفةٌ في الدنيا حتّى إذا كانوا في الآخرة، وخلقهم للبقاء قوي إدراكهم فأطاقوا رؤيته. انتهى كلامه.

وقد عرفت ممّا مرّ أنّ استحالة ذلك مطلقاً هو المعلوم من مذهب أهل البيت عليهم السلام وعليه إجماع الشيعة باتّفاق المخالف والمؤالف، وقد دلّت عليه الآيات الكريمة وأقيمت عليه البراهين الجليّة، وقد أشرنا إلى بعضها وتمام الكلام في ذلك موكول إلى الكتب الكلاميّة.

أبواب الصفات

١ - باب نفي التركيب واختلاف المعاني والصفات، وأنه ليس محلّاً للحوادث والتغييرات وتأويل الآيات فيها، والفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال

١ - **ن، يد، لي:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الفضل بن سليمان الكوفيّ، عن الحسين بن خالد قال: سمعت الرضا عليّ بن موسى عليه السلام يقول: لم يزل الله تبارك وتعالى عالماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً، فقلت له: يا ابن رسول الله إنّ قوماً يقولون: إنّه عزّ وجلّ لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدرة، وحيّاً بحياة، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر. فقال عليه السلام: من قال بذلك ودان به فقد اتّخذ مع الله آلهة اخرى، وليس من ولايتنا على شيء ثم قال عليه السلام: لم يزل الله عزّ وجلّ عالما قادراً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً لذاته، تعالى عمّا يقول المشركون والمشبّهون علوّاً كبيراً(١).

ج: مرسلاً مثله(٢).

بيان: اعلم أن أكثر أخبار هذا الباب تدلّ على نفي زيادة الصفات أي على نفي صفات موجودة زائدة على ذاته تعالى، وأمّا كونها عين ذاته تعالى بمعنى أنّها تصدق عليها، أو أنّها قائمة مقام الصفات الحاصلة في غيره تعالى، أو أنّها أمور اعتباريّة غير موجودة في الخارج واجبة الثبوت لذاته تعالى، فلا نصّ فيها على شيء منها، وإن كان الظاهر من بعضها أحد المعنيين الاوّلين، ولتحقيق الكلام في ذلك مقام آخر.

قال المحقّق الدوانيّ: لا خلاف بين المتكلّمين كلهم والحكماء في كونه تعالى عالماً قديراً مريداً متكلّماً، وهكذا في سائر الصفات، ولكنّهم يخالفوا(٣) في أنّ الصفات عين ذاته، أو غير ذاته، أولا هو ولا غيره، فذهبت المعتزلة والفلاسفة إلى الاوّل، وجمهور المتكلمين إلى الثاني، والاشعريّ إلى الثالث، والفلاسفة حقّقوا عينيّة الصفات بأنّ ذاته تعالى من حيث إنّه مبدء لانكشاف الأشياء عليه علم، ولمّا كان مبدء الانكشاف عين ذاته كان

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٩ باب ١١ ح ١٠، والتوحيد، ص ١٣٩. باب ١١ ح ٣، وأمالي الصدوق، ص ٢٢٩ مجلس ٤٧ ح ٥.

(٢) الاحتجاج، ص ٤١٠.

(٣) الظاهر: خالفوا.

عالماً بذاته، وكذا الحال في القدرة والإرادة وغيرهما من الصفات، قالوا: وهذه المرتبة أعلى من أن تكون تلك الصفات زائدة عليه فإنّا نحتاج في انكشاف الاشياء علينا إلى صفة مغايرة لنا قائمة بنا. والله تعالى لا يحتاج إليه بل بذاته تنكشف الأشياء عليه، ولذلك قيل: محصول كلامهم نفي الصفات وإثبات نتائجها وغاياتها. وأمّا المعتزلة فظاهر كلامهم أنها عندهم من الاعتبارات العقليّة التي لاوجود لها في الخارج. انتهى.

٢ - **يد، لي:** ابن ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفيّ، عن محمّد بن سنان، عن أبان الأحمر قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعاً بصيراً عليماً قادراً؟ قال: نعم.

فقلت له: إن رجلاً ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول: إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل سميعاً بسمع، وبصيراً ببصر، وعليماً بعلم، وقادراً بقدرة.

قال: فغضب عليه السلام ثمّ قال: من قال ذلك ودان به فهو مشرك، وليس من ولايتنا على شيء إن الله تبارك وتعالى ذاتٌ علامةٌ سميعةٌ بصيرةٌ قادرةٌ[١].

٣ - **يد، لي:** القطّان، عن السكريّ، عن الجوهريّ، عن محمّد بن عمارة، عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أخبرني عن الله هل له رضى وسخط؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، ولكن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه[٢].

٤ - **يد، ن:** ابن عصام، عن الكلينيّ، عن العلاّن، عن عمران بن موسى، عن الحسن بن القاسم، عن القاسم بن مسلم، عن أخيه عبد العزيز قال: سألت الرضا عليّ بن موسى عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ﴾ فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينسى ولا يسهو، وإنما ينسى ويسهو المخلوق المحدث ألا تسمعه عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾؟ وإنّما يجازي من نسيه ونسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣] وقال تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾[٤] أي نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا.

قال الصدوق رحمه الله قوله: نتركهم أي لا نجعل لهم ثواب من كان يرجو لقاء يومه لأنّ الترك لا يجوز على الله تعالى عزّ وجلّ. وأما قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[٥] أي لم يعاجلهم بالعقوبة وأمهلهم ليتوبوا[٦].

---

(١) التوحيد، ص ١٤٣ باب ١١ ح ٨، وأمالي الصدوق، ص ٤٨٨ مجلس ٨٩ ح ٦.
(٢) التوحيد، ص ٢٢٩ باب ٤٧ ح ٦، وأمالي الصدوق، ص ١٧٠ مجلس ٢٦ ح ٤.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧.
(٦) التوحيد، ص ١٥٩ باب ١٦ ح ١.

بيان: أراد الصدوق رحمه الله أن ينبّه على أنَّ الترك لا يعني به الاهمال فإن ترك التكليف في الدنيا أو ترك الجزاء في الآخرة لا يجوز على الله تعالى، بل المراد ترك الاثابة والرحمة وتشديد العذاب عليهم.

ثم إنه عليه السلام أشار إلى الوجهين اللذين يمكن أن يؤوّل بهما أمثال تلك الآيات، الأول: أن يكون الله تعالى عبر عن جزاء النسيان بالنسيان على مجاز المشاكلة. والثاني: أن يكون المراد بالنسيان الترك قال الجوهري: النسيان: الترك، قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

وقال البيضاوي: نسوا الله: أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته. فنسيهم: فتركهم من لطفه وفضله، وقال: ولا تكونوا كالذين نسوا الله: نسوا حقة فأنساهم أنفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها، أو أراهم يوم القيامة من الاهوال ما أنساهم أنفسهم[1].

٥ - **يد، مع:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن البرقيّ، عن اليقطينيّ، عن حمزة بن الربيع، عمن ذكره قال: كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له: جعلت فداك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[2] ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب يا عمرو. إنّه من زعم أن الله عزّ وجلّ قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق، إن الله عزّ وجلّ لا يستفزه شيء ولا يغيره[3].

٦ - **يد، مع:** بهذا الإسناد عن البرقيّ، عن أبيه يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[4] قال: إنَّ الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا ولكنّه خلق أولياءاً لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مدبّرون، فجعل رضاهم لنفسه رضىً، وسخطهم لنفسه سخطاً، وذلك لانّه جعلهم الدعاة إليه والأدلاّء عليه ولذلك صاروا كذلك وليس أنّ ذلك يصل إلى الله عزّ وجلّ كما يصل إلى خلقه، ولكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال أيضاً: من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها، وقال أيضاً: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[5] وكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الاشياء مما يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى المكوّن الأسف والضجر وهو الذي أحدثهما وأنشأهما لجاز لقائل أن يقول: إنَّ المكوّن يبيد يوماً لأنّه إذا دخله الضجر والغضب دخله التغيير، وإذا دخله التغيير

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٦٥. (٢) سورة طه، الآية: ٨١.
(٣) التوحيد، ص ١٦٨ باب ٢٦ ح ١ ومعاني الأخبار ص ١٩.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٥٥. (٥) سورة الفتح، الآية: ١٠.

لم يؤمن عليه الإبادة، ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوِّن من المكوَّن، ولا القادر من المقدور، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً. هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه، فافهم ذلك إن شاء الله[١].

بيان: قال الطبرسي رحمه الله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي أغضبونا عن ابن عبّاس ومجاهد وغضب الله سبحانه على العصاة إرادة عقابهم، ورضاه عن المطيعين إرادة ثوابهم، وقيل: معناه آسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله تعالى. انتهى[٢].

وقوله عليه السلام: وهو الّذي أحدثهما إشارة إلى وجه آخر لاستحالة ذلك كما مرّ في بعض الأخبار: أن الله لا يوصف بخلقه، وأشار عليه السلام آخراً إلى أنّ الاحتياج إلى الغير ينافي الخالقيّة ووجوب الوجود كما هو المشهور.

٧ - **يد، مع:** ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن العبّاس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم أنّ رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى له رضى وسخط؟ قال: نعم وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين وذلك لأنّ الرضا والغضب دخّال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال، معتمل مركّب للاشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه، واحد أحديّ الذات وأحدي المعنى، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه، من غير شيء يتداخله فيهيّجه وينقله من حال إلى حال فإنّ ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك وتعالى القويّ العزيز، لا حاجة به إلى شيء ممّا خلق، وخلقه جميعاً محتاجون إليه، إنّما خلق الأشياء لامن حاجة ولا سبب اختراعاً وابتداعاً[٣].

بيان: في الكافي هكذا: فينقله من حال إلى حال لانّ المخلوق أجوف معتمل. وهو الظاهر.

والحاصل أنّ عروض تلك الأحوال والتغيّرات إنما يكون لمخلوق أجوف له قابليّة ما يحصل فيه ويدخله، معتمل يعمل بأعمال صفاته وآلاته، مركّب من أمور مختلفة وجهات مختلفة للأشياء من الصفات والجهات والآلات فيه مدخل، وخالقنا تبارك اسمه لامدخل للأشياء فيه لاستحالة التركيب في ذاته، فإنّه أحديّ الذات وأحدي المعنى فإذن لا كثرة فيه لا في ذاته ولا في صفاته الحقيقيّة، وإنّما الاختلاف في الفعل فيثيب عند الرضا ويعاقب عند السخط. قال السيّد الداماد رحمه الله: المخلوق أجوف لما قد برهن واستبان في حكمة ما فوق الطبيعة أنّ كل ممكن زوج تركيبيّ، وكل مركّب مزوّج الحقيقة فإنّه أجوف الذات لا محالة، فما لا جوف لذاته على الحقيقة هو الأحد الحقّ سبحانه لا غير فإذن الصمد الحق ليس هو إلا

(١) التوحيد، ص ١٦٨ باب ٢٦ ح ٢ ومعاني الأخبار، ص ١٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٨٨ في تفسيره لسورة الزخرف، الآية: ٥٥.
(٣) التوحيد، ص ١٦٩ باب ٢٦ ح ٣.

الذات الأحدية الحقة من كل جهة، فقد تصحح من هذا الحديث الشريف تأويل الصمد بما لا جوف له وما لا مدخل لمفهوم من المفهومات وشيء من الأشياء في ذاته أصلاً.

٨ - **ج**: عن هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام فقال: فلم يزل صانع العالم عالماً بالاحداث التي احدثها قبل أن يحدثها؟ قال: لم يزل يعلم فخلق قال: أمختلف هو أم مؤتلف؟ قال: لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، إنّما يختلف المتجزّئ ويأتلف المتبعّض، فلا يقال له: مؤتلف ولا مختلف. قال: فكيف هو الله الواحد؟ قال: واحد في ذاته فلا واحد كواحد لأنّ ما سواه من الواحد متجزّىء وهو تبارك وتعالى واحد لا متجزىء ولا يقع عليه العدّ[1].

٩ - **ج**: روى بعض أصحابنا أنّ عمرو بن عبيد دخل على الباقر عليه السلام فقال له: جعلت فداك قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾[2] ما ذلك الغضب؟ قال: العذاب يا عمرو إنّما يغضب المخلوق الّذي يأتيه الشيء فيستفزّه ويغيّره عن الحال الّتي هو بها إلى غيرها فمن زعم أنّ الله يغيره الغضب والرضا ويزول عنه من هذا فقد وصفه بصفة المخلوق[3].

١٠ - **ج**: روي أنّ عمرو بن عبيد وفد على محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام لامتحانه بالسؤال عنه، فقال له: جعلت فداك ما معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[4] ما هذا الرتق والفتق؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: كانت السماء رتقاً لاتنزل القطر، وكانت الارض رتقاً لا تخرج النبات ففتق الله السماء بالقطر، وفتق الارض بالنبات، فانطلق عمرو ولم يجد اعتراضاً ومضى ثمّ عاد إليه فقال: أخبرني جعلت فداك عن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ما غضب الله؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: غضب الله تعالى عقابه، يا عمرو من ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر[5].

١١ - **ما**: شيخ الطائفة، عن المفيد، عن ابن قولويه، عن الكلينيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن الطيالسيّ، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: لم يزل الله جلّ اسمه عالماً بذاته ولا معلوم، ولم يزل قادراً بذاته ولا مقدور. قلت له: جعلت فداك فلم يزل متكلّماً؟ قال: الكلام محدَث كان الله عزّ وجلّ وليس بمتكلّم ثمّ أحدث الكلام[6].

١٢ - **يد**: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هارون بن عبد الملك قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن التوحيد، فقال: هو عزّ وجلّ مثبت موجود، لا مبطل ولا معدود، ولا

---

(١) الاحتجاج، ص ٢٣٨.
(٢) سورة طه، الآية: ٨١.
(٣) الاحتجاج، ص ٣٢٢.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.
(٥) الاحتجاج، ص ٣٢٦.
(٦) أمالي الطوسي، ص ١٦٨. مجلس ٦ ح ٢٨٢.

في شيء من صفة المخلوقين، وله عزّوجلّ نعوت وصفات، فالصفات له، وأسماؤها جارية على المخلوقين، مثل السميع والبصير والرؤوف والرحيم وأشباه ذلك والنعوت نعوت الذات لا يليق إلا بالله تبارك وتعالى، والله نورٌ لا ظلام فيه، وحي لا موت فيه، وعالمٌ لا جهل فيه، وصمدٌ لا مدخل فيه، ربّنا نوري الذات، حيُّ الذات، عالم الذات، صمديُّ الذات[١].

بيان: قوله عليه السلام : فالصفات له أي لا تجري صفاته بالمعنى الّذي يطلق عليه تعالى على المخلوقين بل إنّما يطلق عليهم هذا الاسم بمعنى آخر وإن اشترك المعنيان بوجه من الوجوه، والنور هو الوجود لانّه منشأ الظهور، والظلام: الإمكان، وقال الحكماء: الحيّ في حقّه تعالى هو الدرّاك الفعّال. وعند المتكلمين من المعتزلة والشيعة هي كونه تعالى منشأ للعلم والإرادة، وبعبارة اخرى كونه تعالى بحيث يصح أن يعلم ويقدر، وذهبت الأشاعرة المثبتون للصفات الزائدة أنّها صفة توجب صحّة العلم والقدرة، وقد عرفت بطلانها.

١٣ - **يد:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره، نوراً لا ظلام فيه، وصادقاً لا كذب فيه، وعالماً لا جهل فيه، وحيّاً لا موت فيه، وكذلك هو اليوم، وكذلك لا يزال أبداً[٢].

سن: أبي مثله.

١٤ - **يد:** حمزة بن محمّد العلويّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليقطينيّ، عن حمّاد، عن حريز، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في صفة القديم: إنّه واحد أحد صمد احديّ المعنى، ليس بمعان كثيرة مختلفة. قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الّذي يبصر، ويبصر بغير الّذي يسمع. قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبّهوا، تعالى الله عن ذلك إنّه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع. قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه. قال: فقال: تعالى الله إنّما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك[٣].

ج: عن محمد بن مسلم مثله[٤].

بيان: قوله عليه السلام : على ما يعقلونه أي من الإبصار بآلة البصر فيكون نقلاً لكلام المجسّمة، أو باعتبار صفة زائدة قائمة بالذات فيكون نقلاً لكلام الأشاعرة[٥]، والجواب أنّه

---

(١) التوحيد، ص ١٤٠ باب ١١ ح ٤. (٢) التوحيد، ص ١٤٠ باب ١١ ح ٥.

(٣) التوحيد، ص ١٤٤ باب ١١ ح ٩. (٤) الإحتجاج، ص ٣٢٢.

(٥) في المجمع والمعاني التي أثبتها الأشاعرة للباري تعالى عن ذلك، هي الصفات التي زعموها له من أنه قادر بقدرة وعالم بعلم وحيّ بحياة إلى غير ذلك وزعموا أنها قديمة حالة في ذاته فهي زائدة على ذاته. [النمازي].

إنّما يعقل بهذا الوجه من كان بصفة المخلوق، أو المراد: تعالى الله أن يتّصف بما يحصل ويرتسم في العقول والاذهان، والحاصل أنّهم يثبتون لله تعالى ما يعقلون من صفاتهم والله منزّهٌ عن مشابهتهم ومشاركتهم في تلك الصفات الإمكانيّة.

١٥ - يد: ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن العبّاس بن عمرو، عن هشام بن الحكم قال: في حديث الزنديق الّذي سأل أبا عبد الله عليه السلام أنّه قال له: أتقول إنّه سميع بصير؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، وليس قولي: إنّه يسمع بنفسه أنّه شيء والنفس شيء آخر، ولكنّي أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً فأقول: يسمع بكلّه لا أنّ كلّه له بعض، ولكنّي أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلاّ إلى أنّه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف معنى[1].

١٦ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار وسعد معاً، عن ابن عيسى، عن أبيه، والحسين بن سعيد، ومحمّد البرقي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أتنعت الله؟ قلت: نعم، قال: هات. فقلت: هو السميع البصير. قال: هذه صفة يشترك فيها المخلوقون. قلت: فكيف ننعته؟ فقال: هو نورٌ لا ظلمة فيه، وحياةٌ لا موت فيه، وعلمٌ لا جهل فيه، وحقٌ لا باطل فيه، فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد[2].

قال الصدوق رحمه الله: إذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات فإنّما ننفي عنه بكلّ صفة منها ضدّها، فمتى قلنا: إنه حيٌّ نفينا عنه ضدّ الحياة وهو الموت، ومتى قلنا: عليمٌ نفينا عنه ضدّ العلم وهو الجهل، ومتى قلنا: سميع نفينا عنه ضدّ السمع وهو الصمم، ومتى قلنا: بصير نفينا عنه ضدّ البصر وهو العمى، ومتى قلنا: عزيز نفينا عنه ضدّ العزّة وهو الذلّة، ومتى قلنا: حكيم نفينا عنه ضدّ الحكمة وهو الخطأ، ومتى قلنا: غنيٌّ نفينا عنه ضدّ الغنى وهو الفقر، ومتى قلنا: عدل نفينا عنه الجور وهو الظلم، ومتى قلنا: حليم نفينا عنه العجلة، ومتى قلنا: قادر نفينا عنه العجز، ولو لم نفعل ذلك أثبتنا معه أشياء لم تزل معه، ومتى قلنا: لم يزل حيّاً سميعاً بصيراً عزيزاً حكيماً غنياً ملكاً فلما جعلنا معنى كل صفة من هذه الصفات التي هي صفات ذاته نفي ضدها أثبتنا أن الله لم يزل واحداً لا شيء معه. وليست الإرادة والمشيئة والرضا والغضب وما يشبه ذلك من صفات الأفعال بمثابة صفات الذات فإنّه لا يجوز أن يقال: لم يزل الله مريداً شائياً كما يجوز أن يقال: لم يزل الله قادراً عالماً[3].

بيان: حاصل كلامه أنّ كلّ ما يكون اتّصاف ذاته تعالى به بنفي ضدّه عنه مطلقاً فهي من

---

(١) التوحيد، ص ١٤٤ باب ١١ ح ١٠. (٢) التوحيد، ص ١٤٦ باب ١١ ح ١٤.
(٣) التوحيد، ص ١٤٨ باب ١١ ح ١٩.

صفات الذات، ويمكن أن يكون عين ذاته، ولا يلزم من قدمها تعدّدٌ في ذاته ولا في صفاته، وأمّا الصفات الّتي قد يتصف بها بالنسبة إلى شيء وقد يتّصف بنقيضها بالنسبة إلى شيء آخر فلا يمكن أن يكون النقيضان عين ذاته فلا بدّ من زيادتها فلا يكون من صفات الذات، وأيضاً يلزم من كونها من صفات الذات قدمها مع زيادتها فيلزم تعدد القدماء وأيضاً لو كانت من صفات الذات يلزم زوالها عند طروء نقيضها فيلزم التغيّر في الصفات الذاتيّة. وقد أشار الكلينيّ إلى هذا الوجه الأخير بعدما ذكر في وجه الفرق ما تقدّم ذكره وسيأتي تحقيق الإرادة في بابها.

وقال الصدوق رحمه الله في موضع آخر من التوحيد: والدليل على أنّ الله عزّ وجلّ عالم قادر حيّ بنفسه لا بعلم وقدرة وحياة هو غيره أنّه لو كان عالماً بعلم لم يخل علمه من أحد أمرين: إمّا أن يكون قديماً أو حادثاً، فإن كان حادثاً فهو جلّ ثناؤه قبل حدوث العلم غير عالم وهذا من صفات النقص وكلّ منقوص محدَث بما قدمناه، وإن كان قديماً وجب أن يكون غير الله عزّ وجلّ قديماً وهذا كفر بالإجماع، وكذلك القول في القادر وقدرته والحيّ وحياته، والدليل على أنّه عزّ وجلّ لم يزل قادراً عالماً حياً أنه قد ثبت أنه عالم قادر حيٌّ بنفسه وصحّ بالدلائل أنّه عزّ وجلّ قديم، وإذا كان كذلك كان عالماً لم يزل إذ نفسه الّتي لها علم لم تزل، ونفس هذا يدلّ على أنّه قادر حي لم يزل[1].

١٧ - **ما:** بإسناد المجاشعيّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال الله تعالى: كل يوم هو في شأن، فإنّ من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين[2].

١٨ - **يد:** ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن الطيالسيّ، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور.

قال: قلت: فلم يزل الله متكلّماً؟ قال: إنَّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة، كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم[3].

بيان: قوله عليه السلام: وقع العلم منه على المعلوم أي وقع على ما كان معلوماً في الأزل وانطبق عليه وتحقّق مصداقه، وليس المقصود تعلّقه به تعلّقاً لم يكن قبل الإيجاد. أو المراد بوقوع العلم على المعلوم العلم به على أنّه حاضر موجود، وكان قد تعلّق العلم به قبل ذلك على وجه الغيبة وأنّه سيوجد، والتغيّر يرجع إلى المعلوم لا إلى العلم.

---

(١) التوحيد، ٢٢٣ باب ٢٩ ح ١٤.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٥٢١ مجلس ١٨ ح ١١٥١.
(٣) التوحيد، ص ١٣٩ باب ١١ ح ١.

وتحقيق المقام أنّ علمه تعالى بأنّ شيئاً وجد هو عين العلم الّذي كان له تعالى بأنّه سيوجد فإنّ العلم بالقضيّة إنّما يتغيّر بتغيّرها وهو إمّا بتغيّر موضوعها أو محمولها، والمعلوم ههنا هي القضيّة القائلة بأنّ زيداً موجود في الوقت الفلانيّ، ولا يخفى أنّ زيداً لا يتغيّر معناه بحضوره وغيبته، نعم يمكن أن يشار إليه إشارة خاصّة بالموجود حين وجوده ولا يمكن في غيره، وتفاوت الإشارة إلى الموضوع لا يؤثّر في تفاوت العلم بالقضيّة، ونفس تفاوت الإشارة راجع إلى تغيُّر المعلوم لا العلم.

وأمّا الحكماء فذهب محقّقوهم إلى أنّ الزمان والزمانيّات كلّها حاضرة عنده تعالى لخروجه عن الزمان كالخيط الممتدّ من غير غيبة لبعضها دون بعض وعلى هذا فلا إشكال، لكن فيه إشكالات لا يسع المقام إيرادها.

١٩ - **يد:** أبي، عن سعد، عن محمّد بن عيسى، عن إسماعيل بن سهل، عن حمّاد بن عيسى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: لم يزل الله يعلم؟ قال: أنّى يكون يعلم ولا معلوم؟ قال: قلت: فلم يزل الله يسمع؟ قال: أنّى يكون ذلك ولا مسموع؟ قال: قلت: فلم يزل يبصر؟ قال: أنّى يكون ذلك ولا مبصر؟ قال: ثمّ قال: لم يزل الله عليماً سميعاً بصيراً ذات علامة سميعة بصيرة(١).

بيان: لعلّ السائل إنّما سأل عن العلم على وجه الحضور بأن يكون المعلوم حاضراً موجوداً فنفى عليه السلام ذلك ثمّ أثبت كونه تعالى أزلاً متصفاً بالعلم لكن لا مع وجود المعلوم وحضوره، وكذا السمع والبصر، ثمّ اعلم أنّ السمع والبصر قد يظنُّ أنّهما نوعان من الإدراك لا يتعلّقان إلا بالموجود العينيّ فهما من توابع الفعل فيكونان حادثين بعد الوجود، ومع قطع النظر عن المفاسد الّتي ترد عليه لا يوافق الأخبار الكثيرة الدالّة صريحاً على قدمهما، وكونهما من صفات الذات فهما إمّا راجعان إلى العلم بالمسموع والمبصر وإنّما يمتازان عن سائر العلوم بالمتعلق، أو أنهما ممتازان عن غيرهما من العلوم لا بمجرّد المتعلّق المعلوم بل بنفسهما لكنّهما قديمان يمكن تعلّقهما لمعدوم كسائر العلوم، وبعد وجود المسموع والمبصر يتعلّقان بهما من حيث الوجود والحضور. ولا تفاوت بين حضورهما باعتبار الوجود وعدمه فيما يرجع إلى هاتين الصفتين كما مرَّ في العلم بالحوادث آنفاً، نعم لمّا كان هذان النوعان من الإدراك في الإنسان مشروطين بشرائط لا يتصوّر في المعدوم كالمقابلة وتوسّط الشفّاف في البصر لم يمكن تعلّقه بالمعدوم، ولا يشترط شيء من ذلك في إبصاره تعالى فلا يستحيل تعلّقه بالمعدوم وكذا السمع. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بكون السمع والبصر قديماً أنّ إمكان إبصار المبصرات الموجودة وسماع المسموعات الموجودة وما يساوق هذا المعنى قديمٌ فإذا تحقّق المبصر صار مبصراً بالفعل بخلاف العلم فإنّ تعلّقه بجميع المعلومات قديم، ويرد عليه

(١) التوحيد، ص ١٣٩ باب ١١ ح ٢.

أنّ الفرق بين العلم والسمع والبصر على هذا الوجه بعيد عن تلك الأخبار الكثيرة المتقدّمة. والله تعالى يعلم وحججه عليهم السلام.

أقول: سيأتي خبر سليمان المروزيّ في أبواب الاحتجاجات وهو يناسب هذا الباب.

٢ - باب العلم وكيفيته والآيات الواردة فيه

الآيات: البقرة «٢» ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٢٩»، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ «١٩٧» وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ «٢١٥»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (في موضعين ٢١٦ و٢٣٢) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ «٢٢٠»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢٢٤»، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢٢٧» وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٢٣١» وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «٢٣٣» وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ «٢٣٤»، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ «٢٣٥»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «٢٣٧» وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢٤٤»، وقال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢٤٧»، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ «٢٥٥»، وقال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «٢٦٥»، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ «٢٧٠»، وقال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ «٢٧٣»، وقال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٢٨٢»، وقال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ «٢٨٣».

آل عمران «٣»: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (مرتين ١٥ و٢٠)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٢٩»، وقال: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٣٤»، وقال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ «٣٥»، وقال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ «٩٢»، وقال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ «١١٥»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ «١١٩»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ «١٢٠»، وقال: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «١٢١»، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ «١٥٣»، وقال: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ «١٦٦-١٦٧».

النساء «٤»: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ «١١ و٢٤»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ «٣٢»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ «٣٣»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ «٣٥»، وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ «٣٩»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ «٥٨»، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ «٧٠»، وقال: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ «١٠٨»، وقال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «١٧٦».

المائدة «٥»: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٩٧»، وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ «٩٩».

الأنعام «٦»: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ «٥٩-٦٠»، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ «١١٧».

الأعراف «٧»: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾ «٨٩».

الأنفال «٨»: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ «٤٢»، وقال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

التوبة «٩»: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ «٤٤»، وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ «٤٧»، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ «٧٨»، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ «١١٥».

يونس «١٠»: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ «٦١».

هود «١١»: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ «٦»، وقال: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «١١٢»، وقال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ «١٢٣».

الرعد «١٣»: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ «٨-١٠»، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ﴾.

الحجر «١٥»: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ «٢٤».

النحل «١٦»: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ «١٩»، وقال: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ «٢٣»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ «١٢٥».

الاسراء «١٧»: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ «١٧»، وقال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ «٢٥»، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ «٥٥»، وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ «٩٦».

مريم «١٩»: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ «٩٤».

طه «٢٠»: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ «١١٠».

الأنبياء «٢١»: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ «٤»، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ «٢٨»، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ

وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ «١١٠».

الحج «٢٢»: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ «٧٠».

المؤمنين «٢٣»: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ «٩٢».

النور «٢٤»: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ «٢٩»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ «٣٠»، وقال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٣٥».

الفرقان «٢٧»: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ «٦».

النمل «٢٧»: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ «٧٤ و٧٥».

العنكبوت «٢٩»: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ «١٠ و١١»، وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ «٥٢».

لقمان «٣١»: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ «٥١».

سبأ «٣٤»: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ «٢»، وقال عزّوجلّ: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ «٣»، وقال تعالى: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

فاطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ «٨»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ «٣١»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ «٣٨».

يس «٣٦»: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ «١٢»، وقال تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ «٧٦».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ «١٩».

فصلت «٤١»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «٤٠»، وقال سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ «٤٧».

الزخرف «٤٣»: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ «٨٠».

محمد «٤٧»: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ «١٩»، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ «٢٦».

الفتح «٤٨»: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ «١٨»، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ «٢٨».

الحجرات «٤٩»: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ «٨»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ «١٣»، وقال: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «١٦»، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ «١٨».

ق «٥٠»: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ «١٦»، وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ «٤٥».

النجم «٥٣»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ «٣٠»، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ «٣٢».

المجادلة: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ «١»، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٧».

الممتحنة «٦٠»: ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ «١» ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ «١٠».

الملك «٦٧»: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾.

ن [القلم] «٦٨»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ «٧».

الجن «٧٢»: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ «٢٦ و٢٧»، وقال: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا﴾ «٢٨».

الأعلى «٨٧»: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ «٧».

العلق «٩٦»: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ «١٤».

١ - **يد، ن:** عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب القرشيّ، عن أحمد بن الفضل بن المغيرة، عن منصور بن عبد الله بن إبراهيم الإصفهانيّ، عن عليّ بن عبد الله، عن الحسين بن بشّار، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال: سألته أيعلم الله الشيء الّذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون أو لا يعلم إلا ما يكون؟ فقال: إنّ الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(١)] وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[(٢)] فقد علم عزّ وجلّ أنه لو ردّهم لعادوا لما نهوا عنه، وقال للملائكة لمّا قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)] فلم يزل الله عزّ وجلّ علمه سابقاً للأشياء، قديماً قبل أن يخلقها، فتبارك ربّنا

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

وتعالى علوّاً كبيراً، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، كذلك لم يزل ربّنا عليماً سميعاً بصيراً(١).

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ يعني ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي يشهد عليكم بالحقّ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ إي ستكتب الحفظة ما كنتم تعملون في دار الدنيا. وقيل: المراد بالكتاب اللّوح المحفوظ يشهد بما قضى فيه من خير وشرّ؛ وعلى هذا فيكون معنى نستنسخ أنّ الحفظة تستنسخ ما هو مدوّن عندها من أحوال العباد، وهو قول ابن عبّاس(٢). انتهى.

أقول: بناء استشهاده عليه السلام على المعنى الثاني وإن كان المشهور بين المفسّرين هو المعنى الأوّل.

٢ - **مع:** ما جيلويه عن عمّه، عن الكوفيّ، عن موسى بن سعدان الحنّاط، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن مسكان، عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾(٣) قال: السرّ ما كتمته في نفسك، وأخفى ما خطر ببالك ثمّ أنسيته(٤).

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله : السرّ ما حدّث به العبد غيره في خفية، وأخفى منه ما أضمره في نفسه ما لم يحدّث به غيره، عن ابن عبّاس؛ وقيل: السرّ ما أضمره العبد في نفسه وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد. وقيل: السرّ ما تحدّث به نفسك، وأخفى منه: ما تريد أن تحدّث به نفسك في ثاني الحال، وقيل: السرّ: العمل الّذي تستره عن الناس، وأخفى منه:

---

(١) التوحيد، ص ١٣٦ باب ١٠ ح ٨. **أقول:** يظهر من الرواية علمه تعالى بالتقديريات وما لا يكون ونظير الآيات التي استدل عليه السلام لذلك بها كثير مثل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ﴾ وهو يعلم كيف يذهب إن شاء ولا يذهب ولا يشاء ذلك، وهذا مناف للمعارف البشرية من العلة والمعلول وانه تعالى هو علة العلل. قال العلامة الكامل بالعلوم الإلهية فقيه أهل البيت الآقا ميرزا محمد مهدي الاصفهاني أعلى الله مقامه الشريف: هو جل شأنه عالم بالأشياء إذ لا معلوم، وعلمه بها بنفس ذاته القدوس في مرتبة ذاته التي هي نفس الأزل والأبد، ولا حد ولا نهاية لعلمه كما لا حد لذاته سبحانه وتعالى، فهو جل جلاله عالم بالممكنات ولا ممكن بعد، وجميع أطوار الممكنات ولا طور بعد، وعالم بالنظامات الغير المتناهية بأطوار غير متناهية التي منها النظام الكائن على نحو التابعية إذ لا متبوع فلا علية لعلمه تعالى بالنسبة إلى تحقق النظام لأن تحققه برأيه ومشيته، فهو عالم بجميع الخصوصيات التقديرية في النظامات الكائنة وغير الكائنة، وهو عالم بجميعها على النحو الذي يقع قبل أن يكون هناك شيء، فلا واقعية لشيء من الممكنات في مرتبة علمه، فالعلم هو المرآة الرائي للغيوب وهو علام الغيوب؛ [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «علم»].

(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٣٣.

(٣) سورة طه، الآية: ٧.

(٤) معاني الأخبار ص ١٤٣ باب ٨٢ ح ١.

الوسوسة. وقيل: معناه يعلم أسرار الخلق، وأخفى أي سرّ نفسه؛ عن زيد بن أسلم: جعله فعلاً ماضياً، ثمّ روى هذا الخبر عن الباقر والصادق عليهما السلام [١].

٣ - مع: أبي، عن سعد، عن أحمد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ فقال: الغيب: ما لم يكن، والشهادة: ما قد كان[٢].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: أي عالم بما غاب عن حسّ العباد، وبما تشاهده العباد؛ وقيل: عالم بالمعدوم والموجود؛ وقيل: عالم السرّ والعلانية، والأولى أن يحمل على العموم[٣].

٤ - مع: بالإسناد المتقدّم عن ثعلبة، عن عبد الرحمن بن سلمة الحريريّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾[٤] فقال: ألم تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء وكأنّه لا ينظر إليه فذلك خائنة الأعين[٥].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله خائنة الأعين أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحلّ النظر إليه، وقيل: تقديره يعلم الأعين الخائنة؛ وقيل: هو الرمز بالعين؛ وقيل هو قول الإنسان: ما رأيت وقد رأى، ورأيت وما رأى[٦].

٥ - يد، ن: تميم القرشيّ، عن أبيه، عن الأنصاريّ، عن الهرويّ قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام - في خبر طويل - عن قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فقال عليه السلام: إنّه عزّ وجلّ خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته لا على سبيل الإمتحان والتجربة لأنّه لم يزل عليماً بكلّ شيء[٧].

٦ - مع: محمّد بن الحسن، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبيّ، عن أبي بصير قال: سألته عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٨] قال: فقال: الورقة السقط، والحبّة الولد، وظلمات الأرض الأرحام، والرطب: ما يحيى، واليابس ما يغيض، وكلّ في كتاب مبين[٩].

شي: عن أبي الربيع الشاميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[١٠].

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٨.
(٢) معاني الأخبار، ص ١٤٦.
(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٨ في تفسيره لسورة الرعد، الآية: ٩.
(٤) سورة غافر، الآية: ١٩.
(٥) معاني الأخبار، ص ١٤٧.
(٦) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٣٣ في تفسيره لسورة غافر الآية: ١٩.
(٧) التوحيد، ص ٣٢٠ باب ٤٩ ح ٢، وعيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٢٣ باب ١١ ح ٣٣.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٩) معاني الأخبار، ص ٢١٥.
(١٠) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٩١ في تفسيره لسورة الأنعام، ح ٢٨.

بيان: في أكثر نسخ الكتابين «يغيض» بالغين المعجمة، والياء المثنّاة من تحت، من الغيض بمعنى النقص، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ قال الفيروزآبادي: الغيض: السقط الّذي لم يتمّ خلقه. فيحتمل أن يكون المراد بالسقط ما يسقط قبل حلول الروح أو قبل تمام خلق البدن أيضاً، وبالحبّة ما يكون في علم الله أنّه تحلّ فيه الروح وهو ينقسم إلى قسمين: فإمّا أن ينزل في أوانه ويعيش خارج الرحم فهو الرطب، وإمّا أن ينزل قبل كماله فيموت إمّا في الرحم أو في خارجها وهو اليابس. وفي بعض نسخ مع والكافي «يقيض» بالقاف فيحتمل أن لا يكون ذلك تفصيلاً لأحوال السقط، بل يكون المراد أنّه يعلم الحيّ من الناس والميّت منهم.

ثمّ اعلم أنّ هذا التفسير وما سيأتي من بطون الآية الكريمة لا ينافي كون ظاهرها أيضاً مراداً؛ قال الطبرسيّ: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال الزجّاج: المعنى أنّه يعلمها ساقطة وثابتة، وقيل: يعلم ما سقط من ورق الأشجار وما بقي، ويعلم كم انقلبت ظهراً لبطن عند سقوطها، ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ معناه وما تسقط من حبّة في باطن الأرض إلا يعلمها، وكنّى بالظلمة عن باطن الأرض لأنّه لا يدرك كما لا يدرك ما حصل في الظلمة؛ وقال ابن عبّاس: يعني تحت الصخرة وأسفل الأرضين السبع أو تحت حجر أو شيء، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ قد جمع الأشياء كلّها لأنّ الأجسام لا تخلو من أحد هذين؛ وقيل: أراد ما ينبت وما لا ينبت عن ابن عبّاس، وعنه أيضاً أنّ الرطب: الماء، واليابس: البادية؛ وقيل: الرطب: الحيّ، واليابس: الميّت انتهى[١].

٧ - **فس:** قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ ما تغيض أي ما تسقط قبل التمام، وما تزداد يعني على تسعة أشهر، كلّ ما رأت المرأة من حيض في أيّام حملها زاد ذلك على حملها[٢].

٨ - وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ السرّ والعلانية عنده سواء، وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ أي مستخف في جوف بيته. وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ يعني تحت الأرض فذلك كلّه عند الله عزّ وجلّ واحد يعلمه[٣].

بيان: قال الطبرسيّ: أي من هو مستتر متوار باللّيل، ومن هو سالك في سربه أي في مذهبه، ماضٍ في حوائجه بالنهار. وقال الحسن: معناه ومن هو مستتر في اللّيل ومن هو

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٧١ في تفسيره لسورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦١ في تفسيره لسورة الرعد، الآية: ٨.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦١ في تفسيره لسورة الرعد، الآية: ١٠.

مستتر في النهار. وصحّح الزجّاج هذا القول لأنّ العرب تقول: انسرب الوحش إذا دخل في كناسته[(١)].

٩ - فس: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ قال الصادق عليه السلام: هذه الخمسة أشياء لم يطّلع عليها ملك مقرّب، ولا نبيٌّ مرسل، وهي من صفات الله عزّ وجلّ[(٢)].

بيان: أي بدون تعليم الله تعالى ووحيه.

١٠ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن بن برده عن الفقيميّ، عن إبراهيم بن محمّد العلويّ، عن فتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: يعلم القديم الشيء الّذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ قال ويحك إنّ مسألتك لصعبة، أما سمعت الله يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[(٣)] وقوله: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقال - يحكي قول أهل النار -: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[(٤)] وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ فقد علم الشيء الّذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون. الخبر[(٥)].

١١ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن عمّه النوفليّ، عن سليمان بن سفيان، عن أبي عليّ القصّاب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت: الحمد لله منتهى علمه فقال: لا تقل ذلك فإنّه ليس لعلمه منتهى[(٦)].

نوادر عليّ بن أسباط، عن القصّاب مثله[(٧)].

١٢ - **يد:** أبي وابن الوليد، عن محمّد العطّار، وأحمد بن إدريس معاً، عن الأشعريّ، عن عليّ بن إسماعيل، عن صفوان، عن الكاهليّ قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء: الحمد لله منتهى علمه؛ فكتب إليّ: لا تقولنّ: منتهى علمه، ولكن قل: منتهى رضاه[(٨)].

١٣ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعي، عن النوفليّ، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العلم هو من كماله[(٩)].

يد: أبي، عن سعد، عن ابن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن أبي الحسن الصيرفيّ عن بكّار الواسطيّ، عن الثماليّ، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام في العلم قال: هو كيدك.

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٨ في تفسيره لسورة الرعد، الآية: ١٠.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٤٤ في تفسيره لسورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٧.
(٥) التوحيد، ص ٦٠ باب ٢ ح ١٨.
(٦) التوحيد، ص ١٣٤ باب ١٠ ح ١.
(٧) الأصول الستة عشر ص ١٢٥.
(٨) - (٩) التوحيد، ص ١٣٤ باب ١٠ ح ٢ و٣.

قال الصدوق رحمه الله: يعني أنّ العلم ليس هو غيره وأنّه من صفات ذاته لأنّ الله عزّ وجلّ ذات علاّمة سميعة بصيرة، وإنّما نريد بوصفنا إيّاه بالعلم نفي الجهل عنه، لا نقل: إنّ العلم غيره لأنّا متى قلنا ذلك ثمّ قلنا: إنّ الله لم يزل عالماً أثبتنا معه شيئاً قديماً لم يزل، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً(١).

أقول: في بعض نسخ التوحيد زيادة في هذا المقام، وهي هذه: فيه إلحاق بخطّ بعض المشايخ رحمه الله، يقول: هذا غلط من الراوي، والصحيح الخبر الأوّل، والإمام أجلُّ من أن يبعض الله سبحانه بعلمه منه ككون يد الإنسان منه، وألحق فيه أحمد بن محمّد الموصليّ أن قال: إنّ الإمام عليه السلام يخاطب الناس على قدر فهمهم وكنه عقولهم وليس في هذه الرواية ما ينافي الرواية الّتي قبلها لأنّ قوله عليه السلام في العلم: هو كيدك منك أراد: كما أنّ يد الإنسان من كماله كذلك الله سبحانه كونه عالماً من كماله، ولو لم يكن عالماً لم يكن كاملاً كما أنّ الإنسان لو لم يكن له يد لم يكن كاملاً، وعلى هذا لا تنافي بينهما.

بيان: أقول: يحتمل أن يكون التشبيه لبيان غاية ظهور معلوماته تعالى عنده فإنّ اليد أظهر أعضاء الإنسان؛ أي يعلم جميع الأشياء كما تعلم يدك، وهذا مثل معروف بين العرب فلا حاجة إلى هذه التكلّفات.

١٤ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن ابن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله تعالى؟ قال: فقال: بلى قبل أن يخلق السماوات والأرض(٢).

سن: أبي، عن ابن أبي عمير مثله(٣).

١٥ - **يد:** ابن إدريس، عن أبيه، عن الأشعريّ، عن عليّ بن إسماعيل، وابن إبراهيم معاً، عن صفوان، عن ابن حازم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله عليه السلام؟ قال: لا بل كان في علمه قبل أن ينشىء السماوات والأرض(٤).

١٦ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم عن الصيقل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله علمٌ لا جهل فيه، حياةٌ لا موت فيه، نور لا ظلمة فيه(٥).

١٧ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن اليقطينيّ، عن يونس قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: روّينا أن الله علمٌ لا جهل فيه، حياةٌ لا موت فيه، نورٌ لا ظلمة فيه قال: كذلك هو(٦).

---

(١) التوحيد، ص ١٣٤ باب ١٠ ح ٤.
(٢) التوحيد، ص ١٣٥ باب ١٠ ح ٥.
(٣) المحاسن، ص ٢٤٣.
(٤) التوحيد، ص ١٣٥ باب ١٠ ح ٦.
(٥) - (٦) التوحيد، ص ١٣٨ باب ١٠ ح ١١-١٤.

١٨ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن اليقطينيّ، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن عيسى بن أبي منصور، عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنَّ الله نورٌ لا ظلمة فيه، وعلمٌ لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه[١].

١٩ - **يد:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن سنان، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: إنّ لله علماً خاصّاً، وعلماً عامّاً فأمّا العلم الخاصّ فالعلم الّذي لم يطلع عليه ملائكته المقرّبين وأنبياءه المرسلين، وأمّا علمه العامّ فإنّه علمه الّذي أطلع عليه ملائكته المقرّبين وأنبياءه المرسلين، وقد وقع إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

٢٠ - **يد:** عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب، عن أحمد بن الفضل، عن منصور بن عبد الله الإصفهانيّ، عن صفوان، عن ابن مسكان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أم علمه عندما خلقه وبعدما خلقه؟ فقال: تعالى الله بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعدما كوّنه، وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان[٣].

قال الصدوق رحمه الله: من الدليل على أنَّ الله تعالى عالم أنَّ الأفعال المختلفة التقدير المتضادّة التدبير المتفاوتة الصنعة لا يقع على ما ينبغي أن تكون عليه من الحكمة ممّن لا يعلمها، ولا يستمرُّ على منهاج منتظم ممّن يجهلها.

ألا ترى أنّه لا يصوغ قرطاً يحكم صنعته ويضع كلاً من دقيقه وجليله موضعه من لا يعرف الصياغة، ولا أن ينظم كتابة يتبع كلّ حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة؛ والعالم ألطف صنعة وأبدع تقديراً ممّا وصفناه فوقوعه من غير عالم بكيفيّته قبل وجوده أبعد وأشدّ استحالة؛ وتصديق ذلك ما حدَّثنا به ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل قال: سمعت الرضا عليّ ابن موسى عليه السلام يقول في دعائه: سبحان من خلق الخلق بقدرته، أتقن ما خلق بحكمته، ووضع كلَّ شيء منه موضعه بعلمه، سبحان من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير[٤].

٢١ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن زيد بن المعدّل النميريّ وعبد الله بن سنان، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ لله لعلماً لا يعلمه غيره، وعلماً يعلمه ملائكته المقرّبون وأنبياؤه المرسلون ونحن نعلمه[٥].

٢٢ - **يد:** بهذا الإسناد، عن النوفليّ، عن يحيى بن أبي يحيى، عن عبد الله بن الصامت، عن عبد الأعلى، عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام قال: علم الله لا يوصف الله منه

---

(١) - (٢) التوحيد، ص ١٣٨ باب ١٠ ح ١١-١٤.

(٣) التوحيد، ص ١٣٧ باب ١٠ ح ٩. (٤) التوحيد، ص ١٣٧ باب ١٠ ح ١٠.

(٥) التوحيد، ص ١٣٨ باب ١٠ ح ١٥ و١٦.

بأين، ولا يوصف العلم من الله بكيف، ولا يفرد العلم من الله، ولا يبان الله منه، وليس بين الله وبين علمه حد[(١)].

بيان: قوله: لا يوصف الله منه بأين أي ليس علمه تعالى شيئاً مبايناً منه بحسب المكان بأن يكون هو تعالى في مكان وعلمه في مكان آخر، أو لا يوصف بسبب العلم بمكان بأن يقال: علم ذلك الشيء في هذا المكان، أي لا يحتاج في العلم بالأشياء إلى الدنوّ منها والإحاطة الجسميّة بها، ويحتمل أن يكون المراد أنّه تعالى ليس مكاناً للمعلوم بأن يحلّ ويحصل فيه صورته، لكنّه بعيد وقوله عليه السلام: ولا يوصف العلم من الله بكيف أي ليس علمه تعالى كيفيّة كما في المخلوقين، أو لا يعلم كنه علمه تعالى وكيفيّة تعلّقه بالمعلومات قوله: وليس بين الله وبين علمه حد إمّا إشارة إلى عدم مغايرة العلم للذات، أو إلى عدم حدوث علمه تعالى أي لم ينفكّ علمه تعالى عنه حتّى يكون بين وجوده تعالى وعلمه حدّ وأمد حتّى يقال: كان ثمّ حدث علمه في وقت معيّن وحدّ معلوم.

٢٣ - **يد:** أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أبي عمير، عن هشام ابن سالم، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: كان الله ولا شيء غيره. ولم يزل الله عالماً بما كوّن، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعدما كونه[(٢)].

٢٤ - **يد:** العطّار، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد عن عبد الصمد بن بشير، عن فضيل بن سكرة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن رأيت أن تعلّمني، هل كان الله جلّ ذكره يعلم قبل أن يخلق الخلق أنّه وحده؟ فقد اختلف مواليك، فقال بعضهم: قد كان يعلم تبارك وتعالى أنّه وحده قبل أن يخلق شيئاً من خلقه، وقال بعضهم: إنّما معنى يعلم يفعل، فهو اليوم يعلم أنّه لا غيره قبل فعل الأشياء؛ وقالوا: إن أثبتنا أنّه لم يزل عالماً بأنّه لا غيره فقد أثبتنا معه غيره في أزليّته، فإن رأيت يا سيّدي أن تعلّمني ما لا أعدوه إلى غيره، فكتب عليه السلام: ما زال الله عالماً تبارك وتعالى ذكره[(٣)].

بيان: قوله عليه السلام: إنّما معنى يعلم يفعل أي أنّ تعلّق علمه تعالى بشيء يوجب وجود ذلك الشيء وتحقّقه، فلو كان لم يزل عالماً كان لم يزل فاعلاً فكان معه شيء في الأزل؛ أو أنّ تعلّق العلم بشيء يستدعي انكشاف ذلك الشيء، وانكشاف الشيء يستدعي نحو حصول له، وكلّ حصول ووجود لغيره سبحانه مستند إليه فيكون من فعله فيكون معه في الأزل شيء من فعله. فأجاب عليه السلام بأنّه لم يزل عالماً، ولم يلتفت إلى بيان فساد متمسّك نافيه إمّا لظهوره أو لتعليم أنّه لا ينبغي الخوض في تلك المسائل المتعلّقة بذاته وصفاته تعالى فإنّها ممّا تقصر عنه الأفهام وتزل فيه الأقدام.

---

(١) التوحيد، ص ١٣٨ باب ١٠ ح ١٥ و١٦. (٢) التوحيد، ص ١٤٥ باب ١١ ح ١٢.
(٣) التوحيد، ص ١٤٥ باب ١١ ح ١١.

ثمّ اعلم أنّ من ضروريّات المذهب كونه تعالى عالماً أزلاً وأبداً بجميع الأشياء كلّيّاتها وجزئيّاتها من غير تغيّر في علمه تعالى، وخالف في ذلك جمهور الحكماء فنفوا العلم بالجزئيّات عنه تعالى، ولقدماء الفلاسفة في العلم مذاهب غريبة:

منها أنّه تعالى لا يعلم شيئاً أصلاً، ومنها أنّه لا يعلم ما سواه ويعلم ذاته، وذهب بعضهم إلى العكس، ومنها أنّه لا يعلم جميع ما سواه وإن علم بعضه، ومنها أنّه لا يعلم الأشياء إلاّ بعد وقوعها، ونسب الأخير إلى أبي الحسين البصريّ وهشام بن الحكم كما ورد في الأخبار أيضاً، ولعلّه كان مذهبه قبل اختيار الحقّ، أو اشتبه على الناقلين بعض كلماته، وجميع هذه المذاهب الباطلة كفرٌ صريحٌ مخالفٌ لضرورة العقل والدين، وقد دلّت البراهين القاطعة على نفيها، ولهم في ذلك شبه ليس هذا موضع ذكرها وبيان سخافتها.

٢٥ - **يد:** العطّار، عن سعد، عن أيّوب بن نوح أنّه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عزّ وجلّ أكان يعلم الأشياء قبل أن يخلق الأشياء وكونها؟ أولم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عندما خلق وما كوّن عند ما كوّن؟ فوقّع عليه السلام بخطّه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء(١).

٢٦ - **يد، مع، ن:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله، عن محمّد بن عبد الله وموسى بن عمرو، والحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن محمّد بن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنّه لم يكن يسألها ولا يطلب منها هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج إلى أن يسمّي نفسه، ولكنّه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف. فأوّل ما اختار لنفسه: العليّ العظيم لأنّه أعلى الأسماء كلّها فمعناه الله واسمه العليّ العظيم وأول أسمائه لأنّه عليٌّ علا كلّ شيء(٢).

بيان: قوله: ويسمعها أي يسمّي نفسه ويسمعها، ويمكن أن يقرأ من باب الإفعال. قوله: فمعناه الله أي مدلول هذا اللّفظ، ويدلّ ظاهراً على أنّ الله اسمٌ للذات غير صفة(٣).

---

(١) التوحيد، ص ١٤٥ باب ١١ ح ١٣.

(٢) التوحيد، ص ١٩١ باب ٢٩ ح ٤ ومعاني الأخبار، ص ٢ وعيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١١٨ باب ١١ ح ٢٤.

(٣) والعلم والقدرة من صفات الذات أزلي وأبدي بلا حدّ ولا نهاية ولا تعين بوجه من الوجوه، علم كله، قدرة كله، يعلم النظامات الغير المتناهية بالأطوار الغير المتناهية والتقديريات وما لا يكون وما كان وما هو كائن، علمه بخلقه قبل خلقه كعلمه بعد خلقه لا يزيد ولا ينقص ولا يتبدل ولا يتغير سبحانه عن صفات خلقه، لا يكيف بكيف ولا يؤيّن بأين والحمد لله كما هو أهله، وحيث أن علمه كذلك فلا بد في تعيين نظام خاص من المشية والإرادة المحدثة. [النمازي].

٢٧ - يد: أبي، عن سعد، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: علمه[١].

٢٨ - يد: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فقال: السماوات والأرض وما بينهما في الكرسيّ والعرش هو العلم الّذي لا يقدّر أحد قدره[٢].

بيان: هذا الخبر والّذي تقدّمه يدلاّن على أنّ العرش والكرسيّ قد يطلق كلٌّ منهما على علمه تعالى، وسيأتي تحقيقه في كتاب السماء والعالم.

٢٩ - يد: الدقّاق، عن الكلينيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليقطينيّ، عن يونس، عن ابن حازم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله. قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى قبل أن يخلق الخلق[٣].

٣٠ - ير: عبدالله بن عامر، عن الربيع بن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن ضريس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لله علمين: علماً مبذولاً، وعلماً مكفوفاً، فأمّا المبذول فإنّه ليس من شيء يعلمه الملائكة والرسل إلاّ نحن نعلمه، وأمّا المكفوف فهو الّذي عند الله في أمّ الكتاب[٤].

٣١ - ير: عبدالله بن جعفر، عن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن ربعيّ، عن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله علماً يعلمه ملائكته وأنبياؤه ورسله ألا ونحن نعلمه، ولله علم لا يعلمه ملائكته وأنبياؤه ورسله[٥].

٣٢ - ير: ابن هاشم، عن البرقيّ رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن لله علمين: علمٌ تعلمه ملائكته ورسله، وعلمٌ لا يعلمه غيره، فما كان ممّا يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه، وما خرج من العلم الّذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج[٦].

٣٣ - يج: قال أبو هاشم الجعفريّ: سأل محمّد بن صالح الأرمنيّ أبا محمّد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٧] فقال: هل يمحو إلا ما كان؟ وهل يثبت إلاّ ما لم يكن. فقلت في نفسي: هذا خلاف قول هشام بن الحكم إنّه لا يعلم

---

(١) - (٢) التوحيد، ص ٣٢٧ باب ٥٢ ح ١ و ٢.
(٣) التوحيد، ص ٣٣٤ باب ٥٢ ح ٨.
(٤) بصائر الدرجات، ص ١١٦ ج ٢ باب ٢١ ح ١١.
(٥) بصائر الدرجات، ص ١١٧ ج ٢ باب ٢١ ح ١٦.
(٦) بصائر الدرجات، ص ١١٧ ج ٢ باب ٢١ ح ١٧.
(٧) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

بالشيء حتّى يكون، فنظر إليّ فقال: تعالى الجبّار الحاكم العالم بالأشياء قبل كونها. قلت: أشهد أنّك حجّة الله[١].

٣٤ - **كشف:** من دلائل الحميريّ، عن الجعفريّ مثله، وفي آخره: تعالى الجبّار العالم بالأشياء قبل كونها، الخالق إذ لا مخلوق، والربّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه فقلت: أشهد أنّك وليّ الله وحجّته والقائم بقسطه وأنّك على منهاج أمير المؤمنين وعلمه[٢].

٣٥ - **شي:** عن داود الرقّي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ قال: إنّ الله هو أعلم بما هو مكوّنه قبل أن يكوّنه وهم ذرّ، وعلم من يجاهد ممّن لا يجاهد كما علم أنّه يميت خلقه قبل أن يميتهم ولم يرهم موتى وهم أحياء[٣].

بيان: فالعلم كناية عن الوقوع، أو المراد العلم بعد الوقوع.

٣٦ - **شي:** عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ فقال: الورق: السقط يسقط من بطن أُمّه من قبل أن يهلّ الولد. قال فقلت: وقوله ولا حبّة قال: يعني الولد في بطن أُمّه إذا أهل ويسقط من قبل الولادة. قال: قلت: قوله: ولا رطب قال: يعني المضغة إذا استكنت في الرحم قبل أن يتمّ خلقها قبل أن ينتقل. قال: قوله: ولا يابس قال: الولد التامّ. قال: قلت: في كتاب مبين قال: في إمام مبين[٤].

٣٧ - **شي:** عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ قال: تركوا طاعة الله ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ قال: فتركهم[٥].

٣٨ - **شي:** عن أبي معمر السعدي قال: قال علي عليه السلام في قول الله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ فإنما يعني أنهم نسوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا له بالطاعة ولم يؤمنوا به وبرسوله فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً فصاروا منسيّين من الخير[٦].

٣٩ - **شي:** عن حريز رفعه إلى أحدهما عليهما السلام في قول الله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ قال: الغيض: كلّ حمل دون تسعة أشهر، وما تزداد: كل شيء يزداد على تسعة أشهر، وكلّما رأت الدم في حملها من الحيض يزداد بعدد الأيّام الّتي رأت في حملها من الدم[٧].

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٦٨٧ ح ١٠. (٢) كشف الغمة، ج ٣ ص ٢١٥.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٣ في تفسيره لسورة آل عمران ح ١٤٧.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٩١ في تفسيره لسورة الأنعام ح ٢٩.

(٥) - (٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٠٢ في تفسيره لسورة التوبة ح ٨٥ و٨٦.

(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢١٩ في تفسيره لسورة الرعد، ح ١٠.

٤٠ - **شي:** عن زرارة، عن أبي جعفر أو أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ يعني الذكر والأنثى ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ قال: الغيض ما كان أقل من الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ ما زاد على الحمل فهو مكان ما رأت من الدم في حملها[١].

٤١ - **شي:** محمد بن مسلم وحمران وزرارة عنهما قال: ﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ أنثى أو ذكر ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ التي لا تحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ من أنثى أو ذكر[٢].

٤٢ - **شي:** عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ قال: ما لم يكن حملاً ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ قال: الذكر والأنثى جميعاً[٣].

٤٣ - **شي:** عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ قال: الذكر والأنثى ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ قال: ما كان دون التسعة وهو غيض ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ قال: ما رأت الدم في حال حملها ازداد به على التسعة الأشهر، إن كان رأت الدم خمسة أيام أو أقلّ أو أكثر زاد ذلك على التسعة الأشهر[٤].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: الله يعلم ما تحمل كلُّ أنثى أي يعلم ما في بطن كلّ حامل من ذكر أو أنثى تام أو غير تام، ويعلم لونه وصفاته، ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ أي يعلم الوقت الّذي تنقصه الأرحام من المدّة الّتي هي تسعة أشهر وما تزداد على ذلك عن أكثر المفسّرين. وقال الضحّاك: الغيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل، وذلك أنّ النساء لا يلدن لأجل واحد. وقيل: يعني بقوله: ما تغيض الأرحام الولد الّذي تأتي به المرأة لأقلّ من ستّة أشهر، وما تزداد الولد الّذي تأتي به لأقصى مدّة الحمل. وقيل: معناه: ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض، وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع، عن ابن عباس بخلاف وابن زيد[٥].

٤٤ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام: يعلم عجيج الوحوش في الفلوات، ومعاصي العباد في الخلوات، واختلاف النينان في البحار الغامرات، وتلاطم الماء بالرياح العاصفات[٦].

أقول: سيأتي بعض الأخبار في باب معاني الأسماء وباب جوامع التوحيد، وباب البداء وأبواب علوم الأئمّة وقد سبق بعضها في الباب السابق.

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢١٩ في تفسيره لسورة الرعد، ح ١١.
(٢) - (٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٢٠ في تفسيره لسورة الرعد، ح ١٢ و١٣.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٢٠ في تفسيره لسورة الرعد ح ١٤.
(٥) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٧ في تفسيره لسورة الرعد، الآية: ٨.
(٦) نهج البلاغة ص ٤٢٥ خطبة رقم ١٩٦ في فضل الاسلام والقرآن.

٣ - باب البداء والنسخ

الآيات: البقرة «٢»: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ «١٠٦».

المائدة «٥»: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ «٦٤».

الأنعام «٦»: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ «٢».

الرعد «١٣»: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ .

١ - **لي:** عليّ بن عيسى، عن ماجيلويه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان المجاور، عن أحمد بن نصر الطحّان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله الصادق جعفر ابن محمّد عليه السلام أنّ عيسى روح الله مرّ بقوم مجلبين فقال: ما لهؤلاء؟ قيل: يا روح الله إنّ فلانة بنت فلان تهدى إلى فلان بن فلان في ليلتها هذه.

قال: يجلبون اليوم ويبكون غداً؛ فقال قائل منهم: ولم يا رسول الله؟ قال: لأنّ صاحبتهم ميتة في ليلتها هذه! فقال القائلون بمقالته: صدق الله وصدق رسوله، وقال أهل النفاق: ما أقرب غداً، فلمّا أصبحوا جاؤوا فوجدوها على حالها لم يحدث بها شيء. فقالوا: يا روح الله إنّ الّتي أخبرتنا أمس أنّها ميتة لم تمت! فقال عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: يفعل الله ما يشاء فاذهبوا بنا إليها فذهبوا يتسابقون حتّى قرعوا الباب فخرج زوجها فقال له عيسى عليه السلام : استأذن لي على صاحبتك، قال: فدخل عليها فأخبرها أنّ روح الله وكلمته بالباب مع عدّة قال: فتخدّرت فدخل عليها فقال لها: ما صنعت ليلتك هذه؟ قالت: لم أصنع شيئاً إلا وقد كنت أصنعه فيما مضى؛ إنّه كان يعترينا سائل في كلّ ليلة جمعة فننيله ما يقوته إلى مثلها، وإنّه جاءني في ليلتي هذه وأنا مشغولة بأمري وأهلي في مشاغل فهتف فلم يجبه أحد ثمّ هتف فلم يجب حتى هتف مراراً فلمّا سمعت مقالته قمت متنكّرة حتّى نلته كما كنّا ننيله فقال لها: تنحّي عن مجلسك فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة عاضّ على ذنبه. فقال عليه السلام : بما صنعت صرف عنك هذا[1].

بيان: قال الفيروزآبادي: جلبه يجلبُه ويجلبه واجتلبه: ساقه من موضع إلى موضع آخر، والجلب: اختلاط الصوت كالجلبة، جلبوا يجلُبون ويجلِبون وأجلبوا وجلّبوا، وجُلب وأجلب جمع الجمع. انتهى.

وتخدّرت: دخلت في الخدر وهو ستر يمدّ للجارية في ناحية البيت. ويقال: عرّه واعترّه واعترّ به وعراه واعتراه: إذا أتاه يطلب معروفه، وقولها: متنكّرة أي بحيث لا يعرفني أحد. والجذع بالكسر: ساق النخلة.

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٤٠٤ مجلس ٧٥ ح ١٣.

٢ ـ ٥: جعفر بن عليّ بن أحمد الفقيه، عن حسن بن محمّد بن عليّ بن صدقة، عن محمّد ابن عمر بن عبد العزيز، عمّن سمع الحسن بن محمّد النوفليّ يقول: قال الرضا عليه السلام لسليمان المروزيّ ما أنكرت من البداء يا سليمان والله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (١) ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (٢) ويقول: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ويقول عزّ وجلّ: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ ويقول: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ (٣) ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٤) ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ (٥).

قال سليمان: هل روّيت فيه عن آبائك شيئاً؟ قال: نعم روّيت عن أبي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ لله عزّ وجلّ علمين: علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلاّ هو، من ذلك يكون البداء، وعلماً علمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبيّك يعلمونه قال سليمان: أحبُّ أن تنزعه لي من كتاب الله عزّ وجلّ. قال: قول الله عزّ وجلّ لنبيّه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ (٦) أراد إهلاكهم ثم بدا فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧). قال سليمان: زدني جعلت فداك.

قال الرضا عليه السلام: لقد أخبرني أبي، عن آبائه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى نبيّ من أنبيائه أن أخبر فلان الملك أنّي متوفّيه إلى كذا وكذا، فأتاه ذلك النبيّ فأخبره فدعا الله الملك وهو على سريره حتّى سقط من السرير، وقال: يا ربّ أجّلني حتى يشبّ طفلي وأقضي أمري، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ذلك النبيّ أن ائت فلان الملك فأعلمه أنّي قد أنسيت أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة؛ فقال ذلك النبي: يا رب إنك لتعلم أني لم أكذب قط، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه إنّما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك والله لا يُسأل عما يفعل.

ثم التفت إلى سليمان فقال له: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب، قال أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (٨) يعنون أنّ الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً فقال الله عزّ وجلّ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ ولقد سمعت قوماً سألوا أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن البداء فقال: وما ينكر الناس من البداء وأن يقف الله قوماً يرجئهم لأمره.

قال سليمان: ألا تخبرني عن إنّا أنزلناه في ليلة القدر في أيّ شيء أنزلت؟ قال: يا سليمان

(١) سورة مريم، الآية: ٦٧.
(٢) سورة الروم، الآية: ٢٧.
(٣) سورة السجدة، الآية: ٧.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٦.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١١.
(٦) - (٧) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٤-٥٥.
(٨) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

ليلة القدر يقدّر الله عزّوجلّ فيها ما يكون من السنة إلى السنة من حياة أو موت، أو خير أو شرّ، أو رزق فما قدّره في تلك الليلة فهو من المحتوم.

قال سليمان: الآن قد فهمت جعلت فداك فزدني. قال: يا سليمان إنّ من الأمور أموراً موقوفة عند الله تبارك وتعالى يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، يا سليمان إنّ عليّاً عليه‌السلام كان يقول: العلم علمان: فعلم علّمه الله ملائكته ورسله فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه يكون ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، ويمحو ويثبت ما يشاء. قال سليمان للمأمون: يا أمير المؤمنين لا أنكر بعد يومي هذا البداء ولا أكذّب به إن شاء الله[1].

بيان: لعلّ استدلاله عليه‌السلام أوّلاً بالآيات لرفع الاستبعاد عمّا هو مبنى البداء من أنّ الله تعالى أن يحدث شيئاً لم يكن، ويغيّر ما قد كان، وليس على ما قالت اليهود ومن يضاهيهم: إنّ الله فعل ما فعل، وقدّر ما قدر في أوّل الأمر فلا يغيّر شيئاً من خلقه ولا أحكامه، وإنّ لله كتاباً يمحو فيه ما قد ثبت، ويثبت فيه ما لم يكن. على ما سيأتي تحقيقه، وذكر بعض ما يدلّ على النسخ إمّا على التنظير والتمثيل لمشابهة البداء النسخ في أنّ أحدهما تغيير في الأمر التكليفيّ، والآخر تغيير في الأمر التكوينيّ، أو لأنّ المراد هنا ما يعمّ النسخ أيضاً.

٣ - **ن:** الهمدانيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن الريّان بن الصلت قال: سمعت الرضا عليه‌السلام يقول: ما بعث الله عزّوجلّ نبيّاً إلا بتحريم الخمر، وأن يقرّ له بأن الله يفعل ما يشاء، وان يكون في تراثه الكندر[2].

غط: الأسديّ، عن عليّ بن إبراهيم مثله[3].

٤ - **ج:** عن أمير المؤمنين عليه‌السلام أنّه قال: لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[4].

لي، يد: القطّان والدقّاق، عن ابن زكريّا القطّان، عن محمد بن العبّاس، عن محمّد بن أبي السريّ، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد، عن الأصبغ مثله[5].

٥ - **ب:** أحمد، عن البزنطيّ قال: قلت للرضا عليه‌السلام: إنّ رجلاً من أصحابنا سمعني وأنا أقول: إنّ مروان بن محمّد لو سئل عنه صاحب القبر ما كان عنده منه علم. فقال الرجل: إنّما

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ج ١ ص ١٥٩ باب ١٣ ح ١.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ج ٢ ص ١٧ باب ٣٠ ح ٣٣.
(٣) الغيبة للطوسي، ص ٤٣٠. (٤) الاحتجاج، ص ٢٥٨.
(٥) أمالي الصدوق، ص ٢٨٠ مجلس ٥٥ ح ١ والتوحيد، ص ٣٠٤ باب ٤٣ ح ١.

عنى بذلك أبو بكر وعمر، فقال: لقد جعلهما في موضع صدق! قال جعفر بن محمّد: إنّ مروان بن محمد لو سئل عنه محمّد رسول الله ﷺ ما كان عنده منه علم، لم يكن من الملوك الّذين سمّوا له، وإنّما كان له أمر طرأ قال أبو عبد الله وأبو جعفر وعليّ بن الحسين والحسين ابن عليّ والحسن بن عليّ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام: والله لولا آية في كتاب الله لحدّثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

بيان: مروان بن محمّد هو الّذي من خلفاء بني أُميّة، وكانت خلافته من الأُمور الغريبة كما يظهر من السير، والمقصود أنّ خلافته كانت من الأُمور البدائيّة الّتي لم تصل إلى النبيّ ﷺ في حياته فلو كان ﷺ سئل في حياته عن هذا الامر لم يكن له علم بذلك لأنّ مروان لم يكن من الملوك الّذين سمّوا للنبيّ ﷺ، فالمراد بصاحب القبر الرسول ﷺ، ولمّا حمله السامع على الشيخين قال عليه السلام: قد جعل هذا الرجل هذين في موضع صدق وأكرمهما حيث جعلهما جاهلين بهذا الأمر حسب، وليسا في معرض العلم بالأُمور المغيبة حتّى ينفي خصوص ذلك عنهما، هكذا حقّق هذا الخبر وكن من الشاكرين.

٦ - **فس:** قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ قال: قالوا: قد فرغ الله من الأمر لا يحدث الله غير ما قدّره في التقدير الأوّل، فردّ الله عليهم فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي يقدّم ويؤخّر ويزيد وينقص وله البداء والمشيئة[2].

بيان: ذكر الرازيّ في الآية وجوهاً من التأويل:

الأول: أنّ القوم إنّما قالوا ذلك على الإلزام فإنّهم لمّا سمعوا قوله تعالى: من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً قالوا: لو احتاج إلى القرض لكان فقيراً عاجزاً.

الثاني: أنّ القوم لمّا رأوا أصحاب الرسول ﷺ في غاية الشدّة والفقر قالوا على سبيل الاستهزاء: إنّ إله محمّد فقير مغلول اليد.

الثالث: قال المفسّرون: إنّ اليهود كانوا أكثر الناس مالاً وثروة فلمّا بعث الله محمداً ﷺ وكذّبوا به ضيّق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قالت اليهود: يد الله مغلولة أي مقبوضة عن العطاء.

الرابع: لعلّه كان فيهم من كان على مذهب الفلسفة وهو أنّ الله تعالى موجب لذاته وأنّ حدوث الحوادث عنه لا يمكن إلاّ على نهج واحد وسنن واحد، وأنّه تعالى غير قادر على إحداث الحوادث غير الوجوه الّتي عليها يقع فعبّروا عن عدم الاقتدار على التغيير والتبديل بغل اليد.

---

(١) قرب الإسناد، ص ٣٥٣ ح ١٢٦٥ - ١٢٦٦.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٧٨ في تفسيره لسورة المائدة الآية: ٦٤.

الخامس: قال بعضهم: المراد هو قول اليهود: إنّ الله لا يعذّبنا إلاّ قدر الأيّام الّتي عبدنا فيها العجل فعبّروا عنه بهذه العبارة[(١)].

أقول: الوجه الرابع قريب ممّا ورد في بعض الأخبار.

٧ - **فس:** قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن الحلبيّ، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأجل المقضيّ هو المحتوم الّذي قضاه الله وحتمه، والمسمّى هو الّذي فيه البداء يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير. وحدّثني ياسر عن الرضا عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً إلاّ بتحريم الخمر وأن يقرّ له بالبداء أن يفعل الله ما يشاء، وأن يكون في تراثه الكندر[(٢)].

٨ - **فس:** أبي، عن محمّد بن الفضيل، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك بلغنا أنّ لآل جعفر راية ولآل العبّاس رايتين فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء؟ قال: أمّا آل جعفر فليس بشيء ولا إلى شيء، وأمّا آل العبّاس فإنّ لهم ملكاً مبطئاً يقرّبون فيه البعيد، ويباعدون فيه القريب، وسلطانهم عسر ليس فيه يسر حتّى إذا أمنوا مكر الله وأمنوا عقابه صيح فيهم صيحة لا يبقى لهم مال يجمعهم ولا رجال تمنعهم وهو قول الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾[(٣)] الآية. قلت: جعلت فداك فمتى يكون ذلك؟ قال: أما إنّه لم يوقّت لنا فيه وقت، ولكن إذا حدّثناكم بشيء فكان كما نقول فقولوا: صدق الله ورسوله؛ وإن كان بخلاف ذلك فقولوا: صدق الله ورسوله تؤجروا مرّتين، ولكن إذا اشتدّت الحاجة والفاقة وأنكر الناس بعضهم بعضاً فعند ذلك توقّعوا هذا الأمر صباحاً ومساءاً. قلت: جعلت فداك الحاجة والفاقة قد عرفناهما فما إنكار الناس بعضهم بعضاً؟ قال: يأتي الرجل أخاه في حاجة فيلقاه بغير الوجه الّذي كان يلقاه فيه، ويكلمه بغير الكلام الذي كان يكلمه[(٤)].

٩ - **فس:** قال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ فإنه حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتبة إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى في تلك السنة فإذا أراد الله أن يقدّم شيئاً أو يؤخّره أو ينقص شيئاً أمر الملك أن يمحو ما يشاء ثمّ أثبت الّذي أراد قلت: وكل شيء هو عند الله مثبت في كتاب؟ قال: نعم قلت: فأيّ شيء يكون بعده؟ قال: سبحان الله ثمّ يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك وتعالى[(٥)].

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١١ ص ٤٣.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠١ في تفسيره لسورة الأنعام، الآية: ٢.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١١.

(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦٧.

١٠ - **قس:** ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ فإنه حدّثني أبي، عن محمّد بن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: يا أبا عبيدة إن لهذا تاويلاً لا يعلمه إلاّ الله والراسخون في العلم من الأئمّة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا هاجر إلى المدينة - وقد ظهر الإسلام - كتب إلى ملك الروم كتاباً وبعث إليه رسولاً يدعوه إلى الإسلام، وكتب إلى ملك فارس كتاباً وبعث إليه رسولاً يدعوه إلى الإسلام فأما ملك الروم فإنّه عظّم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأكرم رسوله، وأمّا ملك فارس فإنّه مزّق كتابه واستخفّ برسول رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الروم وكان المسلمون يهوون أن يغلب ملك الروم ملك فارس، وكانوا لناحية ملك الروم أرجى منهم لملك فارس، فلمّا غلب ملك فارس ملك الروم بكى لذلك المسلمون واغتمّوا، فأنزل الله ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني غلبتها فارس في أدنى الأرض وهي الشامات وما حولها، ثم قال: وفارس من بعد غلبهم الروم سيغلبون في بضع سنين قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾ أن يأمر ﴿وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أن يقضي بما يشاء. قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ قلت: أليس الله يقول: في بضع سنين؟ وقد مضى للمسلمين سنون كثيرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي إمارة أبي بكر، وإنّما غلب المؤمنون فارس في إمارة عمر فقال: ألم أقل لك: إنّ لهذا تاويلاً وتفسيراً؟ والقرآن يا أبا عبيدة ناسخ ومنسوخ، أما تسمع قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ يعني إليه المشيئة في القول أن يؤخّر ما قدّم ويقدّم ما أخّر إلى يوم يحتم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين، وذلك قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾[1].

بيان: قد قرئ في بعض الشواذّ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضمّ. قوله عليه السلام: يعني غلبتها فارس الظاهر أنّ إضافة الغلبة إلى الضمير إضافة إلى المفعول، أي مغلوبيّة روم من فارس، ويمكن أن يقرأ فعلاً، وقوله: وفارس تفسير لضمير «هم» فالظاهر أنّه كان في قراءتهم عليهم السلام غلبت وسيغلبون كلاهما على المجهول، وهي مركّبة من القراءتين ويحتمل أن يكون قراءتهم عليهم السلام على وفق الشاذّة بأن تكون إضافة الغلبة إلى الضمير إضافة إلى الفاعل، وإضافة غلبهم في الآية إضافة إلى المفعول أي بعد مغلوبيّة فارس عن الروم سيغلبون عن المسلمين أيضاً، أو إلى الفاعل فيكون في الآية إشارة إلى غلبة فارس ومغلوبيّتهم عن الروم وعن المسلمين جميعاً، ولكنه يحتاج إلى تكلف.

ثمّ إنّ البضع لمّا كان بحسب اللّغة إنّما يطلق على ما بين الثلاث إلى التسع وكان تمام الغلبة على فارس في السابع عشر أو أواخر السادس عشر من الهجرة فعلى المشهور بين

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٣٠ في تفسيره لسورة الروم الآيات ١-٥.

المفسرين من نزول الآية بمكّة قبل الهجرة لا بدّ من أن يكون بين نزول الآية وبين الفتح ستّ عشرة سنة، وعلى ما هو الظاهر من الخبر من كون نزول الآية بعد مراسلة قيصر وكسرى وكانت على الأشهر في السنة السادسة فيزيد على البضع أيضاً بقليل فلذا اعترض السائل عليه عليه السلام بذلك، فأجاب عليه السلام بأنّ الآية مشعرة باحتمال وقوع البداء حيث قال: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي لله أن يقدّم الامر قبل البضع ويؤخّره بعده، كما هو الظاهر من تفسيره عليه السلام. وسيأتي تمام القول في تفسير تلك الآية في كتاب أحوال النبي صلى الله عليه وآله إن شاء الله تعالى.

١١ - فس: قال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ يعني يكتب في كتاب، وهو رد على من ينكر البداء[1].

١٢ - فس: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ﴾ في ليلة القدر ﴿كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ أي يقدّر الله كل أمر من الحقّ ومن الباطل، وما يكون في تلك السنة، وله فيه البداء والمشيئة يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء، ويلقيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ويلقيه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأئمة عليهم السلام حتى ينتهي ذلك إلى صاحب الزمان عجل الله فرجه، ويشترط له فيه البداء والمشيئة والتقديم والتأخير. قال: حدّثني بذلك أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن صلوات الله عليهم[2].

١٣ - فس: أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر ابن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ قال: إن عند الله كتباً موقوتة يقدم منها ما يشاء ويؤخر فإذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كل شيء يكون إلى ليلة مثلها، وذلك قوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ إذا أنزل، وكتبه كتاب السماوات وهو الّذي لا يؤخّره[3].

١٤ - ما: المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن العلاء، عن محمّد قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عن ليلة القدر، فقال: تنزّل فيها الملائكة والكتبة إلى سماء الدنيا فيكتبون ما هو كائن في أمر السنة وما يصيب العباد فيها. قال: وأمر موقوف لله تعالى فيه المشيئة يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، وهو قوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[4].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٣ في تفسيره لسورة فاطر، الآية: ١١.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦٤ في تفسيره لسورة الدخان، الآية: ٤.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥٣ في تفسيره لسورة المنافقون، الآية: ١١.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٦٠، مجلس ٢ ح ٨٩.

شي: عن محمد مثله[1].

١٥ -**ع:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، قال: فمرّ بآدم اسم داود النبي فإذا عمره في العالم أربعون سنة فقال آدم: يا ربّ ما أقلّ عمر داود وما أكثر عمري! يا رب إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أتثبت ذلك له؟ قال: نعم يا آدم، قال: فإنّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة فانفذ ذلك له وأثبتها له عندك واطرحها من عمري قال أبو جعفر عليه السلام فأثبت الله عزّ وجلّ لداود في عمره ثلاثين سنة، وكانت له عند الله مثبتة فذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: فمحا الله ما كان عنده مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً. قال: فمضى عمر آدم فهبط ملك الموت لقبض روحه فقال له آدم: يا ملك الموت إنّه قد بقي من عمري ثلاثون سنة! فقال له ملك الموت: يا آدم ألم تجعلها لابنك داود النبيّ وطرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذرّيّتك، وقد عرضت عليك أعمارهم وأنت يومئذ بوادي الدخيا؟ قال: فقال له آدم: ما أذكر هذا. قال: فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجحد ألم تسأل الله عزّ وجلّ أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك؟ فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك في الذكر. قال آدم: حتّى أعلم ذلك. قال أبو جعفر عليه السلام وكان آدم صادقاً لم يذكر ولم يجحد، فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمى؛ لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه[2].

بيان: قد شرحناه في كتب النبوة.

١٦ -**ع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عثمان بن عيسى، عن أبي إسحاق الأرّجاني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عزّ وجلّ جعل لمن جعل له سلطاناً مدّة من ليالي وأيّام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله عزّ وجلّ صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته فطالت أيّامهم ولياليهم وسنوهم وشهورهم، وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله عزّ وجلّ صاحب الفلك فأسرع إدارته وأسرع فناء لياليهم وأيّامهم وسنيهم وشهورهم، وقد وفى تبارك وتعالى لهم بعدد اللّيالي والأيّام والشهور[3].

بيان: لعلّ المراد سرعة تسبّب أسباب زوال ملكهم وانقراض دولتهم وبالعكس على الاستعارة التمثيليّة فالمراد بالوفاء بعدد شهورهم وسنيهم أنّ تلك الشهور والسنين الّتي كانت مقدّرة قبل ذلك كانت مشروطة بعدم الإتيان بتلك الأفعال، وقد أخبر الله بنقصان ملكهم مع الإتيان بها فلم يخلف الله ما وعده لهم، ويحتمل أن يكون لكلّ دولة فلك سوى الأفلاك

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص٢٣١ ح ٥٩.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٧٣ باب ٣٤١ ح ١.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٨٨ باب ٣٦٧ ح ١.

المعروفة الحركات وقد قدّر لدولتهم عدد من الدورات فإذا أراد الله إطالة مدّتهم أمر بإبطائه في الحركة وإذا أراد سرعة فنائها أمر بإسراعه.

١٧ - يد، مع: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن عليّ بن النعمان، عن إسحاق، عمّن سمعه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: لم يعنوا أنّه هكذا، ولكنّهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص فقال الله جلّ جلاله تكذيباً لقولهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ ألم تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]؟

١٨ - م: قوله عزّ وجلّ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾[2] قال الإمام عليه السلام: قال محمّد بن عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام: ما ننسخ من آية بأن نرفع حكمها أو ننسها بأن نرفع رسمها - وقد تلي - وعن القلوب حفظها وعن قلبك يا محمّد كما قال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن ينسيك فرفع عن قلبك ذكره نأت بخير منها يعني بخير لكم فهذه الثانية أعظم لثوابكم وأجلّ لصلاحكم من الآية الأولى المنسوخة أو مثلها أي مثلها في الصلاح لكم لأنّا لا ننسخ ولا نبدّل إلاّ وغرضنا في ذلك مصالحكم ثمّ قال: يا محمّد ألم تعلم أن الله على كلّ شيء قدير فلأنّه قدير يقدر على النسخ وغيره ألم تعلم أنّ الله له ملك السموات والارض وهو العالم بتدبيرها ومصالحها وهو يدبّركم بعلمه وما لكم من دون الله من وليّ بإصلاحكم إذ كان العالم بالمصالح هو الله عزّ وجلّ دون غيره، ولا نصير وما لكم ناصر ينصركم من مكروه إن أراد الله إنزاله بكم أو عذابه إن أراد إحلاله لكم[3].

وقال محمّد بن عليّ الباقر: وممّا قدّر الله عليه النسخ والتنزيل لمصالحكم ومنافعكم لتؤمنوا ويتوفّر عليكم الثواب بالتصديق بها فهو يفعل ما يشاء ممّا فيه صلاحكم والخيرة لكم ثمّ قال: ألم تعلم يا محمّد أنّ الله له ملك السموات والارض، فهو يملكهما بقدرته ويصرفهما تحت مشيئته لا مقدّم لما أخّر ولا مؤخّر لما قدّم، ثمّ قال الله تعالى: وما لكم يا معشر اليهود والمكذبين بمحمّد صلى الله عليه وآله والجاحدين نسخ الشرائع من دون الله سوى الله تعالى من وليّ يلي مصالحكم إن لم يدلّكم ربّكم للمصالح، ولا نصير ينصركم من الله يدفع عنكم عذابه.

قال عليه السلام: وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا كان بمكّة أمره الله تعالى أن يتوجّه نحو البيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يتمكّن استقبل البيت المقدس كيف كان فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاثة عشر سنة فلمّا كان بالمدينة وكان متعبّداً باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً أو ستّة عشر

---

(١) التوحيد، ص ١٦٧ باب ٢٥ ح ١ ومعاني الأخبار، ص ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٠٦ و١٠٧.

(٣) في المصدر: بكم.

شهراً، وجعل قوم من مردة اليهود يقولون: والله ما درى محمّد كيف صلّى حتّى صار يتوجّه إلى قبلتنا ويأخذ في صلاته بهدانا ونسكنا، فاشتدّ ذلك على رسول الله ﷺ لما اتّصل به عنهم وكره قبلتهم وأحبّ الكعبة فجاءه جبرئيل عليه السلام فقال له رسول الله ﷺ: يا جبرئيل لوددت لو صرفني الله تعالى عن بيت المقدس إلى الكعبة فقد تأذّيت بما يتّصل بي من قبل اليهود من قبلتهم، فقال جبرئيل: فاسأل ربّك أن يحوّلك إليها فإنّه لا يردّك عن طلبتك ولا يخيبك من بغيتك فلمّا استتمّ دعاؤه صعد جبرئيل ثمّ عاد من ساعته فقال: اقرء يا محمّد: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾(1) الآيات فقالت اليهود عند ذلك: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ فأجابهم الله أحسن جواب فقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وهو يملكهما، وتكليفه التحوّل إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو مصلحتهم وتؤدّيهم طاعتهم إلى جنّات النعيم.

فقال أبو محمّد عليه السلام وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد هذه القبلة بيت المقدس قد صلّيت إليها أربع عشر سنة ثمّ تركتها الآن أفحقّاً كان ماكنت عليه فقد تركته إلى باطل فإنّما يخالف الحقّ الباطل، أو باطلاً كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدّة؟ فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله ﷺ: بل ذلك كان حقّاً وهذا حقّ يقول الله: قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم إذا عرف صلاحكم يا أيّها العباد في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله في عباده وقصده إلى مصالحكم فقال رسول الله ﷺ: لقد تركتم العمل في يوم السبت ثمّ عملتم بعده سائر الأيّام ثم تركتموه في السبت ثمّ عملتم بعده أفتركتم الحقّ إلى باطل أو الباطل إلى حقّ أو الباطل إلى باطل أو الحقّ إلى حقّ قولوا كيف شئتم. فهو قول محمد ﷺ وجوابه لكم قالوا: بل ترك العمل في السبت حقّ والعمل بعده حقّ، فقال رسول الله ﷺ: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حقّ ثمّ قبلة الكعبة في وقته حقّ فقالوا: يا محمد أفبدا لربّك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حتّى نقلك إلى الكعبة؟ فقال رسول الله ﷺ: ما بدا له عن ذلك فإنّه العالم بالعواقب والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطاً، ولا يستحدث رأياً يخالف المتقدّم، جلّ عن ذلك، ولا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده، وليس يبدو وإلا لما كان هذا وصفه، وهو عزّ وجلّ متعال عن هذه الصفات علوّاً كبيراً.

ثمّ قال لهم رسول الله ﷺ: أيّها اليهود أخبروني عن الله، أليس يُمرض ثمّ يُصحّ، ويُصحّ ثمّ يُمرض؟ أبدا له في ذلك؟ أليس يحيي ويميت؟ أبدا له في كل واحد من ذلك؟

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

فقالوا: لا، قال: فكذلك الله تعبّد نبيّه محمّداً بالصلاة إلى الكعبة بعد أن تعبّده بالصلاة إلى بيت المقدس، وما بدا له في الأوّل، ثمّ قال: أليس الله يأتي بالشتاء في أثر الصيف والصيف في أثر الشتاء؟ أبدا له في كلّ واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: فكذلك لم يبد له في القبلة، قال: ثمّ قال: أليس قد ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة وألزمكم في الصيف أن تحترزوا من الحرّ؟ فبدا له في الصيف حتّى أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟ قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: فكذلك الله تعبّدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء، ثمّ تعبّدكم في وقت آخر لصلاح آخر يعلمه بشيء آخر، وإذا أطعتم الله في الحالتين استحققتم ثوابه، وأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1] يعني إذا توجّهتم بأمره فثمّ الوجه الّذي تقصدون منه الله وتأملون ثوابه. ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا عباد الله أنتم كالمرضى، والله ربّ العالمين كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب ويدبّره به لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه؛ ألا فسلّموا لله أمره تكونوا من الفائزين فقيل: يا ابن رسول الله فلمَ أمر بالقبلة الأولى؟ فقال: لما قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ وهي بيت المقدس - ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[2] إلا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، وذلك أنّ هوى أهل مكّة كان في الكعبة فأراد الله أن يبيّن متّبع محمد ﷺ من مخالفيه باتّباع القبلة الّتي كرهها، ومحمد ﷺ يأمر بها، ولمّا كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجّه إلى الكعبة ليبيّن من يوافق محمّداً فيما يكرهه فهو مصدّقه وموافقه. ثمّ قال: وإن كانت لكبيرة إلا على الّذين هدى الله إنّما كان التوجّه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت كبيرة إلا على من يهدي الله فعرف أنّ الله يتعبّد بخلاف ما يريده المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه[3].

بيان: قوله: أو ستّة عشر شهراً الترديد إمّا من الراوي أو منه عليه السلام لبيان الاختلاف بين المخالفين.

أقول: لمّا كان الكلام في النسخ وتجويزه مثبتاً في الكتب الأُصوليّة لم نتعرّض لذكره وبسط القول فيه مع أنّ هذا الخبر مشتمل على ردّ شبه النافين له على أبلغ الوجوه.

١٩ - **يد:** أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن عيسى، عن الحجّال، عن ثعلبة، عن زرارة، عن أحدهما عليه السلام قال: ما عُبد الله عزّوجلّ بشيء مثل البداء[4].

٢٠ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن أيّوب بن نوح، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما عظّم الله عزّوجلّ بمثل البداء[5]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٤٩١ ح ٢١١.
(٤) التوحيد، ص ٣٣١ باب ٥٤ ح ١.
(٥) التوحيد، ٣٣٣ باب ٥٤ ح ٢.

٢١ - يد: ماجيلويه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله عزّ وجلّ نبياً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار بالعبوديّة، وخلع الأنداد، وأنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء(١).

شي: عن محمد مثله.

٢٢ - يد: بهذا الإسناد، عن هشام بن سالم وحفص بن البختريّ وغيرهما، عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال: فقال: وهل يمحو الله إلا ما كان، وهل يثبت إلا ما لم يكن(٢)؟

٢٣ - يد: حمزة العلويّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما تنبّأ نبيٌّ قطّ حتّى يقرّ لله تعالى بخمس: بالبداء والمشيئة، والسجود، والعبوديّة، والطاعة(٣).

سن: بعض أصحابنا، عن محمّد بن عمر الكوفيّ - أخي يحيى -، عن مرازم مثله(٤).

٢٤ - سن: أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن زرارة ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً قطّ حتّى يأخذ عليه ثلاثاً: الإقرار لله بالعبوديّة وخلع الأنداد، وأنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء(٥).

٢٥ - يد: حمزة العلويّ عن عليّ بن إبراهيم، عن الريّان قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ما بعث الله نبياً قطّ إلا بتحريم الخمر، وأن يقرّ له بالبداء(٦).

٢٦ - يد: الدقاق، عن الكلينيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليقطينيّ، عن يونس، عن مالك الجهنيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو يعلم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه(٧).

قال الصدوق رحمه الله في التوحيد: ليس البداء كما تظنّه جهّال الناس بأنّه بداء ندامة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ولكن يجب علينا أن نقرّ لله عزّ وجلّ بأنّ له البداء معناه أنّ له أن يبدء بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء، ثم يعدم ذلك الشيء ويبدء بخلق غيره، أو يأمر بأمر ثمّ ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثمّ يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل نسخ الشرائع، وتحويل القبلة، وعدّة المتوفّى عنها زوجها. ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت ما إلاّ وهو يعلم أنّ الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك، ويعلم أنّ في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به، فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم، فمن أقرّ

(١) - (٢) التوحيد، ص ٣٣٣ باب ٥٤ ح ٣ و٤. (٣) التوحيد، ص ٣٣٣ باب ٥٤ ح ٥.
(٤) - (٥) المحاسن، ص ٢٣٣-٢٣٤ باب ٢٠ ح ١٨٩ و١٩٠.
(٦) - (٧) التوحيد، ص ٣٣٤ باب ٥٤ ح ٦ و٧.

لله عزّوجلّ بأنّ له أن يفعل ما يشاء ويؤخّر ما يشاء ويخلق مكانه ما يشاء ويؤخّر ما يشاء كيف يشاء فقد أقر بالبداء، وما عظّم الله عزّوجلّ بشيء أفضل من الإقرار بأنَّ له الخلق والامر، والتقديم والتأخير، وإثبات ما لم يكن، ومحو ما قد كان، والبداء هو ردّ على اليهود لأنّهم قالوا: إنَّ الله قد فرغ من الامر، فقلنا: إنَّ الله كلّ يوم في شأن، يحيي ويميت، ويرزق، ويفعل ما يشاء، والبداء ليس من ندامة وإنّما هو ظهور أمر، تقول العرب: بدا لي شخص في طريقي أي ظهر، وقال الله عزّوجلّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (١) أي ظهر لهم، ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره، ومتى ظهر له قطيعة رحم نقص من عمره، ومتى ظهر له من عبد إتيان الزنا نقص من رزقه وعمره، ومتى ظهر له منه التعفّف عن الزنا زاد في رزقه وعمره، ومن ذلك قول الصادق عليه السلام: ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني يقول: ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك أنّه ليس بإمام بعدي، وقد روي لي من طريق أبي الحسين الأسديّ رضوان الله عليه في ذلك شيء غريب، وهو أنّه روى أنَّ الصادق عليه السلام قال: ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل أبي إذ أمر أباه بذبحه ثمَّ فداه بذبح عظيم. وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر، إلا أنّي أوردته لمعنى لفظ البداء والله الموفّق للصواب(٢).

بيان: ليس غرضه رحمه الله من قوله: إن له أن يبدأ بشيء أن البداء مشتق من المهموز بل قد صرح آخراً بخلافه، وإنّما أراد أنّ هذا ممّا يتفرع عليه كما مرّ في خبر المروزيّ، وستعرف أنّه لا استبعاد في صحّة الخبرين اللذين نفاهما.

٢٧ - **ير:** أحمد بن محمّد، عن ابن أبي عمير، أو عمّن رواه، عن ابن أبي عمير، عن جعفر بن عثمان، عن سماعة، عن أبي بصير، ووهب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلمٌ علمه ملائكته ورسله وأنبياءه ونحن نعلمه(٣).

٢٨ - **ير:** أحمد بن محمّد، عن الأهوازيّ، عن القاسم بن محمّد، عن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى قال لنبيّه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أراد أن يعذّب أهل الأرض ثمَّ بدا لله فنزلت الرحمة فقال: ذكّر يا محمّد فإنَّ الذكرى

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٧.
(٢) التوحيد، ص ٣٣٥-٣٣٦ باب ٥٤ ح ٩-١١.
(٣) بصائر الدرجات، ص ١١٥ ج ٢ باب ٢١ ح ٢. أقول: لعلّ المراد بالعلم المكنون المخزون الذي لا يعلمه إلا هو، هو العلم الذي عين ذاته القدوس المقدس المنزه عن الحد والتعين والمعلوم والعلية فمنه البداء والرأي في العلم المبذول إلى ملائكته وأنبيائه وأوليائه في غير المحتوم منه، فإن في هذا العلم المبذول أمور محتومة جائية لا محالة، ومنه أمور موقوفة يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء. [النمازي].

تنفع المؤمنين. فرجعت من قابل فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إنّي حدّثت أصحابنا فقالوا: بدا لله ما لم يكن في علمه؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ لله علمين: علم عنده لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم نبذه إلى ملائكته ورسله فما نبذه إلى ملائكته فقد انتهى إلينا[١].

٢٩ - ير: أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن ابن سدير قال: سأل حمران أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ فقال له أبو جعفر عليه السلام: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ وكان والله محمد ممن ارتضاه، وأمّا قوله: عالم الغيب فإنّ الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه بما يقدّر من شيء ويقضيه في علمه، فذلك يا حمران علمٌ موقوف عنده، إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه، فأمّا العلم الّذي يقدّره الله ويقضيه ويمضيه فهو العلم الّذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إلينا.

وحدّثنا عبد الله بن محمّد، عن ابن محبوب بهذا الإسناد وزاد فيه: فما يقدّر من شيء ويقضيه في علمه أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى ملائكته فذلك يا حمران علمٌ موقوفٌ عنده غير مقضيّ لا يعلمه غيره، إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد. إلى آخر الحديث[٢].

٣٠ - ك: أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن الجاموراني، عن اللؤلئيّ، عن محمّد بن سنان، عن عمّار، عن أبي بصير وسماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أن الله عزّ وجلّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه[٣].

٣١ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الوشّاء عن عليّ بن سوقة، عن عيسى الفرّاء وأبي عليّ العطّار، عن رجل، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا داود على نبيّنا وآله وعليه السلام جالس وعنده شابّ رثّ الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت إذ أتاه ملك الموت فسلم عليه وأحدّ ملك الموت النظر إلى الشابّ، فقال داود على نبيّنا وآله وعليه السلام: نظرت إلى هذا؟ فقال: نعم إنّي أُمرت بقبض روحه إلى سبعة أيّام في هذا الموضع فرحمه داود فقال: يا شابّ هل لك امرأة؟ قال: لا وما تزوّجت قطّ قال داود: فأت فلاناً - رجلا كان عظيم القدر في بني إسرائيل - فقل له: إنّ داود يأمرك أن تزوّجني ابنتك وتدخلها الليلة وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها فإذا مضت

---

(١) بصائر الدرجات، ص ١١٧ ج ٢ باب النوادر ح ١ و٢.

(٢) بصائر الدرجات، ص ١١٥ ج٢ باب ٢١ ح ٤.

(٣) كمال الدين، ص ٧٥ .أقول: واضح أنه تعالى عالم بكل ما يبدو له بعلمه المقدّس المنزه عن الحد والتعين، وبعلمه الذي بذله إلى رسوله الأكرم وعين فيه ما يقع من النظام برأيه [النمازي].

سبعة أيّام فوافني في هذا الموضع فمضى الشابّ برسالة داود على نبيّنا وآله وعليه السلام فزوّجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه وأقام عندها سبعة أيّام، ثمّ وافى داود يوم الثامن فقال له داود: يا شابّ كيف رأيت ما كنت فيه؟ قال: ما كنت في نعمة ولا سرور قطّ أعظمهمّا كنت فيه، قال داود: اجلس فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه فلمّا طال قال: انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك فإذا كان يوم الثامن فوافني ههنا، فمضى الشابّ، ثمّ وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثمّ انصرف أسبوعاً آخر ثمّ أتاه وجلس فجاء ملك الموت داود، فقال داود صلوات الله عليه: ألست حدّثتني بأنّك أمرت بقبض روح هذا الشابّ إلى سبعة أيّام؟ قال: بلى، فقال: قد مضت ثمانية وثمانية وثمانية! قال: يا داود إنّ الله تعالى رحمه برحمتك له فأخّر في أجله ثلاثين سنة.

٣٢ - **كتاب الإمامة والتبصرة لعلي بن بابويه** عن محمّد بن يحيى وأحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عمّن ذكره، عن محمّد بن الفضيل عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:[1] كان في بني إسرائيل نبيٌّ وعده الله أن ينصره إلى خمسة عشر ليلة فأخبر بذلك قومه فقالوا: والله إذا كان ليفعلنّ وليفعلنّ فأخّره الله إلى خمسة عشرة سنة وكان فيهم من وعده الله النصرة إلى خمس عشرة سنة فأخبر بذلك النبيّ قومه فقالوا: ما شاء الله فعجّله الله لهم في خمس عشرة ليلة[2].

٣٣ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: سأل عبد الأعلى مولى بني سام الصادق عليه السلام - وأنا عنده -: حديث يرويه الناس فقال: وما هو؟ قال: يروون أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى حزقيل النبيّ صلوات الله عليه أن أخبر فلان الملك أنّي متوفّيك يوم كذا، فأتى حزقيل الملك فأخبره بذلك قال: فدعا الله وهو على سريره حتّى سقط ما بين الحائط والسرير فقال: يا ربّ أخّرني حتّى يشبّ طفلي وأقضي أمري فأوحى الله إلى ذلك النبي أن ائت فلاناً وقل: إنّي أنسأت في عمره خمسة عشرة سنة. فقال النبيّ: يا ربّ وعزّتك إنّك تعلم أنّي لم أكذب كذبة قطّ، فأوحى الله إليه: إنّما أنت عبد مأمور فأبلغه[3].

أقول: سيأتي مثله في قصّة شعيا على نبيّنا وآله وعليه السلام.

٣٤ - **ير:** عبدالله بن محمّد، عن عليّ بن مهزيار، عن ابن مسافر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام - في العشيّة الّتي اعتلّ فيها من ليلتها العلة الّتي توفّي منها -: يا عبد الله ما أرسل الله نبيّاً من أنبيائه إلى أحد حتّى يأخذ عليه ثلاثة أشياء. قلت: وأيّ شيء هو يا سيّدي؟ قال: الإقرار بالله بالعبوديّة والوحدانيّة، وأنّ الله يقدّم ما يشاء، ونحن قوم - أو نحن معشر - إذا لم

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٠٤ ح ٢٦٥.
(٢) الإمامة والتبصرة، ص ٩٤ باب ٢٣ ح ٨٦.
(٣) قصص الأنبياء، ص ٢٤١ ح ٢٨٣.

يرض الله لأحدنا الدنيا نقلنا إليه[١].

٣٥ - **ما:** الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم، عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن أحمد البرقيّ، عن أبيه محمّد، عن ابن أبي عمير، عن هشام ابن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ فقال كانوا يقولون: قد فرغ من الأمر[٢].

٣٦ - **سن:** أبي، عن حمّاد، عن ربعيّ، عن الفضيل قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: العلم علمان: علمٌ عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسله، فأمّا ما علّم ملائكته ورسله فإنّه سيكون، لا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدّم فيه ما يشاء ويؤخّر ما يشاء ويثبت ما يشاء[٣].

شي: عن حمّاد بن عيسى مثله.

٣٧ - **سن:** بهذا الإسناد عن فضيل قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء[٤].

٣٨ - **غط:** الفضل بن شاذان، عن محمّد بن عليٍّ، عن سعدان بن مسلم، عن أبي بصير قال: قلت له: ألهذا الأمر أمر تريح إليه أبداننا وننتهي إليه؟ قال: بلى ولكنّكم أذعتم فزاد الله فيه[٥].

٣٩ - **غط:** الفضل، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثماليّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ عليّاً عليه السلام كان يقول: إلى السبعين بلاء، وكان يقول: بعد البلاء رخاء وقد مضت السبعون ولم نر رخاءاً، فقال أبو جعفر عليه السلام: يا ثابت إنّ الله تعالى كان وقّت هذا الأمر في السبعين فلمّا قتل الحسين اشتدّ غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة سنة، فحدّثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السرّ فأخّره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب. قال أبو حمزة: وقلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: قد كان ذلك[٦].

٤٠ - **غط:** الفضل، عن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن سنان، عن أبي يحيى التمتام السلميّ، عن عثمان النوا قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان هذا الأمر فيّ فأخّره الله ويفعل بعد في ذرّيّتي ما يشاء[٧].

أقول: قال الشيخ بعد نقل هذه الأخبار: الوجه في هذه الأخبار أن نقول - إن صحّت -:

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٤٤١ ج ١٠ باب ٩ ح ٤.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٦١ مجلس ٣٥ ح ١٣٧٤.
(٣) - (٤) المحاسن، ص ٢٤٣. (٥) الغيبة للطوسي، ص ٤٢٧ ح ٤١٦.
(٦) - (٧) الغيبة للطوسي، ص ٤٢٨ ح ٤١٧ و٤١٨.

إنّه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وقّت هذا الأمر في الأوقات الّتي ذكرت فلمّا تجدّد ما تجدّد تغيّرت المصلحة واقتضت تأخيره إلى وقت آخر وكذلك فيما بعد، ويكون الوقت الأوّل وكلّ وقت يجوز أن يؤخّر مشروطاً بأن لا يتجدّد ما تقتضي المصلحة تأخيره إلى أن يجيء الوقت الّذي لا يغيره شيء فيكون محتوماً، وعلى هذا يتأوّل ما روي في تأخير الأعمار عن أوقاتها، والزيادة فيها عند الدعاء وصلة الأرحام، وما روي في تنقيص الأعمار عن أوقاتها إلى ما قبله عند فعل الظلم وقطع الرحم وغير ذلك، وهو تعالى وإن كان عالماً بالأمرين فلا يمتنع أن يكون أحدهما معلوماً بشرط والآخر بلا شرط، وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل، وعلى هذا يتأوّل أيضاً ما روي من أخبارنا المتضمّنة للفظ البداء ويبيّن أن معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ، أو تغيّر شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات لأنّ البداء في اللّغة هو الظهور فلا يمتنع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالى ما كنّا نظنّ خلافه، أو نعلم ولا نعلم شرطه.

فمن ذلك ما رواه سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال علي بن الحسين وعليّ بن أبي طالب قبله، ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد عليهم السلام: كيف لنا بالحديث مع هذه الآية ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فأمّا من قال بأن الله تعالى لا يعلم الشيء إلّا بعد كونه فقد كفر وخرج عن التوحيد.

وقد روى سعد بن عبد الله، عن أبي هاشم الجعفري قال: سأل محمّد بن صالح الأرمنيّ أبا محمّد العسكريّ عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فقال أبو محمّد: وهل يمحو إلا ما كان، ويثبت إلا ما لم يكن؟ فقلت في نفسي: هذا خلاف ما يقول هشام بن الحكم: إنّه لا يعلم الشيء حتّى يكون، فنظر إليّ أبو محمّد فقال: تعالى الجبّار العالم بالأشياء قبل كونها. والحديث مختصر، والوجه في هذه الأخبار ما قدّمنا ذكره من تغيّر المصلحة فيه واقتضائها تأخير الأمر إلى وقت آخر على ما بيّناه دون ظهور الأمر له تعالى فإنّا لا نقول به ولا نجوّزه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

فإن قيل: هذا يؤدّي إلى أن لا نثق بشيء من أخبار الله تعالى. قلنا: الأخبار على ضربين ضرب لا يجوز فيه التغيّر في مخبراته فإنّا نقطع عليها لعلمنا بأنّه لايجوز أن يتغيّر المخبر في نفسه، كالإخبار عن صفات الله، وعن الكائنات فيما مضى، وكالإخبار بأنّه يثيب المؤمنين، والضرب الآخر هو ما يجوز تغيّره في نفسه لتغيّر المصلحة عند تغيّر شروطه فإنّا نجوز جميع ذلك كالإخبار عن الحوادث في المستقبل إلاّ أن يرد الخبر على وجه يعلم أنّ مخبره لا يتغير فحينئذ نقطع بكونه، ولأجل ذلك قرن الحتم بكثير من المخبرات فأعلمنا أنّه ممّا لا يتغير أصلاً فعند ذلك نقطع به(١).

(١) الغيبة للطوسي، ص ٤٣٠-٤٣١.

٤١ - يج: قال أبو هاشم: سأل محمّد بن صالح أبا محمّد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ فقال: له الامر من قبل أن يأمر به وله الأمر من بعد أن يأمر به بما يشاء؛ فقلت في نفسي: هذا قول الله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فأقبل عليّ فقال: هو كما أسررت في نفسك ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قلت: أشهد أنّك حجّة الله وابن حجّته في خلقه[1].

كشف: من دلائل الحميري، عن الجعفري مثله[2].

٤٢ - شي: عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ قال: الناسخ: ما حوّل، وما ينسيها: مثل الغيب الّذي لم يكن بعد كقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: فيفعل الله ما يشاء ويحوّل ما يشاء، مثل قوم يونس إذا بدا له فرحمهم، ومثل قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ قال: أدركهم رحمته[3].

٤٣ - شي: عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ فقال: كذبوا ما هكذا هي إذا كان ينسي وينسخها ويأتي بمثلها لم ينسخها، قلت: هكذا قال الله، قال: ليس هكذا قال تبارك وتعالى، قلت: فكيف قال؛ قال: ليس فيها ألف ولا واو، قال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يقول: ما نميت من إمام أو ننس ذكره نأت بخير منه من صلبه مثله[4].

بيان: لعل الخيريّة باعتبار أنّ الإمام المتأخّر أصلح لأهل عصره من المتقدّم، وإن كانا متساويين في الكمال كما يدل عليه قوله: مثله.

٤٤ - شي: عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾[5] قال: الأجل الّذي غير مسمّى موقوف يقدّم منه ما شاء ويؤخّر منه ما شاء، وأمّا الأجل المسمى فهو الّذي ينزل ممّا يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل، فذلك قول الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[6] [7].

٤٥ - شي: عن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ قال: المسمّى ما سمّي لملك الموت في تلك اللّيلة وهو الّذي قال الله:

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٦٨٦ ح ٨. (٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٦.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٧٤ في تفسيره لسورة البقرة ح ٧٧.
(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٧٤ في تفسيره لسورة البقرة ح ٧٨.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٢. (٦) سورة النحل، الآية: ٦١.
(٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٤ في تفسيره لسورة الأنعام ح ٥.

﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ وهو الّذي سمّي لملك الموت في ليلة القدر، والآخر له فيه المشيئة إن شاء قدمه وإن شاء أخّره[1].

٤٦ - شي: عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿ثمّ قضى أجلاً وأجلٌ مسمّى عنده﴾ قال: فقال: هما أجلان: أجلٌ موقوفٌ يصنع الله ما يشاء، وأجل محتومٌ. وفي رواية حمران عنه: أمّا الأجل الّذي غير مسمّى عنده فهو أجل موقوف يقدّم فيه ما يشاء ويؤخّر فيه ما يشاء، وأمّا الأجل المسمّى هو الّذي يسمّى في ليلة القدر[2].

٤٧ - شي: عن حصين، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ثمّ قضى أجلاً وأجلٌ مسمّى عنده﴾ قال: ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: الأجل الأوّل هو ما نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الّذي ستره الله عن الخلائق[3].

بيان: هذا الخبر وخبر ابن مسكان يدلاّن على أن الأجل الّذي فيه البداء هو المسمّى، وسائر الأخبار على أنّه هو المقضيّ، ويشكل الجمع بينها إلا أن يقال: صدر بعضها موافقةً لبعض العامّة، أو انّه اشتبه على بعض الرواة، أو انّ أحد التأويلين من بطون الآية.

قال الرازيّ: اختلف المفسّرون في تفسير الأجلين على وجوه: الأوّل أنّ المقضيّ آجال الماضين، والمسمّى عنده آجال الباقين. الثاني أنّ الأوّل أجل الموت، والثاني أجل القيامة لأنّ مدّة حياتهم في الآخرة لا آخر لها. الثالث أنّ الأجل الأوّل ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث الرابع أنّ الأوّل النوم، والثاني الموت الخامس أنّ الأوّل مقدار ما انقضى من عمر كلّ واحد، والثاني مقدار ما بقي من عمر كل أحد. السادس - وهو قول حكماء الإسلام - أنّ لكلّ إنسان أجلين: أحدهما الآجال الطبيعيّة، والثاني الآجال الإخترامية أمّا الآجال الطبيعيّة فهي الّتي لو بقي ذلك المزاج مصوناً عن العوارض الخارجيّة لانتهت مدّة بقائه إلى الوقت الفلاني، وأمّا الآجال الإخترامية فهي الّتي تحصل بالأسباب الخارجيّة كالغرق والحرق وغيرهما من الأمور المنفصلة. انتهى ملخّص كلامه[4].

٤٨ - شي: عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم﴾ قال: فقال: ليس كذا - وقال بيده إلى عنقه - ولكنّه قال: قد فرغ من الأشياء. وفي رواية أخرى عنه قولهم: فرغ من الأمر[5].

٤٩ - شي: عن حماد عنه في قول الله: ﴿يد الله مغلولة﴾ يعنون قد فرغ مما هو كائن - لعنوا بما قالوا - قال الله عزّ وجلّ: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾[6].

(١ - ٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٤ في تفسيره لسورة الأنعام ح ٦-٩.

(٤) تفسير فخر الرازي ج٢ ص ١٦٢. (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٥٩ ح ١٤٦.

(٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٥٩ ح ١٤٧ من سورة المائدة، أقول: لعلّ اليدين كناية عن يد الفضل=

٥٠ - شي: عن الفضل بن أبي قرّة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوحى الله إلى إبراهيم أنّه سيولد لك، فقال لسارة، فقالت: ءألد وأنا عجوز؟ فأوحى الله إليه أنّها ستلد ويعذّب أولادها أربعمائة سنة بردّها الكلام عليّ، قال: فلمّا طال على بني إسرائيل العذاب ضجّوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً فأوحى الله إلى موسى وهارون يخلّصهم من فرعون فحطّ عنهم سبعين ومائة سنة. قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا، فأمّا إذا لم تكونوا فإن الأمر ينتهي إلى منتهاه[1].

٥١ - شي: عن عليّ بن عبد الله بن مروان، عن أيّوب بن نوح قال: قال لي أبو الحسن العسكري عليه السلام - وأنا واقف بين يديه بالمدينة ابتداءاً من غير مسألة -: يا أيّوب إنّه ما نبّأ الله من نبيّ إلا بعد أن يأخذ عليه ثلاث خلال: شهادة أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد من دون الله، وأنّ لله المشيئة يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، أما إنّه إذا جرى الاختلاف بينهم لم يزل الاختلاف بينهم إلى أن يقوم صاحب هذا الأمر[2].

٥٢ - شي: عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: لولا آية في كتاب الله لحدّثتكم بما يكون إلى يوم القيامة. فقلت: أيّة آية؟ قال: قول الله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[3].

٥٣ - شي: عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: هل يثبت إلا ما لم يكن، وهل يمحو إلاّ ما كان؟[4].

٥٤ - شي: عن الفضل بن بشّار عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله لم يدع شيئاً كان أو يكون إلاّ كتبه في كتاب فهو موضوعٌ بين يديه ينظر إليه فما شاء منه قدّم وما شاء منه أخّر، وما شاء منه محا، وما شاء منه كان، وما لم يشأ لم يكن[5].

٥٥ - شي: عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فقال: يا حمران إنّه إذا كان ليلة القدر ونزلت الملائكة الكتبة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يقضى في تلك السنة من أمر فإذا أراد الله أن يقدّم شيئاً أو يؤخّره أو ينقص منه أو يزيد أمر الملك فمحا ما شاء ثمّ أثبت الّذي أراد قال: فقلت له عند ذلك: فكلّ شيء يكون فهو عند الله في كتاب؟ قال: نعم فقلت: فيكون كذا وكذا ثم كذا وكذا حتى ينتهي إلى آخره؟ قال:

= والإحسان والرحمة، ويد العدل والمؤاخذة والنقمة، يفعل ما يشاء ويرحم من يشاء كيف يشاء، ويؤاخذ من يشاء بما يشاء، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء. ويشهد لذلك قصة قوم يونس، أراد العذاب ثم رحمهم، فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [مستدرك السفينة ج ١ لغة «بدء»].

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٣ ح ٤٩. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٠ ح ٥٧.

(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣١-٢٣٢ في تفسيره لسورة الرعد ح ٦٠-٦٢.

نعم. قلت: فأيّ شيء يكون بيده بعده؟ قال: سبحان الله ثمَّ يحدث الله أيضاً ما شاء تبارك وتعالى[١].

٥٦ -**شي**: عن الفضيل قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: العلم علمان: علم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه، وعلمٌ عنده مخزون لم يطّلع عليه أحد، يحدث فيه ما يشاء[٢].

٥٧ -**شي**: عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله كتب كتاباً فيه ما كان وما هو كائن فوضعه بين يديه فما شاء منه قدّم، وماشاء منه أخّر، وما شاء منه محا، وما شاء منه أثبت، وما شاء منه كان، وما لم يشأ منه لم يكن[٣].

٥٨ -**شي**: عن الفضيل قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من الأمور أمور محتومة جائية لا محالة، ومن الأمور أمورٌ موقوفةٌ عند الله يقدّم منها ما يشاء، ويمحو منها ما يشاء، ويثبت منها ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحداً - يعني الموقوفة - فأمّا ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذّب نفسه ولا نبيّه ولا ملائكته[٤].

٥٩ -**شي**: عن أبي حمزة الثماليّ قال: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: يا أبا حمزة إن حدّثناك بأمر أنه يجيء من هاهنا فجاء من هاهنا فإنّ الله يصنع ما يشاء، وإن حدّثناك اليوم بحديث وحدّثناك غداً بخلافه فإنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت[٥].

٦٠ -**شي**: عن عمرو بن الحمق قال: دخلت على امير المؤمنين عليه السلام حين ضرب على قرنه فقال لي: يا عمرو إنّي مفارقكم ثمَّ قال: سنة السبعين فيها بلاء - قالها ثلاثاً - فقلت: فهل بعد البلاء رخاء؟ فلم يجبني وأغمي عليه فبكت أم كلثوم فأفاق فقال: يا أم كلثوم لا تؤذيني فإنّك لو قد ترين ما أرى لم تبكي، إن الملائكة في السموات السبع بعضهم خلف بعض، والنبيّون خلفهم، وهذا محمد صلى الله عليه وآله آخذ بيدي يقول: انطلق يا عليّ فما أمامك خير لك ممّا أنت فيه، فقلت بأبي أنت وأمي قلت إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟ قال: نعم يا عمرو إنّ بعد البلاء رخاءاً ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٦].

٦١ -قال أبو حمزة: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: إن علياً عليه السلام كان يقول: إلى السبعين بلاء وبعد السبعين رخاء، فقد مضت السبعين ولم يروا رخاءاً، فقال لي أبو جعفر عليه السلام: يا

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣١-٢٣٢ في تفسيره لسورة الرعد ح ٦٣-٦٤.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٢ في تفسيره لسورة الرعد ح ٦٥. لعل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، والكتابة هو إثبات نظام خاص وتعيينه بحدوده وتحميل علمه رسوله وأولياؤه المعصومين عليهم السلام الذين هم حملة عرشه وحملة علمه [النمازي].

(٤) - (٥) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٢ ح٦٦ - ٦٧ من سورة الرعد.

(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٣ في تفسيره لسورة الرعد ح ٦٩.

ثابت إنّ الله كان قد وقّت هذا الأمر في السبعين فلمّا قتل الحسين عليه السلام اشتدّ غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة سنة، فحدّثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السرّ فأخّره الله ولم يجعل لذلك عندنا وقتاً، ثمّ قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١).

٦٢ - شي: عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله إذا أراد فناء قوم أمر الفلك فأسرع الدور بهم، فكان ما يريد من النقصان، فإذا أراد الله بقاء قوم أمر الفلك فأبطأ الدور بهم فكان ما يريد من الزيادة، فلا تنكروا فإنّ الله ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٢).

٦٣ - شي: عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: إن الله يقدّم ما يشاء، ويؤخّر ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء وعنده أمُّ الكتاب. وقال: فكلّ أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إنّ الله لا يبدو له من جهل (٣).

٦٤ - شي: عن أبي ميثم بن أبي يحيى، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فان علم الله أنّه من شيعتنا حجبه من ذلك الشيطان، وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه السبّابة في دبره فكان مأبوناً فإن كان امرأة أثبت في فرجها فكانت فاجرة فعند ذلك يبكي الصبيّ بكاءاً شديداً إذا هو خرج من بطن أمه، والله بعد ذلك ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٤).

٦٥ - شي: عن عمار بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن قول الله ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: إنّ ذلك الكتاب كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت فمن ذلك الّذي يردّ الدعاء القضاء، وذلك الدعاء مكتوب عليه: الّذي يردُّ به القضاء، حتّى إذا صار إلى أمّ الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً (٥).

٦٦ - شي: عن الحسين بن زيد بن عليّ، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاث سنين فيمدّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإنّ المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى. قال الحسين: وكان جعفر يتلو هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٦).

---

(١) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٣ في تفسيره لسورة الرعد ح ٧٠-٧٢.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٤ من سورة الرعد. أقول: وهذا واضح لأن البداء لا يكون إلّا من علم غير محدود [النمازي].

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٦ في تفسيره لسورة الرعد ح ٧٥.

(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٦ ح ٧٦.

٦٧ - **كا:** علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن عليّ، عن عبد الرحمن بن محمد الأسديّ، عن سالم بن مكرم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: السام عليك. فقال النبي صلى الله عليه وآله: عليك، فقال أصحابه: إنّما سلم عليك بالموت فقال: الموت عليك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: وكذلك رددت، ثمّ قال النبي صلى الله عليه وآله: إنَّ هذا اليهوديّ يعضّه أسود في قفاه فيقتله. قال: فذهب اليهوديّ فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله ثمّ لم يلبث أن انصرف. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ضعه فوضع الحطب فإذا أسود في جوف الحطب عاضّ على عود فقال: يا يهوديّ ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملاً إلاّ حطبي هذا حملته فجئت به وكان معي كعكتان فأكلت واحدة وتصدّقت بواحدة على مسكين. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بها دفع الله عنه، وقال: إنَّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان[1].

٦٨ - **كتاب زيد النرسيّ**، عن محمّد بن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: كانت الدنيا قطّ منذ كانت وليس في الأرض حجّة؟ قال: قد كانت الأرض وليس فيها رسولٌ ولا نبيّ ولا حجّة وذلك بين آدم ونوح في الفترة، ولو سألت هؤلاء عن هذا لقالوا: لن تخلو الأرض من الحجة - وكذبوا - إنما ذلك شيء بدا لله عزّ وجلّ فيه فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين، وقد كان بين عيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله فترة من الزمان لم يكن في الأرض نبيّ ولا رسولٌ ولا عالم فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بشيراً ونذيراً وداعياً إليه[2].

بيان: لعلّ المراد عدم الحجّة والعالم الظاهرين لتظافر الأخبار بعدم خلوّ الأرض من حجّة قطّ.

٦٩ - ومن كتاب المذكور عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بدا لله بداء أعظم من بداء بدا له في إسماعيل ابني[3].

٧٠ - كتاب حسين بن عثمان، عن سليمان الطلحيّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عمّا أخبرت به الرسل عن ربّها وأنهت ذلك إلى قومها أيكون لله البداء فيه؟ قال: أما إنّي لا أقول لك: إنّه يفعل، ولكن إن شاء فعل[4].

بسط كلام لرفع شكوك وأوهام: إعلم أنّ البداء[5] مما ظنَّ أنَّ الإماميّة قد تفرّدت به وقد

---

(١) فروع الكافي، ص ٣٠٠ أبواب الصدقة باب ٢ ح ٣.

(٢) - (٣) الأصول الستة عشر ص ٥٠. (٤) الأصول الستة عشر ص ١١٠.

(٥) أقول: إثبات البداء له تعالى شأنه كما هو مفاد الآيات والروايات المتواترات إثبات لبدء الخلق ونفي القدم والأزلية عن غيره تعالى، فهو ردّ لمقالة محققي البشر في معارفهم، وهي القول بكون النظام الكائن هو النظام الأتم الذي لا بدّ من تحققه وجوباً لكونه من لوازم ذات الحق تعالى شأنه، ولامتناع تخلفه عنه لامتناع تخلف المعلول عن علته التامّة، فأثبتوا بذلك في زعمهم أزليّة العالم وأبديّته مع أنّ هذا شرك بالأدلة الأربعة. وأثبتوا أيضاً مفاد مقالة اليهود وهي وجوب كون النظام على نهج ما قدّره في=

شنّع عليهم بذلك كثير من المخالفين، والأخبار في ثبوتها كثيرة مستفيضة من الجانبين كما عرفت، ولنشر إلى بعض ما قيل في تحقيق ذلك، ثمَّ إلى ما ظهر لي من الأخبار ممّا هو الحق في المقام.

اعلم أنّه لمّا كان البداء - ممدوداً - في اللّغة بمعنى ظهور رأي لم يكن - يقال: بدا الأمر بدوّاً: ظهر، وبدا له في هذا الأمر بداءاً أي نشأله فيه رأيٌ، كما ذكره الجوهريّ وغيره - فلذلك يشكل القول بذلك في جناب الحقّ تعالى، لاستلزامه حدوث علمه تعالى بشيء بعد جهله وهذا محال، ولهذا شنّع كثير من المخالفين على الإماميّة في ذلك نظراً إلى ظاهر اللّفظ من غير تحقيق لمرامهم حتى أنَّ الناصبيّ المتعصّب «الفخر الرازيّ» ذكر في خاتمة كتاب

= التقدير الأوّل، فلا يحدث فيه أمراً، ولا يزيد في الخلق شيئاً، ولا يجوز التغيير والتبديل فيه بوجه من الوجوه. توضيحه على نحو الإجمال: أنّ البداء لغة هو نشوء الرأي وظهوره الذي بمعنى الحدوث لا الظهور في مقابل الخفاء والجهل، ففي القاموس: بدأ له في الأمر بدءاً وبداء وبداءة نشأ له فيه رأي. ونحوه عن الصحاح، فالمراد كما يظهر من مجموع الروايات الواردة في تفسيره: أنّ له الرأي والأمر دائماً، فأصل الخلقة كان برأيه وأمره ومشيّته الحادثة من غير وجوب، وكذلك إبقاؤه وإغناؤه. ثمّ إنه تعالى عيّن ما أراد خلقه إلى يوم القيامة بمشيته وإرادته الغير الأزلية وتقديره وقضائه. وكتب جميع ذلك قبل الخلق، وجعل علم ذلك الكتاب عند رسوله وخلفائه. وحيث أنّ ذلك كله كان برأيه وأمره من غير وجوب يكون له الأمر والرأي في إنفاذ ما أراد وقدر وقضى، أو تغييره وتبديله ومحوه وإثباته على ما يشاء قبل كيانه الخارجي، ولذلك كان خلفاؤه يقولون: لولا آية في كتاب الله لأخبرناكم بما يكون إلى يوم القيامة وهي قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾. نعم، لو كان منشأ البداء والرأي، الجهل بعواقب الأمور كما هو الغالب في المخلوق كان ذلك نقصاً، وربنا العلي القدوس منزه عنه، ولذلك صرحوا بأن البداء ليس عن جهل ومن زعم ذلك فابرؤوا منه، بخلاف ما إذا كان لمصالح أخرى كإظهار كمال ذاته وأنه به يتم اطلاق فاعليته وقدرته، ولا يحتاج في فعله إلى علة بها تتم فاعليته، وإيضاح عدم انحصار طريق الصلاح عليه أيضاً لكون أفعاله بين العدل والفضل من غير تعين شيء منهما، فيعرف الخلق ذلك الكمال فيرجون رحمته وفضله، ويخافون عدله وعقابه، ولا يتخطوا عن سبيل طاعته، ويدعونه فيزيدهم من فضله، وغير ذلك من المصالح فلا محذور فيه، بل هو كمال لا بدّ من ثبوته له تعالى، فالبداء بمعنى الرأي والأمر والتغيير والتبديل والتقديم والتأخير ظهور لهذا الكمال ولا يلزم جهل أو تغيير في ذاته تعالى. فمن أراد مزيد بيان في ذلك فليراجع إلى ما حرره الأستاذ المحقق المدقق العالم بالعلوم الإلهية، والكامل بالمعارف الربانية محيي معالم الدين وماحي آثار المفسدين، وحيد عصره وفريد دهره آية الله العظمى مولانا آقا ميرزا مهدي إصفهاني زاد الله في علوّ درجاته وألحقنا الله به مع محمّد وآله الطيبين في الدرجات الرفيعة، فإنه قدّس سرّه أوضح ذلك كله مع سائر المعارف الإلهية في كتابه الشريف وجامعه المنيف الموسوم بمعارف القرآن وحقّ له ذلك الاسم، وفصّل لها الأدلة العقلية من الآيات المباركات والروايات المتواترات. [مستدرك السفينة ج ١ لغة «بدء»].

المحصّل حاكياً عن سليمان بن جرير أن الأئمّة الرافضة وضعوا القول بالبداء لشيعتهم فإذا قالوا: إنه سيكون لهم أمر وشوكة ثمّ لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا: بدا الله تعالى فيه، وأعجب منه أنّه أجاب المحقّق الطوسيّ رحمه الله في نقد المحصّل عن ذلك - لعدم إحاطته كثيراً بالأخبار -: بأنّهم لا يقولون بالبداء، وإنّما القول به ما كان إلا في رواية رووها عن جعفر الصادق عليه السلام أنّه جعل إسماعيل القائم مقامه بعده فظهر من إسماعيل ما لم يرتضه منه فجعل القائم مقامه موسى عليه السلام، فسئل عن ذلك فقال: بدا الله في إسماعيل، وهذه رواية وعندهم أنّ خبر الواحد لا يوجب علماً ولا عملاً انتهى.

فانظر إلى هذا المعاند كيف أعمت العصبيّة عينه حيث نسب إلى أئمّة الدين الّذين لم يختلف مخالف ولا مؤالف في فضلهم وعلمهم وورعهم وكونهم أتقى الناس وأعلاهم شأناً ورفعة الكذب والحيلة والخديعة، ولم يعلم أنّ مثل هذه الألفاظ المجازيّة الموهمة لبعض المعاني الباطلة قد وردت في القرآن الكريم وأخبار الطرفين كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾، و ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾، و ﴿لِنَعْلَمَ﴾، و ﴿يَدُ اللَّهِ﴾، و ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾، و ﴿جَنْبِ اللَّهِ﴾ إلى غير ذلك ممّا لا يحصى، وقد ورد في أخبارهم ما يدلّ على البداء بالمعنى الّذي قالت به الشيعة أكثر ممّا ورد في أخبارنا، كخبر دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله على اليهوديّ، وإخبار عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، وأنّ الصدقة والدعاء يغيّران القضاء وغير ذلك. وقال ابن الأثير في النهاية: في حديث الأقرع والأبرص والأعمى: بدا الله عزّ وجلّ أن يبتليهم أي قضى بذلك، وهو معنى البداء ههنا لأنّ القضاء سابق والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم، وذلك على الله غير جائز انتهى.

وقد دلّت الآية على الأجلين وفسّرهما أخيراً بما عرفت، وقد قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وقال هذا الناصبيّ في تفسيرها: في هذه الآية قولان:

الأول: أنّها عامّةٌ في كلّ شيء كما يقتضيه ظاهر اللّفظ قالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر، وهو مذهب عمرو بن مسعود، ورواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

والثاني: أنّها خاصّةٌ في بعض الأشياء دون البعض ففيها وجوه: الأوّل: أنّ المراد من المحو والإثبات نسخ الحكم المتقدّم وإثبات حكم آخر بدلاً عن الأوّل. الثاني: أنّه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيّئة، لأنّهم مأمورون بكتبة كلّ قول وفعل ويثبت غيره. الثالث: أنّه تعالى أراد بالمحو أنّ من أذنب أثبت ذلك الذنب في ديوانه، فإذا تاب عنه محا عن ديوانه. الرابع: يمحو الله ما يشاء وهو من جاء أجله، ويدع من لم يجئ أجله ويثبته. الخامس: أنّه تعالى يثبت في أوّل السنة فإذا مضت السنة محيت واثبت كتاب آخر للمستقبل. السادس: يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس. السابع: يمحو الدنيا ويثبت الآخرة. الثامن:

أنه في الأرزاق والمحن والمصائب يثبتها في الكتاب ثمّ يزيلها بالدعاء والصدقة، وفيه حثّ على الانقطاع إلى الله تعالى. التاسع: تغيّر أحوال العبد فما مضى منها فهو المحو، وما حضر وحصل فهو الإثبات. العاشر: يزيل ما يشاء من حكمه لا يطّلع على غيبه أحد فهو المتفرّد بالحكم كما يشاء، وهو المستقلّ بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والإغناء والإفقار بحيث لا يطّلع على تلك الغيوب أحد من خلقه.

واعلم أنّ هذا الباب فيه مجالٌ عظيمٌ فإن قال قائل: ألستم تزعمون أنّ المقادير سابقة قد جفّ بها القلم فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والإثبات؟ قلنا: ذلك المحو والإثبات أيضاً ممّا قد جفّ به القلم فلا يمحو إلاّ ما سبق في علمه وقضائه محوه، ثمّ قال: قالت الرافضة: البداء جائز على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئاً ثمّ يظهر له أنّ الأمر بخلاف ما اعتقده، وتمسّكوا فيه بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ انتهى كلامه لعنه الله[1].

ولا أدري من أين أخذ هذا القول الّذي افترى عليهم مع أنّ كتب الإماميّة المتقدّمين عليه كالصدوق والمفيد والشيخ والمرتضى وغيرهم رضوان الله عليهم مشحونة بالتبرّي عن ذلك، ولا يقولون إلاّ ببعض ما ذكره سابقاً أو بما هو أصوب منها كما ستعرف، والعجب أنّهم في أكثر الموارد ينسبون إلى الربّ تعالى ما لا يليق به، والإماميّة قدّس الله أسرارهم يبالغون في تنزيهه تعالى ويفحمونهم بالحجج البالغة، ولمّا لم يظفروا في عقائدهم بما يوجب نقصاً يباهتونهم ويفترون عليهم بأمثال تلك الأقاويل الفاسدة، وهل البهتان والافتراء إلا دأب العاجزين؟ ولو فرض أن بعضاً من الجهلة المنتحلين للتشيّع قال بذلك فالإماميّة يتبرّؤون منه ومن قوله كما يتبرّؤون من هذا الناصبيّ وأمثاله وأقاويلهم الفاسدة.

فأمّا ما قيل في توجيه البداء فقد عرفت ما ذكره الصدوق والشيخ قدّس الله روحهما في ذلك وقد قيل فيه وجوه أخر:

الأول: ما ذكره السيّد الداماد قدّس الله روحه في نبراس الضياء حيث قال: البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع، فما في الأمر التشريعيّ والأحكام التكليفيّة نسخ فهو في الأمر التكوينيّ والمكوّنات الزمانيّة بداء فالنسخ كأنّه بداء تشريعيّ، والبداء كأنّه نسخ تكوينيّ، ولا بداء في القضاء ولا بالنسبة إلى جناب القدس الحقّ، والمفارقات المحضة من ملائكته القدسيّة، وفي متن الدهر الّذي هو ظرف مطلق الحصول القارّ والثبات الباتّ ووعاء عالم الوجود كلّه، وإنّما البداء في القدر وفي امتداد الزمان الّذي هو أفق التقضّي والتجدّد، وظرف التدريج والتعاقب، وبالنسبة إلى الكائنات الزمانيّة ومن في عالم الزمان والمكان وإقليم المادّة والطبيعة، وكما حقيقة النسخ عند التحقيق انتهاء الحكم التشريعيّ وانقطاع استمراره لا رفعه وارتفاعه من وعاء الواقع فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ انبتات

(١) تفسير فخر الرازي: ج ١٩ ص ٦٦.

استمرار الأمر التكوينيّ، وانتهاء اتّصال الإفاضة، ومرجعه إلى تحديد زمان الكون وتخصيص وقت الإفاضة لا أنّه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه وبطلانه في حدّ حصوله. انتهى.

الثاني: ما ذكره بعض الأفاضل في شرحه على الكافي وتبعه غيره من معاصرينا، وهو أنّ القوى المنطبعة الفلكيّة لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة لعدم تناهي تلك الأمور بل إنّما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً وجملة فجملة، مع أسبابها وعللها على نهج مستمر ونظام مستقر فإنّ ما يحدث في عالم الكون والفساد فإنّما هو من لوازم حركات الأفلاك المسخّرة لله تعالى ونتائج بركاتها فهي تعلم أنّه كلّما كان كذا كان كذا، فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر ما في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه فينتقش فيها ذلك الحكم، وربّما تأخّر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقيّة الأسباب لولا ذلك السبب، ولم يحصل لها العلم بذلك بعد لعدم اطّلاعها على سبب ذلك السبب، ثمَّ لمّا جاء أوانه واطّلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأوّل فيمحى عنها نقش الحكم السابق ويثبت الحكم الآخر، مثلاً لمّا حصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا لأسباب تقتضي ذلك ولم يحصل لها العلم بتصدّقه الّذي سيأتي به قبل ذلك الوقت لعدم اطّلاعها على أسباب التصدُّق بعد ثمَّ علمت به وكان موته بتلك الأسباب مشروطاً بأن لا يتصدّق فتحكم أوّلاً بالموت وثانياً بالبرء، وإذا كانت الأسباب لوقوع أمر ولا وقوعه متكافئة ولم يحصل لها العلم برجحان أحدهما بعد لعدم مجيء أوان سبب ذلك الرجحان بعد كان لها التردّد في وقوع ذلك الأمر ولا قوعه فينتقش فيها الوقوع تارة واللاّوقوع أُخرى فهذا هو السبب في البداء والمحو والإثبات والتردّد وأمثال ذلك في أُمور العالم فإذا اتّصلت بتلك القوى نفس النبيّ أو الإمام عليهما الصلاة والسلام وقرأ فيها بعض تلك الأُمور فله أن يخبر بما رآه بعين قلبه، أو شاهده بنور بصيرته، أو سمع بأذن قلبه، وأمّا نسبة ذلك كلّه إلى الله تعالى فلأنّ كلّ ما يجري في العالم الملكوتيّ إنّما يجري بإرادة الله تعالى بل فعلهم بعينه فعل الله سبحانه حيث إنّهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون إذ لا داعي لهم على الفعل إلا إرادة الله عزّ وجلّ لاستهلاك إرادتهم في إرادته تعالى، ومثلهم كمثل الحواسّ للإنسان كلّما همَّ بأمر محسوس امتثلت الحواسّ لما همّ به فكلّ كتابة تكون في هذه الألواح والصحف فهو أيضاً مكتوب لله عزّ وجلّ بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأوّل فيصحّ أن يوصف الله عزّ وجلّ نفسه بأمثال ذلك بهذا الاعتبار، وإن كان مثل هذه الأُمور يشعر بالتغيّر والسنوح، وهو سبحانه منزّه عنه، فإنّ كلّ ما وجد فهو غير خارج عن عالم ربوبيّته.

الثالث: ما ذكره بعض المحقّقين حيث قال: تحقيق القول في البداء أنّ الأُمور كلّها عامّها وخاصّها، ومطلقها ومقيّدها، وناسخها ومنسوخها، ومفرداتها ومركّباتها، وإخباراتها وإنشاءاتها، بحيث لا يشذّ عنها شيء منتقشة في اللّوح، والفائض منه على الملائكة والنفوس

العلويّة والنفوس السفليّة قد يكون الأمر العامّ المطلق أو المنسوخ حسب ما تقتضيه الحكمة الكاملة من الفيضان في ذلك الوقت، ويتأخر المبيّن إلى وقت تقتضي الحكمة فيضانه فيه، وهذه النفوس العلويّة وما يشبهها يعبّر عنها بكتاب المحو والإثبات، والبداء عبارة عن هذا التغيير في ذلك الكتاب.

الرابع: ما ذكره السيّد المرتضى رضوان الله عليه في جواب مسائل أهل الري وهو أنّه قال: المراد بالبداء النسخ، وادّعى أنّه ليس بخارج عن معناه اللّغويّ.

أقول: هذا ما قيل في هذا الباب وقد قيل فيه وجوه أخر لا طائل في إيرادها، والوجوه الّتي أوردناها بعضها بمعزل عن معنى البداء وبينهما كما بين الأرض والسماء، وبعضها مبنيّة على مقدّمات لم تثبت في الدين بل ادّعى على خلافها إجماع المسلمين، وكلّها يشتمل على تأويل نصوص كثيرة بلا ضرورة تدعو إليه، وتفصيل القول في كلّ منها يفضي إلى الإطناب، ولنذكر ما ظهر لنا من الآيات والأخبار بحيث تدلّ عليه النصوص الصريحة وتأبى عنه العقول الصحيحة.

فنقول - وبالله التوفيق -: إنّهم عليهم السلام إنّما بالغوا في البداء ردّاً على اليهود الّذين يقولون: إنّ الله قد فرغ من الأمر وعلى النظام، وبعض المعتزلة الّذين يقولون: إنّ الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً، ولم يتقدّم خلق آدم على خلق أولاده، والتقدّم إنّما يقع في ظهورها لا في حدوثها ووجودها، وإنّما أخذوا هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة، وعلى بعض الفلاسفة القائلين بالعقول والنفوس الفلكيّة، وبأنّ الله تعالى لم يؤثر حقيقة إلا في العقل الأول فهم يعزلونه تعالى عن ملكه، وينسبون الحوادث إلى هؤلاء، فنفوا عليهم السلام ذلك وأثبتوا أنّه تعالى كلّ يوم في شأن من إعدام شيء وإحداث آخر، وإماتة شخص وإحياء آخر إلى غير ذلك، لئلاّ يترك العباد التضرّع إلى الله ومسألته وطاعته والتقرّب إليه بما يصلح أمور دنياهم وعقباهم، وليرجوا عند التصدّق على الفقراء وصلة الأرحام وبرّ الوالدين والمعروف والإحسان ما وعدوا عليها من طول العمر وزيادة الرزق وغير ذلك.

ثمّ اعلم أنّ الآيات والأخبار تدلّ على أنّ الله خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات:

أحدهما اللّوح المحفوظ الّذي لا تغيّر فيه أصلاً وهو مطابق لعلمه تعالى. والآخر لوح المحو والإثبات فيثبت فيه شيئاً ثمّ يمحوه لحكم كثيرة لا تخفى على أولي الألباب، مثلاً يكتب فيه أنّ عمر زيد خمسون سنة، ومعناه أنّ مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضي طوله أو قصره فإذا وصل الرحم مثلاً يمحى الخمسون ويكتب مكانه ستّون، وإذا قطعها يكتب مكانه أربعون، وفي اللّوح المحفوظ أنّه يصل وعمره ستّون كما أنّ الطبيب الحاذق إذا اطّلع على مزاج شخص يحكم بأنّ عمره بحسب هذا المزاج يكون ستّين سنة، فإذا

شرب سمّاً ومات أو قتله إنسان فنقص من ذلك، أو استعمل دواءاً قوي مزاجه به فزاد عليه لم يخالف قول الطبيب، والتغيير الواقع في هذا اللوح مسمّى بالبداء إمّا لأنّه مشبّه به كما في سائر ما يطلق عليه تعالى من الابتلاء والاستهزاء والسخرية وأمثالها، أو لأنّه يظهر للملائكة أو للخلق إذا أخبروا بالأوّل خلاف ما علموا أوّلاً، وأيّ استبعاد في تحقّق هذين اللّوحين وأيّة استحالة في هذا المحو والإثبات حتّى يحتاج إلى التأويل والتكلّف وإن لم تظهر الحكمة فيه لنا لعجز عقولنا عن الإحاطة بها مع أنّ الحكم فيه ظاهرة:

منها أن يظهر للملائكة الكاتبين في اللّوح والمطّلعين عليه لطفه تعالى بعباده وإيصالهم في الدنيا إلى ما يستحقّونه فيزدادوا به معرفة.

ومنها أن يعلم بإخبار الرسل والحجج عليهم الصلاة والسلام أنّ لأعمالهم الحسنة مثل هذه التأثيرات في صلاح أمورهم، ولأعمالهم السيّئة تأثيراً في فسادها فيكون داعياً لهم إلى الخيرات صارفاً لهم عن السيّئات فظهر أنّ لهذا اللّوح تقدُّماً على اللّوح المحفوظ من جهة لصيرورته سبباً لحصول بعض الأعمال فبذلك انتقش في اللّوح المحفوظ حصوله فلا يتوهّم أنّه بعدما كتب في هذا اللّوح حصوله لا فائدة في المحو والإثبات.

ومنها أنّه إذا أخبر الأنبياء والأوصياء أحياناً من كتاب المحو والإثبات ثمّ أخبروا بخلافه يلزمهم الإذعان به، ويكون ذلك تشديداً للتكليف عليهم، تسبيباً لمزيد الأجر لهم كما في سائر ما يبتلي الله عباده منه من التكاليف الشاقّة وإيراد الأمور الّتي تعجز أكثر العقول عن الإحاطة بها، وبها يمتاز المسلمون الّذين فازوا بدرجات اليقين عن الضعفاء الّذين ليس لهم قدم راسخ في الدين.

ومنها أن يكون هذه الأخبار تسلية من المؤمنين المنتظرين لفرج أولياء الله وغلبة الحقّ وأهله كما روى في قصّة نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام حين أخبر بهلاك القوم ثمّ أخّر ذلك مراراً، وكما روي في فرج أهل البيت عليهم السلام وغلبتهم، لأنّهم عليهم السلام لو كانوا أخبروا الشيعة في أوّل ابتلائهم باستيلاء المخالفين وشدّة محنتهم أنّه ليس فرجهم إلاّ بعد ألف سنة ليئسوا ورجعوا عن الدين. ولكنّهم أخبروا شيعتهم بتعجيل الفرج، وربّما أخبروهم بانّه يمكن أن يحصل الفرج في بعض الأزمنة القريبة ليثبتوا على الدين ويثابوا بانتظار الفرج كما مرّ في خبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وروى الكلينيّ عن محمّد بن يحيى، وأحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن السيّاريّ عن الحسن بن عليّ بن يقطين، عن أخيه الحسين، عن أبيه عليّ بن يقطين قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: الشيعة تربّى بالأمانيّ منذ مائتي سنة؛ قال: وقال يقطين لابنه عليّ بن يقطين: ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن؟ قال: فقال له عليٌّ: إنّ الّذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد غير أنّ أمركم حضر فاعطيتم محضة فكان كما قيل لكم، وأنّ أمرنا لم

يحضر فعلّلنا بالأمانيّ، فلو قيل لنا: إنّ هذا الأمر لا يكون إلاّ إلى مائتي سنة أو ثلاث مائة سنة لقست القلوب، ولرجع عامّة الناس عن الإسلام، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه تأليفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج[1]. وقوله: قيل لنا أي في خلافة العبّاسيّة - وكان من شيعتهم - أوفي دولة آل يقطين. وقيل لكم أي في أمر القائم وظهور فرج الشيعة.

وروى أيضاً عن الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الخزّاز، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعميّ، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت: لهذا الأمر وقت؟ فقال: كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، إن موسى - على نبينا وآله وعليه السلام - لما خرج وافداً إلى ربّه واعدهم ثلاثين يوماً فلما زاد الله إلى الثلاثين عشراً قال قومه: قد أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدّثناكم الحديث فجاء على ما حدّثناكم فقولوا: صدق الله، وإذا حدّثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدّثناكم به فقولوا: صدق الله تؤجروا مرتين[2].

وسيأتي كثير من الأخبار في ذلك في كتاب النبوّة لا سيّما في أبواب قصص نوح وموسى وشعيا على نبيّنا وآله وعليهم السلام، وسيأتي أيضاً في كتاب الغيبة، فإخبارهم عليهم السلام بما يظهر خلافه ظاهراً من قبيل المجملات والمتشابهات الّتي تصدر عنهم بمقتضى الحكم ثمّ يصدر عنهم بعد ذلك تفسيرها وبيانها، وقولهم: يقع الأمر الفلاني في وقت كذا معناه إن كان كذا، أو إن لم يقع الأمر الفلانيّ الّذي ينافيه، وإن لم يذكروا الشرط كما قالوا في النسخ قبل الفعل، وقد أوضحناه في باب ذبح إسماعيل على نبيّنا وآله وعليه السلام، فمعنى قولهم عليهم السلام: ما عبد الله بمثل البداء: أنّ الإيمان بالبداء من أعظم العبادات القلبيّة لصعوبته ومعارضته الوساوس الشيطانيّة فيه، ولكونه إقراراً بأنّ له الخلق والأمر، وهذا كمال التوحيد، أو المعنى أنّه من أعظم الأسباب والدواعي لعبادة الربّ تعالى كما عرفت. وكذا قولهم عليهم السلام: ما عظّم الله بمثل البداء يحتمل الوجهين وإن كان الأوّل فيه أظهر. وأمّا قول الصادق عليه السلام: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه فلما مر أيضاً من أنّ أكثر مصالح العباد موقوفة على القول بالبداء إذ لو اعتقدوا أنّ كلّ ما قدّر في الأزل فلا بدّ من وقوعه حتماً لما دعوا الله في شيء من مطالبهم، وما تضرّعوا إليه، وما استكانوا لديه، ولا خافوا منه ولا رجعوا إليه، إلى غير ذلك ممّا قد أومأنا إليه. وأمّا أنّ هذه الأمور من جملة الأسباب المقدّرة في الأزل أن يقع الأمر بها لا بدونها فممّا لا يصل إليه عقول أكثر الخلق فظهر أنّ هذا اللّوح وعلمهم بما يقع فيه من المحو والإثبات أصلح لهم من كل شيء.

---

(١) اصول الكافي، ص ٢١٨ باب كراهية التوقيت ح ٦ وفيه: فأعطيتم محضة. .

(٢) اصول الكافي، ص ٢١٨ باب كراهية التوقيت ح ٥.

بقي ههنا إشكال آخر وهو أنّه يظهر من كثير من الأخبار المتقدّمة أنّ البداء لا يقع فيما يصل علمه إلى الأنبياء والأئمّة عليهم الصلاة والسلام، ويظهر من كثير منها وقوع البداء فيما وصل إليهم أيضاً، ويمكن الجمع بينها بوجوه:

الأول: أن يكون المراد بالأخبار الأوّلة عدم وقوع البداء فيما وصل إليهم على سبيل التبليغ بأن يؤمروا بتبليغه ليكون إخبارهم بها من قبل أنفسهم لا على وجه التبليغ.

الثاني: أن يكون المراد بالأوّلة الوحي ويكون ما يخبرون به من جهة الإلهام واطّلاع نفوسهم على الصحف السماويّة، وهذا قريب من الأوّل.

الثالث: أن تكون الأوّلة محمولة على الغالب فلا ينافي ما وقع على سبيل الندرة.

الرابع: ما أشار إليه الشيخ قدس الله روحه من أن المراد بالأخبار الأوّلة عدم وصول الخبر إليهم وإخبارهم على سبيل الحتم فيكون إخبارهم على قسمين: أحدهما ما أُوحي إليهم أنّه من الأمور المحتومة فهم يخبرون كذلك ولا بداء فيه وثانيهما ما يوحى إليهم لا على هذا الوجه فهم يخبرون كذلك، وربّما أشعروا أيضاً باحتمال وقوع البداء فيه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد الإخبار بالسبعين: ويمحو الله ما يشاء وهذا وجه قريب.

الخامس: أن يكون المراد بالأخبار الأوّلة أنّهم لا يخبرون بشيء لا يظهر وجه الحكمة فيه على الخلق لئلا يوجب تكذيبهم، بل لو أخبروا بشيء من ذلك يظهر وجه الصدق فيما أخبروا به، كخبر عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، والنبيّ صلى الله عليه وآله حيث ظهرت الحيّة دالّة على صدق مقالهما. وسيأتي بعض القول في ذلك في باب ليلة القدر، وسيأتي بعض أخبار البداء في باب القضاء، وإيفاء حقّ الكلام في هذه المسألة يقتضي رسالة مفردة والله الموفق.

٤ - باب القدرة والإرادة

الآيات: البقرة «٢»: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٢٥٩».

آل عمران «٣»: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٢٩ و١٨٩».

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «١٦٥».

النساء «٤»: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ «٥٦».

وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ «١٣٣».

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ «١٤٩».

المائدة «٥»: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ «١».

التوبة «٩»: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ «٥٥».

هود «١١»: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٤».

إبراهيم «١٤»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ «١٩ و٢٠».

النحل «١٦»: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ «٤٠».

الكهف «١٨»: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ «٤٥».

الحج: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ «١٤». وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ «١٦».

النور «٢٤»: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٤٥».

الأحزاب «٣٣»: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ «١٧». وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ «٢٥» وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ «٢٧».

فاطر: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ «١٦ و١٧»، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ «٤٤».

يس «٣٦»: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ «٨١ و٨٢».

الفتح «٤٨»: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ «٢١».

القمر «٥٤»: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ «٥٠».

المعارج «٧٠»: ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ «٣٩-٤١».

الجن «٧٢»: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ «١٢».

١ - **يد، لي:** ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمّه، عن ابن محبوب، عن مقاتل بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا صعد موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام إلى الطور فناجى ربّه عزّ وجلّ، قال يا ربّ أرني خزائنك قال: يا موسى إنّما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون[1].

٢ - **ل:** ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن أحمد بن محمّد، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن حكم بن بهلول، عن إسماعيل بن همّام، عن ابن أُذينة، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس الهلاليّ قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول لأبي الطفيل عامر بن واثلة الكنانيّ: يا أبا الطفيل العلم علمان: علم لا يسع الناس إلاّ النظر فيه وهو صبغة الإسلام، وعلم يسع الناس ترك النظر فيه وهو قدرة الله عزّ وجلّ[2].

بيان: صبغة الإسلام هي العلوم الّتي يوجب العلم بها الدخول في دين الإسلام والتلوّن

---

(١) التوحيد، ص ١٣٣ باب ٩ ح ١٧.
(٢) الخصال، ص ٤١ باب ٢ ح ٣٠.

بلونه من توحيد الواجب تعالى، وتنزيهه عن النقائص وسائر ما يعدُّ من أصول المذهب. وأمّا قوله: وهو قدرة الله تعالى فلعلّ المراد بها التفكّر في قضاء الله وقدره كما نهي في أخبار أخر عن التفكّر فيها، ويحتمل أن يكون المراد التفكّر في كيفيّة القدرة، ويشكل بأنّ التفكّر في كيفيّة سائر الصفات منهيٌّ عنه فلا يختصّ بالقدرة.

٣ - ن: السنانيّ، عن محمّد الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن محمّد ابن عيسى، عن محمّد بن عرفة قال: قلت للرضا عليه السلام : خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغير القدرة؟ فقال عليه السلام : لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنّك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدرة فكأنّك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلةً له بها خلق الأشياء وهذا شرك؛ وإذا قلت: خلق الأشياء بقدرة فإنّما تصفه أنّه جعلها باقتدار عليها وقدرة؛ ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره بل هو سبحانه قادر لذاته لا بالقدرة[(١)].

يد: الدقّاق، عن أبي القاسم العلويّ، عن البرمكيّ مثله إلى قوله: إلى غيره. ثمّ قال الصدوق رحمه الله : إذا قلنا: إنّ الله لم يزل قادراً فإنّما نريد بذلك نفي العجز عنه، ولا نريد إثبات شيء معه لأنّه عزّ وجلّ لم يزل واحداً لا شيء معه[(٢)].

٤ - يد، ن: ابن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام : أخبرني عن الإرادة من الله عزّ وجلّ ومن الخلق فقال: الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنّه لا يروّي ولا يهمّ ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّة عنه، وهي من صفات الخلق فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك، يقول له: كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر، ولا كيف لذلك كما أنّه بلا كيف[(٣)].

ما: المفيد، عن ابن قولويه، عن الكلينيّ، عن أحمد بن إدريس مثله[(٤)].

بيان: اعلم أنّ إرادة الله تعالى كما ذهب إليه أكثر متكلّمي الإماميّة هي العلم بالخير والنفع

---

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٨ باب ١١ ح ٧.

(٢) التوحيد، ص ١٣٠ باب ٩ ح ١٢.

(٣) التوحيد، ص ١٤٧ باب ١١ ح ١٧ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٩ باب ١١ ح ١١.

والمراد بالارادة المحدثة أنّ الإرادة مخصّصة أحد الطرفين، فإنّ العلم والقدرة على الطرفين سواء، وما به يرجّح ويختار أحدهما هو الإرادة والمشيّة المخصّصة لأحد الطرفين، وهي لا يكون مثل العلم والقدرة بل تتحقق بالعلم والقدرة فقط، ولا يحتاج الغنيّ بذاته فيها إلى أمر خارج زائد على ذاته القدّوس السبّوح القادر بالقدرة الغير المتناهية. [مستدرك السفينة ج ٤ لغة «رود»].

(٤) أمالي الطوسي ص ٢١١ مجلس ٨ ح ٣٦٥.

وما هو الأصلح، ولا يثبتون فيه تعالى وراء العلم شيئاً[1]، ولعلّ المراد بهذا الخبر وأمثاله من

---

(١) الكلام في أنّ إرادة الله تبارك وتعالى ومشيّته من صفات الفعل لا من صفات الذات وأنها ليست كالعلم والقدرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، وقال: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، وقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾، وقال: ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وقال: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ الآية، وقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾، وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ﴾، وقال: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ إلى غير ذلك من الآيات المباركات. وواضح أنه لا يصحّ وضع كلمة العلم والقدرة مكان الإرادة في هذه الآيات، فهذا دليل واضح على الفرق كما نبّه عليه الرضا عليه السلام.
فلا يصحّ أن يقال: أنّ الله يحكم ما يعلم ويقدر، ولا يصحّ أن يقال: إنما قولنا لشيء إذا علمناه وقدرناه، وإن الله يهدي من يعلم ويقدر، وإن علم وقدر بكم سوءاً، وإذا علم الله وقدر بكم سوءاً، وإذا علمنا وقدرنا أن نهلك قرية، وما الله يعلم ويقدر ظلماً وهكذا، والكلّ بديهيّ الفساد. فهذه حجّة إلهيّة على أنّ الإرادة من صفات الفعل كالتكلم والخلق والرزق وغيرها، وليست من صفات الذات فتكون كالعلم والقدرة. وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو تعالى يعلم ويقدر على الإذهاب والإتيان وكيفيته ولا يشاء ذلك، فهذا دليل الفرق حيث تحقق العلم والقدرة من دون المشيّة. وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ﴾ الآية، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾. ومن الواضحات أنه لا يصحّ أن يقال: ولو علم الله وقدر لذهب بسمعهم، وما فعلوه ولآمن من في الأرض، ولجعل الناس أمّة واحدة، ولهداكم ولرفعه، فهذا دليل الفرق. وقال تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وواضح تحقق العلم والقدرة على الإذهاب وخصوصياته ولا يشاؤه أبداً وله العلم والقدرة على التقديريات والقبائح والممتنعات من دون تحقق المشيئة والإرادة.
وهكذا الكلام في قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾، وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، وقوله في حق أهل جهنم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾، وقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ الآية، وقوله ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، وقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ الآية. فإن له العلم والقدرة على جزاء الشرط في هذه الآيات ولا إرادة ولا مشية له فيه. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾، وقال ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾، وقال: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾، و﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، ﴿يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾، ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾، ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾، و﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾، و﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، و﴿يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وفي كل ذلك لا يصحّ أن يقال: يغفر لمن يعلم ويقدر، ويعذب ويزكي ويفعل ويرحم ويتوب ويبسط ويفعل ويرحم ويتوب ويبسط ويفعل ويهدي وينصر من يعلم ويقدر. فهذا برهان واضح على أن المشية ليست=

الأخبار الدالّة على حدوث الإرادة هو أنّه يكون في الإنسان قبل حدوث الفعل اعتقاد النفع فيه، ثمّ الرويّة، ثمّ الهمّة، ثمّ انبعاث الشوق منه، ثمّ تأكّده إلى أن يصير إجماعاً باعثاً على الفعل، وذلك كلّه إرادة فينا متوسّطة بين ذاتنا وبين الفعل، وليس فيه تعالى بعد العلم القديم بالمصلحة من الأُمور المقارنة للفعل سوى الإحداث والإيجاد، فالإحداث في الوقت الّذي تقتضي المصلحة صدور الفعل فيه قائم مقام ما يحدث من الأُمور في غيره تعالى، فالمعنى أنّه ذاته تعالى بصفاته الذاتيّة الكماليّة كافية في حدوث الحادث، من غير حاجة إلى حدوث أمر في ذاته عند حدوث الفعل.

قال بعض المحقّقين في شرح هذا الخبر: الظاهر أنّ المراد بالإرادة مخصّص أحد الطرفين وما به يرجّح القادر أحد مقدوريه على الآخر لا ما يطلق في مقابل الكراهة، كما يقال: يريد الصلاح والطاعة، ويكره الفساد والمعصية. وحاصل الجواب أنّ الارادة من الخلق الضمير أي أمر يدخل خواطرهم وأذهانهم ويوجد في نفوسهم ويحلُّ فيها بعدما لم يكن فيها وكانت هي خالية عنه.

وقوله: وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل يحتمل أن يكون جملة معطوفة على الجملة السابقة والظرف خبراً للموصول، ويحتمل أن يكون الموصول معطوفاً على قوله: «الضمير» ويكون قوله: «من الفعل» بياناً للموصول، والمعنى على الأوّل أنّ الإرادة من الخلق الضمير، والّذي يكون لهم بعد ذلك من الفعل لا من إرادتهم، وعلى الثاني أنّ إرادتهم مجموع ضمير يحصل في قلبهم، وما يكون لهم من الفعل المترتّب عليه، فالمقصود هنا من الفعل ما يشمل الشوق إلى المراد وما يتبعه من التحريك إليه والحركة، وأمّا الإرادة من الله فيستحيل أن يكون كذلك، فإنّه يتعالى أن يقبل شيئاً زائداً على ذاته بل إرادته المرجّحة للمراد من مراتب الإحداث لا غير ذلك إذ ليس في الغائب إلاّ ذاته الأحديّة ولا يتصوّر هناك كثرة المعاني ولا له بعد ذاته وما لذاته بذاته إلاّ ما ينسب إلى الفعل فإرادة الله سبحانه من مراتب الفعل المنسوب إليه لا غير ذلك.

= من صفات الذات كالعلم والقدرة بل تكون من صفات الفعل كالمتكلم والخالق والرازق والمريد والمحيي والمميت والحاكم والمنجي والمعيد والمعطي والمغني وغيرها. وقد عقد الكليني في الكافي، كتاب التوحيد باباً لذلك وقال: باب الإرادة أنها من صفات الفعل وذكر سبع روايات لذلك، ثم استدل على ذلك. والقول بالإرادة الأزلية وأنها كالعلم والقدرة نشأ في أهل الإسلام من الفلاسفة قبل الإسلام، منهم انبذقلس، وهو من أعاظمهم وكان في سنة ٤٣٧٥ بعد الهبوط، ألف ومأتين سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام كما نقله في الملل والنحل وطرائق الحقائق والناسخ. ومنهم ثاليس كان قائلاً بالإرادة الأزلية وكان في سنة ٥٠٥٦ بعد الهبوط وكان قبل الميلاد بأزيد من خمسمائة عام كما نقله في الناسخ. [مستدرك السفينة ج ٤ لغة «رود»].

أقول: ويحتمل على الاحتمال الأوّل أن يكون المراد بالضمير تصوُّر الفعل، وبما يبدو لهم بعد ذلك اعتقاد النفع والشوق وغير ذلك، فقوله: «من الفعل» أي من أسباب الفعل، وقوله عليه السلام: «ولا كيف لذلك» أي لا صفة حقيقيّة لقوله ذلك وإرادته كما أنه لا كيف لذاته ولا يعرف كيفيّة إرادته على الحقيقة كما لا يعرف كيفيّة ذاته وصفاته بالكنه.

وقال الشيخ المفيد قدّس الله روحه: إنَّ الإرادة من الله جلَّ اسمه نفس الفعل، ومن الخلق الضمير وأشباهه ممّا لا يجوز إلاّ على ذوي الحاجة والنقص، وذلك لأنَّ العقول شاهدةٌ بأنَّ القصد لا يكون إلا بقلب كما لا تكون الشهوة والمحبّة إلا لذي قلب، ولا تصحّ النيّة والضمير والعزم إلا على ذي خاطر يضطرّ معها في الفعل الّذي يغلب عليه إلى الإرادة له والنيّة فيه والعزم، ولمّا كان الله تعالى يجلُّ عن الحاجات ويستحيل عليه الوصف بالجوارح والأدوات ولا يجوز عليه الدواعي والخطرات بطل أن يكون محتاجاً في الأفعال إلى القصود والعزمات، وثبت أنَّ وصفه بالإرادة مخالفٌ في معناه لوصف العباد، وأنّها نفس فعله الأشياء، وبذلك جاء الخبر عن أئمّة الهدى. ثمَّ أورد هذه الرواية.

ثمَّ قال: هذا نصّ على اختياري في الإرادة، وفيه نصّ على مذهب لي آخر، وهو أنَّ إرادة العبد تكون قبل فعله، وإلى هذا ذهب البلخيّ، والقول في تقدّم الإرادة للمراد كالقول في تقدّم القدرة للفعل، وقوله عليه السلام: «إن الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد الفعل» صريح في وجوب تقدمها للفعل إذ كان الفعل يبدو من العبد بعدها، ولو كان الأمر فيها على مذهب الجبائيّ لكان الفعل بادئاً في حالها ولم يتأخر بدوّه إلى الحال الّتي هي بعد حالها.

٥ - **يد:** في خبر الفتح بن يزيد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت الله نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك إذ لو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيئتهما مشيئة الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله عزّ وجلّ [(١)]. والخبر بإسناده أوردناه في باب جوامع التوحيد.

بيان: قوله عليه السلام: وهو شاء ذلك، قيل: أي علم ذلك، والأظهر أن يقال: إنّه لمّا لم يصرفهما عن إرادتهما وكلهما إلى اختيارهما للمصالح العظيمة فكأنّه شاء ذلك. وسيأتي القول في ذلك في كتاب العدل إن شاء الله.

٦ - **يد:** الفاميّ، عن محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، ومن أنكر قدرته فهو كافر[(٢)].

---

(١) التوحيد، ص ٦٤ باب ٢ ح ١٨.
(٢) التوحيد، ص ٧٦ باب ٢ ح ٣١.

٧ - **يد:** ابن المتوكّل، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن أبي إسحاق، عن عدّة من أصحابنا أنَّ عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم فقال له: ألك رب؟ فقال: بلى، قال: قادرٌ؟ قال: نعم قادرٌ قاهرٌ، قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلّها في البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ فقال هشام: النظرة فقال له: قد أنظرتك حولاً، ثمّ خرج عنه فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له فقال: يا ابن رسول الله أتاني عبد الله الديصانيّ بمسألة ليس المعوّل فيها إلا على الله وعليك. فقال له أبو عبد الله عليه السلام : عمّاذا سألك؟ فقال: قال لي: كيت وكيت. فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا هشام كم حواسّك؟ قال: خمس. فقال: أيّها أصغر؟ فقال: الناظر قال: وكم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقلّ منها فقال: يا هشام فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى فقال: أرى سماءاً وأرضاً ودوراً وقصوراً وتراباً وجبالاً وأنهاراً. فقال له أبو عبد الله عليه السلام : إنَّ الّذي قدر أن يدخل الّذي تراه العدسة أو أقلّ منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة، فانكب هشام عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه وقال: حسبي يا ابن رسول الله فانصرف إلى منزله، وغدا عليه الديصاني فقال له: يا هشام إنّي جئتك مسلّماً، ولم أجئك متقاضياً للجواب، فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب، فخرج عنه الديصانيّ، فأخبر أنَّ هشاماً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فعلّمه الجواب، فمضى عبد الله الديصانيّ حتّى أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فلمّا قعد قال له: يا جعفر بن محمّد دلّني على معبودي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ما اسمك؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه، فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟ قال: لو كنت قلت له: عبد الله كان يقول: من هذا الّذي أنت له عبد! فقالوا له: عد إليه فقل له يدلّك على معبودك ولا يسألك عن اسمك فرجع إليه فقال له: يا جعفر دلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي فقال له أبو عبد الله عليه السلام : اجلس - وإذا غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها - فقال أبو عبد الله عليه السلام : ناولني يا غلام البيضة فناوله إيّاها فقال له أبو عبد الله عليه السلام : يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلدٌ غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهب المائعة هي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا تدري للذكر خلقت أم للأنثى يتفلّق عن مثل ألوان الطواويس أترى لها مدبّراً؟ قال: فأطرق مليّاً ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك إمام وحجّة من الله على خلقه، وأنا تائب ممّا كنت فيه[1].

بيان: يمكن أن يؤوّل هذا الخبر بوجوه:

---

(١) التوحيد، ص ١٢٢ باب ٩ ح ١.

الأوّل: - أن يكون غرض السائل أنّه هل يجوز أن يحصل كبير في صغير بنحو من أنحاء التحقّق، فأجاب عليه السلام بأنّ له نحواً من التحقّق، وهو دخول الصورة المحسوسة المتقدّرة بالمقدار الكبير بنحو الوجود الظلّي في الحاسّة أي مادّتها الموصوفة بالمقدار الصغير، والقرينة على أنّه كان مراده المعنى الأعمّ أنه قنع بالجواب، ولم يراجع فيه باعتراض.

الثاني: أن يكون المعنى أنّ الذي يقدر على أن يدخل ما تراه العدسة لا يصحّ أن ينسب إلى العجز، ولا يتوهّم فيه أنّه غير قادر على شيء أصلاً، وعدم قدرته على ما ذكرت ليس من تلقاء قدرته لقصور فيها بل إنّما ذلك من نقصان ما فرضته، حيث إنّه محالٌ ليس له حظٌّ من الشيئيّة والإمكان فالغرض من ذكر ذلك بيان كمال قدرته تعالى حتّى لا يتوهّم فيه عجز.

الثالث: أنَّ المعنى أنَّ ما ذكرت محال وما يتصوّر من ذلك إنّما هو بحسب الوجود الانطباعيّ وقد فعله فما كان من السؤال له محمل ممكن فهو تعالى قادر عليه، وما أردت من ظاهره فهو محال لا يصلح لتعلّق القدرة به.

الرابع - وهو الاظهر -: أنّ السائل لمّا كان قاصراً عن فهم ما هو الحقّ معانداً فلو أجاب عليه السلام صريحاً بعدم تعلّق القدرة به لتشبّث بذلك ولجّ وعاند، فأجاب عليه السلام بجواب متشابه له وجهان لعلمه عليه السلام بأنّه لا يفرّق بين الوجود العينيّ والانطباعيّ، ولذا قنع بذلك ورجع، كما أنّه عليه السلام لمّا علم أنّه عاجز عن الجواب عن سؤال الاسم أورده عليه إفحاماً له، وإظهاراً لعجزه عن فهم الأمور الظاهرة، ولمّا كان السائلون في الأخبار الأُخر الآتية قابلين لفهم الحقّ غير معاندين أجابوهم بما هو الحقّ الصريح. ثمّ اعلم أنّه على التقادير كلّها يدلّ على أنَّ الإبصار بالانطباع، وإن كان فيما سوى الثاني أظهر، وعلى الرابع يحتمل أيضاً أن يكون إقناعيّاً مبنيّاً على المقدّمة المشهورة لدى الجمهور أنَّ الرؤية بدخول المرئيّات في العضو البصريّ، فلا ينافي كون الإبصار حقيقة بخروج الشعاع.

٨ - يد: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن ابن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعيّ بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ الله عزّ وجلّ لا يوصف، قال: وقال زرارة: قال أبو جعفر عليه السلام: إنَّ الله عزّ وجلّ لا يوصف بعجز وكيف يوصف وقد قال في كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾؟ فلا يوصف بقدرة إلا كان أعظم من ذلك[1].

٩ - يد: العطّار، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبليس قال لعيسى بن مريم: أيقدر ربّك على أن يدخل الأرض بيضةً لا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة؟ فقال عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: ويلك إنَّ الله لا يوصف بعجز، ومن أقدر ممّن يلطّف الأرض ويعظّم البيضة[2].

(١) - (٢) التوحيد، ص ١٢٧ باب ٩ ح ٥ و٦.

١٠ - يد: ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن عليّ بن أبي أيّوب المدنيّ، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربّك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون[1].

١١ - يد: ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمّه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة؟ فقال له: ويلك إنّ الله لا يوصف بالعجز ومن أقدر ممّن يلطّف الارض ويعظّم البيضة؟[2].

١٢ - يد: ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه أحمد، عن البزنطيّ قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال: هل يقدر ربّك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في بيضة؟ قال: نعم وفي أصغر من البيضة، وقد جعلها في عينك وهي أقلّ من البيضة، لأنّك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما، ولو شاء لأعماك عنها[3].

١٣ - يد: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن البزنطيّ قال: جاء قوم من وراء النهر إلى أبي الحسن عليه السلام فقالوا له: جئناك نسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبتنا فيها علمنا أنّك عالم، فقال: سلوا. فقالوا: أخبرنا عن الله أين كان، وكيف كان، وعلى أي شيء كان اعتماده؟ فقال: إن الله عزّ وجلّ كيّف الكيف فهو بلا كيف، وأيّن الأين فهو بلا أين، وكان اعتماده على قدرته فقالوا: نشهد أنّك عالم[4].

قال الصدوق رحمه الله: يعني بقوله: «وكان اعتماده على قدرته» أي على ذاته لأنّ القدرة من صفات ذات الله عزّ وجلّ. ثمّ قال الصدوق رحمه الله: من الدليل على أنّ الله قادر أنّ العالم لمّا ثبت أنّه صنع لصانع، ولم نجد أن يصنع الشيء من ليس بقادر عليه بدلالة أن المقعد لا يقع منه المشي، والعاجز لا يتأتى له الفعل صح أن الذي صنعه قادر، ولو جاز غير ذلك لجاز منا الطيران مع فقد ما يكون به من الآلة، ولصحّ لنا الإدراك وإن عدمنا الحاسّة فلما كان إجازة هذا خروجاً عن المعقول كان الأوّل مثله[5].

١٤ - يد: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المشيئة محدثة[6].

١٥ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن ابن أبان، عن بكر بن صالح عن ابن

(١) التوحيد، ص ١٣٠ باب ٩ ح ٩.
(٢) - (٣) التوحيد، ص ١٣٠ باب ٩ ح ١٠ و١١.
(٤) التوحيد، ص ١٢٥ باب ٩ ح ٣.
(٥) التوحيد، ص ١٣٣ باب ٩ ح ١٧.
(٦) التوحيد، ص ١٤٧ باب ١١ ح ١٨.

أسباط، عن الحسن بن الجهم، عن بكر بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: علم الله ومشيئته هما مختلفان أم متّفقان؟ فقال: العلم ليس هو المشيئة ألا ترى أنك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله، ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله، فقولك: إن شاء الله دليل على أنه لم يشأ، فإذا شاء، كان الّذي شاء كما شاء وعلم الله سابق للمشيئة[1].

بيان: لعلّ المراد المشيئة المتأخرة عن العلم الحادثة عند حدوث المعلوم، وقد عرفت أنّه في الله تعالى ليس سوى الإيجاد، ومغايرته للعلم ظاهر. ويحتمل أن يكون المقصود بيان عدم اتّحاد مفهوميهما، إذ ليست الإرادة مطلق العلم إذ العلم يتعلّق بكل شيء بل هي العلم بكونه خيراً وصلاحاً ونافعاً، ولا تتعلق إلا بما هو كذلك، وفرق آخر بينهما وهو أنّ علمه تعالى بشيء لا يستدعي حصوله بخلاف علمه به على النحو الخاصّ فالسبق على هذا يكون محمولاً على السبق الذاتيّ الذي يكون للعامّ على الخاصّ، والأوّل أظهر كما عرفت.

١٦ - **يد:** ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن ابن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لم يزل الله مريداً؟ فقال: إنّ المريد لا يكون إلا لمراد معه بل لم يزل عالماً قادراً ثمّ أراد[2].

بيان: لمّا عرفت أنّ الإرادة المقارنة للفعل ليس فيه تعالى إلاّ نفس الإيجاد فهي حادثة، والعلم أزليّ، وقال بعض المحقّقين: أي لا يكون المريد بحال إلا حال كون المراد معه، ولا يكون مفارقاً من المراد، وحاصله أنّ ذاته تعالى مناطٌ لعلمه وقدرته أي صحّة الصدور واللاّصدور، بأن يريد فيفعل وأن لا يريد فيترك، فهو بذاته مناط لصحّة الإرادة وصحّة عدمها فلا يكون بذاته مناطاً للإرادة وعدمها بل المناط فيها الذات مع حال المراد فالإرادة أي المخصصة لأحد الطرفين لم يكن من صفات الذات فهو بذاته عالمٌ قادر مناط لهما، وليس بذاته مريداً مناطاً لها، بل بمدخليّة مغاير متأخر عن الذات، وهذا معنى قوله: لم يزل عالماً قادراً ثمّ أراد.

١٧ - **كتاب زيد النرسيّ:** قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان الله وهو لا يريد بلا عدد أكثر ممّا كان مريداً[3].

١٨ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن اليقطينيّ، عن الجعفري قال: قال الرضا عليه السلام: المشيئة من صفات الأفعال فمن زعم أنّ الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحّد[4].

---

(١) التوحيد، ص ١٤٦ باب ١١ ح ١٦. (٢) التوحيد، ص ١٤٦ باب ١١ ح ١٥.

(٣) الأصول الستة عشر ص ٥٥.

(٤) التوحيد، ص ٣٣٧ باب ٥٥ ح ٥. فلنصرف الكلام إلى البحث في أنّ مشيّته تبارك وتعالى وإرادته من صفات الذات فيكون مثل العلم والقدرة، أو أنهما من صفات أفعاله تعالى محدثتان كالخالقيّة =

١٩ - يد: ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن موسى بن عمر، عن ابن

= والرازقيّة. فنقول وبالله سبحانه التوفيق: مقتضى المعارف الحقة الإلهيّة أنّ مشيّته تعالى وإرادته من صفات الفعل، لا من صفات الذات فلا يكون مثل العلم والقدرة، فهو تعالى لم يزل عالماً قادراً، ولا يجوز أن يقال: إنّه تعالى لم يزل شائياً مريداً، فإنّه قال الرضا صلوات الله وسلامه عليه: المشيّة والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أنّ الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد؛ ونزيدك عليه من الآيات: قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ فيدلّ على أنه تعالى إن لم يشأ لم يذهب والقدرة والعلم على الاذهاب وعدمه متساوية وهما ثابتان للذات والاذهاب معلق على المشيّة. فنقول: إن شاء أذهب ولا يصحّ أن يقال: إن علم وقدر أذهب، فهذا دليل الفرق كما هو واضح. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾. وقال تعالى: و﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ الآية؛ إلى غير ذلك من الآيات الشريفة. وصريح هذه الآيات أن الطمس والمسخ والهداية والإراءة والإذهاب والتسليط ودخول المسجد الحرام والرفع والانزال والإيمان كلها مشروط على مشيته تبارك وتعالى، ولا يتحقق المشروط إلا عند شرطه، فإن شاء يتحقق وإلا فلا. فالشرط في ذلك كله هو المشية والإرادة لا العلم والقدرة والحياة مثلاً والعلم والقدرة ثابتان قبل المشيئة ونسبة العلم والقدرة إلى هذه الأفعال ونقايضها متساوية. فبمشيته تعالى يختار هذه الأفعال مثلاً، وإن لم يشأ لم يختر، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فإن الحيّ القيوم له العلم والقدرة على إذهاب ما أوحى وكيفية الإذهاب وعدمه، فالعلم والقدرة ثابتان على شيء لا يكون أبداً، فهو العالم بما كان وما يكون وما لا يكون كما هو صريح الروايات المباركات. وبعبارة أخرى نقول: هو تعالى إن شاء طمس ومسخ وهدى وأرى وأذهب وسلط ورفع وأنزل وهكذا، ولا يصح أن نقول: هو تعالى إن علم وقدر طمس ومسخ وهدى وأرى وأذهب وسلط وهكذا، فهذا دليل واضح على الفرق. وأيضاً يصحّ أن يقال: إن الله بكل شيء عليم قدير، ولا يصح أن يقال: إن الله ما شاء مريد لكل شيء كما هو واضح.
فيقال المشية والشيء بالمعنى المصدري فعل الله تعالى، وبالمعنى الإسم المصدري الحاصل من المصدر الكائنات المكونة بالمشيّة، فالأول سبب وعلة للثاني، فإطلاق اسم السبب على المسبّب كإطلاق الخلق على المخلوق. وبالجملة تحقق الثاني لا يمكن إلا بالأول. وبعبارة أخرى واقعية الأشياء وحقيقتها ليست إلا التحقق بالمشيّة، فمشيىء الشيء ومنشئه هو الله تعالى بمشيته التي ليست إلا بكمال ذاته القدوس، ولا يؤثر فيه شيء، فمما ذكرنا ظهر معنى الحديث الشريف: خلق الله الأشياء بالمشيّة وخلق المشيّة بنفسها، يعني خلق الله الأشياء - جمع الشيء بمعنى اسم المصدر - بالمشيّة، والمشيّة بالمعنى المصدري فعل الله محدثة ليست بقديم وهي مجعولة بنفسها ليس لتحققها مشية أخرى إذاً لتسلسلت فيكون مخلوقية المشيّة بنفس ذاته القدوس وبكمال ذاته الأعلى، لا مدخليّة لتحققها أمر آخر غير الرّب تعالى وتقدّس. وحيث أنّ العلم والقدرة على الواقعية واللاواقعية سواء ولا حدّ ولا =

سنان، عن أبي سعيد القمّاط قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة(١).

٢٠ - يد: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة(٢).

بيان: هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار يحتمل وجوهاً من التأويل:

الأوّل: أن لا يكون المراد بالمشيئة الإرادة بل إحدى مراتب التقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء كالتقدير في اللّوح مثلاً والإثبات فيه، فإنّ اللّوح وما أثبت فيه لم يحصل بتقدير آخر في لوح سوى ذلك اللّوح، وإنّما وجد سائر الأشياء بما قدّر في ذلك اللّوح، وربّما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار كما سيأتي في كتاب العدل، وعلى هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير.

الثاني: أن يكون خلق المشيئة بنفسها كناية عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقّفة على تعلّق إرادةٍ أخرى بها فيكون نسبة الخلق إليها مجازاً عن تحقّقها بنفسها منتزعة عن ذاته تعالى بلا توقّف على مشيئة أُخرى، أو أنّه كناية عن أنّه اقتضى علمه الكامل وحكمته الشاملة كون جميع الأشياء حاصلة بالعلم بالأصلح فالمعنى أنّه لمّا اقتضى كمال ذاته أن لا يصدر عنه شيء إلا على الوجه الأصلح والأكمل فلذا لا يصدر شيء عنه تعالى إلا بإرادته المقتضية لذلك.

الثالث: ما ذكره السيّد الداماد قدّس الله روحه أنّ المراد بالمشيئة هنا مشيئة العباد لأفعالهم الاختياريّة لتقدّسه سبحانه عن مشيئة مخلوقة زائدة على ذاته عزّ وجلّ ، وبالأشياء

= تعيّن ولا حصر بنظام خاص، بل له العلم والقدرة على النظامات الغير المتناهية بالأطوار الغير المتناهية والتقديريات والقبايح، مثلاً يعلم كيف يظلم إن أراد الظلم ويقدر عليه لكن لا يريد ظلماً أبداً ولهذا يحمد، فلا يمكن تحقق نظام إلا بالرأي والمشيّة وهو المخصّص لطرفي الفعل والترك، فلا بدّ من المشيّة فلو فرض كون المشيّة والإرادة من صفات الذات يلزم الشرك لأنّ المشيّة والإرادة لا تنفكان عن المشاء والمراد فيكون معه مراداً ومشاءاً لم يزل كما نبّه عليه الإمام الصادق عليه السلام فظهر بحمد الله تعالى أنّ المشية محدثة كما قاله الإمام الصادق عليه السلام في الصحيح المروي في كا ويد وسن. وفي الكافي والتوحيد عن بكير بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : علم الله ومشيّته هما مختلفان أو متفقان؟ فقال عليه السلام : العلم ليس هو المشيّة ألا ترى أنك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله فقولك إن شاء الله دليل على أنه لم يشأ فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء، وعلم الله سابق المشيّة. وغير ذلك من الروايات. وآية انفكاك المشيّة عن العلم إنا نجد من أنفسنا العلم والقدرة على أشياء وأمور لا نشائها ولا نريدها، مثلاً لنا العلم والقدرة على قطع العبادة وقاطعها ولا نشائه ولا نريده، ولنا العلم والقدرة على الكفر والريب والشك في الله وكذا الرياء في العبادة ولا نشاء شيئاً من ذلك إن شاء الله تعالى كما لا يخفى. فثبت أنّ المشيّة محدثة كما عليه صريح الروايات الصحيحة. [مستدرك السفينة ج٦ لغة «شيأ»].

(١) التوحيد، ص ٣٣٩ باب ٥٥ ح ٨.
(٢) التوحيد، ص ١٤٧ باب ١١ ح ١٩.

أفاعيلهم المترتّب وجودها على تلك المشيئة، وبذلك تنحلّ شبهة ربّما أُوردت ههنا وهي أنّه لو كانت أفعال العباد مسبوقة بإرادتهم لكانت الإرادة مسبوقة بإرادة أُخرى وتسلسلت الإرادات لا إلى نهاية.

الرابع: ما ذكره بعض الأفاضل وهو أنّ للمشيئة معنيين: أحدهما متعلّق بالشائي وهي صفة كماليّة قديمة هي نفس ذاته سبحانه وهي كون ذاته سبحانه بحيث يختار ما هو الخير والصلاح، والآخر يتعلّق بالمشيء وهو حادث بحدوث المخلوقات لا يتخلّف المخلوقات عنه، وهو إيجاده سبحانه إيّاها بحسب اختياره، وليست صفة زائدة على ذاته عزّوجلّ وعلى المخلوقات بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيّتها المنتسبين معاً.

فنقول: إنّه لمّا كان ههنا مظنّة شبهة هي أنّه إن كان الله عزّوجلّ خلق الأشياء بالمشيئة فبم خلق المشيئة أبمشيئة أُخرى؟ فيلزم أن تكون قبل كلّ مشيئة مشيئة إلى ما لا نهاية له فأفاد الإمام عليه السلام أن الأشياء مخلوقة بالمشيئة، وأمّا المشيئة نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشيئة أُخرى بل هي مخلوقة بنفسها لأنّها نسبة وإضافة بين الشائي والمشيء تتحصّل بوجوديهما العينيّ والعلميّ، ولذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه لأنّ كلا الوجودين له وفيه ومنه، وفي قوله عليه السلام: بنفسها دون أن يقول: بنفسه إشارة لطيفة إلى ذلك، نظير ذلك ما يقال: إن الأشياء إنّما توجد بالوجود فأمّا الوجود نفسه فلا يفتقر إلى وجود آخر بل إنّما يوجد بنفسه.

الخامس: ما ذكره بعض المحقّقين بعدما حقّق أن إرادة الله المتجدّدة هي نفس أفعاله المتجدّدة الكائنة الفاسدة فإرادته لكلّ حادث بالمعنى الإضافيّ يرجع إلى إيجاده، وبمعنى المراديّة ترجع إلى وجوده قال: نحن إذا فعلنا شيئاً بقدرتنا واختيارنا فأردناه أوّلاً ثمّ فعلناه بسبب الإرادة نشأت من أنفسنا بذاتها لا بإرادة أُخرى وإلا لتسلسل الأمر لا إلى نهاية فالإرادة مرادة لذاتها، والفعل مراد بالإرادة، وكذا الشهوة في الحيوان مشتهاة لذاتها لذيذة بنفسها، وسائر الأشياء مرغوبة بالشهوة فعلى هذا المثال حال مشيئة الله المخلوقة، وهي ونفس وجودات الأشياء فإنّ الوجود خير ومؤثّر لذاته ومجعول بنفسه، والأشياء بالوجود موجودة والوجود مشيء بالذات، والأشياء مشيئة بالوجود وكما أنّ الوجود حقيقة واحدة متفاوتة بالشدّة والضعف والكمال والنقص فكذا الخيريّة والمشيئة، وليس الخير المحض الذي لا يشوبه شرٌّ إلا الوجود البحت الّذي لا يمازجه عدم ونقص، وهو ذات الباري جلّ مجده، فهو المراد الحقيقي. إلى آخر ما حقّقه.

والأوفق بأصولنا هو الوجه الأوّل كما سيظهر لك في كتاب العدل، وسيأتي بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب هناك. وخبر سليمان المروزيّ في باب احتجاجات الرضا عليه السلام، وسنورد هناك بعض ما تركنا ههنا إن شاء الله تعالى، وقد مرّ بعضها في باب نفي الجسم والصورة، وباب نفي الزمان والمكان.

٥ - باب أنه تعالى خالق كل شيء، وليس الموجد والمعدم إلا الله تعالى وأن ما سواه مخلوق

الآيات: الرعد «١٣»: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ «١٦».

المؤمنين «٢٣»: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ «١٤».

الزمر «٣٩»: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ «٦٢ و٦٣».

١ - **يد:** في خبر الفتح بن يزيد الجرجانيّ: قلت لأبي الحسن عليه السلام: هل غير الخالق الجليل خالق؟ قال: إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فقد أخبر أنَّ في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى صلّى الله عليه خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله، والسامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوار[1].

بيان: لا ريب في أنَّ خالق الأجسام ليس إلاّ الله تعالى. وأمّا الأعراض فذهبت الأشاعرة إلى أنّها جميعاً مخلوقة لله تعالى وذهبت الاماميّة والمعتزلة إلى أنَّ أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها.

وما في الآيات من أنّه تعالى خالق كلّ شيء وأمثالها فإمّا مخصّص بما سوى أفعال العباد، أو مؤوّل بأنَّ المعنى أنّه خالق كلّ شيء إمّا بلا واسطة أو بواسطة مخلوقاته، وأمّا خلق عيسى عليه السلام فذهب الأكثر إلى أنَّ المراد به التقدير والتصوير، ويظهر من الخبر أن تكون الهيئة العارضة للطير من فعله - على نبيّنا وآله وعليه السلام - ومخلوقاً له، ولا استبعاد فيه، وإن أمكن أن يكون نسبة الخلق إليه لكونه معدّاً لفيضان الهيئة والصورة، كما تقوله الحكماء، وكذا السامريّ، وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب العدل إن شاء الله تعالى.

٢ - **يد:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن سهل بن زياد، عن أحمد ابن بشر، عن محمّد بن جمهور العمّيّ، عن محمّد بن الفضيل بن يسار، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال في الربوبيّة العظمى والإلهيّة الكبرى: لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله، ولا ينقل الشيء من جوهريّته إلى جوهر آخر إلا الله، ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله[2].

---

(١) التوحيد، ص ٦٣ باب ٢ ح ٨.

(٢) التوحيد، ص ٦٨ باب ٢ ح ٢٢. والتحقيق أن يقال: إن صفة الخالقية لا من شيء مختصة بالله تعالى ومن صفات فعله القدوس وأما الخالقية من شيء فتطلق على غيره تعالى أيضاً، مثلاً خلق الله الأشياء وضعها من شيء وهو الماء لا من شيء وعيسى يخلق من الطين وكل صانع فمن شيء صنع وصانع الأشياء لا من شيء صنع. وقال الصادق عليه السلام: لا يكون الشيء لا من شيء إلّا الله. [النمازي].

بيان: أي في علم الربوبيّة والإلهيّة، والكلام فيه كالكلام فيما سبق، وذهب بعض الحكماء إلى أنّ المؤثّر في عالم الوجود ليس إلاّ الربّ تعالى، وأمّا غيره فإنّما هم شرائط معدّة لإفاضته، قال «بهمنيار» في التحصيل: فإن سألت الحقّ فلا يصحّ أن يكون علّة الوجود إلاّ ما هو بريء من كلّ وجه عن معنى ما بالقوّة، وهذا هو صفة الأوّل لا غير انتهى. وقد بيّنّا ما هو الحقّ عند الفرقة المحقّة سابقاً.

٣ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن أبيه، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى خلو من خلقه وخلقه خلو منه، وكلُّ ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عزّ وجلّ فهو مخلوق، والله خالق كل شيء، تبارك الّذي ليس كمثله شيء[(١)].

يد: حمزة بن محمّد العلويّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن عطيّة، عن خيثمة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله: خالق كلّ شيء[(٢)].

٤ - **يد:** ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي المغرا رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلوٌ من خلقه وخلقه خلوٌ منه، وكلّ ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله عزّ وجلّ[(٣)].

٥ - **ثو:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن أبي العلاء عن أبي خالد الصيقل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ فوّض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء، فلمّا رأى الأشياء قد انقادت له قال: من مثلي؟ فأرسل الله عزّ وجلّ نويرة من نار. قلت: وما نويرة من نار؟ قال: نار بمثل أنملة. قال: فاستقبلها بجميع ما خلق فتحلّلت لذلك حتّى وصلت إليه لمّا أن دخله العجب[(٤)].

بيان: لعلّ المراد بخلق الملك أنّ الله تعالى خلقها عند إرادة الملك كما سنحقّق في المعجزة.

٦ - باب كلامه تعالى ومعنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ «الآية»

١ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن الكلينيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن الطيالسيّ، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لم يزل الله جلّ اسمه عالماً بذاته ولا معلوم، ولم يزل قادراً بذاته ولا مقدور قلت: جعلت فداك فلم يزل متكلّماً؟ قال: الكلام محدث، كان الله عزّ وجلّ وليس بمتكلّم ثمّ أحدث الكلام[(٥)].

---

(١) - (٣) التوحيد، ص ١٠٥ باب ٧ ح ٣-٥. (٤) ثواب الأعمال، ص ٢٩٧.
(٥) أمالي الطوسي، ص ١٦٨ مجلس ٦ ح ٢٨٢.

بيان: اعلم أنّه لا خلاف بين أهل الملل في كونه تعالى متكلّماً لكن اختلفوا في تحقيق كلامه وحدوثه وقدمه فالإماميّة قالوا بحدوث كلامه تعالى، وأنّه مؤلّف من أصوات وحروف، وهو قائم بغيره ومعنى كونه تعالى متكلّماً عندهم أنّه موجد تلك الحروف والأصوات في الجسم كاللّوح المحفوظ أو جبرئيل أو النبي ﷺ أو غيرهم كشجرة موسى، وبه قالت المعتزلة أيضاً، والحنابلة ذهبوا إلى أنّ كلامه تعالى حروف وأصوات وهي قديمة، بل قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف أيضاً، والكراميّة ذهبوا إلى أنّ كلامه تعالى صفة له مؤلّفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى. والأشاعرة أثبتوا الكلام النفسي وقالوا: كلامه معنىً واحد بسيط قائمٌ بذاته تعالى، قديم، وقد قامت البراهين على إبطال ما سوى المذهب الأوّل، وتشهد البديهة ببطلان بعضها، وقد دلّت الأخبار الكثيرة على بطلان كلّ منها، وقد تقدّم بعضها وسيأتي بعضها في كتاب القرآن، نعم القدرة على إيجاد الكلام قديمة غير زائدة على الذات، وكذا العلم بمدلولاتها، وظاهر أنّ الكلام غيرهما.

٢ - **فس:** جعفر بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى، عن ابن البطائنيّ، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون منها و﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ قال: لا يريدون بها بدلاً. قلت: قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ قال: قد أخبرك أن كلام الله ليس له آخر ولا غاية ولا ينقطع أبداً. قلت: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ قال: هذه نزلت في أبي ذر والمقداد وسلمان الفارسيّ وعمّار بن ياسر جعل الله لهم جنّات الفردوس نزلاً مأوى ومنزلاً. قال: ثمّ قال: قل يا محمّد: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ فهذا الشرك شرك رياء[1].

٣ - **ج:** سأل يحيى بن أكثم أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[2] ما هي؟ فقال: هي عين الكبريت، وعين اليمن، وعين البرهوت، وعين الطبريّة، وحمّة ما سيدان، وحمّة إفريقيّة، وعين باجوران، ونحن الكلمات الّتي لا تدرك فضائلها ولا تستقصى[3].

٤ - **ج:** عن صفوان بن يحيى قال: سأل أبو قرّة المحدّث عن الرضا عليه السلام فقال: أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى فقال: الله أعلم بأيّ لسان كلّمه بالسريانيّة أم بالعبرانيّة، فأخذ أبو قرّة بلسانه فقال: إنّما أسألك عن هذا اللّسان فقال أبوالحسن عليه السلام: سبحان الله ممّا تقول ومعاذ الله أن يشبه خلقه أو يتكلم بمثل ما هم متكلمون، ولكنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، ولا كمثله قائل فاعل. قال: كيف ذلك؟ قال: كلام الخالق لمخلوق ليس

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠ في تفسيره لسورة الكهف، الآيات: ١٠٧-١١٠.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٧.
(٣) الاحتجاج، ص ٤٠٥.

ككلام المخلوق لمخلوق، ولا يلفظ بشق فم ولسان، ولكن يقول له: «كن». فكان بمشيئته ما خاطب به موسى من الأمر والنهي من غير تردّد في نفس. الخبر[1].

أقول: قد أثبتنا بعض أخبار هذا الباب في باب صفات الذات والأفعال، وباب نفي الجسم والصورة، وباب نفي الزمان والمكان.

أبواب أسمائه تعالى وحقائقها وصفاتها ومعانيها

١ - باب المغايرة بين الاسم والمعنى وأن المعبود هو المعنى والاسم حادث

١ - **ج:** عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى أله أسماء وصفات في كتابه؟ وهل أسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إن لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول هي هو أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك، وإن كنت تقول هذه الأسماء والصفات لم تزل فإنما لم تزل محتمل معنيين فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو يستحقها فنعم وإن كنت تقول: لم يزل صورها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره، وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات والمعني بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف ويأتلف المتجزئ، ولا يقال له: قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته لأن ما سوى الواحد متجزئ، والله واحد لا متجزئ ولا متوهم بالقلة والكثرة، وكل متجزئ أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له فقولك: إن الله قدير خبرت أنه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك: عالم إنّما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل سواه؛ فإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع فلا يزال من لم يزل عالماً.

فقال الرجل: فكيف سمّينا ربّنا سميعاً؟ فقال: لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس. وكذلك سمّيناه بصيراً لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر طرفة العين.

وكذلك سمّيناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللّطيف مثل البعوضة وما هو أخفى من ذلك، وموضع المشي منها، والعقل والشهوة للسفاد والحدب على أولادها، وإقامة بعضها على بعض،

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٠٥. وتمام الرواية تأتي في ج ١٠ من هذه الطبعة.

ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار فعلمنا بذلك أن خالقها لطيف بلا كيف إذ الكيفية للمخلوق المكيّف. وكذلك سمّينا ربّنا قويّاً بلا قوّة البطش المعروف من الخلق، ولو كان قوّته قوة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه واحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزاً، فربّنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضدّ ولا ندّ، ولا كيفيّة ولا نهاية ولا تصاريف، محرَّم على القلوب أن تحتمله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تصوّره عز وجل عن أداة خلقه وسمات بريّته، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً[١].

يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن محمّد بن بشر، عن الجعفريّ مثله[٢].

إيضاح: اعلم أنَّ المتكلّمين اختلفوا في أنَّ الاسم هل هو عين المسمّى أو غيره، فذهب أكثر الأشاعرة إلى الأوّل، والإماميّة والمعتزلة إلى الثاني، وقد وردت هذه الأخبار ردّاً على القائلين بالعينيّة، وأوّل بعض المتأخّرين كلامهم لسخافته وإن كانت كلماتهم صريحة فيما نسب إليهم. قال شارح المقاصد: الاسم هو اللّفظ المفرد الموضوع للمعنى على ما يعمّ أنواع الكلمة، وقد يقيّد بالاستقبال والتجرّد عن الزمان فيقابل الفعل والحروف على ما هو مصطلح النحاة؛ والمسمّى هو المعنى الّذي وضع الاسم بإزائه والتسمية هو وضع الاسم للمعنى، وقد يراد بها ذكر الشيء باسمه كما يقال: يسمّى زيداً ولم يسمّ عمرواً؛ فلا خفاء في تغاير الأمور الثلاثة، وإنّما الخفاء فيما ذهب إليه بعض أصحابنا من أنَّ الاسم نفس المسمّى، وفيما ذكره الشيخ الاشعريّ من أنّ أسماء الله تعالى ثلاثة أقسام: ما هو نفس المسمى، مثل «الله» الدالّ على الوجود أي الذات؛ وما هو غيره «كالخالق والرازق» ونحو ذلك ممّا يدلّ على فعل، وما لا يقال إنّه هو ولا غيره «كالعالم والقادر» وكلّ ما يدلّ على الصفات. وأمّا التسمية فغير الاسم والمسمّى، وتوضيحه أنّهم يريدون بالتسمية اللفظ، وبالاسم مدلوله كما يريدون بالوصف قول الواصف، وبالصفة مدلوله، وكما يقولون: إنّ القراءة حادثة والمقروء قديم إلاّ أنّ الأصحاب اعتبروا المدلول المطابقيّ فأطلقوا القول بأنّ الاسم نفس المسمّى للقطع بأنّ مدلول الخالق شيءٌ ما له الخلق لا نفس الخلق، ومدلول العالم شيءٌ ما له العلم لا نفس العلم، والشيخ أخذ المدلول أعمّ واعتبر في أسماء الصفات المعاني المقصودة فزعم أنّ مدلول الخالق الخلق وهو غير الذات، ومدلول العالم العلم وهو لا عين ولا غير. انتهى.

فإذا عرفت هذا فاعلم أنّ الظاهر أنّ المراد بالأسماء الأسماء الدالّة على الذات من غير ملاحظة صفة، وبالصفات ما يدلّ على الذات متّصفاً بصفة، واستفسر عليه‌السلام مراد السائل وذكر محتملاته وهي ثلاثة، وينقسم بالتقسيم الأوّل إلى احتمالين لأنّ المراد إمّا معناه الظاهر، أو مؤوّل بمعنى مجازيّ لكون معناه الظاهر في غاية السخافة.

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٤٢.
(٢) التوحيد، ص ١٩٣ باب ٢٨ ح ٧.

الأول: أن يكون المراد كون كلّ من تلك الأسماء والحروف المؤلّفة المركّبة عين ذاته تعالى، وحكم بأنّه تعالى منزّه عن ذلك لاستلزامه تركيبه وحدوثه وتعدّده كما سيأتي - تعالى الله عن ذلك -.

الثاني: أن يكون قوله: «هي هو» كناية عن كونها دائماً معه في الأزل فكأنّها عينه، وهذا يحتمل معنيين: الأوّل أن يكون المراد أنّه تعالى كان في الأزل مستحقّاً لإطلاق تلك الأسماء عليه، وكون تلك الأسماء في علمه تعالى من غير تعدّد في ذاته تعالى وصفاته، ومن غير أن يكون معه شيء في الأزل فهذا حقٌّ؛ والثاني أن يكون المراد كون تلك الأصوات والحروف المؤلّفة دائماً معه في الأزل فمعاذ الله أن يكون معه غيره في الأزل، وهذا صريحٌ في نفي تعدّد القدماء ولا يقبل التأويل. ثمّ أشار عليه السلام إلى حكمة خلق الأسماء والصفات بأنّها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرّعون بها إليه ويعبدونه؛ وهي ذكره «بالضمير» أي يذكر بها، والمذكور بالذكر قديم، والذكر حادث؛ ومنهم من قرأ «بالتاء» قال الجوهريُّ: الذكر والذكرى: نقيض النسيان، وكذلك الذكرة. انتهى.

قوله عليه السلام: والأسماء والصفات مخلوقات ههنا النسخ مختلفة، ففي التوحيد «مخلوقات المعاني» أي معانيها اللّغوية ومفهوماتها الكلّيّة مخلوقة، وفي الإحتجاج ليس لفظ المعاني أصلاً، وفي الكافي «والمعاني» بالعطف، فالمراد بها إمّا مصداق مدلولاتها، ويكون قوله: والمعنيُّ بها عطف تفسير له، أو هي معطوفة على الأسماء أي والمعاني وهي حقائق مفهومات الصفات مخلوقة، أو المراد بالأسماء الألفاظ وبالصفات ما وضع ألفاظها له؛ وقوله: مخلوقات والمعاني خبران لقوله: الأسماء والصفات أي الأسماء مخلوقات والصفات هي المعاني.

وقوله: والمعنيُّ بها هو الله أي المقصود بها المذكور بالذكر، ومصداق تلك المعاني المطلوب بها هو ذات الله، والمراد بالإختلاف تكثّر الأفراد، أو تكثّر الصفات أو الاحوال المتغيّرة، أو اختلاف الأجزاء وتباينها بحسب الحقيقة أو الانفكاك والتحلّل، وبالائتلاف التركّب من الأجزاء أو الأجزاء المتّفقة الحقائق.

قوله عليه السلام فإذا أفنى الله الأشياء استدلال على مغايرته تعالى للأسماء وهجاها وتقطيعها والمعاني الحاصلة منها في الأذهان من جهة النهاية كما أن المذكور سابقاً كان من جهة البداية، والحاصل أنّ علمه تعالى ليس عين قولنا: «عالم» وليس اتّصافه تعالى به متوقّفاً على التكلّم بذلك، وكذا الصور الذهنيّة ليست عين حقيقة ذاته وصفاته تعالى وليس اتّصافه تعالى بالصفات متوقّفاً على حصول تلك الصور إذ بعد فناء الأشياء تفنى تلك الأمور مع بقائه تعالى متّصفاً بجميع الصفات الكماليّة كما أنّ قبل حدوثها كان متّصفاً بها.

ثمّ اعلم أنّ المقصود ممّا ذكر في هذا الخبر وغيره من أخبار البابين هو نفي تعقّل كنه ذاته وصفاته تعالى، وبيان أنّ صفات المخلوقات مشوبة بأنواع العجز، والله تعالى متّصف بها

معرّى من جهات النقص والعجز كالسمع فإنّه فينا هو العلم بالمسموعات بالحاسّة المخصوصة، ولمّا كان توقّف علمنا على الحاسّة لعجزنا، وكان حصولها لنا من جهة تجسّمنا وإمكاننا ونقصنا، وأيضاً ليس علمنا من ذاتنا لعجزنا، وعلمنا حادث لحدوثنا، وليس علمنا محيطاً بحقائق ما نسمعه كما هي لقصورنا عن الإحاطة، وكلّ هذه نقائص شابت ذلك الكمال فقد أثبتنا له تعالى ما هو الكمال وهو أصل العلم، ونفينا عنه جميع تلك الجهات الّتي هي من سمات النقص والعجز، ولمّا كان علمه تعالى غير متصوّر لنا بالكنه، وأنّا لما رأينا الجهل فينا نقصاً نفيناه عنه فكأنّا لم نتصوّر من علمه تعالى إلاّ عدم الجهل، فإثباتنا العلم له تعالى إنّما يرجع إلى نفي الجهل لأنّا لم نتصوّر علمه تعالى إلاّ بهذا الوجه، وإذا تدبّرت في ذلك حقّ التدبّر وجدته نافياً لما يدّعيه جماعة عن الاشتراك اللّفظي في الوجود وسائر الصفات لا مثبتاً له وقد عرفت أنّ الأخبار الدالة على نفي التعطيل تنفي هذا القول، وقد سبق تفسير بعض أجزاء الخبر فيما سبق فلا نعيده.

٢ - **ج:** عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله عزّ ذكره واشتقاقها فقلت: «الله» ممّا هو مشتقّ؟ قال: يا هشام «الله» مشتقّ من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر[1] وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد، أفهمت يا هشام؟ قال: فقلت زدني فقال: إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدلّ عليه بهذه الاسماء وكلّها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل أعداءنا والمتّخذين مع الله عزّ وجلّ غيره؟ قلت: نعم. قال: فقال: نفعك الله به وثبّتك. قال هشام: فوالله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتّى قمت مقامي هذا[2].

يد: ابن عصام والدقّاق، عن الكلينيّ، عن عليّ عن أبيه، عن النضر، عن هشام مثله[3].

بيان: هذا الخبر يدُل على أنّ لفظ الجلالة مشتقّ، وقد سبق الكلام فيه في باب التوحيد، وقوله: الله مشتقّ من إله إمّا اسم على فِعال بمعنى المفعول أي المعبود، أو غيره من المعاني الّتي تقدّم ذكرها، أو فعل بمعنى عبد أو نحوه، والظاهر أنّه ليس المقصود أوّلاً الاستدلال على المغايرة بين الاسم والمسمّى، بل المعنى أنّ هذا اللّفظ بجوهره يدلّ على وجود معبود يعبد. ثمّ بيّن أنّه لا يجوز عبادة اللّفظ بوجه، ثمّ استدلّ على المغايرة بين الاسم والمسمّى. ويحتمل أن يكون استدلالاً بأنّ هذا اللفظ يدلّ على معنى والدالّ غير المدلول بديهة، وعلى

---

(١) أقول: رواه في الكافي والتوحيد مثله، إلّا أنه فيه: فقد أشرك [النمازي].

(٢) الاحتجاج، ص ٣٣٣. (٣) التوحيد، ص ٢٢٠ باب ٢٩ ح ١٣.

هذا يحتمل أن يكون ما يذكر بعد ذلك تحقيقاً آخر لبيان ما يجب أن يقصد بالعبادة، وأن يكون تتمّة لهذا الدليل تكثيراً للايراد وإيضاحاً لما يلزمهم من الفساد بأن يكون المعنى أنّ العقل لمّا حكم بالمغايرة فمن توهّم الاتّحاد إن جعل هذه الحروف معبوداً بتوهّم أنّ الذات عينها فلم يعبد شيئاً أصيلاً، إذ ليس لهذه الأسماء بقاء واستمرار وجود إلاّ بتبعيّة النقوش في الألواح أو الأذهان، وإن جعل المعبود مجموع الاسم والمسمّى فقد أشرك وعبد مع الله غيره، وإن عبد الذات الخالص فهو التوحيد، وبطل الاتّحاد بين الاسم والمسمّى، والأوّل أظهر. ويحتمل أن يكون المراد بالمألوه من له الاله، كما يظهر من بعض الأخبار أنّه يستعمل بهذا المعنى كقوله عليه السلام: كان إلهاً إذ لا مألوه، وعالماً إذ لا معلوم؛ فالمعنى أنّ الإله يقتضي نسبة إلى غيره ولا يتحقّق بدون الغير، والمسمّى لا حاجة له إلى غيره فالاسم غير المسمّى.

ثم استدلّ عليه السلام على المغايرة بوجهين آخرين: الأوّل أنّ الله تعالى أسماءاً متعدّدة فلو كان الاسم عين المسمّى لزم تعدّد الآلهة، لبداهة مغايرة تلك الأسماء بعضها لبعض قوله: ولكنّ الله أي ذاته تعالى لا هذا الاسم. الثاني أنّ الخبز اسم لشيء يحكم عليه بأنّه مأكول، ومعلوم أنّ هذا اللّفظ غير مأكول، وكذا البواقي.

وقيل: إنّ المقصود من أوّل الخبر إلى آخره بيان المغايرة بين المفهومات العرضيّة الّتي هي موضوعات تلك الأسماء وذاته تعالى الّذي هو مصداق تلك المفهومات فقوله عليه السلام: والإله يقتضي مألوهاً معناه أن هذا المعنى المصدريّ يقتضي أن يكون في الخارج موجود هو ذات المعبود الحقيقيّ ليدلّ على أنّ مفهوم الاسم غير المسمّى، والحقّ تعالى ذاته نفس الوجود الصرف بلا مهيّة أخرى، فجميع مفهومات الأسماء والصفات خارجة عنه فصدقها وحملها عليه ليس كصدق الذاتيّات على الماهيّة - إذ الماهيّة له كلّيّة - ولا كصدق العرضيّات - إذ لا قيام لأفرادها بذاته تعالى - ولكن ذاته تعالى بذاته الأحديّة البسيطة ممّا ينتزع منه هذه المفهومات وتحمل عليه فالمفهومات كثيرة والجميع غيره فيلزم من عينيّة تلك المفهومات تعدّد الآلهة. وقوله عليه السلام: الخبز اسم للمأكول حجّة أخرى على ذلك فإنّ مفهوم المأكول اسم لما يصدق عليه كالخبز، ومفهوم المشروب يصدق على الماء، ومفهوم الملبوس على الثوب، والمحرق على النار؛ ثمّ إذا نظرت إلى كلّ من هذه المعاني في أنفسها وجدتها غير محكوم عليها بأحكامها فإنّ معنى المأكول غير مأكول إنّما المأكول شيء آخر كالخبز، وكذا البواقي ولا يخفى ما فيه.

٣ - **يد، مع، ن:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله، عن محمد بن عبد الله، وموسى بن عمرو، والحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن محمّد بن سنان قال سألت الرضا عليه السلام عن الاسم ما هو؟ قال: صفة لموصوف[1].

(١) التوحيد، ص ١٩٢ باب ٢٩ ح ٥ ومعاني الاخبار ص ٢ وعيون اخبار الرضا، ج ١ ص ١١٨ باب ١١ ح ٢٥.

بيان: أي سمة وعلامة تدلّ على ذات فهي غير الذات، أو المعنى أنّ أسماء الله تعالى تدلّ على صفات تصدق عليه، ويحتمل أن يكون المراد بالاسم هنا ما أشرنا إليه سابقاً أي المفهوم الكلّيّ الّذي هو موضوع اللّفظ.

٤ - **ج:** سئل أبو الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام عن التوحيد فقيل له: لم يزل الله وحده لا شيء معه ثمّ خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه أحسن الأسماء أو لم تزل الأسماء والحروف معه قديمة؟ فكتب: لم يزل الله موجوداً، ثمّ كوّن ما أراد، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه، تاهت أوهام المتوهّمين، وقصر طرف الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلّت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه والوقوع بالبلوغ على علّو مكانه فهو بالموضع الّذي لا يتناهى، وبالمكان الّذي لم تقع عليه الناعتون بإشارة ولا عبارة هيهات هيهات[1].

٥ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن يزيد بن عبد الله، عن الحسن بن سعيد الخزّار، عن رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الله غاية من غيّاه فالمغيّى غير الغاية، توحّد بالربوبيّة ووصف نفسه بغير محدوديّة فالذاكر الله غير الله؛ والله غير أسمائه، وكلّ شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق، ألا ترى قوله: العزّة لله، العظمة لله؛ وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[2]، وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3]، فالأسماء مضافة إليه وهو التوحيد الخالص[4].

بيان: استدل عليه السلام على المغايرة بين الاسم والمسمّى بما أضيف إليه من الأسماء فإنّ الإضافة تدلّ على المغايرة بين الاسم والمسمّى يقال: المال لزيد، ولا يقال: زيدٌ لنفسه، وقوله: العزّة لله، العظمة لله يومىء إلى أنّ المراد بالاسم المفهوم كما مرّ.

٦ - **يد:** ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عليّ بن الحسين بن محمّد، عن خالد بن يزيد عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اسم الله غير الله وكلّ شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله، فأمّا ما عبّرت الألسن عنه أو عملت الأيدي فيه فهو مخلوق، والله غاية من غاياه، والمغيّى غير الغاية، والغاية موصوفة وكلّ موصوف مصنوع، وصانع الأشياء غير موصوف بحدّ مسمّى، لم يتكوّن فتعرف كينونته بصنع غيره، ولم يتناه إلى غاية إلا كانت غيره، لا يزلّ من فهم هذا الحكم أبداً وهو التوحيد الخالص فاعتقدوه وصدّقوه وتفهّموه بإذن الله عزّ وجلّ. ومن زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك لأنّ الحجاب والمثال والصورة غيره، وإنّما هو واحد موحّد فكيف يوحّد من زعم أنّه عرفه بغيره، إنّما عرف الله من عرفه بالله فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنّما يعرف غيره؛ ليس بين الخالق والمخلوق شيءٌ، والله خالق الأشياء لا من شيء، يسمّى

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٤٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٣) سورة الاسراء، الآية: ١١٠.
(٤) التوحيد، ص ٥٨ باب ٢ ح ١٦.

بأسمائه فهو غير أسمائه والأسماء غيره، والموصوف غير الواصف، فمن زعم أنّه يؤمن بما لا يعرف فهو ضالٌّ عن المعرفة، لا يدرك مخلوق شيئاً إلاّ بالله، ولا تدرك معرفة الله إلا بالله، والله خلوٌ من خلقه وخلقه خلوٌ منه، وإذا أراد شيئاً كان كما أراد بأمره من غير نطق، لا ملجأ لعباده ممّا قضى، ولا حجّة لهم فيما ارتضى، لم يقدروا على عمل ولا معالجة ممّا أحدث في أبدانهم المخلوقة إلا بربّهم، فمن زعم أنّه يقوى على عمل لم يرده الله عزّوجلّ فقد زعم أنّ إرادته تغلب إرادة الله؛ تبارك الله ربّ العالمين[1].

يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن بعض أصحابه، عن بكر بن صالح، عن عليّ بن الحسن بن محمّد، عن خالد؛ عن عبد الأعلى مثله، إلى قوله: والأسماء غيره[2].

قال الصدوق رحمه الله: معنى ذلك أنّ من زعم أنّه يقوى على عمل لم يرد الله أن يقوّيه عليه فقد زعم أنّ إرادته تغلب إرادة الله، تبارك الله ربّ العالمين[3].

بيان: قوله: اسم شيء أي لفظ الشيء أو هذا المفهوم المركّب، والأوّل أظهر ثمّ بيّن المغايرة بأنّ اللّفظ الّذي يعبّر به الألسن والخطّ الّذي تعمله الأيدي فظاهرٌ أنّه مخلوق. قوله: والله غاية من غاياه اعلم أنّ الغاية تطلق على المدى والنهاية، وعلى امتداد المسافة، وعلى الغرض والمقصود من الشيء، وعلى الراية والعلامة. وهذه العبارة تحتمل وجوهاً:

الأول: أن تكون الغاية بمعنى الغرض والمقصود أي كلمة الجلالة مقصود من جعله مقصوداً وذريعة من جعله ذريعةً أي كلّ من كان له مطلب وعجز عن تحصيله بسعيه يتوسّل إليه باسم الله. والمغيّى - بالغين المعجمة والياء المثنّاة المفتوحة - أي المتوسّل إليه بتلك الغاية غير الغاية، أو بالياء المكسورة أي الّذي جعل لنا الغاية غايةً هو غيرها، وفي بعض النسخ: «والمعنى» بالعين المهملة والنون أي المقصود بذلك التوسّل، أو المعنى المصطلح غير تلك الغاية الّتي هي الوسيلة إليه.

الثاني: أن يكون المراد بالغاية النهاية، وبالله الذات لا الاسم أي الربّ تعالى غاية آمال الخلق يدعونه عند الشدائد بأسمائه العظام، والمغيّى بفتح الياء المشدّدة: المسافة ذات الغاية، والمراد هنا الاسماء فكأنّها طرق ومسالك توصل الخلق إلى الله في حوائجهم، والمعنى أنّ العقل يحكم بأنّ الوسيلة غير المقصود بالحاجة، وهذا لا يلائمة قوله: «والغاية موصوفة» إلاّ بتكلّف تامّ.

الثالث: أن يكون المراد بالغاية العلامة، وصحّفت «غاياه» بغاياته أي علامة من علاماته، والمعنى أي المقصود أو المغيّى أي ذو العلامة غيرها.

---

(١) التوحيد، ص ١٤٢ باب ١١ ح ٧.
(٢) التوحيد، ص ١٩٢ باب ٢٩ ح ٦.
(٣) التوحيد، ص ١٤٣ باب ١١ ح ٧.

الرابع: أن يكون المقصود أنّ الحقّ تعالى غاية أفكار من جعله غاية وتفكّر فيه، والمعنى المقصود أعني ذات الحقّ غير ما هو غاية أفكارهم ومصنوع عقولهم، إذ غاية ما يصل إليه أفكارهم ويحصل في أذهانهم موصوف بالصفات الزائدة الإمكانيّة، وكلّ موصوف كذلك مصنوع.

الخامس: ما صحّفه بعض الأفاضل حيث قرأ «عانة من عاناه» أي الاسم ملابس من لابسه. قال في النهاية: معاناة الشيء: ملابسته ومباشرته. أو مهمٌّ من اهتمّ به، من قولهم: عنيت به فأنا عان، أي اهتممت به واشتغلت. أو أسير من أسره، وفي النهاية: العاني: الأسير. وكلّ من ذلّ واستكان وخضع فقد عنا يعنو فهو عان، أو محبوس من حبسه. وفي النهاية: وعنوا بالأصوات أي احبسوها والمعنى أي المقصود بالاسم غير العانة أي غير ما نتصوّره ونعقله. ثم اعلم أنّه على بعض التقادير يمكن أن يقرأ والله بالكسر بأن يكون الواو للقسم.

قوله: غير موصوف بحدّ أي من الحدود الجسمانيّة، أو الصفات الإمكانيّة، أو الحدود العقليّة. وقوله: مسمّى صفة لحدّ للتعميم كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ ويحتمل أن يكون المراد أنّه غير موصوف بالصفات الّتي هي مدلولات تلك الأسماء، وقيل: هو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف.

قوله: لم يتكوّن فيعرف كينونته بصنع غيره قيل: المراد أنّه لم يتكوّن فيكون محدثاً بفعل غيره فتعرف كينونته وصفات حدوثه بصنع صانعه كما تعرف المعلولات بالعلل.

أقول: لعلّ المراد أنّه غير مصنوع حتّى يعرف بالمقايسة إلى مصنوع آخر كما تعرف المصنوعات بمقايسة بعضها إلى بعض فيكون الصنع بمعنى المصنوع وغيره صفة له؛ أو أنّه لا يعرف بحصول صورة هي مصنوعة لغيره إذ كلّ صورة ذهنيّة مصنوعة للمدرك معلولة له.

قوله: ولم يتناه أي هو تعالى في المعرفة أو عرفانه، أو العارف في عرفانه إلى نهاية إلاّ كانت تلك النهاية غيره تعالى ومباينة له غير محمولة عليه.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا يزلّ في بعض النسخ «بالذال» أي ذلّ الجهل والضلال من فهم هذا الحكم وعرف سلب جميع ما يغايره عنه، وعلم أنّ كلّ ما يصل إليه أفهام الخلق فهو غيره تعالى.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ومن زعم أنّه يعرف الله بحجاب أي بالأسماء الّتي هي حجب بين الله وبين خلقه ووسائل بها يتوسّلون إليه، بأن زعم أنه تعالى عين تلك الاسماء، أو الأنبياء والائمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأن زعم أنّ الله تعالى اتّحد بهم، أو بالصفات الزائدة، فإنّها حجب عن الوصول إلى حقيقة الذات الاحديّة، أو بصورة أي بأنّه ذو صورة كما قالت المشبّهة، أو بصورة عقليّة زعم أنّها كنه ذاته وصفاته تعالى، أو بمثال أي خياليّ، أو بأن جعل له مماثلاً ومشابهاً من خلقه فهو مشرك لما عرفت مراراً من لزوم تركّبه تعالى وكونه ذا حقائق مختلفة وذا

أجزاء، تعالى الله عن ذلك؛ ويحتمل أن يكون إشارة إلى أنّه لا يمكن الوصول إلى حقيقته تعالى بوجه من الوجوه لا بحجاب ورسول يبيّن ذلك، ولا بصورة عقليّة ولا خياليّة إذ لا بدّ بين المعرِّف والمعرَّف من مماثلة وجهة اتّحاد وإلاّ فليس ذلك الشيء معرفاً أصلاً، والله تعالى مجرّد الذات عن كل ما سواه فحجابه ومثاله وصورته غيره من كلّ وجه إذ لا مشاركة بينه وبين غيره في جنس أو فصل أو مادّة أو موضوع أو عارض، وإنّما هو واحد موحّد فرد عمّا سواه؛ فإنّما يعرف الله بالله إذا نفى عنه جميع ما سواه وكلّ ما وصل إليه عقله كما مرّ أنّه التوحيد الخالص.

وقال بعض المحقّقين: من زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال أي بحقيقة من الحقائق الإمكانيّة كالجسم والنور، أو بصفة من صفاتها الّتي هي عليها كما أسند إلى القائلين بالصورة، أو بصفة من صفاتها عند حصولها في العقل كما في قول الفلاسفة في رؤية العقول المفارقة فهو مشرك لأنّ الحجاب والصورة والمثال كلّها مغايرة له غير محمولة عليه فمن عبد الموصوف بها عبد غيره فكيف يكون موحّداً له عارفاً به؟ إنّما عرف الله من عرفه بذاته وحقيقته المسلوب عنه جميع ما يغايره فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنّما يكون يعرف غيره.

أقول: لا يخفى أنّ هذا الوجه وما أوردته سابقاً من الاحتمالات الّتي سمحت بها قريحتي القاصرة لا يخلو كلّ منها من تكلّف، وقد قيل فيه وجوه أُخر أعرضت عنها صفحاً لعدم موافقتها لأصولنا.

والأظهر عندي أن هذا الخبر موافق لما مرّ وسيأتي في كتاب العدل أيضاً من أنّ المعرفة من صنعه تعالى وليس للعباد فيها صنع، وأنّه تعالى يهبها لمن طلبها، ولم يقصر فيما يوجب استحقاق إفاضتها. والقول بأنّ غيره تعالى يقدر على ذلك نوع من الشرك في ربوبيّته وإلهيّته فإنّ التوحيد الخالص هو أن يعلم أنّه تعالى مفيض جميع العلوم والخيرات والمعارف والسعادات كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1] فالمراد بالحجاب إمّا أئمّة الضلال وعلماء السوء الّذين يدّعون أنّهم يعرفونه تعالى بعقولهم ولا يرجعون في ذلك إلى حجج الله تعالى فإنّهم حجب يحجبون الخلق عن معرفته وعبادته تعالى؛ فالمعنى أنّه تعالى إنّما يعرف بما عرّف به نفسه للناس لا بأفكارهم وعقولهم أو أئمّة الحقّ أيضاً فإنّه ليس شأنهم إلاّ بيان الحقّ للناس فأمّا إفاضة المعرفة والإيصال إلى البغية فليس إلاّ من الحقّ تعالى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2] ويجري في الصورة والمثال ما مرّ من الاحتمالات.

فقوله عليه السلام: ليس بين الخالق والمخلوق شيء أي ليس بينه تعالى وبين خلقه حقيقة أو مادة مشتركة حتى يمكنهم معرفته من تلك الجهة، بل أوجدهم لا من شيء كان. قوله عليه السلام:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.

غير الواصف يحتمل أن يكون المراد بالواصف الاسم الّذي يصف الذات بمدلوله.
قوله عليه السلام : فمن زعم أنّه يؤمن بما لا يعرف أي لا يؤمن أحد بالله إلاّ بعد معرفته، والمعرفة لا تكون إلاّ منه تعالى فالتعريف من الله، والإيمان والإذعان وعدم الإنكار من الخلق، ويحتمل أن يكون المراد على بعض الوجوه السابقة بيان أنّه وإن لم يعرف بالكنه لكن لا يمكن الإيمان به إلاّ بعد معرفته بوجه من الوجوه فيكون المقصود نفي التعطيل، والأوّل أظهر؛ وهذه الفقرات كلّها مؤيدة للمعنى الأخير كما لا يخفى لمن تأمّل فيها. ثمّ بيّن عليه السلام كون الأشياء إنّما تحصل بمشيئته تعالى وأنّ إرادة الخلق لا تغلب إرادته تعالى كما سيأتي تحقيقه في كتاب العدل، والله الموفّق.

٧ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن اليقطينيّ، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن غير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من عبد الله بالتوهّم فقد كفر، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد اشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته الّتي يصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرّ أمره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام . وفي حديث آخر: أولئك هم المؤمنون حقّاً[1].

إيضاح: قوله: من عبد الله بالتوهُّم أي من غير أن يكون على يقين في وجوده تعالى وصفاته، أو بأن يتوهّمه محدوداً مدركاً بالوهم فقد كفر لأنّ الشكّ كفر، ولانّ كلّ محدود ومدرَك بالوهم غيره سبحانه فمن عبده كان عابداً لغيره فهو كافر وقوله عليه السلام : ومن عبد الاسم أي الحروف أو المفهوم الوصفيّ له دون المعنى أي المعبّر عنه بالاسم فقد كفر لأنّ الحروف والمفهوم غير الواجب الخالق للكلّ تعالى شأنه.

٨ - **يد:** الدقّاق، عن الكلينيّ، عن عليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن الحسين بن يزيد، عن ابن البطائنيّ، عن إبراهيم بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللّون غير مصبوغ، منفيٌّ عنه الأقطار، مبعَّدٌ عنه الحدود، محجوبٌ عنه حسّ كل متوهّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة الّتي أُظهرت، فالظاهر هو «الله، وتبارك، وسبحان» لكلّ اسم من هذه أربعة أركان فذلك اثنى عشر ركناً، ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها؛ فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدّوس، الخالق، البارىء، المصوّر، الحيّ، القيّوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العليّ، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن،

(١) التوحيد، ص ٢٢٠ باب ٢٩ ح ١٢.

المهيمن، البارىء المنشىء، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتّى تتمّ ثلاث مائة وستّين اسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(١).

بيان: اعلم أنّ هذا الخبر من متشابهات الأخبار وغوامض الأسرار الّتي لا يعلم تأويلها إلاّ الله والراسخون في العلم، والسكوت عن تفسيره والإقرار بالعجز عن فهمه أصوب وأولى وأحوط وأحرى، ولنذكر وجهاً تبعاً لمن تكلّم فيه على سبيل الاحتمال.

فنقول: أسماء في بعض النسخ بصيغة الجمع وفي بعضها بصورة المفرد، والأخير أظهر، والأوّل لعلّه مبنيّ على أنّه مجزّأ بأربعة أجزاء كلّ منها اسم، فلذا أطلق عليه صيغة الجمع. وقوله: بالحروف غير منعوت - وفي بعض النسخ كما في الكافي «غير متصوت» - وكذا ما بعده من الفقرات تحتمل كونها حالاً عن فاعل «خلق» وعن قوله: اسماً، ويؤيّد الأوّل ما في أكثر نسخ التوحيد: خلق اسماً بالحروف وهو عزّوجلّ بالحروف غير منعوت فيكون المقصود بيان المغايرة بين الاسم والمسمّى بعدم جريان صفات الاسم بحسب ظهوراته النطقيّة والكتبيّة فيه تعالى؛ وأما على الثاني فلعلّه إشارة إلى حصوله في علمه تعالى فيكون الخلق بمعنى التقدير والعلم، وهذا الاسم عند حصوله في العلم الأقدس لم يكن ذا صوت ولا ذا صورة ولا ذا شكل ولا ذا صبغ. ويحتمل أن يكون إشارة إلى أنّ أوّل خلقه كان بالإفاضة على روح النبيّ صلّى الله عليه وآله وأرواح الأئمة عليهم السلام بغير نطق وصبغ ولون وخطّ بقلم.

ولنرجع إلى تفصيل كلّ من الفقرات وتوضيحها؛ فعلى الأوّل قوله: غير متصوّت إمّا على البناء للفاعل أي لم يكن خلقها بإيجاد حرف وصوت، أو على البناء للمفعول أي هو تعالى ليس من قبيل الأصوات والحروف حتّى يصلح كون الاسم عينه تعالى لكنّ الظاهر من كلام اللّغويّين أنّ «تصوّت» لازم فيكون على البناء للفاعل بالمعنى الثاني فيؤيّد الوجه الأوّل.

وقوله عليه السلام: وباللّفظ غير منطق - بفتح الطاء - أي ناطق، أو أنّه غير منطوق باللّفظ كالحروف ليكون من جنسها؛ أو بالكسر - أي لم يجعل الحروف ناطقة على الإسناد المجازيّ كقوله تعالى: ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾(٢) وهذا التوجيه يجري في الثاني من احتمالي الفتح، وتطبيق تلك الفقرات على الاحتمال الثاني وهو كونها حالاً عن الاسم بعد ما ذكرنا ظاهر، وكذا تطبيق الفقرات الآتية على الاحتمالين.

قوله عليه السلام: مستتر غير مستور أي كنه حقيقته مستور عن الخلق مع أنّه من حيث الآثار أظهر من كلّ شيء، أو مستتر بكمال ذاته من غير ستر وحاجب، أو أنّه غير مستور عن الخلق

---

(١) التوحيد، ص ١٩٠ باب ٢٩ ح ٣.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

بل هو في غاية الظهور، والنقص إنّما هو من قبلنا؛ ويجري نظير الاحتمالات في الثاني؛ ويحتمل على الثاني أن يكون المراد أنّه مستور عن الخلق غير مستور عنه تعالى.

وأمّا تفصيل الأجزاء وتشعّب الأسماء فيمكن أن يقال: إنّه لما كان كنه ذاته تعالى مستوراً عن عقول جميع الخلق فالاسم الدالّ عليه ينبغي أن يكون مستوراً عنهم فالاسم الجامع هو الاسم الّذي يدلّ على كنه الذات مع جميع الصفات الكماليّة، ولّما كانت أسماؤه تعالى ترجع إلى أربعة لأنّها إمّا أن تدلّ على الذات، أو الصفات الثبوتيّة الكماليّة، أو السلبيّة التنزيهيّة، أو صفات الأفعال فجزّأ ذلك الاسم الجامع إلى أربعة أسماء جامعة، واحدة منها للذات فقط، فلما ذكرنا سابقاً استبدّ تعالى به ولم يعطه خلقه، وثلاثة منها تتعلّق بالانواع الثلاثة من الصفات فأعطاها خلقه ليعرفوه بها بوجه من الوجوه فهذه الثلاثة حجب ووسائط بين الخلق وبين هذا الاسم المكنون إذ بها يتوسّلون إلى الذات وإلى الاسم المختصّ بها، ولمّا كانت تلك الأسماء الأربعة مطويّة في الاسم الجامع على الإجمال لم يكن بينها تقدّم وتأخر، ولذا قال: ليس منها واحد قبل الآخر.

ويمكن أن يقال على بعض المحتملات السابقة: إنّه لمّا كان تحقّقها في العلم الأقدس لم يكن بينها تقدّم وتأخر في الوجود، كما يكون في تكلّم الخلق، والأوّل أظهر.

ثمّ بيّن الأسماء الثلاثة فأوّلها «الله» وهو الدالُّ على النوع الأوّل لكونه موضوعاً للذات المستجمع للصفات الذاتيّة الكماليّة، والثاني «تبارك» لأنّه من البركة والنموّ وهو إشارة إلى أنّه معدن الفيوض ومنبع الخيرات الّتي لا تتناهى، وهو رئيس جميع الصفات الفعليّة من الخالقيّة والرازقيّة والمنعميّة وسائر ما هو منسوب إلى الفعل كما أنّ الأوّل رئيس الصفات الوجوديّة من العلم والقدرة وغيرهما، ولمّا كان المراد بالاسم كلّ ما يدلّ على ذاته وصفاته تعالى أعمّ من أن يكون اسماً أو فعلاً أو جملة لا محذور في عدّ «تبارك» من الأسماء. والثالث هو «سبحان» الدالّ على تنزيهه تعالى عن جميع النقائص فيندرج فيه ويتبعه جميع الصفات السلبيّة والتنزيهية؛ هذا على نسخة التوحيد، وفي الكافي: هو الله تبارك وتعالى وسخر لكل اسم فلعلّ المراد أنّ الظاهر بهذه الأسماء هو الله تعالى، وهذه الأسماء إنّما جعلها ليظهر بها على الخلق فالمظهر هو الاسم، والظاهر به هو الربّ سبحانه.

ثمّ لمّا كان لكلّ من تلك الأسماء الثلاثة الجامعة شعب أربع ترجع إليها جعل لكلّ منها أربعة أركان هي بمنزلة دعائمه فأمّا «الله» فلدلالته على الصفات الكماليّة الوجوديّة له أربع دعائم: وهي وجوب الوجود المعبّر عنه بالصمديّة والقيّوميّة والعلم والقدرة والحياة، أو مكان الحياة اللّطف أو الرحمة أو العزّة، وإنّما جعلت هذه الأربعة أركاناً لأنّ سائر الصفات الكماليّة إنّما ترجع إليها كالسميع والبصير والخبير مثلاً فإنّها راجعة إلى العلم والعلم يشملها وهكذا.

وأمّا «تبارك» فله أركان أربعة هي الإيجاد والتربية في الدارين، والهداية في الدنيا والمجازاة في الآخرة أي الموجد أو الخالق والربّ والهادي والديّان، ويمكن إدخال الهداية في التربية، وجعل المجازاة ركنين: الإثابة والانتقام، ولكلّ منها شعب من أسماء الله الحسنى كما لا يخفى بعد التأمّل والتتبّع.

وأمّا «سبحان» فله أربعة أركان لأنّه إمّا تنزيه الذات عن مشابهة الممكنات، أو تنزيهه عن إدراك الحواسّ والأوهام والعقول، أو تنزيه صفاته عمّا يوجب النقص، أو تنزيه أفعاله عمّا يوجب الظلم والعجز والنقص. ويحتمل وجهاً آخر، وهو تنزيهه عن الشريك والاضداد والأنداد، وتنزيهه عن المشاكلة والمشابهة، وتنزيهه عن إدراك العقول والاوهام، وتنزيهه عمّا يوجب النقص والعجز من التركّب والصاحبة والولد والتغيّرات والعوارض والظلم والجور والجهل وغير ذلك، وظاهر أنّ لكلّ منها شعباً كثيرة؛ فجعل عليه السلام شعب كلّ منها ثلاثين وذكر بعض أسمائه الحسنى على التمثيل وأجمل الباقي. ويحتمل على ما في الكافي أن تكون الأسماء الثلاثة ما يدلّ على وجوب الوجود والعلم والقدرة، والإثنى عشر ما يدلّ على الصفات الكماليّة والتنزيهيّة الّتي تتبع تلك الصفات، والمراد بالثلاثين صفات الأفعال الّتي هي آثار تلك الصفات الكماليّة ويؤيّده قوله: فعلاً منسوباً إليها؛ وعلى الأوّل يكون المعنى أنّها من توابع تلك الصفات فكأنّها من فعلها. هذا ما خطر ببالي في حلّ هذا الخبر، وإنّما أوردته على سبيل الاحتمال من غير تعيين لمراد المعصوم عليه السلام ولعلّه أظهر الاحتمالات الّتي أوردها أقوام على وفق مذاهبهم المختلفة وطرائقهم المتشتّتة، وإنّما هداني إلى ذلك ما أورده ذريعتي إلى الدرجات العلى ووسيلتي إلى مسالك الهدى بعد أئمّة الورى عليهم السلام أعني والدي العلاّمة قدّس الله روحه في شرح هذا الخبر على ما في الكافي حيث قال: الّذي يخطر بالبال في تفسير هذا الخبر على الإجمال هو أنّ الاسم الأوّل كان اسماً جامعاً للدلالة على الذات والصفات، ولمّا كان معرفة الذات محجوبة عن غيره تعالى جزّأ ذلك الاسم على أربعة أجزاء، وجعل الاسم الدال على الذات محجوباً عن الخلق، وهو الاسم الأعظم باعتبار، والدالّ على المجموع اسم أعظم باعتبار آخر، ويشبه أن يكون الجامع هو الله والدالّ على الذات فقط هو، وتكون المحجوبيّة باعتبار عدم التعيين كما قيل: إنّ الاسم الأعظم داخل في جملة الأسماء المعروفة، ولكنّها غير معيّنة لنا، ويمكن أن يكون غيرها والأسماء الّتي أظهرها الله للخلق على ثلاثة أقسام:

منها ما يدلّ على التقديس مثل العليّ، العظيم، العزيز، الجبّار، المتكبّر، ومنها ما يدلّ على علمه تعالى؛ ومنها ما يدلّ على قدرته تعالى. وانقسام كلّ واحد منها إلى أربعة أقسام بأن يكون التنزيه إمّا مطلقاً أو للذات أو الصفات أو الأفعال، ويكون ما يدلّ على العلم إمّا لمطلق العلم أو للعلم بالجزئيّات، كالسميع والبصير، أو الظاهر أو الباطن، وما يدلّ على القدرة إمّا للرحمة الظاهرة أو الباطنة أو الغضب ظاهراً أو باطناً أو ما يقرب من ذلك التقسيم، والأسماء

المفردة على ما ورد في القرآن والأخبار يقرب من ثلاث مائة وستّين اسماً، ذكرها الكفعميّ في مصباحه فعليك جمعها والتدبّر في ربط كلّ منها بركن من تلك الأركان. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول: بعض الناظرين في هذا الخبر جعل الاثني عشر كناية عن البروج الفلكيّة والثلاث مائة والستّين عن درجاتها، ولعمري لقد تكلّف بأبعد ممّا بين السماء والأرض؛ ومنهم من جعل الاسم كناية عن مخلوقاته تعالى، والاسم الأوّل الجامع عن أوّل مخلوقاته وبزعم القائل هو العقل، وجعل ما بعد ذلك كناية عن كيفيّة تشعّب المخلوقات وتعدّد العوالم، وكفى ما أومأنا إليه للاستغراب وذكرها بطولها يوجب الإطناب.

قوله: وذلك قوله عزّوجلّ استشهاد بأنّ له تعالى أسماءاً حسنى، وأنّه إنّما وضعها ليدعوه الخلق بها فقال تعالى: قل ادعوه - تعالى - بالله أو بالرحمن أو بغيرهما فالمقصود واحد وهو الربُّ وله أسماء حسنى كلٌّ منها يدلُّ على صفة من صفاته المقدّسة فأيّاً ما تدعوا فهو حسن. قيل: نزلت الآية حين سمع المشركون رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول يا الله يا رحمن فقالوا: إنّه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر! وقالت اليهود: إنّك لتقلُّ ذكر الرحمن، وقد أكثره الله في التوراة؛ فنزلت الآية ردّاً لما توهّموا من التعدّد، أو عدم الإتيان بذكر الرحمن.

٢ - باب معاني الاسماء واشتقاقها وما يجوز اطلاقه عليه تعالى وما لا يجوز

١ -**ل، ن:** أبي، عن سعد، عن إبراهيم بن هاشم، عن أحمد بن سليمان قال: سأل رجلٌ أبا الحسن عليه السلام - وهو في الطواف - فقال له: أخبرني عن الجواد، فقال: إنَّ لكلامك وجهين: فإن كنت تسأل عن المخلوق فإنّ الجواد الّذي يؤدّي ما افترض الله عزّوجلّ عليه، والبخيل من بخل بما افترض الله عليه؛ وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منع منع ما ليس له[1].

مع: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن أبي الجهم، عن موسى بن بكر، عن أحمد بن سلمة مثله، إلاّ أنّ فيه: ما افترض الله عليه. وإن كنت تسأل عن الخالق. لأنّه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك، وإن منعك منعك ما ليس لك[2].

بيان: لعلّ المراد أنّ المخلوق إنّما يوصف بالبخل إن منع لأنّه لا يؤدّي ما فرض الله عليه من حقوق الخلق، وأمّا الله سبحانه فلا يوصف بالبخل إن منع لأنّه ليس لأحد حقٌّ على الله فالمراد بقوله: إنّه جواد إن منع أنّه ليس ببخيل، أو أنّه جواد من حيث عطاياه الغير المتناهية

(١) الخصال، ص ٢٣ باب الاثنين ح ٣٦ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٢٩ باب ١١ ح ٤١.
(٢) معاني الأخبار، ص ٢٥٦.

الآخر، وهذا المنع لا ينافي جوده لعدم لزومه عليه، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «ما ليس له» أخيراً غير ما هو المراد به أوّلاً أي ما لا يستحقُّ التفضّل عليه به وليس صلاحه في إعطائه فجوده من جهة هذا المنع أيضاً ثابت لأنَّ إعطاء ما يضرّ السائل ليس بجود بل منعه عنه عين الجود.

٢ - يد، ن: ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن المختار بن محمّد بن المختار الهمداني، عن الفتح بن يزيد الجرجانيّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول في الله عزّ وجلّ: هو اللّطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، منشىء الأشياء، ومجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، لو كان كما يقولون لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا المنشىء من المُنشأ، فرق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبه هو شيئاً. قلت: أجل جعلني الله فداك لكنّك قلت: الأحد الصمد وقلت: لا يشبه شيئاً، والله واحد والإنسان واحد، أليس قد تشابهت الوحدانية؟ قال: يا فتح أحلت ثبّتك الله، إنّما التشبيه في المعاني، فأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّى، وذلك أنّ الإنسان وإن قيل واحد فإنّما يخبر أنّه جثّة واحدة، وليس باثنين فالإنسان نفسه ليس بواحد لأنَّ أعضاءه مختلفة وألوانه مختلفة كثيرة غير واحدة، وهو أجزاء مجزّأة ليست بسواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر الخلق فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى، والله جلَّ جلاله واحد لا واحد غيره، لا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ونقصان فأمّا الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف من أجزاء مختلفة وجواهر شتّى غير أنّه بالاجتماع شيء واحد:

قلت: جعلت فداك فرّجت عنّي فرج الله عنك فقولك: اللّطيف الخبير فسّره لي كما فسّرت الواحد فإنّي أعلم أنّ لطفه على خلاف لطف خلقه للفصل غير أنّي أحب أن تشرح ذلك لي. فقال: يا فتح إنّما قلنا: اللّطيف للخلق اللّطيف، ولعلمه بالشيء اللّطيف وغير اللّطيف، وفي الخلق اللّطيف من الحيوان الصغار من البعوض والجرجس وما هو أصغر منهما ما لا يكاد تستبينه العيون بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى، والحدث المولود من القديم فلمّا رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه ممّا في لجج البحار وما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار وفهم بعضها عن بعض منطقها وما يفهم به أولادها عنها ونقلها الغذاء إليها ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياضاً مع خضرة وما لا تكاد عيوننا تستبينه بتمام خلقها ولا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا علمنا أنّ خالق هذا الخلق لطيف لطف في خلق ما سمّيناه بلا علاج ولا أداة ولا آلة، وأنَّ كلّ صانع شيء فمن شيء صنع، والله الخالق اللّطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء[1].

---

(١) التوحيد، ص ١٨٥ باب ٢٩ ح ١ وعيون اخبار الرضا ج ١ ص ١١٨ باب ١١ ح ٢٣.

يد: الدقّاق، عن محمّد الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن بن بردة، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ، عن أبي القاسم إبراهيم بن محمّد العلويّ، عن الفتح بن يزيد الجرجانيّ مثله، مع زيادات وتغييرات أوردناه في باب جوامع التوحيد[1].

توضيح: أبو الحسن هو الرضا عليه السلام، كما يظهر من الكليني، ويحتمل الهادي عليه السلام حيث عدّ الشيخ رحمه الله الفتح من أصحابه والأوّل أظهر قوله عليه السلام: مجسّم الأجسام أي خالقها أو معطي ماهيّاتها على القول بجعلها. قوله: فرق إمّا فعل أو اسم أي الفرق حاصل بينه وبين من جسّمه. قوله عليه السلام: أحلت أي أتيت بالمحال. قوله عليه السلام: إنّما التشبيه في المعاني أي التشبيه الممنوع منه إنّما هو تشبيه معنى حاصل فيه تعالى بمعنى حاصل للمخلق لا محض إطلاق لفظ واحد عليه تعالى وعلى الخلق بمعنيين متغايرين؛ أو المعنى أنّه ليس التشبيه في كنه الحقيقة والذات، وإنّما التشبيه في المفهومات الكلّيّة الّتي هي مدلولات الألفاظ وتصدق عليه تعالى كما مرَّ تحقيقه.

قوله عليه السلام: فأمّا في الأسماء فهي واحدة أي الأسماء الّتي تطلق عليه تعالى وعلى الخلق واحدة لكنّها لا توجب التشابه إذ الأسماء دالّة على المسمّيات، وليست عينها حتّى يلزم الاشتراك في حقيقة الذات والصفات. ثمّ بيّن عليه السلام عدم كون التشابه في المعنى في اشتراك لفظ الواحد بأنّ الوحدة في المخلوق هي الوحدة الشخصيّة الّتي تجتمع مع أنواع التكثّرات، وليست إلاّ تألّف أجزاء واجتماع أمور متكثّرة، ووحدته سبحانه هي نفي الكثرة والتجزّؤ والتعدّد عنه مطلقاً.

قوله عليه السلام: فأمّا الإنسان يحتمل أن يكون كلٌّ من المخلوق والمصنوع والمؤلّف والظرف خبراً، وإن كان الأوّل أظهر. قوله: للفصل أي للفرق الظاهر بينه وبين خلقه. قوله: في لطفه أي مع لطف ذلك المخلوق، أو بسبب لطفه تعالى. قوله: بتمام في بعض النسخ «الدمامة» - بالمهملة - وهي الحقارة.

٣ - يد، مع، ن: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله عن محمّد بن عبد الله، وموسى بن عمرو، والحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن محمّد بن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنّه لم يكن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه، ونفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج إلى أن يسمّي نفسه، ولكنّه اختار لنفسه أسماءً لغيره يدعوه بها لأنّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأوّل ما اختار لنفسه العليّ العظيم لأنّه أعلى الأسماء كلّها فمعناه الله واسمه العليّ العظيم هو أوّل أسمائه لأنّه عليٌّ علا كلّ شيء[2].

---

(١) التوحيد، ص ٦٠ باب ٢ ح ١٨.

(٢) التوحيد، ص ١٩١ باب ١١ ح ٤ ومعاني الأخبار، ص ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١١٨ باب ١١ ح ٢٤.

ج: مرسلاً مثله.

٤ - ن: ماجيلويه، عن عمّه، عن أبي سمينة، عن محمّد بن عبد الله الخراسانيّ قال: دخل رجلٌ من الزنادقة على الرضا عليه السلام فقال في جملة ما سأل: فأخبرني عن قولكم: إنّه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيمٌ أيكون السميع إلاّ بالأذن والبصير إلاّ بالعين واللّطيف إلاّ بعمل اليدين، والحكيم إلاّ بالصنعة؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ اللّطيف منّا على حدّ اتّخاذ الصنعة أوما رأيت الرجل يتّخذ شيئاً يلطف في اتّخاذه فيقال: ما ألطف فلاناً! فكيف لا يقال للخالق الجليل: لطيف؟ إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً، وركّب في الحيوان منه أرواحها، وخلق كلّ جنس متبايناً من جنسه في الصورة، ولا يشبه بعضه بعضاً، فكلٌّ له لطف من الخالق اللّطيف الخبير في تركيب صورته، ثمّ نظرنا إلى الأشجار وحملها أطايبها المأكولة منها وغير المأكولة، فقلنا عند ذلك: إنّ خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعتهم. وقلنا: إنّه سميع لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى من الذرّة إلى أكبر منها، في برّها وبحرها، ولا تشتبه عليه لغاتها فقلنا عند ذلك: إنّه سميع لا بأذن. وقلنا: إنّه بصير لا ببصر لأنّه يرى أثر الذرّة السحماء في اللّيلة الظلماء على الصخرة السوداء، ويرى دبيب النمل في اللّيلة الدجنة. ويرى مضارّها ومنافعها وأثر سفادها وفراخها ونسلها فقلنا عند ذلك: إنّه بصير لا كبصر خلقه. قال: فما برح حتّى أسلم[1].

ج: مرسلاً مثله[2].

٥ - يد، ن: الدقّاق، عن الكلينيّ، عن علاّن، عن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: اعلم علّمك الله الخير أنّ الله تبارك وتعالى قديم، والقدم صفة دلّت العاقل على أنّه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميّته فقد بان لنا بإقرار العامّة معجزة الصفة أنّه لا شيء قبل الله، ولا شيء مع الله في بقائه، وبطل قول من زعم أنّه كان قبله شيء، أو كان معه شيء في بقائه، لم يجز أن يكون خالقاً له لأنّه لم يزل معه فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه؟ ولو كان قبله شيء كان الأوّل ذلك الشيء لا هذا، وكان الأوّل أولى بأن يكون خالقاً للأوّل الثاني.

ثمّ وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبّدهم وابتلاهم إلى أن يدعوه بها فسمّى نفسه سميعاً، بصيراً، قادراً، قاهراً، حيّاً، قيّوماً، ظاهراً، باطناً، لطيفاً، خبيراً، قويّاً، عزيزاً، حكيماً، عليماً، وما أشبه هذه الأسماء فلمّا رأى ذلك من أسمائه الغالون المكذّبون وقد سمعونا نحدّث عن الله أنه لا شيء مثله، ولا شيء من الخلق في حاله قالوا: أخبرونا إذ زعمتم أنّه لا مثل لله ولا شبه له كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى فتسمّيتم

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٢٠ باب ١١ ح ٢٨.

(٢) الاحتجاج، ص ٣٩٧.

بجميعها؟ فإنّ في ذلك دليلاً على أنكم مثله في حالاته كلّها أو في بعضها دون بعض إذ قد جمعتكم الأسماء الطيّبة. قيل لهم: إنّ الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماءاً من أسمائه على اختلاف المعاني، وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين، والدليل على ذلك قول الناس الجائز عندهم السائغ وهو الّذي خاطب الله عزّوجلّ به الخلق فكلّمهم بما يعقلون ليكون عليهم حجّة في تضييع ماضيّعوا، وقد يقال للرجل: كلب وحمار وثور وسكّرة وعلقمة وأسد كلّ ذلك على خلافه لأنّه لم تقع الأسماء على معانيها الّتي كانت بنيت عليها لأنّ الإنسان ليس بأسد ولا كلب فافهم ذلك رحمك الله. وإنّما تسمّى الله بالعالم لغير علم حادث علم به الأشياء واستعان به على حفظ ما يستقبل من أمره، والرويّة فيما يخلق من خلقه ويفنيه ممّا مضى ممّا أفنى من خلقه ممّا لو لم يحضره ذلك العلم ويغيبه كان جاهلاً ضعيفاً كما أنّا رأينا علماء الخلق إنّما سمّوا بالعلم لعلم حادث، إذ كانوا قبله جهلة، وربما فارقهم العلم بالأشياء فصاروا إلى الجهل. وإنّما سمّي الله عالماً لأنّه لا يجهل شيئاً فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العلم واختلف المعنى على ما رأيت. وسمّي ربنا سميعاً لا بجزء فيه يسمع به الصوت لا يبصر به كما أنّ جزءنا الّذي نسمع به لا نقوى على النظر به، ولكنّه عزّوجلّ أخبر أنّه لا تخفى عليه الأصوات ليس على حدّ ماسمّينا به نحن فقد جمعنا الاسم بالسميع واختلف المعنى، وهكذا البصير لا بجزء به أبصر كما أنّا نبصر بجزء منّا لا ننتفع به في غيره، ولكنّ الله بصير لا يجهل شخصاً منظوراً إليه فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى. وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبَد كما قامت الأشياء ولكنّه أخبر أنّه قائم يخبر أنّه حافظ كقول الرجل: القائم بأمرنا فلان، وهو عزّوجلّ القائم على كلّ نفس بما كسبت؛ والقائم أيضاً في كلام الناس الباقي، والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية كقولك للرجل: قم بأمر فلان أي اكفه، والقائم منّا قائم على ساق فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى، وأمّا اللّطيف فليس على قلّة وقضافة وصغر، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك كقولك: لطف عنّي هذا الامر، ولطف فلان في مذهبه، وقوله يخبرك أنّه غمض فبهر العقل وفات الطلب وعاد متعمّقاً متلطفاً لا يدركه الوهم فهكذا لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحدّ أو يحدّ بوصف، واللّطافة منّا الصغر والقلّة فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى. وأمّا الخبير فالّذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء فتفيده التجربة والاعتبار علماً لولاهما ما علم لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً والله لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلّم وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى. وأمّا الظاهر فليس من أجل أنّه علا الأشياء بركوب فوقها وقعود عليها وتسنّم لذراها، ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء وقدرته عليها كقول الرجل: ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي يخبر عن الفلج والغلبة فهكذا ظهور الله على الاشياء. ووجه آخر أنّه الظاهر لمن أراده لا يخفى

عليه شيء، وأنّه مدبر لكلّ ما يرى فأيّ ظاهر أظهر وأوضح أمراً من الله تبارك وتعالى فإنّك لا تعدم صنعته حيثما توجّهت وفيك من آثاره ما يغنيك، والظاهر منّا البارز بنفسه والمعلوم بحدّه فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى. وأمّا الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً كقول القائل: أبطنته يعني خبرته وعلمت مكتوم سرّه، والباطن منّا بمعنى الغائر في الشيء المستتر، [فيه] فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى. وأمّا القاهر فإنّه ليس على علاج ونصب واحتيال ومداراة ومكر كما يقهر العباد بعضهم بعضاً فالمقهور منهم يعود قاهراً والقاهر يعود مقهوراً، ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى على أنّ جميع ما خلق متلبّس به الذلّ لفاعله وقلّة الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفة عين غير أنّه يقول له: كن فيكون، فالقاهر منّا على ما ذكرت ووصفت فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى. وهكذا جميع الأسماء وإن كنّا لم نسمّها كلّها فقد تكتفي للاعتبار بما ألقينا إليك والله عوننا وعونك في إرشادنا وتوفيقنا[1].

ج: مرسلاً من قوله: إنّما نسمّي الله تعالى بالعالم إلى قوله: والباطن منّا الغائر في الشيء المستتر فيه، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى. قال: وهكذا جميع الأسماء وإن كنّا لم نسمّها كلها[2].

توضيح: الإقرار إمّا من أقرّ بالحقّ إذا اعترف به، أو من أقرّ الحقُّ في مكانه فاستقرّ هو، فقوله عليه السلام: معجزة الصفة على الأوّل منصوب بنزع الخافض، وعلى الثاني منصوبٌ على المفعوليّة، والمعجزة اسم فاعل من «أعجزته» بمعنى وجدته عاجزاً أو جعلته عاجزاً، أو من أعجزه الشيء بمعنى فاته، وإضافتها إلى الصفة - والمراد بها القدم - من إضافة الصفة إلى الموصوف، وإنّما وصفها بالإعجاز لأنّها تجدهم أو تجعلهم لنباهة شأنها عاجزين عن إدراكهم كنهها، أو عن اتّصافهم بها، أو عن إنكارهم لها، أو لأنّها تفوتهم وهم فاقدون لها. ويحتمل أن تكون المعجزة مصدر عجز عن الشيء عجزاً أو معجزة بفتح الميم وكسر الجيم وفتحها أي إقرارهم بعجزهم عن الاتّصاف بتلك الصفة، ويمكن أن يقرأ على بناء المفعول بأن يكون حالاً عن العامّة أو صفة لها أي بإقرارهم موصوفين بالعجز عن ترك الاقرار، أو الحال أنَّ صفة القدم أعجزتهم وألجأتهم إلى الإقرار فالمقرّ به والمبيّن شيء واحد، وهو قوله: أنّه لا شيء قبل الله. قال بعض الأفاضل: المراد بقوله: إقرار العامّة إذعانهم أو الإثبات، وعلى الأوّل متعلّق الإذعان إمّا معجزة الصفة بحذف الصلة، أو محذوف أي إقرار العامّة بأنه خالق كل شيء، ومعجزة الصفة صفة للإقرار أو بدل عنه أي إقرار العامّة بأنّه خالق كل شيء معجزة الصفة أي صفة الخالقيّة لكل شيء أو صفة القدم لا يسع أحداً أن ينكره؛ وأمّا

---

(١) التوحيد، ص ١٨٦ باب ٢٩ ح ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٣٣ باب ١١ ح ٥٠.

(٢) الاحتجاج، ص ٣٩٧.

على الثاني فمعجزة الصفة مفعول الإقرار أو صفة للإقرار، أو بدل عنه، والمفعول محذوف، وعلى تقدير كونه مفعولاً فمعجزة الصفة من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الصفة الّتي هي معجزة لهم عن أن لا يثبتوا له خالقيّة كل شيء، أو المعجزة بمعناه المتعارف والإضافة لاميّة أي إثباتهم الخالقيّة للكلّ معجزة هذه الصفة حيث لا يسعهم أن ينكروها وإن أرادوا الإنكار، ويحتمل أن يكون معجزة الصفة فاعل «بان» ويكون قوله: إنّه لا شيء قبل الله بياناً أو بدلاً لمعجزة الصفة انتهى.

أقول: لا يخفى أنّه يدلّ على أنّه لا قديم سوى الله، وعلى أنّ التأثير لا يعقل إلاّ في الحادث، وأنّ القدم مستلزم لوجوب الوجود.

قوله عليه السلام: ثمّ وصف أي سمّى نفسه، بأسماء بالتنوين، دعاء الخلق بالنصب أي لدعائهم، ويحتمل إضافة الأسماء إلى الدعاء، والأظهر أنّه على صيغة الفعل. وقوله: إلى أن يدعوه متعلّق به أو بالابتلاء أيضاً على التنازع، لكن في أكثر نسخ الكلينيّ مهموز. قوله عليه السلام: وابتلاهم أي بالمصائب والحوائج، والجأهم إلى أن يدعوه بتلك الأسماء.

قوله عليه السلام: والدليل على ذلك أي على إطلاق اللّفظ الواحد على المعنيين المختلفين، والقول السائغ هو ما فسّره عليه السلام بقوله: وقد يقال والعلقم: شجر مرٌّ، ويقال للحنظل ولكل شيء مرّ: علقم. قوله عليه السلام: على خلافه أي على خلاف موضوعه الأصليّ.

قوله عليه السلام: ويفنيه ممّا مضى كذا في بعض نسخ الكتابين فهو عطف على يخلق، وفي بعض نسخ «ن» تفنيه ما مضى أي إفناؤها، وفي بعض نسخ «يد» تقفيه ما مضى ممّا أفنى أي جعل بعض ما يفنى في قفاء ما مضى أي يكون مستحضراً لما مضى ممّا أعدمه سابقاً حتّى يفنى ما يفنى بعده على طريقته، وعلى التقديرين معطوف على الموصول. قوله عليه السلام: لا بجزء في «في» لا بخرت في المواضع وهو بالفتح والضمّ: الثقب في الأذن وغيرها. والكبد بالتحريك: المشقّة والتعب، والقضافة بالقاف والضاد المعجمة ثمّ الفاء: الدقّة والنحافة.

قوله عليه السلام: فبهر العقل أي غلبه فلا يصل العقل إليه، ويمكن أن يقرأ على البناء المجهول وفي «في» فيه العقل، وفات الطلب أي وفات ذلك الشيء عن الطلب فلا يدركه الطلب، أو فات عن العقل الطلب فلا يمكنه طلبه، ويحتمل على هذا أن يكون الطلب بمعنى المطلوب، وعاد أي العقل أو الوهم على التنازع أو ذلك الشيء، فالمراد أنّه صار ذا عمق ولطافة ودقّة لا يدركه الوهم لبعد عمقه وغاية دقّته، وسنام كلّ شيء: أعلاه ومنه تسنّمه أي علاه؛ والذرى بضم الذال المعجمة وكسرها جمع الذروة بهما وهي أيضاً أعلى الشيء.

قوله عليه السلام: لا يخفى عليه شيء يحتمل إرجاع الضمير المجرور إلى الموصول أي لا يخفى على من أراد معرفة شيء من أموره، من وجوده وعلمه وقدرته وحكمته؛ وعلى تقدير إرجاعه إليه تعالى لعلّه ذكر استطراداً، أو إنّما ذكر لأنّه مؤيّد لكونه مدبّراً لكلّ شيء، أو لأنّه

مسبّب عن عليّة كل شيء، أو لأنّ ظهوره لكلّ شيء وظهور كلّ شيء له مسبّبان عن تجرّده تعالى. ويحتمل أن يكون وجهاً آخر لإطلاق الظاهر عليه تعالى لأنّ في المخلوقين لمّا كان المطلع على شيء حاضراً عنده ظاهراً له جاز أن يعبّر عن هذا المعنى بالظهور؛ والعلاج: العمل والمزاولة بالجوارح.

٦ - **يد، مع:** أبي، عن ابن عيسى، وسلمة بن الخطّاب، عن القاسم، عن جده، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: سئل عن معنى الله عزّ وجلّ فقال: استولى على ما دقّ وجلّ[١].

بيان: لعلّه من باب تفسير الشيء بلازمه فإنّ معنى الالهيّة يلزمه الاستيلاء على جميع الأشياء دقيقها وجليلها؛ وقيل: السؤال إنّما كان عن مفهوم الاسم ومناطه فأجاب عليه السلام بأنّ الاستيلاء على جميع الأشياء مناط العبوديّة بالحقّ لكلّ شيء.

٧ - **يد، مع:** المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد عليه السلام قال: الله هو الّذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كلّ من دونه، وتقطّع الأسباب من جميع من سواه[٢].

أقول: تمامه في كتاب القرآن في تفسير سورة الفاتحة.

٨ - **يد، مع:** ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة عن محمّد بن حكيم، عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد سئل عن قوله عزّ وجلّ: هو الأول والآخر فقال: الأوّل لا عن أول قبله، ولا عن بدء سبقه، وآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين، ولكن قديم أوّل، آخر، لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال، خالق كل شيء[٣].

٩ - **يد:** ابن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن فضيل بن عثمان، عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ وقلت: أمّا الأوّل فقد عرفناه، وأمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره، فقال: إنّه ليس شيء إلا يبيد أو يتغيّر، أو يدخله التغيّر والزوال، أو ينتقل من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة إلاّ ربّ العالمين فإنّه لم يزل ولا يزال واحداً، هو الأوّل قبل كلّ شيء، وهو الآخر على ما لم يزل لا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره مثل الإنسان الّذي يكون تراباً مرّة، ومرّة لحماً، ومرّة دماً، ومرّة رفاتاً ورميماً، وكالتمر الّذي يكون مرّة بلحاً، ومرّة بسراً، ومرّة رطباً، ومرّة

---

(١) التوحيد، ص ٢٣٠ باب ٣١ ح ٤ ومعاني الأخبار، ص ٤. ورواه في الكافي ج ١ باب معاني الأسماء.
(٢) التوحيد، ص ٢٣٠ باب ٣١ ح ٥ ومعاني الأخبار، ص ٤.
(٣) التوحيد، ص ٣١٣ باب ٤٧ ح ١ ومعاني الأخبار ص ١٢.

تمراً فيتبدّل عليه الأسماء والصفات والله عزّوجلّ بخلاف ذلك(١).

بيان: يبيد أي يهلك: والرفات: المتكسّر من الأشياء اليابسة. والرميم: ما بلي من العظام. والبلح محرّكة: ما بين الخلال والبسر، قال الجوهريُّ: البلح قبل البسر لأنّ أوّل التمر طلع، ثمّ خلال، ثمّ بلح، ثمّ رطب.

أقول: الغرض أنّ دوام الجنّة والنار وأهلهما وغيرها لا ينافي آخريّته تعالى واختصاصها به فإنّ هذه الأشياء دائماً في التغيّر والتبدّل، وفي معرض الفناء والزوال، وهو تعالى باق من حيث الذات والصفات أزلاً وأبداً من حيث لا يلحقه تغيّر أصلاً فكلّ شيء هالك وفان إلا وجهه تعالى.

١٠ - **م:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قال الامام عليه السلام : الرحمن: العاطف على خلقه بالرزق لا يقطع عنهم موادّ رزقه وإن انقطعوا عن طاعته؛ الرحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته، وبعباده الكافرين في الرزق لهم، وفي دعائهم إلى موافقته. وقال أمير المؤمنين عليه السلام : رحيمٌ بعباده المؤمنين؛ ومن رحمته أنّه خلق مائه رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلّهم فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنو الأمّهات من الحيوانات على أولادها فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها أمّة محمد صلى الله عليه وآله ، ثمّ يشفّعهم فيمن يحبّون له الشفاعة من أهل الملّة. تمام الخبر(٢).

١١ - **فس:** قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: هو شيء قالته الجنّ بجهالة فلم يرضه الله تعالى منهم، ومعنى جدّ ربّنا أي بخت ربّنا(٣).

١٢ - **ل:** في خبر الأعمش، عن الصادق عليه السلام : يقال في افتتاح الصلاة: تعالى عرشك، ولا يقال: تعالى جدّك(٤).

أقول: قد مضى بعض الأخبار المناسبة للباب في باب إثبات الصانع، وسيأتي بعضها في باب الجوامع.

٣ - باب عدد أسماء الله تعالى وفضل احصائها وشرحها

الآيات: الفاتحة «١»: إلى ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ «٤».

البقرة «٢»: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٢٩». وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٧٢ و١٨٢ و١٩٩ و٢٢٦»، وقال: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ «٢٠٢»، وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) التوحيد، ص ٣١٤ باب ٤٧ ح ٢.

(٢) تفسير العسكري عليه السلام ص ٣٤-٣٧ ح ١٢ و١٣.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٨ في تفسيره لسورة الجن، الآية: ٣.

(٤) الخصال، ص ٦٠٤ أبواب المائة فما فوق ح ٩.

شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ «١٩٦»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ «٢٠٧»، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ «٢٠٩»، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ «٢١١»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ «٢١٨»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ «٢٢٠» وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢٢٤ و٢٥٦»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ «٢٢٥»، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ «٢٢٦»، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢٢٧»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ «٢٢٨» و«٢٤٠»، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «٢٣٣»، وقال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ «٢٣٤ و٢٧١»، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ «٢٣٥»، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢٤٤» وقال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (في مواضع) «٢٤٧ و٢٥٦ و٢٦١ و٢٦٨». وقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ «٢٥٥»، وقال: ﴿رَبَّنَا﴾ (في مواضع) «١٢٧، ١٢٨ و١٢٩ و٢٠٠ و٢٠١ و٢٥٠ و٢٨٥». وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ «٢٥٥»، وقال: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ «٢٦٣»، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ «٢٦٧»، وقال: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٢٨٤».

آل عمران «٣»: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ «٨».

النساء «٤»: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ «١»، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ «٦» وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ «١٦»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ «٣٤»، وقال: ﴿اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ «٤٣»، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ «٤٥»، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ «٧٩»، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ «٨١»، وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ «٨٥»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ «٨٦»، وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ «١٣٠»، وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ «١٤٧».

الأعراف: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ «٨٧»، وقال: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ «٨٩»، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «١٨٠».

الأنفال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ «٤٩»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ «٥٢».

يونس «١٠»: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ «١٠٩».

هود «١١»: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ «١».

يوسف «١٢»: ﴿الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ «٣٩»، وقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ «٦٤».

الرعد «١٣» ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ «١٣».

الإسراء «١٧»: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ «١١٠».

طه «٢٠»: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ «١١٤».

الحج «٢٢»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ «٤٠».

النور: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ «٢٥» وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ «٣٢».

الاحزاب «٣٣»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ «٣٤».

فاطر«٣٥»: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ «٣٠».

الفتح «٤٨»: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ «٧».

الحجرات «٤٩»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٢».

الذاريات «٥١»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ «٥٨».

الرحمن «٥٥»: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ «٢٧».

المجادلة «٥٨»: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ «٢».

الحشر«٥٩»: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ «٢٢- ٢٤».

الجمعة «٦٢»: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ «١١».

١ - **يد**: القطّان، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن أبي الحسن العبديّ، عن سليمان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاّ واحدة من أحصاها دخل الجنّة، وهي: الله، الإله، الواحد، الاحد، الصمد، الأوّل، الآخر، السميع البصير، القدير، القاهر، العليّ، الأعلى، الباقي، البديع، البارىء، الأكرم، الظاهر، الباطن، الحيّ، الحكيم، العليم، الحليم، الحفيظ، الحقّ، الحسيب، الحميد، الحفيّ، الربّ، الرحمن، الرحيم، الذارىء، الرازق، الرقيب، الرؤوف، الرائي، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، السيّد، السبُّوح الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفوُّ، الغفور، الغنيُّ، الغياث، الفاطر، الفرد، الفتّاح، الفالق، القديم، الملك، القدّوس، القويُّ، القريب، القيُّوم، القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، المولى، المنّان، المحيط، المبين، المقيت، المصوّر، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضرّ، الوتر، النور، الوهّاب، الناصر، الواسع، الودود، الهادي، الوفيُّ، الوكيل، الوارث، البرّ، الباعث، التوّاب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الديّان، الشكور، العظيم، اللّطيف، الشافي[1].

(١) التوحيد، ص ١٩٤ باب ٢١ ح ٨.

ل: بالإسناد المذكور مثله، وقال فيه: وقد روّيت هذا الخبر من طرق مختلفة وألفاظ مختلفة(١).

٢ - يد: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن الهرويّ، عن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن لله عزّ وجلّ تسعة وتسعين اسماً، من دعا الله بها استجاب له، ومن أحصاها دخل الجنّة(٢).

قال الصدوق رحمه الله: معنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله: لله تبارك وتعالى تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنّة إحصاؤها هو الاحاطة بها، والوقوف على معانيها، و ليس معنى الاحصاء عدّها: وبالله التوفيق.

«الله الإله» الله والإله المستحقّ للعبادة ولا تحقّ العبادة إلاّ له، وتقول: لم يزل إلهاً بمعنى أنّه يحقّ له العبادة، ولهذا لمّا ضلّ المشركون فقدّروا أنّ العبادة تجب للأصنام سمّوها آلهة، وأصله الألهة وهي العبادة، ويقال: أصله الأله يقال: أله الرجل يأله إليه أي فزع إليه من أمر نزل به، وألهه أي أجاره، ومثاله من الكلام «الإمام» فاجتمعت همزتان في كلمة كثر استعمالهم لها فاستثقلوهما فحذفوا الاصلية لأنّهم وجدوا فيما بقي دلالة عليها، فاجتمعت لامان أوّلهما ساكنة فأدغموها في الأخرى فصارت لاماً مثقلة في قولك: الله.

«الأحد الواحد» الأحد معناه أنّه واحدٌ في ذاته ليس بذي أبعاض ولا أجزاء ولا أعضاء، ولا يجوز عليه الأعداد والاختلاف لأنّ اختلاف الأشياء من آيات وحدانيّته ممّا دلّ به على نفسه، ويقال: لم يزل الله واحداً ومعنى ثان أنّه واحد لا نظير له ولا يشاركه في معنى الوحدانيّة غيره لأنّ كلّ من كان له نظراء أو أشباه لم يكن واحداً في الحقيقة، ويقال: فلان واحد الناس أي لا نظير له فيما يوصف به، والله واحد لا من عدد لأنّه عزّ وجلّ لا يعدّ في الأجناس، ولكنّه واحد ليس له نظير؛ وقال بعض الحكماء في الواحد والأحد: إنّما قيل: الواحد لأنّه متوحّد، والأوّل لا ثاني له ثمّ ابتدع الخلق كلّهم محتاجاً بعضهم إلى بعض، والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء بل هو قبل كلّ عدد، والواحد كيف ما أردته أو جزّأته لم يزد فيه شيء ولم ينقص منه شيء، تقول: واحد في واحد فلم يزد عليه شيء ولم يتغيّر اللفظ عن الواحد فدلّ أنّه لا شيء قبله، وإذا دلّ أنّه لا شيء قبله دلّ أنّه محدِث الشيء، وإذا كان هو مفني الشيء دلّ أنّه لا شيء بعده فإذا لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء فهو المتوحّد بالأزل فلذلك قيل: واحد أحد، وفي الأحد خصوصيّة ليست في الواحد تقول: ليس في الدار واحد يجوز أنّ واحداً من الدوابّ أو الطير أو الوحوش أو الإنس لا يكون في الدار، وكان الواحد بعض الناس وغير الناس، وإذا قلت: ليس في الدار أحد فهو مخصوص للآدميّين دون سائرهم؛ والأحد ممتنع من الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من

(١) الخصال، ص ٥٩٣ باب المائة فما فوق ح ٤. (٢) التوحيد، ص ١٩٥ باب ٢٩ ح ٩.

الحساب، وهو متفرّد بالأحديّة، والواحد منقاد للعدد والقسمة وغيرهما داخل في الحساب تقول: واحد واثنان وثلاثة، فهذا العدد والقسمة والواحد علّة العدد وهو خارج من العدد وليس بعدد، وتقول: واحد في اثنين أو ثلاثة فما فوقها، وتقول في القسمة: واحد بين اثنين، أو ثلاثة لكلّ واحد من الاثنين واحد ونصف، ومن الثلاثة ثلث فهذه القسمة، والأحد ممتنع في هذه كلّها لا يقال: أحد واثنان، ولا أحد في أحد، ولا يقال: أحد بين اثنين، والأحد والواحد وغيرهما من هذه الألفاظ كلّها مشتقّة من الوحدة[1].

«الصمد»: معناه السيّد، ومن ذهب إلى هذا المعنى جاز له أن يقول له: لم يزل صمداً، ويقال للسيّد المطاع في قومه الّذي لا يقضون أمراً دونه: صمد، وقد قال الشاعر:

علوته بحسام ثمّ قلت له   خذها حذيف فأنت السيّد الصمد

وللصمد معنى ثان وهو أنّه المصمود إليه في الحوائج يقال: صمدت صمد هذا الامر أي قصدت قصده، ومن ذهب إلى هذا المعنى لم يجز له أن يقول: لم يزل صمداً لأنّه قد وصفه عزّ وجلّ بصفة من صفات فعله وهو مصيب أيضاً، والصمد: الّذي ليس بجسم ولاجوف له.

أقول: وقد أخرجت في معنى الصمد في تفسير قل هو الله أحد في هذا الكتاب معاني أُخرى لم أُحبّ إعادتها في هذا الباب.

«الأول والآخر» الأوّل والآخر معناهما أنّه الأوّل بغير ابتداء، والآخر بغير إنتهاء.

«السميع» السميع معناه إذا وجد المسموع كان له سامعاً، ومعنى ثان أنّه سميع الدعاء أي مجيب الدعاء، وأمّا السامع فإنّه يتعدّى إلى مسموع ويوجب وجوده، ولا يجوز فيه بهذا المعنى لم يزل، والباري عزّ وجلّ سميعٌ لذاته.

«البصير» البصير معناه إذا كانت المبصرات كان لها مبصراً فلذلك جاز أن يقال: لم يزل بصيراً، ولم يجز أن يقال: لم يزل مبصراً لأنّه يتعدّى إلى مبصر ويوجب وجوده، والبصارة في اللّغة مصدر البصيرة وبصر بصارة، والله عزّ وجلّ بصير لذاته، وليس وصفنا له تبارك وتعالى بأنّه سميع بصير وصفاً بأنّه عالم بل معناه ما قدّمناه من كونه مدركاً، وهذه الصفة صفة كلّ حيّ لا آفة به.

بيان: أي ليس السمع والبصر مطلق العلم بل العلم بالجزئيّات المخصوصة أو نوع خاصّ من العلم وقد مرّ تحقيقه.

---

(١) قيل: إن الفرق بينهما من وجوه: الأول: إن الواحد هو المتفرد بالذات والأحد هو المتفرد بالمعنى. الثاني: إن الواحد أعم مورداً لاطلاقه على من يعقل وغيره بخلاف الأحد فإنه لا يطلق إلا على من يعقل. الثالث: إنّ الواحد يدخل في العدد بخلاف الأحد. الرابع: إنك إذا قلت فلان لا يقاومه واحد، جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان، مثلاً بخلاف الأحد. والخامس: إن الواحد يستعمل في الاثبات والأحد في النفي. [مأخوذ من مستدرك السفينة ج ١ لغة «أحد»].

«القدير والقاهر» القدير والقاهر معناهما أنّ الأشياء لا تطيق الامتناع منه وممّا يريد الإنفاذ فيها، وقد قيل: إنّ القادر من يصحّ منه الفعل إذا لم يكن في حكم الممنوع، والقهر: الغلبة، والقدرة مصدر قولك: قدر قدرة أي ملك فهو قدير قادر مقتدر، وقدرته على ما لم يوجد واقتداره على إيجاده هو قهره وملكه لها، وقد قال عزّ ذكره: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ويوم الدين لم يوجد بعد، ويقال: إنّه عزّ وجلّ قاهر لم يزل، ومعناه أنّ الاشياء لا تطيق الامتناع منه وممّا يريد إنفاذه فيها، ولم يزل مقتدراً عليها، ولم تكن موجودة كما يقال: مالك يوم الدين ويوم الدين لم يوجد.

«العلي»: العليّ معناه القاهر، فالله العليّ ذو العلا والتعالي أي ذو القدرة والقهر والاقتدار، يقال: علا الملك علوّاً، ويقال لكلّ شيء علا: قد علا علوّاً، وعلا يعلي علاءاً والمعلاة: مكسب الشرف، وهي من المعالي، وعلو كلّ شيء: أعلاه - برفع العين وخفضها - وفلان من عليّة الناس وهو اسم، ومعنى الارتفاع والصعود والهبوط عن الله تبارك وتعالى منفيّ. ومعنى ثان أنّه عليّ تعالى عن الأشباه والأنداد وعمّا خاضت فيه وساوس الجهّال وترامت إليه فكر الضلاّل فهو عليّ متعال عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وأمّا **«الاعلى»** فمعناه العليُّ القاهر، ويؤيّده قوله عزّ وجلّ لموسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي الغالب، وقوله عزّ وجلّ في تحريض المؤمنين على القتال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] وقوله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] أي غلبهم واستولى عليهم، وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

فلمّا علونا واستوينا عليهم ... تركناهم صرعى لنسر وكاسر

ومعنى ثان أنّه متعال عن الأشباه والأنداد أي متنزّه كما قال: ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

بيان: الكاسر: العقاب.

«الباقي» الباقي معناه الكائن بغير حدوث ولا فناء، والبقاء ضدّ الفناء، بقي الشيء بقاءاً. ويقال: ما بقيت منهم باقية ولا وقتهم من الله واقية؛ والدائم في صفاته هو الباقي أيضاً الّذي لا يبيد ولا يفنى.

«البديع» البديع مبدع البدائع، ومحدث الأشياء على غير مثال واحتذاء، وهو فعيل بمعنى مفعل، كقوله عزّ وجلّ : ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والمعنى: مؤلم، وتقول العرب: ضرب وجيع والمعنى: موجع، وقال الشاعر في هذا المعنى:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرّقني وأصحابي هجوع

فالمعنى: الداعي المسمع. والبدع: الشيء الذي يكون أوّلاً في كلّ أمر، ومنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩. (٢) سورة القصص، الآية: ٤.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾[1] أي لست بأوّل مرسل، والبدعة: اسم ما ابتدع من الدين وغيره، وقال الشاعر في هذا المعنى:

وكفّاك لم تخلقا للندى ولم يك بخلهما بدعة
فكفٌّ عن الخير مقبوضة كما حطّ عن مائة سبعة
وأخرى ثلاثة آلافها وتسع مائيها لها شرعة

ويقال: لقد جئت بأمر بديع أي مبدع عجيب.

بيان: ريحانة اسم المعشوقة، والأرق بالتحريك: السهر، وأرّقني كذا تأريقاً أي أسهرني أي أذهب عنّي النوم الداعي المسمع من قبل ريحانة، والحال أنّ أصحابي نيام. والأبيات الأخر هجو لرجل يوصفه بغاية البخل، والّذي خطر بالبال أنّ هذا مبنيٌّ على حساب العقود، وغرضه أنّ كفّيه مقبوضتان، وقوله: فكفٌّ يريد بها اليمنى وإذا حطّ عن مائة سبعة كان ثلاثة وتسعين، وعلامة الثلاثة في العقود عقد الخنصر والبنصر والوسطى من اليمنى، وعلامة التسعين وضع ظفر السبّابة على مفصل العقدة الثانية من الإبهام منها فبهذا وصف كون جميع أصابع كفّه اليمنى معقودة، وقوله: وأخرى إشارة إلى كفّه اليسرى، وعقد الثلاثة المذكورة أوّلاً من اليسرى موضوعة لثلاثة آلاف، وما كان للتسعين في اليمنى فهي بعينها لتسعمائة في اليسرى فبهذا بيّن كون أصابع كفّه اليسرى أيضاً كلّها معقودة وقوله: لها شرعة أي طريقة وعادة، فافهم وكن من الشاكرين.

«الباريء» الباريء معناه أنّه باريء البرايا أي خالق الخلائق، برأهم يبرأهم أي خلقهم يخلقهم، والبريئة: الخليقة وأكثر العرب على ترك همزها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة. وقال بعضهم: بل هي مأخوذة من بريت العود، ومنهم من يزعم أنّه من البريء[2] وهو التراب أي خلَقهم من التراب، وقالوا: لذلك لا يهمز.

«الأكرم» الاكرم معناه الكريم، وقد يجيء أفعل في معنى الفعيل مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي هيّن عليه، ومثل قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ يعني بالأشقى والأتقى الشقيّ والتقيّ، وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

إنّ الّذي سمك السماء بنا لنا بيتاً دعائمه أعزّ وأطول

«الظاهر» الظاهر معناه أنّه الظاهر بآياته الّتي أظهرها من شواهد قدرته وآثار حكمته، وبيّنات حجّته الّتي عجز الخلق عن إبداع أصغرها وإنشاء أيسرها وأحقرها عندهم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾[3] فليس شيء من خلقه إلاّ وهو شاهد له على وحدانيّته من جميع جهاته وأعرض تبارك وتعالى عن

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٩.
(٢) كذا والصواب: البرى.
(٣) سورة الحج، الآية: ٧٣.

وصف ذاته فهو ظاهر بآياته محتجب بذاته. ومعنى ثان أنّه ظاهرٌ غالبٌ قادرٌ على ما يشاء، ومنه قوله عزّوجلّ : ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي غالبين لهم.

«الباطن» الباطن معناه أنّه قد بطن عن الأوهام فهو باطن بلا إحاطة لا يحيط به محيط لأنّه قدم الفكر فخبت عنه، وسبق العلوم فلم تحط به، وفات الأوهام فلم تكتنهه، وحارت عنه الأبصار فلم تدركه، فهو باطن كلّ باطن، ومحتجب كلّ محتجب، بطن بالذات، وظهر وعلا بالآيات فهو الباطن بلا حجاب، والظاهر بلا اقتراب. ومعنى ثان أنه باطن كلّ شيء أي خبيرٌ بصيرٌ بما يسرُّون وما يعلنون، وبكلّ ما ذرأ. وبطانة الرجل: وليجته من القوم الّذين يداخلهم ويداخلونه في دخلة أمره، والمعنى أنّه عزّوجلّ عالم بسرائرهم لا أنّه عزّوجلّ يبطن في شيء يواريه.

«الحي» الحيّ معناه أنّه الفعّال المدبّر، وهو حيٌّ لنفسه لا يجوز عليه الموت. والفناء، وليس يحتاج إلى حياة بها يحيى.

«الحكيم» الحكيم معناه أنّه عالم، والحكمة في اللّغة: العلم، ومنه قوله عزّوجلّ : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ ومعنى ثان أنّه محكم وأفعاله محكمة متقنة من الفساد؛ وقد حكمته وأحكمته لغتان؛ وحكمة اللّجام سمّيت بذلك لأنّها تمنعه من الجري الشديد، وهو ما أحاطت بحنكه.

«العليم» العليم معناه أنّه عليم بنفسه عالم بالسرائر مطلّع على الضمائر لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة، علم الأشياء قبل حدوثها وبعدما أحدثها، سرّها وعلانيتها، ظاهرها وباطنها، وفي علمه عزّوجلّ بالأشياء على خلاف علم الخلق دليل على أنّه تبارك وتعالى بخلافهم في جميع معانيهم، والله عالمٌ لذاته، والعالم من يصحّ منه الفعل المحكم المتقن، فلا يقال: إنّه يعلم الأشياء بعلم، كما لا يثبت معه قديم غيره بل يقال: إنّه ذات عالمة، وهكذا يقال في جميع صفات ذاته.

«الحليم» الحليم معناه أنّه حليم عمّن عصاه، لا يعجل عليهم بعقوبة.

«الحفيظ» الحفيظ معناه الحافظ وهو فعيلٌ بمعنى فاعل، ومعناه أنّه يحفظ الأشياء ويصرف عنها البلاء، ولا يوصف بالحفظ على معنى العلم لأنّا نوصف بحفظ القرآن والعلوم على المجاز، والمراد بذلك أنّا إذا علمناه لم يذهب عنّا كما إذا حفظنا الشيء لم يذهب عنّا.

«الحق» الحقّ معناه المحقّ، ويوصف به توسّعاً لأنّه مصدر، وهو كقولهم: غياث المستغيثين. ومعنى ثان يراد به أنّ عبادة الله هي الحقّ، وعبادة غيره هي الباطل، ويؤيّد ذلك قوله عزّوجلّ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ (١) أي يبطل ويذهب ولا يملك لأحد ثواباً ولا عقاباً.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٦٢.

«الحسيب» الحسيب معناه المحصي لكلّ شيء العالم به، لا يخفى عليه شيء. ومعنى ثان أنّه المحاسب لعباده، يحاسبهم بأعمالهم ويجازيهم عليها، وهو فعيل على معنى مفاعل مثل جليس ومجالس. ومعنى ثالث أنّه الكافي، والله حسبي وحسبك أي كافينا، وأحسبني هذا الشيء أي كفاني، وأحسبته أي أعطيته حتّى قال: حسبي، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[1] أي كافياً.

«الحميد» الحميد معناه المحمود وهو فعيل في معنى مفعول، والحمد: نقيض الذمّ، ويقال: حمدت فلاناً إذا رضيت فعله ونشرته في الناس.

«الحفي» الحفيّ معناه العالم، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾[2] أي يسألونك عن الساعة كأنّك عالم بوقت مجيئها. ومعنى ثان أنّه اللّطيف، والحفاية مصدر؛ الحفيّ: اللّطيف المحتفي بك ببرّك وبلطفك.

«الرب» الربّ المالك، وكلّ من ملك شيئاً فهو ربّه، ومنه قوله عزّ وجلّ. ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي إلى سيّدك ومليكك، وقال قائل يوم حنين: لأن يربّني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن. يريد: إن يملكني ويصير لي ربّاً ومالكاً. ولا يقال لمخلوق الربّ بالألف واللام لأنّ الألف واللام دالّتان على العموم، وإنّما يقال للمخلوق: ربّ كذا فيعرّف بالإضافة لأنّه لا يملك غيره فينسب إلى ملكيّته، والربّانيّون نسبوا إلى التألّه والعبادة للربّ في معنى الربوبيّة له، والربّيّون الّذين صبروا مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

«الرحمن» الرحمن معناه الواسع الرحمة على عباده يعمّهم بالرزق والإنعام عليهم؛ ويقال: هو اسم من أسماء الله تبارك وتعالى في الكتب لا سميّ له فيه؛ ويقال للرجل: رحيم القلب، ولا يقال: رحمن لأنّ الرحمن يقدر على كشف البلوى، ولا يقدر الرحيم من خلقه على ذلك، وقد جوّز قوم أن يقال للرجل: رحمن، وأرادوا به الغاية في الرحمة، وهذا خطأ، والرحمن: هو لجميع العالم، والرحيم هو للمؤمنين خاصّة.

«الرحيم» الرحيم معناه أنّه رحيم بالمؤمنين يخصّهم برحمته في عاقبة أمرهم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ والرحمن الرحيم اسمان مشتقّان من الرحمة على وزن ندمان ونديم، ومعنى الرحمة: النعمة، والراحم: المنعم، كما قال عزّ وجلّ لرسوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني نعمة عليهم، ويقال للقرآن: هدىً ورحمة؛ وللغيث رحمة يعني نعمة، وليس معنى الرحمة: الرقّة لأنّ الرقّة عن الله عزّ وجلّ منفيّة، وإنّما سمّي رقيق القلب من الناس رحيماً لكثرة ما يوجد الرحمة منه، ويقال: ما أقرب رحم فلان! إذا كان ذا مرحمة وبرّ، والمرحمة: الرحمة، ويقال: رحمته مرحمةً ورحمةً.

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٣٦. (٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

«الذارىء» الذارىء معناه الخالق يقال: ذرأ الله الخلق وبرأهم أي خلقهم، وقد قيل: إنّ الذريّة منه اشتقّ اسمها، كأنّهم ذهبوا إلى أنّها خلق الله عزّ وجلّ خلقها من الرجل، وأكثر العرب على ترك همزها، وإنّما تركوا الهمز في هذا المذهب لكثرة تردّدها في أفواههم كما تركوا همزة البريّة وهمزة بريء وأشباه ذلك. ومنهم من يزعم أنّها من ذروت أو ذريت معاً يريد أنّه قد كثّرهم وبثّهم في الأرض بثّاً كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾(١).

بيان: ذرو الرياح يكون بالواو والياء معاً.

«الرازق» الرازق معناه أنّه عزّ وجلّ يرزق عباده برّهم وفاجرهم رزقاً؛ بفتح الراء رواية من العرب، ولو أرادوا المصدر لقالوا: رزقاً بكسر الراء. ويقال: ارتزق الجند رزقة واحدة أي أخذوه مرّة واحدة.

«الرقيب» الرقيب معناه الحافظ، وهو فعيل بمعنى فاعل، ورقيب القوم: حارسهم.

«الرؤوف» الرؤوف معناه الرحيم، والرأفة: الرحمة.

«الرائي» الرائي معناه العالم، والرؤية: العلم. ومعنى ثان أنّه المبصر، ومعنى الرؤية: الإبصار، ويجوز في معنى العلم لم يزل رائياً، ولا يجوز ذلك في معنى الإبصار.

«السلام» السلام معناه المسلّم، وهو توسّع لأنّ السلام مصدر، والمراد به أنّ السلامة تنال من قبله، والسلام والسلامة مثل الرضاع والرضاعة واللّذاذ واللّذاذة. ومعنى ثان أنّه يوصف بهذه الصفة لسلامته ممّا يلحق الخلق من العيب والنقص والزوال والانتقال والفناء والموت، وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٢) والسلام: هو الله عزّ وجلّ، وداره الجنّة، ويجوز أن يكون سمّاها سلاماً لأنّ الصائر إليها يسلم فيها من كلّ ما يكون في الدنيا من مرض ووصب وموت وهرم وأشباه ذلك، فهي دار السلامة من الآفات والعاهات، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾(٣) يقول: فسلامة لك منهم أي تخبرك عنهم سلامة، والسلامة في اللّغة: الصواب والسداد أيضاً، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾(٤) أي سداداً وصواباً، ويقال: سمّي الصواب من القول سلاماً لأنّه يسلم من العيب والإثم.

«المؤمن» المؤمن معناه المصدّق، والإيمان: التصديق في اللّغة، يدلّ على ذلك قوله عزّ وجلّ حكايةً عن إخوة يوسف على نبيّنا وآله وعليه السلام: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾(٥) فالعبد مؤمن مصدّق بتوحيد الله وآياته، والله مؤمن مصدّق لما وعده

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٧.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٩١.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
(٥) سورة يوسف، الآية: ١٧.

ومحقّقه. ومعنى ثان أنّه محقّق حقّق وحدانيّته بآياته عند خلقهم وعرّفهم حقيقته لما أبدى من علاماته وأبان من بيّناته وعجائب تدبيره ولطائف تقديره. ومعنى ثالث أنّه آمنهم من الظلم والجور، وقال الصادق عليه السلام : سمّي الباري عزّ وجلّ مؤمناً لأنّه يؤمن من عذابه من أطاعه، وسمّي العبد مؤمناً لأنّه يؤمن على الله فيجيز الله أمانه، وقال عليه السلام : المؤمن من أمن جاره بوائقه. وقال عليه السلام : المؤمن الّذي يأتمنه المسلمون على أموالهم ودمائهم.

«**المهيمن**» المهيمن معناه الشاهد، وهو كقوله عزّ وجلّ ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1] أي شاهداً عليه. ومعنى ثان أنّه اسم مبنيٌّ من الأمين، والأمين اسم من أسماء الله عزّ وجلّ كما بني المبيطر من البيطر والبيطار، وكان الأصل فيه مؤيمناً فقلبت الهمزة هاءاً كما قلبت همزة أرقت وأيهات فقيل: هرقت وهيهات. وأمين اسمٌ من أسماء الله عزّ وجلّ ، ومن طوّل الألف أراد يا أمين فأخرجه مخرج قولهم: «أزيد» على معنى يا زيد، ويقال: المهيمن من أسماء الله عزّ وجلّ في الكتب السابقة.

«**العزيز**» العزيز معناه أنّه لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء أراده فهو قاهر للأشياء غالب غير مغلوب، وقد يقال في مثل: «من عزَّ بزَّ» أي من غلب سلب، وقوله عزّ وجلّ حكايةً عن الخصمين: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي غلبني في مجاوبة الكلام. ومعنى ثان أنه الملك، ويقال للملك العزيز كما قال إخوة يوسف ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ والمراد به يا أيُّها الملك.

«**الجبار**» الجبّار معناه القاهر الّذي لا ينال، وله التجبّر والجبروت أي التعظّم والعظمة، ويقال للنخلة الّتي لا تنال: جبارة والجبر أن تجبر إنساناً على ما يكرهه قهراً تقول: جبرته على ما ليس كذا وكذا، وقال الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين عنى بذلك أنَّ الله تبارك وتعالى لم يجبر عباده على المعاصي ولم يفوّض إليهم أمر الدين حتى يقولوا بآرائهم ومقاييسهم، فإنّه عزّ وجلّ قد حدَّ ووظّف وشرع وفرض وسنّ وأكمل لهم الدين فلا تفويض مع التحديد والتوظيف والشرع والفرض والسنّة وإكمال الدين.

«**المتكبر**» المتكبّر مأخوذ من الكبرياء وهو اسم للتكبّر والتعظم.

«**السيد**» السيّد معناه الملك، ويقال لملك القوم وعظيمهم: سيد، وقد سادهم يسودهم، وقيل لقيس بن عاصم: بمَ سدت قومك؟ قال: ببذل الندى وكفّ الأذى ونصر المولى. وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله : عليٌّ سيّد العرب، فقالت عائشة: يا رسول الله ألست سيّد العرب؟ قال: أنا سيّد ولد آدم، وعلي سيّد العرب، فقالت عائشة: يا رسول الله وما السيّد؟ قال: من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي وقد أخرجت هذا الحديث مسنداً في كتاب معاني الأخبار فعلى معنى هذا الحديث السيّد هو الملك الواجب الطاعة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

«سبوح» سبّوح هو حرف مبنيّ على فعُّول، وليس في كلام العرب فعُّول إلاّ سبّوح قدّوس، ومعناهما واحد، وسبحان الله تنزيهاً له عن كلّ ما لا ينبغي أن يوصف به، ونصبه لأنّه في موضع فعل على معنى تسبيحاً لله يريد سبّحت تسبيحاً، ويجوز أن يكون نصباً على الظرف ومعناه نسبّح لله وسبّحوا لله.

بيان: الواو في قوله: وسبّحوا لله للحال، وهو بيان لحاصل معنى الظرفيّة أي اسبّح الله عند تسبيح كل مسبّح لله.

«الشهيد» الشهيد معناه الشاهد بكلّ مكان صانعاً ومدبراً على أنّ المكان مكان لصنعه وتدبيره لا على أنّ المكان مكان له لأنّه عزّوجلّ كان ولا مكان.

«الصادق» الصادق معناه أنّه صادق في وعده، ولا يبخس ثواب من يفي بعهده.

«الصانع» الصانع معناه أنّه صانع كلّ مصنوع أي خالق كلّ مخلوق، ومبدع جميع البدائع، وكلّ ذلك دالٌّ على أنّه لا يشبه شيئاً من خلقه لأنّا لم نجد فيما شاهدنا فعلاً يشبه فاعله لأنّهم أجسام وأفعالهم غير أجسام، والله تعالى عن أن يشبه أفعاله، وأفعاله لحم ودم وعظم وشعر وعصب وعروق وأعضاء وجوارح وأجزاء ونور وظلمة وأرض وسماء وشجر وحجر وغير ذلك من صنوف الخلق، وكل ذلك فعله وصنعه عزّوجلّ، وجميع ذلك دليلٌ على وحدانيّته، شاهد على انفراده وعلى أنّه بخلاف خلقه وأنّه لا شريك له؛ وقال بعض الحكماء في هذا المعنى وهو يصف النرجس:

عيون في جفون في فنون ... بدت فأجاد صنعتها المليك
بأبصار التغنّج طامحات ... كأنّ حداقها ذهب سبيك
على غصن الزمرّد مخبرات ... بأن الله ليس له شريك

«الطاهر» الطاهر معناه أنّه متنزّه عن الأشباه والأنداد والأضداد والأمثال والحدود والزوال والانتقال، ومعاني الخلق من العرض والطول والاقطار والثقل والخفّة والدقّة والغلظ والدخول والخروج والملازقة والمباينة والرائحة والطعم واللّون والمجسّة والخشونة واللّين والحرارة والبرودة والحركة والسكون والاجتماع والافتراق و التمكّن في مكان دون مكان لأنّ جميع ذلك محدث مخلوق وعاجز ضعيف من جميع الجهات دليل على محدث أحدثه وصانع صنعه قادر قويّ طاهر عن معانيها لا يشبه شيئاً منها لأنّها دلّت من جميع جهاتها على صانع صنعها ومحدِث أحدثها، وأوجبت على جميع ما غاب عنها من أشباهها وأمثالها أن تكون دالّة على صانع صنعها تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

«العدل» العدل معناه الحكم بالعدل والحقّ، وسمّي به توسّعاً لأنّه مصدر والمراد به العادل، والعدل من الناس المرضيّ قوله وفعله وحكمه.

«العفو» العفوّ اسمٌ مشتقٌّ من العفو على وزن فعول، والعفو: المحو؛ يقال: عفي

الشيء: إذا امتحى وذهب ودرس، وعفوته أنا: إذا محوته، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ أي محا الله عنك إذنك لهم.

«الغفور» الغفور اسم مشتقٌّ من المغفرة وهو الغافر الغفّار وأصله في اللّغة: التغطية والستر تقول: غفرت الشيء: إذا غطّيته، ويقال: هذا أغفر من هذا أي أستر، وغفر الخزّ والصوف: ما علا فوق الثوب منهما كالزئبر، يسمّى غفراً لأنّه ستر الثوب، ويقال لجنّة الرأس: مغفر لأنّها تستر الرأس، والغفور: الساتر لعبده برحمته.

بيان: الغفر بالتحريك. الزئبر بكسر الزاء فالهمزة الساكنة فالباء الموحّدة المكسورة، وهو ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخزّ.

«الغني» الغنيّ معناه أنّه الغنيّ بنفسه عن غيره وعن الاستعانة بالآلات والادوات وغيرها، والأشياء كلّها سوى الله عزّوجلّ متشابهة في الضعف والحاجة فلا يقوم بعضها إلاّ ببعض ولا يستغني بعضها عن بعض.

«الغياث» الغياث معناه المغيث سمّي به توسّعاً لأنّه مصدر.

«الفاطر» الفاطر معناه الخالق فطر الخلق أي خلقهم، وابتدأ صنعة الأشياء وابتدعها فهو فاطرها أي خالقها ومبدعها.

«الفرد» الفرد معناه أنّه المتفرّد بالربوبيّة والأمر دون الخلق. ومعنى ثان أنّه موجود وحده لا موجود معه.

«الفتاح» الفتّاح معناه أنّه الحاكم ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ وقوله عزّوجلّ: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

«الفالق» الفالق اسم مشتقّ من الفلق ومعناه في أصل اللّغة: الشقّ يقال: سمعت هذا من فلق فيه، وفلقت الفستقة فانفلقت، وخلق الله تبارك وتعالى كل شيء فانفلق عن جميع ما خلق، فلق الارحام فانفلقت عن الحيوان، وفلق الحبّ والنوى فانفلقا عن النبات وفلق الأرض فانفلقت عن كلّ ما أخرج منها هو كقوله عزّوجلّ: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[1] صدعها فانصدعت، وفلق الظلام فانفلق عن الإصباح، وفلق السماء فانفلقت عن القطر، وفلق البحر لموسى على نبيّنا وآله وعليه السلام فانفلق فكان كلّ فرق منه كالطود العظيم.

«القديم» القديم معناه المتقدّم للأشياء كلّها، وكل متقدّم لشيء يسمّى قديماً إذا بولغ في الوصف، ولكنّه سبحانه قديمٌ لنفسه بلا أوّل ولا نهاية، وسائر الأشياء لها أوّل ونهاية، ولم يكن لها هذا الاسم في بدئها فهي قديمة من وجه ومحدثة من وجه، وقد قيل: إنَّ القديم معناه أنّه الموجود لم يزل، وإذا قيل لغيره أنّه قديم كان على المجاز لأنّ غيره محدث ليس بقديم.

(١) سورة الطارق، الآية: ١٢.

«الملك» الملك هو مالك الملك قد ملك كلّ شيء، والملكوت: ملك الله عزّ وجلّ زيدت فيه التاء كما زيدت في رهبوت ورحموت، تقول العرب: رهبوت خير من رحموت أي لأن ترهب خيرٌ من أن ترحم.

«القدّوس» القدّوس معناه الطاهر، والتقديس: التطهير والتنزيه، وقوله عزّ وجلّ حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[1] أي ننسبك إلى الطهارة ونسبّحك. ونسبّح بحمدك ونقدّس لك بمعنى واحد، وحظيرة القدس: موضع القدس من الأدناس الّتي تكون في الدنيا والأوصاب والأوجاع وأشباه ذلك؛ وقد قيل: إنّ القدّوس من أسماء الله عزّ وجلّ في الكتب.

«القويّ» القويُّ معناه معروف، وهو القويّ بلا معاناة ولا استعانة.

«القريب» القريب معناه المجيب، ويؤيّد ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2] ومعنى ثان أنّه عالم بوساوس القلوب. لا حجاب بينه وبينها ولا مسافة، ويؤيّد هذا المعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3] فهو قريب من غير مماسّة، بائن من خلقه بغير طريق ولا مسافة بل هو على المفارقة لهم في المخالطة، والمخالفة لهم في المشابهة؛ وكذلك التقرّب إلى الله ليس من جهة الطرق والمسائف إنّما هو من جهة الطاعة وحسن العبادة فالله تبارك وتعالى قريب دان دنوّه من غير تنقّل لأنّه ليس باقتطاع المسائف يدنو، ولا باجتياز الهواء يعلو كيف وقد كان قبل السفل والعلو، وقبل أن يوصف بالعلو والدنو.

«القيّوم» القيّوم والقيّام هما فيعول وفيعال من قمت بالشيء: إذا وليته بنفسك وتولّيت حفظه وإصلاحه، وتقديره قولهم: ما فيها من ديّور ولا ديّار.

«القابض» القابض اسم مشتقٌّ من القبض، وللقبض معان: منها الملك يقال: فلان في قبضي، وهذه الضيعة في قبضي، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[4] وهذا كقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾[5] وقوله: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ وقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ومنها إفناء الشيء، ومن ذلك قولهم للميّت: قبضه الله إليه، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[6] فالشمس لا يقبض بالبراجم، والله تبارك وتعالى قابضها ومطلقها، ومن هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[7]، فهو باسطٌ على عباده فضله وقابض

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٣) سورة ق، الآية: ١٦.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٧٣.
(٦) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٥-٤٦.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

ما يشاء من عائدته وأياديه، والقبض: قبض البراجم أيضاً، وهو عن الله تعالى ذكره منفيٌّ، ولو كان القبض والبسط الّذي ذكره الله عزّوجلّ من قبل البراجم لما جاز أن يكون في وقت واحد قابضاً وباسطاً لاستحالة ذلك، والله تعالى ذكره في كلّ ساعة يقبض الأنفس ويبسط الرزق ويفعل ما يريد.

بيان: البراجم مفاصل الأصابع الّتي بين الأشاجع والرواجب، وهي رؤوس السلاميات من ظهر الكفّ، إذا قبض القابض كفّه ارتفعت.

«الباسط» الباسط معناه المنعم المفضل، قد بسط على عباده فضله وإحسانه وأسبغ عليهم نعمه.

«القاضي» القاضي اسم مشتقّ من القضاء، ومعنى القضاء من الله عزّوجلّ ثلاثة أوجه: فوجه منها هو الحكم والإلزام: يقال: قضى القاضي على فلان بكذا أي حكم عليه به وألزمه إيّاه، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾(١) ووجه منها هو الخبر ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾(٢) أي أخبرناهم بذلك على لسان النبيّ، ووجه منها هو الإتمام ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾(٣) ومنه قول الناس: قضى فلانٌ حاجتي يريد أنّه أتمّ حاجتي على ما سألته.

«المجيد» المجيد معناه الكريم العزيز، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي كريمٌ عزيز، والمجد في اللّغة نيل الشرف، ومجد الرجل وأمجد لغتان وأمجده: كرم فعاله ومعنى ثان أنّه مجيد ممجّد مجّده خلقه أي عظّموه.

«المولى» المولى معناه الناصر، ينصر المؤمنين ويتولّى نصرهم على عدوّهم، ويتولّى ثوابهم، وكراماتهم، ووليّ الطفل هو الّذي يتولّى إصلاح شأنه، والله وليّ المؤمنين وهو مولاهم وناصرهم، والمولى في وجه آخر هو الأولى، ومنه قول النبيّ صلّى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليّ مولاه وذلك على إثر كلام قد تقدّمه وهو أن قال: أولى بكم من أنفسكم؛ قالوا: بلى يا رسول الله؛ قال: فمن كنت مولاه أي من كنت أولى به منه بنفسه فعليٌّ مولاه أي أولى به منه بنفسه.

«المنان» المنّان معناه المعطي المنعم، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٤) وقوله عزّوجلّ: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾(٥).

«المحيط» المحيط معناه أنّه محيط بالأشياء عالمٌ بها كلّها، وكلّ من أخذ شيئاً كلّه أو بلغ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤.
(٣) سورة فصلت، الآية: ١٢.
(٤) سورة ص، الآية: ٣٩.
(٥) سورة المدثر، الآية: ٦.

علمه أقصاه فقد أحاط به، وهذا على التوسّع لأنّ الإحاطة في الحقيقة إحاطة الجسم الكبير بالجسم الصغير من جوانبه كإحاطة البيت بما فيه وإحاطة السور بالمدن، ولهذا المعنى سمّي الحائط حائطاً. ومعنى ثان يحتمل أن يكون نصباً على الظرف معناه مستولياً مقتدراً كقوله عزّوجلّ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾[1] فسمّاه إحاطةً لهم لأنّ القوم إذا أحاطوا بعدوّهم لم يقدر العدوّ على التخلّص منهم.

«المبين» المبين معناه الظاهر البيّن حكمته المظهر لها بما أبان من بيّناته وآثار قدرته، ويقال: بان الشيء وأبان واستبان بمعنى واحد.

«المقيت»: المقيت معناه الحافظ الرقيب، ويقال: بل هو القدير.

«المصور» المُصور هو اسم مشتقّ من التصوير، يصوّر الصور في الأرحام كيف يشاء، فهو مصوّر كلّ صورة، وخالق كلّ مصوّر في رحم ومدرك ببصر ومتمثّل في نفس، وليس الله تبارك وتعالى بالصورة والجوارح يوصف، ولا بالحدود والأبعاض يعرف، ولا في سعة الهواء بالأوهام يطلب، ولكن بالآيات يعرف وبالعلامات والدلالات يحقّق، وبها يوقن، وبالقدرة والعظمة والجلال والكبرياء يوصف لأنّه ليس له في خلقه شبيه ولا في بريّته عديل.

«الكريم» الكريم معناه العزيز، يقال: فلان أكرم عليّ من فلان أي أعزّ منه ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ وكذلك قوله عزّوجلّ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[2]. ومعنى ثان أنّه الجواد المفضل يقال: رجل كريم أي جواد، وقوم كرام أي أجواد، وكريم وكرم مثل أديم وأدم.

«الكبير» الكبير السيّد يقال لسيّد القوم: كبيرهم، والكبرياء اسم للتكبّر والتعظّم.

«الكافي» الكافي اسم مشتقّ من الكفاية، وكلّ من توكّل عليه كفاه، ولا يلجئه إلى غيره.

«الكاشف» الكاشف معناه المفرّج يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء، والكشف في اللّغة: رفعك شيئاً عمّا يواريه ويغطّيه.

«الوتر» الوتر معناه الفرد، وكلّ شيء كان فرداً قيل: وتر.

«النور» النور معناه المنير، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي منير لهم وآمرهم وهاديهم فهم يهتدون به في مصالحهم كما يهتدون في النور والضياء وهذا توسّع، والنور: الضياء، والله عزّوجلّ متعال عن ذلك علوّاً كبيراً لأنّ الأنوار محدثة، ومحدثها قديم لا يشبهه شيء، وعلى سبيل التوسّع قيل: إنّ القرآن نورٌ، لأنّ الناس يهتدون به في دينهم كما يهتدون بالضياء في مسالكهم، ولهذا المعنى كان النبيّ صلى الله عليه وآله منيراً.

«الوهاب» الوهّاب معروف، وهو من الهبة يهب لعباده ما يشاء ويمنّ عليهم بما يشاء،

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾[1].

«الناصر» الناصر والنصير بمعنى واحد، والنصرة: حسن المعونة.

«الواسع» الواسع الغنيّ، والسعة: الغنى، يقال: فلان يعطي من سعة أي من غنى، والوسع: جدة الرجل وقدرة ذات يده، ويقال: أنفق على قدر وسعك.

«الودود» الودود فعول بمعنى مفعول كما يقال: هيوب، بمعنى مهيب يراد به أنّه مودود محبوب، ويقال: بل فعول بمعنى فاعل كقولك: غفور بمعنى غافر أي يودُّ عباده الصالحين ويحبّهم، والودّ والوداد مصدر المودّة، وفلان ودُّك ووديدك أي حبّك وحبيبك.

«الهادي» الهادي معناه أنّه عزّ اسمه يهديهم للحقّ، والهدى من الله عَزَّوَجَلَّ على ثلاثة أوجه: فوجه هو الدلالة قد دلّهم جميعاً على الدين. والثاني هو الإيمان، والإيمان هدى من الله عَزَّوَجَلَّ كما أنّه نعمة من الله. والثالث هو النجاة وقد بيّن الله عَزَّوَجَلَّ أنّه سيهدي المؤمنين بعد وفاتهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾[2] ولا يكون الهدى بعد الموت والقتل إلاّ الثواب والنجاة، وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾[3] وهو ضد الضلال الذي هو عقوبة الكافر، وقال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي يهلكهم ويعاقبهم، وهو كقوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي أهلك أعمالهم وأحبطها بكفرهم.

«الوفي» الوفيُّ معناه يفي بعهدهم ويوفي بعهده، ويقال: رجل وفيّ وموف، وقد وفيت بعهدك وأوفيت لغتان.

«الوكيل» الوكيل معناه المتولّي أي القائم بحفظنا، وهذا هو معنى الوكيل على المال منّا. ومعنى ثان أنّه المعتمد والملجأ؛ والتوكّل: الاعتماد عليه والالتجاء إليه.

«الوارث» الوارث معناه أنّ كلّ من ملّكه الله شيئاً يموت ويبقى ما كان في ملكه ولا يملكه إلاّ الله تبارك وتعالى.

«البر» البرّ معناه الصادق يقال: صدق فلان وبرّ، ويقال: برّت يمين فلان: إذا صدقت، وأبرّها الله أي أمضاها على الصدق.

«الباعث» الباعث معناه أنّه يبعث من في القبور ويحييهم وينشرهم للجزاء والبقاء.

«التواب» التوّاب معناه أنّه يقبل التوبة ويعفو عن الحوبة إذا تاب منها العبد يقال: تاب العبد إلى الله عَزَّوَجَلَّ فهو تائب توّاب إليه، وتاب الله عليه أي قبل توبته فهو توّاب عليه، والتوْب: التوبة، ويقال اتّأب فلان من كذا - مهموزاً -: إذا استحيى منه، ويقال: ما طعامك بطعام تؤبة أي لا يحتشم منه ولا يستحيى منه.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٩. (٢) سورة محمد، الآيتان: ٤-٥

(٣) سورة يونس، الآية: ٩.

بيان: لعلّ مراده بقوله: مهموز الهمز الأوّل أي بوزن باب الإفعال، ولم أعثر على ما ذكره من المعنى الأخير فيما عندنا من كتب اللغة.

«الجليل» الجليل معناه السيّد يقال لسيّد القوم: جليلهم وعظيمهم، وجلّ جلال الله فهو الجليل، ذو الجلال والإكرام، ويقال: جلّ فلان في عيني أي عظم، وأجللته أي عظّمته.

«الجواد» الجواد معناه المحسن المنعم الكثير الإنعام والإحسان يقال: جاد السخيّ من الناس يجود جوداً، ورجل جواد، وقوم أجواد وجود أي أسخياء، ولا يقال لله عزّوجلّ: سخي لأنّ أصل السخاوة راجع إلى اللّين يقال: أرض سخاويّة وقرطاس سخاويّ: إذا كان ليّناً، وسمّي السخيّ سخيّاً للينه عند الحوائج إليه.

«الخبير» الخبير معناه العالم، والخبر والخبير في اللّغة واحد، والخبر علمك بالشيء يقال: لي به خبر أي علم.

بيان: قال الفيروزآباديّ: رجلٌ خابر وخبير وخبر ككتف وحجر: عالم به.

«الخالق» الخالق معناه الخلاّق خلق الخلائق خلقاً وخليقة، والخليقة: الخلق: والجمع الخلائق، والخلق في اللّغة: تقديرك الشيء يقال في مثل: إنّي إذا خلقت فريت لا كمن يخلق ولا يفري، وفي قول أئمتنا عليهم السلام: إنّ أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، وخلق عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام من الطين كهيئة الطير هو خلق تقدير أيضاً، ومكوّن الطير وخالقه في الحقيقة الله عزّوجلّ.

بيان: قال الجوهريّ: الخلق: التقدير يقال: خلقت الأديم: إذا قدّرته قبل القطع، وقال الحجّاج: ما خلقت إلا فريت ولا وعدت إلاّ وفيت انتهى. والفري: القطع.

«خير الناصرين» خير الناصرين وخير الراحمين معناه أنّه فاعل الخير إذا كثر ذلك منه سمّي خيراً توسّعاً.

بيان: الظاهر أنّ الخير بمعنى التفضيل أي الأخير وهو صفة ولا حاجة إلى ما تكلّفه.

«الديان» الديّان هو الّذي يدين العباد ويجزيهم بأعمالهم، والدين: الجزاء، ولا تجمع لأنّه مصدر يقال: دان يدين ديناً، ويقال في مثل: كما تدين تدان أي كما تجزي تجزى، قال الشاعر:

كما يدين الفتى يوماً يدان به من يزرع الثوم لا يقلعه ريحانا

«الشكور» الشكور والشاكر معناهما أنّه يشكر للعبد عمله، وهو توسّع لأنّ الشكر في اللّغة عرفان الإحسان، وهو المحسن إلى عباده المنعم عليهم لكنّه سبحانه لمّا كان مجازياً للمطيعين على طاعتهم جعل مجازاته شكراً لهم على المجاز، كما سمّيت مكافاة المنعم شكراً.

«العظيم» العظيم معناه السيّد، وسيّد القوم: عظيمهم وجليلهم؛ ومعنى ثان أنّه يوصف

بالعظمة لغلبته على الأشياء وقدرته عليها، ولذلك كان الواصف بذلك معظّماً، ومعنى ثالث أنّه عظيم لأنّ ما سواه كلّه ذليل خاضع فهو عظيم السلطان عظيم الشأن؛ ومعنى رابع أنّه المجيد يقال: عظم فلان في المجد عظامة، والعظامة - مصدر -: الأمر العظيم، والعظمة من التجبّر، وليس معنى العظيم ضخم طويل عريض ثقيل لأنّ هذه المعاني معاني الخلق وآيات الصنع والحدث، وهي عن الله تبارك وتعالى منفيّة، وقد روي في الخبر أنّه سمّي العظيم لأنّه خالق الخلق العظيم وربّ العرش العظيم وخالقه.

«اللطيف» اللّطيف معناه أنّه لطيف بعباده فهو لطيف بهم بارٌّ بهم منعم عليهم، واللّطف: البرّ والتكرمة، يقال: فلان لطيف بالناس بارٌّ بهم: يبرّهم ويلطفهم إلطافاً، ومعنى ثان أنّه لطيف في تدبيره وفعله يقال: فلان لطيف العمل. وقد روي أنّ معنى اللّطيف هو أنّه الخالق للخلق اللّطيف كما أنّه سمّي العظيم لأنّه الخالق للخلق العظيم.

«الشافي» الشافي معناه معروف وهو من الشفاء كما قال الله عزّوجلّ حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [1].

فجملة هذه الأسماء الحسنى تسعة وتسعون اسماً، وأمّا تبارك فهو من البركة، وهو عزّوجلّ ذو بركة، وهو فاعل البركة وخالقها وجاعلها في خلقه، وتبارك وتعالى عن الولد والصاحبة والشريك وعمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً، وقد قيل: إنّ معنى قول الله عزّوجلّ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [2] إنّما عنى به أنّ الله الّذي يدوم بقاؤه ويبقى نعمه ويصير ذكره بركة على عباده واستدامة لنعم الله عندهم هو الّذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. والفرقان هو القرآن، وإنّما سمّاه فرقاناً لأنّ الله عزّوجلّ فرّق به بين الحقّ والباطل، وعبده الّذي نزل عليه بذلك هو محمّد صلّى الله عليه وآله، وسمّاه عبداً لئلا يتّخذ ربّاً معبوداً، وهذا ردّ على من يغلو فيه، وبيّن عزّوجلّ أنّه نزّل عليه ذلك لينذر به العالمين وليخوّفهم به من معاصي الله وأليم عقابه، والعالمون: الناس ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [3] كما قالت النصارى إذ أضافوا إليه الولد كذباً عليه وخروجاً من توحيده ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [4] يعني أنّه خلق الأشياء كلّها على مقدار يعرفه، وأنّه لم يخلق شيئاً من ذلك على سبيل سهو ولا على غفلة ولا على تنحيب ولا على مجازفة بل على المقدار الّذي يعلم أنّه صواب من تدبيره، وأنّه استصلاح لعباده في أمر دينهم، وأنّه عدل منه على خلقه لأنّه لو لم يخلق ذلك على مقدار يعرفه على سبيل ما وصفنا لوجد ذلك التفاوت والظلم والخروج عن الحكم وصواب التدبير إلى العبث وإلى الظلم والفساد كما يوجد مثل ذلك في فعل خلقه الّذين ينحبون في أفعالهم ويفعلون في ذلك ما لا يعرفون مقداره؛ ولم يعن بذلك أنّه خلق لذلك تقديراً فعرف به مقدار ما يفعله ثمّ فعل أفعاله بعد ذلك لأنّ ذلك إنّما

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٠. (٢-٤) سورة الفرقان، الآيتان: ١-٢.

يوجد في فعل من لا يعلم مقدار ما يفعله إلاّ بهذا التقدير وهذا التدبير، والله سبحانه لم يزل عالماً بكل شيء، وإنّما عنى بقوله: ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ أي فعل ذلك على مقدار يعرفه - على ما بيّناه - وعلى أن يقدّر أفعاله لعباده بأن يعرّفهم مقدارها ووقت كونها ومكانها الّذي يحدث فيه ليعرفوا ذلك، وهذا التقدير من الله عزّوجلّ كتاب وخبر كتبه لملائكته وأخبرهم به ليعرفوه فلمّا كان كلامه لم يوجد إلاّ على مقدار يعرفه لئلاّ يخرج عن حدّ الصدق إلى الكذب وعن حدّ الصواب إلى الخطأ وعن حدّ البيان إلى التلبيس كان ذلك دلالة على أنّ الله قد قدّره على ما هو به وأحكمه وأحدثه، فلهذا صار محكماً لا خلل فيه ولا تفاوت ولا فساد[1].

بيان: يقال: نحّبوا تنحيباً أي جدُّوا في عملهم، ولعلّه كناية عن عدم رعاية الحكم فيها لأنّ من يجدُّ في عمله لا يقع على ما ينبغي ولايمكنه رعاية الدقائق فيه.

أقول: إنّما اقتصرنا ههنا في شرح الأسماء على ما ذكره الصدوق رحمه الله ولم نزد عليه شيئاً، ولم نتعرّض لما ذكره أيضاً إلاّ بما يوضح كلامه، لئلاّ يطول الكلام في هذا المقام، وسنشرحها في كتاب الدعاء إن شاء الله تعالى.

٣ - **يد:** عليّ بن عبد الله بن أحمد الاسواريّ، عن مكّيّ بن أحمد، عن إبراهيم بن عبد الرحمن، عن موسى بن عامر، عن الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمّد، عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاّ واحداً، إنّه وتر يحبّ الوتر، من أحصاها دخل الجنّة، فبلغنا أنّ غير واحد من أهل العلم قال: إنّ أوّلها يفتتح بلا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، لا إله إلاّ الله له الأسماء الحسنى، الله، الواحد، الصمد، الأوّل، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارىء، المصوّر، الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، الرحمن، الرحيم، اللّطيف، الخبير، السميع، البصير، العليّ، العظيم، البارّ، المتعالي، الجليل، الجميل، الحيّ، القيّوم، القادر، القاهر، الحكيم، القريب، المجيب، الغنيّ، الوهّاب، الودود، الشكور، الماجد، الاحد، الوليّ، الرشيد، الغفور، الكريم، الحليم، التوّاب، الربّ، المجيد، الحميد، الوفيّ، الشهيد، المبين، البرهان، الرؤوف، المبدىء، المعيد، الباعث، الوارث، القويّ، الشديد، الضارّ، النافع، الوافي، الحافظ، الرافع، القابض، الباسط، المعزّ، المذلّ، الرازق، ذو القوّة المتين، القائم، الوكيل، العادل، الجامع، المعطي، المجتبي، المحيي، المميت، الكافي، الهادي، الأبد، الصادق، النور، القديم، الحقّ، الفرد، الوتر، الواسع، المحصي، المقتدر، المقدّم، المؤخّر، المنتقم، البديع[2].

٤ - **يد:** أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن محمّد بن الفضيل، عن ضريس

---

(١) التوحيد، ص ٢١٨ باب ٢٩ ح ٩. (٢) التوحيد، ص ٢١٩ باب ٢٩ ح ١١.

الوابشي، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما عند آصف منها حرفٌ واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثمَّ تناول السرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنين وسبعين حرفاً، وحرفٌ عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم[1].

٥ - ير: أحمد بن محمّد، عن أبي عبد الله البرقيّ يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله عزّ وجلّ جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى منها إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطى موسى منها أربعة أحرف، وأعطى عيسى منها حرفين، وكان يحيي بهما الموتى ويبرىء بهما الأكمه والأبرص، وأعطى محمّداً اثنين وسبعين حرفاً، واحتجب حرفاً لئلاّ يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد[2].

أقول: قد أوردنا كثيراً من تلك الأخبار في أبواب الإمامة وباب قصّة بلقيس.

٦ - غو: روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ لله أربعة آلاف اسم، ألف لا يعلمها إلاّ الله، وألف لا يعلمها إلاّ الله والملائكة، وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة والنبيُّون، وأمّا الألف الرابع فالمؤمنون يعلمونه، ثلاث مائة منها في التوراة، وثلاث مائة في الإنجيل، وثلاث مائة في الزبور، ومائة في القرآن، تسعة وتسعون ظاهرة، وواحد منها مكتوم، من أحصاها دخل الجنّة[3].

٤ - باب جوامع التوحيد

الآيات، البقرة «٢»: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (إلى آخر الآيات) «٢٥٥ - ٢٥٧» وقال تعالى: ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ «٢٦٠» وقال: ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ «٢٦١» وقال: ﴿ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ «٢٦٧».

آل عمران «٣»: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ «٢ - ٦» وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ «١٨» وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٠٣ ج ٤ باب ١٢ ح ١.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٢٠٤ ج ٤ باب ١٢ ح ٣.

(٣) غوالي اللئالي، ج ٤ ص ١٠٦ ح ١٥٧.

ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ «٢٦ - ٢٧» وقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ «٦٢» وقال: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ «٧٣» وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ «٨٣» وقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ «١٠٩» وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ «١٥٤» وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «١٥٦» وقال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ «١٨٠».

النساء «٤»: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ «٢٦» وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ «١٧ و١١١» وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ «٨٤» وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ «٨٧» وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ «٩٤» وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ «٩٦» وقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ «١٢٦» وقال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ «١٢٧» وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ «١٣١».

المائدة «٥»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ «٢» وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ «٤» وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ «٧» وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ «٩٥» وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٩٨» وقال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ «١٢٠».

الانعام «٦»: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ «١-٣» وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ «١٤» وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ «١٧-١٨» وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ «٧٣» وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ

مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ «٩٥ - ١٠٣» وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ «١١٥» وقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ «١٣٣» وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ «١٦٤» وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٦٥».

الأعراف: «٧»: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ «٥٤» إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ «٥٦ - ٥٧».

الأنفال «٨»: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ «٢٤» وقال: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ «٤٠» وقال: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ «٤٤».

التوبة «٩»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ «١١٦» وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ «١٢٩».

يونس «١٠»: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ «٣» وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ «٥» وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ «٣١ - ٣٢» قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ «٦٤» وقال: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ «٦٥» وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ «٦٧» وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «١٠٧».

هود: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ «٧» وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ «١٢» وقال: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ «٥٦» وقال: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ «٥٧».

يوسف «١٢»: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ «١٠١».

الرعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ «١١ - ١٣» وقال: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ «٤١».

إبراهيم: ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ «١-٢».

النحل «١٦»: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ «٤٨ - ٥٠» وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ «٦٠» وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ «٧٧».

الإسراء «١٧»: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ «١١١».

مريم «١٩»: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ «٦٤ - ٦٥».

طه «٢٠»: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ «٤-٨» وقال: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ «٩٨» وقال تعالى: ﴿۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ «١١١».

الأنبياء «٢١»: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ «١١٢».

الحج «٢٢»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ «١٨» وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ «٤١» وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ «٦٠- ٦٦» وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ «٧٦».

النور «٢٤»: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ «٦٤».

الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ «١ - ٢» وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ «٥٨-٥٩».

الشعراء «٢٦»: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «١٩١» وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ «٢١٧ - ٢٢٠».

القصص «٢٨»: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ «٦٨ - ٧٠» وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ «٨٨».

العنكبوت «٢٩»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ «٦» وقال: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ «٢١ - ٢٢».

الروم «٣٠»: ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «٥» وقال تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ «١٧ - ١٩» وقال عز وجل: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ «٢٦» وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ «٢٧».

لقمان «١٣»: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ «٢٦».

التنزيل [السجدة] «٣٢»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ «٤» وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ «٦ - ٧».

الأحزاب «٣٣»: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ «٤» وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ «٣٩» وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ «٤٠» وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ «٤٣» وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ «٤٨» وقال: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ «٦٢».

سبأ «٣٤»: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ «١» وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ «٢١».

فاطر «٣٥» ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ

بِرَفْضَمْ﴾ «١٠» وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ «١٥» وقال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ «٤٣».

يس «٣٦»: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ «٨٣».

الصافات «٣٧»: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ «١٨٠».

الزمر «٣٩»: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ «٣٦ - ٣٧».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ «٢- ٣».

فصلت «٤١»: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ «٤٢» وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ «٤٣».

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ «٢-٦» وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ «١٩» وقال عزّوجلّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ «٢٤ - ٢٨» وقال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ «٤٩ - ٥٠» وقال تعالى: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ «٥٣».

الزخرف «٤٣»: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ «٨٤ - ٨٥».

الدخان «٤٤»: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ «٧ - ٨».

الجاثية «٤٥»: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ «٣٦ - ٣٧».

الأحقاف «٤٦»: ﴿حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ «١ - ٣» وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ «٨».

الفتح «٤٨»: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ «٤».

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ «٧» وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ «١٤».

النجم: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ «٤٢ - ٤٩».

الرحمن «٥٥»: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ «٢٩» وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ «٧٨».

الحديد «٥٧»: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾ «١ - ٦» وقال تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ «٢٩».

الحشر «٥٩» والصف «٦١»: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

الجمعة «٦٢»: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ «١».

المنافقون «٦٣»: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ «٧» وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ «٨».

التغابن «٦٤»: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ «١ - ٤» وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ «٦» وقال عز وجل: ﴿إِن تُقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ «١٧».

الطلاق «٦٥»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ «٣».

التحريم «٦٦»: ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ «٢».

الملك «٦٧»: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ «١ - ٢».

البروج «٨٥»: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ «٨ - ٩» وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ «١٢ - ١٦» وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ «٢٠».

الأعلى «٨٧»: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ «١ - ٥».

الناس «١١٤»: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ «٢ - ٤».

١ - **يد، لي:** ابن عصام، عن الكلينيّ، عن محمّد بن عليّ بن معن، عن محمّد بن عليّ ابن عاتكة، عن الحسين بن النضر الفهريّ، عن عمرو الأوزاعيّ، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفيّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر، عن ابيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة خطبها بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله بتسعة أيّام - وذلك حين فرغ من جمع القرآن - فقال: الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلاّ وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيّل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل، بل هو الّذي لم يتفاوت في ذاته ولم يتبعّض بتجزية العدد في كماله، فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، وتمكن منها لا على الممازجة، وعلمها لا بأداة لا يكون العلم إلاّ بها، وليس بينه وبين معلومه علم غيره إن قيل: «كان» فعلى تأويل أزليّة الوجود، وإن قيل: «لم يزل» فعلى تأويل نفي العدم فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه واتّخذ إلهاً غيره علوًّا كبيراً[(١)].

ف: خطبة المعروفة بالوسيلة: الحمد لله الّذي أعدم الأوهام أن تنال إلى وجوده إلى آخر ما مرّ.

أقول: سيأتي الخطبة بتمامها في أبواب المواعظ مع شرحها.

٢ - **يد، ن:** حدّثنا أبوالعبّاس محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ رضوان الله عليه، قال: حدّثنا أبو سعيد الحسن بن عليّ العدويّ، قال: حدّثنا الهيثم بن عبد الله الرمّانيّ، قال: حدّثني عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهم السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس في مسجد الكوفة فقال: الحمد لله الّذي لا من شيء كان، ولا من شيء كوّن ما قد كان، المستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينيّة، ولا له شبح مثال فيوصف بكيفيّة، ولم يغب عن شيء فيعلم بحيثيّة مبائن لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الادراك بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارجٌ بالكبرياء والعظمة من جميع تصرُّف الحالات، محرّم على بوارع ناقبات الفطن تحديده، وعلى عوامق ثاقبات الفكر تكييفه، وعلى غوائص سابحات النظر تصويره، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقائيس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه، وعن الأفهام

---

(١) التوحيد، ص ٧٢ باب ٢ ح ٢٧ وأمالي الصدوق، ص ١٦٣ مجلس ٥٢ ح ٩.

أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمتثله، وقد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم، ورجعت بالصغر عن السمّو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم، واحدٌ لا من عدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، وليس بجنس فتعادله الأجناس، ولا بشبح فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلّت العقول في أمواج تيّار إدراكه، وتحيّرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليّته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته، مقتدرٌ بالآلاء، وممتنع بالكبرياء، ومتملّك على الأشياء، فلا دهر يخلقه، ولا وصف يحيط به، قد خضعت له رواتب الصعاب في محلّ تخوم قرارها، واذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهق أقطارها، مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيّته، وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلالها محيص عن إدراكه إياها، ولا خروج من إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها، كفى بإتقان الصنع لها آية، وبمركب الطبع عليها دلالة، وبحدوث الفطر عليها قدمة، وبأحكام الصنعة لها عبرة، فلا إليه حدّ منسوب، ولا له مثل مضروب، ولا شيءٌ عنه بمحجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علوًّا كبيراً، وأشهد أن لا إله إلاّ هو إيماناً بربوبيّته، وخلافاً على من أنكره، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، المقرّ في خير مستقرّ، المتناسخ من أكلام الأصلاب ومطّهرات الأرحام، المخرج من أكرم المعادن محتداً، وأفضل المنابت منبتاً، من أمنع ذروة وأعزّ أرومة، من الشجرة الّتي صاغ الله منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه، الطيّبة العود، المعتدلة العمود، الباسقة الفروع، الناضرة الغصون، اليانعة الثمار، الكريمة الحشا، في كرم غرست، وفي حرم أنبتت، وفيه تشعبّت وأثمرت وعزّت وامتنعت فسمت به وشمخت حتّى أكرمه الله عزّوجلّ بالروح الأمين، والنور المنير، والكتاب المستبين، وسخّر له البراق، وصافحته الملائكة، وأرعب به الأبالس، وهدم به الأصنام والآلهة المعبودة دونه، سنّته الرشد، وسيرته العدل، وحكمه الحقّ، صدع بما أمره ربّه، وبلّغ ما حمّله، حتى أفصح بالتوحيد دعوته، وأظهر في الخلق أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، حتى خلصت الوحدانيّة، وصفت الربوبيّة، وأظهر الله بالتوحيد حجّته، وأعلى بالاسلام درجته، واختار الله عزّوجلّ لنبيه ما عنده من الروح والدرجة والوسيلة، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين[1].

بيان: قوله عليه السلام: ولا من شيء كون ما قد كان ردّ على من يقول: بأنّ كلّ حادث مسبوق بالمادّة. المستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته الاستشهاد: طلب الشهادة أي طلب من العقول بما بيّن لها من حدوث الأشياء الشهادة على أزليّته، أو من الأشياء أنفسها بأن جعلها حادثة فهي بلسان حدوثها تشهد على أزليّته، والمعنى على التقديرين: أنّ العقل يحكم بأنّ

(١) التوحيد، ص ٦٩ باب ٢ ح ٦ وعيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١١١ باب ١١ ح ١٥.

كل حادث يحتاج إلى موجد، وأنّه لا بدّ من أن تنتهي سلسلة الاحتياج إلى من لايحتاج إلى موجد فيحكم بأنّ علّة العلل لا بدّ أن يكون أزليّاً، وإلاّ لكان محتاجاً إلى موجد آخر بحكم المقدّمة الأولى.

وبما وسمها به من العجز على قدرته الوسم: الكيّ، شبّه عليه السلام ما أظهر عليها من آثار العجز والإمكان والاحتياج بالسمة الّتي تكون على العبيد والنعم وتدلّ على كونها مقهورة مملوكة. وبما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه إذ فناؤها يدلّ على إمكانها وحدوثها فيدلّ على احتياجها إلى صانع ليس كذلك.

لم يخل منه مكان فيدرك بأينيّة أي ليس ذا مكان حتّى يكون في مكان دون مكان كما هو من لوازم المتمكّنات فيدرك بأنّه ذو أين ومكان، بل نسبة المجرّد إلى جميع الأمكنة على السواء، ولم يخل منه مكان من حيث الإحاطة العلميّة والعلّيّة والحفظ والتربية؛ أو أنّه لم يخل منه مكان حتّى يكون إدراكه بالوصول إلى مكانه بل آثاره ظاهرة في كلّ شيء. ولا له شبح مثال فيوصف بكيفيّة إضافة الشبح بيانيّة، أي ليس له شبح مما ثل له لا في الخارج ولا في الأذهان فيوصف بأنّه ذو كيفيّة من الكيفيّات الجسمانيّة أو الإمكانيّة ويحتمل أن يكون المراد بالكيفيّة: الصورة العلميّة.

ولم يغب عن شيء فيعلم بحيثيّة أي لم يغب عن شيء من حيث العلم حتّى يعلم أنّه ذو حيث ومكان إذ شأن المكانيّات أن يغيبوا عن شيء فلا يحيطوا به علماً فيكون كالتأكيد للفقرة السابقة، ويحتمل أن يكون «حيث» هنا للزمان، قال ابن هشام: قال الأخفش: وقد ترد حيث للزمان. أي لم يغب عن شيء بالعدم ليكون وجوده مخصوصاً بزمان دون زمان، ويحتمل على هذا أن يكون إشارة إلى ما قيل: من أنّه تعالى لمّا كان خارجاً عن الزمان فجميع الأزمنة حاضرة عنده كخيط مع ما فيه من الزمانيّات وإنّما يغيب شيء عمّا لم يأت إذا كلام داخلاً في الزمان. ويحتمل أن تكون الحيثيّة تعليليّة أي لم يجهل شيئاً فيكون علمه به معلّلا بعلة، وعلى هذا يمكن أن يقرأ يعلم على بناء المعلوم. وفي التوحيد: لم يغب عن علمه شيء.

وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات أي أظهر بما أبدع من الذوات المتغيّرة المنتقلة من حال إلى حال أنّه يمتنع إدراكه إمّا لوجوب وجود المانع من حصول حقيقته في الأذهان لما مرّ، أو لأنّ حصوله فيها يستلزم كونه كسائر الذوات الممكنة محلاً للصفات المتغيّرة فيحتاج إلى صانع، أو لأنّ العقل يحكم بمباينة الصانع للمصنوع في الصفات فلا يدرك كما تدرك تلك الذوات، ويحتمل أن يكون الظرف متعلّقاً بالإدراك أي يمتنع عن أن يدرك بخلقه أي بمشابهتها، أو بالصور العلميّة الّتي هي مخلوقة له.

من جميع تصرّف الحالات أي الصفات الحادثة المتغيّرة. محرّم على بوارع ناقبات الفطن تحديده البوارع جمع البارعة وهي الفائقة. والنقب: الثقب، ولعلّ المراد بالتحديد

العقليّ، ويحتمل الأعمّ والثاقبات: النافذات أو المضيئات. والتكييف: إثبات الكيف له أو الإحاطة بكيفيّة ذاته وصفاته أي كنهها. وكذا التصوير: إثبات الصورة، أو تصوُّره بالكنه، والأخير فيهما أظهر.

قوله: لعظمته أي لكونه أعظم شأناً من أن يكون محتاجاً إلى المكان. قوله عليه السلام: لجلاله أي لكونه أجلّ قدراً عن أن يكون ذا مقدار. قوله عليه السلام: ولا تقطعه من قطعه كسمعه أي أبانه، أو من قطع الوادي وقطع المسافة؛ والمقائيس أعمُّ من المقائيس الجسمانيّة والعقلانيّة. والكنه بالضمّ: جوهر الشيء وغايته وقدره ووقته ووجهه؛ واكتنهه وأكنهه: بلغ كنهه، ذكره الفيروزآباديّ.

قوله عليه السلام: أن تستغرقه قال الفيروزآبادي: استغرق: استوعب. وفي التوحيد: أن تستعرفه أي تطلب معرفته. قوله عليه السلام: أن تمتثله قال الفيروزآباديّ: امتثله: تصوّره: وفي التوحيد: تمثّله. قوله: من استنباط أي استخراج الإحاطة به وبكنهه. طوامح العقول أي العقول الطامحة الرفيعة، وكل مرتفع طامح.

قوله عليه السلام: ونضبت يقال: نصب الماء نضوباً أي غار أي يبست بحار العلوم قبل أن تشير إلى كنه ذاته، أو تبيّن غاية صفاته. قوله: بالصغر - بالضمّ - أي مع الذلّ والسموّ: الارتفاع والعلوّ، ولعلّ اضافة اللّطائف إلى الخصوم ليست من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، بل المراد المناظرات اللّطيفة بينهم، أو فكرهم الدقيقة، أو عقولهم ونفوسهم اللّطيفة.

قوله عليه السلام: واحدٌ لامن عدد أي من غير أن يكون فيه تعدّد، أو من غير أن يكون معه ثان من جنسه. والأمد: الغاية، والعمد بالتحريك جمع العمود أي ليس قيامه قياماً جسمانياً يكون بالعمد البدنيّة أو بالاعتماد على الساقين؛ أو أنّه قائم باق من غير استناد إلى سبب يعتمد عليه ويقيمه كسائر الموجودات الممكنة. قوله عليه السلام ليس بجنس أي ذا جنس، فيكون ممكناً معادلاً لسائر الممكنات الداخلة تحت جنسه أو أجناسها. والشبح بالتحريك: الشخص، وجمعه أشباح. والمضارعة: المشابهة؛ وقال الجزريّ: التيّار: موج البحر ولجّته انتهى. وحصر الرجل كعلم: تعب، وحصرت صدورهم: ضاقت، وكلّ من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصر عنه، ذكرها الجوهريّ والاستشعار: لبس الشعار وهو الثوب الّذي يلي الجسد كناية عن ملازمة الوصف، ويحتمل أن يكون المراد به هنا طلب العلم والشعور، والملكوت: الملك والعزّة والسلطان. قوله عليه السلام: بالآلاء أي عليها؛ والتملّك: الملك قهراً، وضمّن معنى التسلّط والاستيلاء وفي بعض نسخ التوحيد: مستملك.

قوله: يخلقه من باب الإفعال من الخلق: ضدّ الجديد؛ والراتب: الثابت؛ والصعب: نقيض الذلول؛ والتخم: منتهى الشيء، والجمع التخوم بالضمّ؛ والرصين: المحكم الثابت؛ وأسباب السماء: مراقيها أو نواحيها أو أبوابها؛ والشاهق: المرتفع من الجبال

والأبنية وغيرها، فرواتب الصعاب إشارة إلى الجبال الشاهقة الّتي تشبه الإبل الصعاب حيث أثبتها بعروقها إلى منتهى الأرض، ويحتمل أن تكون إشارة إلى جميع الأسباب الأرضيّة من الأرض والجبال والماء والثور والسمكة والصخرة وغيرها حيث أثبت كلاً منها في مقرّها بحيث لا يزول عنه ولا يتزلزل ولا يضطرب، وإنّما عبّر عنها بالصعاب إشارة إلى أنّ من شأنها أن تضطرب وتزلزل لولا أنّ الله أثبتها بقدرته. ورواصن الأسباب إشارة إلى الأسباب السماويّة من الأفلاك والكواكب حيث رتّبها على نظام لا يختلّ ولا يتبدّل ولا يختلف، ولذا أورد عليه السلام في الأوّل التخوم وفي الثاني الشواهق؛ وما بعد ذلك من الفقرات مؤكّدة لما مرّ؛ والإدراك والإحاطة والإحصاء كلّ منها يحتمل أن يكون بالعلم أو بالقدرة والعليّة والقهر والغلبة، أو بالمعنى الأعمّ، أو بالتوزيع.

قوله عليه السلام: كفى بإتقان الصنع الباء زائدة أي كفى إحكام صنعه تعالى للأشياء لكونها آية لوجوده وصفاته الكماليّة؛ والمركب مصدر ميميّ بمعنى الركوب، أي كفى ركوب الطبائع وغلبتها على الأشياء للدلالة على من جعل الطبائع فيها وجعلها مسخّرة لها؛ ويحتمل أن يكون اسم مفعول من التركيب كما يقال: ركّبت الفصّ في الخاتم أو عليه، أي كفى الطبع الّذي ركّب على الأشياء دلالة على مركّبها، وعلى التقديرين ردّ على الطبيعيّين المنكرين للصانع بإسناد الأشياء إلى الطبائع؛ والفطر: الخلق والابتداء والاختراع، ويحتمل أن يكون هنا الفطر بكسر الفاء وفتح الطاء على صيغة الجمع أي كفى حدوث الخلق على الأشياء دلالة على قدمه.

قوله عليه السلام: فلا إليه حدّ أي ليس له حدّ ينسب إليه. قوله: إيماناً حال أو مفعول لأجله؛ وكذا قوله: خلافاً. قوله عليه السلام: المقرّ على صيغة المفعول وخير مستقرّ المراد به إمّا عالم الأرواح أو الأصلاب الطاهرة أو أعلى علّيّين بعد الوفات.

قوله: المتناسخ أي المتزايل والمنتقل؛ والمحتد بكسر التاء: الأصل، يقال: فلان في محتد صدق؛ ذكره الجوهريّ. والمنبت بكسر الباء: موضع النبات. والأرومة بفتح الهمزة وضمّ الراء: أصل الشجرة. وبسق النخل بسوقاً: طال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ واليانع: النضيج. والحشا واحد أحشاء البطن؛ والمراد هنا داخل الشجرة ويحتمل أن يكون من قولهم. أنا في حشاه أي في كنفه وناحيته. وسمت وشمخت كلاهما بمعنى ارتفعت؛ والباء في قوله: به لتعديتهما؛ والمراد بالشجرة: الشجرة الإبراهيميّة، ثمّ القرشيّة، ثمّ الهاشميّة. وصدع بالحقّ: تكلّم به جهاراً، والإفصاح: البيان بفصاحة أي أظهر دعوته متلبّساً بالتوحيد ويمكن أن تقرأ «دعوته» بالرفع ليكون فاعل الإفصاح والضمير في قوله: حجّته ودرجته راجع إلى الرسول.

٣ - يد، ن: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدّثنا محمّد بن عمرو

الكاتب، عن محمّد بن أبي زياد القلزمي، عن محمّد بن أبي زياد الجدّي - صاحب الصلاة بجدّة - قال: حدّثني محمّد بن يحيى بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد، قال ابن أبي زياد: ورواه لي أيضاً أحمد بن عبد الله العلوي مولى لهم وخالاً لبعضهم، عن القاسم بن أيّوب العلويّ: أنّ المأمون لمّا أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام جمع بني هاشم فقال: إنّي أريد أن أستعمل الرضا على هذا الأمر من بعدي فحسده بنو هاشم، وقالوا: تُولّي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدلّ به عليه، فبعث إليه فأتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه فصعد عليه السلام المنبر فقعد مليّاً لا يتكلّم مطرقاً ثمّ انتفض انتفاضة واستوى قائماً وحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه وأهل بيته ثمّ قال: أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ موصوف أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إيّاه وحّد من اكتنهه، ولا حقيقته أصاب من مثّله، ولا به صدّق من نهّاه، ولا صمّد صمْده من أشار إليه، ولا إيّاه عنى من شبّهه، ولا له تذلّل من بعّضه، ولا إيّاه أراد من توهّمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول تعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته خلقة الله الخلق حجاب بينه وبينهم، ومباينته إيّاهم مفارقته أينيّتهم، وابتداؤه إيّاهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره؛ وأدوه إيّاهم دليل على أن لا أداة فيه، لشهادة الأدوات بفاقة المادّين، فأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من اشتمله، وقد أخطأه من اكتنهه، ومن قال: «كيف؟» فقد شبّهه، ومن قال: «لم؟» فقد علّه، ومن قال: «متى؟» فقد وقّته، ومن قال: «فيم؟» فقد ضمّنه، ومن قال: «إلامَ؟» فقد نهّاه، ومن قال: «حتّامَ؟» فقد غيّاه، ومن غيّاه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، لا يتغيّر الله بانغيار المخلوق، كما لا ينحدّ بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة متجلّ لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مباين لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بجول فكرة، مدبّر لا بحركة، مريد لا بهمامة، شاء لا بهمّة، مدرك لا بمجسّة، سميعٌ لا بآلة، بصيرٌ لا بأداة، لا تصحبه الأوقات، ولا تضمّنه الأماكن، ولا تأخذه السنات، ولا تحدّه الصفات، ولا تفيده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين

الأمور عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة، والجلاية بالبهم، والجسوء بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، ذلك قوله عليه السلام: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ففرّق بها بين قبل وبعد ليعلم ألاّ قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها ألاّ غريزة لمغرزها، دالّة بتفاوتها ألاّ تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها ألا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم ألاّ حجاب بينه وبينها من غيرها، له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهيّة إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع، ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيّة، كيف ولا تغيّبه مذ، ولا تدنيه قد، ولا يحجبه لعلّ، ولا يوقّته متى، ولا يشتمله حين، ولا تقارنه مع، إنّما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء يوجد أفعالها، منعتها مذ القدمة، وحمتها قد الأزليّة، وجنّبتها لولا التكملة، افترقت فدلّت على مفرّقها، وتباينت فأعربت عن مباينها، بها تجلّى صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبت غيره، ومنها أنيط الدليل، وبها عرّفها الإقرار، بالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، لا ديانة إلاّ بعد معرفة، ولا معرفة إلاّ بإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفات للتشبيه، فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع في صانعه، لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود فيه ما هو ابتداه، إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولما كان للبارئ معنى غير المبروء، ولو حدّ له وراء إذاً حدّ له أمام، ولو التمس له التمام إذاً لزمه النقصان، كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء، إذاً لقامت فيه آية المصنوع، ولتحوّل دليلاً بعدما كان مدلولاً عليه، ليس في محال القول حجّة، ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه له تعظيم، ولا في إبانته عن الخلق ضيم، إلاّ بامتناع الأزليّ أن يثنّى، وما لا بدء له أن يبدأ، لا إله إلاّ الله العليّ العظم، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين[1].

ج: رواه مرسلاً من قوله: وكان المأمون لمّا أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام إلى آخر الخبر[2].

٤ - ما: المفيد، عن الحسن بن حمزة العلويّ، عن محمّد بن الحميريّ، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن مروك بن عبيد، عن محمّد بن زيد الطوسيّ قال: سمعت الرضا عليه السلام يتكلّم في توحيد الله فقال: أوّل عبادة الله معرفته إلى آخر الخطبة[3].

---

(١) التوحيد، ص ٣٤ باب ٢ ح ٢. (٢) الاحتجاج، ص ٣٩٨.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٢٢. مجلس ١ ح ٢٨.

جا: عن الحسن بن حمزة مثله بتغيير ما[1].

بيان: ملياً أي طويلاً. والانتفاض: شبه الارتعاد والاقشعرار. قوله عليه السلام: أوّل عبادة الله أي أشرفها وأقدمها زماناً ورتبةً لاشتراط قبول سائر الطاعات بها، وأصل المعرفة التوحيد، إذ مع إثبات الشريك أو القول بتركّب الذات أو زيادة الصفات يلزم القول بالإمكان فلم يعرف المشرك الواجب ولم يثبته، ونظام التوحيد وتمامه نفي الصفات الزائدة الموجودة عنه إذ أوّل التوحيد نفي الشريك، ثمّ نفي التركّب ثمّ نفي الصفات الزائدة، فهذا كماله ونظامه؛ ثمّ استدلّ عليه السلام على نفي زيادة الصفات ويمكن تقريره بوجوه:

الأوّل: أن يكون إشارة إلى دليلين: الأوّل أنّ كلّ صفة وموصوف لا بدّ من أن يكونا مخلوقين إذ الصفة محتاجة إلى الموصوف لقيامها به وهو ظاهر، والموصوف محتاجٌ إلى الصفة في كماله والصفة غيره، وكلّ محتاج إلى الغير ممكن فلا يكون شيءٌ منهما واجباً ولا المركّب منهما، فثبت احتياجهما إلى علّة ثالثة ليس بموصوف ولا صفة وإلاّ لعاد المحذور.

الثاني: أنّ الصانع لا بدّ أن يكون كاملاً أزلاً وأبداً لشهادة جميع العقول به فلا بدّ من أن تكون الصفات الزائدة مقارنة له غير منفكّة عنه، ويجوز قدم الجميع لبطلان تعدّد القدماء فيلزم حدوث الذات والصفات معاً فلا يكون شيء منها واجباً فالمراد بقوله: شهادة كلّ موصوف وصفة شهادة كلّ موصوف فرض كونه صانعاً وصفته، أو الصفات اللاّزمة للذوات.

الوجه الثاني أن يكون إشارة إلى دليلين على وجه آخر:

الأول: أنّه لو كانت له تعالى صفات زائدة لكانت ممكنة لامتناع تعدّد الواجب، ولا يجوز أن يكون الواجب موجداً لها إمّا لامتناع كون الشيء قابلاً وفاعلاً لشيء واحد، أو لأنّ تأثير الواجب فيها يتوقّف على اتّصافه بتلك الصفات إذ لو لم يتوقّف التأثير في تلك الصفات الّتي هي منشأ صدور جميع الممكنات عليها لم يتوقّف التأثير في شيء عليها فلا يثبت له تعالى شيءٌ من الصفات فتكون معلولة لغيره تعالى، ومن كانت جميع صفاته الكماليّة من غيره لا يكون واجباً صانعاً لجميع الموجودات بالضرورة.

الثاني: أنّ التوصيف اقتران خاصّ يوجب الاحتياج من الجانبين كما مرّ، والاحتياج موجب للحدوث المنافي للأزليّة.

الوجه الثالث أن يكون راجعاً إلى دليل واحد وتقريره: أنّه لو كانت الصفات زائدة لكانت الذات والصفات مخلوقة وهذا خلف، وبيّن الملازمة بقوله: وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران بنحو ما مرّ من الاحتياج المستلزم للإمكان.

قوله عليه السلام: فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته أي ليس من عرفه ذاته بالتشبيه بالممكنات

---

(١) أمالي المفيد، ص ٢٥٣ مجلس ٣ ح ٤.

واجباً لأنّه يكون ممكناً مثلها، ويمكن أن يقرأ «الله» بالرفع والنصب، والأوّل أظهر. قوله: من اكتنهه أي بيّن كنه ذاته أو طلب الوصول إلى كنهه إذ لو كان يعرف كنهه لكان شريكاً مع الممكنات في التركّب والصفات الإمكانيّة فهو ينافي التوحيد، أو لأنّ حصول الكنه في الذهن يستلزم تعدّد أفراد الواجب كما قيل.

قوله عليه السلام: من مثّله أي جعل له شخصاً ومثالاً؛ أو مثّله في ذهنه وجعل الصورة الذهنيّة مثالاً له؛ أو المراد: أثبت له مثلاً وشبّهه بغيره، قال الفيروزآبادي: مثّله له تمثيلاً: صوّره له حتّى كأنّه ينظر إليه، ومثّل فلان فلاناً وبه: شبّهه به. انتهى وعلى ما ذكره يمكن أن يقرأ بالتخفيف أيضاً. قوله عليه السلام: من نهّاه بالتشديد أي جعل له حدّاً ونهاية من النهايات الجسمانيّة، ومن جعله كذلك فلم يصدق بوجوده بل بممكن غيره، ويحتمل أن يكون المعنى جعله نهاية لفكره وزعم أنّه وصل إلى كنهه. قوله عليه السلام ولا صمَد صمْده أي لا قصد نحوه من أشار إليه إشارة حسّيّة، أو الأعمّ منها ومن الوهميّة والعقليّة، وفي «جا»: من أشار إليه بشيء من الحواسّ. قوله عليه السلام: من بعّضه أي حكم بأنّ له أجزاءً وأبعاضاً فهو في عبادته لم يتذلّل لله بل لمن عرفه وهو غيره تعالى. قوله عليه السلام: من توهّمه أي من تخيّل له في نفسه صورة أو هيئة وشكلاً، أو المعنى أنّ كلّ ما يصل إليه عقول العارفين فهو غير كنهه تعالى.

قوله عليه السلام: كلّ معروف بنفسه مصنوع أي كلّ ما يعلم وجوده ضرورة بالحواسّ من غير أن يستدلّ عليه بالآثار فهو مصنوع، أو كلّ ما هو معلوم بكنه الحقيقة إمّا بالحواسّ أو الأوهام أو العقول فهو مصنوع مخلوق إمّا لما ذكر أنّ كنه الشيء إنّما يعلم من جهة أجزائه، وكلّ ذي جزء فهو مركّب ممكن، أو لما مرّ من أنّ الصورة العقليّة تكون فرداً لتلك الحقيقة فيلزم التعدّد وهو يستلزم التركّب. ويحتمل أن يكون المعنى أنّ الأشياء إنّما تعلم بصورها الذهنيّة، والمعروف بنفسه هو نفس تلك الصورة وهو حالّ في محلّ حادث ممكن محتاج فكيف يكون كنه حقيقة الباري تعالى شأنه فيكون قوله عليه السلام: وكلّ قائم في سواه معلول كالدليل عليها، وعلى الأوّلين يكون نفياً لحلوله تعالى في الأشياء وقيامه بها، ويؤيّد المعنى الأوّل قوله عليه السلام: بصنع الله يستدّل عليه.

قوله عليه السلام: بالفطرة تثبت حجّته أي بأن فطرهم وخلقهم خلقة قابلة للتصديق والإذعان والمعرفة والاستدلال، أو بتعريفهم في الميثاق وفطرهم على ذلك التعريف، وقد مرّ بيانه في باب الدين الحنيف. ويحتمل أن يكون المراد هنا أنّ حجّته تمام على الخلق بما فطر وابتدع من خلقه. قوله: خلقة الله الخلق أي كونه خالقاً وأنّ الخالق لا يكون بصفة المخلوق ويكون مبايناً له في الصفات صار سبباً لاحتجابه عن الخلق فلا يدركونه بحواسّهم ولا عقولهم، والحاصل أنّ كماله ونقص مخلوقيه حجابٌ بينه وبينهم.

قوله عليه السلام: ومباينته إيّاهم أي مباينته تعالى إيّاهم ليس بحسب المكان حتّى يكون في

مكان وغيره في مكان آخر بل إنّما هي بأن فارق أينيّتهم فليس له أين ومكان، وهم محبوسون في مطمورة المكان؛ أو المعنى أنّ مباينته لمخلوقيه في الصفات صار سبباً لأن ليس له مكان.

قوله عليه السلام: وأدوه إيّاهم أي جعلهم ذوي أدوات يحتاجون إليها في الأعمال من الأعضاء والجوارح والقوى وسائر الآلات دليلٌ على أنه ليس فيه شيء منها، لشهادة الأدوات فيما يشاهد في المادّين بفاقتهم واحتياجهم إليها وهو منزّه عن الاحتياج؛ أو المعنى أنّ الأدوات الّتي هي أجزاء للمادّين تشهد بفاقتهم إلى موجد، لكون كلّ ذي جزء محتاجاً ممكناً فكيف تكون فيه تعالى.

قوله: فأسماؤه تعبير أي ليست عين ذاته وصفاته، بل هيّ معبّرات عنها؛ وأفعاله تفهيم ليعرفوه ويستدلّوا بها على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته قوله عليه السلام: وذاته حقيقة أي حقيقة مكنونة عالية لا تصل إليها عقول الخلق بأن يكون التنوين للتعظيم والتبهيم، أو خليقة بأن تتّصف بالكمالات دون غيرها، أو ثابتة واجبة لا يعتريها التغيّر والزوال فإنّ الحقيقة ترد بتلك المعاني كلّها. وفي بعض نسخ التوحيد: حقّاقة أي مثبتة موجدة لسائر الحقائق.

قوله عليه السلام: وكنهه تفريق بينه وبين خلقه لعلّ الغرض بيان أنّه لا يشترك في ذاتيّ مع الممكنات بأبلغ وجه أي كنهه يفرق بينه وبينهم لعدم اشتراكه معهم في شيء، ويحتمل أن يكون المعنى أنّ غاية توحيد الموحّدين ومعرفتهم نفي الصفات الممكنات عنه، والحاصل عدم إمكان معرفة كنهه، بل إنّما يعرف بالوجوه الّتي ترجع إلى نفي النقائص عنه كما مرّ تحقيقه، ويؤيّد الأوّل قوله عليه السلام: وغيوره تحديد لما سواه، فالغيور إمّا مصدر أو جمع غير أي كونه مغايراً له تحديدٌ لما سواه فكلّ ما سواه مغاير له في الكنه، ويحتمل أن يكون المراد بالمغايرة: المباينة بحيث لا يكون من توابعه أصلاً لا جزءاً له ولا صفة أي كلّ ما هو غير ذاته فهو سواه فليس جزءاً له ولا صفة. قوله عليه السلام: من استوصفه أي من طلب وصف كنهه، أو سأل عن الأوصاف والكيفيّات الجسمانيّة له فقد جهل عظمته وتنزهه.

قوله عليه السلام: وقد تعدّاه أي تجاوزه. ولم يعرفه من اشتمله أي توهّمه شاملاً لنفسه محيطاً به من قولهم: اشتمل الثوب: إذا تلفّف به فيكون ردّاً على القائلين بالحلول والاتّحاد، أو من توهّم أنّه تعالى محيط بكلّ شيء إحاطة جسمانيّة، ويحتمل أن يكون كناية عن نهاية المعرفة به والوصول إلى كنهه، وفي بعض نسخ «يد»: أشمله أي جعل شيئاً شاملاً له بأن توهّمه محاطاً بمكان، ومثله قوله عليه السلام: من اكتنهه أي توهّم أنّه أصاب كنهه.

قوله عليه السلام: ومن قال: كيف أي سأل عن الكيفيّات الجسمانيّة فقد شبّهه بخلقه؛ ومن قال: لمَ صار موجوداً أو لمَ صار عالماً أو قادراً؟ فقد علّه بعلّة، وليس لذاته وصفاته علّة. وفي «جا». وأكثر نسخ «يد»: علّله، وهو أظهر؛ ومن قال: متى وجد؟ فقد وقّت أوّل وجوده وليس له أوّل؛ ومن قال: فيم أي في أيّ شيء هو؟ فقد جعله في ضمن شيء، وجعل شيئاً

متضمّناً له، وهو من خواص الجسمانيّات؛ ومن قال: إلامَ؟ أي إلى أيّ شيء ينتهي شخصه فقد نهّاه أي جعل له حدوداً ونهايات جسمانيّة، وهو تعالى منزّه عنها؛ ومن قال: حتّامَ يكون وجوده؟ فقد غيّاه أي جعل لبقائه غاية ونهاية، ومن جعل له غاية فقد غاياه أي حكم باشتراكه مع المخلوقين في الفناء فيصحّ أن يقال: غايته قبل غاية فلان أو بعده، ومن قال به فقد حكم باشتراكه معهم في الماهيّة في الجملة فقد حكم بأنّه ذو أجزاء، ومن قال به فقد وصفه بالإمكان والعجز وسائر نقائص الممكنات، ومن حكم به فقد ألحد في ذاته تعالى. ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ من جعل لبقائه غاية فقد جعل لذاته أيضاً غايات وحدوداً جسمانيّة بناءاً على عدم ثبوت مجرّد سوى الله تعالى، وتفرّع التجزؤ وما بعده على ذلك ظاهر. ويمكن أن يقال: الغاية في الثاني بمعنى العلّة الغائيّة كما هو المعروف أو الفاعليّة، وقد تطلق عليها أيضاً بناءاً على أنّ المعلول ينتهي إليها فهي غاية له؛ فعلى الأوّل المعنى أنّه من حكم بانتهائه فقد علّق وجوده على غاية ومصلحة، كالممكنات الّتي عند انتهاء المصلحة ينتهي بقاؤهم، وعلى الثاني المراد أنّه لو كان وجوده واجباً لما تطرّق إليه الفناء فيكون مستنداً إلى علّة، وعلى الوجهين فيكون وجوده زائداً على ذاته فاتصف حينئذ بالصفات الزائدة، وهذا قول بتعدّد الواجب وهو إلحاد فيه؛ وفي «جا»: ومن قال: حتّامَ؟ فقد غيّاه، ومن غيّاه فقد حواه، ومن حواه فقد ألحد فيه.

قوله عليه السلام: لا يتغيّر الله بانغيار المخلوق أي ليس التغيّرات الّتي تكون في مخلوقاته موجبة للتغيّر في ذاته وصفاته الحقيقيّة بل إنّما التغيّر في الإضافات الاعتباريّة كما أنّ خلقه للمحدودين حدوداً لا يوجب كونه متحدّداً بحدود مثلهم، ويحتمل أن يكون المراد أنّه لا يتغيّر كتغيّر المخلوقين ولا يتحدّد كتحدّد المحدودين وفي «جا» لا يتغيّر الله بتغيّر المخلوق ولا يتحدّد بتحدّد المحدود.

قوله عليه السلام: أحد لا بتأويل عدد أي بأن يكون معه ثانٍ من جنسه، أو بأن يكون واحداً مشتملاً على أعداد، وقد مرّ تحقيقه مراراً. قوله عليه السلام: ظاهر لا بتأويل المباشرة أي ليس ظهوره بأن يباشره حاسّة من الحواسّ، أوليس ظهوره بأن يكون فوق جسم يباشره كما يقال: ظهر على السطح، بل هو ظاهر بآثاره غالب على كلّ شيء بقدرته. قوله عليه السلام: متجلّ التجلّي: الانكشاف والظهور، ويقال: استهلّ الهلال على المجهول والمعلوم أي ظهر وتبيّن أي ظاهر لا بظهور من جهة الرؤية.

قوله عليه السلام: لا بمزايلة أي لا بمفارقة مكان بأن انتقل عن مكان إلى مكان حتّى خفي عنهم، أو بأن دخل في بواطنهم حتّى عرفها بل لخفاء كنهه عن عقولهم، وعلمه ببواطنهم وأسرارهم. قوله عليه السلام: لا بمسافة أي ليس مباينته لبعده بحسب المسافة عنهم بل لغاية كماله ونقصهم بباينهم في الذات والصفات. قوله عليه السلام: لا بمداناة أي ليس قربه قرباً مكانيّاً بالدنوّ من الأشياء بل بالعلم والعليّة والتربية والرحمة.

قوله عليه السلام: لا بتجسّم أي لطيف لا بكونه جسماً له قوام رقيق أو حجم صغير أو تركيب غريب وصنع عجيب أو لا لون له بل لخلقه الأشياء اللّطيفة وعلمه بها، كما مرّ، أو تجرّده.

قوله عليه السلام: فاعلٌ لا باضطرار أي هو فاعل مختار ليس بموجب، وفي النهج: لا باضطراب آلة أي لا بتحريك الآلات والأدوات. قوله: لا بجول فكرة أي ليس في تقديره للأشياء محتاجاً إلى جولان الفكر وحركته، وفي النهج بعد ذلك: غنيّ لا باستفادة. قوله عليه السلام: لا بحركة أي حركة ذهنيّة أو بدنيّة.

قوله عليه السلام: لا بهمامة أي عزم واهتمام وتردّد. قوله: شاءٍ أي ذو مشيئة لا بهمّة وقصد وعزم حادث؛ والجسّ: المسّ باليد، وموضعه المجسّة. قوله عليه السلام: لا تصحبه الأوقات أي دائماً لحدوثها وقدمه، أو ليس بزمانيّ أصلاً. قوله عليه السلام: ولا تضمّنه بحذف إحدى التائين؛ والسنة: مبدأ النوم. قوله: ولا تحدّه الصفات أي لا تحيط به صفات زائدة، أو لا تحدّه توصيفات الخلق. قوله عليه السلام: ولا تفيده الأدوات، أي لا ينتفع ولا يستفيد منها، وفي بعض نسخ «يد»: ولا تقيّده - بالقاف - ليس فعله مقيّداً مقصوراً على الأدوات ليحتاج إليها، وفي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: ولا ترفده، من قولهم: رفدت فلاناً إذا أعنته.

قوله: كونه بالرفع أي كان وجوده سابقاً على الأزمنة والأوقات بحسب الزمان الوهميّ أو التقديريّ، وكان علّة لها، أو غلبها فلم يقيّد بها. قوله عليه السلام والعدم وجوده بنصب العدم ورفع الوجود أي وجوده لوجوبه سبق وغلب العدم فلا يعتريه عدم أصلاً، وقيل: المراد عدم الممكنات لأنّ عدم العالم قبل وجوده كان مستنداً إلى عدم الداعي إلى إيجاده المستند إلى وجوده فوجوده سبق عدم الممكنات أيضاً، وقيل: أريد به إعدام الممكنات المقارنة لابتداء وجوداتها فيكون كناية عن أزليّته وعدم ابتداء لوجوده، وفيه بعد قوله: والابتداء أزله أي سبق وجوده الأزليّ كلّ ابتداء فليس لوجوده ولا شيء من صفاته ابتداء، أو أنّ أزليّته سبق بالعلّيّة كل ابتداء ومبتدأ.

قوله: بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له أي بخلقه المشاعر الإدراكيّة وإفاضتها على الخلق عرف أن لا مشعر له إمّا لما مرّ من أنّه تعالى لا يتّصف بخلقه، أو لأنّا بعد إفاضة المشاعر علمنا احتياجنا في الإدراك إليها فحكمنا بتنزّهه تعالى عنها لاستحالة احتياجه تعالى إلى شيء أو لما يحكم العقل به من المباينة بين الخالق والمخلوق في الصفات.

وقال ابن ميثم: لأنّه لو كان له مشاعر لكان وجودها له إمّا من غيره وهو محال أمّا أوّلاً فلأنّه مشعّر المشاعر، وأمّا ثانياً فلأنّه يكون محتاجاً في كماله إلى غيره فهو ناقصٌ بذاته وهذا محال؛ وإمّا منه وهو أيضاً محال لأنّها إن كانت من كمالات ألوهيّته كان موجداً لها من حيث هو فاقد كمالاً فكان ناقصاً بذاته وهذا محال، وإن لم تكن كمالاً كان إثباتها له نقصاً لأنّ الزيادة على الكمال نقصان فكان إيجاده لها مستلزماً لنقصانه وهو محال.

واعترض عليه بعض الأفاضل بوجوه: أحدها بالنقض لأنّه لو تمّ ما ذكره يلزم أن لا يثبت له تعالى على الإطلاق صفة كماليّة كالعلم والقدرة ونحوهما؛ وثانيها بالحلّ باختيار شقّ آخر وهو أن يكون ذلك المشعر عين ذاته سبحانه كالعلم والقدرة، وثالثها بأنّ هذا الكلام على تقدير تمامه استدلال برأسه لم يظهر فيه مدخليّة قوله عليه السلام: بتشعيره المشاعر في نفي المشعر عنه تعالى، وإنّما استعمله في إثبات مقدّمة لم تثبت به وقد ثبتت بغيره.

ثم قال: فالأولى أن يقال: قد تقرّر أنّ الطبيعة الواحدة لا يمكن أن يكون بعض أفرادها علّة لبعض آخر لذاته فإنّه لو فرض كون نار مثلاً علّة لنار فعلّيّة هذه ومعلوليّة تلك إمّا لنفس كونهما ناراً فلا رجحان لإحديهما في العلّيّة وللأُخرى في المعلوليّة بل يلزم أن يكون كلّ نار علّة للأُخرى بل علّة لذاتها ومعلولة لذاتها وهو محال، وإن كانت العلّيّة لانضمام شيء آخر فلم يكن ما فرضناه علّة علّة بل العلّة حينئذٍ ذلك الشيء فقط لعدم الرجحان في إحديهما للشرطيّة والجزئيّة أيضاً لاتّحادهما من جهة المعنى المشترك، وكذلك لو فرض المعلوليّة لأجل ضميمة فقد تبيّن أنّ جاعل الشيء يستحيل أن يكون مشاركاً لمجعوله وبه يعرف أنّ كلّ كمال وكلّ أمر وجوديّ يتحقّق في الموجودات الإمكانيّة فنوعه وجنسه مسلوب عنه تعالى ولكن يوجد له ما هو أعلا وأشرف منه. أمّا الأوّل فلتعاليه عن النقص، وكلّ مجعول ناقص وإلاّ لم يكن مفتقراً إلى جاعل، وكذا ما يساويه في المرتبة كآحاد نوعه وأفراد جنسه، وأمّا الثاني فلأنّ معطي كلّ كمال ليس بفاقد له، بل هو منبعه ومعدنه، وما في المجعول رشحه وظلّه. انتهى. وقال ابن أبي الحديد: وذلك لأنّ الجسم لا يصحّ منه فعل الأجسام، وهذا هو الدليل الّذي يعوّل عليه المتكلمون في أنّه تعالى ليس بجسم.

قوله: وبتجهيره الجواهر أي بتحقيق حقائقها وإيجاد ماهيّاتها عرف أنّها ممكنة وكلّ ممكن محتاج إلى مبدأ، فمبدأ المبادئ لا يكون حقيقة من هذه الحقائق. قوله: وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له. المراد بالضدّ إمّا المعنى المصطلح أي موجودان متعاقبان على موضوع أو محلّ واحد، أو المعنى العرفيّ الّذي هو المساوي للشيء في القوّة، فعلى الأوّل نقول: لمّا خلق الأضداد في محالّها، ووجدناها محتاجة إليها علمنا عدم كونه ضدّ الشيء للزوم الحاجة إلى المحلّ المنافية لوجوب الوجود، أو لأنّها لمّا رأينا كلاًّ من الضدّين يمنع وجود الآخر ويدفعه ويفنيه فعلمنا أنّه تعالى منزّه عن ذلك، أو لأنّ التضادّ إنّما يكون للتحدّد بحدود معيّنة لا تجامع غيرها كمراتب الألوان والكيفيّات وهو تعالى منزّه عن الحدود، وأيضاً كيف يضادّ الخالق مخلوقه والفائض مفيضه؟ وأمّا على الثاني فلأنّ المساوي في القوّة للواجب يجب أن يكون واجباً فيلزم تعدّد الواجب وقد مرّ بطلانه.

قوله عليه السلام: وبمقارنته بين الأُمور أي بجعل بعضها مقارناً لبعض كالأعراض ومحالّها والمتمكّنات وأمكنتها والملزومات ولوازمها عرف أنّه ليس له قرين مثلها لدلالة كلّ نوع منها

على أنواع النقص والعجز والافتقار؛ وقيل: أي جعلها متحدّدة بتحدّدات متناسبة موجبة للمقارنة عرف أن لا قرين له، وكيف يناسب المتحدّد بتحدّد خاصّ دون المتحدّد بتحدّد آخر من لا تحدّد له فإنّ نسبة اللامتحدّد مطلقاً إلى المتحدّدات كلّها سواء. قوله عليه السلام: ضادّ النور بالظلمة يدلّ على أنّ الظلمة أمر وجوديّ كما هو المشهور إن كان التضادّ محمولاً على المعنى المصطلح، والجلاية: الوضوح والظهور، والبهم: الخفاء؛ وفي النهج: والوضوح بالبهمة. وفسّرهما الشرّاح بالبياض والسواد ولا يخفى بعده، وقال الفيروزآباديُّ: جسأ جسوءاً: صلب، وجسأت الأرض وبالضمّ فهي مجسوءة من الجساء، وهو الجلد الخشن، والماء الجامد؛ والصرد بفتح الراء وسكونها: البرد فارسيّ معرَّب والحرور بالفتح: الريح الحارّة. قوله عليه السلام: مؤلّف بين متعادياتها كما ألّف بين العناصر المختلفة الكيفيّات، وبين الروح والبدن، وبين القلوب المتشتّتة الأهواء وغير ذلك. قوله: مفرّق بين متدانياتها كما يفرّق بين أجزاء العناصر وكلّيّاتها للتركيب، وكما يفرّق بين الروح والبدن، وبين أجزاء المركّبات عند انحلالها، والأبدان بعد موتها، وبين القلوب المتناسبة لحكم لا تحصى فدلّ التأليف والتفريق المذكوران الواقعان على خلاف مقتضى الطبائع على قاسر يقسرها عليهما، وكونهما على غاية الحكمة ونهاية الإحكام على علم القاسر وقدرته وكماله.

قوله عليه السلام: ذلك قوله عزّ وجلّ يحتمل أن يكون استشهاداً لكون المضادّة والمقارنة دليلين على عدم اتّصافه بهما كما فسّر بعض المفسّرين الآية بأنّ الله تعالى خلق كلّ جنس من أجناس الموجودات نوعين متقابلين وهما زوجان لأنّ كلّ واحد منهما مزدوجٌ بالآخر كالذكر والأنثى، والسواد والبياض، والسماء والأرض، والنور والظلمة واللّيل والنهار، والحارّ والبارد، والرطب واليابس، والشمس والقمر والثوابت والسيّارات، والسهل والجبل، والبحر والبرّ، والصيف والشتاء، والجنّ والإنس، والعلم والجهل، والشجاعة والجبن، والجود والبخل، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والحلاوة والمرارة، والصحّة والسقم، والغناء والفقر، والضحك والبكاء، والفرح والحزن، والحياة والموت إلى غير ذلك ممّا لا يحصى، خلقهم كذلك ليتذكّروا أنّ لهم موجداً ليس هو كذلك. ويحتمل أن يكون استشهاداً لكون التأليف والتفريق دالّين على الصانع لدلالة خلق الزوجين على المفرّق والمؤلف لهما لأنّه خلق الزوجين من واحد بالنوع فيحتاج إلى مفرّق يجعلهما متفرّقين وجعلهما مزاوجين مؤتلفين ألفة بخصوصهما فيحتاج إلى مؤلّف يجعلهما مؤتلفين. وقيل: كلّ موجود دون الله ففيه زوجان اثنان، كالماهيّة والوجود، والوجوب والإمكان، والمادّة والصورة، والجنس والفصل؛ وأيضاً كلّ ما عداه يوصف بالمتضايفين، كالعلّيّة والمعلوليّة والقرب والبعد، والمقارنة والمباينة، والتألّف والتفرّق، والمعاداة والموافقة، وغيرها من الأمور الإضافيّة. وقال بعض المفسّرين: المراد بالشيء الجنس، وأقلّ ما يكون تحت الجنس نوعان فمن كلّ جنس نوعان كالجوهر منه المادّي والمجرّد، ومن المادّي الجماد

والنامي، ومن النامي النبات والمدرك، ومن المدرك الصامت والناطق، وكلّ ذلك يدلّ على أنّه واحدٌ لا كثرة فيه؛ فقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي تعرفون من اتّصاف كلّ مخلوق بصفة التركيب والزوجيّة والتضايف أنّ خالقها واحدٌ أحد لا يوصف بصفاتها.

قوله: ليعلم أن لا قبل له ولا بعد يدلّ على عدم كونه تعالى زمانيّاً؛ ويحتمل أن يكون المعنى: عرّفهم معنى القبليّة والبعديّة ليحكموا أن ليس شيء قبله ولا بعده؛ ويعلم الفقرات التالية بما قدّمنا في الكلمات السابقة. والغرائز: الطبائع، ومغرّزها موجد غرائزها ومفيضها عليها، ويمكن حملها وأمثالها على الجعل البسيط إن كان واقعاً؛ والمفاوت على صيغة اسم الفاعل: من جعل بينها التفاوت. وتوقيتها: تخصيص حدوث كلّ منها بوقت وبقائها إلى وقت.

قوله عليه السلام: حجب بعضها عن بعض أي بالحجب الجسمانيّة أو الأعمّ ليعلم أنّ ذلك نقص وعجز وهو منزّه عن ذلك بل ليس لهم حجابٌ عن الربّ إلاّ أنفسهم لإمكانهم ونقصهم. قوله: له معنى الربوبيّة أي القدرة على التربية إذ هي الكمال. قوله: إذ لا مألوه أي من له الإله أي كان مستحقّاً للمعبوديّة إذ لا عابد؛ وإنّما قال: وتأويل السمع لأنّه ليس فيه تعالى حقيقة بل مؤوّل بعلمه بالمسموعات. قوله عليه السلام: ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق إذ الخالقيّة التي هي كماله هي القدرة على خلق كلّ ما علم أنّه أصلح، ونفس الخلق من آثار تلك الصفة الكماليّة، ولا يتوقّف كماله عليه. والبرّائيّة بالتشديد: الخلاّقيّة.

قوله عليه السلام: كيف ولا تغيبه مذ أي كيف لا يكون مستحقّاً لهذه الأسماء في الأزل والحال أنّه لا يصير «مذ» الّذي هو لأوّل الزمان سبباً لأن يغيب عنه شيء فإنّ الممكن إذا كان قبل ذلك المبدأ أو بعده يغيب هذا عنه، والله تعالى جميع الأشياء مع أزمنتها حاضرة في علمه في الأزل؛ أو أنّه ليس لوجوده زمان حتّى يغيب عن غيره فيقال: مذ كان موجوداً كان كذا؛ ولمّا لم يكن زمانيّاً لا تدانيه كلمة «قد» الّتي هي لتقريب الماضي إلى الحال، أوليس في علمه شدّة وضعف حتّى تقربه كلمة «قد» الّتي للتحقيق إلى العلم بحصول شيء؛ لا تحجبه كلمة «لعلّ» الّتي هي لترجّي أمر في المستقبل أي لا يخفى عليه الأمور المستقبلة، أو ليس له شكّ في أمر حتّى يمكن أن يقول: «لعلّ» وليس له وقت أوّل حتّى يقال له: متى وجد؟ أو متى علم؟ أو متى قدر؟ وهكذا، أو مطلق الوقت كما مرّ مراراً؛ ولا يشتمله حين وزمان، وعلى الاحتمال الثاني تأكيد فيؤيّد الأوّل. ولا تقارنه «مع» بأن يقال: كان شيءٌ معه أزلاً، أو مطلق المعيّة بناءاً على نفي الزمان، أو الأعمّ من المعيّة الزمانيّة أيضاً فمن كان كذلك فليس تخلّف الخلق عنه عجزاً له ونقصاً في كماله بل هو عين كماله حيث راعى المصلحة في ذلك؛ ويمكن أن تطبق بعض الفقرات على ما قيل: إنّه لخروجه عن الزمان كان جميع الزمانيّات حاضرة عنده في الأزل كلٌّ في وقته، وبذلك وجّهوا نفي التخلّف مع الحدوث، لكن في هذا القول إشكالات ليس المقام موضع ذكرها، وليس في جا وج «كيف» وفيهما: لا تغيبه مذ؛ فلا يحتاج إلى تكلّف.

قوله عليه السلام : إنّما تحدّ الأدوات أنفسها الأدوات والآلات: الجوارح البدنيّة والقوى الجسمانيّة أي هذه الأعضاء والقوى إنّما تحدّ وتشير إلى جسمانيّ مثلها فالمراد بقوله: أنفسها أنواعها وأجناسها؛ وقيل: يعني ذوي الأدوات والآلات.

أقول: لا يبعد أن يكون المراد بالأدوات هذه الحروف والكلمات الّتي نفاها عنه تعالى سابقاً فيكون كالتعليل لما سبق، وفي الأشياء الممكنة توجد فعال تلك الآلات والأدوات وآثارها لا فيه تعالى.

قوله عليه السلام : منعتها في النهج: منعتها منذ القدمة، وحمتها قد الأزليّة، وجنّبتها لولا التكملة، بها تجلّى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون. وقد روي القدمة والأزليّة والتكملة بالنصب، وقيل: كذا كانت في نسخة الرضيّ رحمه الله بخطّه فتكون مفعولات ثانية، والمفعولات الأول الضمائر المتّصلة بالأفعال، وتكون «منذ وقد ولولا» في موضع الرفع بالفاعليّة، والمعنى حينئذٍ: أنّ إطلاق لفظ «منذ وقد ولولا» على الآلات تمنعها عن كونها أزليّة قديمة كاملة فلا تكون الآلات محدّدة له سبحانه، مشيرة إليه جلّ شأنه إذ هي لحدوثها ونقصها بعيدة المناسبة عن الكامل المطلق القديم في ذاته: أمّا الأولى فلأنّها لابتداء الزمان، ولا ريب أنّ منذ وجدت الآلة تنافي قدمها؛ وأمّا الثانية فلأنّها لتقريب الماضي من الحال فقولك: قد وجدت هذه الآلة تحكم بقربها من الحال وعدم أزليّتها، وقوله: حمتها أي منعتها، وأمّا لولا فلأنّ قولك إلى المستحسنة منها والمتوقّد من الأذهان: ما أحسنها لولا أنّ فيها كذا فيدلُّ على نقص فيها فيجنّبها عن الكمال المطلق ويروى أيضاً برفع القدمة والأزليّة والتكملة على الفاعليّة فتكون الضمائر المتّصلة مفعولات أول، وقد ومنذ ولولا مفعولات ثانية، ويكون المعنى أنّ قدم الباري سبحانه وأزليّته وكماله المطلق منعت الآلات والأدوات عن إطلاق لفظ قد ومنذ ولولا عليه سبحانه لأنّه تعالى قديمٌ كامل، وقد ومنذ لا يطلقان إلاّ على محدَث، ولولا لا تطلق إلاّ على ناقص.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد القدمة التقديريّة أي لو كانت قديمة لمنعت عن إطلاق مذ عليها، وكذا في نظيريها.

قوله عليه السلام : بها تجلّى أي بمشاعرنا وخلقه إيّاها وتصويره لها تجلّى لعقولنا بالوجود والعلم والقدرة. قوله عليه السلام : وبها امتنع أي بمشاعرنا استنبطنا استحالة كونه تعالى مرئيّاً بالعيون لأنّا بالمشاعر والحواسّ كملت عقولنا، وبعقولنا استخرجنا الدلالة على أنّه لا تصحّ رؤيته، أو بإيجاد المشاعر مدركة بحاسّة البصر ظهر امتناعه عن نظر العيون لأنّ المشاعر إنّما تدرك بالبصر لأنّها ذات وضع ولون وغيره من شرائط الرؤية فيها علمنا أنّه يمتنع أن يكون محلاًّ لنظر العيون، أو لمّا رأينا المشاعر إنّما تدرك ما كان ذا وضع بالنسبة إليها علمنا أنّه لا يدرك بها لاستحالة الوضع فيه.

ثمّ اعلم أنّه على ما في تلك النسخ الفقرتان الأوليان مشتركتان إلاّ أنّه يحتمل إرجاع الضميرين البارزين في منعتها وحمتها إلى الأشياء لا سيّما إذا حملنا الأدوات والآلات على الحروف، وأمّا الثالثة فالمعنى أنّه لولا أنّ الكلمة أي اللّغات والأصوات أو الآراء والعزائم أو المخلوقات فإنّها كلم الربّ لدلالتها على وجوده وسائر كمالاته، افترقت واختلفت فدلّت على مفرّق فرّقها، وتباينت فأعربت وأظهرت عن مباينها أي من جعلها متباينة أو عن صانع هو مباين لها في الصفات، لما تجلّى وظهر صانعها للعقول كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَنتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ وبها أي بالعقول احتجب عن الرؤية لأنّ الحاكم بامتناع رؤيته هو العقل، وإلى العقل تتحاكم الأوهام عند اختلافها.

قوله عليه السلام: وفيها أثبت غيره أي كلّ ما يثبت ويرتسم في العقل فهو غيره تعالى، ويحتمل أن يكون غيره مصدراً بمعنى المغايرة أي بها يثبت مغايرته الممكنات، ويمكن إرجاع الضمير إلى الأوهام أي القول بالشريك له تعالى فعل الوهم لا العقل لكن فيه تفكيك، ومن العقول يستنبط الدليل على الأشياء، وبالعقول عرّف الله العقول أو ذويها الإقرار به تعالى؛ ويمكن إرجاع الضميرين أيضاً إلى الأوهام أي الأوهام معينة للعقل وآلات في استنباط الدليل، وبالأوهام عرّف الله العقول الإقرار بأنّه ليس من جنسها ومن جنس مدركاتها؛ وبما ذكرنا يظهر جواز إرجاع الضميرين في النهج إلى العقول، كما أنّه يجوز إرجاع جميع الضمائر هنا إلى الآلات والأدوات، ولكنّهما بعيدان، والأخير أبعد.

قوله: ولا ديانة الديانة مصدر دان يدين، وفي المصادر الديانة: «ديندارگشتن» أي لا تدين بدين الله؛ أو من دان بمعنى أطاع وعبد أي لا عبادة إلاّ بعد معرفة الله. والإخلاص هو جعل المعرفة خالصة عمّا لا يناسب ذاته المقدّسة من الجسميّة والعرضيّة والصفات الزائدة والعوارض الحادثة، وحمله على الإخلاص في العبادة لا يستقيم إلاّ بتكلّف، ولا يتحقّق الإخلاص مع تشبيهه تعالى بخلقه في الذات والصفات، وفي بعض النسخ كما في «ج» ولا نفي مع إثبات الصفات للتشبيه. وقوله: للتشبيه متعلّق بالنفي أي لم ينف التشبيه من أثبت له الصفات الزائدة.

وفي أكثر النسخ «للتنبيه» ولعلّ المراد به الإشارة إلى ما مرّ من أنّه يجب إخراجه تعالى عن حدّ النفي وحدّ التشبيه أي إذا نفينا عنه التشبيه لا يلزم النفي المطلق مع أنّا نثبت الصفات لتنبيه الخلق على اتّصافه بها على وجه لا يستلزم النقص كما تقول: عالم لا كعلم العلماء، قادر لا كقدرة القادرين. وإنما قال: للتنبيه إشارة إلى أنّه لا يمكن تعقّل كنه صفاته تعالى؛ ثمّ بيّن عليه السلام ذلك بقوله: فكلّ ما في الخلق الخ.

ثمّ استدلّ عليه السلام بعدم جريان الحركة والسكون عليه بوجوه:

الأول: أنّه تعالى أجراهما على خلقه وأحدثهما فيهم فكيف يجريان فيه، بناءاً على ما مرّ

مراراً من أنّه تعالى لا يتّصف بخلقه ولا يستكمل به؟ واستدلّ عليه بعضهم بأنّ المؤثّر واجب التقدّم بالوجود على الأثر فذلك الأثر إمّا أن يكون معتبراً في صفات الكمال فيلزم أن يكون تعالى باعتبار ما هو موجد له ومؤثّر فيه ناقصاً بذاته، مستكملاً بذلك الأثر، والنقص عليه محال؛ وإن لم يكن معتبراً في صفات كماله فله الكمال المطلق بدون ذلك الأثر فكان إثباته له نقصاً في حقّه لأنّ الزيادة على الكمال المطلق نقصان، وهو عليه تعالى محال، أو لأنّه لو جريا عليه لم ينفكّ أحدهما عنه فيدلّ على حدوثه كما استدلّ المتكلّمون على حدوث الأجسام بذلك، والأوّل أظهر لفظاً. ومعنًى.

الثاني: أنّه يلزم أن تكون ذاته متفاوتة متغيّرة بأن يكون تارة متحرّكاً، وأخرى ساكناً، والواجب لا يكون محلّاً للحوادث والتغيّرات، لرجوع التغيّر فيها إلى الذات.

الثالث: أنّه يلزم ان يكون ذاته وكنهه متجزّئاً إمّا لأنّ الحركة من لوازم الجسم، أو لأنّ الحركة بأنواعها إنّما تكون في شيء يكون فيه ما بالقوّة وما بالفعل، أو لأنّه يستلزم شركته مع الممكنات فيلزم تركّبه ممّا به الاشتراك وما به الامتياز. وأمّا قوله عليه السلام : ولامتنع إلى قوله: غير المبروء كالتعليل لما سبق.

قوله عليه السلام : ولو حدّ له وراء أي لو قيل: إنّ له وراءاً وخلفاً فيكون له أمام أيضاً فيكون منقسماً إلى شيئين ولو وهماً فيلزم التجزّؤ كما مرّ، ثمّ بيّن عليه السلام أنّه لا يجوز أن يكون الله مستكمَلاً بغيره، أو يحدث فيه كمالٌ لم يكن فيه، وإلاّ لكان في ذاته ناقصاً، والنقص منفيّ عنه تعالى بإجماع جميع العقلاء؛ وأيضاً يستلزم الاحتياج إلى الغير في الكمال المنافي لوجوب الوجود كما مرّ، ثمّ أشار عليه السلام إلى أنّ الأزليّ لا يكون إلا من كان واجباً بالذات ممتنعاً عن الحدوث، وإلاّ كان ممكناً محتاجاً إلى صانع فلا يكون أزليّاً إذ كلّ مصنوع حادث، ويحتمل أن يكون المراد بامتناع الحدوث امتناع أن يحدث فيه الحوادث وكونه محلّاً لها، وبيانه بأنّه ينافي الأزليّة والوجوب.

قوله عليه السلام : وكيف ينشئ الأشياء أي جميعها من لا يمتنع من كونه منشئاً إذ هو نفسه ومن أنشأه لا يكونان من منشآته، فكيف يكون منشئاً للجميع؟ أو أنّ منشئ كل شيء ومبدعه لا يكون إلاّ واجباً كما مرّ في باب «أنه تعالى خالق كل شيء»؛ ويحتمل أن يكون المراد عدم الامتناع من إنشاء شيء فيه إذ لا يجوز أن يكون منشئ تلك الصفة نفسه ولا غيره. ثمّ استدلّ على جميع ما تقدّم بأنّه لو كان فيه تلك الحوادث والتغيّرات وإمكان الحدوث لقامت فيه علامة المصنوع، ولكان دليلاً على وجود صانع آخر غيره كسائر الممكنات، لاشتراكه معهم في صفات الإمكان، وما يوجب الاحتياج إلى العلّة لا مدلولاً عليه بأنّه صانع.

قوله عليه السلام : ليس في محال القول حجّة أي ليس في هذا القول المحال أي إثبات الحوادث والصفات الزائدة له حجّة، ولا في السؤال عن هذا القول لظهور خطئه جواب،

وليس في إثبات معنى هذا القول له تعالى تعظيم بل هو نقص له كما عرفت، وليس في إبانته تعالى عن الخلق في الاتّصاف بتلك الصفات حيث نفيت عنه تعالى وأثبتت فيهم ضيم أي ظلم على الله تعالى، أو على المخلوقين إلاّ بأنّ الأزليّ يمتنع من الاثنينيّة، وإثبات الصفات الزائدة يوجب الاثنينيّة في الأزليّ، وبأنّ ما لا بدء له - على المصدر - أو بديء له - على فعيل بمعنى مفعل - يمتنع من أن يبدأ ويكون له مبدأ، وما نسبوا إليه تعالى ممّا مرّ مستلزم لكونه تعالى ذا مبدأ وعلّة فالمعنى: أنّه لا يتوهّم ظلم إلاّ بهذا الوجه، وهذا ليس بظلم، كما في قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

والعادلون بالله هم الّذين يجعلون غيره تعالى معادلاً ومتشابهاً له.

أقول: قد روي في ف[1] والنهج مثل هذه الخطبة مع زيادات عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد أوردتها في أبواب خطبه عليه السلام.

٥ - **نهج، ج:** عن أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعمه العادّون، ولا يؤدّي حقّه المجتهدون، الّذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الّذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتّد بالصخور ميدان أرضه، أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة؛ فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله[2]، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم فقد ضمّنه، ومن قال: علامَ؟ فقد أخلا منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة، فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحّد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاءاً وابتدأه ابتداءاً بلا رويّة أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أجّل الأشياء لأوقاتها، ولاءم بين مختلفاتها، وغرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها[3].

بيان: الفقرة الأولى إقرار بالعجز عن الحمد باللّسان كما أنّ الثانية اعتراف بالقصور عن

---

(١) ف: أي تحف العقول لابن شعبة الحراني.

(٢) وفي النهج بعد قوله: ومن جزّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه [النمازي].

(٣) نهج البلاغة، ص ٣٤ خطبة رقم ١ والاحتجاج، ص ١٩٨.

الشكر بالجنان، والثالثة عن العمل بالاركان. والهمّة: القصد والإرادة، وبُعدها: علوّها وتعلّقها بالأمور العالية أي لا تدركه الهمم العالية المتعرّضة لصعاب الأمور الطائرة إلى إدراك عوالي الأمور. والفطن بكسر الفاء وفتح الطاء جمع فطنة بالكسر: الحذق وجودة استعداد الذهن لتصوّر ما يرد عليه، أي لا يصل إلى كنه حقيقته الفطن الغائصة في بحار الافكار.

قوله عليه السلام: الّذي ليس لصفته أي لا يدخل في صفاته الحقيقيّة حدّ محدود من الحدود والنهايات الجسمانيّة؛ ويحتمل أن يكون الصفة بمعنى التوصيف أي لا يمكن توصيفه بحدّ، ووصف الحدّ بالمحدود إمّا لأنّ كلّ حدّ من الحدود الجسمانيّة فله حدّ أيضاً كالسطح ينتهي إلى الخطو مثلاً؛ أو على المبالغة كقولهم: شعر شاعر، ويمكن أن يقرأ على الإضافة وإن كان خلاف ما هو المضبوط؛ ويمكن أن يكون المعنى: أنّه ليس لتوصيفه تعالى بصفات كماله حدّ ينتهي إليه بل محامده أكثر من أن تحصى، ولا يوصف أيضاً بنعت موجود أي بالصفات الزائدة ردّاً على الأشعري، وإنّما قيد بقوله: موجود إذ لا ضير في توصيفه بالصفات الاعتباريّة والإضافيّة، ويحتمل أن يكون المراد نعت موجود في المخلوقين؛ أو يكون الموجود من الوجدان أي نعت يحيط به العقل، واحتمال الإضافة فيها وفي قرينتيها باقٍ مع بعده، ولا يمكن وصفه أيضاً بالوقت والأجل، والفرق بينهما باعتبار الابتداء والانتهاء أي ليس له وقت معدود من جهة الأزل، ولا أجل مؤجّل ممدود من جهة الأبد، وقال ابن أبي الحديد: يعني بصفته ههنا كنهه وحقيقته، يقول: ليس لكنهه حدّ فيعرف بذلك الحدّ قياساً على الأشياء المحدودة لأنّه ليس بمركّب وكلّ محدود مركّب[1].

ثمّ قال: ولا نعت موجود أي لا يدرك بالرسم كما يدرك الأشياء برسومها وهو أن يعرف بلازم من لوازمها وصفة من صفاتها. ثمّ قال: ولا وقت معدود ولا أجل ممدود وفيه إشارة إلى الردّ على من قال: إنّا نعلم كنه الباري تعالى لا في هذه الدنيا بل في الآخرة. وقال ابن ميثم: المراد أنّه ليس لمطلق ما يعتبره عقولنا له من الصفات السلبيّة والإضافيّة نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدّاً له، وليس لمطلق ما يوصف به أيضاً وصف موجود يجمعه فيكون نعتاً له ومنحصراً فيه. ثمّ قال: ليس لصفته حدّ أي ليس لها غاية بالنسبة إلى متعلّقاتها كالعلم بالنسبة إلى المعلومات، والقدرة إلى المقدورات انتهى. ولا يخفى بعد تلك الوجوه.

والفطر: الابتداع؛ والخلائق جمع خليقة بمعنى المخلوق أو الطبيعة، والأوّل أظهر، ونشر الرياح أي بسطها برحمته أي بسبب المطر أو الأعمّ، ويؤيّد الأوّل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[2]. ووتّد بالصخور يقال: وتّد أي ضرب الوتد في

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١ ص ٦٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

حائط أو غيره، والصخور: الحجارة العظام. والميدان بالتحريك: الحركة بتمايل هو الاسم من ماد يميد ميداً، وهو من إضافة الصفة إلى موصوفها، والتقدير: وتّد بالصخور أرضه المائدة، وإنّما أسند إلى الصفة لأنّها العلّة في إيجاد الجبال كما قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (١) وقال: ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ .

ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في أنّه لم صارت الجبال سبباً لسكون الأرض على أقوال:

الأول: أنّ السفينة إذا ألقيت على وجه الماء فإنّها تميل فإذا وضعت فيها أجرام ثقيلة استقرّت، ولعلّ غرضهم أنّ الأرض إذا لم توتّد بالجبال لأمكن أن تتحرّك بتموّج الهواء ونحوه حركة قسريّة.

الثاني: ما ذكره الفخر الرازيّ حيث قال: قد ثبت أن الأرض كرة، وأنّ هذه الجبال بمنزلة خشونات وتضريسات على وجه الكرة فلو فرضنا أنّ الأرض كانت كرة حقيقة لتحرّكت بالاستدارة بأدنى سبب لأن الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحرّكاً على نفسه بأدنى سبب وإن لم تجب حركته بنفسه عقلاً؛ أما إذا حصل على سطحها هذه الجبال فكلّ واحد إنّما يتوجّه بطبعه إلى المركز فيكون بمنزلة الأوتاد، ولا يخفى ما فيه من التشويش والفساد.

الثالث: ما يخطر بالبال وهو أن يكون مدخليّة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها واتّصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتّت أجزائها وتفرّقها فهي بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركّبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سبباً لالتصاق بعضها ببعض وعدم تفرّقها، وهذا معلوم ظاهرٌ لمن حفر الآبار في الأرض فإنّها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة.

الرابع: ما أوّل بعضهم الآية به، وهو أنّ المراد بالأوتاد الأنبياء والعلماء، وبالأرض الدنيا فإنّهم سبب استقرار الدنيا، ولا يخفى أنّه لو استقام هذا الوجه في الآية لا يجري في كلامه عليه السلام إلاّ بتكلّف لا يرتضيه عاقل.

الخامس: أن يقال المراد بالأرض قطعاتها وبقاعها لا مجموع كرة الأرض، ويكون الجبال أوتاداً لها أنّها حافظة لها عن الميدان والاضطراب بالزلزلة ونحوها، إمّا لحركة البخارات المحتقنة في داخلها بإذن الله تعالى، أو لغير ذلك من الأسباب، الّتي يعلمها مبدعها ومنشئها؛ ويؤيده ما سيأتي من خبر ذي القرنين، وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب السماء والعالم.

قوله عليه السلام : وكمال معرفته التصديق به الفرق بينهما إمّا بحمل المعرفة على الإذعان بثبوت صانع في الجملة، والتصديق على الإذعان بكونه واجب الوجود، أو مع سائر

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٥.

الصفات الكماليّة، أو بحمل الأوّل على المعرفة الفطريّة، والثاني على الإذعان الحاصل بالدليل؛ أو الأوّل على المعرفة الناقصة والثاني على التامّة التي وصلت حدّ اليقين؛ وإنّما قال عليه السلام: وكمال التصديق به توحيده لأنّ من لم يوحّده وأثبت له شريكاً فقد حكم بما يستلزم إمكانه فلم يصدّق به بل بممكن غيره. فمن وصف الله أي بالصفات الزائدة، فقد قرنه أي جعل له شيئاً يقارنه دائماً. ومن حكم بذلك فقد ثنّاه أي حكم باثنينيّة الواجب إذ القديم لا يكون ممكناً، ومن حكم بذلك فقد حكم بأنّه ذو أجزاء لتركّبه ممّا به الاشتراك وما به الامتياز؛ أو لأنّ التوصيف بالأوصاف الزائدة الموجودة المتغايرة لا يكون إلاّ بسبب الأجزاء المتغايرة المختلفة، أو لأنّ إله العالم ومبدعه إمّا أن يكون ذاته تعالى فقط مع قطع النظر عن هذه الصفات أو ذاته معها، والأوّل باطل لأنّ الذات الخالية عنها لا تصلح للإلهيّة، وكذا الثاني لأنّ واجب الوجود إذاً يصير عبارة عن كثرة مجتمعة من أمور موجودة فكان مركّباً فكان ممكناً.

قوله عليه السلام: ومن أشار إليه أي بالإشارة الحسّيّة فقد حدّه بالحدود الجسمانيّة أو بالإشارة العقليّة فقد حدّه بالحدود العقلانيّة، ومن حدّه فقد عدّه أي جعله ذا عدد وأجزاء، وقيل عدّه من الممكنات ولا يخفى بعده.

قوله عليه السلام: ولا يستوحش كأنّ كلمة «لا» تأكيد للنفي السابق أي ولا سكن يستوحش لفقده، أو زائدة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[1] ويحتمل كون الجملة حاليّة.

قوله: عليه السلام وألزمها أشباحها الضمير المنصوب في قوله: ألزمها إمّا راجعٌ إلى الغرائز أو إلى الأشياء، فعلى الأوّل المراد بالأشباح الأشخاص أي جعل الغرائز والطبائع لازمة لها، وعلى الثاني فالمراد بها إمّا الأشخاص أي ألزم الأشياء بعد كونها كلّيّة أشخاصها؛ أو الأرواح إذ يطلق على عالمها في الأخبار عالم الأشباح؛ وفي بعض النسخ: أسناخها أي أصولها. قوله عليه السلام: بقرائنها أي بما يقترن بها. والأحناء جمع حنو وهو الجانب والناحية.

٦ - ج: في خطبة أخرى له عليه السلام: أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، جلّ أن تحلّه الصفات لشهادة العقول أنّ كلّ من حلّته الصفات مصنوع، وشهادة العقول أنّه جلّ جلاله صانع ليس بمصنوع، بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعقد معرفته، وبالفكر تثبت حجّته، جعل الخلق دليلاً عليه فكشف به عن ربوبيّته، هو الواحد الفرد في أزليّته، لا شريك له في إلهيّته، ولا ندّ له في ربوبيّته بمضادّته بين الأشياء المتضادّة علم أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لا قرين له[2].

شا: أبو الحسن الهذليّ، عن الزهريّ وعيسى بن زيد، عن صالح بن كيسان، أنّ أمير

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٢) الاحتجاج، ص ٢٠٠.

المؤمنين عليه السلام قال في الحثّ على معرفة الله سبحانه والتوحيد له: أوّل عبادة الله معرفته إلى آخر الخبر(١).

٧ - ج: وقال عليه السلام في خطبة أخرى: دليله آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة، إنّه ربّ خالق، غير مربوب مخلوق، ما تصوّر فهو بخلافه. ثمّ قال بعد ذلك: ليس بإله من عرف بنفسه، هو الدالّ بالدليل عليه، والمؤدّي بالمعرفة إليه(٢).

إيضاح: قوله عليه السلام: ووجوده إثباته لعلّ الوجود مصدر بمعنى الوجدان، يقال: وجده وجوداً ووجداناً أي أدركه أي ليس يمكن من وجدان كنه ذاته إلّا إثباته، ويحتمل أن يكون الحمل على المبالغة أي وجوده ظاهرٌ مستلزم للإثبات.

قوله عليه السلام: بينونة صفة أي تميّزه عن الخلق بمباينته لهم في الصفات، لا باعتزاله عنهم في المكان. والمؤدّي على اسم الفاعل ويحتمل اسم المفعول.

٨ - ج: وقال عليه السلام في خطبة أخرى: لا يشمل بحدّ، ولا يحسب بعدّ، وإنما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها، منعتها منذ القدمة، وحمتها قد الأزليّة، وجنّبتها لولا التكملة، بها تجلّى صانعها للعقول، وبها امتنع من نظر العيون، لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه؟ ويعود فيه ما هو أبداه؟ ويحدث فيه ما هو أحدثه؟ إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذا وجد له أمام، ولالتمس التمام إذا لزمه النقصان(٣)، وإذاً لقامت آية المصنوع فيه، ولتحوّل دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثّر فيه ما في غيره، الّذي لا يحول ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفول، لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً، جلّ عن اتّخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتقدّره، ولا تتوهّمه الفطن فتصوّره، ولا تدركه الحواسّ فتحسّه، ولا تلمسه الأيدي فتمسّه، ولا يتغيّر بحال، ولا يتبدّل بالأحوال، ولا تبليه اللّيالي والأيّام، ولا يغيّره الضياء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغيريّة والأبعاض، ولا يقال: له حدّ ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أنّ الأشياء تحويه فتقلّه أو تهويه، ولا أنّ الأشياء تحمله فيميله أو يعدله، ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع لا بخروق وأدوات، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفّظ، ويريد ولا يضمر، يحبّ ويرضى من غير رقّة، ويبغض ويغضب من غير مشقّة، يقول لما أراد كونه: «كن» فيكون، لا بصوت يقرع، ولا نداء يسمع، وإنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، ومثله لم

---

(١) الارشاد، ص ١١٩. (٢) الاحتجاج، ص ٢٠١.

(٣) في المصدر: . . إذ وجد له أمام. . . إذ لزمه النقصان. . بدل إذا وهو الصواب.

يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً، لا يقال له: كان بعد أن لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينها وبينه فصل، ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع، خلق الخلائق من غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصّنها من الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخدّ أوديتها، فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قوّاه، وهو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، والباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كلّ شيء منها بجلاله وعزّته، لا يعجزه شيء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه، خضعت الأشياء له فذلّت مستكينة لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضرّه، ولا كفؤ له فيكافيه ولا نظير له فيساويه، هو المفني لها بعد وجودها حتّى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها كيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتبلّدة أممها وأكياسها على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيّرت عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت قواها، وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنها مقهورة، مقرَّة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها وأنّه يعود سبحانه بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلاّ الواحد القهّار الّذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها، لم يتكاءده صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤده منها خلق ما برأه وخلقه، ولم يكوّنها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندّ مكاثر، ولا للاحتراز بها من ضدّ مشاور، ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها، ثمّ هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، لا يملّه طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها، لكنّه سبحانه دبّرها بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء منها عليها، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس، ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس، ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذلّ وضعة إلى عزّ وقدرة[1].

---

(١) الاحتجاج، ص ٢٠١.

تبيان: لا يشمل بحدّ أي بالحدود والنهايات الجسمانيّة، أو بالحدّ العقليّ المركّب من الجنس والفصل؛ ولا يحسب بعدّ أي بالأجزاء والصفات الزائدة المعدودة، وقال ابن أبي الحديد: يحتمل أن يريد لا يحسب أزليّته بعدّ أي لا يقال له: منذ وجد كذا وكذا كما يقال للأشياء المتقدّمة العهد؛ ويحتمل أن يريد به أنّه ليس بمماثل للأشياء فيدخل تحت العدد كما تعدّ الجواهر وكما تعدُّ الأمور المحسوسة. أقول: وقد مرّ تفسير كثير من الفقرات.

قوله عليه السلام: إذا وجد له أمام أي لو جرت عليه الحركة لكان له أمام يتحرّك إليه، وحينئذ يستلزم أن يكون له وراء لأنّهما إضافتان لا تنفكّ إحداهما عن الأُخرى وذلك محال لأنّ كلّ ذي وجهين فهو منقسم، وكلّ منقسم ممكن، ويحتمل أن يكونا كنايتين عمّا بالقوّة وما بالفعل، ليشمل سائر أنواع الحركة كما أومأنا إليه سابقاً.

قوله عليه السلام: ولالتمس التمام أي الحركة إنّما تكون لتحصيل أمر بالقوّة فمع عدمه ناقص، والنقص عليه محال.

قوله عليه السلام: وخرج بسلطان الامتناع قيل: هو معطوف على كان مدلولاً عليه وسلطان الامتناع: وجوب الوجود والتجرّد وكونه ليس بمتحيّز ولا حالّ في المتحيّز؛ وقيل: هو معطوف على قوله: بها امتنع عن نظر العيون يعني بها امتنع عن نظر العيون وخرج بسلطان ذلك الامتناع أي امتناع أن يكون مثلها في كونها مرئيّة للعيون عن أن يؤثّر فيه ما يؤثّر في غيره من المرئيّات، وهي الأجسام والجسمانيّات؛ وقيل: إنّه معطوف على قوله: بها تجلّى أي بها تجلّى للعقول وخرج بسلطان امتناع كونه مثلاً لها أي بكونه واجب الوجود ممتنع العدم عن أن يكون ممكناً فيقبل أثراً كما يقبل الممكنات.

أقول: الأظهر عطفه على قوله: لا يجري عليه الحركة والسكون لكون ما بعدها من الفقرات دليلاً عليها ومن توابعها، وسلطان الامتناع وجوب الوجود المقتضي للامتناع عن الاشتراك مع الممكنات، وأمّا العطف على الفقرات السابقة مع تخلّل الفقرات الاجنبيّة فلا يخفى بعده.

قوله عليه السلام: لا يحول أي لا يتغيّر، وقال الفيروزآباديّ: كلّ ما تحرّك أو تغيّر من الاستواء إلى العوج فقد حال. والافول: الغيبة. قوله عليه السلام: فيكون مولوداً أي من جنسه ونوعه لأنّ الوالد والولد يتشاركان في النوع والصنف والعوارض فيكون جسماً مركّباً محتاجاً، ويحتمل أن يكون المراد بالمولود المخلوق أي فيكون مخلوقاً.

وقال ابن أبي الحديد: المراد: أنّه يلزم من فرض صحّة كونه والداً صحّة كونه مولوداً على التفسير المفهوم من الوالديّة وهو أن يتصوّر من بعض أجزائه حيٌّ آخر من نوعه على سبيل الاستحالة لذلك الجزء كما في النطفة فصحّ أن يكون مولوداً من والد آخر لأنّ الأجسام متماثلة في الجسميّة وقد ثبت ذلك في موضعه، وأمّا أنّه لا يصحّ كونه مولوداً فلأنّ كلّ مولود متأخّر عن والده بالزمان فيكون محدَثاً.

وقال ابن ميثم: يمكن أن يكون خطابياً غايته الإقناع، ويمكن أن يكون المراد بالوالديّة والمولوديّة ما هو أعمّ من المعنى المشهور فإنّ الملازمة على المعنى المشهور غير واجب كما في أصول الحيوان الحادثة، وحينئذٍ فبيانها أن مفهوم الولد هو الّذي يتولّد وينفصل عن آخر مثله عن نوعه لكن أشخاص النوع الواحد لا تتعيّن إلا بواسطة المادّة وعلائقها كما علم في مظانّه من الحكمة، وكلّ ما كان مادياً فهو متولّد عن مادّته وصورته وأسباب وجوده وتركيبه، ولو كان مولوداً بذلك المعنى لكان منتهياً إلى حدوده وهي أجزاؤه الّتي تقف عندها وتنتهي في التحليل إليها، ولكان محاطاً ومحدوداً بالمحلّ الّذي تولّد منه. انتهى.

قوله عليه السلام: فتقدّره أي بمقدار وشكل وكيف، والفطنة: سرعة الفهم. قوله عليه السلام: فتصوّره أي بصورة خياليّة أو عقليّة. قوله عليه السلام: فتحسّه أي تدركه بنحو الإحساس الموقوف على مباشرة ووضع خاصّ ردّاً على من زعم أنّه يمكن أن يدرك بالحواس بدون مقارنة ومحاذاة؛ كذا ينبغي أن يفهم لا كما ذكره الفاضل البحراني حيث قال: أي لو أدركته الحواس لصدق أنّها أحسّته، أي لصدق هذا الاسم فيلزم أن يصدق عليه تعالى كونه محسوساً، وإنّما ألزم عليه السلام ذلك لكون الاحساس أشهر وأبين في استحالته على الله سبحانه، وقال في الفقرة التالية: أي لو صدق أنّها تلمسه لصدق أنّها تمسّه، وهو ظاهر، إذ كان المسّ أعمّ من اللّمس، وكلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسميّة. انتهى.

أقول: في الأعميّة نظر، والأظهر أن يقال - على نحو ما سبق -: أنّ المراد باللّمس الإحساس بحاسّة اللّمس، وبالمسّ: المماسّة والمقارنة المخصوصة.

قوله: بحال أي أبداً أو بسبب حدوث حال. قوله عليه السلام: بالغيريّة والأبعاض أي ليس له أبعاض يغاير بعضها بعضاً؛ والنهاية تأكيدٌ للحدّ كما أنّ الغاية تأكيد للانقطاع؛ أو المراد بالحدّ الحدود العارضة، وبالنهاية نهاية المكان الّذي هو تعالى فيه، وبالانقطاع: ما هو من جانب الأزل، وبالغاية: ما هو من جانب الابد؛ أو يقال: المراد بالانقطاع انقطاع وجوده، وبالغاية الزمان الّذي ينقطع فيه فيكون كالتأكيد له.

قوله: فتقلّه بالنصب بإضمار «أن» في جواب النفي، أو بالرفع على العطف أي ليس بذي مكان يحويه فيرتفع بارتفاعه، وينخفض بانخفاضه، وكذا ليس محمولاً على شيء فيميله إلى جانب أو يعدله على ظهره من غير ميل. قوله: ولا عنها بخارج خروجاً مكانياً بأن يكون في مكان آخر سوى أمكنتها، أو ليس عنها بخارج علماً وقدرة وتربية واللهوات: هي اللّحمات في سقف أقصى الفم.

قوله عليه السلام: ولا يلفظ يدلّ على أنّ التلفّظ صريح في إخراج الحروف من آلة النطق بخلاف القول والكلام. قوله عليه السلام: يحفظ أي يعلم الأشياء ويحصيها؛ ولا يتحفّظ أي لا يتكلّف ذلك كالواحد منّا بتحفّظ الدرس ليحفظه، ويحتمل أن يكون المراد بالتحفّظ الانتقاش في

الحافظة؛ وقيل: أي يحفظ العباد ويحرسهم، ولا يحرّز ولا يشفق على نفسه خوفاً من أن يبدره بادرة، ولا يخفى بعده عن السياق. قوله عليه السلام: من غير مشقّة أي البغض والغضب في المخلوق يستلزمان ثوران دم القلب واضطرابه وانزعاجه، وكلّ ذلك مشقّة والله منزه عنها.

قوله عليه السلام: يقول لما أراد لعلّ غرضه بيان معنى الآية وأنّه ليس مراده تعالى التكلّم الحقيقيّ بأن يكون له صوت يقرع الأسماع، ونداء يسمعه الآذان، بل ليس له إلاّ تعلّق إرادته تعالى، وإنّما هذا الكلام الّذي عبّر عن الإرادة به فعله تعالى وخلقه للأشياء وتمثيلها وتصويرها، وليست الإرادة قديمة وإلاّ لكان إلهاً ثانياً فيكون موافقاً للأخبار الدالّة على حدوث الإرادة، وقد مرّ شرحها، ويحتمل أن يكون «إنما كلامه» إشارة إلى الكلام الحقيقيّ، وبياناً لكيفيّة صدوره وكونه حادثاً لا قديماً؛ وقال ابن ميثم: لا بصوت يقرع أي ليس بذي حاسّة للسمع فيقرعها الصوت، ولا نداء يسمع أي لا يخرج منه الصوت. وقوله: أنشأه أي أوجده في لسان النبيّ صلى الله عليه وآله، ومثّله أي سوّى مثاله في ذهنه، وقيل: المعنى مثّله لجبرئيل عليه السلام في اللوح.

أقول: على التقادير يدلّ على أنّ القدم ينافي الإمكان، وأنّ القول بقدم العالم شرك.

قوله عليه السلام: الصفات المحدثات في أكثر نسخ «ج والنهج» الصفات معرّفة باللام، وفي بعضها بدونها، وهو أظهر ليعود الضمير في قوله عليه السلام بينها إلى ذوات المحدثات لا صفاتها، وعلى التقدير الآخر يمكن أن يرتكب فيه شبه استخدام. قوله عليه السلام خلا من غيره أي مضى وسبق، والمعنى: أنّه لم يحتذ في صنعته حذو غيره كالواحد منّا قوله عليه السلام: من غير اشتغال أي بإمساكها عن غيره من الأمور.

قوله عليه السلام: وأرساها أي أثبتها على غير قرار أي مقرّ يتمكن عليه، بل قامت بأمره؛ والاعوجاج عطف تفسيريّ للأود بالتحريك؛ والتهافت: التساقط قطعة قطعة؛ والأسداد إمّا جمع السدّ بمعنى الجبل، أو بمعنى الحاجز أي الّتي تحجز بين بقاعها وبلادها، والسدّ بالضمّ أيضاً السحاب الاسود؛ واستفاض بمعنى أفاض؛ وخدّ أي شقّ؛ والاستكانة: الخضوع. قوله: من نفعه أي أنفة واستغناء بالغير، ويمكن أن يكون ذكره على الاستطراد والاستتباع. قوله عليه السلام: فيكافئه أي يساويه في وجوب الوجود وسائر الكمالات، أو يقابله ويفعل مثل فعله ويعارضه.

قوله عليه السلام: من مراحها قال ابن أبي الحديد: المراح بالضمّ النعم ترد إلى المراح بالضمّ أيضاً، وهو الموضع الّذي تأوي إليه النعم، وليس المراح ضدّ السائم على ما يظنّه بعضهم، ويقول: إنّه من عطف المختلف أو المتضادّ، بل أحدهما هو الآخر، وضدّهما المعلوفة، ومثل هذا العطف كثير انتهى.

أقول: كونه من قبيل عطف الضدّين ليس ببعيد، إمّا باعتبار الوصفين والحالتين أو بأن

يكون المراد بسائمها ما لا ترجع إلى مراح. وأسناخها: أصولها، وفي بعض النسخ: أشباحها أي أشخاصها؛ والمتبلّدة: ذو البلادة، ضد الاكياس والخاسئ: الذليل الصاغر؛ والحسير الكالّ المعيي.

قوله ﷺ: عن إفنائها أي إعدامها بالمرّة. وقال ابن ميثم: فإن قلت: كيف تقرّ العقول بالعجز عن إفناء البعوضة مع سهولته؟ قلت: العبد إذا نظر إلى نفسه وجدها عاجزة عن كلّ شيء إلا بإقدار إلهي، وأنّه ليس له إلاّ الإعداد لحدوث ما ينسب إليه من الآثار وأيضاً فإنّ الله سبحانه كما أقدر العبد كذلك أقدر البعوضة على الهرب والامتناع بالطيران وغيره بل على أن تؤذيه ولا يتمكّن من دفعها عن نفسه. انتهى.

ثمّ إنّ كلامه ﷺ يدلّ على أنّه تعالى يفني جميع الأشياء حتّى النفوس والأرواح والملائكة، وسيأتي القول فيه في كتاب العدل والمعاد.

قوله ﷺ: لم يتكاءده بالمدّ أي لم يشقّ عليه، ويجوز يتكأده بالتشديد والهمزة؛ ولم يؤده أي لم يثقله؛ والندّ: المثل والنظير؛ والمكاثرة المغالبة بالكثرة؛ والمشاورة المواثبة.

٩ - ج: ومن خطبة له ﷺ: الحمد لله الّذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدالّ على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباههم على أن لا شبه له، الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه، واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، تتلقّاه الأذهان لا بمشاعرة، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة، لم تحط به الأوهام بل تجلّى لها بها[1]، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها، ليس بذي كبر امتدّت به النهايات فكبّرته تجسيماً، ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظّمته تجسيداً، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً[2].

---

(١) أقول: التجلي مستعمل في القرآن والأخبار، وهو بمعنى الظهور والإنكشاف. وتجليه سبحانه وتعالى عبارة عن ظهوره تعالى (المنزه عن المعقولية والمعلومية والمحدودية) لخلقه بآياته وآثاره، وبخلقته خلقه ظهر لقلوبهم (بآياته التي تكون حجة عليهم) كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين ﷺ في خطبته المذكورة في الملاحم. وبالجملة هو نظير ما في روايات العهد والميثاق من قولهم في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وشرح عالم الذر وأخذ العهد من بني آدم: إنه سبحانه أراهم نفسه وعاينوا ربهم (يعني وجههم إلى نفسه القدوس) فأنساهم رؤيته واثبت المعرفة في قلوبهم فيكون تجليه لخلقه اراءته نفسه القدوس المنزهة عن المحدودية والمعلومية والمدركية بالحواس الظاهرة والباطنة. [مستدرك السفينة ج ٢ لغة «جلا»].

(٢) الاحتجاج، ص ٢٠٤.

إيضاح: الشواهد: الحواسّ من قولهم: شهد فلان كذا: إذا حضره، أو لأنّها تشهد على ما تدركه وتثبته عند العقل؛ والمشاهد: المجالس. قوله عليه السلام: لا بمشاعرة أي لا من طريق المشاعر والحواسّ؛ والمرائي جمع مرآة بفتح الميم من قولهم: هو حسن في مرآة عيني يعني أنّ الرؤية تشهد بوجوده تعالى من غير محاضرة منه للحواسّ، ويحتمل أن يكون جمع مرئيّ أي المرئيّات تشهد بوجوده وصفاته الكماليّة، من غير أن يكون حاضراً عندها محسوساً معها.

قوله عليه السلام: لم تحط به الأوهام قيل: الأوهام ههنا هي العقول أي أنّه سبحانه لم تحط به العقول ولم تتصوّر كنه ذاته، ولكنّه تجلّى للعقول بالعقول، وتجلّيه ههنا هو كشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من صفاته الإضافيّة والسلبيّة وما يمكن الوصول إليه من أسرار مخلوقاته. وقوله عليه السلام: وبالعقول امتنع من العقول أي بالعقول وبالنظر علمنا أنّه تعالى يمتنع أن تدركه العقول.

وقوله عليه السلام: وإلى العقول حاكم العقول أي جعل العقول المدّعية أنّها أحاطت به وأدركته كالخصم له سبحانه، ثمّ حاكمها إلى العقول السليمة الصحيحة فحكمت له سبحانه على العقول بأنّها ليست أهلاً لذلك. وقيل الأوهام بمعناها، ولمّا كانت اعتبارها لأحوال أنفسها من وجوداتها والتغيّرات اللاّحقة لها شاهدة لحاجتها إلى موجد ومقيم ومساعدة للعقول على ذلك وكان إدراكها لذلك في أنفسها على وجه جزئيّ مخالف لإدراك العقول فكانت مشاهدة له بحسب ما طبعت عليه وبقدر إمكانها، وهو متجلٍّ لها كذلك؛ والباء في «بها» للسببيّة إذ وجودها هو السبب المادّيّ في تجلّيه لها، ويحتمل أن تكون بمعنى «في» أي تجلّى لها في وجودها؛ وبل للإضراب عن الإحاطة به.

وقوله: وبها امتنع منها أي لمّا خلقت قاصرة عن إدراك المعاني الكلّيّة وعن التعلّق بالمجرّدات كانت بذلك مبدأً لامتناعه عن إدراكها له، وإن كانت لذلك الامتناع أسباب أخر. ويحتمل أن يكون المراد أنّه تعالى باعترافها امتنع منها لأنّها عند طلبها لمعرفته تعالى بالكنه اعترفت بالعجز عن إدراكها له.

قوله عليه السلام: وإليها حاكمها أي جعلها حكماً بينها وبينه عند رجوعها من طلبه خاسئة حسيرة معترفة بأنّه لا ينال كنه معرفته، وإسناد المحاكمة إليها مجازٌ. وقيل: يحتمل أن يكون أحد الضميرين في كلّ من الفقرات الثلاث راجعاً إلى الأوهام، والآخر إلى الأذهان فيكون المعنى أنّ بالأوهام وخلقه تعالى لها وإحكامها أو بإدراك الأوهام آثار صنعته وحكمته تجلّى للعقول، وبالعقول وحكمها بأنّه تعالى لا يدرك بالأوهام امتنع من الأوهام، وإلى العقول حاكم الأوهام لو ادّعت معرفته حتّى تحكم العقول بعجزها عن إدراك جلاله؛ ويؤيّده ما مرَّ في الخطبة الكبيرة من بعض الفقرات على بعض الوجوه.

أقول: ويحتمل أن يكون الأوهام أعمّ منها ومن العقول، وهذا الإطلاق شائع فالمراد:

تجلّى الله لبعض الأوهام أي العقول ببعض الحواسّ، وهكذا على سياق ما مرّ. قوله: النهايات أي السطوح المحيطة به.

١٠ - **ن:** وجدت في بعض الكتب نسخة كتاب الحباء والشرط من الرضا عليه السلام إلى العمّال في شأن الفضل بن سهل وأخيه، ولم أرو ذلك عن أحد: أمّا بعد فالحمد لله البديء البديع القادر القاهر، الرقيب على عباده، المقيت على خلقه، الذي خضع كلّ شيء لملكته، وذلّ كلّ شيء لعزّته، واستسلم كلّ شيء لقدرته، وتواضع كلُّ شيء لسلطانه وعظمته، وأحاط بكلّ شيء علمه، وأحصى عدده، فلا يؤوده كبير، ولا يعزب عنه صغير، الّذي لا تدركه أبصار الناظرين، ولا تحيط به صفة الواصفين، له الخلق والأمر، والمثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم الخبير[١].

بيان: المثل بالتحريك: الحجّة أو الصفة وما يتمثّل به ويضرب من الأمثال أي له تعالى الحجّة الأعلى والصفة العليا، وهي الوجوب الذاتي، والغنى المطلق، والنزاهة عن صفات المخلوقين؛ أو الأمثال الحسنة الّتي يضربها لأفهام الخلق، ولا ينافي ذلك النهي عن ضرب الأمثال لغيره تعالى في قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[٢] لأنّ عقولهم قاصرة عن ذكر ما يناسب علوّ ذاته تعالى؛ على أنّه يحتمل أن يكون المراد بالأمثال الأشباه.

١١ - **ع:** ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن سهل، عن ابن بزيع، عن محمّد بن زيد قال: جئت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن التوحيد فأملى عليّ: الحمد لله فاطر الأشياء إنشاءاً، ومبتدعها ابتداءاً بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الاختراع، ولا لعلّة فلا يصحّ الابتداع، خلق ما شاء كيف شاء، متوحّداً بذلك لإظهار حكمته وحقيقة ربوبيّته [لا] تضبطه العقول، ولا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأبصار، ولا يحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة، وكلّت دونه الأبصار، وضلّ فيه تصاريف الصفات، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، عُرف بغير رؤية، ووصف بغير صورة، ونعت بغير جسم، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال[٣].

يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن سهل مثله[٤].

١٢ - **مع:** حدّثنا أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، عن محمّد بن إبراهيم بن أسباط، عن أحمد بن محمّد بن زياد القطّان، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله، عن عيسى بن جعفر بن

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٦٥ باب ٤٠ ح ٢٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٣.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٠ باب ٩ ح ٣.

(٤) التوحيد، ص ٩٨ باب ٦ ح ٥.

محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، عن آبائه، عن عمر بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: التوحيد ظاهره في باطنه، وباطنه في ظاهره، ظاهره موصوف لا يرى، وباطنه موجود لا يخفى، يطلب بكلّ مكان، ولم يخل عنه مكان طرفة عين، حاضرٌ غير محدود، وغائب غير مفقود[1].

بيان: لعلّ المراد به أن كل ما يتعلّق بالتوحيد من وجود الباري تعالى وصفاته ظاهره مقرون بباطنه أي كلّ ما كان ظاهراً منه بوجه فهو باطن ومخفيٌّ بوجه آخر وكذا العكس. ثمّ بيّن عليه السلام ذلك بأنّ ظاهره أنّه موصوف بالوجود وسائر الكمالات بما أظهر من الآثار في الممكنات، ولكنّه لا يرى فهو باطن عن الحواسّ، وباطنه أنّه موجود خاص لا كالموجودات؛ ولكنّه لا يخفى من حيث الآثار، ويمكن أن يقال: فسّر عليه السلام كلاً منهما بما يناسب ضدّه لبيان تلازمهما، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بالظاهر مجمل التوحيد أو ما يكتفي به العوام، وبالباطن مفصّله أو ما يجب أن يعرفه الخواصّ، فالمقصود بقوله: ظاهره في باطنه أنّ كلاً منهما لا ينافي الآخر، وإنّما الفرق بينهما بالإجمال والتفصيل، وما ذكر بعد قوله: وباطنه إلى آخر الخبر، تفسير لباطن التوحيد، وعلى الأوّلين قوله عليه السلام: يطلب إلى آخره توضيح لما ادّعى أوّلاً من التلازم والله يعلم.

١٣ - **يد، مع:** محتمل بن سعيد بن عزيز السمرقنديّ، عن محمّد بن أحمد الزاهد السمرقنديّ بإسناد رفعه إلى الصادق عليه السلام أنّه سأله رجل فقال له: إنّ أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثير، ولا بدّ لعاقل منه فاذكر ما يسهل الوقوف عليه، ويتهيّأ حفظه؛ فقال: أمّا التوحيد فأن لا تجوز على ربّك ما جاز عليك، وأمّا العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه[2].

١٤ - **يد:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن أحمد بن النضر وغيره، عن عمرو ابن ثابت، عن رجل سمّاه، عن أبي إسحاق السبيعيّ، عن الحارث الأعور قال: خطب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوماً خطبة بعد العصر، فعجب الناس من حسن صفته وما ذكر من تعظيم الله جلّ جلاله، قال أبو إسحاق: فقلت للحارث: أوما حفظتها؟ قال: قد كتبتها؛ فأملاها علينا من كتابه: الحمد لله الّذي لا يموت، ولا تنقضي عجائبه، لأنّه كل يوم في شأن، من إحداث بديع لم يكن، الّذي لم يولد فيكون في العزّ مشارَكاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبحاً ماثلاً، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً، الّذي ليست له في أوّليّته نهاية، ولا في آخريّته حدّ ولا غاية، الّذي لم يسبقه

(١) معاني الاخبار، ص ١٠.

(٢) التوحيد، ص ٩٦ باب ٥ ح ١ ومعاني الأخبار، ص ١١.

وقت، ولم يتقدّمه زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، ولم يوصف بأين ولا بما ولا بمكان، الّذي بطن من خفيّات الأمور، وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير، الّذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحدّ ولا ببعض[1]، بل وصفته بأفعاله، ودلّت عليه بآياته، لا تستطيع عقول المتفكّرين جحده لأنّ من كانت السماوات والأرض فطرته وما فيهنّ وما بينهنّ وهو الصانع لهنّ فلا مدفع لقدرته، الّذي بان من الخلق فلا شيء كمثله، الّذي خلق الخلق لعبادته وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم، وقطع عذرهم بالحجج، فعن بيّنة هلك من هلك، وعن بيّنة نجا من نجا، ولله الفضل مبدئاً ومعيداً، ثمّ إن الله - وله الحمد - افتتح الكتاب بالحمد لنفسه، وختم أمر الدنيا ومجيء الآخرة بالحمد لنفسه فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسّد، والمرتدي بالجلال بلا تمثيل، والمستوي على العرش بلا زوال، والمتعالي عن الخلق بلا تباعد، القريب منهم بلا ملامسة منه لهم وليس له حدّ ينتهى إلى حدّه، ولا له مثل فيعرف بمثله، ذلّ من تجبّر عنه، وصغر من تكبّر دونه، وتواضعت الأشياء لعظمته، وانقادت لسلطانه وعزّته، وكلّت عن إدراكه طروف العيون، وقصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق، الأوّل قبل كلّ شيء والآخر بعد كلّ شيء، ولا يعدله شيء، الظاهر على كلّ شيء بالقهر له، والمشاهد لجميع الأماكن بلا انتقال إليها، ولا تلمسه لامسة، ولا تحسّه حاسّة، وهو الّذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الحكيم العليم، أتقن ما أراد خلقه من الأشياء كلّها بلا مثال سبق إليه، ولا لغوب دخل عليه في خلق ما خلق لديه، ابتدأ ما أراد ابتداءه، وأنشأ ما أراد إنشاءه، على ما أراد من الثقلين: الجنّ والإنس لتعرف بذلك ربوبيّته، ويمكن فيهم طواعيته.

نحمده بجميع محامده كلّها على جميع نعمائه كلّها، ونستهديه لمراشد أمورنا، ونعوذ به من سيّئات أعمالنا، ونستغفره للذنوب الّتي سلفت منّا، ونشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، بعثه بالحق دالاً عليه، وهادياً إليه فهدانا به من الضلالة، واستنقذنا به من الجهالة، من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ونال ثواباً كريماً، ومن يعص الله ورسوله فقد خسر خسراناً مبيناً واستحقّ عذاباً أليماً، فانجعوا بما يحقّ عليكم من السمع والطاعة، وإخلاص النصيحة، وحسن الموازرة، وأعينوا أنفسكم بلزوم الطريقة المستقيمة، وهجر الأمور المكروهة، وتعاطوا الحقّ بينكم، وتعاونوا عليه، وخذوا على يدي الظالم السفيه، مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، واعرفوا لذوي الفضل فضلهم، عصمنا الله وإيّاكم بالهدى، وثبّتنا وإيّاكم على التقوى، وأستغفر الله لي ولكم[3].

---

(١) الظاهر: ولا بنقص [النمازي].
(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٥.
(٣) التوحيد، ص ٣١ باب ٢ ح ١.

بيان: قوله عليه السلام : ولا تنقضي عجائبه أي كلّما تأمل الإنسان يجد من آثار قدرته وعجائب صنعته ما لم يكن وجده قبل ذلك ولا ينتهي إلى حدّ، وأنّه كلّ يوم يظهر من آثار صنعه خلق عجيب وطور غريب يحار فيه العقول والأفهام.

قوله عليه السلام : فيكون في العزّ مشاركاً كمشاركة الولد لوالده في العزّ واستحقاق التعظيم. قوله: موروثاً أي يرثه ولده بعد موته كما هو شأن كلّ والد، والحاصل أنّ كلّ والد حادث هالك موروث. قوله عليه السلام : شبحاً ماثلاً أي قائماً، أو مماثلاً ومشابهاً للممكنات.

قوله عليه السلام : حائلاً أي متغيّراً من حال الشيء يحول إذا تغيّر أي لا تدركه الأبصار، وإلاّ لكان بعد انتقالها عنه متغيّراً ومنقلباً عن الحالة الّتي كانت له عند الإبصار من المقابلة والمحاذاة والوضع الخاصّ وغير ذلك، أو عن حلوله في الباصرة بزوال صورته والموافقة له في الحقيقة عنها. وبعض الافاضل قرأ «بُعدُ» مضمومة الباء، مرفوعة الإعراب على أن يكون اسم كان، والحائل بمعنى الحاجز أي كان بعد انتقال الأبصار إليه حائلاً من رؤيته، ومنهم من قرأه «خائلاً» بالخاء المعجمة أي ذا خيال وصورة متمثّلة في المدرك؛ والتعاور: الورود على التناوب.

قوله عليه السلام : ولا بما إذ ليست له ماهيّة يمكن أن تعرف حتّى يسأل عنها بما هو.

قوله عليه السلام : بطن من خفيّات الأمور أي أدرك الباطن من خفيّات الأمور ونفذ علمه في بواطنها؛ أو المراد أنّ كنهه تعالى أبطن وأخفى من خفيّات الأمور.

قوله عليه السلام : بما جعل فيهم أي من الأعضاء والجوارح والقوّة والاستطاعة. قوله: بالحجج أي الباطنة وهي العقول، والظاهرة وهي الأنبياء والأوصياء. قوله: فعن بيّنة أي بسبب بيّنة واضحة، أو معرضاً ومجاوزاً عنها، أو «عز» بمعنى «بعد» أي بعد وضوح بيّنة، والثاني لا يجري في الثاني؛ وفي الكافي: وبمنّه نجا من نجا.

قوله عليه السلام : مبدئاً ومعيداً أي حال إبداء الخلق وإيجاده في الدنيا وحال إرجاعهم وإعادتهم بعد الفناء؛ أو مبدئاً حيث بدأ العباد مفطورين على معرفته، قادرين على طاعته، ومعيداً حيث لطف بهم، ومنّ عليهم بالرسل والائمّة الهداة. قوله عليه السلام : وله الحمد الجملة اعتراضيّة.

قوله عليه السلام : افتتح الكتاب في «في»: افتتح الحمد لنفسه أي في التنزيل الكريم، أو في بدء الايجاد بإيجاد الحمد، أو ما يستحقّ الحمد عليه، وما هنا يؤيّد الأوّل.

قوله عليه السلام : ومجيء الآخرة أي ختم أوّل أحوال الآخرة، وهو الحشر والحساب، ويمكن أن يقدّر فعل آخر يناسبه أي بدأ مجيء الآخرة قوله عليه السلام : وقضي بينهم أي بإدخال بعضهم الجنّة وبعضهم النار، ويظهر من الخبر أنّ القائل هو الله، ويحتمل أن يكون الملائكة بأمره تعالى.

قوله عليه السلام: بلا تمثيل أي بمثال جسمانيّ قوله بلا زوال أي بغير استواء جسمانيّ يلزمه إمكان الزوال، أو لا يزول اقتداره واستيلاؤه أبداً قوله: من تجبّر عنه في الكافي مكان عنه غيره، فهو حال عن الفاعل، وكذا قوله: دونه. قوله: لعظمته أي عند عظمته، أو عنده بسبب عظمته، والاحتمالان جاريان فيما بعده. قوله عليه السلام: بلا مثال أي لا في الخارج ولا في الذهن.

قوله: ولا لغوب أي تعب ويمكن إرجاع ضمير لديه إليه تعالى وإلى الخلق، فالظرف على الأوّل متعلّق بخلق، وعلى الثاني بدخل قوله: ويمكّن على التفعيل؛ والطواعية: الطاعة، وفي «في»: طاعته، وقال الفيروزآباديّ: المراشد: مقاصد الطرق.

قوله عليه السلام: فانجعوا في بعض النسخ بالنون والجيم من قولهم: أنجع أي أفلح أي أفلحوا بما يجب عليكم من الأخذ سمعاً وطاعةً، أو من النجعة بالضمّ وهي طلب الكلأ من موضعه، وفي بعضها بالباء الموحّدة فالخاء المعجمة، قال الجزريّ فيه: أتاكم أهل اليمن هم أرقّ قلوباً وأبخع طاعة. أي أبلغ وأنصح في الطاعة من غيرهم، كأنّهم بالغوا في بخع أنفسهم أي قهرها وإذلالها بالطاعة. قال الزمخشريّ في الفائق: أي أبلغ طاعة من بخع الذبيحة: إذا بالغ في ذبحها، وهو أن يقطع عظم رقبتها، هذا أصله ثم كثر حتّى استعمل في كلّ مبالغة فقيل: بخعت له نصحي وجهدي وطاعتي.

قوله عليه السلام: وإخلاص النصيحة أي لله ولكتابه ولرسوله وللأئمّة ولعامّة المسلمين؛ والموازرة: المعاونة قوله عليه السلام: وأعينوا أنفسكم أي على الشيطان، وفي «في» على أنفسكم أي النفس الأمّارة بالسوء، قوله عليه السلام: وتعاطوا الحقّ أي تناولوه بأن يأخذه بعضكم من بعض ليظهر ولا يضيع.

١٥ - يد: الدقّاق، عن محمّد الأسدي وابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن أبي معاوية، عن الحصين بن عبد الرحمن، عن أبيه؛ وحدّثنا أحمد بن محمّد بن الصقر الصائغ، عن محمّد بن العبّاس بن بسّام، عن سعيد بن محمّد البصريّ، عن عمرة بنت أوس، قالت: حدّثني جدي الحصين بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي عبد الله الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معاوية في المرّة الثانية، فلمّا حشد الناس قام خطيباً فقال: الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرّد الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان، قدرته بان بها من الأشياء، وبانت الأشياء منه، فليست له صفة تنال، ولا حدّ يضرب له فيه الأمثال كلّ دون صفاته تحبير اللّغات، وضل هنالك تصاريف الصفات، وحار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير، وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، وتاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول في لطيفات الأمور، فتبارك الله الّذي لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، وتعالى الّذي ليس له وقت معدود، ولا أجل ممدود، ولا نعت محدود،

وسبحان الذي ليس له أوّل مبتدأ، ولا غاية منتهى، ولا آخر يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، حدّ الأشياء كلّها عند خلقه إيّاها، إبانة لها من شبهه، وإبانة له من شبهها، فلم يحلل فيها فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن ولم يخل منها فيقال له: أين، لكنّه سبحانه أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه، وأحصاها حفظه، لم يعزب عنه خفيات غيوب الهواء، ولا غوامض مكنون ظلم الدجى، ولا ما في السموات العلى والأرضين السفلى، لكلّ شيء منها حافظ ورقيب، وكلّ شيء منها بشيء محيط، والمحيط بما أحاط منها الله الواحد الأحد الصمد، الّذي لم تغيّره صروف الأزمان، ولم يتكأدّه صنع شيء كان، إنّما قال لمّا شاء أن يكون: «كن» فكان، ابتدع ما خلق بغير مثال سبق، ولا تعب ولا نصب، وكلّ صانع شيء فمن شيء صنع، والله لا من شيء صنع ما خلق، وكلّ عالم فمن بعد جهل تعلّم، والله لم يجهل ولم يتعلّم، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها فلم يزدد بكونها علماً، علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها، لم يكوّنها لشدّة سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان، ولا استعانة على ضدّ مساور ولا ندّ مكاثر، ولا شريك مكايد لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون فسبحان الّذي لا يؤوده خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ما برأ، ولا من عجز ولا من فترة بما خلق اكتفى، علم ما خلق، وخلق ما علم، لا بالتفكير ولا بعلم حادث أصاب ما خلق، ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلق، لكن قضاء مبرم، وعلم محكم، وأمر متقن، توحّد بالربوبيّة، وخصّ نفسه بالوحدانيّة، واستخلص المجد والثناء فتحمّد بالتحميد، وتمجد بالتمجيد، وعلا عن اتّخاذ الأبناء، وتطهّر وتقدّس عن ملامسة النساء، وعزّ وجلّ عن مجاورة الشركاء، فليس له فيما خلق ضدّ، ولا فيما ملك ندّ، ولم يشرك في ملكه أحد، الواحد الاحد، الصمد المبيد للابد والوارث للأمد، الّذي لم يزل ولا يزال وحدانيّاً أزليّاً قبل بدء الدهور، وبعد صرف الأمور، الّذي لا يبيد ولا يفقد، بذلك أصف ربّي، فلا إله إلاّ الله من عظيم ما أعظمه، وجليل ما أجلّه، وعزيز ما أعزّه، وتعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً[1].

توضيح: قوله: حشد أي جمع. قوله عليه السلام: المتفرّد أي في الخلق والتدبير، أو بسائر الكمالات. قوله عليه السلام: قدرته مبتدءٌ وبان بها خبره، أو خبره كافية فكانت جملة استئنافيّة، فكأنّ سائلاً سأل وقال: فكيف خلق لا من شيء؟ فأجاب: بأنّ قدرته كافية، وفي «في» قدرة، أي له قدرة، أو هو عين القدرة بناءاً على عينيّة الصفات، وقيل: نصب على التميز، أو على أنّه منزوع الخافض أي ولكن خلق الأشياء قدرة أو بقدرة.

قوله: ولا حدّ أي جسمانيّ أو عقليّ، أو ليس لمعرفة ذاته وصفاته تعالى حدّ ونهاية حتّى يضرب له فيه الأمثال إذ الأمثال إنما تصحّ إذا كان له مشابهة بالممكنات بأحد هذه الوجوه؛

(١) التوحيد، ص ٤١ باب ٢ ح ٣.

والكلال: العجز والإعياء؛ والتحبير: التحسين أي أعيا قبل الوصول إلى بيان صفاته، أو عند تزيين الكلام باللّغات البديعة الغريبة.

قوله عليه السلام: وضلّ هنالك أي في ذاته تعالى، أو في توصيفه بصفاته تصاريف صفات الواصفين، وأنحاء تعبيرات العارفين، أو ضلّ وضاع في ذاته الصفات المتغيّرة الحادثة فيكون نفياً للصفات الحادثة عنه تعالى، أو مطلق الصفات أي ليس في ذاته التغيّرات الحاصلة من عروض الصفات المتغايرة، فيكون نفياً لزيادة الصفات مطلقاً؛ كلّ ذلك أفاده الوالد العلاّمة قدس الله روحه.

قوله عليه السلام: في ملكوته فعلوت من الملك، وقد يخصّ بعالم الغيب وعالم المجرّدات والملك بعالم الشهادة وعالم الماديّات، وأفكر في الشيء وفكّر فيه وتفكّر بمعنى أي تحيّر في إدراك حقائق ملكوته وخواصّها وآثارها وكيفيّة نظامها وصدورها عنه تعالى الأفكار العميقة الواقعة في مذاهب التفكير، أو مذاهب التفكير العميقة فيكون إسناد الحيرة إليها إسناداً مجازيّاً.

قوله عليه السلام: دون الرسوخ في علمه الرسوخ: الثبوت أي انقطع جوامع تفسيرات المفسّرين قبل الثبوت في علمه، أو عنده إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[1] وقد مرّت الإشارة إلى توجيهه في باب النهي عن التفكّر في ذاته تعالى.

قوله عليه السلام: وحال دون غيبه المكنون المكنون: المستور، والمراد به معرفة ذاته وصفاته، فالمراد بالحجب الحجب النورانيّة والظلمانيّة المعنويّة من كماله تعالى ونقص مخلوقاته؛ أو الأعمّ منها ومن سائر العلوم المغيّبة فالحجب أيضاً أعمّ؛ أو المراد أسرار الملكوت الأعلى من العرش والكرسيّ والملائكة الحافّين بهما وسائر ما هو مستور عن حواسّنا بالحجب الجسمانيّة. والتيه: التحيّر، والأدنى: الأقرب، والأداني: جمع الدنيّ وهو القريب؛ والإضافة في طامحات العقول ولطيفات الأمور من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ والطامح: المرتفع؛ والظرف في قوله: في لطيفات متعلّق بالطامحات بأن يكون في بمعنى إلى، أو حال منه.

قوله عليه السلام: فتبارك إمّا مشتقٌّ من البروك بمعنى الثبات والبقاء، أو من البركة وهي الزيادة. والهمّة: العزم، ويقال: فلان بعيد الهمّة: إذا كانت إرادته تتعلّق بالأمور العالية. قوله: ولا نعت محدود أي الحدود الجسمانيّة أو العقلانيّة بأن يحاط بنعته. قوله عليه السلام ولا آخر يفنى أي بعده. قوله عليه السلام: كما وصف نفسه أي في كتبه، وعلى ألسنة رسله وحججه، وبقلم صنعه على دفاتر الآفاق والأنفس.

قوله عليه السلام: حدّ الأشياء كلّها أي جعل للأشياء حدوداً ونهايات، أو أجزاءاً وذاتيّات،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

ليعلم بها أنّها من صفات المخلوقين والخالق منزّه عن صفاتهم، أو خلق الممكنات الّتي من شأنها المحدوديّة ليعلم بذلك أنّه ليس كذلك، كما قال تعالى: فخلقت الخلق لأُعرف، أو خلقها محدودة لأنّها لم يكن يمكن أن تكون غير محدودة لامتناع مشابهة الممكن الواجب في تلك الصفات الّتي هي من لوازم وجوب الوجود، ولعلّ الأوسط أظهر.

قوله عليه السلام : ولم يخل منها أي بالخلوّ الّذي هو بمعنى عدم الملكة بقرينة التفريع أي كخلوّ المحلّ عن الحالّ، والمكان عن المتمكّن، والدجى جمع دجية بالضمّ وهي الظلمة قوله عليه السلام : لكلّ شيء منها حافظ ورقيب الظرف خبر لقوله: حافظ ورقيب أو متعلّق بكلّ منهما والمبتدأ محذوف أي هو لكلّ شيء منها حافظ ورقيب، والأوّل أظهر، فيكون إشارة إلى الملائكة الموكّلين بالعرش والكرسيّ والسماوات والأرضين والبحار والجبال وسائر الخلق.

قوله: وكلّ شيء منها أي من السماوات والأرض وما بينهما محيط بشيء منها إحاطة علم وتدبير فيكون مؤكّداً للسابق على أحد الوجهين، أو إحاطة جسميّة والمحيط بكلّ من تلك المحيطات علماً وقدرة وتدبيراً هو الله الواحد. والدخور: الصغار والذلّ. قوله عليه السلام : ولا من عجز أي لم يكتف بخلق ما خلق لعجز ولا فتور، بل لعدم كون الحكمة في أزيد من ذلك، ثمّ أكّد عليه السلام ذلك بقوله: علم ما خلق وخلق ما علم أي ما علم أنّ الصلاح في خلقه، ويقال: استخلصه لنفسه أي استخصّه.

قوله: فتحمّد بالتحميد يقال: هو يتحمّد عليّ أي يمتن أي أنعم علينا واستحقّ الحمد والثناء بأن رخّص لنا في تحميده، أو بأن حمد نفسه ولم يكل حمده إلينا، وفي «في»: توحّد بالتوحيد، فالتوحيد يحتمل الوجهين أيضاً؛ والتمجّد: إظهار المجد والعظمة، والتمجيد يحتمل الوجهين أيضاً. قوله: المبيد للأبد أي الملك المفني للدهر والزمان والزمانيّات: والوارث للأمد أي الباقي بعد فناء الأمد أي الغاية والنهاية، أو امتداد الزمان.

قوله عليه السلام : وبعد صرف الأمور أي تغيّرها وفنائها، وهذا ناظر إلى قوله: لا يزال، كما أنّ ما قبله ناظر إلى قوله: لم يزل، وفي «في»: صروف الأمور.

أقول: رواه إبراهيم بن محمّد الثقفيّ في كتاب الغارات بإسناده عن إبراهيم بن إسماعيل اليشكري - قال: وكان ثقة - أنّ عليّاً عليه السلام سئل عن صفة الربّ سبحانه وتعالى فقال - وذكر نحو ما مرّ بأدنى تغيير إلى قوله -: كذلك الله الواحد الأحد الصمد، المبيد للأمد، والوارث للأبد، الّذي لا يبيد ولا ينفد، فتعالى الله العليّ الأعلى، عالم كلّ خفيّة وشاهد كلّ نجوى، لا كمشاهدة شيء من الأشياء، ملأ السموات العلى إلى الأرضين السفلى، وأحاط بجميع الأشياء علماً، فعلا الّذي دنا، ودنا الّذي علا، له المثل الأعلى، والأسماء الحسنى تبارك وتعالى[1].

---

(١) الغارات للثقفي، ص ٩٨.

١٦ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن إسماعيل بن مهران، عن إسماعيل بن إسحاق الجهنيّ، عن فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بينما أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربّك تبارك وتعالى لنزداد له حبّاً وبه معرفة فغضب أمير المؤمنين عليه السلام ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتّى غصّ المسجد بأهله ثمّ قام متغيّر اللّون فقال: الحمد لله الّذي لا يفره المنع، ولا يكديه الإعطاء، إذ كلّ معط منتقصٌ سواه، المليء بفوائد النعم وعوائد المزيد، وبجوده ضمن عيالة الخلق، فأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه، فليس بما سئل أجود منه بما لم يسأل، وما اختلف عليه دهر فتختلف منه الحال، ولو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار، من فلزّ اللّجين وسبائك العقيان ونضائد المرجان لبعض عبيده لما أثّر ذلك في جوده، ولا أنفد سعة ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الإفضال ما لا ينفده مطالب السؤّال، ولا يخطر لكثرته على بال لأنّه الجواد الّذي لا تنقصه المواهب، ولا يبخله إلحاح الملحّين، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] الّذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسيّ كرامته، وطول ولههم إليه، وتعظيم جلال عزّه، وقربهم من غيب ملكوته أن يعلموا من أمره إلاّ ما أعلمهم، وهم من ملكوت القدس بحيث هم ومن معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا: سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم.

فما ظنّك أيّها السائل بمن هو هكذا؟ سبحانه وبحمده لم يحدث فيمكن فيه التغيير والانتقال، ولم يتصرّف في ذاته بكرور الأحوال، ولم يختلف عليه حقب اللّيالي والأيّام، الّذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله، ولا مقدار احتذى عليه من معبود كان قبله، ولم تحط به الصفات فيكون بإدراكها إيّاه بالحدود متناهياً، وما زال ليس كمثله شيء عن صفة المخلوقين متعالياً، وانحسرت الأبصار عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفاً وبالذات الّتي لا يعلمها إلاّ هو عند خلقه معروفاً، وفات لعلوّه على الأشياء مواقع رجم المتوهّمين، وارتفع عن أن تحوي كنه عظمته فهاهة رويّات المتفكّرين، فليس له مثل فيكون ما يخلق مشبّهاً به، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباه والأضداد منزّهاً، كذب العادلون بالله إذ شبّهوه بمثل أصنافهم، وحلّوه حلية المخلوقين بأوهامهم، وجزّوه بتقدير منتج من خواطر هممهم، وقدّروه على الخلق المختلفة القوى بقرائح عقولهم، وكيف يكون من لا يقدّر قدره مقدّراً في رويّات الأوهام وقد ضلّت في إدراك كنهه هواجس الاحلام؟ لأنّه أجلّ من أن تحدّه ألباب البشر بالتفكير، أو تحيط به الملائكة على قربهم من ملكوت عزّته بتقدير، تعالى عن أن يكون له كفوٌ فيشبّه به، لأنّه اللّطيف الّذي إذا أرادت الأوهام أن تقع عليه في عميقات غيوب ملكه،

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

وحاولت الفكر المبرّات[1] من خطر الوسواس إدراك علم ذاته، وتولّهت القلوب إليه لتحوي منه مكيّفاً في صفاته، وغمضت مداخل العقول من حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم إلهيّته ردعت خاسئة وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلّصة إليه سبحانه، رجعت إذ جبهت معترفة بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، ولا يخطر ببال أولي الرويّات خاطرة من تقدير جلال عزّته، لبعده من أن يكون في قوى المحدودين لأنّه خلاف خلقه، فلا شبه له من المخلوقين، وإنّما يشبّه الشيء بعديله، فأمّا ما لا عديل له فكيف يشبّه بغير مثاله، وهو البديء الّذي لم يكن شيء قبله، والآخر الّذي ليس شيء بعده، لا تناله الأبصار في مجد جبروته، إذ حجبها بحجب لا تنفذ في ثخن كثافته ولا تخرق إلى ذي العرش متانة خصائص ستراته، الّذي صدرت الأمور عن مشيئته، وتصاغرت عزّة المتجبّرين دون جلال عظمته، وخضعت له الرقاب، وعنت له الوجوه من مخافته، وظهرت في بدائع الّذي أحدثها آثار حكمته، وصار كلّ شيء خلق حجّة له ومنتسباً إليه، فإن كان خلقاً صامتاً فحجّته بالتدبير ناطقة فيه، فقدّر ما خلق فأحكم تقديره، ووضع كلّ شيء بلطف تدبيره موضعه، ووجّهه بجهة فلم يبلغ منه شيء محدود منزلته، ولم يقصّر دون الانتهاء إلى مشيئته، ولم يستصعب إذ أمر بالمضيّ إلى إرادته، بلا معاناة للغوب مسّه، ولا مكايدة لمخالف له على أمره، فتمّ خلقه وأذعن لطاعته؛ ووافى الوقت الّذي أخرجه إليه، إجابة لم يعترض دونها ريث المبطئ، ولا أناة المتلكّئ، فأقام من الأشياء أودها، ونهّى معالم حدودها، ولاءم بقدرته بين متضاداتها، ووصل أسباب قرائنها، وخالف بين ألوانها، وفرّقها أجناساً مختلفات في الأقدار والغرائز والهيئات، بدايا خلائق أحكم صنعها، وفطرها على ما أراد وابتدعها، انتظم علمه صنوف ذرئها، وأدرك تدبيره حسن تقديرها.

أيّها السائل اعلم أنّ من شبّه ربّنا الجليل بتباين أعضاء خلقه، وبتلاحم أحقاق مفاصلهم المحتجبة بتدبير حكمته أنّه لم يعقد غيب ضميره على معرفته ولم يشاهد قلبه اليقين بأنّه لا ندّ له، وكأنّه لم يسمع بتبرّؤ التابعين من المتبوعين، وهم يقولون: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[2] فمن ساوى ربّنا بشيء فقد عدل به، والعادل به كافر بما نزلت به محكمات آياته، ونطقت به شواهد حجج بيّناته، لأنّه الله الّذي لم يتناه في العقول فيكون في مهبّ فكرها مكيّفاً، وفي حواصل رويّات همم النفوس محدوداً مصرفاً، المنشئ أصناف الأشياء بلا رويّة احتاج إليها، ولا قريحة غريزة أضمر عليها، ولا تجربة أفادها من مرّ حوادث الدهور، ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور، الّذي لما شبّهه العادلون بالخلق المبعّض المحدود في صفاته، ذي الأقطار والنواحي المختلفة في طبقاته، وكان عزّ وجلّ الموجود بنفسه لا بأداته، انتفى أن يكون قدّروه حق قدره، فقال تنزيهاً لنفسه عن مشاركة الأنداد، وارتفاعاً عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفرة العباد: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

---

(١) في المصدر، المبرّأة.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧-٩٨.

قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١) فما دلّك القرآن عليه من صفته فاتّبعه ليوصل بينك وبين معرفته، وائتمّ به، واستضئ بنور هدايته، فإنّها نعمة وحكمة أُوتيتهما، فخذ ما أُوتيت وكن من الشاكرين؛ وما دلّك الشيطان عليه ممّا ليس في القرآن عليك فرضه ولا في سنّة الرسول وأئمّة الهدى أثره فكل علمه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك.

واعلم أنّ الراسخين في العلم هم الّذين أغناهم الله عن الاقتحام في السدد المضروبة دون الغيوب، فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(٢) فمدح الله عَزَّوَجَلَّ اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخاً، فاقتصر على ذلك ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين(٣).

تبيان قوله: فغضب لعلّ غضبه عليه السلام لأنّ السائل سأل عن الصفات الجسمانيّة والسمات الإمكانية، أو لأنّه ظن أنّه يمكن الوصول إلى كنه صفته.

وقوله: الصلاة منصوب بفعل مقدّر أي احضروا الصلاة أو أقيموها. وجامعة منصوب على الحال من الصلاة، ويحتمل رفعهما بالابتدائيّة والخبريّة. وغصّ المسجد بفتح الغين أي امتلأ. قوله عليه السلام: لا يفره أي لا يزيده في ماله، يقال: وفرت الشيء وفراً ووفر الشيء نفسه وفوراً، يتعدّى. قوله: ولا يكديه أي لا يفقره. قوله: منتقص على صيغة المفعول أي منقوص، ويكون الانتقاص متعدّياً ولازماً كالنقص؛ وقال الجزريّ: المليء بالهمزة: الثقة الغنيّ؛ والعائدة: المعروف.

قوله عليه السلام: عيالة الخلق أي كونهم عياله يعولهم ويرزقهم، ومن قولهم: عال الرجل عيالة أي كثر عياله؛ وفي النهج: عياله الخلائق ضمن أرزاقهم. قوله عليه السلام: فليس بما سئل فإنّ جوده لا يتوقّف على شيء سوى الاستحقاق والاستعداد، وهذا لا ينافي الحثّ على الدعاء والأمر بالسؤال، فإنّ الدعاء من متمّمات الاستعداد، وفيه تنزيه له تعالى عن صفة المخلوقين لأنّ السؤال محرّك لجودهم، والله تعالى منزّه عن أن يكون فيه تغيّر أو اختلاف، وإنّما التغيّر في الممكن القابل للفيض والجود بحسب استعداده واستئهاله.

قوله عليه السلام: وما اختلف عليه دهر إشارة إلى ما قالوا من أنّ الزمان ظرف المتغيّرات، ولمّا لم يكن فيه تعالى تغيّر لا تختلف عليه الدهور والأزمان؛ ويحتمل أن يكون المراد نفي اختلاف الأزمنة بالنسبة إليه بأن يكون موجوداً في زمان، معدوماً في زمان آخر، أو عالماً في زمان جاهلاً في زمان آخر وهكذا، والأول أظهر.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٧. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) التوحيد، ص ٤٨ باب ٢ ح ١٣.

قوله: ما تنفّست عنه لا يخفى مناسبته لما قيل من أنّ المعادن تتولّد من بخارات الأرض، ولا يخفى أيضاً لطف تشبيه الصدف بالفم، والدرّ بالسنّ، واللّحمة الّتي في الصدف في رقّة طرفها ولطافتها باللّسان. والفلزّ اسم الأجسام الذائبة كالذهب والفضّة والرصاص. واللّجين مصغّراً اسم الفضّة، والعقيان: الذهب الخالص. والنضد: وضع الأشياء بعضها فوق بعض، ولا يبعد أن يكون المراد بالمرجان هنا صغار اللّؤلؤ كما فسّر به في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾(١).

قوله: لا يبخّله على بناء التفعيل أي لا يصيّره بخيلاً، أو على بناء الإفعال من قولهم: أبخله: إذا وجده بخيلاً.

قوله عليه السلام: أن قالوا كلمة أن إمّا مفسّرة لبيان كيفيّة عجزهم، أو مقدّر قبلها كلمة «إلى» أي إلى أن قالوا؛ أو اللاّم التعليليّة أي لأنّهم قالوا؛ أو هي بمعنى إذ كما قيل في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾(٢) والحقب بالضمّ وبضمّتين: ثمانون سنة أو أكثر، والدهر، والسنة، أو السنون.

قوله عليه السلام: على غير مثال امتثله أي لم يمثّل لنفسه مثالاً قبل خلق العالم ليخلقها على هيئة ذلك المثال كما هو دأب المخلوقين في أبنيتهم وصنائعهم؛ أو لم يمثّل له فاعل آخر قبله مثالاً اتّبعه، أو المراد بالمثال ما يرتسم في الخيال كما مرّ.

قوله عليه السلام ولم تحط به الصفات أي الصفات الجسمانيّة فيكون بإدراك الصفات له أي بلحوقها وعروضها له متناهياً بالحدود؛ أو لم تحط به توصيفات الواصفين فيكون بإدراكها إيّاه متناهياً محدوداً بالحدود العقلانيّة، وتنتهي العقول إلى غاية معرفته. قوله: متعالياً خبر بعد خبر، وقوله: عن صفة متعلّق به.

قوله عليه السلام: رجم المتوهّمين الرجم: الظنّ، وكلام مرجّم كمعظّم لا يوقف على حقيقته أي فات عن مواقع ظنون المتوهّمين فلم تدركه في كلّ ما وقعت عليه، لكونه أعلى من كلّ ما توهّمت الأوهام، وأنّه أعلى الأشياء قدراً ورتبة وكمالاً ورفعة، ولا يبعد أن يكون فات تصحيف فاق. والفهاهة: العيّ، وهي إمّا كناية عن غاية رويّاتهم وأفكارهم بحيث انتهت أفكارهم وعرض لهم الاعياء، أو إشارة إلى ضعف رويّاتهم وقصورها أي رويّاتهم الفهّة الكالّة، وقال الجزريّ: قد عدلنا بالله أي أشركنا به وجعلنا له مثلاً ومنه قول عليّ عليه السلام: كذب العادلون بك إذ شبّهوك بأصنامهم.

قوله عليه السلام: خواطر هممهم الهمّة: العزم أي قدّروه تعالى بتقدير هو نتيجة العزمات الباطلة الّتي خطرت ببالهم من التصدّي لمعرفته تعالى بعقولهم فلزمهم كونه تعالى ذا أجزاء؛ وفي بعض النسخ بخواطرهم والقرائح جمع قريحة، وهي القوّة الّتي يستنبط بها المعقولات.

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٢. (٢) سورة ص، الآية: ٤.

قوله عليه السلام: من لا يقدّر قدره إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[1] أي ما عرفوا الله حقّ معرفته، أو ما عظّموا الله حقّ تعظيمه. والهواجس: الخواطر والوساوس.

قوله عليه السلام: في عميقات غيوب ملكه أي إذا أرادت الأوهام أن تثبته في منتهى ملكه المغيب عن الأبصار كفوق العرش مثلاً، أو إذا أرادت أن تصل إلى حقيقته بسبب التفكّرات العميقة في أسرار ملكه أي خلقه أو سلطنته وخطر الوساوس بتسكين الطاء مصدر خطر له خاطر أي عرض في قلبه؛ وتولّهت إليه أي اشتدّ عشقها حتّى أصابه[2] الوله وهو الحيرة.

قوله عليه السلام: وغمضت مداخل العقول أي غمض دخولها ودقّ في الأقطار العميقة الّتي لا تبلغها التوصيفات. والردع: الكفّ والمنع، وردعت على بناء المجهول أي كلّ من الأوهام والفكر والقلوب؛ والخاسئ: المبعد والصاغر؛ وقوله: تجوب أي تقطع؛ والمهاوي: المهالك، الواحدة مهواة، وهي ما بين جبلين أو حائطين أو نحو ذلك، والسدف جمع سدفة وهي الظلمة والقطعة من اللّيل المظلم؛ وجبهت أي ردّت من جبهته، أي صككت جبهته؛ والجور: العدول عن الطريق، والاعتساف: قطع المسافة على غير جادّة معلومة؛ وقوله: وهي تجوب في موضع الحال، والعامل ردعت ومتخلّصة أيضاً حال، والعامل إمّا تجوب أو ردعت. وتخلّصها إليه: توجّهها بكلّيّتها في طلب إدراكه سبحانه، والحاصل أنّ جلاله تعالى يردع تلك العقول والأوهام في حال قطعها مهالك ظلم الجهالات والمغيبات، وتخلّصها وتوجّهها التامّ إلى معرفته فترجع بعد ذلك معترفة بأنّه لا ينال كنه معرفته بالعقل الّذي شأنه الجور والاعتساف، وبأنّه لا يخطر ببال أولي الرويّات أي أصحاب الفكر خاطرة أي صورة مطابقة من تقدير جلال عزّته لما قد مرّ مراراً أنّه منزّه من أن يكون في قوى المحدودين كنه ذاته وصفاته لأنّ تلك الصورة مخلوقة له، وهو لا يشابه خلقه فكيف يوافقه في الحقيقة أو يشبهه وإنّما يشبّه الشيء بعديله فيلزم أن تكون تلك الصورة عديلاً له، أو المراد أنّ العقل والوهم والخيال إنّما تحيط بما جانسها وشابهها وبما شاهد أمثاله من الممكنات، وهو تعالى ليس له شبيه ولا عديل فكيف تحيط به.

قوله عليه السلام: في مجد جبروته أي بسببه أو كائناً فيه، والحاصل أنّ عظمة جبروته وجلاله تمنع عن نفوذ الأبصار فيه قوله عليه السلام: إذ حجبها أي الأبصار، وإرجاع الضمير إلى الجبروت بعيد أي حجب الأبصار عنه بحجب لا تنفذ الأبصار في ثخن كثافته أي غلظته، والأظهر «كثافتها» لرجوع الضمير إلى الحجب، ولعلّ الإفراد لأخذ الحجب كلّها بمنزلة حجاب واحد، أو يقال: إنّ الضمير راجع إلى الحجاب المذكور في ضمن الحجب، أي لا تنفذ في واحد منها فكيف في جميعها، والمراد بالحجب الحجب المعنويّة الراجعة إلى تقدّسه تعالى ونقص الممكنات.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٢) الظاهر، أصابها.

قوله: ولا تخرق أي الأبصار متوجّهاً إلى ذي العرش متانة ستراته الخصيصة به تعالى؛ والمتانة: الاستحكام، وإنّما نسب الخرق إليها مجازاً أي ستراته المتينة؛ ويمكن أن يقرأ تخرق على بناء المجهول، ومتانةً بالنصب بنزع الخافض أي لمتانة، وفي بعض النسخ: مباثة - بالباء الموحدة ثمّ الثاء المثلّثة - من باث الشيء يبوث بوثاً أي بحث عنه فيكون فاعلاً للخرق أي لا تخرق الحجب إلى ذي العرش البحث عن خصائص ستراته؛ ويقال: تصاغرت إليه نفسه أي تحاقرت، وعنت الوجوه أي خضعت وذلّت.

قوله عليه السلام: فوجّهه بجهة أي وجّه كل شيء إلى جهة، وغاية خلقه لها، كالخيل للركوب، والفلك للدوران، وأصناف الإنسان للعلم والمعرفة وسائر الصنائع والحرف كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[1] وقال النبي صلى الله عليه وآله: كلٌّ ميسّر لما خلق له.

قوله عليه السلام: فلم يبلغ منه شيء محدود منزلته أي منزلة الربّ تعالى، أو أنّ كلّاً منهم في مرتبة التقصير عمّا خلق له وعمّا هيّئ له من الكمال، والأظهر: فلم يتعدّ، ولعلّه صحّف أي لا يمكن لأحد التعدّي والتجاوز عمّا قدّر له من الكمال والاستعداد، ويؤيّده ما في النهج: قدّر ما خلق، فأحكم تقديره، ودبّره فألطف تدبيره، ووجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته، ولم يقصّر دون الانتهاء إلى غايته.

قوله عليه السلام: ولم يستصعب أي لم يمتنع. قوله عليه السلام: بلا معاناة أي مقاساة شدّة؛ واللّغوب: التعب والإعياء أي لم يكن له تعالى في خلق الأشياء وتدبيرها على ما ذكر معاناة ولا لغوب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[2] والمكايدة في بعض النسخ بالباء الموحّدة من قولهم: كابدت الأمر: إذا قاسيت شدّته، وفي بعضها بالياء المثنّاة من تحت من الكيد.

قوله: ووافى الوقت أي لم يتأخر عن الوقت الّذي أراد وجوده فيه. وإجابةً مفعول لأجله. قوله عليه السلام: لم يعترض أي لم يعرض للأشياء في إجابة دعوته سبحانه بطء ولا تأخير، أو لم يعرض له تعالى من جهة ما هو فاعل شيء من تلك الكيفيّات؛ والريث: البطء، والأناة: التأنّي؛ والمتلكّئ: المتأخّر والمتوقّف؛ والأود بالتحريك: الاعوجاج.

قوله عليه السلام: ونهّى أي أنهى وأعلم وبيّن المعالم الّتي وضع على الحدود الّتي لا ينبغي لها التجاوز عنها في غاياتها الّتي مرّت الإشارة إليها، أو من النهاية أي وضع معالم الحدود في نهاية ما قرّر لهم من امتدادات المسافات المعنويّة التي لا ينبغي لهم أن يخرجوا عنها، ويقال: لاءم بين كذا وكذا أي جمع. قوله عليه السلام: ووصل أسباب قرائنها إشارة إلى أنّ الموجودات لا تنفكّ عن أشياء تقترن بها من الهيئات والأشكال والغرائز وغيرها، واقتران الشيئين مستلزم لاقتران أ[سبابه]ما واتّصالها، وذلك الوصل مستند إليه تعالى لأنّه مسبب

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨. (٢) سورة ق، الآية: ٣٨.

الأسباب؛ وقيل: المراد بالقرائن: النفوس المقرونة بالأبدان واعتدال المزاج سبب بقاء الروح أي وصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها؛ وقيل: المراد هدايتها لما هو الأليق بها في معاشها ومعادها من قول القائل: وصل الملك أسباب فلان، إذا علّقه عليه ووصله ببرّه وإنعامه، ثمّ المراد بالأجناس أعمّ ممّا هو مصطلح المنطقيّين. وقوله عليه السلام: بدايا خبر مبتدأ محذوف أي هي بدايا مخلوقات، وبدايا ههنا جمع بديئة، وهي الحالة العجيبة، يقال: أبدى الرجل: إذا جاء بالأمر المعجب البديء والبديئة أيضاً: الحالة المبتدأة المبتكرة، ومنه قولهم: فعله بادئ بديء - على فعيل - أي أوّل كلّ شيء.

قوله عليه السلام: انتظم علمه لعلّه بمعنى نظم وإن لم يرد فيما عندنا من كتب اللّغة، أو علمه منصوب بنزع الخافض أي بعلمه، أو في علمه أي انتظم في علمه تعالى جميع أصناف الخلق وأحوالها فكأنّ علمه تعالى سلك نظم جميع الأشياء فيه، ويحتمل أن يكون من قولهم: انتظمه بالرمح: إذا اختله وجعله فيه كما مرّ. قوله: وبتلاحم التلاحم: الالتئام والالتصاق؛ والحُقّة بالضم: رأس الورك الّذي فيها عظم الفخذ، ورأس العضد الّذي فيه الوابلة، والجمع أحقاق وحقاق بالكسر أي من شبّهه بخلقه في ربط مفاصلهم، ودخول بعضها في بعض، وشدّة ارتباطها واستحكامها، وكون المفاصل محتجبة بما يسترها ويكتنفها من اللّحم والجلد، وكلّ ذلك بتدبير حكمته، فمن حكم بهذا التشبيه فإنّه لم يعقد غيب ضميره أي ما غيّب في ضميره أو ضميره المغيّب عن الخلق على معرفته تعالى؛ ويمكن أن يقرأ يعقد على المعلوم وغيب بالنصب وعلى المجهول وغيب بالرفع.

قوله: لم يتناه في العقول أي لم تصل العقول إلى نهاية معرفته بالوصول إلى كنه ذاته وصفته، أو ليس في العقول ذا نهايات؛ وكونه في مهبّ الفكر أي محلّها مكيّفاً على الوجهين ظاهر بنحو ما مرّ تقريره مراراً، وكذا كونه محدوداً بالحدود الجسمانيّة أو العقلانيّة، وكونه مصرّفاً أي متغيّراً، ولا يخفى ما في تشبيه الرويّات أو محلّها بالحواصل من اللّطف. وإضافة الرويّات إلى الهمم لاميّة أي الرويّات نشأت من همم النفوس وعزماتها، ويحتمل أن تكون بيانيّة بأن يكون المراد بهمم النفوس خواطرها.

قوله: أضمر عليها الضمير راجع إلى القريحة ولعلّ على تعليليّة، ويحتمل أن يراد بالقريحة نفس الفكر مجازاً. قوله: أفادها أي استفادها؛ والسدد جمع السدّة وهي الباب المغلق، وقد مرّ الكلام في آخر الخطبة في باب النهي عن التفكّر.

١٧ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن عبّاس، عن جعفر بن محمّد الأشعريّ، عن فتح بن يزيد الجرجانيّ قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد، فكتب إليّ بخطّه: - قال جعفر: وإنّ فتحاً أخرج إليّ الكتاب فقرأته بخطّ أبي الحسن عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الملهم عباده الحمد، وفاطرهم على معرفة ربوبيّته، الدالّ على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزليّته، وباشتباههم على أن لا شبه له، المستشهد بآياته على قدرته، الممتنع من الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، لا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه، لا تشمله المشاعر، ولا تحجبه الحجّاب، فالحجاب بينه وبين خلقه، لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم، ولإمكان ذواتهم ممّا يمتنع منه ذاته، ولافتراق الصانع والمصنوع، والربّ والمربوب، والحادّ والمحدود، أحد لا بتأويل عدد، الخالق لا بمعنى حركة، السميع لا بأداة، البصير لا بتفريق آلة، الشاهد لا بمماسّة، البائن لا ببراح مسافة، الباطن لا باجتنان، الظاهر لا بمحاذ، الّذي قد حسرت دون كنهه نوافذ الأبصار، وأقمع وجوده جوائل الأوهام، أوّل الديانة معرفته، وكمال المعرفة توحيده، وكمال التوحيد نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً على أنفسهما بالبينة، الممتنع منها الأزل، فمن وصف الله فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف فقد استوصفه، ومن قال: علامَ فقد حمله، ومن قال: أين فقد أخلى منه، ومن قال: إلام فقد وقّته، عالمٌ إذ لا معلوم، وخالق إذ لا مخلوق، وربّ إذ لا مربوب، وإله إذ لا مألوه، وكذلك يوصف ربّنا وهو فوق ما يصفه الواصفون[1].

توضيح: لا أمد أي أزلاً، ولا غاية أي أبداً. قوله: وبين خلقه وفي «في» بعد ذلك: خلقه إيّاهم لامتناعه وهو أظهر، والمعنى على ما في الكتاب أن ليس احتجابه إلاّ لهذه الوجوه وقد مر تحقيقها مراراً قوله: ممّا يمتنع كلمة «من» صلة أو تبعيضيّة.

قوله عليه السلام: لا بتفريق آلة أي بفتح العين أو بعث الأشعّة وتوزيعها على المبصرات على القول بالشعاع، أو تقليب الحدقة وتوجيهها مرّة إلى هذا المبصر ومرّة إلى ذاك، كما يقال: فلان مفرّق الهمّة والخاطر إذا وزّع فكره على حفظ أشياء متباينة ومراعاتها؛ والبراح: الزوال عن المكان. وفي النهج والكافي: لا بتراخي مسافة.

قوله عليه السلام: لا باجتنان الاجتنان: الاستتار أي أنّه باطن، بمعنى أنّ العقول والأفهام لا تصل إلى كنهه لا باستتاره بستر وحجاب، أو علم البواطن لا بالدخول فيها والاستتار بها قوله: لا بمحاذ أي لا بأن يحاذيه شيءٌ فيراه، وليست هذه الكلمة في بعض النسخ، وفيها: الظاهر الّذي قد حسرت. وقمعه كمنعه: ضربه بالمقمعة، وقهره وذلّله كأقمعه. وأقمعته: طلع عليّ فرددته؛ والوجود يحتمل أن يكون هنا بمعنى الوجدان. وجوائل الاوهام: الأوهام الجائلة المتردّده في أنواع دقائق المعاني. قوله بالبينة أي المباينة للآخر، وفي الكافي: بالتثنية وهي أظهر؛ وقد مرّ شرح سائر الفقرات.

---

(١) التوحيد، ص ٥٦ باب ٢ ح ١٤.

١٨ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن ابن محبوب، عن حمّاد بن عمرو النصيبيّ قال: سألت جعفر بن محمّد عليه السلام عن التوحيد فقال: واحدٌ، صمدٌ، أزليٌّ، صمديٌّ، لا ظلّ له يمسكه، وهو يمسك الأشياء بأظلّتها، عارف بالمجهول، معروف عند كلّ جاهل، فردانيّ لا خلقه فيه ولا هو في خلقه، غير محسوس ولا مجسوس، لا تدركه الأبصار، علا فقرب، ودنا فبعد، وعصي فغفر، وأُطيع فشكر، لا تحويه أرضه، ولا تقلّه سماواته، وأنّه حامل الأشياء بقدرته، ديموميّ أزليّ، لا ينسى ولا يلهو، ولا يغلط ولا يلعب. ولا لإرادته فصل، وفصله جزاء، وأمره واقع، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد[١].

بيان: صمديٌّ النسبة للمبالغة كالأحمريّ. قوله عليه السلام: لا ظل له الظلُّ من كل شيء شخصه أو وقاؤه أو ستره أي لا شخص ولا شبح له يمسكه كالبدن للنفس، والفرد المادّيّ للحصّة، أو لا واقي له يقيه؛ ومنهم من حمل الظلال على المثل الأفلاطونيّة؛ وقيل: المراد بالظلّ الكنف، يقال: فلانٌ في ظلّ فلان أي كنفه.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد بالظلّ الروح إذ كثيراً ما يطلق عالم الظلال على عالم الأرواح؛ أو الأبنية التي يكون الخلق عليها أو تحتها؛ وهو يمسك الأشياء بأظلّتها أي بأشخاصها وأشباحها، أو بوقاياتها أو بمثلها أو أرواحها أو بالأبنية الّتي تقلّها وتظلّها والباء للسببيّة أو بمعنى مع.

قوله عليه السلام: ولا لإرادته فصل أي لا فصل بينها وبين المراد أي لا يتأخّر ولا ينفصل مراده عن إرادته، أو لا تنقطع إرادته بل هو كلّ يوم في شأن أبد الدهر، أو لا قاطع لإرادته يمنعها عن تعلّقها بالمراد. وقيل: أي ليست إرادته فاصلة بين شيء وشيء، بل تتعلّق بكلّ شيء؛ وقيل: ليس لإرادته فصلٌ أي شيءٌ يداخله فيكون به راضياً أو ساخطاً إنّما كونه راضياً أو ساخطاً بالإثابة والعقاب كما قال: وفصله جزاء؛ أو المعنى أنّه لا يكون لإرادته في فعل العبد قطع بالمراد فيتعيّن وقوعه إنّما قطعه في المراد من العبد الجزاء.

أقول: على الوجوه الأوّلة المراد بقوله: وفصله جزاء أنَّ فصله بين عباده المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٢] جزاء لهم، وهو غير جائر فيه، ويحتمل أن يكون الفصل في الأوّل القضاء بالحقّ بين الحقّ والباطل أي لا يقضي في إرادته أحد، بل هو الفاصل بينهم في الآخرة بمجازاتهم، وفي بعض النسخ: وفضله بالضاد المعجمة أي سمّي ما يتفضّل به عليهم جزاءاً ولا يستحقّ أحد عليه شيئاً.

١٩ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار وسعد معاً، عن ابن عيسى والنهديّ، وابن أبي

(١) التوحيد، ص ٥٧ باب ٢ ح ١٥.
(٢) سورة الحج، الآية: ١٧.

الخطّاب، كلّهم عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض خطبه: الحمد لله الّذي كان في أوّليّته وحدانيّاً، وفي أزليّته متعظّماً بالإلهيّة، متكبّراً بكبريائه وجبروته، ابتدأ ما ابتدع وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق لشيء ممّا خلق، ربّنا القديم بلطف ربوبيّته، وبعلم خبره فتق، وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق، وبنور الإصباح فلق، فلا مبدّل لخلقه، ولا مغيّر لصنعه، ولا معقّب لحكمه، ولا رادّ لأمره، ولا مستراح عن دعوته ولا زوال لملكه، ولا انقطاع لمدّته وهو الكينون أوّلاً، والديموم أبداً، المحتجب بنوره دون خلقه في الأفق الطامح، والعزّ الشامخ، والملك الباذخ، فوق كلّ شيء علا ومن كلّ شيء دنا، فتجلّى لخلقه من غير أن يكون يُرى، وهو بالمنظر الاعلى، فأحبّ الاختصاص بالتوحيد إذا احتجب بنوره، وسما في علوّه، واستتر عن خلقه، وبعث إليهم الرسل لتكون له الحجّة البالغة على خلقه، ويكون رسله إليهم شهداء عليهم، وانبعث فيهم النبيّين مبشّرين ومنذرين، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة وليعقل العباد عن ربّهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيّته بعدما أنكروا، ويوحّدوه بالإلهيّة بعدما عندوا(١).

بيان: قوله: متعظّماً أي مستحقّاً للتعظيم أو عظيماً في غاية العظمة، وكذا قوله متكبّراً، والغرض أنّه لم يكن عظمته وكبرياؤه وإلهيّته متوقّفة على إيجاد خلقه وقوله: ربّنا مبتدأ وفتق خبره، والظرفان متعلّقان بفتق، وإضافة العلم إلى الخبر للتأكيد، وفي بعض النسخ بالجيم. قوله: فلق أي ظلمة اللّيل، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾(٢).

قوله: لا معقّب لحكمه أي لا رادّ له، وحقيقته الّذي يعقّب الشيء بالإبطال؛ والمستراح: محلّ الاستراحة أي لا مفرّ عن دعوته؛ والكينون والديموم مبالغتان في الكائن والدائم. قوله: المحتجب بنوره أي ليس حجابه إلاّ نوريته أي تجرّده وكماله ورفعته وجلاله، والطامح: المرتفع كالشامخ والباذخ، يقال: جبل شامخ أي شاهق، وشرف باذخ أي عال.

قوله: وهو بالمنظر الأعلى المنظر: الموضع المرتفع الّذي ينظر إليه أي موضعه أرفع من أن ينظر إليه بالأبصار والأوهام والعقول، أو المراد بالمنظر المدارك والمشاعر أي هو أعلى وأرفع من أن يكون في مشاعر الخلق، ويحتمل أن يكون كناية عن علمه بكلّ شيء أي الموضع الّذي ينظر فيه أعلى من كلّ شيء، إذ الأعلى ينظر إلى الأسفل غالباً بسهولة.

قوله: فأحبّ الاختصاص بالتوحيد أي بكونه موحّداً أي لا يوحّده ولا يعرفه غيره كما هو، إذ هو محتجب عنهم، أو أحبّ أن يوحّدوه فقط دون غيره، إذ لو كان ظاهراً للعقول والحواسّ كان مشاركاً للممكنات في الوحدة الاعتباريّة فلا تكون الوحدة الصادقة عليه

(١) التوحيد، ص ٤٤ باب ٢ ح ٤ وفيه: إذ احتجب...

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

مختصّة به، وعلى هذا فالمحبّة مؤوّلة باقتضاء ذاته تعالى من حيث كماله ذلك، وكذا على الأوّل، إلاّ أن يقال: إنّ المراد أنّه حجب عنهم أوّلاً ما يمكنهم من معرفته ثمّ أفاض معرفته عليهم بتوسّط الأنبياء والرسل، وبما يحصل لهم من القربات بالطاعات ليعلموا أن ليس توحيدهم له إلاّ بتوفيقه وهدايته تعالى، ويؤيّده ما بعده لا سيما قوله: وليعقل العباد.

٢٠ - **يد:** ابن الوليد، عن محمّد العطّار، وأحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن بعض أصحابه رفعه قال: جاء رجلٌ إلى الحسن بن عليّ عليه السلام فقال له: يابن رسول الله صف لي ربّك حتّى كأنّي أنظر إليه، فأطرق الحسن بن عليّ عليه السلام مليّاً ثمّ رفع رأسه فقال: الحمد لله الّذي لم يكن له أوّل معلوم، ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود، ولا أمد بحتّى، ولا شخص فيتجزأ، ولا اختلاف صفة فيتناهى، فلا تدرك العقول وأوهامها ولا الفكر وخطراتها ولا الألباب وأذهانها صفته فيقول: متى؟ ولا بدئ ممّا، ولا ظاهر على ما، ولا باطن فيما، ولا تارك فهلّا، خلق الخلق فكان بديئاً بديعاً، ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد ما استزاد، ذلكم الله ربّ العالمين[1].

بيان: قوله: معلوم هذه الصفة والصفات الّتي بعدها موضحات مؤكّدات، إذ لو كان له أوّل لكان معلوماً، وهكذا. قوله عليه السلام: فيتناهى أي اختلاف الصفات ينافي الأزليّة والأبديّة كما مرّ مراراً قوله عليه السلام: فتقول متى أي لو كانت العقول تبلغ صفته لكان كسائر الممكنات فكان يصحّ أن يقال: متى وجد؟ ومن أي شيء بدئ؟ على المجهول، أو بدأ الأشياء بأن يقرأ على الفعل المعلوم، أو على فعيل، وعلى أيّ شيء علا فهو ظاهر، وفي أيّ شيء بطن حتّى يقال: إنّه باطن، أو يقال لشيء ترك: هلاّ فعل تحضيضاً وتحريضاً على الفعل أو توبيخاً على تركه؛ والابتداع: إيجاد بلا مادّة أو بلا مثال.

٢١ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن بن بردة، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ، عن أبي القاسم إبراهيم بن محمّد العلويّ، عن فتح بن يزيد الجرجانيّ قال: لقيته عليه السلام على الطريق عند منصرفي عن مكّة إلى خراسان، وهو سائر إلى العراق فسمعته يقول: من اتّقى الله يتّقى، ومن أطاع الله يطاع. فتلطّفت في الوصول إليه فوصلت فسلّمت فردّ عليّ السلام، ثمّ قال: يا فتح من أرضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فقمن أن يسلّط عليه سخط المخلوق، وإنّ الخالق لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه، وأنّى يوصف الّذي تعجز الحواسّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا وصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيّف الكيف فلا يقال له: كيف؟ وأيّن الأين فلا يقال له: أين؟ إذ هو مبدع الكيفوفيّة والأينونيّة.

---

(١) التوحيد، ص ٤٥ باب ٢ ح ٥.

يا فتح كلّ جسم مغذّى بغذاء إلاّ الخالق الرازق، فإنّه جسّم الأجسام وهو ليس بجسم ولا صورة، لم يتجزّأ ولم يتناه، ولم يتزايد ولم يتناقص، مبرّأ من ذات ما ركّب في ذات من جسّمه، وهو اللّطيف الخبير، السميع البصير، الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، منشئ الأشياء ومجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، لو كان كما تقول المشبّهة لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشئ من المُنشأ؛ لكنه المنشئ فرّق بين من جسّمه وصوّره وشيّأه وبيّنه إذا كان لايشبهه شيء[1].

قلت: فالله واحد والإنسان واحد فليس قد تشابهت الوحدانيّة؟ قال: أحلت ثبّتك الله إنّما التشبيه في المعاني، وأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّى، وذلك أنّ الإنسان وإن قيل واحد فإنّه يخبر أنّه جثّة واحدة وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد لأنّ أعضاءه مختلفة، وألوانه مختلفة غير واحدة، وهو أجزاء مجزّى[2]، ليس سواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله واحد لا واحد غيره، ولا اختلاف فيه ولا تفاوت، ولا زيادة ولا نقصان، فأمّا الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف فمن أجزاء مختلفة وجواهر شتّى، غير أنّه بالاجتماع شيءٌ واحد.

قلت: فقولك: اللّطيف فسّره لي، فإنّي أعلم أنّ لطفه خلاف لطف غيره للفصل غير أنّي أحبّ أن تشرح لي. فقال: يا فتح إنّما قلت: اللّطيف للخلق اللّطيف ولعلمه بالشيء اللّطيف، ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللّطيف وغير اللّطيف وفي الخلق اللّطيف من أجسام الحيوان من الجرجس والبعوض وما هو أصغر منهما ممّا لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى، والمولود من القديم، فلمّا رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد، والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه ممّا في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار، وإفهام بعضها عن بعض منطقها، وما تفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثمّ تأليف ألوانها حمرة مع صفرة، وبياضاً مع حمرة علمنا أنّ خالق هذا الخلق لطيف، وأنّ كلّ صانع شيء فمن شيء صنع، والله الخالق اللّطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء.

قلت: جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[3] فقد أخبر أنّ في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله، والسامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوار.

---

(١) في المصدر: إذ كان... وهو الصواب. (٢) في المصدر: مجزّاة.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

قلت: إنّ عيسى خلق من الطين طيراً دليلاً على نبوّته، والسامريّ خلق عجلاً جسداً لنقض نبوّة موسى وشاء الله أن يكون ذلك كذلك؟ إن هذا لهو العجب، فقال: ويحك يا فتح إنّ لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أوما رأيت أنّه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك؟ ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيئتهما مشيئة الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل وشاء أن لا يذبحه ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله عزّوجلّ.

قلت: فرّجت عني فرّج الله عنك غير أنّك قلت: السميع البصير، سميع بأذن، وبصيرٌ بالعين؟ فقال: إنّه يسمع بما يبصر، ويرى بما يسمع، بصير لا بعين مثل عين المخلوقين، وسميع لا بمثل سمع السامعين، لكن لمّا لا تخفى عليه خافية من أثر الذرّة السوداء على الصخرة الصمّاء في اللّيلة الظلماء تحت الثرى والبحار، قلنا: بصير لا بمثل عين المخلوقين، وسميع بما لم تشتبه عليه ضروب اللّغات، ولم يشغله سمعٌ عن سمع، قلنا: سميع لا بمثل السامعين.

قلت: جعلت فداك قد بقيت مسألة. قال: هات لله أبوك. قلت: يعلم القديم الشيء الّذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ قال: ويحك إن مسائلك لصعبة، أما سمعت الله يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] وقوله: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2] وقال: - يحكي قول أهل النار - ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[3] وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[4] فقد علم الشيء الّذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؛ فقمت لأقبّل يده ورجله فأدنى رأسه فقبّلت وجهه ورأسه فخرجت وبي من السرور والفرح ما أعجز عن وصفه لما تبيّنت من الخير والحظّ[5].

بيان: قمن بالتحريك وكسر الميم أيضاً أي خليق وجدير. قوله: مغذّى بغذاء أي كلّ جسم ذي روح له غذاء يقويه ولو كان التسبيح والتقديس؛ ويحتمل أن يكون الغذاء شاملاً لكلّ شيء يقوي الجسم ويربّيه ويبقيه فلا حاجة إلى تخصيص الجسم. قوله عليه السلام: من ذات ما ركّب أي هو مبرءٌ من كلّ حقيقة وماهيّة وعارض ركّب في ذوات الأجسام.

قوله وبينه يحتمل التشديد والتخفيف فلا تغفل؛ واللّحاء بكسر اللاّم ممدوداً قشر الشجر. قوله عليه السلام: لله أبوك قال الجزريّ: إذا أضيف الشيء إلى عظيم شريف اكتسى عظماً وشرفاً، كما قيل: بيت الله، وناقة الله، فإذا وجد من الولد ما يحسن موقعه ويحمد قيل: لله أبوك في

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.
(٥) التوحيد، ص ٦٠ باب ١ ح ١٨.

معرض المدح والتعجّب أي أبوك لله خالصاً حيث أنجب بك وأتى بمثلك. انتهى. وقد مضى شرح أكثر أجزاء الخبر، وسيأتي شرح بعضها في كتاب العدل إن شاء الله تعالى.

٢٢ - **يد**: أخبرني أبو العبّاس الفضل بن العبّاس الكنديّ - فيما أجازه لي بهمدان سنة أربع وخمسين وثلاث مائة - قال: حدّثنا محمّد بن سهل - يعني العطّار البغداديّ لفظاً من كتابه سنة خمس وثلاث مائة - قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد البلويّ، قال: حدّثنا عمارة بن زيد قال: حدّثني عبيد الله بن العلا، قال: حدّثني صالح بن سبيع، عن عمرو بن محمّد بن صعصعة بن صوحان قال: حدّثني أبي، عن أبي المعتمر مسلم بن أوس قال: حضرت مجلس عليّ عليه السلام في جامع الكوفة فقام إليه رجل مصفرّ اللّون كأنّه من متهوّدة اليمن فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك وانعته لنا كأنّا نراه وننظر إليه، فسبّح عليّ عليه السلام ربّه وعظّمه عزّ وجلّ، وقال: الحمد لله الّذي هو أوّل لا بديء ممّا، ولا باطن فيما، ولا يزال مهما، ولا ممازجٌ مع ما، ولا خيال وهماً، ليس بشبح فيرى، ولا بجسم فيتجزّأ، ولا بذي غاية فيتناهى، ولا بمحدَث فيبصَر، ولا بمستتر فيكشف، ولا بذي حجب فيحوى، كان ولا أماكن تحمله أكنافها، ولا حملة ترفعه بقوّتها، ولا كان بعد أن لم يكن، بل حارت الأوهام أن يكيّف المكيّف للأشياء، ومن لم يزل بلا مكان ولا يزول باختلاف الأزمان، ولا ينقلب شأناً بعد شأن، البعيد من حدس القلوب، المتعالي عن الأشباه والضروب، الوتر علاّم الغيوب، فمعاني الخلق عنه منفيّة، وسرائرهم عليه غير خفيّة، المعروف بغير كيفيّة، لا يدرك بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، ولا تدركه الأبصار، ولا تحيطه الأفكار، ولا تقدّره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، فكلّما قدّره عقل أو عرف له مثل فهو محدود، وكيف يوصف بالأشباح وينعت بالألسن الفصاح من لم يحلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو عنها بائن، ولم يخل منها فيقال: أين، ولم يقرب منها بالالتزاق، ولم يبعد عنها بالافتراق، بل هو في الأشياء بلا كيفيّة، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وأبعد من الشبهة من كل بعيد، لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة، ولا من أوائل كانت قبله بديّة، بل خلق ما خلق وأتقن خلقه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته، فسبحان من توحّد في علوّه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة أحد من خلقه انتقام؛ إجابته للداعين سريعة، والملائكة له في السماوات والأرض مطيعة، كلّم موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات ولا شفة ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن الصفات، فمن زعم أنّ إله الخلق محدودٌ فقد جهل الخالق المعبود[١].
والخطبة طويلة أخذنا منها موضع الحاجة.

بيان: قوله عليه السلام: لا بديء على فعيل أي لا يقال: بدأ الأشياء ممّا إذ لم يخلقها من شيء، وكونه فعيلاً بمعنى المفعول أو فعلاً على بناء المجهول بعيد. قوله عليه السلام: ولا يزال

---

(١) التوحيد، ص ٧٧ باب ١٢ ح ٣٤.

مهما كلمة مهما هنا ظرف زمان جيء بها لتعميم الأزمان أي لا يزول أبداً، ويحتمل أن يكون حرف نفي آخر مقدراً، أو يكون معطوفاً على المنفيّ سابقاً أي ليس لا يزال مقيّداً بمهما يكن كذا، ويمكن أن يكون سقوط أحدهما من النسّاخ لتوهّم التكرار؛ ولا ممازج مع ما أي لا يمكن أن يقال: مع أيّ شيء ممازج.

قوله عليه السلام: ولا خيال وهماً أي غير متخيّل بالوهم. قوله عليه السلام: ليس بشبح أي شخص. قوله عليه السلام: ولا بمحدث فيبصر أي لو كان مبصراً لكان محدثاً فلا يتوهّم منه أنّ كلّ محدث مبصر. قوله: فيحوى أن تكون الحجب حاوية له، أو يكون جسماً محويّاً بالحدود والنهايات. قوله: عليه السلام: والضروب وهي جمع الضرب بمعنى المثل، أو المراد ضرب الأمثال. قوله عليه السلام: بالأشباح أي الصور الخياليّة والعقليّة، أو بصفات الأشخاص.

قوله عليه السلام: من أصول أزليّة ردّ على الفلاسفة القائلين بالعقول والهيولى القديمة. قوله: كانت قبله أي قبل خلق هذا العالم أي لم يكن خلق هذا العالم على مثال عالم آخر كانت بديّة أي مبتدأة مخلوقة قبله، أو مبتدأة بنفسه من غير علّة، بل خلق ما خلق ابتداءاً من غير أصل مع غاية الإتقان والإحكام، وصوّر ما صوّر بعلمه من غير مثال على نهاية الحسن.

قوله: انتقام أي لا يحتاج في الانتقام عن العاصين إلى طاعة أحد من خلقه بل قدرته كافية، أو لا ينتقم مع الطاعة فيكون ظالماً، والأظهر أنّه تصحيف «انتفاع» كما سيأتي ممّا سننقله من النهج.

٢٣ - يد: أبي وابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير قال: دخلت على سيّدي موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله علّمني التوحيد فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك، واعلم أن الله تبارك وتعالى واحدٌ أحدٌ صمدٌ، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً ولا شريكاً، وأنّه الحي الّذي لا يموت، والقادر الّذي لا يعجز، والقاهر الّذي لا يغلب، والحليم الّذي لا يعجل، والدائم الّذي لا يبيد والباقي الّذي لا يفنى، والثابت الّذي لا يزول، والغنيّ الّذي لا يفتقر، والعزيز الّذي لا يذلّ، والعالم الّذي لا يجهل، والعدل الّذي لا يجور، والجواد الّذي لا يبخل، وأنّه لا تقدّره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان؛ ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم، ولا خمسة إلاّ هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا، وهو الاوّل الّذي لا شيء قبله، والآخر الّذي لا شيء بعده، وهو القديم وما سواه مخلوق محدَث، تعالى عن صفات المخلوقين علوّاً كبيراً[1].

---

(١) التوحيد، ص ٧٦ باب ٢ ح ٣٢.

٢٤ - يد: الطالقانيّ، عن الجلوديّ، عن الجوهريّ، عن الضبّي، عن أبي بكر الهذليّ، عن عكرمة قال: بينما ابن عبّاس يحدّث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق فقال: يا بن عبّاس تفتي في النملة والقملة صف لنا إلهك الّذي تعبده، فأطرق ابن عبّاس إعظاماً لله عزّوجلّ، وكان الحسين بن عليّ عليه السلام جالساً ناحية فقال: إليّ يابن الأزرق فقال: لست إيّاك أسأل! فقال ابن عبّاس: يابن الأزرق إنّه من أهل بيت النبوّة وهم ورثة العلم، فأقبل نافع بن أزرق نحو الحسين عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام: يا نافع إنّ من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الارتماس، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، يابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرّفه بما عرّف به نفسه؛ لا يدرك بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيد غير متقصّ، يوحّد ولا يبعّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال[1].

بيان: على القياس أي مقايسة الربّ تعالى بالخلق أو الأعمّ أي الحكم بالعقل في الله تعالى ودينه؛ والتقصّي: غاية البعد.

٢٥ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن عليّ بن سيف بن عميرة، عن محمّد بن عبيد قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: قل للعبّاسي يكفّ عن الكلام في التوحيد وغيره، ويكلّم الناس بما يعرفون، ويكفّ عمّا ينكرون، وإذا سألوك عن التوحيد فقل كما قال الله عزّوجلّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ وإذا سألوك عن الكيفيّة فقل كما قال الله عزّوجلّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وإذا سألوك عن السمع فقل كما قال الله عزّوجلّ: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ كلم الناس بما يعرفون[2].

٢٦ - يد: ابن عصام، عن الكلينيّ، عن علاّن، عن سهل وغيره، عن محمّد بن سليمان عن عليّ بن إبراهيم الجعفري، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إن الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه عظمته، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير، ولا يوصف بكيف ولا أين ولا حيث، وكيف أصفه بكيف وهو الّذي كيّف الكيف حتّى صار كيفاً فعرفت الكيف بما كيّف لنا من الكيف؛ أم كيف أصفه بأين وهو الّذي أيّن الأين حتّى صار أين فعرفت الأين بما أيّن لنا من الأين؛ أم كيف أصفه بحيث وهو الّذي حيّث الحيث حتّى صار الحيث فعرفت الحيث بما حيّث لنا من الحيث؛ فالله تبارك وتعالى داخل في كلّ مكان، وخارجٌ من كلّ شيء، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، لا إله إلاّ هو العليّ العظيم، وهو اللّطيف الخبير[3].

---

(١) التوحيد، ص ٧٩ باب ٢ ح ٣٥.
(٢) التوحيد، ص ٩٥ باب ٤ ح ١٤.
(٣) التوحيد، ص ١١٥ باب ٨ ح ١٤.

بيان: الحيث تأكيد للأين أو هو بمعنى الجهة أو الزمان كما مرّ سابقاً.

٢٧ - **يد:** ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أُورمة، عن يحيى بن يحيى، عن عبد الله بن الصامت، عن عبد الأعلى، عن العبد الصالح - يعني موسى بن جعفر عليه السلام - قال: إنّ الله لا إله إلاّ هو كان حيّاً بلا كيف ولا أين[١]، ولا كان في شيء ولا كان على شيء، ولا ابتدع لمكانه مكاناً ولا قوي بعدما كوّن الأشياء، ولا يشبهه شيء مكوّن ولا كان خلواً من القدرة على الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً من القدرة بعد ذهابه، كان عزّ وجلّ إلهاً حيّاً بلا حياة حادثة، ملكاً قبل أن ينشئ شيئاً، ومالكاً بعد إنشائه، وليس لله حدّ، ولا يعرف بشيء يشبهه، ولا يهرم للبقاء، ولا يصعق لذعرة شيء، ولخوفه تصعق الأشياء كلّها؛ فكان الله حيّاً بلا حياة حادثة، ولا كون موصوف، ولا كيف محدود، ولا أين موقوف، ولا مكان ساكن، بل حيّ لنفسه، ومالك لم تزل له القدرة، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته وقدرته، كان أوّلاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين، وكلّ شيء هالك إلاّ وجهه، له الخلق والأمر، تبارك الله ربّ العالمين[٢].

بيان: الذعر بالضمّ: الخوف؛ قوله عليه السلام: ولا أين موقوف أي موقوف عليه كما في الكافي أي أين استقرّ الربّ تعالى عليه، أو المعنى أنّه لو كان له أين لكان وجوده متوقّفاً عليه محتاجاً إليه، ويحتمل على ما في الكتاب أن يكون الموقوف بمعنى الساكن وتقييد المكان بالساكن مبنيّ على المتعارف الغالب من كون المكان المستقرّ عليه ساكناً. قوله عليه السلام: له الخلق أي خلق الممكنات مطلقاً، والأمر أي الأمر التكليفيّ. وقيل: المراد بالخلق عالم الأجسام والمادّيّات أو الموجودات العينيّة، وبالأمر عالم المجرّدات أو الموجودات العلميّة.

٢٨ - **يد:** العطّار، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: يا أبا جعفر أخبرني عن ربّك متى كان؟ فقال: ويلك إنّما يقال لشيء لم يكن فكان: متى كان؟ إنّ ربّي تبارك وتعالى كان لم يزل حيّاً بلا كيف ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لكانه مكاناً، ولا قوي بعدما كوّن شيئاً، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً مكوّناً ولا كان خلواً من القدرة على الملك قبل إنشائه، ويكون منه خلواً بعد ذهابه، لم يزل حيّاً بلا حياة، وملكاً قادراً قبل أن ينشئ شيئاً، وملكاً جبّاراً بعد إنشائه للكون، فليس

---

(١) من أسماء الله تعالى الحي، وهو الحي قبل كل حي والحي بعد كل حي ومنه وبه حياة لكل حي والحي الذي لم يرث الحياة من حي والحي الذي لم يزل ولا يزال حياً، بلا كيف ولا أين، ولا كان في شيء لم يتغير ولم يتبدل، ولا يزيد ولا ينقص [النمازي].

(٢) التوحيد، ص ١٤١ باب ١١ ح ٦.

لكونه كيف، ولا له أين، ولا له حدّ، ولا يعرف بشيء يشبهه، ولا يهرم لطول البقاء، ولا يصعق لشيء، ولا يخوّفه شيء، تصعق الأشياء كلّها من خيفته، كان حيّاً بلا حياة حادثة، ولا كون موصوف، ولا كيف محدود، ولا أثر مقفوّ، ولا مكان جاور شيئاً، بل حيٌّ يعرف، وملك لم يزل له القدرة والملك، أنشأ ما شاء بمشيئته؛ لا يحدّ ولا يبعّض ولا يفنى، كان أوّلاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين، وكلّ شيء هالك إلاّ وجهه، له الخلق والأمر، تبارك الله ربُّ العالمين. ويلك أيّها السائل إنّ ربّي لا تغشاه الأوهام، ولا تنزل به الشبهات ولا يجار من شيء، ولا يجاوره شيء، ولا تنزل به الأحداث ولا يسأل عن شيء يفعله، ولا يقع على شيء، ولا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى[1].

بيان: قوله: بلا كيف أي بلا حياة زائدة ولا كيفيّات تعد من لوازم الحياة في الممكنات. قوله عليه السلام: لم يكن له كان الظاهر أنّ كان اسم لم يكن لأنّه عليه السلام لمّا قال: «كان» أوهمت العبارة أنّ له زماناً فنفى عليه السلام ذلك بأنّه كان بلا زمان، والتعبير بكان لضيق العبارة. وقيل: كان اسمٌ بمعنى الكون أي ليس له وجود زائد، ولم نظفر به في اللّغة، لكن نقل عن بعض أهل العربيّة قلب الواو والياء ألفاً مع انفتاح ما قبلهما مطلقاً؛ وقيل: أي لم يتحقّق كون شيء له من الصفات الزائدة.

وقوله: ولا كان لكونه كيف أي لم يكن وجوده زائداً ليكون اتّصافه به مكيّفاً بكيف؛ أو لم يكن وجوده مقروناً بالكيفيّات؛ ومنهم من فصّل ولم يكن له عن كان أي لم يكن الكيف ثابتاً له بأن يكون الواو للعطف التفسيريّ أو للحال؛ وكان ابتداء كلام وهي تامّة، والّتي بعدها ناقصة حالاً عن اسم كان أي كان أزلاً والحال أنّه ليس له كيف. قوله: ولا ابتدع لكانه لعلّ إضافته إلى الضمير بتأويل، أو أنّه اسم بمعنى الكون، وفي بعض النسخ: لمكانه كما في الكافي أي ليكون مكاناً له.

قوله عليه السلام: ولا يصعق أي لا يفزع أو لا يغشى عليه للخوف من شيء. قوله: كون موصوف أي يمكن أن يوصف أو زائد أو موصوف بكونه في زمان أو مكان. وقيل: المراد بالكون الموصوف الوجود المتّصف بالتغيّر أو عدمه عمّا من شأنه التغيّر المعبّر عنهما بالحركة والسكون. قوله: يعرف أي أنّه حيّ بإدراك آثار يعدّ من آثار الحياة. قوله: ولا يحار بالحاء المهملة من الحيرة، أو بالجيم على بناء المجهول أي لا يجيره أحد من شيء.

٢٩ - **ف:** عن الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما: أيّها الناس اتّقوا هؤلاء المارقة الّذين يشبّهون الله بأنفسهم، يضاهئون قول الّذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللّطيف الخبير،

---

(١) التوحيد، ص ١٧٣ باب ٢٨ ح ٢.

استخلص الوحدانيّة والجبروت، وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائن، لا منازع له في شيء من أمره، ولا كفو له يعادله، ولا ضدّ له ينازعه، ولا سميّ له يشابهه، ولا مثل له يشاكله، لا تتداوله الأمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواصفون كنه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته لأنّه ليس له في الأشياء عديل، ولا تدركه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم، إلا بالتحقيق إيقاناً بالغيب لانّه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين، وهو الواحد الصمد، ما تصوّر في الأوهام فهو خلافه، ليس بربّ من طرح تحت البلاغ، ومعبود من وجد في هواء أو غير هواء، هو في الأشياء كائن لا كينونة محظور بها عليه، ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها، ليس بقادر من قارنه ضدّ، أو ساواه ندّ، ليس عن الدهر قدمه، ولا بالناحية أممه، احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وعمّن في السماء احتجابه عمّن في الأرض، قربه كرامته، وبعده اهانته، لا يحلّه في، ولا توقّته إذ، ولا تؤامره إن، علوّه من غير نوقل، ومجيئه من غير تنقّل، يوجد المفقود، ويفقد الموجود، ولا تجتمع لغيره الصفتان في وقت، يصيب الفكر منه الإيمان به موجوداً ووجود الإيمان لا وجود صفة، به توصف الصفات لا بها يوصف، وبه تعرف المعارف لا بها يعرف، فذلك الله لا سميّ له سبحانه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1].

بيان: استخلص الوحدانيّة أي جعلها خالصة لنفسه لا يشاركه فيها غيره، والتحقيق: التصديق؛ والاستثناء منقطع أي ولكن يدرك بالتصديق بما أخبر عنه الأنبياء والحجج إيماناً بالغيب. قوله عليه السلام : تحت البلاغ لعلّ المعنى أنّه يكون محتاجاً إلى أن يبلغ إليه الأمور، أو يكون تحت ثوب يكون قدر كفايته محيطاً به؛ ويحتمل أن يكون تصحيف التلاع جمع التلعة فإنّ الأصنام تنحت من الأحجار المطروحة تحتها، أو اليراع وهو شيء كالبعوض يغشى الوجه، أو النقاع جمع النقع بالكسر وهو الغبار أو السماء أو البلاء أو البناء بقرينة قرينتها وهي الهواء.

قوله عليه السلام محظور بها عليه أي بأن يكون داخلاً فيها فتحيط الأشياء به كالحظيرة وهي ما تحيط بالشيء خشباً أو قصباً. قوله عليه السلام : ليس عن الدهر قدمه أي ليس قدمه قدماً زمانياً يقارنه الزمان دائماً. والأمم بالتحريك: القصد أي ليس قصده بأن يتوجّه إلى ناحية مخصوصة فيوجد فيه، بل أينما تولّوا فثمّ وجه الله.

قوله عليه السلام : ولا تؤامره إن أي ليست كلمة إن الّتي يستعملها المخلوقون عند تردّدهم بقولهم: إن كان كذا فأيّ شيء يكون سبباً لمشاورته ومؤامرته في الأمور؛ ونوقل فوعل من

(١) تحف العقول، ص ١٧٣.

النقل، ولم أجده فيما حضر عندي من كتب اللّغة[١]. قوله عليه السلام: في وقت أي في وقت من الأوقات والتقييد بالاجتماع لعلّه وقع تنزّلاً لما يتوهّم من أنّ الأعدام يتأتّى من غيره تعالى.

قوله عليه السلام: يصيب الفكر أي لا يصيب منه تعالى التفكّر فيه إلاّ أن يؤمن بأنّه موجود، وأن يجد صفة الإيمان ويتّصف به لا أن ينال منه وجود صفة أي كنه صفة أو صفة موجودة زائدة. فقوله: ووجود معطوف على الإيمان. وقوله: لا وجود أي لا يصيب وجود، والأصوب أنّ العاطف في قوله: ووجود زائد فيستقيم الكلام. قوله: به توصف الصفات أي هو موجد للصفات وجاعل الأشياء متّصفة بها، فكيف يوصف نفسه بها، وبإفاضته تعرف المعارف فلا يعرف هو بها، إذ لا يعرف الله بمخلوقه كما مرّ.

٣٠ - ف: عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: إنّ الله لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه، وأنّى يوصف الّذي تعجز الحواسّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، نأى في قربه، وقرب في نأيه، كيّف الكيف بغير أن يقال: كيف؟ وأيّن الأين بلا أن يقال: أين؟ هو منقطع الكيفيّة والأينيّة، الواحد الأحد، جلّ جلاله، وتقدّست أسماؤه[٢].

٣١ - م: عن أبي محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتجاوزوا بنا العبوديّة ثمّ قولوا ما شئتم ولا تغلوا، وإيّاكم والغلوّ كغلوّ النصارى فإنّي بريء من الغالين. قال: فقام إليه رجل فقال له: يابن رسول الله صف لنا ربّك، فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا. فقال الرضا عليه السلام: إنّه من يصف ربّه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، ثمّ قال: أعرفه بما عرّف به نفسه، أعرفه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة، لا يدرك بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، بعيد بغير تشبيه، ومتدان في بعده لا بنظير، لا يتوهّم ديمومته، ولا يمثّل بخلقه، ولا يجور في قضيّته، الخلق لما علم منه منقادون، وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون، لا يعلمون بخلاف ما علم منهم ولا غيره يريدون، فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقصّ، يحقّق ولا يمثّل، ويوحّد ولا يبعّض، يعرف بالآيات، ويثبت بالعلامات، فلا إله غيره الكبير المتعال. ثمّ قال الإمام عليه السلام: حدّثني أبي، عن جدّي، عن رسول الله أنّه قال: ما عرف الله من شبّهه بخلقه، ولا عدّ له من نسب إليه ذنوب عباده[٣].

٣٢ - جع: سئل أمير المؤمنين عليه السلام بمَ عرفت ربّك؟ قال: بما عرّفني نفسه، لا يشبهه

---

(١) لأن نوقل خطأ، والصواب كما في المصدر: توقّل، أي ارتفاع، أي: علوّه من غير ارتفاع.

(٢) تحف العقول، ص ٣٥٦.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٥٠ ح ٢٤ وفيه: ولا عَدَله من نسب...

صورة، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كلّ شيء ولا يقال شيءٌ تحته، وتحت كلّ شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كلّ شيء ولا يقال شيء خلفه، وخلف كلّ [شيء] ولا يقال شيءٌ أمامه، داخلٌ في الأشياء لا كشيء في شيء، سبحان من هو هكذا لا هكذا غيره[1].

٣٣ - جع: دخل عليّ بن الحسين عليه السلام مسجد المدينة فرأى قوماً يختصمون، فقال لهم: فيما تختصمون؟ قالوا: في التوحيد، قال: اعرضوا عليّ مقالتكم، قال بعض القوم: إنّ الله يعرف بخلقه سماواته وأرضه، وهو في كلّ مكان. قال عليّ بن الحسين عليه السلام: قولوا: نورٌ لا ظلام فيه، وحياة لا موت فيه، وصمد لا مدخل فيه. ثمّ قال: من كان ليس كمثله شيء وهو السميع البصير كان نعته لا يشبه نعت شيء فهو ذاك[2].

٣٤ - يد: الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن عبد الله بن داهر، عن الحسين بن يحيى الكوفيّ، عن قثم بن قتادة، عن عبد الله بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة، إذ قام إليه رجل يقال له: ذعلب، ذرب اللّسان، بليغ في الخطاب، شجاع القلب، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك؟ فقال: ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد ربّاً لم أره؛ قال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته؟ قال: يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا ذعلب إنّ ربّي لطيف اللّطافة فلا يوصف باللّطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كلّ شيءٌ لا يقال شيءٌ قبله، وبعد كل شيء لا يقال له بعد، شاء الأشياء لا بهمّة، درّاك لا بخديعة هو في الأشياء كلّها غير متمازج بها ولا بائن عنها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلّ لا باستهلال رؤية، بائن لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركة، مريدٌ لا بهمامة، سميعٌ لا بآلة، بصير لا بأداة، لا تحويه الأماكن، ولا تصحبه الأوقات، ولا تحدّه الصفات، ولا تأخذه السنات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة، والجسوء بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3] ففرّق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه، كان ربّاً ولا مربوب، وإلهاً

---

(١) - (٢) جامع الأخبار ص ٨-٩.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

ولا مألوه، وعالماً إذ لا معلوم، وسميعاً إذ لا مسموع. ثمّ أنشأ يقول:

ولم يزل سيّدي بالحمد معروفا ولم يزل سيّدي بالجود موصوفا
وكان إذ ليس نور يستضاء به ولا ظلام على الآفاق معكوفا
فربّنا بخلاف الخلق كلّهم وكلّ ما كان في الأوهام موصوفا
ومن يرده على التشبيه ممتثلاً يرجع أخا حصر بالعجز مكتوفا
وفي المعارج يلقى موج قدرته موجاً يعارض طرف الروح مكفوفا
فاترك أخا جدل في الدين منعمقاً قد باشر الشكّ فيه الرأي مأووفا
واصحب أخا ثقة حبّاً لسيّده وبالكرامات من مولاه محفوفا
أمسى دليل الهدى في الأرض مبتسماً وفي السماء جميل الحال معروفا

قال: فخرّ ذعلب مغشياً عليه ثمّ أفاق وقال: ما سمعت بهذا الكلام، ولا أعود إلى شيء من ذلك.

قال الصدوق رحمه الله: في هذا الخبر ألفاظ قد ذكرها الرضا عليه السلام في خطبته، وهذا تصديق قولنا في الأئمّة عليهم السلام: أنّ علم كلّ واحد منهم مأخوذ عن أبيه حتّى يتّصل ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله[1].

بيان: ذرب اللّسان: حدّته. قوله عليه السلام: معكوفاً أي محبوساً. أخا حصر أي مصاحباً للعيّ والعجز. وكتفت الرجل أي شددت يديه إلى خلفه بالكتاف وهو حبل. والطرف: العين، ومكفوفاً حال منه أي يجعل عين الروح عمياء. قوله عليه السلام: مأووفاً حال عن الرأي، ويمكن أن يقرأ على الأصل بالواوين لضرورة الشعر، أو بإشباع فتحة الميم.

قوله عليه السلام: حبّاً لسيّده الحبّ بالكسر: المحبوب، ويمكن أن يقرأ بالضمّ أيضاً بأن يكون مصدراً مؤوّلاً بمعنى المفعول، ويمكن أن يكون مفعولاً لأجله لكن عطف قوله: وبالكرامات يحتاج إلى تكلّف أي ولكونه محفوفاً وقوله: دليل الهدى بالرفع، ويحتمل النصب بالخبريّة، فيكون الاسم ضميراً راجعاً إلى الأخ، ولعلّه نظراً إلى المصرع الثاني أظهر.

٣٥ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام: الحمد لله خالق العباد، وساطح المهاد، ومسيل الوهاد، ومخصب النجاد، ليس لأوّليّته ابتداء، ولا لأزليّته انقضاء، هو الأوّل لم يزل، والباقي بلا أجل، خرّت له الجباه، ووحّدته الشفاه، حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانةً له من شبهها، لا تقدّره الأوهام بالحدود والحركات، ولا بالجوارح والأدوات، لا يقال له: متى، ولا يضرب له أمد بحتّى، الظاهر لا يقال: ممّا، والباطن لا يقال: فيما، لا شبح فيتقضّى، ولا محجوب فيحوى، لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق، لا يخفى عليه

(١) التوحيد، ص ٣٠٨ باب ٤٣ ح ٢.

من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج، يتفيّأ عليه القمر المنير، وتعقّبه الشمس ذات النور في الأفول والكرور، وتقليب الأزمنة والدهور، من إقبال ليل مقبل، وإدبار نهار مدبر، قبل كلّ غاية ومدّة، وكلّ إحصاء وعدّة، تعالى عمّا ينحله المحدّدون من صفات الأقدار، ونهايات الأقطار، وتأثّل المساكن، وتمكّن الأماكن؛ فالحدّ لخلقه مضروب، وإلى غيره منسوب، لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة، ولا من أوائل أبديّة، بل خلق ما خلق فأقام حدّه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته، ليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء انتفاع، علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى[1].

إيضاح: ساطح المهاد أي باسط الأرض الّتي هي بمنزلة الفراش للخلق؛ والوهد: المكان المنخفض؛ والنجاد: ما ارتفع من الأرض أي مجري السيول في الوهاد، ومنبت العشب والنبات والأشجار في النجاد. قوله: انقضاء أي في طرف الأبد، ويحتمل أن يكون المراد بالأوّليّة العلّيّة أي ليست له علّة، وليس لوجوده في الأزل انقضاء، والأوّل أوفق بالفقرتين الآتيتين لفّاً ونشراً؛ وشخوص اللّحظة: مدّ البصر بلا حركة جفن، وكرور اللّفظة: رجوعها؛ وقيل: ازدلاف الربوة صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض، وهي الموضع المرتفع؛ وقيل: ازدلاف الربوة تقدّمها في النظر، فإنّ الربوة أوّل ما يقع في العين من الأرض عند مدّ البصر من الزلف بمعنى القرب.

قوله عليه السلام: داج أي مظلم، والغسق محرّكة: ظلمة أوّل اللّيل؛ وقوله: ساج أي ساكن، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي سكن أهله، أو ركد ظلامه من سجى البحر سجواً إذا سكنت أمواجه. قوله عليه السلام: يتفيّأ هذا من صفات الغسق ومن تتمّة نعته، ومعنى يتفيّأ عليه: يتقلّب ذاهباً وجائياً في حالتي أخذه في الضوء إلى التبدّر، وأخذه في النقص إلى المحاق، والضمير في عليه للغسق.

وقوله: وتعقّبه أي تتعقّبه فحذف إحدى التائين، والضمير فيه للقمر. وقوله: من إقبال ليل متعلّق بتقليب، والمعنى أنّ الشمس تعاقب القمر فتطلع عند أفوله، ويطلع عند أفولها. قوله عليه السلام: قبل كلّ غاية أي هو سبحانه قبل كلّ غاية؛ قوله: عمّا ينحله أي ينسبه إليه.

قوله عليه السلام: وتأثّل المساكن يقال: مجد مؤثّل أي أصيل، وبيت مؤثّل أي معمور، وأثّل ملكه: عظّمه، وتأثّل: عظم. وتمكّن الأماكن: ثبوتها واستقرارها. أقول: يحتمل أن يكون المعنى التأثّل في المساكن والتمكّن في الأماكن. قوله عليه السلام: ولا من أوائل أبديّة. أقول: على هذه النسخة الأصول الأزليّة هي الأوائل الأبديّة، إذا ما ثبت قدمه امتنع عدمه.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٢٧ الخطبة رقم ١٦١.

قوله عليه السلام : فأقام حدّه أي أتقن حدود الأشياء على وفق الحكمة الإلهيّة من المقادير والأشكال والنهايات والآجال.

٣٦ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام : الحمد لله الّذي بطن خفيّات الأمور، ودلت عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصير، فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره، سبق في العلوّ فلا شيء أعلا منه، وقرب في الدنوّ فلا شيء أقرب منه، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه، ولا قربه ساواهم في المكان به، لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الّذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عمّا يقول المشبّهون به والجاحدون له علوّاً كبيراً(١).

بيان: بطن خفيّات الأمور أي علم بواطنها، وقيل: أي دخل بواطن الأمور الخفية أي هو أخفى عند العقول منها. قول عليه السلام : فلا عين من لم يره أي لا تنكر وجوده عين من لم يره لشهادة فطرته على ظهور وجوده، أو أنّه لا سبيل من جهة عدم إبصاره إلى إنكاره، إذ كان حظّ العين إدراك ما صحّ إدراكه بها لا مطلقاً.

قوله عليه السلام : يبصره أي يحيط بكنهه. قوله عليه السلام على إقرار أي تشهد أعلام وجوده لغاية ظهورها ووضوحها على أنّ الجاحد إنّما يجحد بلسانه لا بقلبه كما مرّ مراراً.

٣٧ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام : الحمد لله الّذي لم تسبق له حال حالاً فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً، كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل، وكل عزيز غيره ذليل، وكلّ قويّ غيره ضعيف، وكل مالك غيره مملوك، وكلّ عالم غيره متعلم، وكلّ قادر غيره يقدر ويعجز، وكلّ سميع غيره يصمّ عن لطيف الأصوات ويصمّه كبيرها، ويذهب عنه ما بعد منها، وكلّ بصير غيره يعمى عن خفيّ الألوان ولطيف الأجسام، وكلّ ظاهر غيره غير باطن، وكلّ باطن غيره غير ظاهر، لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان، ولا تخوّف من عواقب زمان، ولا استعانة على ندّ مثاور، ولا شريك مكاثر، ولا ضدّ منافر، ولكن خلائق مربوبون، وعباد داخرون، لم يحلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن، لم يؤده خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ما ذرأ، ولا وقف به عجز عمّا خلق، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدّر، بل قضاء متقن، وعلم محكم، وأمر مبرم، المأمول مع النقم، المرهوب مع النعم(٢).

بيان: قوله عليه السلام : لم تسبق له حال حالاً إما مبنيّ على ما مر من عدم كونه تعالى زمانيّاً، فإنّ السبق والتقدّم والتأخر إنّما تلحق الزمانيّات المتغيّرات، وهو تعالى خارج عن الزمان؛ أو المعنى أنّه ليس فيه تبدّل حال وتغيّر صفة بل كلّ ما يستحقّه من الصفات الذاتيّة الكماليّة يستحقّها أزلاً وأبداً فلا يمكن أن يقال: كان استحقاقه للأوّليّة قبل استحقاقه للآخريّة، أو

---

(١) نهج البلاغة، ص ١٢٢ الخطبة رقم ٤٩.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٣٧ الخطبة رقم ٦٤.

كان ظاهراً ثمّ صار باطناً بل كان أزلاً متّصفاً بجميع ما يستحقّه من الكمالات، وليس محلاً للحوادث والتغيّرات؛ أو أنّه لا يتوقّف اتّصافه بصفة على اتّصافه بأُخرى بل كلّها ثابتة لذاته بذاته من غير ترتيب بينها ولعلّ الأوسط أظهر.

قوله عليه السلام: كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل قيل: المعنى أنّه تعالى لا يوصف بالقلّة وإن كان واحداً إذ المشهور من معنى الواحد كون الشيء مبدءاً لكثرة يكون عادّاً لها ومكيالاً، وهو الّذي تلحقه القلّة والكثرة الإضافيّتان، فإنّ كلّ واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة إلى الكثرة الّتي تصلح أن تكون مبدءاً لها، ولمّا كان تعالى منزّهاً عن الوصف بالقلّة والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان اللاّزمين لطبيعة الإمكان أثبت القلّة لكلّ ما سواه فاستلزم إثباتها لغيره في معرض المدح له نفيها عنه؛ وقيل: إنّ المراد بالقليل الحقير لأنّ أهل العرف يحقّرون القليل ويستعظمون الكثير.

أقول: الأظهر أنّ المراد أنّ الوحدة الحقيقيّة مخصوصة به تعالى، وإنّما يطلق على غيره بمعنى مجازيّ مؤول بقلّة معاني الكثرة فإنّ للكثرة معاني مختلفة: الكثرة بحسب الأجناس أو الأنواع أو الأصناف أو الأفراد والأشخاص أو الأعضاء أو الأجزاء الخارجيّة أو العقليّة أو الصفات العارضة؛ فيقال للجنس: جنس واحد مع اشتماله على جميع أنواع التكثّرات لكون كثرته أقلّ ممّا اشتمل على التكثّر الجنسيّ أيضاً وهكذا؛ فظهر أنّ معنى الواحد في غيره تعالى يرجع إلى القليل، ولذا قال عليه السلام: كلّ مسمّى بالوحدة إشارة إلى أنّ غيره تعالى ليس بواحد حقيقة، هذا ما خطر بالبال والله يعلم. وقد مرّ تفسير سائر الفقرات ونظائرها مراراً.

٣٨ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام: المعروف من غير رؤية، والخالق من غير رويّة، الّذي لم يزل قائماً دائماً، إذ لا سماء ذات أبراج، ولا حجب ذات ارتاج، ولا ليل داج، ولا بحر ساج، ولا جبل ذو فجاج، ولا فجّ ذو اعوجاج، ولا أرض ذات مهاد، ولا خلق ذو اعتماد، ذلك مبتدع الخلق ووارثه، وإله الخلق ورازقه، والشمس والقمر دائبان في مرضاته، يبليان كلّ جديد، ويقرّبان كلّ بعيد، قسّم أرزاقهم وأحصى آثارهم وأعمالهم، وعدّد أنفاسهم وخائنة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير، ومستقرّهم ومستودعهم من الأرحام والظهور، إلى أن تتناهى بهم الغايات، هو الّذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته، واتّسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته، قاهر من عازّه، ومدمّر من شاقّه، ومذلّ من ناواه، وغالب من عاداه، من توكّل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن أقرضه قضاه، ومن شكره جزاه. عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا، وتنفّسوا قبل ضيق الخناق، وانقادوا قبل عنف السياق، واعلموا أنّه من لم يعن على نفسه حتّى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ[1].

---

(١) نهج البلاغة، ص ١٨٦ الخطبة رقم ٨٩.

بيان: الرويّة: التفكّر؛ والقائم في صفاته تعالى بمعنى الدائم الثابت الّذي لا يزول، أو العالم بالخلق الضابط لأحوالهم أينما كانوا، أو قيامه توكيله الحفظة عليهم، أو حفظه للخلق وتدبيره لأمورهم، أو مجازاته بالأعمال، أو قهره لعباده واقتداره عليهم. والابراج قيل: هو جمع البرج بالضمّ بمعنى الركن، وأركانها أجزاؤها وتداويرها وخوارجها ومتمّماتها، أو البرج بالمعنى المصطلح أي البروج الاثنى عشر، والأظهر عندي أنّه جمع البرج بالتحريك أي الكواكب، قال الفيروزآباديّ: البرج الجميل: الحسن الوجه، أو المضيء البيّن المعلوم، والجمع أبراج.

قوله عليه السلام: ذات ارتاج إمّا بالكسر مصدر أرتج أي أغلق، أو بالفتح جمع الرتاج وهو الباب المغلق، وفيه: أنّه قلّما يجمع فعال على أفعال. وروي ذات رتاج على المفرد؛ والداجي: المظلم. والساجي: الساكن. والفجاج بالكسر جمع فجّ بالفتح وهو الطريق الواسع بين الجبلين. والمهاد: الفراش أي أرض مبسوطة ممكّنة للتعيّش عليها كالمهاد.

قوله عليه السلام: ذو اعتماد أي ذو قوّة وبطش، أو يسعى برجلين فيعتمد عليهما. ودأب في عمله أي جدّ وتعب، والشمس والقمر دائبان لتعاقبهما على حالة واحدة لا يفتران ولا يسكنان، وروي دائبين بالنصب على الحال، ويكون خبر المبتدأ يبليان.

قوله عليه السلام: وأحصى آثارهم أي آثار أقدامهم ووطئهم في الأرض، أو حركاتهم وتصرّفاتهم، أو ما يبقى بعدهم من سنّة حسنة أو سيّئة، كما فسّر به قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[1] وروي عدد أنفاسها على الإضافة. وخائنة الأعين: ما يسارق من النظر إلى ما لا يحلّ، أو أن ينظر نظرة بريبة.

قوله عليه السلام: من الأرحام متعلّقة بمستقرّهم ومستودعهم بياناً لهما على اللّفّ والنشر، ولمّا كان تحقّق الغرض وكمال الذات وحلول الروح في الرحم عبّر عنه بالمستقرّ وعن الظهر بالمستودع، ويكون الظرف أعني قوله: إلى أن تتناهى متعلّقاً بالأفعال السابقة أي قسّم وأحصى وعدّد، وتكون تناهي الغاية بهم كناية عن موتهم؛ ويحتمل أن يكون المراد: مستقرّهم ومأواهم على ظهر الأرض ومستودعهم في بطنها بعد الموت ويكون «من» بمعنى «مذ» أي مذ زمان كونهم في الأرحام والظهور إلى أن تناهي الغاية أي إلى أن يحشروا في القيامة وصاروا إلى النعيم أو إلى الجحيم؛ ويحتمل أن يكون المراد بالمستقرّ والمستودع من استقرّ فيه الإيمان ومن استودع الإيمان ثمّ يسلب كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة، وتوجيه الظرفين بعد ما مرّ غير خفي.

قوله عليه السلام: في سعة رحمته أي في حال سعة رحمته على أوليائه، واتّسعت رحمته لأوليائه في حال شدّة نقمته على أعدائه، فالمراد تنزيهه تعالى عن صفة المخلوقين فإنّ

---

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

رحمتهم لا تكون في حال غضبهم وبالعكس، أو اشتدّت نقمته على أعدائه في حال سعة رحمته عليهم فإنّ رحمته تعالى شاملة لهم في دنياهم، وهم فيها يستعدّون للنقمة الشديدة، ولا يخفى بعده. والمعازّة: المغالبة. والمدمّر: المهلك. والمشاقّة: المعاداة والمنازعة.

قوله عليه السلام: وتنفّسوا قبل ضيق الخناق استعار لفظ التنفّس لتحصيل الراحة والبهجة في الجنّة بالأعمال الصالحة في الدنيا، واستعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت أي انتهزوا الفرصة للعمل قبل تعذّره بزوال وقته. قوله عليه السلام: قبل عنف السياق أي السوق العنيف عند قبض الروح، أو في القيامة إلى الحساب.

قوله عليه السلام: من لم يعن على بناء المجهول أي لم يعنه الله على نفسه حتّى يجعل له منها واعظاً وزاجراً لم يمنعه المنع والزجر من غيرها، أو على بناء المعلوم كما روي أيضاً أي من لم يعن الواعظين له والمنذرين على نفسه لم ينتفع بالوعظ والزجر لأنّ هوى نفسه يغلب وعظ كلّ واعظ.

٣٩ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام: لا يشغله شأن، ولا يغيّره زمان، ولا يحويه مكان، ولا يصفه لسان، ولا يعزب عنه قطر الماء، ولا نجوم السماء ولا سوافي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذرّ في اللّيلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق وخفيّ طرف الأحداق[1].

بيان: مقيل الذرّ أي نومها أو محلّ نومها.

٤٠ - **نهج:** روي عن نوف البكاليّ قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليه السلام - وهو قائمٌ على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزوميّ وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأنّ جبينه ثفنة بعير - فقال عليه السلام: الحمد لله الّذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه ونيّر برهانه، ونوامي فضله وامتنانه، حمداً يكون لحقّه قضاءاً ولشكره أداءاً، وإلى ثوابه مقرّباً، ولحسن مزيده موجباً؛ ونستعين به استعانة راج لفضله، مؤمّل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطول، مذعن له بالعمل والقول، ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً، وأناب إليه مؤمناً، وخنع له مذعناً وأخلص له موحّداً، وعظّمه ممجّداً، ولاذ به راغباً مجتهداً، لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدّمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم، فمن شواهد خلقه خلق السموات موطّدات بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات، غير متلكّئات ولا مبطئات، ولولا إقرارهنّ له بالربوبيّة وإذعانهنّ بالطواعية لما جعلهنّ موضعاً

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٥٨ الخطبة رقم ١٧٦.

لعرشه، ولا مسكناً لملائكته، ولا مصعداً للكلم الطيّب والعمل الصالح من خلقه، جعل نجومها أعلاماً يستدلّ بها الحيران في مختلف فجاج الأقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف اللّيل المظلم، ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر، فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج، ولا ليل ساج في بقاع الأرضين المتطأطئات، ولا في يفاع السفع المتجاورات، وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهطال السماء، ويعلم مسقط القطرة ومقرها، ومسحب الذرّة ومجرّها، وما يكفي البعوضة من قوتها، وما تحمل الانثى في بطنها. والحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسيّ أو عرش أو سماء أو أرض أو جانّ أو إنس، لا يدرك بوهم، ولا يقدّر بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحدّ بأين، و لا يوصف بالأزواج، ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، الّذي كلّم موسى تكليماً، وأراه من آياته عظيماً، بلا جوارح ولا أدوات، ولا نطق ولا لهوات بل إن كنت صادقاً أيّها المتكلّف لوصف ربّك فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين في حجرات القدس مرجحنّين، متولّهة عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين، وإنّما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات، ومن ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء فلا إله إلا هو، أضاء بنوره كلّ ظلام، وأظلم بظلمته كلّ نور[1].

بيان: البكاليّ بفتح الباء وتخفيف الكاف منسوب إلى بكال قبيلة؛ كذا ذكره الجوهريّ. وقال الراونديّ رحمه الله: منسوب إلى بكالة، وهو اسم حيّ من همدان. وقال ابن أبي الحديد: إنّما هو بكال بكسر الباء اسم حيّ من حمير. والثفنة - بكسر الفاء - من البعير: الركبة المصائر جمع المصير وهو مصدر صار إلى كذا ومعناه المرجع، قال تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

قوله عليه السلام: مذعن له من أذعن له أي خضع وذلّ؛ والخنوع أيضاً: الخضوع والذلّ. وقوله عليه السلام: ولا زمان تأكيد للوقت، وقيل: الوقت جزء الزمان، ويمكن حمل أحدهما على الموجود والآخر على الموهوم؛ والتعاور: التناوب؛ ويقال: أبرم الأمر أي أحكمه. قوله عليه السلام: موطّدات أي مثبتات.

قوله عليه السلام: ولولا إقرارهنّ قيل: إقرارهنّ له بالربوبيّة راجع إلى شهادة حالهنّ بالإمكان والحاجة إلى الربّ والانقياد لحكم قدرته، وظاهر أنّه لولا إمكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن أهلاً لسكنى الملائكة، وصعود الكلم الطيّب والأعمال الصالحة، ولفظ الدعاء والإقرار والإذعان مستعارة. وربّما يقال: إنّها محمولة على الحقيقة نظراً إلى أنّ لها أرواحاً؛ والادلهمام: شدّة ظلمة اللّيل؛ والسجف: الستر؛ والحندس من

(١) نهج البلاغة، ص ٣٦٣ الخطبة رقم ١٨٠.

اللّيل: الشديد الظلمة؛ والمتطأطئ: المنخفض؛ واليفاع: ما ارتفع من الأرض؛ والسفع: الجبال، وسمّاها سفعاً لأنّ السفعة سواد مشرب حمرة، وكذلك لونها في الأكثر، والتجلجل: صوت الرعد.

قوله عليه السلام : وما تلاشت عنه قال ابن أبي الحديد قال ابن الأعرابي: لشا الرجل: إذا اتّضع وخسّ بعد رفعة، وإذا صحّ أصلها صحّ استعمال الناس «تلاشي» بمعنى اضمحلّ. وقال القطب الراونديّ تلاشي مركّب من لا شيء، ولم يقف على أصل الكلمة أي يعلم ما يصوت به الرعد، ويعلم ما يضمحلّ عنه البرق. فإن قلت: هو سبحانه عالم بما يضيئه البرق وبما لا يضيئه فلم خصّ عليه السلام ما يتلاشي عنه البرق؟ قلت: لأنّ علمه بما ليس يضيء أعجب وأغرب لأنّ ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولو الأبصار الصحيحة.

قوله عليه السلام : عواصف الأنواء الأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من المشرق مقابلاً له من ساعته، ومدّة النوء ثلاثة عشر يوماً إلاّ الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً، وإنّما سمّي نوءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق أي نهض وطلع؛ وقيل: أراد بالنوء الغروب وهو من الأضداد. قال أبو عبيدة: ولم يسمع في النوء أنّه السقوط إلا في هذا الموضع. وإنّما أضاف العواصف إليها لأنّ العرب تضيف الرياح والأمطار والحرّ والبرد إلى الساقط منها، أو لأنّ أكثر ما يكون عصفاً فيها؛ والانهطال: الانصباب؛ وسحبه كمنعه: جرّه على وجه الأرض، وأكل وشرب أكلاً وشرباً شديداً.

قوله عليه السلام : ولا يشغله سائل أي عن سائل آخر؛ والنائل: العطاء أي لا ينقص خزائنه عطاء. قوله عليه السلام : لا يوصف بالأزواج أي بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج؛ أو ليس فيه تركّب وازدواج أمرين كما مرّ تحقيقه، أو بأنّ له صاحبة.

قوله عليه السلام : تكليماً مصدر للتأكيد لإزالة توهّم السامع التجوّز في كلامه تعالى، والمراد بالآيات إمّا الآيات التسع أو الآيات الّتي ظهرت عند التكليم من سماع الصوت من الجهات الستّ وغيره؛ ويؤيّد الثاني قوله عليه السلام : بلا جوارح إلى قوله: ولا لهوات، إذ الظاهر تعلّقه بالتكليم، ويحتمل تعلّقه بالجميع على اللّفّ والنشر غير المرتّب.

قوله عليه السلام مرجحنّين أي مائلين إلى جهة التحت خضوعاً لجلال الباري عزّ سلطانه، ويحتمل أن يكون كناية عن عظمة شأنهم ورزانة قدرهم أو عن نزولهم وقتاً بعد وقت بأمره تعالى، قال الجزريّ: ارجحنّ الشيء: إذا مال من ثقله وتحرّك. قوله عليه السلام : أمد حدّه الإضافة بيانيّة، وحمل الحدّ على النهايات والأطراف بعيد جدّاً.

قوله عليه السلام أضاء بنوره كلّ ظلام الظلام إمّا محسوس فإضاءته بأنوار الكواكب والنيّرين، أو معقول وهو ظلام الجهل فإضاءته بأنوار العلم والشرائع قوله: وأظلم بظلمته كلّ نور إذ

جميع الأنوار المحسوسة أو المعقوله مضمحلّة في نور علمه، وظلام بالنسبة إلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده، وقال ابن أبي الحديد: تحت قوله عليه السلام معنى دقيق وسرّ خفيّ وهو أنّ كلّ رذيلة في الخلق البشريّ غير مخرجة عن حدّ الإيمان مع معرفته بالأدلّة البرهانيّة، غير مؤثّرة نحو أن يكون العارف بخيلاً أو جباناً، وكلّ فضيلة مع الجهل به سبحانه ليست بفضيلة في الحقيقة، لأنّ الجهل به يكشف تلك الأنوار نحو أن يكون الجاهل به جواداً أو شجاعاً. ويمكن أن يكون الظلام والنور كنايتين عن الوجود والعدم، ويحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله: بظلمته راجعاً إلى كلّ نور لتقدّمه رتبةً فيرجع حاصل الفقرتين حينئذٍ إلى أنّ النور هو ما ينسب إليه تعالى فبتلك الجهة نور، وأمّا الجهات الراجعة إلى الممكنات فكلّها ظلمة.

٤١ - **نهج**: في وصيّته للحسن المجتبى صلوات الله عليهما: واعلم يا بنيّ أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضادّه في ملكه أحد، ولا يزول أبداً، ولم يزل أوّلاً قبل الأشياء بلا أوّليّة، وآخراً بعد الأشياء بلا نهاية، عظم عن أن تثبت ربوبيّته بإحاطة قلب أو بصر[1].

٤٢ - **نهج**: من خطبة له عليه السلام الحمد لله الّذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته، هو الله الحقّ المبين، أحقّ وأبين ممّا تراه العيون، لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبّهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثّلاً، خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير، ولا معونة معين، فتمّ خلقه بأمره، وأذعن لطاعته فأجاب ولم يدافع، وانقاد ولم ينازع[2].

٤٣ - **نهج**: من خطبة له عليه السلام: كلّ شيء خاشع له، وكلّ شيء قائم به، غنى كلّ فقير، وعزّ كلّ ذليل، وقوّة كلّ ضعيف، ومفزع كلّ ملهوف، من تكلّم سمع نطقه، ومن سكت علم سرّه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه، لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك، لم تخلق الخلق لوحشة، ولا استعملتهم لمنفعة، ولا يسبقك من طلبت، ولا يفلتك من أخذت، ولا ينقص سلطانك من عصاك، ولا يزيد في ملكك من أطاعك، ولا يردّ أمرك من سخط قضاءك، ولا يستغني عنك من تولّى عن أمرك، كلّ سرّ عندك علانية، وكلّ غيب عندك شهادة، أنت الأبد لا أمد لك، وأنت المنتهى لا محيص عنك، وأنت الموعد لا منجأ منك إلاّ إليك، بيدك ناصية كلّ دابّة، وإليك مصير كلّ نسمة، سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك، وما أصغر عظمه في جنب قدرتك، وما أهول ما نرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك فيما غاب عنّا من سلطانك، وما أسبغ نعمتك في الدنيا، وما

(١) نهج البلاغة، ص ٥٣٢ في وصية للحسن عليه السلام برقم ٢٦٩.
(٢) نهج البلاغة، ص ٣٠٩ خطبة رقم ١٥٣.

أصغرها في نعم الآخرة(١).

بيان: قوله: فإليه منقلبه أي انقلابه. قوله ﷺ: بل كنت قبل الواصفين قيل: أي لمّا كان سبحانه قبل الموجودات قديماً أزليّاً لم يكن جسماً ولا جسمانيّاً فاستحال رؤيته، وقال بعض الأفاضل: يحتمل أن يكون المراد أنّ العلم بوجودك ليس من جهة إخبار العيون، بل من جهة أنّك قبل الأشياء ومبدأ الممكنات. أقول: يمكن أن يكون المعنى أنّه لو كان العلم بوجودك من جهة الرؤية لما علم تقدّمك على الواصفين، إذ الرؤية إنّما تفيد العلم بوجود المرئيّ حين الرؤية، فلا تفيد للرائين الواصفين العلم بكونه موجوداً قبلهم.

قوله ﷺ: ولا يسبقك أي لا يفوتك هرباً. قوله ﷺ: ولا يفلتك أي لا يفلت منك فإنّ أفلت لازم. قوله ﷺ: أمرك أي قدرك الّذي قدّرت قوله ﷺ: عن أمرك أي الأمر التكليفيّ. قوله ﷺ: وأنت المنتهى أي في العلّيّة، أو ينتهي إليك أخبارهم وأعمالهم، أو ينتهون إليك بعد الحشر. وقال الجزريّ: كلّ دابة فيها روح فهي نسمة، وقد يراد بها الإنسان.

٤٤ - **ما:** أحمد بن محمّد بن الصلت، عن ابن عقدة، عن محمّد بن عيسى بن هارون الضرير، عن محمّد بن زكريّا المكّيّ، عن كثير بن طارق، عن زيد بن عليّ بن الحسين ﷺ، عن أبيه ﷺ قال: خطب عليّ بن أبي طالب ﷺ بهذه الخطبة في يوم الجمعة فقال: الحمد لله المتوحّد بالقدم والأوّليّة، الّذي ليس له غاية في دوامه ولا له أوّليّة، أنشأ صنوف البريّة لا من أصول كانت بديّة، وارتفع عن مشاركة الأنداد، وتعالى عن اتّخاذ صاحبة وأولاد، هو الباقي بغير مدّة، والمنشئ لا بأعوان ولا بآلة! فطن ولا بجوارح صرف ما خلق، لا يحتاج إلى محاولة التفكير، ولا مزاولة مثال ولا تقدير، أحدثهم على صنوف من التخطيط والتصوير، لا برويّة ولا ضمير، سبق علمه في كلّ الأمور، ونفذت مشيته في كلّ ما يريد من الأزمنة والدهور، انفرد بصنعه الأشياء فأتقنها بلطائف التدبير، سبحانه من لطيف خبير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(٢).

٤٥ - **نهج:** من خطبة له ﷺ: وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، الأوّل لا شيء قبله والآخر لا غاية له، لا تقع الأوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفيّة ولا تناله التجزئة والتبعيض ولا تحيط به الأبصار والقلوب(٣).

وقال ﷺ: قد علم السرائر وخبر الضمائر، له الإحاطة بكلّ شيء، والغلبة لكل شيء، والقوّة على كل شيء.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٣٧ خطبة رقم ١٠٨.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٧١٣. مجلس ٤١ ح ١٥٠٩.
(٣) نهج البلاغة، ص ١٧٦ خطبة رقم ٨٤.

وقال عليه السلام: الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين، الغالب لمقال الواصفين، الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين، والباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين، العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد، المقدّر لجميع الأمور بلا رويّة ولا ضمير، الّذي لا تغشاه الظلم، ولا يستضيء بالأنوار، ولا يرهقه ليل، ولا يجري عليه نهار، ليس إدراكه بالأبصار، ولا علمه بالأخبار(١).

٥ - باب إبطال التناسخ

١ - ن: تميم القرشيّ، عن أبيه، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، عن الحسن بن الجهم قال: قال المأمون للرضا عليه السلام: يا أبا الحسن ما تقول في القائلين بالتناسخ؟ فقال الرضا عليه السلام: من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم، يكذب بالجنّة والنار(٢).

٢ - ن: ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد قال قال أبو الحسن عليه السلام: من قال بالتناسخ فهو كافر(٣).

٣ - ج: عن هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: أخبرني عمّن قال: بتناسخ الأرواح من أيّ شيء قالوا ذلك؟ وبأيّ حجّة قاموا على مذاهبهم؟ قال: إنّ أصحاب التناسخ قد خلّفوا وراءهم منهاج الدين، وزيّنوا لأنفسهم الضلالات وأمرجوا أنفسهم في الشهوات، وزعموا أنّ السماء خاوية، ما فيها شيء ممّا يوصف وأنّ مدبّر هذا العالم في صورة المخلوقين؛ بحجّة من روى أنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته، وأنّه لا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا نشور، والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر، إن كان محسناً في القالب الأوّل أعيد في قالب أفضل منه حسناً في أعلى درجة الدنيا. وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدوابّ المتعبة في الدنيا، أو هوامّ مشوّهة الخلقة، وليس عليهم صوم ولا صلاة ولا شيءٌ من العبادة أكثر من معرفة من تجب عليهم معرفته، وكلّ شيء من شهوات الدنيا مباح لهم من فروج النساء وغير ذلك من نكاح الأخوات والبنات والخالات

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٤٥ خطبة رقم ٢١١. وقد ذكرنا جملة وافية من الروايات في كتابنا «تاريخ الفلسفة والتصوف». وواضح من كلها مباينة الخالق مع المخلوق مباينة تامة، وأنه لا سنخية ولا مجانسة بينهما بوجه من الوجوه ولا علية ولا معلولية، وأن البينونة بينونة الصفة مع الموصوف لا بينونة عزلة واستقلال، وغيوره تحديد لما سواه، وأنه خلق الأشياء لا من شيء، وكل المخلوقات محدثات مبدعات قائمات به تعالى لا معه ولا من دونه هو الحي القيوم. وفي بعض الروايات أنه لو خلق الشيء من شيء إذا لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله ومعه شيء، وأنه خلق الأشياء كلها من الماء وأبدع الماء لا من شيء وأن الماء أصل الأشياء. [مستدرك السفينة ج ٣ لغة «خلق»].

(٢) - (٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٢١٨ باب ٤٦ ح ١ و٢.

وذوات البعولة، وكذلك الميتة والخمر والدم فاستقبح مقالتهم كلّ الفرق، ولعنهم كلّ الأمم، فلمّا سئلوا الحجّة زاغوا وحادوا، فكذّب مقالتهم التوراة، ولعنهم الفرقان، وزعموا مع ذلك أنّ إلههم ينتقل من قالب إلى قالب، وأنّ الأرواح الأزليّة هي الّتي كانت في آدم، ثمّ هلمّ جرّاً تجري إلى يومنا هذا في واحد بعد آخر فإذا كان الخالق في صورة المخلوق فبما يستدلّ على أنّ أحدهما خالق صاحبه؟ وقالوا: إنّ الملائكة من ولد آدم كلّ من صار في أعلا درجة من دينهم خرج من منزلة الامتحان والتصفية فهو ملك، فطوراً تخالهم نصارى في أشياء، وطوراً دهريّة يقولون إنّ الأشياء على غير الحقيقة فقد كان يجب عليهم أن لا يأكلوا شيئاً من اللّحمان لأنّ الدوابّ عندهم كلّها من ولد آدم حوّلوا في صورهم فلا يجوز أكل لحوم القرابات[1].

بيان: قوله عليه السلام: إنّ إلههم ينتقل أي الطبيعة، ولذا قال عليه السلام: فطوراً تخالهم نصارى للقول بحلول إلههم في المخلوق، وطوراً دهريّة لأنّ الطبيعة ليست بإله؛ فهم نافون للصانع حيث يقولون: إنّ الأشياء على غير الحقيقة أي خلقت بالإهمال من غير أن يكون لها صانع راعى الحكمة في خلقها.

٤ -**كش:** طاهر بن عيسى، عن جعفر بن محمّد، عن الشجاعيّ، عن الحمّاديّ رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام: سئل عن التناسخ قال: من نسخ الأوّل؟[2].

بيان: لعلّه مبنيّ على حدوث العالم واستحالة غير المتناهي، والحاصل أنّ قولهم بالتناسخ إذا كان لعدم القول بالصانع فلا ينفعهم إذ لا بدّ لهم من القول ببدن أوّل لبطلان لاتناهي الأفراد المترتّبة فيلزمهم القول بصانع للروح والبدن الأوّل فهذا الكلام لدفع ما هو مبنى قولهم بالتناسخ حيث يزعمون أنّه ينفعهم القول به لعدم القول بالصانع.

وقال السيّد الداماد قدّس الله روحه: هذا إشارة إلى برهان إبطال التناسخ على القوانين الحكميّة والأصول البرهانيّة، تقريره أنّ القول بالتناسخ إنّما يستطبّ[3] لو قيل بأزليّة النفس المدبّرة للأجساد المختلفة المتعاقبة على التناقل والتناسخ، وبلاتناهي تلك الأجساد المتناسخة بالعدد في جهة الأزل كما هو المشهور من مذهب الذاهبين إليه والبراهين الناهضة على استحالة اللانهاية العدديّة بالفعل مع تحقّق الترتّب والاجتماع في الوجود قائمة هناك بالقسط بحسب متن الواقع المعبّر عنه بوعاء الزمان أعني الدهر وإن لم يتصحّح إلا الحصول التعاقبيّ بحسب ظرف السيلان والتدريج والفوت واللّحوق أعني الزمان، وقد استبان ذلك في الأفق المبين، والصراط المستقيم، وتقويم الإيمان، وقبسات حقّ اليقين وغيرها من كتبنا وصحفنا فإذن لا محيص لسلسلة الأجساد المترتّبة من مبدء متعيّن هو الجسد الأوّل في جهة

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٤٤.

(٢) رجال الكشي، ص ٥٧٨ ح ٥١٤.

(٣) الظاهر: يستتب.

الأزل، يستحقّ باستعداده المزاجي أن تتعلّق به نفس مجرّدة تعلّق التدبير والتصرّف فيكون ذلك مناط حدوث فيضانها عن جود المفيض الفيّاض الحقّ جلّ سلطانه، وإذا انكشف ذلك فقد انصرح أنّ كلّ جسد هيولانيّ بخصوصيّة مزاجه الجسمانيّ واستحقاقه الاستعداديّ يكون مستحقّاً لجوهر مجرّد بخصوصه يدبّره ويتعلّق به ويتصرّف فيه ويتسلّط عليه فليتثبّت.

٦ - باب نادر

كش: حمدويه، عن محمّد بن عيسى، عن جعفر بن عيسى، عن عليّ بن يونس بن بهمن قال: قلت للرضا عليه السلام: جعلت فداك إنّ أصحابنا قد اختلفوا، فقال: في أيّ شيء اختلفوا؟ فتداخلني من ذلك شيء فلم يحضرني إلاّ ما قلت: جعلت فداك من ذلك ما اختلف فيه زرارة وهشام بن الحكم، فقال زرارة: النفي ليس بشيء وليس بمخلوق، وقال هشام: إنّ النفي شيء مخلوق: فقال لي: قل في هذا بقول هشام ولا تقل بقول زرارة[1].

قد تمّ المجلّد الثاني من كتاب بحار الأنوار على يد مؤلّفه ختم الله له بالحسنى في غرّة شهر ربيع الثاني من شهور سنة سبع وسبعين بعد الألف من الهجرة المقدّسة النبويّة على مهاجرها وآله الطاهرين ألف ألف صلاة وتحيّة.

(١) رجال الكشي، ص ٥٤٤ ح ٤٨٢.

فهرس الجزء الثالث

الموضوع | الصفحة

فهرس الجزء الرابع

رموز الكتاب

ب : لقرب الاسناد.
بشا : لبشارة المصطفى.
تم : لفلاح السائل.
ثو : لثواب الاعمال.
ج : للاحتجاج.
جا : لمجالس المفيد.
جش : لفهرست النجاشي.
جع : لجامع الاخبار.
جم : لجمال الاسبوع.
جنة : للجنة الواقية.
حة : لفرحة الغري.
ختص : لكتاب الإختصاص.
خص : لمنتخب البصائر.
د : للعدد القوية.
سر : للسرائر.
سن : للمحاسن.
شا : للإرشاد.
شف : لكشف اليقين.
شي : لتفسير العياشي.
ص : لقصص الأنبياء.
صا : للإستبصار.
صبا : لمصباح الزائر.
صح : لصحيفة الرضا (ع).
ضا : لفقه الرضا (ع).
ضوء : لضوء الشهاب.
ضه : لروضة الواعظين.
ط : للصراط المستقيم.
طا : لامان الأخطار.
طب : لطب الأئمة.

ع : لعلل الشرائع.
عا : لدعائم الاسلام.
عد : للعقائد.
عدة : لعدة الداعي.
عم : لاعلام الورى.
عين : للعيون والمحاسن.
غر : للغرر والدرر.
غط : لغيبة الشيخ الطوسي.
غو : لغوالي اللئالي.
ف : لتحف العقول.
فتح : لفتح الأبواب.
فر : لتفسير فرات الكوفي.
فس : لتفسير علي بن ابراهيم.
فض : لكتاب الروضة.
ق : للكتاب العتيق الغروي.
قب : لمناقب ابن شهرآشوب.
قبس : لقبس المصباح.
قضا : لقضاء الحقوق.
قل : لإقبال الأعمال.
قية : للدروع الواقية.
ك : لإكمال الدين.
كا : للكافي.
كش : لرجال الكشي.
كشف : لكشف الغمة.
كف : لمصباح الكفعمي.
كنز : لكنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة معاً.
ل : للخصال.
لد : للبلد الأمين.

لي : لأمالي الصدوق.
م : لتفسير الإمام العسكري (ع).
ما : لأمالي الطوسي.
محص : للتمحيص.
مد : للعمدة.
مص : لمصباح الشريعة.
مصبا : للمصباحين.
مع : لمعاني الأخبار.
مكا : لمكارم الأخلاق.
مل : لكامل الزيارة.
منها : للمنهاج.
مهج : لمهج الدعوات.
ن : لعيون أخبار الرضا (ع).
نبه : لتنبيه الخاطر.
نجم : لكتاب النجوم.
نص : للكفاية.
نهج : لنهج البلاغة.
ني : لغيبة النعماني.
هد : للهداية.
يب : للتهذيب.
يج : للخرائج.
يد : للتوحيد.
ير : لبصائر الدرجات.
يف : للطرائف.
يل : للفضائل.
ين : لكتابي الحسين بن سعيد أو لكتابه والنوادر.
يه : لمن لا يحضره الفقيه